أحمد عبد الباقي

عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين

سامرا



الجزء ٢-١

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین سامرا

کاتب:

احمد عبد الباقی

نشرت فی الطباعهٔ:

الدار العربیه للموسوعات

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین سامرا

اشاره

سرشناسه : عبدالباقی، احمد، ۱۹۱۷- م.

عنوان و نام پدیدآور : عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین سامرا/ احمد عبد الباقی.

مشخصات نشر : بیروت: دارالعربیه للموسوعات، ۱۳ -

مشخصات ظاهری : ج.

وضعیت فهرست نویسی : برون سپاری.

یادداشت : فهرستنویسی بر اساس جلد دوم.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

موضوع : عباسیان -- عراق -- تاریخ

موضوع : سامرا (عراق) -- تاریخ

رده بندی کنگره : DS۷۹/۹ /س۲ع۲ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی : ۹۵۶/۷۵

شماره کتابشناسی ملی : ۱۱۴۴۸۵۹

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

فهرست کتاب سامرا عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين

بسم اللّه الرحمن الرحیم

مقدمه:

هناک قسم من تاریخ الدوله العربیه فی عهد العباسیین یؤلف وحده تاریخیه کامله، امتدت من سنه ۲۲۱ ه حتی سنه ۲۷۹ ه، کانت فیه مدینه سامرا حاضره الخلافه الاسلامیه. و هذه المدینه التی انشئت لتکون عاصمه الخلافه فی ایام المعتصم باللّه ثامن الخلفاء من بنی العباس، شاء لها القدر ان تکون عاصمه لامبراطوریه من اعظم الامبراطوریات التی ظهرت علی مسرح التاریخ. فقد امتدت الامبراطوریه العربیه من سواحل المحیط الأطلسی غربا حتی تخوم الصین شرقا و رغم اختلاف اجناس رعایاها و اختلاف السنتهم، و قیام بعض الامارات شبه المستقله علی اطرافها المتباعده، فقد کانت ولایاتها جمیعا مرتبطه برباط الدین الاسلامی و الحضاره العربیه و تخضع کلها لخلیفه سامرا. و کما یقول المستشرق الهولندی کرامرز «انها کانت تؤلف کتله دینیه واحده فضلا عن وحده سیاسیه متینه العری متراصه البنیان، جمعت بینها قوه السلاح، و جعلت سکانها یقفون فی العالم کأعظم قوه مرکزیه عرفها البشر». (تراث الاسلام/ ۱۲۵)

و نستطیع ان نعتبر تأسیس مدینه سامرا اهم اعمال المعتصم باللّه و ابقاها اثرا. و تقوم هذه الأهمیه علی ما تطلبه تأسیسها من

تصـميم مسـبق، و جهـد كبير متواصـل، و مال و فير، و ما لعبته العاصـمه الجديـده من دور مهم فى مسـيره الحضاره العربيه خلال الشـطر الاكبر من القرن الثالث. و قد تيسر للمعتصم باللّه ان ينهض بذلك العمل العظيم بما و هب من حب للعمران، و للجنديه و الحيـاه العسـكريه، و مـا توفر له من المـال. و قـد اختـار المكان المناسب للمـدينه من حيث حسن الجو و المناخ، و توفر المياه، و حصانه الموقع.

و خططها بما يسـد احتياجات عسـكره من الأتراك، و متطلبات الحياه المدنيه. و وزع الاعمال الانشائيه المطلوبه لتأسـيس المدينه على قواده و كبار رجاله بما كفل سـرعه انجازها. و لم يبخل ببـذل ما احتاجه لذلك من الاموال. فاسـتطاع ان يقيم مدينه واسـعه كامله المرافق فى خلال مده و جيزه تعتبر قياسـيه- اذ ابتدأ ببنائها فى سنه (٢٢١ ه) و تم انجازها فى اواخر السـنه التاليه-. و مع ان الصـفه العسـكريه غلبت على مؤسـساتها و مرافقها عنـد تأسيسـها، اذ كان معظم سـكانها فى اول أمرها من الجنـد الأتراك الذين كـانوا اهم أسـباب تأسيسـها، بحيث أطلق عليهـا اسم «العسـكر». الا انها ما لبثت ان قصـدها اصـناف الناس و اسـتوطنوها باعتبارها حاضـره الخلافه. و لم تمض مده يسيره على تأسيسها حتى غدت من أمهات مدن الدنيا آنذاک. و قد أقدم اليها الخليفه نفسه من كل بلـد من يعمل عملا من الاعمال، او يعالج مهنه من مهن الزرع و الغرس، و حمل من سائر البلدان من اهل كل مهنه و صـناعه فـانزلهم فى المـدينه و أقطعهم فيهـا لبناء منازل لهم. فاتسـعت عماره المـدينه و اتصـلت بيوتها و قصورها و اسواقها، و انتقل اليها عدد كبير من وجوه الناس و اهل النباهه من سائر المدن و الأمصار لطيب جوها و حسن موقمها و عمارتها.

الا ان المـدينه لم تلبث ان امتـد اليها الخراب عنـد ما النقل الخليفه المعتضد باللّه عائدا الى بغداد فى سـنه (٢٧٩ ه) بحيث لم يبق منها بعد سنين قلائل سوى اطلالها. غير ان هذه الاطلال حفظت لنا

طيله عـده قرون اسـس الابنيه الفخمه التى كانت فوقها مما ساعـد، الآثاريين على اسـتكشاف كثير من معالمها و تحديـد الشوارع الرئيسه و كثير من القصور و دور السكن و ثكنات الجيش، التى كانت فيها.

و التعرف على الأسـس الفنيه و المعماريه التى قام عليها تخطيط المـدينه و عمرانها. اذ كشـفت الحفريات و التنقيبات الحديثه من المعلومات عن البناء و الزخرفه ما يعطى فكره جليّه عن جمال الحضاره العربيه الاسـلاميه التى أفاءت على العالم آنـذاك، و التى تمثلت فى تلك المدينه الخالده.

و مع أهميه سامرا عاصـمه الـدوله العربيه فى ازهى عصورها و دورها الكبير فى بناء الحضاره العربيه، فانها لم تنل ما تسـتحقه من عنايه المؤرخين و اهتمامهم. فقد أقام بها عدد من الخلفاء كان لهم اثر مهم فى تاريخها، و وقعت فى ايامها احداث جسام تركت آثارها العميقه على مسيره الـدوله العربيه. و كان عهـدها عهد القمم من اعلام الرجال ممن تفخر بهم فى مختلف ميادين العلم و الأدب.

فقـد عاصـرها الامام أحمـد بن حنبل الشـيبانى، و اماما الحـديث محمـد ابن اسـماعيل البخارى و مسـلم بن الحجاج القشـيرى، و المؤرخ الفقيه العالم محمد بن جرير الطبرى، و المؤرخ البلدانى أحمد بن أسحاق اليعقوبى. و اماما اللغه و النحو المبرد محمد بن يزيـد و ثعلبه احمـد ابن يحيى الشـيبانى، و عميد ادباء عصـره عمرو بن بحر الجاحظ، و الشاعران العبقريان ابو تمام و البحترى، و فيلسوف العرب يعقوب بن اسـحاق الكندى، و ابرز اطباء عصرهم يوحنا بن ماسويه و يختيشوع بن جبرائيل و حنين بن اسحاق، و آخرون كثيرون. كما تميز عهـد سامرا باحـداث خطيره، منها ان الدوله العربيه بلغت اوج قوتها حينما هدد المعتصم باللّه فى سـنه (٢٢٣ ه) مـدينه القسـطنطينيه عاصـمه الـدوله البيزنطيه بعـد ان اجتاح قواعـد الروم و حصونهم و افتتـح عموريه أهم مـدنهم. كما قضت الدوله العربيه فى هذا العهد على خطرين تعرضت لهما هما حركه بابك الخرمى و فتنه الزنج.

و فی هذا العهد ایضا ظهرت نتائج تتریک الجیش العربی، اذ طغی القواد الأتراک و تسلطوا علی شؤون الدوله و بخاصه منذ ایام المتوکل علی اللّه حتی ایام المعتمد علی اللّه حینما استطاع اخوه الموفق المهیمن علی شؤون الخلافه ان یکبح جماحهم الی حین. و کان ابرز مظاهر تسلط الاتراک استبدادهم بالخلفاء و قد قتلوا اربعه منهم و خلعوا ثلاثه من الخلافه.

و یظهر ان ما أصاب سامرا من اهمال کان سببه الرئیس سرعه خرابها بعد عوده عاصمه الدوله الی مدینه السلام التی استعادت مکانتها فی التاریخ العربی الاسلامی. و عسی ان نوفق فی تلافی بعض هذا الاهمال بما سنعرضه فی الصفحات التالیه من تاریخ الدوله العربیه فی عهد سامراء فی مختلف جوانبه. و نرجو ان تکون المواضیع التی تناولنا بحثها و عرضها بشی ء من التفصیل کافیه لأن تعطی صوره واضحه عن التاریخ المذکور بما یتفق و المرکز الذی شغلته مدینه سامرا ما یزید علی نصف قرن کانت فیه حاضره الخلافه الاسلامیه و عاصمه الدوله العربیه.

و قد جاء هذا البحث فی عشره أبواب، یضم کل منها عددا من الفصول یتناسب و طبیعه المواضیع التی یتضمنها الباب وسعتها.

فکان الباب الأول خاصا بتأسیس سامرا و عمرانها، و قد اشتمل علی منشأت المعتصم بالله فیها، و سامرا فی عهد المتوکل علی الله، و تأسیسه المدینه المتوکلیه «الجعفریه»، و سامرا بعده، و العوده الی بغداد و هجر سامرا، ثم دور السکن فی المدینه، و الزخارف التی اشتهرت بها. و اشتمل الباب الثانی علی دراسه خلفاء سامرا من حیث المبایعه و ولایه العهد مع نبذه مختصره عن سیره کل منهم لا سیما ما یتعلق منها بالدوله و المجتمع. و خصص الباب الثالث الدراسه مؤسسات الدوله العربیه فی عهد سامرا فضم دراسه عن الوزاره و الکتابه و القضاء. اما الباب الرابع فقد تناول علاقه

خلفاء سامرا بالاتراک و ما قام بین الطرفین من صراع و مظاهر ذلک الصراع و ما انتهی الیه. و خصص الباب الخامس لموقف العلویین من خلفاء سامرا. و اشتمل الباب السادس علی دراسه الفتن و الاضطرابات التی و اجهت خلفاء سامرا، الکبری منها کحرکه الخرمیه و فتنه الزنج، و المؤامرات التی استهدفت الخلافه، و الاضطرابات الاخری التی کانت أقل خطرا رغم تعددها. و ضم الباب السابع موضوع المحنه التی آثارها المعتزله و موقف خلفاء سامرا منها. و اختص الباب الثامن بدراسه علاقات الدوله العربیه بمملکه الروم فشمل الحروب و المفادات و العلاقات التجاریه و الثقافیه بین الطرفین فی خلال عهد سامرا. و اشتمل الباب التاسع علی الامارات شبه المستقله فی عهد سامرا من حیث اداره شؤونها و علاقاتها بالخلافه. و خصص الباب العاشر لمجالس خلفاء سامرا العلمیه و الادبیه منها و مجالس الأنس و السمر.

و قد انتهجنا فی دراستنا هذه اسلوبا یختلف عن الطریقه التی الفناها فی کتابه التاریخ العربی. و هو اسلوب لا یهتم بالاشخاص قدر اهتمامه بالاحداث التاریخیه من حیث اسبابها و نتائجها و مسرح حدوثها. ای ان الاحداث هی محور الدراسه و البحث و لیس الاشخاص. و حاولنا جهد استطاعتنا ان نلم بتفاصیلها و مکوناتها لنضع امام القاری ء صوره جلیه لذلک العهد متمثله بمجریات الاحداث التی وقعت خلاله، و ما أحاط بها من الظروف المختلفه التی أدت بها الی ان تسیر فی الاتجاه الذی صارت الیه، مع دراسه آثارها علی المجتمع آنذاک. فعرضنا ذلک بشکل وحدات «ابواب» تتناول مواضیع تکوّن بمجموعها تاریخه.

و من الواضح ان دراسه الوقائع التاریخیه بشکل وحدات تساعد

على فهمها بمختلف جوانبها، رغم امتداد زمنها، و ما نشأ عنها من نتائج، مما يجعلها متكامله واضحه. و نحسب ان هذا الاسلوب سيعطى من الصور عددا اكثر و من الشمول و الوضوح مجالا ـ اوسع، مما توفره الطريقه التقليديه فى عرض الماده التاريخيه، لا سيما ان هذا الاسلوب يتيح مجالا رحبا للتعرف على مختلف جوانب حياه الدوله العربيه برمتها آنذاك. تلك الجوانب التى لا تنال الاهتمام الكافى فى الطريقه التقليديه.

و قد راعينا فى دراستنا بعض الاسس التى التزمنا بها فى مختلف الابواب، اهمها: ۱- الحرص على التأكيد على عروبه عهد سامرا و التطور الحضارى خلاله، باعتباره امتدادا للدوله العربيه التى قامت فى المدينه المنوره اثر هجره الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و سلم اليها و امتدت حتى منتصف القرن السابع الهجرى. اذا لم تعد كلمه العرب بمعناها الواسع تقتصر على سكان بلاد العرب فقط، بل انها شملت جميع الامم و الشعوب التى حمل العرب اليها الدين الاسلامى، و اتخذت من العربيه لغه لها، و انضوت تحت رايه الدوله العربيه، و من ثم كانت الحضاره التى ازدهرت آنذاك و آتت اكلها فى القرن التالى حضاره عربيه. ۲- و مما له علاقه بذلك اجتهدنا ان نكشف عن اسباب وضع بعض الأخبار بصيغه معينه، او تحريفها بشكل او بآخر، و بخاصه ما يتعلق بمحاوله الحط من شأن العرب و قادتهم. مما كان يدسّه اعداء الأمه العربيه فى ثنايا الوقائع و الاخبار. ۳- و التزمنا جهد الاستطاعه بلغه العصر و اسلوبه السائد فى عهد سامرا من حيث التعابير و المصطلحات و المحتوى دون ان نتوسع بالاستعانه بالمعارف الحديثه و ذلك للحفاظ على التراث اللغوى، و تقديم صوره صادقه عن العهد المذكور من جهه، و للتمتع بنكهه ذلك الاسلوب من التعبير المتميز بقدر كبير من الفصاحه و البلاغه. ۴- و قد أرّخنا جميع الاحداث و الوقائع بالتاريخ العربى «الهجرى» لأنسجام ذلك مع طبيعه الموضوع. على اننا

وضعنا فى آخر الكتاب جدولا بما يقابل السنوات الهجريه الوارده فيه من السنوات الميلاديه، تسهيلا لمن يريد معرفه ذلك. ٥- و عند البحث فى سيره الخلفاء اجتهدنا ان نتحرى رعايتهم للمصالح العامه فى اعمالهم و تصرفاتهم، و اهتمامهم بكل ما له علاقه بالدوله و المجتمع، لنتبين مدى ما قدموه فى خلال حكمهم مما يثبت اركان الدوله و ما بذلوه لصالح النفع العام، و لرفع ما يلحق الناس من عنت و ارهاق.

و اننا لا نستطيع ان ندعى بأن هذه الدراسه قد حققت ما نصبو اليه من اعاده مدينه سامرا الى المركز الذى تستحقه فى التاريخ العربى. الا اننا نأمل ان تكون قد القت بعض الضوء على ذلك و اوضحت دور سامرا فى تطور الحضاره العربيه، و ذلك حسبنا، و اللّه تعالى من وراء القصد انه نعم المولى و نعم النصير.

المؤلف

الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها ١- تأسيس سامرا

٢- منشآت المعتصم باللّه فی سامرا

٣- سامرا فی عهد المتوکل علی الله

۴- تأسیس مدینه المتوکلیه (الجعفریه)

۵- سامرا بعد المتوکل علی اللّه

۶- العوده الی بغداد و هجر سامرا

٧- دور السکن فی سامرا

٨- زخارف سامرا

الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها

الفصل الأول تأسيس سامرا

۱- اسباب الانتقال من بغداد:

لما قدم المعتصم باللّه بغداد من طرسوس بعد ان بويع بالخلافه فى سنه (۲۱۸ ه) نزل دار المأمون فى الجانب الشرقى من بغداد، و اقام حتى سنه (۲۲۱ ه)، و كان معه عدد كبير من الجند الاتراک.

و يجمع قدامى المؤرخين على ان الجند الاتراک، الذين توسع الخليفه المعتصم باللّه فى استخدامهم فى الجيش العربى، و قد اشدت شوكتهم، كانوا اهم الاسباب التى دفعته الى الانتقال من العاصمه بغداد و ان يتخذ له عاصمه جديده غيرها. يقول اليعقوبى: «و كان اولئک الاتراک العجم اذا ركبوا الدواب ركضوا فيصدمون الناس يمينا و شمالا فيثب عليهم الغوغاء فيقتلون بعضا و يضربون بعضا، و تذهب دماؤهم هدرا لا يعدون على من فعل ذلک. فثقل ذلک على المعتصم و عزم على الخروج من بغداد»(۱)، اى انه خرج بهم ليحميهم من العامه.

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۶.

و یقول الطبری: «حدثنی جعفر بن محمد الفراء ان سبب خروج المعتصم الی القاطول کان ان غلمانه الاتراک کانوا لا یزالون یجدون الواحد بعد الواحد منهم قتیلا فی ارباضها، و ذلک انهم کانوا عجما جفاه یرکبون الدواب، فیتراکضون فی طرق بغداد و شوارعها، فیصدمون الرجل و المرأه و یطأون الصبی، فیأخذهم الاباء فیدکسونهم عن دوابهم و یجرحون بعضهم، فربما هلک من الجراح بعضهم، فشکت الأتراک ذلک الی المعتصم، و تأذت بهم العامه. فذکر انه رأی المعتصم راکبا منصرفا من المصلّی فی یوم عید اضحی او فطر، فلما صار فی مربعه الحرشی(۱)، نظر الی شیخ قد قام الیه فقال له: یا ابا اسحاق، قال: فابتدره الجند لیضربوه، فاشار الیهم المعتصم فکفهم عنه، فقال للشیخ: مالک:

قال: لا جزاک اللّه عن الجوار خیرا، جاورتنا و جئت بهؤلاء العلوج فاسکنتهم بین اظهرنا فایتمت بهم صبیاننا، و ارملت بهم نسواننا، و قتلت بهم رجالنا. و المعتصم یسمع ذلک کله. قال: ثم دخل داره فلم یر راکبا الی السنه القابله فی مثل ذلک الیوم. فلما کان فی العام المقبل فی مثل ذلک الیوم خرج فصلی بالناس العید، ثم لم یرجع الی منزله ببغداد، و لکنه صرف وجه دابته الی ناحیه القاطول، و خرج من بغداد و لم یرجع الیها»(۲).

و ما ذکره ابن الأثیر لا یخرج عما ذکره الطبری(۳). و یقول المسعودی: «و کانت الاتراک تؤذی العوام فی مدینه السلام بجریها الخیول فی الأسواق و ما ینال الضعفاء و الصبیان من ذلک، فکان اهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأه او شیخ کبیر او صبی

۱- کذا فی الاصل، و الصحیح الخرسی- دلیل خارطه بغداد المفصل/ ۱۲۲، و بغداد فی عهد الخلافه العباسیه/ ۱۹۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۸.

۳- الکامل ۶/ ۴۵۲.

او ضریر. فعزم المعتصم علی النقله منهم»(۱). و یقول ایضا بنفس المعنی «و کان السبب فی ذلک ان اهلها کرهوه و تأذوا بجواره حین کثر عبیده من الاتراک و غیرهم من الاعاجم، لما کانوا یلقونه منهم و من غلظتهم، و ربما و ثبت العامه علی بعضهم فقتلوه لصدمهم ایاهم فی حال رکضهم، فأحب التنحی بهم و الانفراد عن مدینه السلام»(۲).

و یقول الخطیب البغدادی: «و لکثره عسکر المعتصم و ضیق بغداد عنه و تأذی الناس به، بنی المعتصم سر من رأی و انتقل الیها فسکنها بعسکره»(۳).

و یضیف مسکویه علی ما ذکره الطبری «و حکی انه قام الی المعتصم یوما رجل من العامه فقال: یا ابا اسحاق اخرج عن مدینتنا و الا حاربناک بما لا تقوم له، فتقدم باخذ الرجل و حمله الیه، فلما صار بین یدیه، قال: و یلک بمن تحاربنی و ما هذا الذی لا قوام لی به؟ قال: نحاربک باصابعنا اذا هدأت العیون باللیل، یعنی الدعاء. فسکت عن الرجل و لم یعرض له، ثم خرج فبنی سر من رأی»(۴).

و ذکر صاحب العیون و الحدائق «ان المساکن و الطرق ضاقت علی الناس ببغداد لکثره العساکر التی تجمعت مع المعتصم و کثر غلمانه الأتراک»(۵).

و جاء فی تذکره ابن حمدون ما یفید بان الجند الاتراک اخذوا یتحرشون بالنساء و الصبیان مما اغضب الناس علیهم، اذ یقول:

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۸- ۳۰۹.

۳- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۶.

۴- تجارب الأمم ۶/ ۴۷۸- ۴۷۹.

۵- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۱- ۳۸۲.

«کان سبب خروج المعتصم ان غلمانه الاتراک کثروا ببغداد فتولعوا بحرم الناس و اولادهم، فاجتمع الیه جماعه منهم و قالوا: یا امیر المؤمنین ما احد احب الینا مجاوره منک لأنک الامام و المحامی عن الدین، و قد افرط علینا امر غلمانک، فاما منعتهم منا و اما نقلتهم عنا. فقال: نقاهم لا یکون الا بنقلی، و لکنی افتقدهم و ازیل ما شکوتم منه. فنظروا فأذا الامر قد عظم و زاد. و خاف ان تقع بینهم حرب. و عاودوه بالشکوی و قالوا: ان قدرت علی نصفتنا و الا فتحول عنا. فقال: أتحول و کرامه، و رحل الی سر من رأی»(۱).

و یذکر مثل هذا یاقوت الحموی فیقول: «ان جیوش المعتصم کثروا حتی بلغ عدد ممالیکه من الاتراک سبعین الفا، فمدوا ایدیهم الی حرم الناس وسعوا فیها بالفساد. فاجتمع العامه و وقفوا للمعتصم و قالوا: یا امیر المؤمنین ما شی ء احب الینا من مجاورتک لأنک الحامی للدین، و قد افرط علینا امر غلمانک و عمنا اذاهم، فاما منعتهم عنا او نقلتهم عنا. فقال: اما نقلهم فلا یکون الا بنقلی و لکنی افتقدهم و انهاهم و ازیل ما شکوتم منه. فنظروا و اذا الأمر قد زاد و عظم. و خاف منهم الفتنه و وقوع الحرب. و عاودوه بالشکوی و قالوا: ان قدرت علی نصفتنا و الا فتحول عنا، و الا حار بناک بالدعاء و ندعو علیک بالاسحار. فقال: هذه جیوش لا قدره لی بها، نعم اتحول و کرامه، و ساق من فوره حتی نزل سامراء»(۲).

و یقول مثله ابن الطقطقی ایضا «ان المعتصم استکثر الممالیک فضاقت بهم بغداد و تأذی بهم الناس، و زاحموهم فی دورهم و تعرضوا بالنساء فکان فی کل یوم ربما قتل منهم جماعه. فرکب المعتصم یوما فلقیه رجل شیخ فقال للمعتصم: یا ابا اسحاق، فاراد.

۱- تذکره ابن حمدون/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۴- ۱۷۵.

الجنـد ضـربه فمنعهم المعتصم، و قـال له: مالك يا شـيخ؟ فقال: لا جزاك اللّه خيرا عن الجوار، جاورتنا مـده فرأيناك شـر جار، جئتنـا بهؤلاـء العلوج من غلمانـك الاـتراك فاسـكنتهم بيننا فايتمت صبياننا و ارملت نساءنا و اللّه لنقاتلنك بسـهام السـحر، يعنى الـدعاء، و المعتصم يسـمع ذلك. فدخل منزله و لم ير راكبا الا فى يوم مثل ذلك اليوم، فركب و صـلى بالناس العيد، و سار الى موضع سامرا فبناها(۱).

و لخص ابن دحيّه ما ذكره من سـبقه من المؤرخين الا انه اشار الى سبب آخر من اسباب نقمه العامه على الجند هو النزول عليهم فى مساكنهم قسـرا، و هو امر لم يألفه العرب، فيقول: «ان العامه شـكوا اليه من الجند و النزول عليهم فى المساكن و التعرض بهم، فقال له بعض صلحاء المحدثين: يا أمير المؤمنين انى لا آمن عليك ان يقاتلك العامه، فقال له: و لم تقاتلنى العامه، و من يحملها على ذلك و انا فى هـذا العسـكر العظيم؟ فقال له: يقاتلونك بسـهام الليل و رفع الايـدى الى اللّه تعالى فى المساجـد. فركب فى الحال و تخير موضع سر من رأى على دجله»(۲).

لا ريب فى ان ضـيق العاصـمه بغداد بجند المعتصم باللّه لكثرتهم، و تخلفهم الحضارى عن سكان المدينه، و ما ترتب من النتائج السيئه عن احتكاكهم بالناس و تعديهم عليهم، و وقوع الاذى بين الطرفين بحيث ضاق كل منهما ذرعا بالآخر، و حرص المعتصم بالله على ان لا يغضب اهل بغـداد، و هى حاضـره الـدوله العربيه و كبرى مـدنها، و قد شـعر بانتشار روح النقمه و التذمر بينهم، و خشـيه من أن يؤدى ذلك الى قيام فتنه لا يريـدها، مما جعله يقرر عزل الجيش بشكناته و اصـطبلاته بعيـدا عن بغـداد. و مما يؤيد ذلك الطريقه التى

۱- الفخرى ۲۱۱.

۲- النبراس/ ۶۵.

انتهجها فی اسکانهم عند ما بنی مدینه سامرا، اذ حرص علی ان یکونوا معزولین بمناطق سکناهم عن بقیه الناس.

ان مـا استعرضـناه ممـا ذکره المؤرخون عن اسـباب انتقال المعتصم باللّه من بغـداد یـدور کله حول ضـیق أهل بغـداد بجنـده من الاتراک و شـکاواهم المتکرره من تصـرفاتهم و تعدیاتهم، و شـکوی الجند انفسـهم من اعتداء الناس علیهم. علی ان هناک سببا آخر ورد ذکره علی لسان المعتصم باللّه نفسه، یستنتج منه انه لم یکن مطمئنا الی الحربیه من جیشه، و هم العرب، لانهم کانوا قد تلکأوا فی مبـایعته و اظهروا میلهم الی العباس بن المأمون. و یقول أحـد کتابه و هو ابو الوزیر احمـد بن خالـد: «بعثنی المعتصـم باللّه فی سنه (۲۱۹ ه) و قال لی: یا احمد اشتر لی بناحیه سامرا موضعا ابنی.

فیه مـدینه، فـانی اتخوف ان یصـیح هؤلاء الحربیه صـیحه فیقتلوا غلمانی، حتی اکون فوقهم فان رابنی منهم ریب اتیتهم فی البر و البحر حتی آتی علیهم»(۱).

و یروی ابن الطقطقی هذا السـبب بالشـکل الآتی «ان المعتصم خاف من ببغداد من العسکر و لم یثق بهم فقال: «اطلبوا لی موضعا اخرج الیه و ابنی فیه مدینه و اعسکر به، فان رابنی من عساکر بغداد حادث کنت بنجوه و کنت قادرا علی ان آتیهم فی البر و فی الماء»(۲). ممـا یسـتدل منه انه کـانت هنـاک فئـات اخری فی الجیش تنقم علی المعتصم بـاللّه، الی جانب العرب، لاعتماده علی الجند الاتراک و ثقته بولائهم له.

و هناک سبب ثالث لخروج المعتصم باللّه من بغداد ذکره صاحب «الذخائر و التحف» و صاحب «الهفوات النادره» و السیوطی. و مع ما تضمنه الخبر من اوهام و مبالغه، فان خلاصته ان المعتصم

۱- الطبری ۹/ ۱۷، و الکامل ۶/ ۴۵۱، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۲- الفخری/ ۲۱۱.

باللّه كان قد فرغ من بناء قصره فى الميدان ببغداد فجلس للناس فيه، فأستأذنه اسحاق الموصلى فى الانشاد، فأذن له، فأنشده شعرا كان اول بيت فيه:

يا دار غيرك البلى فمحاك يا ليت شعرى ما الذى ابلاك

فتشاءم المعتصم من ذلك و تطير به، و تغامز الناس و عجبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه. و ان المعتصم بالله خرج الى سر من رأى و خرب القصر(۱).

و نستطيع ان نضيف الى ما ذكرناه من الاسباب التى دفعت المعتصم باللّه الى الانتقال من بغداد، سببا آخر يتعلق بشخصيته نفسه. فقد كان ذا نزعه عسكريه يعتز كثيرا بجيشه، و قد اراد ان تكون له عاصمه خاصه به و بجيشه مقتديا بجده ابى جعفر المنصور و بغيره من الملوك العظام. و ان مقابلته رهبان الدير الذى كان فى موقع سامرا قبل بنائها، و ما دار بينه و بينهم من حديث حول اسم الموضع و تاريخه، يؤكد رغبته فى ان يبنى مدينه خاصه به ينزلها هو و ينزلها اولاده من بعده(۲).

و قد كان لانتقال عاصمه الدوله العربيه من مدينه السلام الى سامرا نتائج مهمه. فقد اقيمت العاصمه الجديده بتصاميم و خطط متقدمه اتاحت فرص العمل لعدد كبير من ذوى الحرف المتعلقه بالبناء و العمران. و كان قيام سامرا بموجب هذه التصاميم و الخطط فرصه لبروز الفن العمرانى العربى بزخارفه المبتكره مما يعتبر من مفاخر الحضاره العربيه. وادى الانتقال الى سامرا الى قيام مركز حضارى جديد مهم الى جانب بغداد، كانت المنافسه العمرانيه و العلميه التى قامت بينهما خير مشجع على التقدم فى

۱- الذخائر و التحف/ ۱۲۹- ۱۳۰، و الهفوات النادره/ ۱۷- ۱۸، و تاريخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۷.

مضمار الحضاره و بخاصه فی النواحی العلمیه منها. مما ساعد علی أزدهار الحضاره العربیه فبلغت ذروتها خلال القرن التالی الذی اعتبر ازهی عصورها. هذا بالاضافه الی تخلص سکان مدینه بغداد من عبث الجند الاتراک و عنتهم.

علی ان هذه النتائج الایجابیه لانتقال المعتصم باللّه الی عاصمته الجدیده، قد صحبتها نتائج سلبیه أثرت علی مسیره الدوله العربیه آنذاک. و کان اهم تلک النتائج استفحال امر الاتراک. فقد ساعدتهم الطریقه التی اتبعت فی اسکانهم فی سامرا علی التقارب و التآلف فیما بینهم مما ولد فی نفوسهم شعورا بقوتهم و اهمیتهم فی الدوله. فعملوا علی زیاده نفوذهم، و اتساع تدخلهم فی شؤونها.

فأشتد الصراع بینهم و بین الخلفاء مده استغرقت الجزء الاکبر من عمر العاصمه الجدیده. اذ فقد الخلفاء خلالها سلطانهم و غدا کبار القواد الاتراک هم الحکام الفعلیین لانهم قد استولوا، منذ مقتل المتوکل علی اللّه، علی شؤون الدوله و اموالها، و استضعفوا الخلفاء، فکان الخلیفه فی یدهم کالأسیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه او قتلوه(۱). مما جعل الخلفاء یحاولون الانتقال الی مدینه اخری او العوده الی بغداد للتخلص من سیطره اولئک القواد و نفوذهم. مما سنعرض لتفصیلاته فی فصول قادمه. و هکذا عاد المعتمد علی اللّه الی بغداد فی اواخر ایامه، حتی تولی المعتضد باللّه فی سنه ۲۷۹ ه فهجر سامرا. و بذلک انتهی الدور السیاسی للمدینه التی قدر لها ان تلعب دورا مهما فی التاریخ العربی.

۲- اختیار موضع سامرا:

بعد ان استقر رأی المعتصم باللّه علی ان الانتقال بعساکره من بغداد امر لا بد منه اخذ یتقری مکانا تتوفر فیه المواصفات المطلوبه

۱- الفخری/ ۲۲۰.

لاقامه مدینه له و معسکر لجیشه، من حیث السعه و توفر المیاه و وسائل الحمایه الکافیه. فخرج الی الشماسیه شمالی بغداد. و قد اعتاد المأمون فی ایام خلافته ان یخرج الیها و یقیم فیها ایاما. و قد عزم المعتصم باللّه علی ان یبنی فیها مدینه، الا انه وجد الارض تضیق عن حاجته، کما کره قرب المکان من بغداد(۱). و هو یرید الابتعاد بعساکره عنها. فاشار علیه وزیره الفضل بن مروان ان یخرج الی البردان، و هی من قری بغداد علی سبعه فراسخ منها(۲).

فمضی الیها و معه بعض رجاله و مستشاریه و عدد من المهندسین و من له معرفه بالاراضی و طبیعتها(۳). و اقام بها ایاما فلم یستطب هواءها، و رآها ضیقه المساحه لا تتسع لقیام مدینه کبیره فیها(۴).

فصار الی باحمشا بین اوانا و الحظیره علی الجانب الشرقی من دجله فقدر انشاء مدینه هناک الا انه لم یجد موضعا یحفر فیه نهرا لارتفاع الأرض عن مستوی النهر(۵). فترکها و نفذ الی قریه المطیره، و هی قریه جنوبی سامرا، بینها و بین القادسیه، و هی فی بقعه کلها متنزهات و بساتین و کروم(۶). و قد بنیت فی خلافه المأمون و نسبت الی مطر بن فزاره الشیبانی، و انما هی المطریه فغیرت و قیل المطیره(۷). و کما کانت المطیره متنزها لأهل بغداد صارت متنزها لاهل سامرا کذلک بعد تأسیسها. فاقام المعتصم باللّه بها قلیلا فلم تروق له، فصار الی منطقه القاطول.

قال مسرور خادم هارون الرشید: سألنی المعتصم این کان الرشید یتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد. قال قلت له: بالقاطول.

و قد کان بنی هناک مدینه آثارها و سورها قائمان، و قد خاف من

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۶.

۲- معجم البلدان ۱/ ۳۷۵.

۳- مدینه المعتصم علی القاطول- مجله سومر ج/ ۲ للسنه الثالثه/ ۱۶۴.

۴- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۵- کتاب البلدان/ ۲۵۶.

۶- الدیارات/ ۱۴۶.

۷- معجم البلدان ۵/ ۱۵۱.

الجند ما خاف منه المعتصم. فلما وثب اهل الشام و عصوا خرج الرشيد الى الرقه فاقام بها اياما، و بقيت مدينه القاطول لم تستتم(۱). و يظهر ان ذلک کان بعد ان استفحل امر البرامکه و فکر بالتخلص منهم. و لعله اراد الابتعاد عن بغداد لکثره اتباعهم و مؤیدیهم فیها، لکی یستطیع ان یتدبر امرهم. و کان الرشید قد حفر نهرا کبیرا هناک سماه ابا الجند لانه کان یسقی ارضا خصصت غلاتها لارزاق الجند(۲). الا ان الوقت لم یتسع له لاتمام المدینه و الانتقال الیها کما اشرنا آنفا. فترسم المعتصم باللّه خطی ابیه فی الانتقال الی القاطول، و لعله فکر فی اتمام بناء المدینه التی بدأها ابوه و لم یتمها. فخرج الیها و استطلع جوها فاستطاب هواءها، و رآها اصلح المواضع لاقامه مدینه ینتقل الیها.

أمر الخلیفه مهندسیه بتخطیط المدینه بحیث یجعلون البناء فیها علی جانبی القاطول و بینه و بین نهر دجله. و ان یقسموها الی قطائع و زعها علی القواد و الکتاب و رجال حاشیته و الناس. فباشر المهندسون العمل و احضروا مواد البناء و جاءوا بالبنائین و الصناع، فأقاموا قصرا للخلیفه. و بنوا بجواره بیوت رجال الحاشیه. کما أنشأوا معسکرا للجیش احاطوه بالاسوار. و بنی قاده الجیش و کبار رجال الدوله قصورهم بالآجر علی ضفاف دجله و القاطول. و بنیت الاسواق و حولها الدور، و قد شید معظمها باللبن. و یظهر انه کانت هناک قریه علی القاطول یسکنها قوم من الجرامقه و ناس من النبط، فقال احد الشعراء یعیّر المعتصم باللّه بانتقاله من بغداد و مجاورته الجرامقه(۳):

۱- الطبری ۹/ ۱۷.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴ و الجرامقه طائفه من العجم نسبتها الی مدینه جرمق بین اصبهان و نیسابور. و قد نزل بعضهم بالموصل فی اوائل الاسلام- معجم البلدان ۲/ ۱۳۹، و ترتیب القاموس المحیط ۱/ ۴۰۹.

أيا ساكن القاطول بين الجرامقهتركت ببغداد الكباش البطارقه

و كـان المعتصم باللّه قـد انتقل الى القاطول و سـكن فى القصـر الـذى بناه ابوه هناك ثم انتقل الى بعض ما بنى له، و سـكن الى جانبه بعض حاشيته و بعض الناس(۱). و يؤيد المسـعودى و ياقوت الحموى ان المعتصم باللّه قد شيد له قصرا فى القاطول، و لما انتقـل منه و هبه لمولاه اشـناس(۲). و قـد اقيمت امـام القصـر بركه واسـعه جميله مـا تزال معالمهـا بـاديه للعيـان، و هى منخفض اصطناعى طوله (۲۲۰) م و عرضـه (۱۹۰) م و عمقه ثلاثه امتار. و قد قسـمت ارضه تقسـيما هندسـيا، فجعلت بعض اقسامه عميقه جدا تسـمح بجريان الماء فيها، و ابقيت اجزاء منها بارتفاعها الأصـلى، فجعل الماء منها دكات مستطيله متناظره و متعاشقه، عددها فى الجانب الشـرقى اربع دكات و فى الجانب الغربى ست دكات. و جعل التراب الناشـى ء من الحفر على طول جانبى المنخفض الشـرقى و الغربى بارتفاع يتراوح بين ۳ و ۵ أمتـار، فتـألف من ذلك كتفان عاليان زادا فى روعه البقعه و جمال منظرها. و كانت البحيره تستمد ماءها من فرع القاطول الممتد جنوبا الى القادسيه. كما كان يصرف ماؤها بكهاريز تنتهى بحافه نهر القائم(۳).

تقـع المـدينه الـتى بناهـا المعتصـم بـاللّه على القـاطول فى منطقـه القادسـيه الممتـده بين نهر القـائم و نهر دجله، على بعـد عشـره كيلومترات جنوبى سامرا. و اظهرت التنقيبات آثار سور مثمن الشكل يقع غربى مدينه المعتصم باللّه، يبلغ طول كل ضلع من

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و كتاب البلدان/ ۲۵۷، و مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- مروج الذهب ۴/ ۵۳، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- مدينه المعتصم على القاطول/ ۱۶۶.

اضلاعه (۶۳۰) م و هو مبنی باللبن و مدعوم بسلسله ابراج یبلغ عددها (۱۴۰) برجا. و فی کل رکن من ارکانه برج کبیر مدور قطره نحو ثمانیه امتار. و سمک السور اربعه امتار، و ارتفاعه نحو خمسه امتار. و تبلغ مساحه الأرض التی یکتنفها السور (۷۴۵) دونما، ای ما یقارب الملیونی متر مربع. و فی السور فتحات تدل علی انها کانت ابوابا له. و السور من الداخل مؤلف من اروقه، کل رواق بین دعامتین، و قد جعل بعض هذه الاروقه حجرات. و تشاهد فی وسط السور معالم بعض البنایات، و سلسله غرف ذات عقادات مدببه. و یدل شکل السور علی انه کان حصنا و معسکرا لجیش کبیر یقیم معظمه فی الخیم المنصوبه فی ساحته، و ان الأبنیه التی وجدت آثارها فیه انشئت لسکنی قواد الجیش.

و مما هو جدیر بالملاحظه ان سور القادسیه هذا یشبه اسوار القصور و القطائع التی انشئت فی سامرا فیما بعد، من حیث ضخامته و شکله و حجم اللبن الذی استخدم فی بنائه، مما یوحی بان المعتصم باللّه جعل الاسوار مثمنه لیکسبها مظهرا قریب الشبه بأسوار مدینه المنصور(۱). و ربما کان لشکل السور علاقه بتسمیه المعتصم باللّه بالخلیفه المثمن.

و کان یدور بمحاذاه قاعده السور من الداخل خندق ما یزال ظاهرا، کان یستمد ماءه من نهر القادسیه. و هو فرع من القاطول الاعلی یمتد الی نهر القائم فیقطعه علی عباره ما تزال بعض معالمها ظاهره للعیان فی عقیق القائم. و عند وصوله سور القادسیه یتفرع منه فرع یدخل المعسکر و ینقسم فی داخله الی فرعین یکونان زاویه قائمه، ثم ینعکس احدهما فی زاویه قائمه ایضا فیصیر موازیا للفرع الأول. و لا شک فی ان هذا التوزیع یساعد جمیع القاطنین فی

۱- الآثار القدیمه العامه- سامرا/ ۷۲- ۷۳، و مدینه المعتصم علی القاطول/ ۱۶۸.

داخل السور علی انتهال الماء. و من المحتمل ان المیاه الزائده کانت تصرف بمصرف یخرج من الضلع الجنوبی للسور.(۱).

أما مدینه القاطول نفسها فان المعتصم باللّه کان قد انشأ کهریزا لایصال میاه الشرب الیها. و یستمد هذا الکهریز المیاه من نهر دجله فی نقطه تقع علی بعد کیلومترین تقریبا من شمالی صدر نهر القائم، ثم یسیر شرقا باتجاه حصن القادسیه فینحرف من جهته الشمالیه حتی ینتهی الی بنایات مدینه المعتصم بالله شرقی الحصن.

و قد انشی ء هذا الکهریز فی مجریین متوازیین احدهما خاص بموسم الفیضان و الآخر خاص بموسم الصیف. و یبلغ طول هذا الکهریز من صدره حتی ابنیه مدینه القاطول زهاء اربعه کیلومترات(۲).

و وجدت فی الاراضی حول السور آثار مبان و اسوار تمتد غربا و شرقا، و قد شید بعضها بالآجر، و البعض الآخر باللبن. مما یدل علی ان قسما منها کان دورا و قصورا، و بعضها کان اسواقا.

و یظهر ان الأبنیه الکائنه فی جنوبی القادسیه قد شیدت جمیعها بالآجر مما یستنتج منه انها کانت قصورا لکبار القوم. و وجدت ایضا خرائب فیها طبقات من الرماد و کسر الاوانی الزجاجیه و کتل من الزجاج المنصهر، تدل و فرتها علی ان معامل للزجاج کانت تقوم فی هذا الموضع، و قد اتخذه صناع الزجاج فی ایام ازدهار سامرا و عظمتها مقرا لهم، و شیدوا فیه مصانعهم و دورهم و مساکن عمالهم، و قد ظل کذلک بعد انتقال الخلافه منها و عوده العاصمه الی بغداد(۳). و یذکر یاقوت الحموی ان القادسیه کانت قریه کبیره قرب سامرا یعمل فیها الزجاج(۴).

۱- مدینه المعتصم علی القاطول/ ۱۶۸.

۲- ری سامراء ۱/ ۲۶۶.

۳- مدینه المعصم علی القاطول/ ۱۶۸.

۴- المشترک وضعا/ ۳۳۷.

على ان المعتصم بـاللّه مـا لبث ان ادرك ان الأرض التى اختارها ضـيقه غير قابله للتوسع لاحاطتها بـدجله و القاطول من جهه، و لارتفاع ضفه القاطول اليمنى بسبب تراكم الاتربه الناشئه من حفر هذا النهر على شاطئه الايمن، فتكون من ذلك سلسله مرتفعات و تلول على طول الضـفه المذكوره حجزت الاراضـى الواقعه الى جنوبه عن الواقف بالضـفه اليسرى، مما يخلق حاجزا بين جانبى المدينه(١)، و هى بـذلك لاـ تفى بقيام حاضـره للخلافه، كما وجـد ان طبيعه الارض حصا و انهار يصـعب البناء فيها(٢). و كان الموضع فوق ذلك شديد البرد فتأذى به المعتصم باللّه و حاشيته، حتى قال بعض من كان معه(٣):

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانافنحن نأمل صنع اللّه مولانا

الناس يأتمرون الرأى بينهم و اللّه فى كل يوم محدث شانا

و كان المعتصم باللّه قد صار فى خلال خروجه الى الصـيد الى ارض واسعه، و هى صحراء من ارض الطيرهان خاليه من السكان و لا عماره بها سوى دير للنصارى، فوقف بالـدير و سأل من فيه عن اسم الموضع. فقال له بعض الرهبان: «نجد فى كتبنا المتقدمه ان هـذا الموضع يسـمى سـرمن رأى و انه كان مـدينه سام بن نوح، و انه سـيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصـحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاه ينزلها و ينزلها ولـده. فقال: انا و اللّه ابنيها و انزلها و ينزلها ولدى. و لقد امر الرشـيد يوما ان يخرج ولده الى الصيد، فخرجت مع محمد و المأمون و اكابر ولد الرشيد فاصطاد

١- مدينه المعتصم على القاطول/ ١٦٧.

٢- كتاب البلدان/ ٢٥٧، و فتوح البلدان/ ٢٩٥.

٣- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

کل واحد منا صيدا و اصطدت بومه ثم انصرفنا، و عرضنا صيدنا عليه فجعل من كان معنا من الخدم يقول هذا صيد فلان و هذا صيد فلان حتى عرض عليه صيدى، فلما رأى البومه و قد كان الخدم اشفقوا من عرضها لئلا يتطير بها او ينالنى منه غلظه، فقال من صاد هذه؟ قالوا: ابو اسحاق، فاستبشر و ضحک و اظهر السرور.

ثم قال اما انه يلى الخلافه و يكون جنده و اصحابه و الغالبون عليه قوما وجوههم مثل وجه هذه البومه فيبنى مدينه قديمه و ينزلها بهؤلاء القوم ثم ينزلها ولده من بعده، و ما سر الرشيد يومئذ بشى ء من الصيد كما سر بصيدى لتلک البومه»(۱). و هذه القصه لا تخلو من ان تكون موضوعه على غرار الاسطوره التى وضعت عند ما اختار ابو جعفر المنصور موضع مدينته المدوره، و قد ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه البلدانى(۲). و معالم وضعها ظاهره، اذ كيف يتوقع هارون الرشيد ان يلى ابنه ابو اسحاق الخلافه و هو لم يدخله مع ولاه العهد من اولاده الذين كتب لهم كتاب العهد! و يرجح انها وضعت فيما بعد بشكل يلائم احوال المعتصم باللّه.

نظر المعتصم باللّه الى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار، و هواء طيب، و ارض صحيحه، فأستمرأها و استطاب هواءها، و اقام هناک ثلاثا يتصيد فى كل يوم، فوجد نفسه تتوق الى الغذاء و تطلب الزياده على العاده الجاريه، فعلم ان ذلک من تأثير الهواء و الماء و التربه. فلما استطاب الموضع دعا باهل الدير فاشترى منهم ارضهم باربعه الآف دينار(۳). و عرفت هذه المنطقه قديما بصحراء الطيرهان و قصبتها الماحوزه، و هى التى بنى فيها المتوكل على اللّه عاصمته المتوكليه فيما بعد. و من المواضع الشهيره فيها قبل ان يختارها المعتصم باللّه ليقيم عاصمته فيها موضع يسمى (دور عربايا)

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۷.

۲- معجم البلدان ۱/ ۴۵۸- ۴۵۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

و موضع آخر اسمه (الكرخ) و دور عربايا او دور العربانى هو الدور الأسفل، و هو قريه بين سامرا و تكريت، و فيه انزل المعتصم باللّه بعض قواده عند ما بنى سامرا(۱). اما موضع الكرخ فكان يقال كرخ فيروز، و هو موضع مدينه قديمه على مرتفع من الأرض، و هو اقدم من سامرا، فلما بنيت اتصل بها، و ظل عامرا بعد هجرها و خرابها. و يقال له ايضا كرخ باجدا و كرخ جدان(۲). و قد انزل المعتصم باللّه فيه مولاه اشناس القائد فيمن ضم اليه من القواد، لما بنى سامرا(۳).

و كانت منطقه الطيرهان تؤلف مع تكريت و السن و البوازيج اول حدود اعمال المغرب عند البلدانيين و تعتبر من كور الموصل(۴). و هى ارض منبسطه كان يتردد عليها خلفاء بغداد للصيد. و يظهر ان المعتصم باللّه نفسه كان يتردد ايام كان اميرا، الى هذا الموضع للصيد، و يضرب فيه مضاربه، كما سنرى فيما بعد.

و كانت تعرف قبل الفتح العربى بنفس الاسم. فقد ورد ذكرها فى بعض الحوادث التى وقعت ايام العهد اليونانى فى العراق(۵). و قد استمر هذا الأسم يطلق على منطقه سامرا بعد تأسيسها و لقرون عديده(۶).

يقول اليعقوبى فى تاريخه: «ثم ارتحل (المعتصم باللّه) من القاطول الى سر من رأى، فوقف فى الموضع الذى فيه دار العامه، و هناك دير للنصارى فأشترى من اهل الدير الارض و اختط فيه.

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۲/ ۴۸۱، و المشترك وضعا/ ۱۸۳.

۲- معجم البلدان ۴/ ۴۴۷، و المشترك وضعا/ ۳۶۹.

۳- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۴- المسالك و الممالك ۹۴ و ۲۴۵، و الخراج و صناعه الكتابه/ ۱۷۵.

۵- اخبار فطاركه كرسى المشرق لمارى بن سليمان/ ۴- ۵.

۶- اخبار فطاركه كرسى المشرق لعمرو بن متى/ ۷۲- ۷۳، و ۸۳ و ۱۰۰، و ۱۱۶- ۱۲۱.

و صار الی موضع القصر المعروف بالجوسق علی دجله فبنی هناک عده قصور للقواد و الکتاب و سماها باسمائهم»(۱). و یقول المسعودی:

«و لم یزل (المعتصم باللّه) یتنقل فی تلک النواحی حتی وقع اختیاره علی موضع سامرا، و هو بلاد فی کوره الطیرهان»(۲). و یقول ایضا: «خرج یتقری المواضع فانتهی الی موضع سامرا، و کان هناک دیر عادی فسأل بعض اهل الدیر عن اسم الموضع فقال: یعرف بسامرا. قال له المعتصم: و ما معنی سامرا؟ قال: نجدها فی الکتب السالفه و الامم الماضیه انها مدینه سام بن نوح. قال له المعتصم:

و من ای بلاد هی و الام تضاف؟ قال: من بلاد طیرهان و الیها تضاف»(۳). و جاء فی اخبار فطارکه المشرق لماری بن سلیمان ان المعتصم باللّه «خرج الی الطیرهان للتصید، و صاد و جعل فی اعناق السباع الاطواق الحدید، و وسم علی افخاذ الظباء و حمیر الوحش اسمه، و استطاب الموضع، و ابتاع من سکان ذلک الموضع النصاری الجزیات المتصله بالمطیره، و جدد بناء سر من رأی»(۴).

و لما عزم المعتصم بالله علی ان ینزل بموضع سامرا کلف وزیره محمد بن عبد الملک الزیات و قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، و عمر بن فرج، و احمد بن خالد المعروف بأبی الوزیر، و هما من رؤساء الدواوین، بأن یشتروا له من اصحاب الدیر الارض التی رآها و ان یدفعوا الیهم اربعه آلاف دینار ثمنالها، فقعلوا ذلک(۵).

و هناک خبر یروی عن ابی الوزیر انه قال: «بعثنی المعتصم فی سنه (۲۱۹ ه) و قال لی: یا احمد اشتر لی بناحیه سامرا موضعا ابنی فیه مدینه .. و قال لی: خذ مائه الف دینار، قال قلت: آخذ

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۴- ص: ۷۷.

۵- کتاب البلدان/ ۲۵۷- ۲۵۸.

خمسه آلاف دينار فكلما احتجت الى زياده بعثت اليک فاستزدت.

قال: نعم فأتيت الموضع فاشتريت موضع سامرا بخمسمائه درهم(۱)، من النصارى اصحاب الدير، و اشتريت موضع البستان بخمسه آلاف درهم، و اشتريت عده مواضع حتى احكمت ما اردت، ثم انحدرت فاتيته بالصكاك، فعزم على الخروج اليها. حتى وضع البناء بسامرا فى سنه (۲۲۱ ه)»(۲). و لا نرى تضاربا بين الروايتين، اذ يجوز ان الخليفه كلف الاشخاص المذكورين اول الأمر، ثم اقتصر مهمه الشراء على ابى الوزير.

و يبدو مما يرويه ابن ابى اصيبعه ان للمعتصم باللّه سابق معرفه بموضع سامرا عند ما كان اميرا، اذ يقول: «ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرب مضاربه فيها و اقام بها فى المضارب، فانى لفى بعض الايام على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمويه بن بنان ... فقال لى: حدثنى فى غداه يومنا نصر بن منصور بن بشام انه كان يساير المعتصم فى هذا البلد، يعنى بلد سر من رأى، و هو أمير، قال لى سلمويه: قال نصر ان المعتصم امير المؤمنين قال له: يا نصر أسمعت قط بأعجب ممن اتخذ فى هذا البلد بناء و أوطنه! ليت شعرى ما اعجب موطنه، حزونه ارضه او كثره اخاقيقه(۳). ام كثره تلاعه و شد الحر فيه اذا حمى الحصى بالشمس، ما ينبغى ان يكون متوطن هذا البلد الا مضطرا مقهورا، او ردى ء التمييز. قال لى سلمويه: قال لى نصر بن منصور: و انا و اللّه خائف ان يوطن امير المؤمنين هذا البلد. فان سلمويه ليحدثنى عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى فى موضع الجوسق المعروف بالمصيب اكثر من الف رجل يضعون اساس الجوسق.

۱- فى معجم البلدان ۳/ ۱۷۴ بخمسه الاف درهم، و فى العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۱ بخمسمائه الف درهم.

۲- الطبرى ۹/ ۱۷، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- فى النص: اخافيقه، و هو خطأ مطبعى، و الاخاقيق الحفر.

فقال لی سلمویه: احسب ظن نصر بن منصور قد صح. و کان ذلک فی رجب سنه احدی و عشرین و مائتین»(۱).

ان ما ذکره ابو الوزیر، و ما رواه ابن ابی اصیبعه یستنتج منه ان المعتصم باللّه کان یفکر بالانتقال الی عاصمه اخری، و لذا یمکن القول ان شکوی اهل مدینه السلام کانت سببا مباشرا لانتقاله عنها.

و یظهر ان سعه الموضع و موقعه من نهر دجله و بعده عن بغداد مما اغری المعتصم باللّه بأن یختاره لأن یقیم فیه مدینته التی ازمع علی تأسیسها. علی ان هناک اسبابا اخری جعلته یفضل هذا الموضع علی غیره. فانه کان محاطا بالمیاه من جمیع اطرافه بحیث انها تشکل سورا دفاعیا یحیط بالمدینه. فنهر دجله یلازمها من جهتها الغربیه و یسیر بمحاذاتها من اقصی شمالیها حتی اقصی جنوبیها، مما یؤمن اضافه الی اهمیته الدفاعیه سبیلا للمواصلات النهریه و نقل البضائع و المؤن و غیرها الی المدینه عن طریق النهر، سواء کان ذلک من شمالی العراق او جنوبیه. اما من الجهات الاخری فان مجری النهروان- و هو مجری القاطول او الرصاصی- الذی یفرع من دجله من شمالی مدینه سامرا، یجری بموازاه دجله فیحیط بالمدینه من الجهتین الشمالیه و الشرقیه. و ان مجری نهر القائم- و هو قاطول الرشید- الذی یتفرع من دجله من جنوبی سامرا و یلتقی بمجری الرصاصی قبل وصوله الی نهر العظیم یحیط بالمدینه من الجهه الجنوبیه. و ذلک مما اغناه عن احاطه المدینه بسور یصد عنها الهجمات شأن المدن الاخری فی ذلک العهد. ثم ان الموضع الذی تقع فیه المدینه یؤلف جرفا یرتفع عن مستوی میاه النهر، مما یجعلها فی مأمن من اخطار الفیضان. و لا یخفی ان الفیضان کان

۱- عیون الانباء/ ۲۳۵- ۲۳۶.

مصدر قلق شدید فی مدینه بغداد التی کانت معرضه دوما الی خطر الغرق(۱).

۳- قدم الموضع:

سبق ان اشرنا الی قدم منطقه الطیرهان التی اسست فیها مدینه سامرا، و ان ذکرها ورد فی بعض الحوادث التی وقعت فی العراق فی العهد الیونانی. و قد جاء فی بعض المصادر التراثیه ان موضع المدینه التی بناها المعتصم باللّه کان مدینه قدیمه اصابها الخراب فاندثرت معالمها. اذ یقول المسعودی: «و قد ذکر انها کانت قدیمه مسماه بهذا الاسم، سمیت بسام بن نوح، و انها کانت آهله عظیمه عامره، فلم تزل تتناقص علی مر الزمان، و کان اخرابها فی ایام فتنه الامین و المأمون»(۲) و یقول صاحب العیون و الحدائق: «حکی فی بعض الکتب ان سر من رأی کانت مدینه عظیمه عامره کثیره الأهل فأخربها الزمان حتی بقیت خربه و بها دیر عتیق، و کان سبب اخرابها فیما حکی ان اعراب ربیعه و غیرهم کانوا یغیرون علی اهلها فرحلوا عنها»(۳). و یقول ماری بن سلیمان: «و خرج المعتصم الی الطیرهان للتصید .. و استطاب الموضع و ابتاع من سکان ذلک الموضع النصاری الخرابات المتصله بالمطیره و جدد بناء سر من رأی»(۴).

ان ما رواه المؤرخون المذکورون یعنی ان بناء المعتصم باللّه مدینه سامرا کان تجدیدا لبناء المدینه القدیمه. علی ان هذه الاشارات جاءت عرضیه فی المصادر المشار الیها، بینما لم تشر

۱- ری سامراء ج/ ۵۴- ۵۵.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹.

۳- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۱.

۴- اخبار فطارکه کرسی المشرق/ ۷۷.

المصـادر المهمه الاـخرى الى شـی ء من ذلك. كما ان الـدراسات الحـديثه عن المنطقه، و التنقيبات الأثريه التى اجريت فيها لم تكشـف عمـا يؤيـد ان المكـان موقـع مـدينه قـديمه انـدثرت. بـل على العكس مـن ذلـك انه كـان ارضـا بكرا مسـتريحه الـوف السنين(۱). خلا ما عثر عليه من دلائل سـكناها فى عصور ما قبل التاريـخ. مما يـدعو الى القول بان ما جاء فى المصادر المذكوره ينقصه التأييـد و البرهـان على ان ذلك لا يعنى ان منطقه الطيرهان كانت صـحراء لا عماره فيها كما يقول اليعقوبى(۲). فقد كان بها عدد من الأديره، و قد فصّلنا ذلك فى مكان آخر. كما ان ما ذكر عن بستان و خرابات اضافه الى الدير دليل واضح على انها لم تكن تخلو من بعض العمران.

و قد ثبت من التحريات و التنقيبات الاثريه التى اجريت فى خرائب سامرا انه كان فى موضعها مستوطنات و قرى يرجع بعضها الى ادوار مـا قبل التاريـخ. فقـد اكتشف العالم الآثارى هرزفيلـد فى مطلع هـذا القرن مقبره تعود الى ادوار ما قبل التاريـخ بالقرب من شريعه الناصـريه، و وجـد فيهـا نوعـا من الفخـار المصـبوغ يعتبر وسـطا بين فخـار شوش و فخـار تل العبيـد، و سـمى هـذا الفخار القبتـاريخى باسم «فخار سامراء» و هو يمثل دورا من ادوار ما قبل التاريـخ فى العراق(۳). و عند ما توسـعت مديريه الآثار العراقيه فى التنقيب فى الموقع المـذكور عثرت على موضـعين آخرين يعودان الى ما قبل التاريـخ ايضا احـدهما شـمالى المقبره التى عثر عليها هرزفيلد و الآخر على ضفه دجله شمالى صدر القائم جنوبى سامرا يسمى تل الصوان.

۱- كتاب البلدان/ ۲۶۴.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۷.

۳- سامراء المديريه الآثار العامه/ ۷۶.

يقع تـل الصـوان قرب النصـب المعروف بالقـائم على الضـفه الشـرقيه لنهر دجله، على بعـد (۱۱) كيلومترا جنوبى مـدينه سـامراء الحـاليه. و تؤلف اطلال هـذا الموقع تلا بيضوى الشـكل تقريبا طوله من الشـمال الى الجنوب (۲۳۰) م و عرضـه من الشـرق الى الغرب (۱۱۰) م، و لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثه امتار و نصف عند اعلى بقعه من سطحه. و قد اعلنت المديريه العامه للآثار عن اثريه هذا التل فى سنه (۱۹۴۹) و ميزت نوعيه الملتقطات المنتشـره على سـطحه و ثبتت ازمانها التاريخيه. ثم قررت فى سنه (۱۹۶۴) ان تقوم بـاجراء تنقيبـات عامه شامله فيه. و قـد دفعها الى ذلك سـببان مهمان، اولهما ان وقوع التل فى وسط العراق قـد يكشف فى طياته عن دلائل أثريه تلقى الضوء على نوع الارتباط الحضارى بين شـمالى وادى الرافـدين و جنوبيه فى خلال النصف الثانى من الألف السادس قبل الميلاد، حين بدأ العراقى القديم ينحدر الى منطقه السـهول الغربيه فى وسط الوادى و جنوبيه. و يؤسس اولى القرى الزراعيه هناك.

و ثانيهما احتمال العثور على قريه من الطور المـذكور بابنيتها و آثارها الاخرى لتوضـح جوانب مهمه من تاريخ العراق القديم فى النصف الثانى من العصر الحجرى الحديث و بدايه ما يسمى بالعصر الحجرى المعدنى. لأن ما كان معروفا عن المرحله الحضاريه المسـماه (بطور سامراء) لما قبل التاريـخ لا يتعـدى الفخاريات التى كشف عنها هرزفيلـد لأول مره فى المقبره التى تعود الى هذه الفتره. و لقد اسفرت التنقيبات عن نتائج مهمه القت الضوء على جوانب كثيره مما توخته دائره الآثار العراقيه. اذ كشفت لأول مره عن مسـتوطنه تم الكشف على خمس طبقات اثريه منها كانت قد سـكنت على التوالى(۱). و ترجع الطبقات الثلاث السـفلى منها الى آواخر

۱- التنقيب فى تل الصوان للدكتور بهنام ابو الصوف، مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۸/ ۳۷- ۳۸.

العصر الحجرى الحديث، ثم طور حسونه القديم و بدايه فخار حسونه الانموذجى الذى يستمر الى الطبقه الرابعه ثم الخامسه مع فخار طور سامراء(۱).

و كشفت الطبقه الرابعه، اضافه الى البيوت المبنيه باللبن عن بنايات اخرى ذات تخطيط بنائى موحد يشبه الى حد كبير الحرف اللاتينى T بغرف متعدده اعتبرها المنقبون مخازن للحبوب، و كان احدها مكانا دينيا. و لوحظ ان طبقه السكن الثالثه قد سيجت فيها جميع المنطقه المسكونه بسور خارجى بطلعات غير منتظمه، و تمت حمايته بخندق منيع. و هو اقدم نظام دفاعى تم العثور عليه حتى الآن فى وادى الرافدين. و تتخلل هذه الأبنيه ساحه واسعه و دروب بعضها مرصوف بالحصى. و وجدت فى احدى الساحات مجموعه من التنانير ملاصقه لسور القريه، و هناك ما يدل على انها كانت كورا لشى الفخار. و هذا بحد ذاته يعتبر كشفا مهما اكد ان فخاريات سامرا بكل انواعها الملونه و المحززه و لمدلوكه و البسيطه الخاليه من النقوش قد تم صنعها فى تل الصوان.

و ان غزاره بقايا هذا النوع من الفخار هنا يؤكد بان تل الصوان كان مركزا مهما لهذه الصناعه فى القسم الوسطى من العراق، و منه كانت تتزود القرى و المستوطنات الاخرى فى هذه المنطقه من وادى الرافدين(۲).

و قد تأكد بان الطبقه الرابعه قد مرت بدورين سكنيين على الأقل. كما ظهر ان معظم مشتملات الدور العلوى بغرفها الصغيره كانت مخازن للغلال. و قد عثر فيها على بقايا من تلك الغلال و عظام الحيوانات التى استفاد السكان من لحومها. كما وجدت آلات و ادوات حجريه استعملت للحراثه و الحصاد و لتهيئه

۱- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه/ ۲۱۴- ۲۱۵.

۲- التنقيب فى تل الصوان السابق/ ۳۹.

الطعام(۱). و ان العدد الكبير من تماثيل صغيره للنساء الذى وجد فى مقبره تل الصوان قد يعنى ان هذا الموقع كان فى اوائل الالف السادس قبل الميلاد، و ربما قبل ذلک بقليل، مركزا رئيسا لعباده الأم الالهه. و قد وضعت تماثيل صغيره عديده لها فى توابيت الصغار لتحميهم فى رحلتهم الطويله فى عالم ما بعد الموت. و لوحظ ان اكثر بقايا الهياكل العظيمه التى عثر عليها فى قبور القريه كان اصحابها قد دفنوا بوضعيه القرفصاء و ان الرأس يتجه دوما نحو الجنوب الا ما ندر. و وجدت بعض الهياكل ملفوفه بحصير مطلى بالقار، كما عثر على عدد من الاوانى الكبيره من الجص مع اغطيتها المماثله لشكل الاناء البيضوى المفلطح قد استخدمت كتوابيت للأطفال، و يظهر ان هذا النوع من مدافن الاطفال كان شائعا فى تل الصوان و بخاصه فى الطبقتين الرابعه و الخامسه(۲).

و من الادوات التى تلفت النظر مما عثر عليه، مجرشه، و مدقه كرويه، و مدقات طويله الشكل، و منجل من حجر الصوان ملصق بالقار، و محراث من الحجر، و حجاره مقلاع، و ثقاله ل «جومه» حياكه، و هاون او جاون، و حجر للدلک، و صناره باب، و طبله لمزج الاصباع، و ادوات مختلفه من معظم. كما عثر على مجموعه من عده الخياطه كالابر و المخارز، و هى ادله قاطعه على تمرس سكان هذا الموقع فى خياطه الملابس من الجلود، او من الصوف الذى كان يغزل بمغازل تصنع اقراصها من الفخار او الحجر. و ان الكشف عن تقالات من الحجر و الفخار يدل على استخدام انواع ساذجه من «جوم» الحياكه، و هو برهان على انهم مارسوا حيا؟؟؟

الأقمشه لاستخدامها فى الملابس و اغراض اخرى(۳). و مما عثر

۱- نفس المصدر.

۲- التنقيب فى تل الصوان/ ۴۰- ۴۱.

۳- نفس المصدر/ ۴۳- ۴۵.

علیه ایضا سلتان من الخوص مبطنتان بالقار مما یظهر ان صناعه السلال و تبطینها بالقار کانت علی ما یظن صناعه شائعه فی تل الصوان منذ اقدم الطبقات السکنیه فیه(۱). و عثر کذلک علی ختم منبسط مستطیل الشکل من الحجر الأسود و قد حفرت فیه حزوز متقاطعه، و هذا یعتبر واحدا من الاختام المنبسطه الاولی التی وصلتنا من اواسط الألف السادس قبل المیلاد(۲).

یقول المرحوم الاستاذ طه باقر ان فخار سامرا بالمقانه مع فخار تل حلف الذی یلیه، یمتاز بانه ذو لون واحد(Monochrome) کما یمتاز بزخارفه الهندسیه المرتبه فی انطقه(Bands) متوازیه و کذلک اشکال بعض الحیوانات مثل الطیور و الاسماک و العقارب و الأیل، و فی حالات قلیله اشکال آدمیه مرسومه بصوره تخطیطیه تقریبیه.

و کانت هذه الزخارف تنقش بلون اسود فاتح او اسمر، علی سطح الاناء ذی اللون الاصفر الباهت. و لحد ما نعرفه الی الآن لم یعرف العراقیون القدماء استعمال المعادن و التعدین فی طور سامرا، و کانت الحجاره الماده المعتمده فی صنع الأدوات و منها الحجر البرکانی الاسود (الاوبزیدی-Obzidian (۳).

و مما کان یشغل اذهان علماء الآثار، لا سیما من یبحث منهم فی فترات ما قبل التاریخ، التعرف علی نمط الحیاه الاقتصادیه، و انواع المواد الغذائیه الاولی التی عرفها الانسان بعد ان استقر فی قری ثابته قرب المیاه. فقد عثر علی بقایا من الغلال و الحبوب المتفحمه، و البقایا العظیمه للحیوانات التی اقتات علی لحومها سکان تل الصوان فی مختلف ادواره، فتفرع لدراستها احد مشاهیر المختصین بالنباتات القدیمه هو الاستاذ هانس هیلبان من المتحف

۱- مجله سومر، ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷، ص: ب.

۲- نفس المصدر، ص: ج.

۳- مقدمه فی تاریخ الحضارات القدیمه/ ۲۱۶- ۲۱۷.

الوطنی فی کوبنهاکن بالدانمارک. و توصل الی ان الحنطه و الشعیر کانا من جمله المحاصیل الحقلیه لاهالی تل الصوان. و انهم کانوا یعتمدون احیانا علی السقی فی زراعه هذین النوعین من الغلال، لقله الامطار فی وسط العراق فی ذلک الزمن و کما هی الحال الآن(۱). مما یستنتج منه ان سکان هذا المستوطن بدأوا بمشاریع الری الصغیره.

کما ان البحث الدقیق فی الرکام و التراب الناجم عن حفریات مختلف البقایا النباتیه و مخازن الغلال کشف عن بقایا من عظام الحیوانات الالیفه و البریه التی اصطادها الانسان فی هذا الموقع و اقتات علی لحومها و استفاد من جلودها و اصوافها. و ظهر بنتیجه دراسه المختصین لهذه البقایا ان الخراف و الماعز و الغزلان کانت عماد الثروه الحیوانیه، لأهل هذا الموقع فی الألف السادس قبل المیلاد، و ان السمک کان الغذاء الرئیس لسکنه تل الصوان فی جمیع ادواره(۲). کما انهم کانوا یضعون الاسماک مع الموتی لتکون زادا لهم فی رحله الموت الطویله، کما تدل علی ذلک بقایا عظام السمک الکثیره التی وجدت فی القبور المکتشفه فی هذا التل(۳).

و تمخضت الحفریات فی تل الصوان فی موسم سنه (۱۹۷۲) عن نتائج مهمه ساعدت علی تکوین فکره عامه عن نمط الحیاه الاجتماعیه و الاقتصادیه لقریه الصوان، و کذلک عن بدایه الاستیطان فیها. و مما یمکن استخلاصه ان سکان القریه تلاحموا مع بینتهم ممارسوا البدایات الاولی لأسالیب الری نتیجه لتذبذب

۱- لتنقیب فی تل الصوان/ ۴۵.

۲- نفس المصدر/ ۴۶.

۳- مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷. ص: ج.

سقوط الامطار و قلتها فی هذه المنطقه. و ان هذا التفاعل ساعد علی الخلق و الابداع فی النواحی التی میزت اولئک السکان(۱).

۴- بناء سامرا:

اشاره

یعتبر ما کتبه المؤرخ الجغرافی احمد بن ابی یعقوب المعروف بالیعقوبی عن تخطیط مدینه سامرا و عمرانها فی «کتاب البلدان» اوسع ما تضمنته کتب التراث العربی عن هذا الموضوع. و لکتابه الیعقوبی المتوفی سنه (۲۸۴ ه) عن المدینه اهمیه خاصه اذ کان معاصرا لها عند ما کانت عاصمه الدوله العربیه، و قریب عهد من تأسیسها. و لذا سیکون کتابه المذکور مصدرنا الأول فیا سنورده فی هذا البحث(۲)، الا اذا اشرنا الی مصدر آخر.

تخطیط المدینه:

بعد ان اختار المعتصم باللّه الأرض اللازمه لبناء المدینه اوعز الی المهندسین بتخطیطها وفق اسس عینها لهم. و یمکن ان نستخلص من مجریات العمل فی تأسیس المدینه، ان اهم تلک الأسس کانت:

۱- اکد المعتصم باللّه علی ضروره ان تصیر قطائع الأتراک جمیعا و الفراغنه، بعیده عن الاسواق و الزحام، و ذلک بجعل مساکنهم فی شوارع واسعه و دروب طوال، لیس معهم فی قطائعهم و دروبهم احد من الناس یختلط بهم من تاجر و لا غیره. و ذلک لتلافی المشاکل التی واجهها فی بغداد من جراء التصادم المستمر بین

۱- مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۷۲، ص: ب.

۲- کتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۶۸.

اهلها و جنده من الاتراک فی دروب المدینه و اسواقها مما اضطره علی ترک العاصمه و الانتقال الی مدینه بعیده عنها.

۲- ان یبدأ العمران فی الجانب الشرقی من المدینه، لما تمتاز به ارض هذا الجانب مما سبقت الاشاره الیه من الممیزات. ثم ینظر بعد ذلک فی اعمار الجانب الغربی.

۳- الاکثار من الشوارع الرئیسه فی المدینه علی ان تکون موازیه لنهر دجله، و بأعرض ما یمکن، و ان توصل بینها شوارع فرعیه عریضه و دروب، و ان یکون الشارع الذی علی ضفه دجله مباشره فسیحا یتسع للسفن التی ستفرغ حمولتها فی فروضه او تحمل منها.

۴- ان تقام الأسواق الرئیسه حول المسجد الجامع الذی تقرر انشاؤه علی شارع السریجه، بحیث تجعل سوق خاصه لکل تجاره منفرده، و یکون کل قوم من اصحاب التجارات و البیاعات علی حده، علی مثل ما رسمت علیه اسواق بغداد.

و قد خطط المهندسون شوارع المدینه و دروبها، و وضعوا اسس القصور و المساجد، و مختلف القطائع التی اعدت لسکنی الجند، و مختلف طبقات الناس، وفق الأسس المشار الیها. و قد برهنوا فی تخطیطهم علی مهاره فائقه تجلت فی تنظیم الشوارع، و تنسیق الأبنیه العامه، و توزیع القطائع، و اقامه الاسواق.

و کان من اول اعمال المعتصم باللّه، بعد ان کمل تخطیط المدینه انه کتب الی مختلف الولایات «فی اشخاص الفعله و البنائین و اهل المهن من الحدادین و النجارین و سائر الصناعات. و فی حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصره و ما والاها، و من بغداد و سائر السواد و من انطاکیه و سائر سواحل الشام. و فی حمل عمله الرخام و فرش الرخام، فاقیمت باللاذقیه و غیرها دور صناعه

الرخام»(۱) لتهيئه ما تحتاجه قصور المدينه و مساجدها من الرخام و المرمر الابيض و الملون. على ان المعتصم باللّه لم يقتصر على استخدام عمال البناء و الحرفيين ممن لهم علاقه بالبناء و التشييد فقط، بل حاول ان يحشد للمدينه الجديده ايدى عامله كثيره فى مختلف النواحى. و لهذا اقدم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنه من مهن العماره و الزرع و النخل و الغروس، و هندسه الماء و وزنه و استنباطه و العلم بمواضعه من الأرض. و حمل من مصر من يعمل القراطيس و غيرها، و حمل من البصره من يعمل الزجاج و الخزف و الحصر. و حمل من الكوفه من يعمل؟؟؟ ف و من يعمل الأدهان و الاصباغ. و من سائر البلدان من اهل كل مهنه و صناعه. فانزلوا بعيالهم فى اماكن خاصه من المدينه، و اقطعوا فيها لبناء منازل لهم.

ابتدأ البناء فى سنه (۲۲۱ ه)(۲). و يظهر ان اول ما بنى فى المدينه الجديده هو قصر الخليفه الذى عرف بالدار العامه، و قد بنى فى بستان الدير الذى اشتراه المعتصم باللّه، و صارت ارض الدير بيت المال. و يقول المسعودى: «انه ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه، و هو الموضع المعروف بالوزيرى فى سر من رأى، و اليها يضاف التين الوزيرى، و هو اعذب الأتيان و ارقها قشرأ و اصغرها حبا»(۳).

و يقول الآثارى كريزويل ان المعتصم باللّه ارسل رجالا ـ الى مصر و امرهم بانتزاع اعمده الرخام من الكنائس، و انهم بعد ان انتزعوا اعمده كنائس الاسكندريه ذهبوا الى كنيسه القديس ميناس فى

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۷، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۳، و التنبيه و الاشراف/ ۳۰۱ و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴، و الكامل ۶/ ۴۵۲.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

مربوط و انتزعوا منها الرخام الملون و مرمر التبليط(۱). الا ان زعمه هـذا لا يمكن قبوله، لأن المعتصم باللّه الذى دفع مبالغ كبيره لشـراء الخرائب و الاراضـى المتروكه التى كـانت تخص الرهبـان فى موضع سـامرا لا يمكن ان يأمر باغتصاب اعمـده الكنائس و مرمر تبليطها، و بخاصه اذا ما علمنا ان دور صـناعه للرخام و المرمر قد اقيمت فى بعض المدن التى اشـتهرت بقطعه و صقله، لسد حاجه المدينه الجديده منه.

الشوارع الرئيسه:

يسـمى الشارع الـذى امتد على ضـفاف نهر دجله من شـمالى المدينه حتى جنوبيها بشارع الخليج، حيث كانت تقوم عليه الفرض لرسو السـفن التى تحمل البضائع و التجارات الى المدينه من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد و البصره و الأبله و الاحواز، و من الموصـل و يعربايـا و ديـار ربيعه و ما اتصل بـذلك، و تقوم فى هـذا الشارع قطائع المغاربه، و عرف الموضع الـذى خصـص لسكنهم باسم «الأزلاخ» و تعتبر هذه القطائع اول ما اختط فى سر من رأى.

و هو بهذا الاعتبار شارع حيوى للمدينه، بل هو شـريان حياتها الاقتصاديه لأن جميع السفن التى تحمل اليها البضائع و المؤن تفرغ حمولتها على الفرض القائمه عليه، و كذلك تحمل منها الحاصلات و البضائع التى تنقل الى مدن اخرى.

و يلى شارع الخليج شرقا الشارع الرئيس فى المدينه و قد عرف اول الأمر بشارع السريجه، ثم اطلق عليه اسم الشارع الاعظم، لأنه كان اطول شوارع سامرا و اعرضها. فقد امتد من آخر البناء من قطيعه اشناس شمالا حتى آخر البناء فى قطيعه الافشين فى المطيره غربا بحيث كان طوله فى عهد المعتصم (۱۹) كيلومترا تقريبا

۱- Cresswell. Ashort Account Of Muslim Arcitecture, P: ۲۶۰

و کانت(۱) تقطعه دروب و شوارع عرضیه من جهه الشرع الی شارع ابی احمد بن الرشید، و تنفذ الی شارع الخلیج علی دجله غربا.

و قد قامت علی جانبیه بعض القطائع السکنیه. منها قطیعه اسحاق بن یحیی بن معاذ رئیس حرس المعتصم بالله، و قطائع عدد من القواد من غیر الأتراک، کالقواد العرب والمخاربه و الخراسانیین، مل عجیف بن عنبسه، و الحسن بن علی المأمونی، و حزام بن غالب الذی کان یتولی شؤون الاصطبلات بظهر قطیعته، و هاشم بن بانیجور، و هارون بن نعیم. بحیث کان لکل منهم قطیعه خاصه به و باصحابه. ثم القطائع الخاصه بکبار الخدم مثل مسرور سمانه و قرقاس و ثابت.

کما کانت تقع علی هذا الشارع المبانی الخاصه ببعض مؤسسات الدوله مثل دیوان الخراج، و الخزائن الخاصه و العامه، و مجلس الشرط، و المسجد الجامع الذی لم یزل یجمع فیه الی ایام المتوکل علی اللّه، و الحبس الکبیر، و دار الرقیق، و السوق العظمی و قد بنیت منعزله عن المنازل و فیها قسم خاص لکل تجاره منفرد عن غیره. کما کان هناک سوق لأهل کل مهنه بحیث لا یختلطون بغیرهم من اصحاب المهن الاخری.

و قامت کذلک علی جانبی هذا الشارع اعداد کبیره من منازل الناس، و قد بنوا اسواقهم فیه لمختلف البیاعات و الصناعات و التجارات. و هکذا کانت العمارات و القطائع و المنازل و الاسواق تمتد علی جانبی هذا الشارع، و بینه و بین شارع الخلیج من جهه الغرب، و بینه و بین شارع ابی احمد من جهه الشرق. و یبدو من تخصیص بعض القطائع الواقعه علی جانبی هذا الشارع للقواد من

۱- ری سامراء ۱/ ۶۱ و اشناس و الافشین من کبار قواد المعتصم بالله و سیرد ذکرهم فی الفصل الاول من الباب الرابع، و فی الفصل الثانی من الباب الثامن.

غير الاتراک و لأصحابهم ان المعتصم باللّه لم يحرص على عزلهم اسوه بما فعله بقطائع الجند الاتراک، فقد اسكن بينهم خليطا من الناس.

و يمتد شرقى الشارع الأعظم الشارع المعروف بشارع ابى أحمد بن الرشيد، و سمى هذا الشارع باسمه لان قطيعته كانت فى وسطه. و قد قامت عليه قطائع للوزراء و القضاه و الكتاب و لسائر الناس. اذ كانت تقوم فى آخره مما يلى الوادى الغربى المسمى بوادى ابراهيم بن رباح، قطيعه قاضى القضاه احمد بن أبى دواد، و قطيعه الوزير الفضل بن مروان، و قطيعه الوزير محمد بن عبد الملک الزيات، و قطيعه ابراهيم بن رباح بن شبيب الجوهرى من كبار الكتاب. و يتضح من هذا ان شارع ابى احمد خصص لسكنى الوزراء و الكتاب و القضاه و غيرهم من كبار موظفى الدوله.

و بالاضافه الى الشوارع الثلاثه ماره الذكر كان هناک شارعان آخران يمتدان الى الشرق من شارع ابى احمد و موازيان له، الأول شارع الحير الأول الذى يمتد من الوادى المتصل بوادى اسحاق بن ابراهيم فى الجنوب حتى وادى ابراهيم بن رباح فى الشمال، و قد قامت فيه قطائع اخلاط الناس، و الثانى هو شارع برغامش القائد التركى و اوله من المطيره عند قطائع الأفشين و يمتد شمالا الى الوادى المتصل بوادى ابراهيم بن رباح. و اقيمت فى هذا الشارع قطائع للاتراک و الفراغنه، و لكل منهما دروبه المنفرده لا يخالطهم فيها احد من الناس. فالاتراک فى الدروب التى فى القبله، و الفراغنه بازائهم فى الدروب التى فى ظهر القبله. و قد سمح للفراغنه بمجاوره الأتراک لقربهم منهم فى بلادهم(۱).

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

عزل مساکن الأتراک:

لقد افردت قطائع الأتراک عن قطائع الناس جمیعا بحیث جعلوا منعزلین عن غیرهم، و لا یختلطون باحد و لا یجاورهم احد سوی الفراغنه. فقد اقطع المعتصم باللّه اشناس الموضع المعروف بالکرخ، و یقال له کرخ سامرا تمییزا عن کرخ بغداد و هو المحله التی فی الجانب الغربی من بغداد. کما کان یسمی کرخ باجدا، و کرخ جدان ایضا(۱)، و هو علی بعد عشره امیال شمالی سامرا(۲). و ضم الیه عددا من قواد الأتراک و رجالهم و امره ان لا یسمح لقریب بمجاورتهم، کما انزل بعضهم فی الدور المعروف بدور العربانی(۳).

و اقطع الأفشین حیدر بن کاوس الاشروسنی فی المطیره فی آخر البناء مشرقا، و ضم الیه اصحابه من الاشروسنیه و غیرهم من الأتراک، و امره ان یبنی هناک سویقه فیها حوانیت للتجار مما لا بد منه، و مساجد و حمامات. کما اقطع الحسن بن سهل بین آخر الاسواق و المطیره. و لم یکن فی ذلک الموضع یومئذ شی ء من العمارات، الا ان المنطقه ما لبثت ان عمرت و امتد بناء الناس فیها من کل ناحیه حتی اتصل البناء بالمطیره. و اقطع خاقان غرطوج و اصحابه مما یلی قصر الجوسق الخاقانی و امر ان یضم اصحابه الیه. و أقطع وصیفا و اصحابه مما یلی الحیر.

و لکی یؤمن المعتصم باللّه عزله الجند الاتراک عن غیرهم اشتری لهم الجواری و زوجهم بهن، و منعهم من ان یتزوجوا من احد من المولدین، الی ان ینشأ لهم الولد فیتزوج بعضهم من بعض. و اجری

۱- المشترک وضعا/ ۳۶۸- ۳۶۹.

۲- بلدان الخلافه الشرقیه/ ۷۴.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

لجواری الاتراک ارزاقا قائمه، و اثبت اسماءهن فی الدواوین، و لم یکن احد منهم یستطیع ان یطلق امرأته.

انتقال المعتصم باللّه الی سامرا:

لیس هناک تاریخ معین لانتقال المعتصم باللّه الی عاصمته الجدیده سامرا سوی ما ذکره الیعقوبی بقوله «و انتقل الوجوه و الجله و القواد و اهل النباهه من سائر الناس مع المعتصم الی سر من رأی فی سنه ثلاث و عشرین و مائتین»(۱). الا ان اتفاق المصادر الرئیسه علی تاریخ بدایه بناء المدینه فی سنه (۲۲۱ ه) کما أشرنا، و قیاسا علی سرعه بناء مدینه المعتصم علی القاطول، مما ذکرناه فی فصل آخر، یمکن القول ان الانتقال تم فی خلال سنه (۲۲۲ ه). و مما یؤید هذا ان اقدم خبر ذکرت فیه سامرا کحاضره للخلافه هو قدوم الأفشین ببابک الخرمی و اخیه علی المعتصم باللّه بسامرا لیله الخمیس لثلاث خلون من صفر سنه (۲۲۳ ه)(۲).

و ذلک یعنی ان الخلیفه قد استقر فی عاصمته الجدیده خلال الأشهر القلیله التی سبقت هذا التاریخ، ای فی بحر السنه (۲۲۲ ه).

و یقول الیعقوبی ایضا: «و اتسع الناس فی البناء بسر من رأی اکثر من اتساعهم ببغداد، و بنوا المنازل الواسعه. و بلغت غله و مستغلات سر من رأی و اسواقها عشره الاف الف درهم»(۳).

و یقول المسعودی: «و تسامع الناس ان دار ملک قد اتخذت؟؟؟ و اجهزوا الیها من انواع الامتعه و سائر ما ینتفع به

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۵۲، و مروج الذهب ۴/ ۵۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۴ و لعیون و الحدائق ۳/ ۳۸۸.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۳.

الناس»(۱). و یقول یاقوت الحموی: «فعمر الناس حول قصره حتی صارت اعظم بلاد اللّه»(۲).

ان انتقال عاصمه الدوله بدواوینها الی المدینه الجدیده، مع الخلیفه و رجاله و حاشیته، و نقل الجیش بعدده و عدته الیها، استلزم انتقال جمیع الموظفین و من یتعلق بهم کذلک. و کما أقدم الخلیفه نفسه اول الأمر الی سامرا کثیرا من اصحاب الاعمال و الحرف و التجارات و غیرهم ممن کانت الحاجه ماسه الیهم فی أثناء بناء المدینه، فقد اخذ آخرون من اصحاب هذه الأصناف یفدون الیها للعمل فیها لسد حاجه السکان المتزایدین. و لا یخفی ان قرب سامرا مما یؤتی به من المیره و المؤن من الموصل و بعربایا و سائر دیار ربیعه فی السفن فی دجله ساعد علی تموین المدینه و باسعار مناسبه مما یسر العیش فیها. فتقاطر الناس علی اختلاف طبقاتهم الیها بعیالهم و اهلیهم مستفیدین من اقطاعهم الاراضی لبناء المنازل و من توفر الأسواق و فرص العمل.

توسع العمران فی الجانب الغربی:

لما فرغ المعتصم باللّه من البناء فی الجانب الشرقی من سر من رأی وفق التخطیط الذی وضعه المهندسون لها، و تقاطرت افواج الناس من مختلف البلدان للسکن فیها بعد ان استقر بها الخلیفه و اصبحت عاصمه الدوله العربیه بدلا من بغداد، اتسعت الابنیه و ازداد عدد السکان فیها. فظهرت الحاجه الی مزید من المیاه سواء للشرب او للزراعه و سقی الجنائن و البساتین. و بالنظر لأن هذا الجانب من النهر ترتفع اراضیه عن مستوی میاه النهر، فقد

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

کـانت میـاه الشـرب تحمـل الیهم من دجله علی البغـال و الابـل، لأن الآبـار بعیـده الرشـا لارتفاع الأرض، ثم ان ماءها مالـح غیر مستساغ، ممـا تعـذر معه انشـاء البسـاتین و المزارع بنطاق واسع یتفق وسـعه المـدینه و حاجتها. و لهـذا اتجهت انظار الخلیفه الی الضـفه المقـابله (الغربیه) من نهر دجله. فهی ارض منخفضه یسـهل حمـل المـاء الیها و یمکن التوسع فی زراعتها. فعمـد الی عقد جسـر یوصل بین الجانبین. و قد اقیم هذا الجسـر فی مرکز المدینه تقریبا امام القصـر الهارونی الذی بناه هارون بن المعتصم باللّه فیما بعد. و یظهر انه کان من الجسور ذوات العقود، ای کان ثابتا مبنیا بالحجاره.

لقـد شـجع ذلـک بعض النـاس علی الانتقال الی الجانب الغربی من نهر دجله و العمل هناک. فحفروا الجـداول السـیحیه و شـقوا الترع و انشـأوا علیهـا المزارع و البسـاتین، فقامت فیها القری العدیـده. و کانت هـذه الجـداول تتفرع من نهر الاسـحاقی الـذی امر المعتصم باللّه بحفره لأرواء الأراضـی الواقعه علی هذا الجانب من النهر ارواء سـیحیا. و نهر الاسحاقی هذا یستمد میاهه من دجله فی موضع یقع جنوبی تکریت بقلیـل، فیجری امـام سـامرا من الغرب بموازاه نهر دجله. و هو نهر قـدیم کـان یمتـد حتی منخفض عقرقوف فی غربی بغـداد، حفره قـدامی العراقیین، الا انه کان قـد اهمل فأندرس. فأمر المعتصم باللّه صاحب شـرطته اسـحاق بن ابراهیم بان یتولی الأشراف علی احیاء القسم الاعلی منه الممتد بین تکریت و جنوبی سامرا، و لذا عرف بالاسحاقی.

و قـد قسم نهر الاسـحاقی الی فرعین شـمالی معسـکر الاصـطبلات، الشـطر الغربی و یسـیر جنوبا وسط الاراضـی التی بین دجله و الفرات الی مسـافه تقرب من (۴۰) کیلومترا ثم تضـیع معاله فی رمال الصـحراء. و الشـطر الشـرقی و یسـیر بموازاه السور الخارجی الغربی

لعسكر الاصطبلات، و بعد ان يسير مسافه (۳۰) كيلومترا تقريبا نحو الجنوب الشرقى يصب فى مجرى نهر الدجيل القديم(۱).

فصار نهر الاسحاقى بما يحمله من مياه و فيره محور العمران فى الجانب الغربى من مدينه سامرا.

يقول اليعقوبى فى وصف التوسع الذى احدثه هذا النهر:

«فانشأ هناك العمارات و البساتين و الأجنه، و حفر الانهار من دجله و صير الى كل قائد عماره ناحيه من النواحى. و حمل النخل من بغداد و البصره و سائر السواد، و حملت الغروس من الجزيره و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان. فكثرت المياه فى هذه العماره فى الجانب الغربى(۲) بسر من رأى. و صلح النخل، و ثبتت الاشجار، و زكت الثمار، و حسنت الفواكه، و حسن الريحان و البقل. و زرع الناس اصناف الزرع و الرياحين و البقول و الرطاب، و كانت الأرض مستريحه الوف سنين. فزكا كل ما غرس فيها و زرع بها حتى بلغت غله العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى و ما عليه و الايتاخى و العمرى و العبد الملكى و داليه ابن حماد و المسرورى و سيق و العربات المحدثه و هى خمسه قرى، و القرى السفلى و هى سبع قرى، و الأجنه و البساتين، و خراج الزراعه اربعمائه الف دينار فى السنه. و بنى المعتصم العمارات قصورا و صير فى كل بستان قصرا فيه مجالس و برك و ميادين، فحسنت العمارات، و رغب وجوه الناس فى ان يكون لهم بها ادنى ارض و تنافسوا فى ذلك و بلغ الجريب من الأرض مالا كبيرا»(۳).

لقد انتهج المعتصم باللّه فى انجاز عمران عاصمته الجديده خطه تقوم على توزيع الأعمال على كبار قواده و رجاله، ليختص كل

۱- لمزيد من التفصيلات عن نهر الاسحاقى، راجع: رى سامراء ۱/ ۷۹- ۸۳.

۲- فى الأصل: الشرقى.

۳- كتاب البلدان/ ۲۶۳- ۲۶۴.

منهم بجزء من عمران المدينه و يستعين على انجازه باصحابه و اعوانه. و لا يستبعد ان القواد منهم استخدموا الجند فى انجاز ما كلفوا به. فكلف بعض كبار اصحابه ببناء القصور، فصير الى خاقان غرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و امر عمر بن فرج بان يتولى بناء القصر المعروف بالعمرى، و كلف ابا الوزير احمد بن خالد ببناء القصر الوزيرى. و كذلك فعل فى تشييد القطائع السكنيه و المساجد و الاسواق. و قد اشرنا الى توزيعه القطائع على كبار القواد و طلبه اليهم ان ينجزوها وفق التخطيط الموضوع لها، سواء لدور السكن او للمرافق العامه كالمساجد و الساحات و الأسواق.

و قد عمل جهده فى تهيئه العمال و الصناع الحرفيين، و مواد البناء، و الأموال اللازمه لتكاليف المواد و اجور العاملين. و كان لهذا التوزيع فى العمل نتائج باهره فى اسراع القواد بانجاز ما كلفوا به و تنافسهم فى ذلك، و فى نوعيه العمل المنجز.

و لأهتمام المعتصم بالله بانجاز تأسيس المدينه باسرع ما يمكن ليتخلص من مشاكل جنده مع اهل بغداد، و ليتفرغ لشؤون الدوله الكثيره الاخرى، و بذله الاموال اللازمه لذلك، فلا نستبعد انه قد جعل من نفسه مشرفا عاما على ذلك، يقوم بين آونه و اخرى بالتجول فى الشوارع الرئيسه ليراقب سير العمل، و يجيز العمال و المهندسين الماهرين المتفوقين باعمالهم، تشجيعا لهم و لغيرهم للاسراع بانجاز ما كلفوا به على احسن وجه، مما أثار روح المنافسه فى العاملين و دفعهم الى مزيد من الجهد و اتقان العمل.

حتى تم انجاز بناء تلك القصور و القطائع و المساجد و الاسواق، و فتح الشوارع الرئيسه و الفرعيه بالسرعه المطلوبه. علما انه كان قد كلف وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بالاشراف على جميع، ما بنى بسامرا فى جانبيها الشرقى و الغربى(۱).

۱- الطبرى ۹/ ۲۰.

۵- اسم المدينه:

اذا تصفحنا كتب البلدانيين العرب، و أمهات الكتب التى تعتبر مصادر التاريخ العربى، نجد ان الاسم الغالب الذى يطلقونه على العاصمه الثانيه للخلفاء العباسيين التى اسسها ثامنهم المعتصم باللّه ابن هارون الرشيد، هو (سر من رأى). كما ان بعضهم يطلق عليها اسم (سامرا). فان ابا جعفر محمد بن موسى الخوارزمى المتوفى سنه (۲۳۲ ه) ذكرها باسم (سر من رأى) فى موضعين من كتابه(۱).

و يعتبر اقدم من ذكر المدينه من البلدانيين بهذا الاسم و كان قد عاصر تأسيسها. و كذلك اطلق عليها هذا الاسم ابن خرداذبه ابو القاسم عبيد اللّه بن عبد اللّه المتوفى سنه (۲۸۰ ه) فى كتابه المسالک و الممالک حينما وردت فى تضاعيفه.

و ان احمد بن اسحاق اليعقوبى المتوفى سنه (۲۹۲ ه) الذى يعتبر ما ورد عن سامرا فى كتابه (كتاب البلدان) اوفى ما وصلنا من النصوص القديمه عنها، من حيث اسباب اختيار موقعها، و خططها، و جهود المعتصم باللّه فى بنائها، و توسعها فى عهد ابنيه الواثق بالله و المتوكل على الله، يستعمل نفس الأسم (سر من رأى) فى كتابه المذكور، و فى كتابه الآخر (تاريخ اليعقوبى)(۲).

اما ابو اسحاق الاصطخرى ابراهيم بن محمد المتوفى سنه (۳۴۶ ه) فيسميها (سر من رأى) ايضا فى النبذه المختصره التى ذكرها عنها فى كتابه(۳). و فعل مثله ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبى فى كتابه عند ذكره نبذه عنها فى اثناء كلامه عن مدن

۱- كتاب صوره الارض/ ۲۱ و ۱۲۹.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۶۸، و تاريخ اليعقوبى ۲- ۴۷۴- ۵۱۱.

۳- كتاب الاقاليم/ ۴۸.

العراق(۱). و کذلک فعل الشابشتی ابو الحسن علی بن محمد المتوفی سنه (۳۸۸ ه) فانه یقتصر علی استعمال اسم (سر من رأی) حیثما وردت فی کتابه(۲).

علی ان المقدسی البشاری محمد بن احمد المتوفی سنه (۳۸۰ ه) ذکرها فی کتابه باسم (سامرا) عند کلامه عن اقلیم العراق. الا انه یشیر الی انها عند ما زاد فیها المتوکل و صارت عجیبه حسنه سمیت (سرور من رأی) ثم اختصرت فقیل (سر من رأی) و لما خربت سمیت (ساء من رأی) ثم اختصرت فقیل (سامرا)(۳). مما یوحی ان اسم سامرا اطلق علیها بعد ان اهملت و خربت، و هو قول یخالف الواقع. و قد ذکرها الهمذانی احمد بن محمد المتوفی سنه (۳۶۵ ه) باسم (سر من رأی) فی کتابه(۴).

اما المؤرخون فأن اقدمهم ابن قتیبه عبد اللّه بن مسلم المتوفی سنه (۲۷۶ ه) یطلق علیها اسم (سر من رأی) عند ما یتکلم عن المعتصم و خروجه الی بنائها فی کتابه (المعارف)(۵). بینما یستعمل الطبری محمد بن جریر المتوفی سنه (۳۱۰ ه) اسم (سامرا) حیثما ورد ذکرها فی الجزءین التاسع و العاشر من کتابه (الرسل و الملوک).

و یسمیها البلاذری احمد بن یحیی المتوفی سنه (۲۷۹ ه) ای فی سنه الانتقال منها و العوده الی مدینه السلام، و قد عاصرها منذ تأسیسها (سر من رأی)(۶)، ایضا.

و قد استعمل المسعودی علی بن الحسین المتوفی سنه (۳۴۶ ه) الاسمین للمدینه فی مؤلفیه: التنبیه و الاشراف، و مروج الذهب.

۱- صوره الارض لابن حوقل/ ۲۱۸.

۲- الدیارات/ ۳۸ و ۷۹ و ۱۰۵ و ۱۴۹ و ۱۹۰.

۳- احسن التقاسیم/ ۱۲۲- ۱۲۳.

۴- مختصر کتاب البلدان/ ۱۸ و ۱۲۵ و ۲۵۳.

۵- المعارف/ ۳۹۲.

۶- فتوح البلدان/ ۲۹۵.

فانه ینهج فی الکتاب الأول نهج البلدانیین و یطلق علیها اسم (سر من رأی) عند ما یذکر ابتداء المعتصم باللّه ببنائها و یقول انه هو سماها به(۱). غیر انه فی کتابه الثانی یستعمل اسم (سامرا) عند اشارته الی الموضع الذی اختاره المعتصم باللّه للبناء فیه و یفسر معناه و الأصل الذی اشتق منه، ثم یستمر باستخدام هذه التسمیه کلما ورد ذکره للمدینه فی الکتاب عدا بعض المناسبات فقد استخدم الأسم الأول(۲).

الا ان طاهر بن مطهر المقدسی المتوفی سنه (۳۵۵ ه) یقتصر علی استخدام اسم (سر من رأی) فی کتابه(۳). و یقتصر ابن الأثیر علی بن محمد المتوفی سنه (۶۳۰ ه) علی استعمال (سامرا) فی الجزءین السادس و السابع من کتابه الکامل فی التاریخ، و احسبه قد اقتدی بالطبری فی ذلک. و یلاحظ ان صاحب الفهرست ابن الندیم محمد بن اسحاق المتوفی سنه (۴۳۸ ه) یذکرها فی عدد من المواضع فی کتابه باسم (سر من رأی)(۴). و یری ابن دحیه الکلبی عمر بن ابی علی المتوفی سنه (۶۳۳ ه) انها سمیت (سر من رأی) لأن المعتصم لما انتقل الیها بجملته و عسکره سر کل منهم برؤیتها فقیل فیها (سر من رأی) و لزمها هذا الاسم، و قد غیرته العامه فقالوا (سامرا)(۵). و هذا یتفق و ما یراه یاقوت الحموی الذی یقول ان اسمها (سر من رأی) فخففها الناس و قالوا سامرا(۶).

و ینقل عن الزجاجی قوله: «کان اسمها قدیما سامیرا سمیت بسامیر بن نوح کان ینزلها لأن اباه اقطعه ایاها فلما استحدثها

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۵ و ۳۰۶ و ۳۰۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۴۶ و ۵۶ و ۱۱۴.

۳- البدء و التاریخ ۳/ ۱۱۴ و ۱۲۲.

۴- الفهرست/ ۲۳۶ و ۲۷۷.

۵- النبراس/ ۶۵.

۶- معجم البلدان ۳/ ۱۷۳.

المعتصم سماها سر من رأی(۱). علی انه نفسه یذکرها باسم آخر هو (سراء) و یقول انه اسم من اسماء سر من رأی مدینه المعتصم(۲).

و یرد الحریری ابو محمد علی بن القاسم المتوفی سنه (۵۱۶ ه) علی من یسمیها سامرا، و یری ان الصواب هو ان تسمی سر من رأی، علی ما نطق بها فی الأصل، لأن المسمی بالجمله یحکی علی صیفته الاصلیه، و ان المعتصم حین شرع فی انشائها ثقل ذلک علی عسکره، فلما انتقل بهم الیها سر کل منهم برؤیتها فقیل سر من رأی و لزمها هذا الاسم، و هو یری ان تغییر الشعراء الاسم المذکور انما هو لاقامه الوزن و تصحیح النظم(۳).

من هذا یتضح ان الاسم الغالب علی المدینه فی مؤلفات القدامی من البلدانیین و المؤرخین هو سر من رأی. و یرجح ان تغلب هذا الاسم یعود الی ان المعتصم باللّه هو الذی سماها به(۴). و من ثم اصبح الاسم الرسمی لها. و قد سماها بعضهم سامرا. علی ان هناک اسماء اخری اطلقت علی المدینه فی ثنایا کثیر من کتب الأدب و بخاصه فی الشعر. و قد لخص یاقوت تلک الاسماء، فقال «سامراء» لغه فی سر من رأی. و فیها لغات سامراء ممدود، و سامرا مقصور، و سر من راء، و سراء مهموز الآخر، و سر من راء مقصور الآخر»(۵) و استشهد علی ذلک بأبیات من الشعر.

۱- نفس المصدر/ ۲۱۵.

۲- المشترک وضعا/ ۲۴۳.

۳- دره الغواص/ ۱۸۰- ۱۸۱.

۴- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹، و معجم البلدان، ۳/ ۲۱۵.

۵- معجم البلدان ۳/ ۱۷۳.

اما سبب تسميتها فيروى ياقوت ثلاثه اقوال فى ذلک. الأول انها كانت مدينه عتيقه تحمل اليها الاتاوه التى كانت موظفه للفرس على الروم، و قد استدل على ذلک من اسم المدينه، لأن (سا) اسم الاتاوه و (مره) اسم العدد، و المعنى انه مكان لقبض الجزيه. و القول الثانى ان سام بن نوح كان يصيف بالقريه التى ابتناها ابوه عند خروجه من السفينه ببازيدى و سماها ثمانون، و يشتو بأرض جوخى، و كان ممره من ارض جوخى الى بازيدى على شاطى ء دجله من الجانب الشرقى، فسمى ذلک المكان (سام راه) يعنى طريق سام. و القول الثالث انها مدينه بناها سام بن نوح، او انها بنيت له فنسبت اليه و قيل سام راه(۱).

ان القول صاحبه فارسى يحاول ان يربط كل حدث او موضع باكاسره الفرس، و هو قول واضح البطلان، لأن الادعاء بان الروم كانوا يدفعون اتاوه للفرس امر مشكوک فيه، و حتى اذا ما كان ذلک قد وقع فعلا فان الموضع المذكور لا يصلح ان يكون مكان اتصال بين الدولتين المذكورتين، لأنه لا يقع على الحدود الفاصله بينهما.

و يبدو ان صاحب القول اراد ان يستنتج تاريخ المدينه من تحليل اسمها المركب ففسره بما ذهب اليه هواه، ففاته الصواب لأنه تفسير عقيم(۲). و اما القولان الثانى و الثالث فانهما الى الاساطير اقرب لأنهما ينقصهما السند التاريخى، و هما كالقول الأول محاوله لاستنتاج سبب تسميه المدينه من تحليل اسمها، و لو كان ذلک من باب الظن و الوهم.

و هناک من يرجح ان اسم موضع سامرا مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون و البابليون باسم (سومورم؟؟؟

او باسم (سورمارتا-Su -ur -mar -ta و كان موضعا مهما فى

۱- نفس المصدر/ ۱۷۳- ۱۷۴.

۲- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ۱/ ۱۳.

العهـد الـذى سـبق الفتح العربى، و قد التقى فيه الجيش الساسانى بالجيش الرومانى بعد مقتل الانبراطور جوليان فى عام ۳۶۳ م و تراجع الجيش الرومانى، و قد دون اخبار هذه المعركه المؤرخ اميانوس مرسـيلينوس الذى رافق الحمله و ذكر هذا الموضع باسـم (سوميره)، و كـان الجيش الرومـانى قـد عـبر عنـد تراجعه نهر دجله فى مكـان ورد اسـمه بصـيغه (دورا) و هو موضع امـام الـدور الآن(۱).

و يقول انسـتاس الكرملى «امـا اسم المـدينه فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قـديم فى التاريـخ فقـد ذكره المؤرخ الرومانى اميانوس مرسـيلينوس الشـهير الذى ولد فى سـنه ۳۲۰ م و تـوفى سـنه ۳۹۰ م بصـوره (سومرا-Sumera)، و نـوه به زوسـيمس المؤرخ اليونـانى من ابنـاء المـائه الخـامسه للمسـيح صاحب التاريـخ الرومانى بصوره (سوما-Souma أهل النقـد من ابناء هـذا العصـر انه سـقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا-Soumara و ورد فى مصـنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطه .. اما الكلمه فليست بعربيه صـرفه و ان ذهب الى هذا الرأى كثيرون من المؤرخين و الكتبه و اللغويين و ذلك لعتقها كما اوضـحنا. و هى عنـدنا من اصل سامى قـديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظه للصـحفه عنه، فاذا قلنا ان اصـلها (شامريا) فمعناها اللّه يحرس المدينه، او بعباره اخرى (المحروسه) و ان قدرنا اصلها (شامورا) باماله الالف الاخيره فمعناها الحرس، اى منزل الحرس او موطن الحفظه بتقـدير حـذف المضـاف و ابقـاء المضـاف اليه، و هو كثير الورود فى جميع اللغات الساميه. و عليه يعتبر قولهم ان (سامرا) تخفيف (سر من رأى) او (ساء من رأى) من قبيل الوضع»(۲).

۱- المرشد الى مواطن الآثار و الحضاره/ ۱۱- ۱۲.

۲- مجله لغه العرب العدد(۶) من السنه الثالثه/ ۷۲۱- ۷۲۲.

و للمرحوم الـدكتور مصـطفی جواد رأی قريب من هـذا فی تخريج اسم سامرا، فيقول: «سامرا اسم ارامی و هو فی اصـله مقصور كسـائر الاسـماء الآـراميه بـالعراق، مثـل: كربلا و عكبرا، و حرورا، و باعقوبا ..) و قـد مـد العرب كثيرا من هـذه الاسـماء الآراميه المقصوره فی اسـتعمالهم اياها، و خصوصا ذكرها فی الشـعر الحاقا لها بالاسماء العربيه او توهما منهم انها عربيه تجمع بين المد و القصر ... و اذ كانت الآراميه فرعا من فروع اللغه الساميه الأم، و كان الغالب علی سينها ان تبدل شينا فی العربيه جاز ان يكون بين ماده (شمر) العربيه و (سامرا) الآراميه صله لفظيه وصله معنويه. قال الأصمعی: «التشمير: الارسال من قولهم شمّرت السفينه ارسلتها و شمّرت السهم ارسلته» و قال ابن سيده:

«شمّر الشی ء ارسله، و خص ابن الاعرابی به السفينه و السهم».

فغير بعيـد ان كانت (سامرا) عنـد الآراميين فرضه كبيره لارسال السـفن فی دجله او دار صـناعه لها، و لدجله عندها خليج لا يزال علی حاله القديمه يتبطح فيه الماء عند الزياده»(۱).

يتبين من مختلف التوضـيحات التی قـدمت عن اصل تسـميه موضع سامرا بهـذا الاسم ان ذلك الأصل قديم يرجع عهده الی ايام الآشوريين و البابليين، و من الطبيعی ان يتعرض اللفظ للتحوير و التعـديل بمرور الزمن و فی مختلف اللغات، حتی اسـتقر عند بناء المدينه فی عهد المعتصم باللّه الی سر من رأی و سامرا.

۶- اطلال سامرا:

تقع مدينه سامراء الحاليه علی الضـفه الشرقيه لنهر دجله شمالی بغداد بمسافه (۱۳۰) كيلومترا. و قد بنيت علی قسم من من اطلال سامرا التی اسسها المعتصم باللّه و اتخذها عاصمه له فی

۱- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ۱/ ۷- ۸.

اواخر سنه (۲۲۲ ه). و هـذه الاطلال تحيط بالمـدينه الحاليه من جميع جهاتها، و تمتـد على طول نهر دجله ابتـداء من صـدر نهر الرصاصـى شـمالا حتى فم نهر القائم جنوبا. و يبلغ طولها نحوا من اربعه و ثلاثين كيلومترا، تقع ثمانيه منها جنوبى المدينه الحاليه و تقع البقيه شـماليها. و يظهر هـذا الامتـداد الهائل لاطلال المـدينه القـديمه مـدى سـعتها و امتداد عمرانها عند ما كانت «المدينه الثانيه من مدن خلفاء بنى هاشم» و عاصـمه الدوله العربيه. و قد اصاب القزوينى عند ما و صفها بانها «اعظم بلاد اللّه بناء و اهلا .. و لم يكن فى الأرض احسن و لا اجمل و لا اوسع ملكا منها»(۱). الا ان تلك المـدينه الواسـعه المزدهره التى قامت خلال فتره قصيره، اسرع اليها الخراب بعد ان هجرت، و لم يبق من آثارها شاخصا اليوم.

اى بعد ما يزيد على احد عشر قرنا، سوى القليل من بقايا المبانى التى لا تزال قائمه تتحدى الزمن.

و يتوزع القسم المهم من الأطلال المـذكوره شـمالى المـدينه الحـاليه و جنوبيها. حيث تقوم فى الشـمال الملويه و بقايا المسـجد الجـامع الكبير و دار الخليفه و بـاب العـامه و جـامع ابى دلف. و تقوم فى الجنوب بقايـا قصـر بلكوارا و اطلال المـدينه التى بناها المعتصم باللّه على القاطول.

و لما كانت سامرا قـد توسـعت ايام ازدهارها الى الجهه الغربيه من نهر دجله فان المنطقه الممتـده بين نهر دجله و نهر الاسـحاقى كـانت بمثـابه حـدائق المـدينه الكبيره، و قـد عمرت بالبسـاتين و الجنائن و القصور، و لكن لم يبق شاخصا من مبانيها سوى بقايا قصر المعشوق و قبه الصليبيه و قصر الجص.

و يضاف الى الاطلال المشار اليها من بقايا مدينه سامرا القديمه ملحقان مهمان من جهتها الجنوبيه هما بقايا القادسيه الواقعه بين

۱- آثار البلاد و اخبار العباد/ ۲۵۸.

نهر دجله و نهر القائم، و بقایا الاصطبلات المقابله للقادسیه فی الجانب الغربی من المدینه.

أما بقیه الاطلال فهی أسوار و آکام ترابیه مبعثره فی جمیع الجوانب، و أهم الاسوار التی لا تزال ماثله سور عیسی و سور اشناس و سور القصر الجعفری.

و تتکون الآکام بصوره عامه من بقایا أسوار الدور و القصور و زوایا غرفها و قاعاتها. و تتسلسل آکام الاسوار علی خطوط مستقیمه تدل علی استقامه شوارع المدینه القدیمه، کما تتوزع بقایا زوایا الدور و القصور فی کثیر من المحلات حول ساحات صغیره و کبیره تظهر الشی ء الکثیر من مخططات المبانی المختفیه تحتها.

و تظهر آثار الشوارع القدیمه الفسیحه بصوره خاصه فی جوار قصر بلکوارا فی الجنوب، و بعد سور اشناس فی الشمال، اذ یظهر جلیا ما کان یسمی بالشارع الاعظم الذی یبقی اتجاهه مستقیما الی مسافه سبعه کیلومترات، و تظهر علی جانبیه سلسله منتظمه من الشوارع الفرعیه التی یبلغ عرض بعضها خمسین مترا. کما تظهر فی الآکام المتراکمه علی جانبی الشارع الأعظم مخططات الدور و الاسواق التی یستطیع المشاهد ان یتبین حدودها و تقسیماتها الاساسیه. کما تظهر فی أقصی الشمال بعض بقایا مدینه المتوکلیه التی اسسها المتوکل علی اللّه فی آواخر ایامه.

ان الصور الجویه التی اخذت لأطلال سامرا تظهر اتجاهات الشوارع و تقسیمات الدور و القصور بوضوح تام، یدل علی براعه هندسیه فائقه فی تخطیط المدینه من حیث سعه شوارعها و استقامتها، و توزیع الأبنیه العامه و المساجد و الأسواق و دور السکن، و تنسیقها لمدینه کامله مع ما تحتاجه من ساحات و ملاعب و متنزهات(۱).

۱- راجع عن اطلال سامرا: الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۹- ۱۰.

و قـد بـدأ الاهتمام باطلال سامرا منـذ اواسط القرن التاسع عشـر. غير ان التنقيب فيها لم يبـدأ الا بعـد انتهاء العقد الأول من القرن العشـرين. فقد قام المهندس هنرى فيوله-henry Viollet لاول مره ببعض التنقيبات الاسـتكشافيه فى دار الخليفه خلال صيف سنه ۱۹۱۰ م. ثـم اعقبه فى السـنه التـاليه الآثـارى الالمـانى هرزفيلـد-herzfeld على رأس بعثـه علميه، فقـام بتنقيبـات واسـعه اسـتمرت حتى نشوب الحرب العالميه الاولى. و شـملت هذه التنقيبات دار الخليفه و قصـر بلكوارا و المسجد الجامع و تل العليق، مع نحو خمس عشـره دارا من دور السـكن الخـاصه، بـالقرب من المـدينه الحـاليه. و كـانت الآثار التى عثرت عليها بعثه هرزفيلد خلال هـذه التنقيبات قـد وضـعت فى صـناديق بقيت فى سامراء خلال الحرب المذكوره، و لما ابتليت البلاد بالاحتلال الانكليزى نقلت تلك الصـناديق الى انكلترا. و قـد نشـر قسم من النتائـج العلميه التى حصـلت من هـذه التنقيبات، و لـذلك فان النتائج التى توصل اليها هرزفيلد فى هذا الحقل لم يعرف عنها الا الشى ء القليل(۱).

و اوفـدت مـديريه الآثار القـديمه العامه منذ سـنه ۱۹۳۶ م عـده بعثـات آثـاريه لاـجراء مزيـد من الحفريـات و التنقيب فى اطلال سـامراء. و كـانت حصـيلتها معلومـات غزيره عن معـالم المـدينه ايـام كـانت عاصـمه مزدهره. و قـد نشـرت فى سـنه ۱۹۴۰ نتائج التنقيبات التى قامت بها البعثات المذكوره فى كتاب «حفريات سامراء ۱۹۳۶- ۱۹۳۹» بجزءين. يقع الجزء الأول فى (۵۰) صحيفه عـدا الفهارس و الالواح المرفقه به، و يتناول وصـفا دقيقا لما كشـفت عنه التنقيبات التى اجرتها مـديريه الآثار القـديمه العامه فى خلاـل مواسم السـنوات المـذكوره. و قـد اوصـلت هـذه التنقيبـات الى معرفه مخططـات قصـر كامـل هو قصـر الجص فى الموقع المعروف باسم الحويصلات، و ثلاث دور

۱- حفريات سامراء(۱۹۳۶- ۱۹۳۹) ۱/ ۴.

سکنیه کامله، و مخططات القسم الأکبر من غرف ثمانی دور اخری.

و یقع الجزء الثانی فی (۱۶) صحیفه عدا الفهرست و الالواح المرفقه به. و فیه بحث مفصل عن الآثار المنقوله التی عثر علیها فی اثناء التنقیب فی اطلال سامرا خلال المده المشار الیها آنفا، و قد تضمن اوصافها و الوانها و ممیزاتها الاخری.

کما اصدرت المدیریه المذکوره فی سنه ۱۹۴۰ کتابا آخر بعنوان «سامراء» تضمن بحوثا عن مدینه سامرا الحالیه، و عن اطلال المدینه القدیمه، مع مجمل لتأریخها و خلاصه وافیه عما توصل الیه الآثاریون عن اهم الآثار التی لا تزال بقایاها شاخصه حتی الیوم کالمسجد الجامع و الملویه و دار الخلیفه و باب العامه و السرادیب الملحقه بدار الخلیفه، و ساحه اللعب و حلبه السباق و ساحه الفروسیه و تل العلیق، و جامع ابی دلف، و قصر بلکوارا، و القصر الهارونی، و قصر المعشوق، و قبه الصلیبیه، و سور القادسیه، و الاصطبلات، و المقبره القبتاریخیه.

ان اطلال مدینه سامرا تتمیز بمیزه مهمه من الوجهه الآثاریه.

لأنها رغم اتساعها الهائل، تعود الی عهد معین محدود لم یسبقه دور بناء اقدم منه، کما انه لم یتبعه دور بناء احدث منه. اذ ان جمیع الاطلال الممتده من النهر الرصاصی شمالا حتی صدر نهر القائم جنوبا، علی طول لا یقل عن اربعه و ثلاثین کیلومترا، هی بقایا مدینه سامرا التی شیدت و اتسعت بسرعه خارقه، ثم هجرت بغته فاندرست بسرعه هائله ایضا، اذ لم تعش غیر حقبه قصیره تزید قلیلا عن نصف قرن، تعود الی دور محدد معین. و هو مما یندر مصادفته فی تاریخ الآثریات.

الفصل الثانی منشآت المعتصم باللّه فی سامرا

اشاره

سنستعرض فیما یلی اهم منشآت المعتصم باللّه فی مدینه سامرا، مما لا یزال قسم من اطلالها ماثلا حتی الیوم، او ورد ذکر عنها فی مصادر التراث العربی.

۱- دار الخلیفه (دار العامه):

اشاره

کانت دار الخلیفه اهم و افخم القصور التی بنیت حین تأسیس سامرا علی عهد مؤسسها الخلیفه المعتصم باللّه. و یمکن اعتبارها اول بنایه انشئت فیها. و هی تقع علی شارع السریجه او الشارع الأعظم. و دار الخلیفه هی دار العامه التی یجلس فیها ایام الأثنین و الخمیس. و قد بنیت فی موضع الدیر الذی ابتاعه المعتصم باللّه قبل شروعه فی انشاء سامرا(۱). و یبلغ طول واجهتها من جهه النهر (۷۰۰) م، اما المسافه بین بابها و منتهی بنایاتها الخلفیه فلا تقل عن (۸۰۰) م، و ذلک بصرف النظر عن الحدیقه الفسیحه التی کانت تمتد امامها حتی شاطی ء النهر علی طول (۶۰۰) م. «و کانت دار الخلافه و ما یتصل بها کأنها لکبرها مدینه قائمه بذاتها»(۲).

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۵.

۲- الحضاره الاسلامیه ۲/ ۱۷۶.

و قد لاحظ اطلال هذا القصر العظيم المهندس المعمارى الفرنسى فيوله-Viollet فى سنه ١٩٠٩ م و رسم مخططا تقريبيا للمعالم التى رآها حينئذ. كما رسم صوره خياليه للقصر كما تصور حالته الأصليه، و على ضوء المخطط الذى رسمه له.

و مع ان الريازه التى تظهر على هـذه الصوره تمعن فى الخيال و لم تتقيـد بالريازات المعروفه، فان الصوره تعطى فكره لا بأس بها عن أقسام القصر المختلفه. و جاء العالم الآثارى الالمانى هرزفيلد-Herzfeld بعد فيوله و اجرى تنقيبات و حفريات منتظمه فى بعض اطلال القصـر، كشف خلالها قسـميه الوسطى و الجنوبى مع بعض الأقسام المتفرقه، و اظهر قاعه العرش و غرف التشريفات و الحمام و دور الحريم. كما عثر على آثار كثيره و رسوم و زخارف بـديعه و مواد خزفيه ثمينه. الا ان اسـتمرار الناس على اقتلاع الآجر من جـدران القصـر و اسـسه لاسـتعمالها فى بناياتهم لم يبق من الغرف و القاعات التى اكتشـفها هرزفيلد شـيئا غير الركام و الانقاض الكلسـيه. و لم يبق ما يسـتلفت الزائرين بين اطلال القصـر المذكور سوى الأواوين القائمه فى مدخل القصـر المطل على السـهل، و السـردابين المحفوران فى الجهتين الشـرقيه و الشماليه. اما بقيه اقسام القصر فقد اصبحت آكاما لا تظهر اوضاعها العامه الأ من الصور الجويه(١).

الأواوين القائمه:

ان أواوين القصر التى تكوّن باب العامه من اهم المبانى الشاخصه من بقايا القصر. و تتألف الجبهه من ثلاثه اواوين مدببه العقود، الايوان الوسطى كبير و مستطيل الشكل، طوله (٥ ر ١٧) م

١- سامرا لمديريه الآثار القديمه العامه/ ٥٠- ٥١.

و عرضه (۸) م، و جـداراه الجانبيان يحملان عقاده مدببه ترتفع ذروتها عن الارض (۱۲) م. و واجهته الامـاميه مفتوحه بكاملها و مطله على السـهل، و ضلعه الخلفيه مسدوده بجدار شاقولى ينفتح فيه باب كبير يبلغ عرضه (۸ ر ۳) م و ارتفاعه (۷) م اما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضا و عمقا من الايوان الوسطى. فان عرض واجهه كل منهما (۵ ر ۴) م و لا يتجاوز عمقهما (۴) م. و تكوّن العقـاده التى تعلو الجـدران الثلاـثه نصف قبه. و يوجـد فى الجـدار الخلفى باب مرتفع تعلوه نافـذه، و هو يفضـى الى قاعه خلفيه كبيره مدببه العقد، مثل عقد الايوان الوسـطى. و فى جانب الايوان الشـمالى باب آخر يفضى الى غرفه مربعه متصله بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقيه عند رفع الانقاض فى سنه ۱۹۳۷. كما يوجد بجانب الايوان الجنوبى سلسله غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض فى السنه المذكوره(۱).

كان الباب الذى يقع خلف الايوان الوسطى يؤدى الى سلسله قاعات كبيره توصل الى غرف الخليفه و قاعه العرش. الا ان جدران هذه الغرف و القاعات و الممرات التى بينها قد اندرست تماما. و كان يوجد فوق هذه الاواوين طابق آخر لأن احد جدرانها كان قائما الى علو سته امتار حتى عهد قريب. و يظهر هذا الجدار فى الصور التى اخذت للاواوين قبل الحرب العالميه الاولى. و كانت الاواوين المذكوره مزدانه بزخارف جصـيه شاهد (فيوله) قسما منها فى محلها. و عثر هرزفيلد على بعض منها بين الانقاض خلال تنقيباته. كما عثرت مديريه الآثار القديمه على قسم آخر عند ما رفعت الانقاض لتجميل منظر الاواوين و تقويه اسس الجدران.

و قد ظهرت على جدران الغرفه المتصله بالغرفه المربعه التى اشير

۱- نفس المصدر/ ۵۳.

الیها آنفا، زخرفه جداریه بدیعه نقلت الی دار الآثار العربیه(۱).

باب العامه:

ان الاواوین المبحوث عنها کانت بمثابه مدخل القصر، و کانت تسمی «باب العامه» و الساحه التی امام الأواوین تکون شرفه تطل علی السهل. و تلاحظ هناک معالم الدرج العریض الذی یصل القصر بالسهل، و البرکه الکبیره التی کانت تبدأ من اسفل الدرج المذکور، و تتصل من منتصف ضلعها الغربیه بساقیه منتظمه تمتد علی طول (۴۰۰) م حتی تصل الی شاطی ء دجله(۲).

و کانت الساحه الواسعه الممتده امام باب العامه قد اتخذت میدانا عاما کما تدل الحوادث التی جرت فیها. فقد شهر بها ببابک الخرمی لما قبض علیه و جی ء به الی سامرا فی اوائل سنه (۲۲۳ ه) و اراد المعتصم باللّه ان یشهر به و یریه للناس، فأمر بحمله علی فیل من المطیره، حیث انزله القائد الأفشین فی قصره، الی دار العامه «فاستشرفه الناس من المطیره الی باب العامه فأدخل دار العامه الی امیر المؤمنین»(۳) فقتل صبرا. کما کان یصلب بها بعض المحکوم علیهم، فعند ما مات الأفشین فی الحبس «اخرجوه فصلبوه علی باب العامه لیراه الناس، ثم طرح بباب العامه مع خشبته»(۴).

و کانت تنصب بها رؤوس بعض القتلی من الثوار و الخارجین علی الدوله. فعند ما قتل یحیی بن عمر الطالبی الذی خرج فی الکوفه فی سنه (۲۵۰ ه) «نصب رأسه بباب العامه بسامرا»(۵) و لما قتل

۱- نفس المصدر/ ۵۴.

۲- سامرا لمدیریه الآثار القدیمه/ ۵۵.

۳- الطبری ۹/ ۵۲- ۵۳، و العیون و الحدائق/ ۳۸۸.

۴- الطبری ۹/ ۱۱۴.

۵- الطبری ۹/ ۲۷۰.

القائد صالح بن وصیف فی سنه (۲۵۶ ه) «حمل رأسه علی قناه و طیف به ... و نصب بباب العامه ساعه ثم نحی، و فعل به ذلک ثلاثه ایام تتابعا»(۱).

کما کانت تضرب اعناق المجرمین، و یجلد بعض المغضوب علیهم بباب العامه. ففی سنه (۲۵۸ ه) «ضرب عنق قاض لصاحب الزنج کان یقضی له بعبادان، و اعناق اربعه عشر رجلا من الزنج باب العامه بسامرا»(۲). و عند ما أمر القائد صالح بن وصیف بضرب الکاتبین احمد بن اسرائیل و عیسی بن ابراهیم، فی سنه (۲۵۵ ه) «أخرج احمد بن اسرائیل و ابو نوح عیسی بن ابراهیم الی باب العامه، فقعد صالح بن وصیف فی الدار و وکل بضربهما حماد بن محمد بن حماد بن دنقش»(۳). و لما خالف القائد الترکی کنجور فی سنه (۲۵۹ ه) و کان والیا علی الکوفه و قتل، «الزم کاتب له نصرانی مالا، ثم ضرب هذا الکاتب فی شهر ربیع الآخر بباب العامه الف سوط فمات»(۴).

و کان الباب المذکور یتخذ احیانا للتظاهر ضد السلطه.

فعند ما ادعی احد المشعوذین انه ذو القرنین فی سنه (۲۳۵ ه) «خرج من اصحابه بباب العامه رجلان .. و زعما انه نبی»(۵).

و لما بویع للمستعین باللّه فی سنه (۲۴۸ ه) تظاهر عدد من مؤیدی المعتز بن المتوکل علی اللّه، و شهروا السلاح، تصدی لهم الاشروسنیه من الجند، و نفر علی باب العامه عدد من المبیضه و الشاکریه

۱- نفس المصدر/ ۴۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۴۹۰، و المنتظم ۵/ ۸.

۳- الطبری ۹/ ۳۹۷.

۴- الطبری ۹/ ۵۰۲.

۵- الطبری/ ۱۷۵، و الکامل ۷/ ۵۰.

و کثروا، فشد علیهم المغاربه و الاشروسنیه فشتتوهم و هزموهم(۱).

قاعه العرش:

تتکون قاعه العرش من غرفه کبیره وسطی مربعه الشکل محاطه بأربع قاعات علی شکل الحرف T . و یرجح ان الغرفه الکبیره کانت تعلوها قبه. و قد عثر فی اطلال هذه القاعه علی بقایا من اطار من رخام جمیل و زخارف جصیه. و کانت امثال هذه القاعات التی علی شکل الحرف T توجد فی البیوت کذلک کقاعات للاستقبال. و عثر فی هذه القاعات علی بقایا زخارف جصیه جمیله فی بواطن الاقواس، او مما کان یزین الجدران.

و کانت توجد بین اذرع التقاطع قاعات صغری مزینه بافاریز من الواح و بلاطات رخامیه. و هناک غرفه صغیره مزینه جدرانها بزخارف جصیه، و بها محراب، مما یدل علی انها اتخذت مسجدا للخلیفه(۲).

جناح الحریم:

ان ما تم التنقیب عنه فی القسم الخاص بالحریم من القصر اظهر انه کانت تمتد علی جانبی الجناح الشرقی و الجناح الغربی من هذا القسم غرف عدیده متماثله، اعید بناؤها عده مرات، معده للسکنی. و کلها مجهزه بالمیاه بمواسیر کبیره من الرصاص، تتصل بها انابیت بعضها من الزجاج الأزرق و بعضها من الفخار.

کما ان هناک حجرات للاستحمام و الغسیل و دورات للمیاه. و فی

۱- الطبری ۹/ ۲۵۷، و الکامل ۷/ ۱۱۷- ۱۱۸.

۲- ۳۶۲: Creswell ,E .M .A .P

القسم الجنوبی من هذا الجناح مقابل قاعه العرش غرفه مربعه لها اربعه ابواب واسعه، فی وسطها حوض کبیر محاط بممشی طول ضلعه (۲۱) م، تحیط به اربعه اعمده رخامیه من کل جانب.

و هذا الحوض من الکرانیت المصری یعود الی عهد الفراعنه. و کانت جدران هذه الغرفه مزینه بصور الاشخاص(۱).

الساحه الکبری:

و هناک قاعه کبیره اخری فی القصر، مستطیله یبلغ طولها حوالی (۳۸) م و عرضها (۵ ر ۱۰) م، تقع امام القاعده الشرقیه من قاعات العرش، و تفتح بخمسه ابواب علی ساحه واسعه مکشوفه، طولها (۳۵۰) م و عرضها (۱۸۰) م. و هی محاطه بجدران من الشمال و الجنوب، و یوجد علی مسافه کل عشرین مترا تقریبا برج نصف دائری شید لاسناد هذه الجدران. و هناک عده ابواب فی کل من هذین الجدارین تؤدی الی الابنیه المجاوره التی کانت تستخدم کثکنات للجند من حرس القصر، او مخازن للاسلحه و غیرها. و قد زینت بعض اقسام هذه الساحه بحدائق من الازهار، و برک و فوارات مصنوعه من الرخام.(۲)

و کانت هذه الساحه الواسعه مقسمه بقناه الی قسمین: القسم الغربی و هو مبلط و تزینه نافورتان، و القسم الشرقی و هو غیر مبلط و به عدد من القنوات الصغیره، یمکن ان یستدل منها علی ان هذا الجزء من الساحه کان حدیقه واسعه.

و یری هرزفیلد انه کان فی الساحه الکبری هذه ثلاثه مساجد لم تکن محاریبها علی سمت القبله تماما(۳).

۱- نفس المصدر.

۲- نفس المصدر.

۳- ری سامراء ۱/ ۷۱.

السردابان:

و من مشتملات قصر الخليفه سردابان احدهما صغير و الآخر كبير. و يقع السرداب الصغير فى الجهه الشرقيه للساحه الكبرى باتجاه محور الايوان الكبير و على بعد (۶۰۰) م منه. و يسميه الناس الزندان و الهبّيه- اى الهاويه- و هاويه السباع. و يتكون هذا السرداب من حفره مربعه الشكل نقرت فى الصخر، يبلغ عمقها نحو (۱۰) امتار و طول ضلعها نحو (۲۱) م. و قد فتح على جدار من جدرانها الاربعه ثلاثه اواوين او كهوف نقشت على جدرانها زخارف جصيه. و تتوسط الحفره بركه كبيره مستديره. و ينزل الى السرداب و يصعد منه بسلمين متصلين بدهليز منتظم. و كان مدخل هذا السلم يقع فى غرفه جميله زينت جدرانها برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس. و هذه الغرفه جزء من المبانى التى تحيط بفتحه السرداب من جهاته الاربع. و السرداب محاط بصفوف متوازيه من الغرف العديده التى يرجح انها كانت اصطبلات لدواب القصر(۱).

و يمكن القول ان تسميه هذا السرداب بهاويه السباع انه كان هناك عدد من السباع بالقرب منه، و ربما انها كانت تأوى اليه، و قد ورد فى الأخبار ما يؤيد ذلك. فان الخليفه المهتدى باللّه امر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان و طرد الكلاب(۲).

اما السرداب الكبير فانه يقع فى الجهه الشماليه الغربيه للسرداب الصغير، شمالى شرقى الاواوين. و هو حفره اكبر و اعمق من الحفره السابقه، تحيط بها بنايه مربعه الشكل كثيره التقسيمات، يبلغ طول ضلعها (۱۸۰) م. و فى وسط ارضيه هذا

۱- سامراء لمديريه الاثار العامه/ ۵۷- ۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۴۰۶، و الكامل ۷/ ۲۰۳.

السرداب برکه مستدیره واسعه یبلغ قطرها نحو (۸۰) م تتصل بکهریز تحت الارض. و فی القسم الاعلی من السرداب عدد من الغرف الصغیره یحیط بالجهه الداخلیه من جدران البنایه، و بعضها مسقف بعقود متقاطعه. و فی الزاویه الشمالیه الشرقیه للسرداب آثار بنایه اخری کثیره التقسیمات و یعتقد انها کانت الخزانه العامه(۱). و قد اشار الیعقوبی الی ان الخزائن الخاصه و خزائن العامه کانت فی شارع السریجه ممایلی الدار العامه(۲). التی بنیت علی ارض الدیر التی اشتراها المعتصم باللّه قبل بناء سامرا، و صار الدیر بیت المال(۳). کما ذکر الطبری و ابن الأثیر فی حوادث سنه (۲۳۱ ه) ان قوما من اللصوص نقبوا بیت المال فی دار العامه فی جوف القصر و اخذوا اثنین و اربعین الفا من الدراهم و شیئا یسیرا من الدنانیر(۴).

و یری هیرزفیلد ان الابنیه التی کانت فی الرکن الشمالی الغربی للسرداب الکبیر تؤلف ثکنات الجیش و یرجح انها ثکنات للخیاله، اما ثکنات الجند المشاه فتفصلها عنها قطعه من الارض خالیه من البناء. و کانت هذه الثکنات تقع الی جانب الشارع الأعظم الذی یوصلها بالقصر، و هی تشرف علی الحدیقه و شاطی ء دجله. و کانت هذه الثکنات تتألف من (۶۰۰) قاعه ینزلها نحو (۳۰۰۰) من الجنود(۵).

و یقول الدکتور سوسه ان البرکتین المذکورتین فی السردابین قد انشئتا علی عهد المتوکل علی اللّه، و دلیله علی ذلک ان القناه التی

۱- سامراء لمدیریه الآثار العامه/ ۵۸.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۱.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۲۵۵.

۴- الطبری ۹/ ۱۴۰، و الکامل ۷/ ۲۳.

۵- ری سامراء ۱/ ۷۱.

تمونهما بالمیاه انشئت فی عهد الخلیفه المذکور، و هی تبدأ من نهر دجله من فوق الدور، و تنتهی بسامرا(۱).

ساحه اللعب و حلبه السباق:

توجد فی منتهی قصر الخلیفه من جهته الشرقیه و خلف السرداب الصغیر او هاویه السباع، ساحه مسوره مستطیله الشکل یبلغ طولها (۵۳۰) م و عرضها (۶۵) م. و هذه الساحه المسوره لا تقطع محور القصر بصوره عمودیه، بل تنحرف قلیلا. و یغلب علی الظن انها کانت معده للألعاب و لا سیما للعب کره الصولجان التی کان یمارسها آنذاک الخلفاء و الوزراء و قواد الجیش. و یلاحظ فی منتصف القسم الخلفی من سور هذه الساحه آثار بنایه مرتفعه بعض الارتفاع، یظهر انها کانت معده للتفرج منها علی الالعاب و المسابقات، لأنها کانت مطله علی الساحه المذکوره من جهه، و علی حلبه السباق التی تمتد خلف القصر من جهه أخری(۲).

اما حلبه السباق فکانت تبدأ من امام هذه البنایه و تمتد الی مسافه خمسه کیلومترات و نصف الکیلومتر، و تکون منحنیا منتظما مسدودا، یبلغ طول محیطه (۵ ر ۱۱) کیلومتر. و تشاهد معالم هذه الحلبه الطویله بوضوح عند تتبع الآکام الصغیره الممتده خلف قصر الخلیفه(۳).

و کانت حلبه السباق مستطیله تمتد طولا نحو جهه الشرق، و تبدأ فی اولها عند القصر ضیقه ثم تتسع تدریجیا حتی تبلغ اقصی سعتها فی نهایتها(۴).

۱- نفس المصدر/ ۷۰.

۲- سامرا- الآثار القدیمه العامه/ ۵۹.

۳- نفس المصدر.

۴- ری سامراء ۱/ ۷۱.

زخارف دار العامه:

ان فخامه الزخارف التی وجدت فی غرف القصر و قاعاته قلما یوجد مثلها. فقد زینت معظم جدران القاعات و الغرف بزخارف جصیه، اما جدران غرفه العرش فقد کانت زخارفها من الرخام المنحوت. و لوحظ ان جدران بعض الغرف مکسوه بالبلاط الرخامی. و کانت الاجزاء العلیا من جدران غرف الحریم تغطیها لوحات جداریه لصور الأشخاص و الحیوانات، و قد عثر علی اجزاء من تلک اللوحات.

و کانت جمیع الأجزاء الخشبیه کالابواب و الدعامات و السقوف من خشب الصاج المنحوت و المدهون، و بعضه مذهب، و قد عثر علی کسر صغیره من البرنز المذهب. کما وجدت کتابات محفوره علی الخشب، و علی قسم منها اسماء صانعیها من الحرفیین بعضها بالعربیه و بعضها بالسریانیه او الیونانیه(۱).

۲- الجوسق الخاقانی:

عند ما ارتحل المعتصم باللّه من القاطول الی سر من رأی وقف فی الموضع الذی فیه دار العامه و کان فیه دیر للنصاری فاشتری الأرض من أهل الدیر و اختط فیها، ثم صار الی موضع قصر الجوسق علی دجله و بنی هناک عده قصور(۲). و یستدل من هذا ان دار العامه بنیت علی ارض الدیر، ثم بنی قصر الجوسق فی موضع آخر علی شاطی ء دجله. ای ان دار العامه و الجوسق الخاقانی قصران مختلفان. الا ان الآثاری کریزویل استاذ العماره الاسلامیه فی

۱- ۶۶۲ - ۵۶۲: Creswell ,Ibid ,P .

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۳.

جامعه فؤاد الأول بالقاهره اعتبر قصر العامه اسما آخر للقصر الخاقانی، لأن ما ذکره فی کتابه

Ashort Account of Early Muslim Architecture

تحت عنوان: الجوسق الخاقانی (او قصر المعتصم) انما یتعلق بدار العامه و لا صله له بقصر الجوسق.

لقد کان قصر الجوسق من اهم القصور التی شیدها المعتصم باللّه فی سامرا. و قد اختار له موضعا یقع علی ضفه دجله الشرقیه جنوبی دار العامه مطلا علی الحیر، و یشغل المساحه التی بین شاطی ء دجله و الحیر و هی مساحه واسعه جدا(۱). و قد اتخذه المعتصم باللّه مقرا له فسکن فیه طیله خلافته، و لما توفی دفن فیه(۲). و قد وصف الجوسق(۳). کما سکنه المعتز باللّه من بعده(۴)، و سکنه کذلک عرطوج ابی الفتح بن خاقان، امور بنائه و الاشراف علیه. و کان قد اقطعه و اصحابه الاراضی التی تلی الجوسق(۵). فبنوا فیها قصورهم و مساکنهم.

و قد اتخذ اغلب خلفاء سامرا بعد المعتصم باللّه هذا القصر سکنا لهم. فقد سکنه الواثق باللّه فی اول خلافته ثم انتقل الی قصره الهارونی الذی شیده، و فیه دفن عند وفاته(۶). و عند ما کان المنتصر امیرا سکن فی قصر الجوسق(۷)، و لما بویع بالخلافه سکن فی القصر المحدث و فیه کانت وفاته(۸). و یظهر من الأحداث المهمه التی وقعت فی ایام المستعین بالله انه کان یسکن فی قصر

۱- ری سامراء ۱/ ۷۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و مروج الذهب ۴/ ۴۶ و ۶۳.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۸۰ و ۲۸۴ و الکامل ۷/ ۱۱۹ و ۱۲۳ و ۱۳۹ و ۱۴۲.

۴- الطبری ۹/ ۳۸ و الکامل ۷/ ۱۹۹.

۵- کتاب البلدان/ ۲۵۸.

۶- الطبری ۹/ ۱۵۱، و الکامل ۷/ ۳۰.

۷- الطبری ۹/ ۲۱۷.

۸- الطبری ۹/ ۲۵۴.

الجوسق(١). كما سكنه المعتز باللّه من بعده(٢) و سكنه كذلك المهتدى باللّه، و قد تكرر ذكر الجوسق كثيرا فى حوادث الخلاف الذى نشب بين الخليفه و القواد الأتراك(٣). كما سكن فيه المعتمد على اللّه اغلب ايام خلافته، قبل ان يبنى قصر المعشوق(۴).

و كان المعتصم باللّه قد بنى فى الجوسق سجنا لحبس قائده الأفشين الذى اتهم بالتآمر و الخروج على الاسلام و سماه (سجن لؤلؤه) ثم عرف بعد ذلك بالأفشين.(۵). و يظهر ان هذا السجن خصص لسجن الامراء و القواد و السياسيين المغضوب عليهم. فقد حبس المستعين باللّه المعتز و اخاه المؤيد فى حجره الجوسق. و وكل بهما(۶). و حبس المعتز باللّه اخويه المؤيد و الموفق فى الحبس المذكور(٧). و لما خرج القائد التركى كنجور و قبض عليه امر المعتز باللّه بحبسه فى الجوسق(٨).

و لا شك فى ان اطلال الجوسق و بقاياه كانت من ابرز و أوسع المواقع الأثريه فى سامرا. الا ان قرب تلك الأطلال من مدينه سامراء الحاليه كان اهم اسباب ازاله معالم تلك الأطلال. اذ استخرج الناس كل ما فيها من آجر و مرمر و ما يصلح للبناء و نقلوه الى المدينه الجديده التى شيدت فوق اطلال قسم من سامرا القديمه، و استعملوه فى بناء بيوتها، و فى انشاء السور الضخم حولها.

و يرجح ان جزءا من مدينه سامراء الحاليه قد بنى على طرف من

١- الطبرى ٩/ ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٨٠ و ٢٨۴، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١٢٣ و ١٣٩ و ١۴٢.

٢- الطبرى ٩/ ٣٨،، و الكامل ٧/ ١٩٩.

٣- الطبرى ٩/ ۴۵٢ و ۴۵۵ و ۴۵٧ و ۴۵٩ و ۴۶١ و ۴۶٧ و ۴۶٩.

۴- الطبرى ٩/ ۵٠٧ و ۵۴١ و ۶٢٢.

۵- الطبرى ٩/ ١٠۶.

۶- الطبرى ٩/ ٢۵٩ و ٢٨۴، و الكامل ٧/ ١١٩ و ١۴٢.

٧- الطبرى ٩/ ٣۶١.

٨- نفس المصدر/ ٣٧٢.

ارض قصر الجوسق، مما ادی الی محو معالم القصر محوا یکاد یکون کاملا(۱).

و من الادله علی اهمیه قصر الجوسق من حیث موقعه و مساحته بالنسبه لقصور سامرا الاخری، ان المکتفی باللّه لما اتجهت نیته الی الانتقال الی سامرا و اعاده بنائها، و خرج الیها فی سنه (۲۹۰ ه) و معه الصناع یرید البناء بها، ضربت له المضارب فی الجوسق، و ابدی الرغبه فی البناء فیه الا ان وزیره ثناه عن عزمه(۲).

و مما یجدر ذکره ان یاقوت الحموی یذکر بین القصور التی بناها المتوکل علی اللّه فی سامرا قصرا باسم الجوسق، و یقول ان المتوکل علی اللّه انفق علیه خمسمائه الف درهم(۳). و یظهر من ذلک ان هناک قصرین باسم الجوسق، احدهما من ابنیه المعتصم باللّه و هو الجوسق الخاقانی، و الآخر من ابنیه المتوکل علی اللّه انشأه بالقرب من الجوسق الکبیر، فی احدی ساحاته(۴).

۳- قصر الجص:

اشاره

کان الموقع المعروف باسم الحویصلات الواقع فی الجهه الغربیه من نهر دجله علی بعد سبعه عشر کیلومترا شمالی محطه قطار سامراء الحالیه، یلفت النظر باطلاله العالیه و ما یشغله من مساحه واسعه مما یوحی بانه بقایا احد قصور خلفاء سامرا ایام کانت عاصمه الدوله العربیه. و قد لوحظ ان موقعه ینطبق علی موقع «قصر الجص» الذی ذکره یاقوت الحموی بانه «قصر عظیم قرب سامرا فوق الهارونی بناه المعتصم للنزهه»(۵). و قال عنه سهراب

۱- ری سامراء ۱/ ۷۸.

۲- الطبری ۱۰/ ۹۸، و الکامل ۷/ ۵۲۹، و المنتظم ۶/ ۳۸.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۴- ری سامراء ۱/ ۷۸.

۵- معجم البلدان ۴/ ۳۵۶.

فی معرض کلامه عن نهر الاسحاقی «ثم یمر فی غربی دجله علیه ضیاع و عمارات، و یمر بطیرهان، و یجی ء الی قصر المعتصم باللّه المعروف بقصر الجص، و یسقی الضیاع التی هناک فی غربی سر من رأی»(۱).

لقد استرعی الموقع المذکور اهتمام دائره الآثار القدیمه فأوفدت بعثه للتنقیب فیه فی اوائل نیسان سنه ۱۹۳۶. فکشفت البعثه بما قامت به من الحفریات و التحریات عن بقایا قصر عظیم.

و استطاعت ان ترسم له مخططا یوضح اقسامه و محتویاته مع ابعادها، علی ضوء ما عثرت علیه من اسس الجدران و بقایا زوایاها، و تعرفت علی المواد المستخدمه فی بنائه. و قد تأکد لدی الدائره المذکوره ان هذا القصر هو قصر الجص الذی ذکره سهراب و یاقوت الحموی(۲).

یتکون القصر من بنایه مربعه الشکل تتوسط ساحه مسوره، و یبلغ طول ضلع البنایه (۱۴۰) م. اما طول السور الخارجی فیقدر بنحو (۳۷۰) م. و یظهر من ذلک ان مساحه القصر لا تقل عن (۱۹۰۰۰) متر مربع. اما مساحته مع حدائقه و ساحاته و سوره الخارجی فتربو علی ثلاثین و مائه الف متر مربع. و قد جرفت میاه نهر دجله الزاویه الشمالیه الشرقیه من القصر و ازالت معالم السور الخارجی من الجهتین الشمالیه و الشرقیه کما ازالت الضلع الشمالیه من السور الداخلی و معظم الضلع الشرقیه منه ایضا(۳).

و یظهر من التخطیط الذی وضعته دائره الآثار القدیمه لما کشفته الحفریات عن بقایا هذا القصر، انه کانت فی مرکز بنایه

۱- عجائب الاقالیم السبعه/ ۱۲۷.

۲- حفریات سامراء ۱/ ۱۱.

۳- نفس المصدر.

القصـر قاعه مربعه كبيره طول كل ضلع من اضلاعها (۴۰ ر ۱۵) م، و جدرانها سـميكه جدا يبلغ سمكها (۲۰ ر ۲) م، و يظهر انها كانت تحمل قبه مرتفعه، و يرجـح ان قاعـده القبه كانت تحتوى على عدد من النوافذ لاناره القاعه. و تتصل هذه القاعه المركزيه من اواسط اضـلاعها الأربع باربع قاعات مسـتطيله، بواسـطه اربعه مداخل كبيره عرض كل مدخل منها (۶۰ ر ۳ م). علما ان طول القاعات المستطيله (۶۰ ر ۱۶) م و عرضها (۶۰ ر ۶) م. و كل واحده من هذه القاعات المسـتطيله تتصل بدورها من وسط ضلعها الطويـل بايوان مسـتطيل مكشوف طوله (۸۰ ر ۷) م و عرضـه (۲۰ ر ۶) م. و كل ايوان يفتح على صـحن واسع مسـتطيل الشـكل مكشوف طوله (۸۰ ر ۲۲) م و عرضه (۸۰ ر ۱۸) م. و ينتهى كل صحن منها بثلاث غرف مستطيله تفضى الوسطيه منها الى دهليز ينتهى الى الخارج ببابين متناظرين يكونان مـدخل القصـر فى كل جهه من جهاته الأربع. و تمتد امام البابين دكه عريضه تشـرف على الساحات الممتـده بين القصـر و السور الخارجى. و توجـد فى طرفى كل ايوان غرفتان تفضـيان الى الصـحن. كما يوجد فى منتهى كـل قـاعه من القاعـات المسـتطيله التى تحيـط بالقاعه المركزيه قاعه مربعه الشـكل توصل بين القاعات المـذكوره بعضـها ببعض. و تؤلف هذه الاقسام حول القاعه المركزيه شـكلا مصـلبا تام التناظر. اما المساحه الباقيه بين اضـلاع المصـلب فينقسم كل منها الى عده بيوت مرتبه كالآتى:

۱- القسم المحصور بين الصـحن الشـرقى و الصـحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الشـرقيه من القصـر، فيه عشره بيوت يتراوح عـدد غرفها بين الست و الثمانى غرف. و يسـتقل كل بيت منها بمـدخل خاص و حمام و دوره مياه. و تفتـح مـداخل بعض هـذه البيوت على الممر الممتـد على طول السور الداخلى للقصـر، بينما تفتح مداخل البعض الآخر على ممر خاص عمودى على السور المذكور، و تنفذ الى القصر.

۲- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الغربيه فانها تختلف عن ذلک، لأنها تتكون من قاعات و حمامات كبيره عوضا عن بيوت صغيره.

۳- القسم المحصور بين الصحن الغربى و الصحن الشمالى و هو يشبه تقسيمات الزاويه الجنوبيه الشرقيه و البيوت فيه متناظره مع بيوت ذلک القسم.

۴- القسم المحصور بين الصحن الشرقى و الصحن الشمالى، اى فى الجهه الشماليه الشرقيه من القصر، فقد اندرس، و يغلب على الظن ان تقسيماته شبيهه بالزاويه الجنوبيه الغربيه. بالنظر للتناظر المشاهد فى الأقسام المعلومه من مخطط القصر(۱).

السور:

كان السور الذى يحيط بالقصر مدعما بمائه برج، اربعه منها كبيره و مستديره، قطر كل منها ثلاثه امتار، و البقيه صغيره مستطيله. و الابراج الصغيره موزعه على اساس (۲۴) برجا لكل ضلع من اضلاع السور الاربع. و هى منشوريه الشكل طولها متران و عرضها (۴۰ ر ۱) م. و مما يلفت النظر انها منفصله عن جدار السور بمقدار ۸۰ سم، مما يحمل على الاعتقاد بانها كانت تتصل بالجدار بواسطه عقود خاصه. اما السور الخارجى فلم يكشف منه سوى برجين أثنين فقط، قطر كل منهما ثمانيه امتار، و المسافه بينهما (۲۵) مترا(۲).

مواد الأبنيه:

ان الابنيه الرئيسه للقصر كالبهو و القاعات و الدواوين مبنيه بالآجر و الجص. و ابعاد الآجر المستعمل هى (۲۵* ۲۵* ۷) سم،

۱- حفريات سامراء ۱/ ۱۲- ۱۳.

۲- حفريات سامراء ۱/ ۱۴.

و اما سائر جدران القصر فهی مبنیه بالحصی الممزوج بالجص بشکل یشبه الخرسانه. و قد استعمل فی بناء الأسس النوره و الرماد عوضا عن الجص. اما السور الخارجی فکان مبنیا باللبن(۱).

تبليط الأرض:

بلطت ارض البهو و القاعات و الأواوین بالآجر المربع الشکل، و طول ضلع الأجره (۳۶) سم. و حاله الآجر المستعمل تدل علی اتقان کبیر فی صناعته، کما ان عملیه التبلیط کانت قد تمت بصوره متقنه جدا. و قد بلطت سائر اقسام القصر بطبقه من الجص المخلوط بالرمل، و یلاحظ ان هذه الطبقه الجصیه قد کسیت بطبقه من القار فی الحمامات و دورات المیاه(۲).

طلاء الجدران:

لقد ظهر للمنقبین ان الجدران کانت مطلیه بطبقه من الجبس بصوره عامه. و ان جدران القاعات منقوشه بزخارف محفوره فی طبقه الجبس. اما جدران الغرف الصغیره فعاریه عن الزخارف، الا انه یلاحظ ان ابوابها کانت محاطه باطارات جبسیه بارزه ذات اشکال متنوعه. و قد لوحظ ان اقسام الجدران الواقعه خلف الزخارف الجبسیه قد طلیت بالقار، لمنع تأثیر الرطوبه علیها، کما لوحظ ان خلف الزخارف سلسله من المسامیر مغروزه فی الجدار. و لا شک فی ان القصد منها ضمان ثبات التصاق الزخارف بالجدران لمنع انفصالها و سقوطها. و یمکن ان یستنتج من ذلک ان بعض تلک الزخارف کانت تعمل علی قوالب خاصه اولا، ثم تثبت

۱- نفس المصدر.

۲- نفس المصدر.

حسب الحاجه على الجدران. و مما هو جدير بالملاحظه ان استعمال هذه المسامير و القار لم يظهر خلف الزخارف التی اکتشفت فی اطلال سامرا فی جانبها الشرقی. و سبب ذلک ان انخاض مستوی الأرض فی الجانب الغربی من دجله بالنسبه للضفه الشرقیه، ساعد علی تکوین الحدائق و البساتین، غیر انه جعل البنایات معرضه لتأثیر الرطوبه بطبیعه الحال. و یظهر ان الرغبه فی التوقی من تأثیر الرطوبه علی الزخارف الجصیه هی التی حملت البنائین علی اتخاذ مثل هذه التدابیر(۱).

الزخارف الجداریه:

تتکون عناصر الزخارف المستعمله فی تزیین جدران القصر من اوراق العنب و عناقیده بوجه عام. غیر ان کیفیه توزع و تعاقب هذه الاوراق و العناقید تأخذ اشکالا متنوعه جدا. کما ان تنظیمها الهندسی یضفی علیها جمالا أخاذا. و تحاط المنطقه المزخرفه دوما باطار جبسی یتألف من سلسله حلقات او ضفائر مختلفه الأشکال.

و مما یجدر ذکره ان الزخارف الجبسیه التی ظهرت بین انقاض القصر الفوقانی مکونه من اوراق و عناقید مثل زخارف القصر التحتانی الا انها اکثر دقه و تعقیدا. فان بعض الاوراق فی هذه الزخارف تأخذ اشکالا تزیینیه جمیله جدا، حیث تکون وردات مجتمعه حول مرکز واحد. کما ان العناقید تقع فی وسط الوردات و فوق الأوراق. و یستدل من تعقد الزخرفه و اتقانها ان هذه البنایه احدث عهدا من القصر التحتانی(۲). و ربما کان هذا القسم العلوی بمثابه قصر للنزهه و التفرج، یصعد الیه الخلیفه بین حین

۱- نفس المصدر/ ۱۵.

۲- نفس المصدر/ ۱۷.

و آخر ليشرف على ساحات القصر و حدائقه، و على نهر دجله و مدينه سر من رأى(۱).

۴- قصور المعتصم باللّه الاخرى:

كان المعتصم باللّه عند ما شرع ببناء مدينه سامرا طلب الى المهندسين ان يختاروا من الاراضى اصلحها و أنسبها لأنشاء عدد من القصور عليها. فاختاروا عده مواضع، و صير الى عدد من كبار اصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و الى عمر بن فرج بناء القصر الذى سمى بالعمرى، و الى ابى الوزير احمد بن خالد بناء القصر الوزيرى(۲). و قد ذكرنا ما توفر لدينا من المعلومات عن الجوسق الخاقانى، الا ان بقيه القصور المشار اليها لم يعثر على شى ء من اطلالها، و لم يكن لها نصيب من اعمال الحفريات و التنقيب. كما اننا لا نجد عنها فى مصادرنا الأوليه شيئا يتعلق ببنائها او محتوياتها و اوصافها سوى ذكرها عند الكلام عن بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا. فقد ورد ذكر القصر العمرى فى حوادث سنه (۲۲۴ ه) عند ما تزوج الحسن بن الأفشين من اترنجه بنت اشناس، اذ يقول الطبرى «و دخل بها فى العمرى قصر المعتصم»(۳). و فى حوادث سنه (۲۴۸ ه) لما بويع للمستعين باللّه و ثار فى دار العامه جمع من فرسان الشاكريه و الطبريه و معهم عدد جم من الغوغاء و السوقه داعين للمعتز بن المتوكل على اللّه، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه، و انصرف الأتراك ممن بايعوا المستعين باللّه مما يلى العمرى و البساتين(۴). و يفهم من هذه

۱- نفس المصدر/ ۲۰.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۳- الطبرى ۹/ ۱۰۱.

۴- نفس المصدر/ ۲۵۶- ۲۵۷.

الاشاره ان القصر العمری کان فی احد البساتین القریبه من دار العامه. اما عن القصر الوزیری فقد وردت فی الطبری اشارتان الی «الوزیریه» و لا ندری هل لهذا الموضع علاقه بالقصر المذکور.

و قد ذکر المسعودی ان المعتصم باللّه «لما استطاب الموضع دعا بأهل الدیر فأشتری منهم ارضهم باربعه الاف دینار، و ارتاد لبناء قصره موضعا فیها فأسس بنیانه و هو الموضع المعروف بالوزیریه»(۱).

و اولی الاشارتین فی الطبری کانت عند ما احصی ما فی دار الأفشین بعد ادانته و کان له بعض المتاع فی الوزیریه(۲). و کانت الاشاره الاخری عند ما وافی القائد موسی بن بغا فی رجاله للوثوب بالمهتدی باللّه، فصار الی قنطره فی ناحیه الوزیریه(۳).

۵- معسکر الاصطبلات و نهر الاسحاقی:

ان بقایا الاصطبلات و اطلالها الممتده علی الجانب الغربی من نهر دجله، علی بعد (۱۵) کیلومترا جنوبی مدینه سامراء الحالیه، هی بقایا معسکر الجیش الذی بناه المعتصم باللّه فی أثناء اقامته فی القاطول قبل ان یؤسس مدینه سامرا، ثم اکمله فیما بعد. و مما یدل علی اقامته هذا المعسکر فی تلک المده وجود کهاریز للماء وسط مبانی الثکنات تستمد میاهها من الینابیع الموجوده فی منطقه الجزیره غربی المعسکر و توصلها الی داخله، و ذلک قبل احیاء نهر الاسحاقی(۴). و عند ما قرر المعتصم بالله ان یترک منطقه القاطول و یتجه الی سامرا اکمل ابنیه المعسکر و اصطبلاته، و بنی له سورا خارجیا متینا و احاطه بخندق من المیاه.

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۵۹.

۴- ری سامراء ۱/ ۱۰۱.

و یمکن القول ان سبب انشاء ثکنات الجیش و اصطبلاته فی الجانب الآخر من دجله هو نفس السبب الذی حمل المعتصم باللّه علی الانتقال من مدینه بغداد و العمل علی تأسیس مدینه جدیده تتسع لفصل مساکن الجند و ثکناتهم عن غیرهم من الناس، و عزل أقسام الجیش بحسب عناصرهم و اسکانهم متباعدین عن بعضهم، لکی یتلافی قیام المشاکل التی حدثت فی مدینه السلام.

و یظهر ان الاغراض التی توخاها المعتصم باللّه من احیاء نهر الاسحاقی کانت توفیر المیاه للمعسکر الواسع، و ان یقیم من مجراه خندقا علی محاذاه سوره الخارجی زیاده فی تحصینه بهذا الحاجز المائی الذی یحول دون الوصول الیه، و ذلک بحسب القواعد العسکریه التی کانت متبعه آنذاک.

لقد دلت التنقیبات التی اجریت فی اطلال معسکر الاصطبلات علی انه کان یتألف من مستطیل صغیر طوله (۵۰۰) م و عرضه (۲۱۵) م یتصل بمستطیل کبیر طوله (۱۷۰۰) م و عرضه ۵۵۰ م.

و ان المستطیل الصغیر کان مقسما الی سلسله من الأحواش. اما المستطیل الکبیر فکان مقسما الی ثلاثه اقسام متساویه تفصل بینها أسوار شبیهه بالاسوار الخارجیه للمعسکر. و ان المربع الشرقی من هذه الاقسام کامل البناء، اذ یشاهد فیه شارعان رئیسان یتقاطعان عند منتصفیهما باتجاه عمودی علی جدران السور و علی الشوارع الاربعه التی تمتد علی طول الاسوار. و تنقسم المربعات الاربعه المتکونه علی اضلاع هذین الشارعین المتعامدین الی اقسام عدیده بشوارع طولیه و عرضیه کلها متعامده او متوازیه. اما المربعان الآخران فأن الأوسط منهما قلیل البناء، و الغربی خال من البناء لا یری فیه سوی خطوط الشوارع(۱).

۱- سامراء لمدیریه الآثار العامه/ ۷۳- ۷۴.

و من الواضح ان (الاصطبلات) كان معسكرا كبيرا يحتوى على ثكنات الجنود و دور الضباط و ساحات للخيم. كما كان يضم و لا ـ شك اصطبلات واسعه لدواب الجند، مع ساحات للتدريب، و مخازن للاسلحه و المؤن، و مرافق اخرى مما تحتاجه المعسكرات عاده. فقد بنيت فيه من الثكنات ما يكفى لسكن (۲۵۰) الف جندى، و من الاصطبلات ما يكفى لايواء (۱۶۰) الف حصان(۱).

و كان يحيط بالمعسكر سور خارجي يبدأ من الشمال من حافه نهر دجله الغربيه فى المكان المعروف باسم «تل بندرى» و يمتد على مسافه (۲۶) كيلومترا غربى المعسكر، ثم ينتهى جنوبا عند حافه دجله الغربيه عند التل المسمى «تل مسعود» الواقع على بعد (۱۳) كيلومترا جنوبى تل بندرى. و كان هذا السور محصنا بابراج عديده فى المداخل الرئيسه للمعسكر و فى المنعطفات. و من جمله هذه الابراج البرجان الواقعان فى اول السور عند تل بندرى و فى منتهاه عند تل مسعود، و كانت المياه تحيط بالمعسكر الذى تبلغ مساحته (۵۸) كيلومترا مربعا من جميع جوانه. فنهرا دجله و دجيل يحدانه من الشمال و الشرق، و نهر الاسحاقى يحده من الغرب و الجنوب. و كان الاسحاقى اضافه الى احاطته سور المعسكر بحاجز مائى كخندق امامه، يمون المعسكر بحاجاته من المياه.

و لتحقيق هذا الغرض كانت هناك ثلاثه فروع رئيسه له، تتفرع من ضفته اليسرى فتخترق المعسكر، ثم يصب بعضها فى نهر دجله و بعضها فى نهر دجيل. و يتفرع الأول و هو الشمالى من نقطه تقع على بعد كيلومترين تقريبا جنوبى شرقى المدخل الرئيس للمعسكر فى القسم الشمالى من السور، ثم يصب فى دجله. و يتفرع الاوسط من موضع يبعد حوالى كيلومترين جنوبى شرقى صدر الفرع

۱- مختصر تاريخ العرب/ ۲۴۸.

الشمالی و یخترق السور من تحته و یتجه الی الثکنات، و بعد ان یخترقها یصب فی دجله ایضا. و کان هناک ناظم خاص انشی ء علی نهر الاسحاقی جنوبی صدر هذا النهر مباشره لحجز المیاه امام الناظم و تحویلها الیه بمنسوب عال. و یشتمل هذا الناظم علی ثلاث فتحات لا تزال آثارها ظاهره. اما الفرع الثالث و هو الجنوبی فانه یتفرع جنوبی الناظم المذکور بکیلومتر و نصف تقریبا، و یسیر بین الاسحاقی و سور المعسکر، ثم یدخل المعسکر من تحت السور و یخترق قسمه الجنوبی الشرقی لیخرج من تحته ایضا الی خارج المعسکر. و بعد ان یخترق جدار المطبک و خندقه، و هو جدار قدیم ضخم مدعم بابراج، یتجه نحو نهر دجیل فیصب فیه علی مسافه اربعه کیلومترات من مقدم مصب نهر الاسحاقی فی نهر دجیل. و کما انشی ء ناظم علی الاسحاقی لحجز المیاه امامه و تحویلها الی هذا الفرع، فقد انشی ء ناظم خاص فی فوهه هذا الفرع لتنظیم المیاه التی تدخل فیه. و یستدل من آثار الناظمین المذکورین ان ناظم الاسحاقی یتألف من فتحتین، و ناظم صدر الفرع یتألف من فتحه واحده. و نظرا لسعه مساحه المعسکر و وفره المیاه فقد استعملت مساحه کبیره منه لاحداث مراع اصطناعیه لجیاد الجیش، فکانت الاراضی المخصصه للمرعی تغمر بمیاه فروع الاسحاقی(۱).

و الاسحاقی نهر قدیم یعود الی عصور سحیقه، کان فی اوله یتفرع من الضفه الیمنی لنهر دجله عند تکریت و یسیر جنوبا حتی ینتهی عند منخفض عقرقوف، بعد ان یروی القسم الأعظم من اراضی الجزیره الممتده بین دجله و الفرات شمالی سامرا. و قد اتت علیه عادیات الزمن فاهمل و اندثر، الا ان آثار مجراه کانت واضحه. و عند ما شعر المعتصم باللّه بحاجه الجانب الغربی من

۱- ری سامراء ۱/ ۹۴- ۹۹.

سامراء الی مزید من المیاه لری المزارع و البساتین الواسعه، اشیر علیه باحیاء النهر المندرس المذکور، فکلف رئیس شرطته اسحاق بن ابراهیم الخزاعی بان یتولی الاشراف علی المشروع، فانفق علیه کثیرا من المال حتی عادت الیه الحیاه، و عادت المیاه تجری فیه، و لذا سمی النهر الجدید باسمه.

و بعد ان هجرت سامرا و امتد الیها الخراب استمر نهر الاسحاقی یروی المناطق المذکوره فی الجانب الغربی من دجله.

فقد اشار الیه سهراب (المتوفی سنه ۲۹۰ ه) فی کتابه بقوله:

«یحمل من دجله من غربیها نهر یقال له الاسحاقی اوله اسفل من تکریت بشی ء یسیر، یمر فی غربی دجله، علیه ضیاع و عمارات، و یمر بطیرهان و یجی ء الی قصر المعتصم المعروف بقصر الجص و یسقی الضیاع التی هناک فی غربی مدینه سر من رأی المعروفات بالأوله و الثانیه و الثالثه و الی السابعه، و یصب فی دجله بازاء المطیره»(۱).

۶- جسر سامرا:

بالنظر لوجود معسکرات الجیش فی الجانب الغربی من سامرا، و لقیام العمران فیه، اصبح من الضروری ربط جانبی المدینه بجسر یسهل للناس الانتقال بینهما، و قد بادر المعتصم بالله فور فراغه من بناء الجانب الشرقی من دجله، و هو جانب سر من رأی، الی عقد جسر الی الجانب الغربی من دجله(۲). و من المؤسف ان المصادر الأولیه لا تزودنا بمعلومات وافیه عن هذا الجسر من حیث نوعیته و هل کان ثابتا قد بنی بالحجر ام کان طافیا علی السفن.

و لا تتضمن تلک المصادر سوی اشارات عابره. فقد اشار المسعودی عند خروج المعتصم باللّه لحرب الروم فی سنه (۲۲۳ ه) الی هذا

۱- عجائب الاقالیم السبعه/ ۱۲۷.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۳.

الجسر بقوله: «فخرج المعتصم من فوره ... فعسکر فی غربی دجله .. و نصبت الأعلام علی الجسر»(۱). و یظهر ان الناس کانوا متحمسین لحرب الروم و متفائلین بهذه الحمله فرفعوا الاعلام فوق الجسر اظهارا لتأییدهم الخلیفه فی خروجه للحرب علی رأس الجیش العربی. و یذکر الطبری هذا الجسر فی حوادث سنه (۲۴۹ ه) بقوله: «و تحرکت المغاربه فی هذه السنه .. و کانوا یجتمعون قرب الجسر بسامرا»(۲). و یذکره ایضا فی حوادث سنه (۲۵۴ ه) عند ما حاول بغا الشرابی الوثوب بالمعتز باللّه، فدخل سامرا لیلا بطریق دجله «فصار الی الجسر فی الثلث الأول من اللیل، فلما قارب الزورق الجسر. خرج بغا فی البستان الخاقانی»(۳).

و یشارکه فی ذلک ابن الأثیر فی تاریخه(۴). و لا یستخلص مما رویناه سوی انه کان هناک جسر فی سامرا فی اثناء الحوادث المذکوره، و انه قریب من الجوسق الخاقانی.

لقد اقام المعتصم باللّه الجسر فی الموضع الواقع امام القصر الهارونی الذی شید فی عهد الواثق باللّه. و لا تزال بقایا هذا الجسر یمکن مشاهدتها علی الجانب الغربی من مجری نهر دجله الحالی، و قد نصبت مضخه ماء علی سقف احد الطیقان الضخمه المتبقیه من آثار الجسر المذکور. و ان قول الیعقوبی «ان المعتصم عقد جسرا» معناه انه بناه علی شکل الجسور ذات العقود او الطیقان المألوفه(۵). و یستخلص من تدقیق بقایا الجسر المذکور ان عرضه کان حوالی (۱۶) مترا مما یدل علی ضخامه بنائه و عظمه تصمیمه(۶).

۱- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۶۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۸۰.

۴- الکامل ۷/ ۱۸۷.

۵- ری سامراء ۱/ ۷۴.

۶- نفس المصدر ۲/ ۶۰۰.

الفصل الثالث سامرا فی عهد المتوکل علی اللّه

۱- عمران سامرا فی عهد الواثق باللّه:

اشاره

کـان الواثق بالله یختلف عن ابیه المعتصم باللّه فی کثیر من صـفاته و سـجایاه، و هو بعمه المأمون اشـبه. و یقول صاحب الـذهب المسـبوک ان المأمون هو الـذی رباه فتقبل افعاله(۱). فقـد کـان بعیـدا عن الروح العسـکریه و حیاه الخشونه، میالا الی الاداب و العلوم و المنـاقشه فی المجـالس الادبیه و العلمیه، و فنانا بطبیعته مولعا بالشـعر و الغناء و التلحین. و مع ان اهتمامه بعمران حاضـره الخلاـفه سـامرا التی اسسـها ابوه و انفق علیهـا اموالاـ طـائله، لم یبلغ درجه اهتمـامه بمـا یتفق و میوله، فانه اسـتمر فی السـکنی بها باعتبارهـا عاصـمه الـدوله العربیه و» کـان قـد انتقل من قصور ابیه و بنی له قصـرا علی شط دجله یقال له الهارونی»(۲)، و اتخذه سکنا له الی حین وفاته فدفن فیه(۳). و زاد فی الاقطاعات، ای انه اقطع الناس اراضی جدیده لبناء مساکن لهم و اسواق، مما ادی الی توسع المدینه

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۴، و فتوح البلدان/ ۲۹۵، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

۳- الطبری ۹/ ۱۵۱، و فتوح البلدان/ ۲۹۵، و الکامل ۷/ ۳۰.

و ازدیاد العمران فیها و زیاده سکانها. کما انه زاد فی الأسواق لتلبیه حاجات سکان المدینه، و وسع الغرض التی کانت علی دجله لتستوعب السفن التی تردها من الموصل و بغداد و واسط و البصره(۱). مما کان عاملا مهما فی تنشیط التجاره و توسعها.

ان ما اهتم به الواثق باللّه من عمران سامرا علی قتله، شجع الناس علی البناء و التعمیر فی المدینه، لا سیما تجدید مساکنهم و عماراتهم فاحکموها و اتقنوها لما علموا ان سامرا قد صارت مدینه عامره، و کانوا قبل ذلک یسمونها العسکر(۲).

تشیید القصر الهارونی:

کان الواثق باللّه قد اختار موضعا لبناء قصره الهارونی علی شاطی ء دجله فی الجهه الشمالیه الغربیه من دار الخلیفه، و قد بنی له مسناه قویه(۳). و جعل فیه مجالس فی دکه شرقیه و دکه غربیه، و کان من احسن القصور(۴). و قد انتقل الیه. و تکاد مصادرنا الاولیه تخلو من ذکر شی ء مهم عن هذا القصر الا النزر الیسیر و لا سیما من حیث سعته و ما یحتوی علیه من مبان و مرافق اخری.

فقد اشار الطبری فی حوادث سنه (۲۲۹ ه) عرضا الی وصف احد اروقه القصر، قال: «ذکر عن عزون بن عبد العزیز الانصاری انه قال: کنا لیله فی هذه السنه عند الواثق فقال: لست اشتهی اللیله النبیذ، و لکن هلموا نتحدث اللیله، فجلس فی رواقه الأوسط فی الهارونی فی البناء الأول الذی کان ابراهیم بن رباح بناه. و قد کان فی احد شقی ذلک الرواق قبه مرتفعه فی السماء بیضاء، کأنها

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- نفس المصدر.

۳- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۰.

۴- کتاب البلدان/ ۲۶۴، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۸.

بیضه الا ـ قـدر ذراع، فیمـا تری العین، حولهـا. فی وسـطها ساج منقوش باللازورد و الـذهب، و کانت تسـمی قبه المنطقه، و کان ذلک الرواق یسمی رواق قبه المنطقه»(۱).

کمـا ورد ذکر الهـارونی فی بعض الاحـداث التی وقعت فی سـامرا بعـد الواثق بـاللّه. فعنـد ما قبض المتوکل علی اللّه علی وزیره محمد بن عبد الملک الزیات فی سـنه (۲۳۳ ه) و أمر باستصـفاء امواله و املا ـ که، صـیر مـا قبض مما فی منزله من متاع و جوار و غلمان و دواب فی الهارونی(۲). ای فی قصر الخلیفه، لأنه عند ما ولی الخلافه اقام به و بنی به ابنیه کثیره(۳). و لما توفی المنتصر باللّه اجتمع القواد الاتراک فی الهارونی و فیهم بغا الکبیر و بغا الصـغیر و اوتامش و اصـحابهم، لانتخاب من یخلفه(۴). و عند ما ثـارت العـامه اثر مبـایعه المسـتعین بـاللّه و نـادوا بخلافه المعتز «دخلوا دار العامه منصـرفین الی الهارونی فانتهبوا الخزانه التی فیها السلاح و الدورع و الجواشن»(۵). و یظهر انه کان قد اتخذ مستودعا للاسلحه.

تقع اطلال القصـر الهارونی فی الموقع المعروف بالکویر علی شاطی ء دجله الشـرقی، و لا تزال بقایا الـدکتین الضـخمتین ظاهره یمکن مشاهدتها علی شاطی ء دجله الشـرقی الحالی فی موضع الکویر المذکور. و قد اشـتهر آجر هذا القصـر و مسـناته بالکبر و الضخامه حتی صار یضرب به المثل فی سامراء الحدیثه فیقال آجر الکویر.

و کـان الجسـر الـذی اقـامه المعتصم بـاللّه علی نهر دجله یقع امـام القصـر الهارونی تماما. الا ان معالم القصـر تکاد تزول بسـبب تهافت اهل

۱- الطبری ۹/ ۱۲۵.

۲- نفس المصدر/ ۱۵۸.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۶، و الکامل ۷/ ۱۱۷.

۵- الطبری ۹/ ۲۵۷.

مدینه سامراء علی اقتلاع الآجر من جدرانه و البلوغ فی ذلک حتی اسسها(۱).

و من بقایا القصر الهارونی قاعده الحوض الکبیر و قد نقلت من بین انقاضه الی دار الآثار العربیه(۲).

و عند ما اتم الواثق باللّه بناء القصر الهارونی مدحه الشاعر علی بن الجهم واصفا بعض معالم الهارونی، بقصیده منها قوله:(۳):

بان بقرب الخلیفه التحف محل صدق و روضه أنف

دار تحار العیون فیها و لا یبلغها الواصفون ان وصفوا

لم تنتسب قبله الی احدو لا تحلت من الألی سلفوا

البحر و البر فی یدی ملک تشرق من نور وجهه السدف

اختاره اللّه للامام الذی ینصف من نفسه و ینتصف

قد علم الناس ان بالملک الواثق بالله یشرق الشرف

تبارک الجامع القلوب علی طاعته و القلوب تختلف

۲- توسیع مدینه سامرا:

اشاره

کان المتوکل علی اللّه مثل ابیه المعتصم باللّه یحب البناء و العمران کثیرا، و قد تفوق علیه فیما اسسه بسامرا من القصور و المتنزهات، و ما شقه من الترع و الجداول، و ما بذله من الاموال الطائله علی ذلک. فقد کان میالا للبذخ مسرفا بطبیعته، و لهذا

۱- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۰.

۲- نفس المصدر.

۳- کامل القصیده فی دیوان علی بن الجهم/ ۱۴- ۱۶.

«لم تكن النفقات فی عصر من الأعصار و لا وقت من الأوقات مثلها فی ایامه»(١). و کانت فاتحه اعماله العمرانیه توسیع مدینه سامرا، فشق شارعین جدیدین فی ناحیتها الشرقیه موازیین لشوارعها الکبیره الاخری، هما شارع الأسکر و شارع الحیر الجدید. و بنی فیها عددا کبیرا من القصور التی کانت زینه لها اکملت بهاءها بحیث بلغت اوج عمرانها فی عهده.

و یعتبر بناء الجامع الکبیر فی آخر الحیر، و شق الشوارع الفرعیه الثلاثه التی توصل الیه من المدینه، و اقامه الاسواق و الحوانیت لمختلف التجارات و الصناعات علی جوانب هذه الشوارع، اهم ما ادی الی توسیع المدینه. اذ قامت علی هذه الشوارع شکلک و قطائع للسکنی. فقد اقطع المتوکل علی اللّه الکاتبین نجاح بن سلمه و احمد بن اسرائیل، و محمد بن موسی المنجم و اخوانه، و جماعه من الکتاب و القواد و الهاشمیین و غیرهم فی آخر الشوارع المذکوره مما یلی قبله الجامع، و بذلک اتسعت علی الناس المنازل و الدور کما اتسع اهل الاسواق(٢).

و یلاحظ اهتمام المهندسین آنذاک بفتح الشوارع الفرعیه و الدروب التی توصل بین الشوارع الرئیسه فی المدینه. و لا یخفی ان ذلک یتیح لأکثر المساکن ان تکون و اجهاتها علی تلک الشوارع و الدروب، و یسهل الاتصال بین قطائع السکان و الأسواق، اضافه الی تخفیف الزحام داخل المدینه.

اما الشارعان اللذان امر المتوکل علی الله یفتحهما فی شرقی سامرا فهما شارع الأسکر و شارع الحیر الجدید. و یعرف شارع الأسکر بشارع صالح العباسی لأنه ینتهی عند داره التی کانت علی وادی ابراهیم بن رباح. و هو یبدأ من المطیره و ینتهی عند حائط

١- مروج الذهب ۴/ ١٢٢.

٢- کتاب البلدان/ ٢۶۵- ٢۶۶.

الحیر. و قامت علیه قطائع العسکر الاتراک و الفراغنه فی دروب منفصله عن بعضها. و تلیها قطائع القواد و الکتاب و الوجوه من الناس(۱). و یبدو ان المتوکل علی اللّه قد انتهج سیاسه ابیه فی عزل مساکن الجند عن بقیه الناس و توزیعهم بحسب انتماء آتهم منفردین بعضهم عن البعض. و لعل ازدیاد عدد الجند کان سبب فتح هذا الشارع لتقوم قطائعهم علی جانبیه، و لهذا سمی بشارع الأسکر او العسکر.

و یقع شارع الحیر الجدید شرقی الشارع السابق و موازیا له. و قد سمی بالجدید تمییزا له عن شارع الحیر الذی فتح عند تأسیس المدینه فی ایام المعتصم باللّه. و قد اقطعت السکک علی جانبیه لعدد من قواد الفراغنه و الاشروسنیه و الاشتاخنجیه و غیرهم من الأعاجم، و اخلاطا من الناس، و کان ینتهی عند حائط الحیر ایضا(۲).

و صار بذلک عدد شوارع سامرا الموازیه لنهر دجله سبعه شوارع، اولها شارع الخلیج فی الجهه الغربیه من المدینه علی ضفاف دجله مباشره و آخرها شارع الحیر الجدید فی الجهه الشرقیه لها. و کانت الشوارع الأربعه من جهه الشرق، و هی شارع الحیر و شارع برغاش و شارع الأسکر و شارع الحیر الجدید، تسمی «طرق الحیر» لأنها کانت تنتهی عند حائط الحیر(۳).

و کان من اجراءات المتوکل علی الله فی توسیع مدینه سامرا جنوبا، انه انزل ابنه ابراهیم المؤید بالمطیره، و انزل ابنه المعتز خلفها مشرقا بموضع یقال له بلکوارا و کان قد بنی قصرا فسیحا هناک. فاتصل البناء من بلکوارا جنوبا الی آخر الموضع المعروف بالدور شمالا، مسافه اربعه فراسخ(۴).

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۲- ۲۶۳.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۲- ۲۶۳.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۰۶.

۴- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

الطراز الحيرى فى البناء:

بلغ من حب المتوكل على اللّه للبناء و اهتمامه به انه احيا طرازا عربيا قديما فيه هو الطراز الحيرى ذو الكمين و الأروقه.

فقد حدثه بعض ندمائه ان احد ملوك الحيره كان احدث بنيانا على صوره الحرب و هيئتها، للهجه بها و ميله اليها و لئلا يغيب عنه ذكرها. فكان الرواق و فيه مجلس الملك يعتبر الصدر، و الكمان ميمنه و ميسره و فيهما اقرب خواصه اليه، و فى اليمين خزانه الكسوه، و فى اليسار خزانه الشراب. و اتبع الناس المتوكل على اللّه فى اتخاذ هذا الطراز من البناء لبيوتهم فى عهده و بعده(۱). كما صار الطراز الحيرى يتخذ فى بناء القصور الكبيره اذ صار لها مقدم و على جانبيه جناحان، و لها ثلاثه ابواب أوسطها الباب الأكبر و الى جانبيه البابان الصغيران(۲). و قد انتقل هذا الطراز من البناء الى بغداد، فكان قصر التاج الذى بدأ المعتضد باللّه بتشييده ببغداد و اكمله ابنه المكتفى باللّه، صوره مكبره للطراز الحيرى اذ كان وجهه مبنيا على خمسه عقود كل عقد يقوم على عشره اساطين، و الاسطوانه خمسه اذرع(۳).

كما نقله الأمير احمد بن طولون الى مصر، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن اعمال ابن طولون العمرانيه فى مصر.

ساحات الفروسيه و السباق:

يظهر من دراسه الخرائط الطوبو غرافيه و الصور الجويه لأطلال مدينه سامرا انه كان فى السهل الممتد شمالى الجامع الكبير، اى غربى ساحه الحير، اربع حلقات كبيره تدور حول مربع

۱- مروج الذهب ۴/ ۸۷.

۲- الحضاره الاسلاميه ۲/ ۱۷۵.

۳- معجم البلدان ۲/ ۵.

مركزى. و قد اثبتت التنقيبات التى قامت بها دائره الآثار القديمه ان هذه الحلقات تتكون من طوقين متوازيين بينهما ساحه عرضها ثمانون مترا، و هما يدوران حول المربع المركزى اربع دورات دون ان تنقطع، و فى المربع المذكور دكه مرتفعه تظهر عليها آثار بنايه من الآجر.

و كانت الدوائر المذكوره ساحه للفروسيه او حلبه للسباق انشئت على شكل مبتكر بديع. و كانت البنايه فى الدكه المرتفعه معده للجوس الخليفه و حاشيته للتفرج و التمتع. اما الساحه الممتده بين الدائرتين المتوازيتين، و الملتويه حول الدكه المذكوره فكانت معده لجرى الخيل و تسابقها. و من الواضح ان هذا الترتيب المبتكر هو ان يجعل طول الدوره الكامله فى هذه الدوائر المتتاليه يزيد على خمسه كيلومترات، بينما لا يزيد بعدها الاعظم عن الدكه على طول الدوره عن (۶۰۰) متر بحيث يستطيع المتسابقون ان يقطعوا على هذه الساحه مسافه خمسه كيلومترات او اضعافها دون ان يبتعدون عن عين الخليفه و اصحابه باكثر من (۶۰۰) متر فى جميع الأحوال، و هو ابتكار يثير الاعجاب و لا ريب. و مما يؤيد ذلك ان هذه الدوائر تقع فى نفس المنطقه التى تشاهد فيها معالم حلبتين آخريين من حلبات السباق، تبدأ احداهما من خلف دار الخليفه، و تبدأ الاخرى من تل العليق. و ان اوضاع هذه الحلبات الثلاث تسوغ الافتراض بأن اقدمها هى التى تبدأ من شرقى دار الخليفه و تتجه شرقا داخل ساحه الحير حتى تنتهى قرب نهر القاطول، و يزيد طول دورتها على عشره كيلومترات و نصف الكيلومتر. فكان طول الدوره يساعد على اجراء سباقات كبيره، غير ان الخيول كانت تتباعد عن الدكه تباعدا كبيرا لا- يترك مجالا- لتتبع حركاتها، فيحرم المشاهد من التمتع بمرآها و هى تتسابق نحو الهدف. اما الحلبه التى تبدأ من تل العليق فليست

واضحه المعالم عدا فی قسمها الأول، و مع هذا فان اتجاه هذا القسم کاف للحکم علی انها کانت طویله جدا. و من الطبیعی ان یساعد ارتفاع التل علی تتبع حرکات الخیول علی هذه المسافات الکبیره، الا ان ذلک کان یتطلب جهدا کبیرا و انتباها شدیدا(۱).

و قد سبقت الاشاره فی البحث الخاص بدار الخلیفه الی هاتین الساحتین، و انهما انشئتا مع الدار المذکوره. اما الساحه التی وصفنا شکلها المبتکر فقد استحدثت بعد الحلبتین المذکورتین، لایجاد حلبه سباق یبقی المتسابقون و خیولهم فیها تحت الأنظار علی الدوام. و یرجح انها من منشآت المتوکل علی اللّه.

اتل العلیق:

یقع هذا التل شمالی الجامع الکبیر، و قطره نحو مائتی متر، و هو یرتفع عن السهل المحیط به بمقدار (۲۵) مترا. و یحیط به خندق عریض دائری یبلغ عمقه نحو ثلاثه امتار. و حوله معالم سور مستدیر یبلغ قطره نحو (۴۵۰) مترا(۲). و فی شمالی التل طریق ینحدر من قمته و یعبر الخندق، و یرجح انه کانت علیه قنطره، و کانت المیاه تصل الی الخندق من القناه التی حفرها المتوکل علی اللّه لایصال الماء الی سامرا(۳).

و یعلل الناس تسمیه التل بروایه یتناقلونها هی ان التل تکون من التراب الذی نقله الجنود الخیاله بعلیق خیولهم. و یروون ان الخلیفه المتوکل علی اللّه اراد ان یظهر ضخامه جیشه و کثره

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۶۳- ۶۵.

۲- نفس المصدر/ ۶۰.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۸.

عـدد فرسـانه بـدليل عيـانى محسوس، فـأمر ان يملأ كل واحـد من جنوده الخياله عليقه بالتراب، ثم يرميه هناك، فتكون التل من التراب الـذى تجمع على هذا الوجه(۱). و جـاء فى خلاـصه الـذهب المسـبوك ان المعتصم بالله هو الـذى امر بعمل تل المخالى المذكور لما جيش الجيوش الى محاصره عموريه(۲). و يحتـج القائلون بالرأى الأول ان اتصال خندق التل بقناه سامرا دليل على انه من عمل المتوكل على اللّه الذى انشأ القناه المذكوره. الا اننا نرى ان ما ذهب اليه صاحب الذهب المسـبوك اقرب الى الواقع لمـا عرف عن المعتصم باللّه من الروح العسـكريه الشديـده و حبه الجيش و عنايته به بحيث انه ترك العاصـمه الى مـدينه اخرى بسـببه، و لهـذا فـان التفاخر بضـخامه الجيش و كثره عـدد فرسانه اجـدر به. اما اتخاذ اتصال خنـدق التل بالقناه دليلا على انه من منشـآت المتوكـل على اللّه، فلا يغير من الواقع شـيئا، لأن ذلك لا يمنع من ان يكون التل موجودا و ان المتوكل على اللّه اوصـل الماء الى الخندق المحيط به.

من المؤكد ان التل اصطناعى و قد كون بطريقه حفر خندق مستدير و تكويم التراب الذى يرفع منه فوق الدائره الباقيه فى داخله. و قد درس هرزفيلد هذا التل خلال تنقيباته فى سامرا و اسـتنتج انه كان على قمته قصـر مربع الشـكل مقسم الى تسع غرف متصله ببعضـها، واحـده منهـا فى الوسـط و اربعه متصـله باضـلاع هـذه الغرفه على شـكل اواوين مفتوحه. و الاربعه الاخرى بين اضـلاع الاواوين المـذكوره. و الغرض من تكوين هـذا التل فى وسط السـهل و تشـييد هـذا القصـر فوقه انما كان للتفرج من محل مرتفع يمتد فيه النظر، لأنه كان يشرف على الحير و على احدى حلبات السباق(۳). و هناك احتمال ان يكون هذا التل قبر احد

۱- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۶۱- ۶۲.

۲- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۲.

۳- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۶۱- ۶۲.

القواد الرومان، و قد استعمل للتفرج على السباق بعد ان شيدت فوقه تلك الحجرات، و مما يجدر ذكره للمقارنه ان هناك مصطبه على الكتف الغربى للقاطول الأعلى حيث تنتهى دوره حلبه السباق، عليها بقايا غرف مماثله تطل على الساحه المنبسطه، يحتمل انها شيدت لغرض التفرج منها ايضا(۱).

الحير:

حائر الحير هو الحائط او السور الذى بناه المعتصم باللّه فى نهايه ابنيه سامرا من جهتها الشرقيه. و كان يمتد على طول الأبنيه من الجوسق الخاقانى حتى المطيره. و قد احتفظ بالسهل الواسع الممتد خلف هذا الحائط من غير بناء ليكون ساحه ترتع فيها الحيوانات و الطيور، و سميت بساحه الحير. و يذكر اليعقوبى انه كلما توسع عمران سامرا شرقا و امتد الى ساحه الحير هدم السور المذكور و بنى آخر بدلا عنه بعد العمران الجديد، و عدد اصنافا من الطيور و الوحوش كالظباء و الحمر الوحشيه و الأيائل و الارانب و النعام و غيرها، مما كان محجوزا فى الساحه المذكوره(۲).

و عند ما توسع المتوكل على اللّه فى العمران شرقى سامرا انشأ حائطا جديدا على الحدود الجديده للبناء الذى اقيم فى ظهر شارع الحير الجديد، بعد ان اقتطع جزءا كبيرا من ساحه الحير، و جعل لهذا الحائط بابا رئيسا عرف بباب الحير، جنوبى الجامع الكبير ممايلى الجوسق، ليوصل بين الساحه و المدينه. و قد ورد ذكر الحير و بابه فى عدد من الأحداث المهمه التى وقعت فى ايام الخليفه المهتدى باللّه. فقد ذكره الطبرى فى حوادث السنه (۲۵۶ ه) عند ما

۱- المرشد الى مواطن الاثار و الحضاره- (سامراء)/ ۱۸.

۲- كتاب البلدان/ ۲۶۳.

صـار القائـد موسـى بن بغا الى باب الحير و عسـكر هناك قرب دار القائـد التركى ياجور(۱). و عنـد مـا القى القبض على القائد صالح بن وصيف اخرج من باب الحير ليذهبوا به الى الجوسق(۲).

و عنـد ما عزم المهتدى باللّه على حرب الأتراك خرج الى الحير و عرض الناس و امر ان تضـرب الخيام و المضارب فى الحير، و عبأ اتباعه لمواجهه الأتراك(۳).

ان المتوكل على اللّه وسع الحير نحو الشـرق و انشأ فيه حديقه واسـعه للحيوانات تزيد مساحتها على عشرين الف دونم، و احاطها بسور بلغ طوله حوالى ثلاـثين كيلومترا. و قـد جمعت فيها اصـناف الحيوانات البريه من الوحش و الطير، كان بعضـها حرا طليقا و بعضـها حبيسـا فى الأقفـاص. و للشـاعر البحـترى قصـيده يمتـدح فيهـا المتوكـل على اللّه و يشـير الى حير الوحش و يقـدر عـدد الوحوش فيه بالفين، و يقول انها كانت تألفه و تخضع له، و يذكر نهر نيزك الذى يروى متنزه الحير، جاء فيها(۴):

خليفه اللّه ما للحمد منصرف الا الى نعم أصبحت توليها

فلا فضيله، الا انت لابسهاو لا رعيه، الا انت راعيها

ملك كملك سليمان الذى خضعت له البريه: قاصيها و دانيها

۱- الطبرى ۹/ ۴۳۸- ۴۳۹.

۲- نفس المصدر/ ۴۵۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۶۵.

۴- ديوان البحترى- طبعه بيروت ۱/ ۴۵- ۴۶.

و طاعه الوحش اذ جاءتک من خرق أحرى، و أدمانه کحل مآقیها(۱)

کالکاعب الرود یخفی فی ترائبهاروع العبیر و یبدو فی تراقیها

الفان وافت، على قدر مسارعهالى قبول الذى حاولته فیها

ان سرت سارت و ان وقفتها وقفت صورا الیک، بالحاظ توالیها

یرعن منک الى وجه یرین له جلاله یکثر التسبیح رائیها

حتى قطعت بها القاطول و افترقت بالحیر فی عرصه فسح نواحیها

فنهر نیزک ورد من مواردهاو ساحه التل مغنى من مغانیها

و قد انشى ء فی الطرف الجنوبی لهذا المتنزه الواسع قصرا یشرف على برکه ماء واسعه ینتهی الیها نهر نیزک، و عرف هذا القصر باسم قصر الدکه. و کان طوله (۱۶۵) مترا و عرضه (۱۲۵) مترا، ای ان مساحته کانت تربو على عشرین الف متر مربع.

و یرجح الدکتور احمد سوسه، ان هذا القصر کان یعرف بقصر الساج ایضا، و ان البرکه التی امامه هی البرکه الحسناء التی وصفها البحتری و تغنى بجمالها و روعه الریاض التی تحتها(۲).

۱- الخرق: المدهوش من خوف او حیاء. و الادمانه: الطبیه التی لونها مشرب بیاضا.

۲- ری سامراء ۲/ ۲۹۹.

و توجد فی الرکن الجنوبی لقصر الدکه اطلال بنایه واسعه طولها (۴۰۰) متر و عرضها (۲۶۵) مترا، یری الدکتور سوسه انه یحتمل ان تکون هذه الأطلال من بقایا قصر البدیع الذی بناه المتوکل علی اللّه، لأن البحتری اقترح فی احدی قصائده فی مدح المعتز باللّه، ان یمد فرع قناه سامرا الذی شقه المتوکل علی اللّه لتموین قصر الدکه بالماء، و یوصله الی قصر البدیع و منه ینهیه الی دجله قرب الجوسق، اذ یقول:(۱).

الحقه یا خیر الوری بمسیره و امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البدیع فانماانزلت دجله فی فناء الجوسق

و هو یرجح ایضا ان قصری الصبیح و الملیح اللذین بناهما المتوکل علی اللّه یقعان فی هذا المتنزه ایضا. و هو یستند فی ذلک علی وصف البحتری الوارد فی احدی مدائحه التی قالها فی المتوکل علی اللّه، و ذکر فیها القصرین المذکورین و البرکه الحسناء، التی قال فیها:(۲)

و استتم الصبیح فی خیر وقت فهو مغنی انس و دار مقام

ناظر وجهه الملیح فلو یستطیع حیاه معلنا بالسلام

ألبسا بهجه و قابل ذا ذاک فمن ضاحک و من بسام

۱- نفس المصدر ۱/ ۱۲۵.

۲- نفس المصدر ۲/ ۳۰۳ و القصیده فی دیوان البحتری ۳/ ۲۰۰۴- ۲۰۰۷.

حتی یقول:

مستمد بجدول من عباب الماء کالأبیض الصقیل الحسام

و اذا ما توسط البرکه الخضراءألقت علیه صبغ الرخام

فتراه کأنه ماء بحریخدع العین و هو ماء غمام

علی ان تأیید ذلک یتوقف علی ما ستسفر عنه التنقیبات و التحریات التی ستجریها دائره الآثار القدیمه علی الاطلال و الآکام المشار الیها. علما ان الدائره المذکوره لا تری رأی الدکتور سوسه فی موضوع البرکه، و تری انها برکه القصر الجعفری الذی شیده المتوکل علی اللّه فی مدینه المتوکلیه، و ان البرکه التی فی حدیقه الحیوانات من عمل المعتصم باللّه عند ما بنی قصره علی القاطول قبل انتقاله الی سامرا(۱).

۳- مشاریع الری فی عهد المتوکل علی اللّه:

اشاره

تم فی عهد المتوکل علی اللّه ثلاثه مشاریع مهمه لری سامرا و ما حولها، هی: قناه سامرا او قناه المتوکل علی اللّه، و نهر النیزک، و النهر الجعفری. و سنلقی نظره سریعه علی کل من قناه سامرا و نهر النیزک، اما النهر الجعفری فنرجی ء البحث فیه الی موضوع انشاء مدینه المتوکلیه لأنه انشی ء لایصال المیاه الیها.

قناه سامرا:

کان من جمله المشاکل التی واجهت مدینه سامراء منذ تأسیسها ان ارتفاع الضفه الشرقیه لنهر دجله التی قامت علیها المدینه

۱- نفس المصدر ۲/ ۳۱۲.

اولا، حال دون توفر المیاه للشرب و للری الا بالواسطه. و قد اعتمد الناس فی شربهم علی حمل المیاه الیهم فی الروایا علی الأبل و البغال، و هذا ما دفع المعتصم باللّه الی اعمار الجانب الغربی من المدینه، لأن ارضه منخفضه عن مستوی النهر و یسهل اسقاؤها سیحا، مما یساعد علی التوسع فی الزراعه. و قد اشرنا الی احیائه نهر الاسحاقی الذی صار محور العمران فی هذا الجانب من المدینه.

و یظهر ان المتوکل علی الله صرف همته الی توسیع مدینه سامرا فی الجانب الشرقی منها رأی ان یبدأ بتوفیر المیاه الکافیه لها قبل کل شی ء. و لهذا کان اول مشاریعه الاروائیه حفر قناه تؤمن ایصال الماء الی هذا الجانب من المدینه بطریقه الری الجوفی المعروف بری الکهاریز. و اشتمل مشروعه علی کهریزین ضخمین یستعمل احدهما فی الشتاء و الآخر فی الصیف. و هما یستمدان المیاه من نهر دجله شمال الدور، فیسیران جنوبا حتی یصلا العاصمه. و قد مدت هذه القناه جنوبا لتصل الی المطیره فالقادسیه(۱).

و الکهریز مجری ماء علی شکل نفق تحت الأرض لسحب المیاه الجوفیه من العیون و نقلها الی الاراضی الزراعیه سیحا، و ذلک بحفر آبار علی مسافات معینه علی طول النفق لرفع اتربه المجری بواسطتها و لاستخدامها کنوافذ هوائیه للنفق و للنزول الیه اذا ما اقتضی تنظیفه من الترسبات و العوائق التی تحول دون جریان الماء فیه. و تحفر الآبار عاده بانحدار تدریجی من بئر الی اخری ادنی مستوی منها، لیتسنی للمیاه الجریان الی الجهه المطلوبه. و تغطی هذه الآبار بابواب لمنع تسرب الاتربه الی المجری. و تختلف المسافه بین بئر و اخری حسب طبیعه الأرض، و هی تتراوح بین خمسه

۱- ری سامراء ۱/ ۲۷۰- ۲۷۲.

امتار و عشرين مترا. و تكون هذه الآبار عاده باتجاه واحد، و هى تدل على اتجاه الكهريز و طوله. و من الطبيعى ان يختلف طول الكهريز باختلاف طبيعه سطح الارض و عمق المياه الجوفيه.

لقد تسنى للمتوكل على اللّه بواسطه هذه القناه ان يوصل المياه الى البركه الكبيره التى كانت خلف دار العامه، و هى المعروفه ببركه السباع. ثم الى البركه الثانيه التى تقع شمالى غربى البركه السابقه. و الى ساحه السباق الواسعه التى انشأها من جهه الحير، و الى خندق تل العليق المشرف عليها. كما انه وفر الماء الكافى للجامع الكبير و لاسيما لنافورته التى لا ينقطع ماؤها.

نهر نيزك:

اراد المتوكل على اللّه ان يوسع حير الحيوانات خارج مدينه سامرا شرقا، فى المنطقه الكائنه بين القاطول الاعلى و القاطول الأسفل المسمى بنهر القائم، و ذلك بعد ان ضم جزءا كبيرا من اراضى الحير الذى انشأه المعتصم باللّه، الى مدينه سامرا عند ما وسعها نحو الشرق بفتح الشوارع الجديده و توزيع الاراضى التى اقطعها لبناء المساكن، و بناء الجامع الكبير. الا ان المنطقه التى اختارها لتكون حديقه واسعه للحيوانات و متنزها كبيرا لأهل سامرا، تحتاج الى مزيد من المياه الدائمه الجريان. فعمد الى احياء نهر القادسيه القديم الذى كان يتفرع من الضفه اليمنى للقاطول الأعلى، من موضع يبعد عن صدره بثلاثين كيلومترا و ينتهى عند منطقه المشرحات فيخترق المنطقه المذكوره و يرويها.

و هى المنطقه التى كان الخليفه هارون الرشيد بنى فيها قصرا لنزهته. و كان نهر نيزك ينتهى عند البركه التى انشأها المتوكل على اللّه فى هذا المتنزه. و لكى يؤمن استمرار تدفق المياه فى النهر الجديد اقيم ناظم على نهر القاطول ليرفع مناسيب المياه

فیه حتی یتدفق الی النهر المذکور الذی سمی بنهر نیزک. و بذلک أمن ارواء منطقه الحیر الجدید الواسع و حدائقه سیحا.

و کانت تتفرع من نهر نیزک عده فروع من ضفته الغربیه لتسقی اراضی المطیره و منطقه برکوارا، جنوبی سامرا(۱).

۴- الجامع الکبیر:

مقدمه:

کـان من خطه المعتصم بـاللّه فی بنـاء سـامرا ان یبنی مسـجدا فی کل منطقه سـکنیه، فعنـد ما اقطع کبیر قواده اشـناس و اصـحابه الموضع المعروف بالکرخ امره ان یبنی مع المساکن المساجـد و الأسواق. کما انه انشأ مسـجدا جامعا علی شارع السـریجه، و هو الشـارع الأـعظم، و اختـط الأسواق حوله. و لم یزل یجمع فیه الی ایام المتوکل علی اللّه الـذی تولی الخلافه سـنه (۲۳۳ ه) فضاق علی الناس فهـدمه و بنی مسـجدا جامعا واسـعا فی طرف الحیر. یقول الیعقوبی: «و بنی المسـجد الجامع فی اول الحیر فی موضـع واسع خارج المنازل لا یتصل به شی ء من القطائع و الأسواق، و اتقنه و وسعه و احکم بناءه، و جعل فیه فواره ماء لا ینقطع ماؤها. و جعل الطرق الیه من ثلاثه صـفوف واسـعه عظیمه من الشارع الذی یأخذ من وادی ابراهیم بن رباح، فی کل صف حوانیت فیها اصـناف التجارات و الصـناعات و البیاعات، و عرض کل صف مائه ذراع بالذراع السوداء، لئلا یضـیق علیه الدخول الی المسـجد اذا حضر المسجد فی الجمع فی جیوشه و جموعه و بخیله و رجله»(۲).

۱- ری سامراء ۲/ ۲۸۹.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

یستنتج مما ذکره الیعقوبی ان المتوکل علی اللّه بنی الجامع الکبیر خارج المدینه و مد الیه ثلاثه شوارع توصل بینه و بین الشارع الأعظم فی سامرا، و جعل عرض کل شارع من هـذه الشوارع مائه ذراع سوداء، و تقوم علی جوانبها حوانیت اصـناف التجارات و الصناعات بهدف توسیع المدینه و زیاده اسواقها و متاجرها.

و کانت هذه الشوارع الثلاثه تتفرع من الشارع الأعظم جنوبی دار الخلیفه و القصر الهارونی و قصر الجوسق، و تتجه شرقا حتی تفضی الی الجامع فی جانب الحائط الغربی الذی کانت فیه سبعه مداخل، بعد ان تخترق السور الخارجی للجامع.

یقول البلاذری عن المتوکل علی اللّه: «و بنی مسجدا جامعا کبیرا و أعظم النفقه علیه، و امر برفع منارته لتعلو اصوات المؤذنین فیها حتی نظر الیها من فراسخ، فجمع الناس فیه و ترکوا المسجد الأول»(۱). و جاء فی خلاصه الذهب المسبوک ان المعتصم باللّه «بنی الجامع الکبیر و انفق علی ذلک خمسمائه الف دینار و جعل وجوه حیطانه مرایا بحیث یری القائم فی الصلاه من یدخل من خلفه. و بنی المناره التی یقال انها من احدی العجائب»(۲). و هو لا شک و اهم اذا ما اعتبرنا کتاب البلدان للیعقوبی اقدم المصادر و اوثقها عن سامرا. و ان البلاذری ایده فی روایته، کما ایده یاقوت فی معجمه.

یعتبر المسجد الجامع الذی انشأه المتوکل علی اللّه اروع المنشآت ذات الأثر فی تلک الحقبه من حیاه الدوله العربیه.

و تشاهد آثاره الیوم مع مئذنته الملویه شمالی شرقی مدینه سامراء الحالیه. و تعتبر اضخم و ابرز الأثار الباقیه من مبانی سامرا

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۵ و قد نقل عن البلاذری نفس النص.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

القدیمه. و رغم ان هذا الجامع یشبه المساجد الجامعه الاخری من حیث تخطیطه العام و محتویاته الا انه یمتاز علیها جمیعا بسعه مساحته و ضخامه بنائه، و بمئذنته الملویه. و هو یعد اکبر جامع فی العالم الاسلامی. و کان البدء ببنائه فی سنه (۲۳۴ ه) و الانتهاء منه فی سنه (۲۳۷ ه)(۱). و یذکر یاقوت الحموی ان مجموع ما انفق علی بنائه بلغ خمسه عشر الف الف درهم(۲).

و یتضح من تنقیبات هرزفیلد ان اضلاع السور الخارجی للجامع کانت تبلغ ۳۷۶* ۴۴۴ م، ای ان مساحه المسجد و الزیادات التی فی خارجه تربو علی (۱۷) هکتارا ای اکثر من (۶۸) دونما عراقیا(۳). و یقدر بروکلمان مساحه صحنه الداخلی باربعه و اربعین الف متر مربع، و یقول: «و بحسبنا لکی نکون فکره عن معنی هذا الرقم ان نذکر ان صحن کنیسه القدیس بطرس فی روما یبلغ (۱۵۱۶۰ م ۲)، و صحن ایا صوفیا فی استانبول یبلغ (۶۸۹۰ م ۲)، فی حین لا یزید صحن کاتدرائیه کولون علی (۶۱۲۶ م ۲)(۴).

مخطط الجامع:

یتألف الجامع من اربعه اقسام تحیط بالصحن هی: الحرم و یقع علی الضلع الجنوبیه للجامع، و کان فیه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعه و عشرین صفا من الاعمده فی کل صف منها تسعه اعمده. و ینتهی الرواق الأوسط بالمحراب و هو اعرض قلیلا من الاروقه الاخری. ثم القسم الشمالی المقابل للحرم، و کان فیه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعه و عشرین صفا من

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۹.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۲.

۴- تاریخ الشعوب الاسلامیه ۲/ ۵۱.

الاعمـده فی کـل صف منها ثلاثه اعمـده. و کانت صـفوف هـذه الأعمـده تمتـد علی شـکل خطوط ذات زوایا قائمه الی داخل المسـجد بالنسـبه لجداریه الشـمالی و الجنوبی. و الرواق الأوسط فی هذا القسم اکثر اتساعا من بقیه اروقته. ثم الجانبان الشرقی و الغربی من المسـجد و کـان فی کـل منهما ثلاثه و عشـرون رواقا مؤلفه من اثنین و عشـرین صـفا من الأعمـده فی کل صف منها اربعه اعمـده. و بذلک یبلغ مجموع الأعمده (۴۶۴) عمودا(۱). و هناک اختلاف فی مجموع الأعمـده ناشـی ء من اعتبار البعض عدد صفوف الأعمده فی الحرم عشره اعمده بدلا من تسعه، او من اعتبار عدد صفوف الاعمده فی القسم الشمالی اربعه بدلا من ثلاثه، بحیث یصبح المجموع (۴۸۸) عمودا.

ان جمیع الأعمـده کانت مبنیه بالآجر علی قواعـد مربعه طول ضـلعها (۷۰ ر ۲ م) و ترتفع بشـکل مثمن تـارکه فی کل زاویه من الزوایـا الأربع فسـحه لارتکاز عمود رخامی قطره (۳۰ سم). و کان بعض هـذه الأعمـده الرخامیه اسـطوانیا، و بعضـها مثمنا، و قد ثبتت قطعها باوتاد معـدنیه، و ملئت الثقوب بالرصاص، و احیطت مواضع الأتصال باطواق معـدنیه ایضا. و یبلغ ارتفاع الأعمده من ارضیه الجامع حتی السقف حوالی (۵۰ ر ۱۰ م)، و ینتهی اعلاها بتیجان جرسیه الشکل. و کانت الأعمده الرخامیه بالوان متعدده وجد منها تسعه انواع مختلفه معظمها من المرمر(۲).

و کانت هذه الأعمده تحمل السقف الخشبی للجامع دون ان ترتبط بعقود او طیقان من البناء کما ارتأی الآثاریون(۳). الا

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۷- ۴۸.

۲- العماره العباسیه/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۳- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۸.

انه يظهر ان الفسحه الموجوده بين الأعمده كانت قد سقفت بعوارض، و ان الحفر التى ثبتت فيها العوارض المتقاطعه كانت لا تزال ترى فى الجانب الداخلى للجدار فى عام ۱۹۱۱. كما ان التنقيبات التى اجرتها دائره الآثار القديمه كشفت عن وجود اكتاف من الطابوق و الجص، و ذلك مما يدفع الى القول بان السقف لم يكن يستند مباشره على الأعمده(۱).

المحراب:

اما محراب الجامع فانه يقع فى منتصف الضلع الجنوبيه، و كان قد تهدم و اتخذ شكل باب. غير ان دائره الآثار القديمه كشفت عن معالمه من تحت الانقاض و اعادت بناء القسم الاسفل منه. لاعطاء فكره عامه عن سابق وضعه(۲). و هو تجويف مستطيل الشكل عرضه (۵۹ ر ۲ م) و عمقه (۷۵ ر ۱ م) و هى نفس الأبعاد التى كانت متخذه حينذاك للمحاريب(۳). و كان يحف به من الجانبين زوجان من اعمده الرخام الوردى اللون، و فى اسفل كل عمود و اعلاه قاعده بسيطه مستطيله. و يقوم على العمودين قوسان متحدا المركز يشكلان عقاده المحراب، و ذلك ضمن اطار مستطيل بارتفاع جدار الجامع(۴). و قد عثر بين اللقى على قطع من الفسيفساء المزجج النفيس و المذهب، يرجح انها مما كان يغطى جدران المحراب. و قد اشار المقدسى الى ان حيطان الجامع قد لبست بالمينا(۵). كما اشار الاربلى الى ان وجوه حيطان الجامع

۱- العماره العباسيه/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۲- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۷.

۳- ۷۷۲: Creswell ,E .M .A .P .

۴- رى سامراء ۱/ ۱۱۱.

۵- أحسن التقاسيم/ ۱۲۲.

جعلت من المرایا(۱). و یظهر انهما قصدا بذلک الفسیفساء المزججه و المذهبه المشار الیها. و کان هرزفیلد قد فسر المینا بالموزاییک ای الفسیفساء(۲). و یلاحظ ان المحور الرئیس للمحراب یشیر الی ان اتجاه القبله فیه یقع علی ۱۹۸ درجه و ۳۰ دقیقه علی حین ان القبله تقع علی ۱۹۶ درجه و ۴۶ دقیقه، ای ان اتجاه الجدار یرجع درجه واحده و ۴۴ دقیقه الی الشرق(۳).

و هذا یتفق مع ما یقوله الیعقوبی عن سامرا «و اسمها فی الکتب المتقدمه زوراء بنی العباس و یصدق ذلک ان قبل مساجدها کلها مزوره، فیها ازورار، لیس فیها قبله مستویه»(۴).

و کشف التنقیب عن وجود بابین صغیرین علی جانبی المحراب احدهما عن یمینه و الآخر عن یساره، و هما یؤدیان الی بنایه صغیره کانت قائمه خلف المحراب. و قد قیل عن هذه البنایه انها ربما کانت مکانا لاستراحه الخلیفه اذا جاء للصلاه، لأن قصور الخلفاء فی سامرا کانت بعیده عن المسجد الجامع. کما قد یکون احد البابین قد خصص لدخول الامام المسؤول عن الجامع کی لا یتخطی المصلین من ظهورهم اذا جاء للصلاه بهم(۵).

النافوره:

کان صحن الجامع واسعا فسیحا، و بعد رفع الرکام المتجمع فیه ظهرت فی وسطه آثار تدل علی انه کانت هناک نافوره مدوره کبیره. و قد اشار الیعقوبی الیها فی معرض کلامه عن بناء الجامع

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

۲- ۲۷۷: Creswell ,E .M .A .P .

۳- ری سامراء ۱/ ۲۸۴ ه.

۴- کتاب البلدان/ ۲۶۸.

۵- مجله سومر العددان ۱ و ۲ من سنه ۱۹۶۹/ ۱۴۸.

بقوله «و جعل فیه فواره ماء لاـ ینقطع ماؤها»(۱). و قال یاقوت الحموی ان المتوکل علی اللّه «اشتق من دجله قناتین شتویه و صیفیه تدخلان الجامع و تتخللان شوارع سامراء»(۲). و بذلک تأمن استمرار تدفق المیاه من النافوره.

و قد اظهرت تنقیبات هرزفیلد ان الحوض کان یرتکز علی قاعده اسطوانیه بنیت بالآجر بمونه الکلس و الرماد و کسیت بالرخام. و عثر فی الانقاض المجاوره للنافوره علی قطع من اعمده رخامیه و اجزاء من تیجانها، و زخارف جصیه مذهبه، و قطع من الفسیفساء الزجاجیه. و یرجح من وجود بقایا الأعمده الرخامیه حول قاعده الحوض انه کان ثمه سقف فوق النافوره تحمله هذه الأعمده(۳). و وصف حمد اللّه المستوفی الحوض المشار الیه بأنه کان قطعه واحده من الحجر محیطها (۲۳) ذراعا، و ارتفاعها (۷) أذرع و سمکها نصف ذراع، و کانت تعرف بکأس فرغون(۴).

و اشار المؤرخ ابن الفوطی فی حوادث سنه (۶۵۳ ه) الی انه فی هذه السنه «حملت القصعه المعروفه بقصعه فرعون من سر من رأی الی بغداد فی کلک، و رفعت تحت دار الخلیفه، و کانت عظیمه جدا، فلم تزل حتی سنه (۶۵۷ ه) ثم کسرت»(۵).

و سبق ان ذکرنا ان الحوض الکبیر الذی کان یتوسط الدار المربعه فی جناح الحریم من دار العامه کان من الکرانیت المصری و انه یعود الی عهد الفراعنه، و لذا یمکن القول بان حوض الجامع الکبیر و هو صخره عظیمه مجوفه کان قد جلب من مصر ایضا مع

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۱.

۴- نفس المصدر.

۵- الحوادث الجامعه/ ۳۰۶.

الحوض المذكور او بعده، و من هنا جاءت نسبته الى فرعون فسمى كأس فرعون او قصعه فرعون.

جدران الجامع:

لم يبق من بناء الجامع شى ء قائم غير جدرانه الخارجيه التى تحيط بساحه مستطيله طولها نحو ٢۴٠ مترا و عرضها ١۶٠ مترا، اى ما مساحته (٣٨) الف متر مربع. و هذه الجدران سميكه لا يقل سمكها عن مترين، و يناهز ارتفاعها عشره امتار. و هى مبنيه بناء جيدا متقنا بالآجر و الجص. و تدعمها من الخارج ابراج نصف دائريه عددها اربعون برجا، اربعه منها فى الاركان، و ثمانيه فى كل من الضلعين الشماليه و الجنوبيه، و عشره فى كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه(١). الا ان المخططات التى وضعها الآثاريون ممن عنوا بدراسه بقايا الجامع، مثل بيليه و هرزفيلد و فيوله و كريزويل تتفق فى ان عدد الابراج الواقعه على كل من الجانبين الأطول منه (١٢) برجا، و فى كل من الجانبين الآخرين (٨) ابراج، فيصبح المجموع (۴۴) برجا(٢).

شيدت الابراج المذكوره على قواعد مستطيله من صنفين او ثلاثه من الطابوق، و هى تمس محيط البرج، طولها (٩٠ ر ٣ م) و عرضها (٢۵ ر ٢ م) لأبراج الجوانب. اما ابراج الاركان فيبلغ طول القواعد التى تقوم فوقها (۴۵ ر ۵ م) و عرضها (٢۵ ر ۵).

و معدل قطر ابراج الجوانب (۶٠ ر ٣ م) اما ابراج الأركان فان اقطارها اكبر من ذلك. و يبلغ معدل بروز الابراج جميعا بما فيها ابراج الأركان (١۵ ر ٢ م) من كلا الوجهين، عدا البرجين

١- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۵.

٢- العماره العباسيه/ ١٣٣.

اللذین علی جانبی المحراب فانهما مستطیلان من وجهما الداخلی حتی مستوی قمه الأبواب(۱).

ان الابراج خالیه من النقوش و الزخارف. اما اجزاء الجدران الواقعه بین الابراج فانها مزدانه فی قسمها الأعلی بست خسفات مربعه یظهر فی وسط کل منها خسفه مستدیره تکسب الجدار رونقا و جمالا. و یبلغ قطر الخسفه المستدیره مترا واحدا و عمقها (۲۵ سم) و قد بنی نصفها العلوی علی شکل عقد نصف دائری. و لا یزال قسم من هذه الخسفات تکسوه طبقه من الزخارف الجصیه. و فوق الخسفات بثلاثین سنتمترا یوجد افریز یتکون من صفین من الآجر. و یظهر علی کل جزء من اجزاء الجدار بین الابراج شق شاقولی منتظم لا شک فی انه کان یحتوی علی المواسیر المخصصه لتصریف میاه الامطار مما یتجمع فوق سطح الجامع(۲).

و قد عثرت دائره الآثار العامه فی أثناء التحری و التنقیب فی الجامع علی قطع زجاجیه زرقاء غامقه مربعه الشکل طول ضلع الواحده منها (۵۰ سم) و سمکها (۵ ر ۳ سم) و یبدو انها کانت بالأصل تزین الجزء السفلی من الجدار القبلی داخل الحرم الی ارتفاع متر اعتبارا من تبلیط ارضیه الجامع. و قد لوحظ ان هناک صفین من تلک القطع احدهما فوق الآخر، و تکبس فی الفراغات الحاصله بینهما مساند مدوره من نفس الزجاج لزیاده تماسک القطع الزجاجیه التی کانت مثبته فی القدیم علی ثلاثه صفوف. و ما تزال آثار طبعاتها تشاهد بصوره سلیمه جلیه اسفل الجدار القبلی(۳).

۱- نفس المصدر/ ۱۳۱- ۱۳۳.

۲- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۶.

۳- العماره العباسیه/ ۱۵۰.

ابواب الجامع و نوافذه:

كان للجامع سبعه عشر مدخلا تختلف سعه كل منها باختلاف موقعها. اثنان منها فى الضلع الجنوبيه، و قد سبقت الاشاره الى انهما كانا مدخلين خاصين احدهما للخليفه و الآخر لأمام الجامع.

و قد اختيرت مواقع الأبواب الرئيسه الاخرى بشكل يتفق و نظام اروقه الجامع، و كانت موزعه على جهات الجامع الثلاث الباقيه.

ففى الجهه الشرقيه خمسه مداخل رئيسه عرض كل منها (۹۰ ر ۳ م) باستثناء احدها فقد وسع بعدئذ ليبلغ عرضه (۸۵ ر ۴) م. و فى الجهه الغربيه سبعه مداخل، خمسه منها اصليه انشئت عند بناء الجامع و قد بنيت على غرار مداخل الجهه الشرقيه من حيث مقاييسها و طراز عمرانها، و هى تقابلها تماما. اما المدخلان الآخران فقد اضيفا فى وقت لاحق بناء على الحاجه اليهما بسبب تزايد عدد المصلين و تزاحمهم على الابواب. و كان عرض احدهما (۶۵ ر ۲ م) و عرض الآخر (۲۵۸ ر ۲ م). اما الجهه الشماليه فقد كان فيها ثلاثه مداخل، و اوسطها اوسعها اذ يبلغ عرضه (۹۵ ر ۲ م) و هو يقابل المناره الملويه تماما(۱).

ان جميع الابواب المذكوره مستطيله الشكل، و هى تمتد بواسطه دعامات ترتفع عليها عقود، و فى اغلب الابواب تهدم البناء القائم فوقها، الا انه تبين بعد فحص النوافذ التى بقيت مصانه انه كان هناك عقد مرتفع مسطح يستند على عوارض(۲).

اما نوافذ الجامع فلم تكن كثيره، اذ خلت جدرانه منها عدا القسم الاعلى من الضلع الجنوبيه، اى الجدار القبلى. حيث توجد سلسله من النوافذ تبدو من الخارج كفتحات ضيقه مستقله،

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۹/ ۱۴۶- ۱۴۷.

۲- العماره العباسيه/ ۱۳۹- ۱۴۰.

الا انها تأخذ فی الداخل هیئه شبابیک جمیله. و یتألف کل واحد من هذه الشبابیک من دخله مستطیله الشکل یظهر داخلها عمودان من الآجر یحملان طاقا مکونا من خمس حنایا. و کان عدد هذه النوافذ (۲۴) نافذه، اثنتان منها تقعان فوق البابین الذین علی جانبی المحراب. و یحیط بکل نافذه اطار مستطیل ارتفاعه (۵ ر ۲ م) و عرضه (۹۰ ر ۱ م). و هناک شباکان آخر ان فی جنوبی کل من الضلعین الشرقی و الغربی. بحیث یصبح مجموع النوافذ (۲۸) نافذه، و یظهر ان الشبابیک الاربعه فتحت فی وقت متأخر عن وقت البناء(۱).

و قد عثر هرزفیلد فی اثناء تنقیباته علی نوعین من الزجاج یتألف النوع الأول من بقایا الواح زجاجیه سمیکه بیّن انها کانت تستخدم لهذه النوافذ، و النوع الآخر قطع صغیره مثلثه الشکل استخدمت لمل ء الحافات. و مما لفت نظره انه لم یجد هناک ایه علاقه تذکر بین صف النوافذ و ترتیب الابراج، بل ان النوافذ جمیعها متناسقه مع الاروقه الشمالیه و الجنوبیه للحرم و تقع علی محاورها(۲).

الاسوار الخارجیه للجامع:

یستدل من الحفریات التی اجریت فی منطقه الجامع و من الصور الجویه التی اخذت لها، انه کان یحیط بالجامع سور عظیم من الاجر من جوانبه الشرقیه و الغربیه و الشمالیه. و یحیط بهذا السور من الجوانب الاربعه سور کبیر آخر یفصله عن السور الأول فضاء مکشوف عظیم الاتساع فی جهاته الجنوبیه و الشرقیه و الغربیه، و یضیق فی الجهه الشمالیه، یبلغ طوله (۴۴۴) مترا،

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۹/ ۱۴۹.

۲- العماره العباسیه/ ۱۴۱- ۱۴۲.

و عرضه (۳۷۶) مترا. و یدعمه (۶۸) برجا، اربعه منها کبیره دائریه الشکل فی ارکان السور، و سبعه عشر برجا، اربعه منها فی کل من ضلعیه الشرقی و الغربی، و خمسه عشر برجا فی کل من ضلعیه الشمالی و الجنوبی، و کلها بهیئه نصف دائره(۱).

کما لوحظت آثار ابنیه بین جدران الجامع و السور الداخلی تدل علی انها کانت مدارس دینیه حول الجامع، یدرس فیها الطلاب الذین کانوا یسکنون هناک ایضا، علی نمط المدارس الدینیه الحالیه الملحقه بالجوامع و الأماکن المقدسه(۲).

المناره الملویه:

الملویه مئذنه مخروطیه الشکل تستند الی قاعده مربعه، و یصعد الی قمتها من سطح مائل عریض یدور حولها من خارجها دوران الحلزون. و هی تقع خارج الجامع علی بعد (۲۵ مترا) من ضلعه الشمالیه و علی محوره الأوسط، و ترتبط به بممر عرضه (۱۲ مترا). و کانت قد تعرضت الی تخریبات کثیره و بخاصه فی قاعدتها و فی لوالبها الاولی، حتی ان معالم القاعده کادت تزول تماما. فقامت دائره الآثار القدیمه باعمال الصیانه اللازمه لها منذ سنه ۱۹۳۷، فأظهرت اسس القاعده و اعادت بناءها، و عمرت اللوالب فاعادت المرقاه الی حالتها السابقه(۳). و فی سنه ۱۹۷۰ شیدت سلما حدیثا عند جانبها الجنوبی لیسهل عملیه الصعود الیها، و اصلحت التخریبات التی فی بدن المناره و رممت القمه،

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۹، مجله سومر المشار الیها/ ۱۴۴.

۲- ری سامراء/ ۱۱۲.

۳- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۵.

و نصبت سياجا حديديا حول بدن المئذنه بارتفاع مناسب ليؤمن خطر ارتقائها(۱).

و يمكن تقسيم المناره الملويه الى ثلاثه اقسام هى: القاعده، و بدن المناره، و قمتها.

تتألف القاعده من مربعين الواحد فوق الآخر و ارتفاعهما معا ۲۰ ر ۴ م و طول ضلع المربع الأسفل ۵۰ ر ۳۱ م، و هناك افريز بارز بارتفاع ۱۵ سم يمتد حول الجوانب الاربعه للقاعده. اما المربع الثانى فهو فوق المربع السابق مباشره و اصغر منه قليلا، و ابعاده ۶۰ ر ۲۰ م* ۴۰ ر ۳۰ م. و جوانب القاعده مزخرفه بعدد من الحنايا المستطيله المجوفه. فهناك ست حنايا على الجانب الجنوبى المقابل للضلع الشماليه للجامع، و تسع حنايا على كل جانب من الجوانب الثلاثه الأخرى(۲).

و تتصل قاعده الملويه بالجامع بواسطه اسس آجريه يرجح انها بقايا السلم المتخذ للصعود الى هذه القاعده. فقد كشفت الحفريات التى قام بها هرزفيلد و التحريات التى اجرتها مديريه الآثار العامه عن وجود سلم منحدر طوله ۲۵ مترا و عرضه ۱۲ مترا مشيد بالآجر، يبدأ من نقطه تبعد عن جدار الواجهه الشماليه للجامع بمسافه قدرها ۲۵ ر ۲ متر ثم يأخذ ذلك المنحدر بالارتفاع حتى يتصل بالقاعده المذكوره، فى نفس المكان الذى يبدأ فيه السلم الحلزونى الموصل الى اعلى المناره الملويه(۳).

و يرتفع بدن المناره عن القاعده ب ۵۰ مترا. و تبدأ المرقاه الحلزونيه التى تضمن الصعود الى القمه، من وسط الضلع الجنوبيه للقاعده و تدور حول محور المئذنه باتجاه معاكس لاتجاه

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ من السنه ۱۹۷۰/ ۲۸۱.

۲- العماره العباسيه/ ۱۵۹.

۳- مجله سومر المشار اليها آنفا/ ۲۸۰.

دوران عقرب الساعه، خمس مرات. و هی تتناقص فی سعتها کلما ارتفعت، اذ انها تبدأ بعرض ۵۰ ر ۲ م و تنتهی بعرض ۹۰ ر ۱. الی ان تصل باب القمه الذی ینفتح هو ایضا فی وسط الضلع الجنوبیه. و یقول هرزفیلد ان السلم الحلزونی کان له سیاج من الخشب، و قد استدل علی ذلک من الثقوب التی رآها علی الجانب الخارجی منه(۱).

و تکون القمه اسطوانه یبلغ ارتفاعها سته امتار، و هی مزدانه بروازین عمیاء مدببه العقد و مقعره السطح، عددها ثمان، غیر ان احداها تقوم مقام باب ینفذ الی داخل الاسطوانه و یوصل الی ذروتها بواسطه سلم حلزونی یدور داخلها حول محورها(۲).

و هناک ثمانیه ثقوب فی قاعده الاسطوانه استدل منها هرزفیلد انها ربما کانت تغطی ذلک الموضع سقیفه محموله علی ثمانیه اعمده خشبیه مثبته فی تلک الثقوب. الا ان بعض الآثاریین رجحوا ان هذه الثقوب او الحفر تعود لأعمده رخامیه باعتبار ان الرخام اکثر مقاومه للعوامل الطبیعیه. الا ان الهیئه الفنیه التی انیط بها صیانه الملویه فی سنه ۱۹۷۰ عثرت فی احد تلک الثقوب علی بقایا من عمود خشبی، مما دل علی ان هرزفیلد کان مصیبا فی أستنتاجه(۳).

طراز المناره الملویه:

امتازت مناره الجامع الکبیر فی سامرا بانها طراز غریب فی نوعه، سواء من حیث شکلها و مظهرها، او طریقه ارتقائها الی اعلاها. فقد کانت المنائر حتی تاریخ انشاء الملویه اسطوانیه فی

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۵.

۲- نفس المصدر.

۳- مجله سومر- للعددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۷۰/ ۲۸۰.

شکلها او مربعه و یصعد الیها بسلالم داخلیه. و کلما کانت المناره مرتفعه سامقه کانت ادعی الی الجمال و الروعه. و ملویه سامرا بضخامتها و شکلها المخروطی اللولبی لیست جمیله رائعه حسب، بل انها مهیبه تملأ النفس رهبه و خشوعا اضافه الی سلمها الخارجی الحلزونی، مما اکسبها میزه واضحه علی غیرها من المنائر. و من هنا کان اهتمام الآثاریین، لا سیما المعماریین منهم شدیدا فی معرفه اصول هذا الطراز من المنائر، و حاولوا ان یتعرفوا علی المصدر الذی اقتبسه منه معمار سامرا، فطرحت عده افتراضات لذلک، و امعن بعضها فی الغرابه حین افترض ان طراز الملویه مقتبس من معابد النار المجوسیه. و یظهر ان اصحاب هذا الافتراض تناسوا ان الدین الاسلامی انما جاء لیقضی علی المجوسیه و معابدها، مما لا یمکن القول معه ان یقتبس طرازها. کما تناسوا اصاله حضاره وادی الرافدین و عمق جذورها، و انها عرفت هذا النوع من البناء ذی السلالم الحلزونیه الخارجیه.

فقد اقام العراقیون «الزقورات» فی جنوبی البلاد و شمالیها، التی تمیز جمیعها بضخامتها و تعدد طوابقها و طریقه ارتقائها الی اعلاها. و هی نفس الصفات التی تمیزت بها ملویه سامرا. لذا یصح ما قاله کریزویل بان السلم الحلزونی المستخدم فی مناره سامرا و مناره جامع ابی دلف مقتبس من الزقورات(۱)، قولا مقبولا.

ان الزقورات التی شیدت فی سومر و بابل و آشور لم تکن من طراز واحد، کما انها اختلفت فیها طریقه الوصول الی قمتها.

فقد اتخذت فی بعضها السلالم الاعتیادیه المتصله ببعضها بین طابق و آخر، و اتخذ فی بعضها الآخر السلم الذی یدور حول البناء عده دورات حتی یصل الی اعلاه. و کان برج بابل و زقوره خرسباد

۱- Creswell ,E .M .A .P :۹۷۲

(دور شروكين) قد اتبع فيهما الاسلوب الأخير. و يقول هيرودوتس عن برج بابل «ان حاره الاله (جوبتر- بعل) المقدسه فناء مربع طول كل ضلع من اضلاعه نصف الميل، ذو ابواب من البرنز الصلد، كانت ما تزال باقيه فى زمنى. و يقع وسط ذلك الفناء او الساحه برج ذو بناء صلد طوله ٨/ ١ الميل و عرضه ٨/ ١ الميل ايضا، اقيم فوقه برج ثان و على هذا برج ثالث، و هكذا الى البرج الثامن الأعلى. و كان الصعود الى القمه من الخارج بواسطه سلم يدور حول جميع الابراج، و عند ما يبلغ المرء منتصف المسافه فى صعوده فانه يجد موضعا للاستراحه، حيث اعتاد الناس الجلوس بعض الوقت و هم فى طريق ارتقائهم الى القمه»(١).

اما زقوره خرسباد (دور شروكين) فقد كشفت منذ ما يزيد على مائه عام على يد الباحث الفرنسى فكتور بلاس-Victor Place الذى عثر على ثلاث طوابق و بقايا طابق رابع، و لم يجد الزقوره اسطوانيه كما كان يتوقع بل وجدها مربعه الشكل طول ضلعها ١٠ ر ٤٣ مترا، و لها سلم يبدأ من الزوايه الجنوبيه و يستمر على طول الواجهه و يلتف عند الزاويه، ثم يرتفع مارا بالزوايا على التوالى حتى يجد الصاعد نفسه فى الطابق الأول فوق النقطه التى بدأ بالصعود منها و لكن على ارتفاع ١٠ ر ٦ متر، و يستمر السلم بالدوران حول البرج بعكس اتجاه دوران عقرب الساعه- كما فى ملويه سامرا- حتى يتم صعود الطوابق الثلاثه بارتفاع ١٠ ر ٦ متر لكل منها(٢). و يقول المهندس المعمارى الهولندى بوسنك-Busink احد المختصين بالموضوع ان الزقوره المذكوره تتألف من خمسه طوابق فقط، و فى الطابق الخامس معبد الاله آشور، و الوصول الى هذا الطابق لم

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه/ ٥٧٠.

٢- ٩٧٢: P. A. M. F, Creswell

یکن بسلم اعتیادی و انما بمنحدر حلزونی یدور حول البرج(۱).

ان ما اوردناه آنفا یوضح ان طراز ملویه سامرا طراز محلی عریق توارثته الاجیال فی وادی الرافدین خلال العصور الطویله من تاریخها، بحیث لا یمکن الزعم بانه لم یکن هناک نموذج للملویه فی العراق عند ما بنیت سامرا و اسس الجامع الکبیر، فی القرن الثالث، و ان المعمار الذی تولی بنایتها کان خبیرا ماهرا لا تنقصه القابلیه علی الابتکار و التطویر فبناها علی اساس دائری و لیس مربعا، فجاء بهذه التحفه الفنیه التی ستبقی خالده علی مر العصور.

۵- قصور المتوکل علی اللّه:

اشاره

اهتم المتوکل علی اللّه ببناء القصور اهتماما عجیبا یثیر الانتباه. فقد بنی عددا منها فی انحاء مختلفه من سامرا، و قد تفنن فی تزینیها و زخرفتها و انشاء حدائقها و برکها الجمیله.

و لعله وجد فی ذلک ما یشغله و یلهیه عن مشاکل القواد الأتراک، و یحرره من ضغوطهم المالیه و الاداریه. و قد سبقت الاشاره الی سوء العلاقه بین الطرفین، و محاوله کل منهما اخضاع الطرف الآخر او الفتک به و التخلص منه. الا ان مما یؤسف له انه رغم متانه بناء تلک القصور و رصانه اسسها، لم یبق منها شی ء سوی اطلال بعضها و آثار من اسسها تساعد الی حد ما علی معرفه تخطیطها و مساحاتها و مواد بنائها. اما ما احتوت علیه من ریازه و تصاویر و افاریز مما یعبر عما وصل الیه الفن العمرانی فی عهد سامرا، فقد ذهب به الاهمال و عوادی الزمن، و لم یبق سوی بعض القطع و الکسر مما یعثر علیه بین الآکام، فتتخذ

۱- Nenneveh and Btbylon ,P .ll .

وسیله للاستدلال و الاستنتاج مما لا ـ یمکن معه الوصول الی الحقیقه کامله. و ان ما جاء فی طیات المصادر التی ذکرت تلک القصور لا یزید علی نتف و اشارات لا تشفی الغلیل، و ان ما قاله الشعراء فیها اقتصر علی مدحها و التفاخر بها و ذلک فی معرض مدح الخلیفه و الثناء علیه و التزلف الیه. و لا یتضمن شعرهم شیئا عن محتویاتها او زخارفها و رسومها او اثاثها، سوی النزر الیسیر.

علی اننا سنحاول ان نتحری ما جاء فی ثنایا الشعر و تلک المصادر عما کانت تضمه تلک القصور بین جدرانها من مرافق و اجنحه، و ما یحیط بها من حدائق، و ما یزینها من برک و احواض. و یمکن اعتبار کتاب الدیارات للشابشتی و معجم البلدان لیاقوت الحموی اغزر تلک المصادر عن القصور المذکوره.

فقد ذکرا اغلبها و اشارا الی بعض مما ذکرنا، و لم یفتهما ان یبینا مقدار ما انفق من الأموال علیها. و یقدر الشابشتی مجموع ما انفقه المتوکل علی اللّه علی بناء القصور و عددها (۱۹) قصرا بمائتی الف الف و اربعه و سبعین الف الف درهم و مائه الف الف دینار (و لعلها مائه الف دینار)، و هی تعادل آنذاک ثلاثه عشر الف الف دینار و خمسمائه الف دینار و خمسه و عشرین الف دینار(۱). و یقول یاقوت الحموی ان مجموع ما انفقه علی ذلک هو مائتا الف الف درهم و اربعه و تسعون الف الف درهم(۲). اما النویری فیقول: «حکی المؤرخون انه أنفق فی بنائها مائه الف دینار و خمسون الف دینار عینا، و مائتا الف الف و ثمانیه و خمسون الف الف و خمسمائه الف درهم»(۳).

۱- الدیارات/ ۱۵۹- ۱۶۰.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- نهایه الارب ۱/ ۴۰۶.

و سنحاول فیما یأتی من البحث ان نلم باکثر ما جاء فی مصادرنا التراثیه عن بعض تلک القصور، و ما اسفرت عنه التنقیبات و التحقیقات الحدیثه عنها.

قصر بلکوارا:

اختلفت المصادر فی اسم هذا القصر، اذ ورد باسماء متقاربه بالفاظها. فقد سماه الیعقوبی فی (کتاب البلدان) «بلکوارا»(۱). و ورد فی الطبری «برکوارا»(۲). و ذکره الشابشتی باسم «برکوار» و باسم «برکوارا»(۳). اما یاقوت الحموی فقد سماه (یزکوار) و (برکوان)(۴). و یبدو ان هذا الاسم من الکلمات الدخیله و لذا تعدد صور رسمه و الفاظه.

و یقول الدکتور احمد سوسه ان المتوکل علی اللّه اطلق علیه اسم «بلکوارا» الا ان بعض المؤرخین سموه برکوارا او بزکوارا(۵).

و فسر الاستاذ عبد الحمید الدجیلی الکلمه بقوله انها فارسیه و ضبطها الصحیح «بزرکوارا» ای القصر العظیم الکبیر جدا، و یری الاستاذ احمد حامد الصرواف، و هو من الادباء المتقنین للغه الفارسیه ان الاصح فی تسمیته هو «برکوارا» و معناه الهانی ء او الهنی ء(۶). و رأینا المستشرقین و الآثاریین ممن اشاروا الی هذا القصر انهم آثروا استخدام الاسم «بلکوارا» الذی ذکره الیعقوبی.

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۴۹۰.

۳- الدیارات/ ۱۵۰ و ۱۵۶ و ۱۵۹ و ۱۶۰ علی التوالی.

۴- معجم البلدان ۱/ ۴۱۰ و ۳/ ۱۷۵ و ۵/ ۷۱.

۵- ری سامراء ۱/ ۱۲۵.

۶- الدیارات/ ۳۶۶.

لقد شـيد المتوكل على اللّه هذا القصـر فى اقصى الجنوب لمدينه سامرا فى منطقه القادسيه عملا بخطته فى توسيع عمران المدينه الى مختلف جهاتهـا. و تقع اطلالـه اليوم على مسـافه سـته كيلومترات من مـدينه سـامراء الحـاليه و يسـمى موقعه «المنقور». ذكره الشابشتى فى معرض كلامه عن متنزه القادسيه فقال: «و بالقادسيه بنى المتوكل قصره المعروف ببركوار، و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتز و جعل اعذاره فيه. و كان من احسن ابنيه المتوكل و اجلّها، و بلغت النفقه عليه عشرين الف الف درهم»(۱).

و اشـار الى ان الاـيوان الـذى اقيم فيه الاحتفـال باعـذار المعتز كان واسـعا طوله مائه ذراع و عرضه خمسون ذراعا(۲). و ذكر ان المتوكل على الله كان يتردد على هذا القصر فى المواسم و الأعياد، و يجلس فيه للشراب(۳).

و يعتبر قصـر بلكوارا القصـر الوحيد من القصور التى بناها المتوكل على اللّه فى سامرا مما امتدت اليه ايدى الآثاريين فكشـفوا لنا عن معالمه ما لم تتضـمنه المصادر التراثيه. فقـد نقب الاسـتاذ هرزفيلد فى سـنه ۱۹۱۱ فى هـذه المنطقه و اكتشف اسـس و معالم القصـر المذكور. و قد لخص ما كتبه عنه مؤلف كتاب (العماره العباسـيه فى سامرا) تلخيصا وافيا سـنعتمد فى استعراضنا هذا عليه ما لم نشر الى مصدر آخر(۴).

تشـغل مبانى هـذا القصـر مساحه واسـعه من الأرض تزيـد على ثلاثه امثال مـدينه سامراء الحاليه عند ما كانت مسوره. و يحيط به سور مستطيل ذو ابراج طوله (۱۲۵۰) مترا، يرتكز جانبه

۱- نفس المصدر/ ۱۵۰.

۲- الديارات/ ۱۵۰.

۳- نفس المصدر/ ۱۶۰.

۴- العماره العباسيه/ ۱۶۵- ۱۷۰.

الجنوبی علی شاطی ء دجله الصخری الذی یرتفع بمقدار خمسه عشر مترا. و له ثلاثه ابواب تقع فی منتصف الجدران الشمالیه و الشرقیه و الغربیه. و یخترق البناء شارعان رئیسان متقاطعان.

و کانت الأرض تضم الی جانب القصر مجموعه من المنازل و ثکنات الحرس. و هناک حدیقه واسعه خارج جدار القصر یحیط بها سور ذو دعامات یکسوه الملاط، ینتهی عند الشاطی ء بسقفیات غنیه بالزخارف، و یتوسط الحدیقه حوض ماء کبیر. و قد انشی ء الی جانب الحدیقه مرفأ خاص للسفن التی یستخدمها القصر(۱).

و کان للقصر مدخل رئیس کبیر یتوسط جداره الشمالی الشرقی، فی منتصف ساحه مربعه عند تقاطع الشارعین. و تقسم بنایات القصر الی ثلاثه اقسام متوازیه، یحتوی القسم الأوسط منها علی بوابه القصر الضخمه، و ثلاث رحبات و تسع قاعات مرتبه علی شکل صلیب. و تفتح غرف العرش علی الرحبه الثالثه کقاعات کبیره مفتوحه علی النهر. و قد روعی التناسق المحوری و التشابه التام علی جانبی القصر. و کانت الواجهات المطله علی الرحبه و الحدیقه ذات ثلاثه عقود، کما هی الحال فی دار الخلیفه، و یزید العقد الأوسط منها اتساعا و ارتفاعا علی العقدین الجانبیین. و خصصت القاعات ذات المداخل و الواجهات المتماثله للاجتماعات العامه. اما القاعتان الخارجیتان الواقعتان علی المحور الرئیس للقصر فلهما شکل الحرف و کان ذلک مألوفا آنذاک فی ابنیه سامرا. و تقوم حول هاتین القاعتین رحبات و غرف کثیره للسکن، بینها حمام فاخر مکسو بالرخام.

و هناک اربع مجموعات من الغرف المتشابهه، بین اذرع الصلیب، یتکون کل منها من ثمانی غرف تدور حول فناء مربع

۱- ری سامراء ۱/ ۱۲۷.

الشكل. و قد سقفت القاعات الكبيره بالخشب، او بسقوف معقوده على الأرجح. اما الغرف الصغيره فقد سقفت بعقود من الطابوق.

و شيد عدد من المساكن فى القسم الممتد بين رحبه الشرق الثالثه و الحائط المطل على النهر. اما الفضاء المجاور للرحبتين فقد كان خاليا من البناء تقريبا. و هذه البيوت يمكن اعتبارها نماذج لطراز البيوت الخاصه فى سامرا. فهى تتكون من ست عشره غرفه مجتمعه حول فناء مستطيل الشكل، و يظهر انها كانت معده لسكنى الحرم و الخدم.

و يلاحظ عند حائط الرحبه الثالثه بقايا مسجد ذى اروقه منتظمه، و له محراب فى رواقه الجنوبى، ابعاده ۱۵* ۱۳ مترا، و له صفان من الاعمده من الرخام او الخشب الساج. و كان المسجد مبنيا بالآجر، و لم يبق منه سوى آثار مواضع الاعمده و اسس قواعدها. كما وجدت آثار مسجد صغير آخر فى القسم الجنوبى من القصر، تبلغ ابعاده ۳۵ ر ۱۰* ۷۶ ر ۷ متر، و قد شيد باللبن، و له ثلاثه ابواب فى جداره الشمالى، و يتألف محرابه من حنيه مستديره عميقه تحيط بها انصاف اعمده مزخرفه بزخارف ذات تقوير، و هى تشكل اطارا مستطيلا للمحراب.

و يختلف القسم الشمالى من القصر فى تخطيطه، ففيه رحبات كبرى يرجح انها كانت ثكنات للحرس.

و قد تميز قصر بلكوارا بزخارفه الجصيه التى كانت تغطى مساحات كبيره من سطوح جدرانه و سقوفه و افاريزه. و من طبيعه الزخارف التى تغطى مساحات واسعه انها تعتمد على تكرار الزخرف الواحد، و لذا يقل التنوع فيها. و لقد زينت جدران بعض الغرف و سقوفها بصور مائيه مموهه بالذهب اضافه الى الزخارف الجصيه. و كانت تعلو الافاريز حنايا جداريه فى ثلاثه

صفوف، السفلى منها مربعه، و الوسطى مدببه العقد، و العليا دائريه. اما واجهه القصر ذات العقود الثلاثه فقد زينت بالفسيفساء الزجاجيه على ارضيه مذهبه.

و عملت ابواب الغرف من الخشب الجيد، و قد حفرت عليها الزخارف و النقوش الجميله المختلفه، و قد موّه اكثرها بالذهب.

كما موهت مساميرها النحاسيه بالذهب كذلك. اما النوافذ فكانت مغطاه بالزجاج الملون بمختلف الالوان لا سيما الازرق و الأصفر الغامق و الفاتح، و الأخضر الغامق، و الأحمر القانى، و البنفسجى و الابيض الرائق.

يعد قصر بلكوارا عملا معماريا من الطراز الاول، و لا يعود ذلك الى سعه مساحته حسب، و انما لما اشتمل عليه من مظاهر عمرانيه غنيه، و انسجام فى مختلف اقسامه، و تخطيط قاعاته و رحباته، و تباين اشكال مداخله، و بلغ اقصى عظمته المعماريه فى واجهته ذات العقود الثلاثه المزينه بالفسيفساء. كما ان اختيار المواقع يشير الى مهاره هندسيه كبيره، و معرفه واسعه باختيار المواقع الممتازه للبناء. اذ ان الواقف فى الحجره الوسطى يرى باتجاه الشمال الغربى صفا كبيرا من القاعات و رحبات الشرف الثلاث مع بواباتها، و الحديقه و النهر، و الاراضى المتموجه الممتده الى الجزيره.

و قدر رتبت شتى العناصر المتباينه التى كان يتألف منها هذا القصر العظيم ترتيبا متناسقا فبدت جميله التركيب، روعى فى تخطيطها ان تكون واسعه النطاق على هيئه الحرف بحيث ينتهى محورها الطويل العمودى على النهر بالغرف الثلاث المعقوده فى الواجهه، و قد زينت زينه بديعه بآيات النحت و الفسيفساء(۱).

۱- دائره المعارف الاسلاميه ۱۱/ ۸۶.

و اعتبره الآثاری کریزویل من اعظم المنشآت المعماریه لکبر مساحته و ضخامه حجمه، و کثره الظواهر الفنیه المعماریه فیه(۱). و یقول عنه المستشرق الالمانی بروکلمان انه اهم بناء لا تزال اسسه محفوظه لنا فی سامرا، و قد اعجب کثیرا بتخطیطه و محتویاته و ملحقاته، و بخاصه ظاهره الانسجام بینها(۲).

و لخص العالم الآثاری ارنست کونل وصف القصر بمایلی: «بناه الخلیفه المتوکل لأبنه المعتز، بالقرب من سامرا، علی غرار قصر الحیره. و به عده افنیه کبیره متتابعه و عدد من قاعات العرش المتعامده، ممتده علی طوله علی هیئه ابهاء مکشوفه لها واجهات مؤلفه من ثلاثه عقود. و عن یمین وسطه و یساره تمتد اروقه بها عشرات من المساکن لکل منها فناء خاص. و ینتهی ذلک کله بحدیقه تتجه نحو دجله ممتده الی ما وراء السور الخارجی، و بها حوض ماء و مرسی للزوارق»(۳).

قصرا الشاه و العروس:

اعتبرهما الیعقوبی من القصور التی انفق علیها المتوکل علی اللّه اموالا ـ عظاما(۴). و ذکرهما الشابشتی فی جمله القصور التی انشأها المتوکل علی الله(۵). و قال یاقوت الحمودی عنهما «قصران عظیمان بناحیه سامرا انفق علی عماره الشاه عشرون الف الف درهم و علی العروس ثلاثین الف الف درهم. ثم نقضت فی ایام المستعین و وهب نقضاتها لوزیره احمد بن الخصیب فیما

۱- ری سامراء ۱/ ۱۲۷.

۲- تاریخ الشعوب الاسلامیه ۲/ ۵۰.

۳- الفن الاسلامی/ ۳۷.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

۵- الدیارات/ ۱۵۹.

وهب له»[(۱)]. کما انه ذکر قصر العروس و ما انفق علیه فی معرض بیان ما بناه المتوکل علی اللّه من القصور[(۲)].

و جاء فی الاغانی «لما عقـد المتوکل لولاه العهود من ولـده رکب بسـر من رأی رکبه لم یر احسن منها، و رکب ولاه العهود بین یـدیه، و الاتراک بین ایـدیهم اولادهم، یمشون بین یدی المتوکل بمناطق الذهب، و فی ایدیهم الطبرزینات المحلاه بالذهب. ثم نزل فی الماء فجلس فیه و الجیش معه، فی الجوانحیات و سائر السفن.

و جـاء حتی نزل فی القصـر الـذی یقـال له العروس، و اذن للناس فـدخلوا الیه. فلما تکاملوا بین یـدیه مثل ابراهیم بن العباس بین الصفین، فأستأذن فی الانشاد فاذن له، فقال[(۳)]:

و لما بدا جعفر فی الخمیس بین المطل و بین العروس

بدا لابسا بهما حلهأزیلت بها طالعات النحوس

و لما بدا بین احبابه ولاه العهود و عز النفوس

غدا قمرا بین اقماره و شمسا مکلله بالشموس

و ذکر فی حوادث السنه (۲۳۷ ه) فی النجوم الزاهره «و فیها کان بناء قصـر العروس بسامرا، و تکمل فی هذه السـنه، فبلغت النفقه علیه ثلاثین الف الف درهم»[(۴)].

قصرا المختار و البدیع:

ذکر الیعقوبی قصر البدیع بین القصور التی بناها المتوکل علی اللّه[(۵)]. و ذکر الشابشتی القصرین المختار و البدیع فی

۱- معجم البلدان ۳/ ۳۱۶.

۲- نفس المصدر/ ۱۷۵.

۳- الاغانی ۱۰/ ۶۴.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۰.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

جمله قصور المتوكل على اللّه(۱). و قال ياقوت الحموى عن قصر البديع: «اسم بناء عظيم للتوكل بسر من رأى»(۲). و قال عن قصر المختار «قصر كان بسامرا من ابنيه المتوكل. ذكر ابو الحسن على بن يحيى المنجم عن ابيه، قال: أخذ المتوكل بيدى يوما و جعل يطوف الابنيه بسامرا ليختار بيتا يشرب فيه. فلما انتهى الى البيت المعروف بالمختار استحسنه و جعل يتأمله و قال لى:

هل رأيت احسن من هذا البناء؟ فقلت: يمتع اللّه امير المؤمنين، و تكلمت بما حضرنى. و كانت فيه صور عجيبه من جمتلها صور بيعه فيها رهبان و احسنها صوره شهار البيعه. فأمر بفرش الموضع و اصلاح المجلس. و حضر الندماء و المغنون، و اخذنا فى الشرب.

فلما انتشى فى الشرب اخذ سكينا لطيفا و كتب على حائط البيت:

ما رأينا كبهجه المختارلا و لا مثل صور الشهار

مجلس حف بالسرور و بالنرجس و الآس و الغنا و الزمار

ليس فيه عيب سوى ان ما فيه سيفنى بنازل الأقدار

فقلت: يعيذ اللّه امير المؤمنين و دولته من هذا، و وجمنا.

فقال: شآنكم و ما فاتكم من وقتكم، و ما يقدم قولى خيرا و لا يؤخر شرا»(۳). و قال ياقوت ان النفقه على قصر المختار كانت خمسه آلاف الف درهم(۴).

و جاء فى الطبرى عن هذين القصرين ان المتوكل على اللّه لما امر ببناء الماحوزه، و سماها الجعفرى، امر بنقض القصر المختار

۱- الديارات/ ۱۵۹.

۲- معجم البلدان ۱/ ۳۵۹.

۳- معجم البلدان ۵/ ۷۰- ۷۱.

۴- نفس المصدر ۳/ ۱۷۵.

و البـديع و حمـل ساجهما الى الجعفرى(۱). و يقول الـدكتور احمـد سوسه ان الاطلال الموجوده فى السـاحه المسوره فى حلبه السباق القديمه يرجح ان تكون من بقايا قصـر البديع. و دليله على ذلك ان البحترى فى احدى مدائحه الخليفه المعتز باللّه اقترح عليه ان يمد فرع قناه سامرا الذى انشى ء لتموين قصر الدكه بالماء. فيوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق و ذلك فى قوله(۲):

الحقه يا خير الورى بمسيرهو امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانماانزلت دجله فى بناء الجوسق

و يلاحظ ان الشاعر يقصد بذكر البديع الموضع الذى كان يشغله القصر المذكور، لأنه كان قد نقض فى عهد المتوكل على اللّه، كما ذكرنا آنفا. ان يكون النقض قد شمل جانبا يسيرا منه و بقى القسم الرئيس للقصر ماثلا حتى عهد المعتز باللّه.

قصرا الصبيح و المليح:

يفهم من قصـيده للبحترى يشـير فيها الى اربعه قصور من قصور المتوكل على اللّه، هى: الجعفرى و شـيراز و الصبيح و المليح، ان قصر: لصبيح شيد بعد المليح. و انهما يقعان فى منطقه واحده، و هما متقابلان تتوسطهما بركه من الرخام الاخضر يسقيها جدول

۱- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۲- رى سامراء ۱/ ۱۲۵.

ماء علیه دوالیب یدیرها النعام بدلا عن الجمال کما هو المألوف، یقول فیها(۱):

و استتم الصبیح فی خیر وقت فهو مغنی انس و دار مقام

ناظر وجهه الملیح فلوینطق حیاه معلنا بالسلام

البسا بهجه و قابل ذا ذاک،فمن ضاحک و من بسام

کالمحبین لو اطاقا التقاءافرطا فی العناق و الالتزام

مستمد بجدول من عباب الماءکالابیض الصقیل الحسام

فاذا ما توسط البرکه الخضراءالقت علیه صبغ الرخام

فتراه کأنه ماء بحریخدع العین و هو ماء غمام

و الدوالیب اذ یدرن و لا ناضح بهن غیر النعام

ان خیر القصور اصبح موهوبابکره العدی لخیر الامام

و کان مبلغ ما انفق علی کل من الصبیح و الملیح خمسه آلاف الف درهم(۲). مما یستدل منه انهما قصران صغیران اعدا للنزهه و الاستراحه. و یظهر من قصیده اخری للبحتری امتدح بها

۱- کامل القصیده فی دیوان البحتری ۳/ ۲۰۰۴- ۲۰۰۷.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

المتوکل علی اللّه بعد انتهائه من بناء القصر الجعفری فی المتوکلیه فی سنه ۲۴۶ ه، ان قصر الصبیح کان روضه بهیجه کثیره الورود.

و کنا ذکرنا بعض ابیات هذه القصیده عند الکلام عن القصر الجعفری.

و قد ذکر الشابشتی هذین القصرین بین قصور المتوکل علی اللّه(۱). کما کنا قد اشرنا فی مکان آخر الی ان هذین القصرین یرجع انهما بنیا فی المتنزه الذی انشأه المتوکل علی اللّه فی حیر الحیوانات.

قصر البرج:

یقول الیعقوبی ان المتوکل علی اللّه انفق علی البرج الف الف و سبعمائه الف دینار(۲). و یقول یاقوت الحموی ان ما انفق علیه کان عشره آلاف الف درهم(۳). و ذکر الشابشتی نفس المبلغ الذی قال به الیعقوبی(۴). و یظهر مما سنذکره من بعض اوصاف القصر ان ما ذکره الیعقوبی و الشابشتی اقرب الی واقع النفقه علیه.

یصفه الشابشتی بأنه «من احسن ابنیه المتوکل، فجعل فیه صورا عظاما من الذهب و الفضه، و برکه عظیمه جعل فرشها ظاهرها و بطاننها صفائح الفضه. و جعل علیها شجره ذهب فیها کل طائر یصوت و یصفر، و کلله بالجوهر، و سماها طوبی. و عمل له سریر من الذهب کبیر علیه صورتا سبعین عظیمین، و درج علیها

۱- الدیارات/ ۱۵۹.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۴- الدیارات/ ۱۶۱.

صور السباع و النسور و غیر ذلک، علی ما یوصف به سریر سلیمان بن داود علیهما السلام. و جعل حیطان القصر من داخل و خارج ملبسه بالفسیفساء و الرخام المذهب. فبلغت النفقه علی هذا القصر الف الف و سبعمائه الف دینار. و جلس فیه علی السریر الذهب، و علیه ثیاب الوشی المثقله. و امر الا یدخل علیه احد الا فی ثیاب و شی منسوجه او دیباج ظاهره. و کان جلوسه فیه سنه تسع و ثلاثین و مائتین. ثم دعا بالطعام، و حضر الندماء و سائر المغنین و الملهین، و کل الناس. و رام النوم فما تهیأ له. فقال له الفتح: یا مولای، لیس هذا یوم نوم. فجلس للشرب. فلما کان اللیل رام النوم، فما امکنه، فدعا بدهن بنفسج، فجعل منه شیئا علی رأسه و تنشقه فلم ینفعه. فمکث ثلاثه ایام بلیالیها لم ینم.

ثم حم حمی حاده، فانتقل الی الهارونی قصر اخیه الواثق، فاقام به سته اشهر علیلا، و امر بهدم البرج و ضرب تلک الحلی عینا»(۱).

و قد نقل النویری طرفا من هذا الوصف، و اضاف: و قد وصفه الشعراء فمن ذلک قول السری(۲):

مجلس فی فناء دجله، یرتاح الیه الخلیع و المستور

طائر فی الهواء، فالبرق یسری دون اعلاه و الحمام یطیر

فاذا الغیم سار، اسیل منه حلل دون جدره و ستور

۱- الدیارات/ ۱۶۰- ۱۶۲.

۲- نهایه الأرب ۱/ ۴۰۶- ۴۰۷. و السری هو الشاعر ابو الحسن السری ابن احمد بن السری الکندی، الملقب بالرفاء، لانه کان فی صباه یرفو و یطرز الملابس. توفی سنه ۳۶۶ ه و قیل سنه ۳۴۴ ه- و فیات الاعیان ۲/ ۱۰۴- ۱۰۵.

و اذا غارت الكواكب صبحافهو الكوكب الذى لا يغور

و قال ايضا:

منزل كالربيع حلت عليه حالبات السحاب عقد النطاق

يمتع العين فى طرائف حسن تتحامى بها عن الاطراق

بين ساج كأنه ذائب التبر مثل ذائب الأوراق

و يظهر من هـذا الوصف ان قصـر البرج كـان عظيم الارتفـاع، يناطـح الغيم: ناصع البياض يغالب بياضه ضوء الشـمس، و انه كان متعه للناظرين. و يوحى هـذا الوصف ان القصـر بقى عامرا شامخا حتى اواخر مقام الخلافه بسامرا و بعدها لعده عقود من السـنين بحيث ادركه الشاعر السرى و وصـفه بشـعره المـذكور. و قد اشار الشابشتى الى ان المتوكل على اللّه امر بهدمه فى اواسط عهده بالخلافه. الا ان يكون الهدم قد اهمل فى حينه بالنظر لجمال القصر و روائه، او ان الهدم اقتصر على قسم منه.

القصور الاخرى:

و هنـاك قصور اخرى شـيدها المتوكـل على اللّه، الاـ ان مـا جـاء عنها فى المصادر ليس فيه ما يسـتحق الـذكر سوى نسـبه تلك القصور الى الخليفه المـذكور، و ذكر المبالغ التى أنفقت عليها. و قـد يرد فى بعضـها معلومات قليله جدا عنها. و من هذه القصور مما اتفق على ذكرها الشابشتى و ياقوت الحموى ما يأتى(۱):

۱- الديارات/ ۱۵۹ و معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

البهو: و قد انفق على تشييده خمسه و عشرون الف الف درهم، و لم يذكرا شيئا عن موضعه و تاريخ انشائه. و يبدو انه كان فخما فسيحا لارتفاع كلفته.

الجعفرى المحدث: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

و قد ذكره الطبرى فى احداث سنه ۲۴۸ ه، و ذلك عند ما سكنه المنتصر باللّه الذى أثر ترك المتوكليه و العوده الى سامرا، و فيه كانت وفاته(۱).

شيراز: انفق عليه عشره آلاف الف درهم. و ذكره الشابشتى باسم «السندان».

الغريب: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

قصر بستان الايتاخيه: انفق على تشييده عشره آلاف الف درهم. و سماه الشابشتى «القصر». و قد يكون هو احد القصور التى ذكرها اليعقوبى ان عندها ينتهى شارع ابى احمد فى قطيعه القائد ايتاخ(۲).

القلائد: ذكره ياقوت الحموى و قال ان المتوكل على اللّه انفق عليه خمسين الف دينار، ثم جعل فيه ابنيه بمائه الف دينار. و ذكره الشابشتى باسم «القلايه».

الجوسق: كان المعتصم باللّه شيد قصرا كبيرا لسكناه على دجله جنوبى دار العامه و سماه الجوسق الخاقانى. و قد اشرنا اليه و الى اهميته فى تاريخ سامرا. و بنى المتوكل على اللّه قصرا بنفس الاسم انفق عليه خمسمائه الف درهم(۳). و يظهر من ضآله المبلغ الذى انفق على بنائه اذا ما قورن بما انفق على القصور الاخرى التى

۱- الطبرى ۹/ ۲۳۷ و ۲۴۴ و ۲۵۴.

۲- كتاب البلدان ۲۶۱- ۲۶۲.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

بناها الخليفه المذكور، انه لم يكن قصرا فخما قائما بذاته، بل ربما كان جناحا ملحقا بالجوسق الخاقانى فسمى باسمه.

و قد سبق للمتوكل على اللّه لما نزل فى اول خلافته فى القصر الهارونى انه بنى فيه ابنيه جديده. فمدحه الشاعر على بن الجهم و وصف بعض معالم هذا القصر بما يوحى كأن المتوكل على اللّه هو الذى بناه، بقصيده منها قوله(۱):

ما زلت اسمع ان الملوك تبنى على قدر اخطارها

و اعلم ان عقول الرجال يقضى عليها بآثارها

فللروم ما شاده الاولون و للفرس مأثور احرارها

فلما رأينا بناء الأمام رأينا الخلافه فى دارها

بدائع لم ترها فارس و لا الروم فى طول اعمارها

صحون تسافر فيها العيون و تحسر عن بعد اقطارها

و قبه ملك كأن النجوم تفضى اليها باسرارها

لها شرفات كان الربيع كساها الرياض بانوارها

نظمن الفسيفس نظم الحلى لعون النساء و ابكارها

فيضن كمصبحات برزن بفصح النصارى و افطارها

فمنهن عاقصه شعرهاو مصلحه عقد زنارها

و سطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها

و فواره ثأرها فى السماءفليست تقصر عن ثارها

ترد على الحزن ما انزلت على الارض من صوب مدرارها(۲)

۱- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم/ ۲۸- ۳۰، و يقول ياقوت انه قالها فى القصر الجعفرى- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۲- ورد هذا البيت ببعض الاختلاف فى« عيون الاخبار» ۱/ ۳۱۳.

فلا زالت الارض معمورهبعمرک یا خیر عمارها

یتضح من بعض ابیات هذه القصیده ان بناء القصر الهارونی کان مبتکرا فی طرازه فاق ما یعرفه الروم و الفرس من طرز البناء.

و انه واسع الصحون فسیح الابهاء، تعلوه قبه تناهز النجوم بارتفاعها، و قد سبقت الاشاره الیها، و له شرفات تزین جدرانها زخارف الفسیفساء و فیها صور الازهار، و صور النساء من النصاری و هن بهیئات مختلفه من عاقصه شعرها، و مصلحه عقد زنارها. کما یظهر ان المتوکل علی اللّه اضاف الی القصر نافوره ماء، فأشاد الشاعر بقوه دفعها الماء حتی لترد المطر الساقط من السماء. کما اشاد باهتمام الخلیفه بالعمران و انه فاق غیره من الخلفاء فی ذلک. و قد اشاد الشاعر نفسه بالبرکه التی توسطتها الفواره المذکوره، و ان المتوکل هو الذی انشأها فی هذا القصر، بقصیده اخری منها(۱):

انشأتها برکه مبارکهفبارک اللّه فی عواقبها

حفت بما تشتهی النفوس لهاو حارت الناس فی عجائبها

لم یخلق اللّه مثلها وطنافی مشرق الارض و مغاربها

کأنها و الریاض محدقهبها عروس تجلی لخاطبها

من ای اقطارها اتیت رأیت الحسن حیران فی جوانبها

للموج فیها تلاطم عجب و الجزر و المد فی مشاربها

الوحید و التل و الجامع: انفرد یاقوت الحموی بذکر القصر «الوحید» و قال ان المتوکل علی اللّه انفق علیه الفی الف درهم.

و یظهر من قله کلفته انه کان دارا صغیره للاستراحه. و «قصر التل» الذی انفق علیه خمسه الاف الف درهم. و هناک من یرجح

۱- دیوان علی بن الجهم/ ۳۲.

ان آثار البنایه التی کشفت عنها تنقیبات هرزفیلد فی قمه تل العلیق قد تکون هی أطلال هذا القصر(۱).

کما انفرد الشابشتی بذکر قصر اسمه «الجامع» الا انه لم یبین موضعه و لا المبالغ التی انفقت علیه.

الغرد:

و من القصور التی ذکرها یاقوت الحموی قصر «الغرد» و قال عنه «هو بناء للمتوکل بسر من رأی فی دجله انفق علیه الفی الف درهم، و لم یصح لی انا ضبطه و ما اظنه الا الغرد، و اللّه اعلم»(۲).

و قد ذکر البحتری هذا القصر فی قصیدتین امتدح بهما المتوکل علی اللّه، فقد قال فی احداهما(۳):

أحسن بدجله منظرا و مخیماو الغرد فی اکتاف دجله منزلا

خضل الفناء متی وطئت ترابه قلت: الغمام انهل فیه فاسبلا

حشدت له الامواج فضل دوافع أعجلن دو لابیه ان یتمهلا

تبیض نقیته و یسطع نوره حتی تکل العین فیه و تتکلا

کالکوکب الدری اخلص ضوءه حلک الدجی حتی تألق و انجلی

۱- ری سامراء ۱/ ۱۱۹.

۲- معجم البلدان ۴/ ۱۹۲- ۱۹۳.

۳- دیوان البحتری ۳/ ۱۶۵۱- ۱۶۵۴.

رفدت جوانبه القباب میامناو میاسرا و سفلن عنه و اعتلی

فتخاله و تخالهن ازاءه ملکا تدین له الملوک ممثلا

و علی اعالیه رقیب ما ینی کلفا بتصریف الریاح موکلا

من حیث دارت یطلب وجههافعل المقاتل جال ثم استقبلا

بدع لبدع فی السماحه ما تری من امره الا عجیبا مجذلا

و یفهم مما جاء فی هذه الأبیات ان بنایه الغرد کانت مرتفعه جدا بحیث انها تعلو علی ما جاورها من المبانی، و انها کان فی اعلاها ما یشیر الی اتجاه الریح، مما اعتبره الشاعر من الاعمال المبتکره العجیبه.

و جاء ذکر «الغرد» فی قصیده اخری للبحتری امتدح بها المتوکل علی اللّه عند ما عقد الصلح مع بنی تغلب، و منها قوله(۱):

تؤم القصور البیض من ارض بابل بحیث تلاقی (غردها) و (بدیعها)

۱- نفس المصدر ۲/ ۱۲۹۶- ۱۳۰۱.

اذا اشرق البرج المطل رمينه بأبصار خوص قد أرثت قطوعها

و فيها يصف الشاعر الأبل التى كـدها السـير و هى تنظر باعين غائره الى هـذه القصور السامقه. و يبدو ان القصور الثلاثه، الغرد و البديع و البرج كانت متقاربه من بعضها.

***

الفصل الرابع تأسيس مدينه المتوكليه (الجعفريه)

۱- تأسيس المدينه:

كان اضـخم اعمال المتوكل على اللّه العمرانيه تأسيسه مـدينه جديده سـميت باسـمه. فقد بذل اول امره جهودا كبيره فى توسـيع مدينه سامرا و تحسينها و ايصال الماء اليها، و انفق على ذلك اموالا طائله، ليجعل منها اجمل مدينه تليق بأن تكون عاصمه الدوله العربيه المتراميه الاـطراف. و لكن سـامرا، مع ما اقامه فيها من منشآت عمرانيه و مشاريع اروائيه، لم تشـبع طموحه، بل انها ضاقت باحلامه و رغباته. فراح يفكر فى انشاء مدينه جديده يشرف على تخطيطها و بنائها وفق ما يطمح اليه من شوارع عريضه مستقيمه، و قصور فخمه جليله، و حدائق غناء و متنزهات جميله، و مبان واسعه لدواوين الدوله. و استولت عليه رغبه ملحه فى ان تنسب اليه المـدينه ليخلد بها اسـمه. فأمر محمد بن موسـى المنجم و من يحضـر ببابه غيره من المهندسـين ان يختاروا موضـعا صالحا لانشاء مـدينه خـاصه به بالمواصـفات الـتى يريـدها. فوقع اختيـارهم على موضع يقع شـمال مـدينه سـامرا، بينهـا و بين تكريت، يقـال له الماحوزه(۱)،

۱- كذا سماها اليعقوبى و الطبرى و البلاذرى، الا ان المسعودى و ابن الاثير يسميانها« الماخوره»- كتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبرى /۹ ۲۱۲، و فتوح البلدان، ۲۹۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۰، و الكامل ۷/ ۸۷.

على بعـد عشـرين كيلومترا تقريبا من سامراء الحاليه(۱). و قـالوا له ان المعتصم قـد رأى ان يبنى هنـا مـدينه و يحفر نهرا كان فى الدهر القديم(۲)، فلقى ذلك هوى فى نفسه. و يظهر انه فضل هـذا الموضع لأنه يمتـد على ضـفاف دجله مثل مدينه سامرا، و ان فيه نهرا مندرسا يسد حاجه المدينه الجديده و منشآتها من المياه اذا ما اعيد حفره.

و قد ايد المهندسون صـلاحيه المنطقه للبناء، و ان من الممكن احياء النهر المذكور اذا ما توفرت النفقات اللازمه لذلك، و كانوا قـدروا النفقه على احيائه بالف الف و خمسـمائه الف دينار(۳). و مع جسـامه المبلغ فقـد رضـى المتوكل على اللّه و طاب نفسا و أمر بالمباشره بحفره بنفس الوقت الذى بوشر فيه بتخطيط المدينه و البناء فيها.

و قـد حـدد البلاذرى موضع المدينه بقوله «ثم انه احدث مدينه سـماها المتوكليه و عمرها و اقام بها و اقطع الناس فيها القطائع، و جعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز و القاطول، فدخلت الدور و القريه المعروفه بالماحوزه فيها، و بنى بها مسجدا جامعا»(۴).

كـانت اعمـال تأسيس المـدينه و بنائهـا بـدأت مع البـدء بحفر النهر، فكان لا بـد من توفير المياه اللازمه لأعمال البناء، و لـذا امر المتوكل على اللّه بانشاء كهريز يسـتمد مياهه من نهر دجله بالقرب من تكريت و يحملها الى موقع المـدينه الجديـده على شاكله قناه سامرا التى سـبق ان انشئت لأيصال المياه الى سامرا و كانت قناه جوفيه، و يمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافه من صدره حتى

۱- رى سامراء ۲/ ۳۱۵.

۲- كتاب البلدان/ ۲۶۶.

۳- كتاب البلدان/ ۲۶۶. و فى الطبرى ۹/ ۲۱۲ ان ما قدر من النفقه كان مائتى الف دينار.

۴- فتوح البلدان/ ۲۹۵- ۲۹۶.

مدینه المتوکلیه. فهو یبدأ من دجله بالقرب من تلول هطره، ثم یسیر بموازاه قناه سامرا «قناه المتوکل» فیخترق الدور، و یتابع سیره الی جـانب کهریزی القنـاه المـذکوره حتی یصـل امام قنطره الرصاص التی علی القاطول الاعلی، فینحرف نحو الغرب. و بعـد ان یقطع قنـاه سـامرا و القـاطول یتجه نحو مـدینه المتوکلیه. و لاـ تزال شـبکه الکهاریز التی کانت تتفرع من الکهریز المـذکور ماثله یمکن مشاهـدتها فی عده امکنه داخل اطلال مدینه المتوکلیه(۱). و کان ذلک ضـروریا لتعذر نقل کمیات المیاه المطلوبه للبناء من نهر دجله علی ظهور الحیوانات.

و قد عین المهندسون مواضع قصور الخلیفه، و دار الخلافه و الدواوین الرسمیه، و المناطق السکنیه، و قطائع القواد و الجند.

و وضـعوا التفصـیلات اللازمه لعمرانهـا، و جی ء بالعمـال و البنـائین، و قـام العمل علی قـدم و ساق لانجاز المـدینه بأقصـر وقت ممکن. و مـدوا الشارع الأعظم من دار اشـناس التی بالکرخ، و کانت قـد صارت للفتـح بن خاقان، مسافه ثلاثه فراسـخ شـمالا، و جعلوا عرضه فی مدینه المتوکلیه مائتی ذراع، و قدروا ان یحفر علی جانبیه جدولان یجری فیهما الماء من النهر الکبیر الذی بوشر بحفره. و اقطع الخلیفه ولاـه عهوده الثلاثه و سائر اولاده، و قواده و کتابه و جنـده، و سائر الناس کافه، عن یمین الشارع الاعظم و عن یسـاره، و جعـل الاـسواق الکبیره فی موضع منعزل، کمـا جعل فی کل مربعه و قطیعه سوقا خاصا بها(۲). و قـد بدأ العمل فی بناء المدینه فی سنه ۲۴۵ ه.

و تمیز الشارع الأعظم بطوله و استقامته، و لا سیما بعد ان امتد الی آخر مدینه المتوکلیه وضوعف عرضه. اذ بعد ان یترک سور

۱- ری سامراء ۲/ ۳۴۰- ۳۴۲.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۶- ۲۶۷.

اشناس یتجه شمالا مسافه کیلومترین تقریبا ثم ینعطف نحو الغرب قلیلا فیسیر باتجاه مستقیم بین نهر دجله و القاطول الاعلی، و بعد ان یسیر مسافه کیلومتر واحد تقریبا یتضاعف عرضه الی مائتی ذراع، و یستمر فی نفس الاتجاه مسافه سته کیلومترات و نصف الکیلومتر تقریبا فیجتاز السور الذی یفصل بلاط الخلیفه و قصوره و دواوین الدوله عن بقیه المدینه، فیعود الی عرضه السابق حتی یصل الی نهایه المدینه.(۱) و واضح ان هذه المنطقه من المدینه یقل فیها الزحام، و تتطلب الهدوء، و لذا فلا تحتاج الی ذلک الشارع العریض. و یبلغ طول الشارع الاعظم فی داخل مدینه المتوکلیه حوالی اثنی عشر کیلومترا و نصف الکیلومتر(۲).

و یظهر ان تصمیم مدینه المتوکلیه وضع علی اساس تقسیمها الی ثلاثه اقسام: اولها القسم الجنوبی منها و یعرف باسم دور عربایا او الدور العربانی، و قد خصص لسکنی الناس بصوره عامه و کانت شوارعه الفرعیه مستقیمه و متوازیه، و یخترق الشارع الأعظم هذا القسم من المدینه من الجنوب الی الشمال، و کان یعرف بالشارع الغربی، و الی شرقیه شارع آخر هو امتداد لشارع ابی احمد فی سامرا، و کان یسمی بالشارع الشرقی. و خصص القسم الممتد علی ضفاف دجله من هذا الجزء من المدینه الی الفتح بن خاقان و ابراهیم بن رباح. و قد سبق ان اشرنا الی ان دار اشناس و قطیعته قد صارت الی الفتح بن خاقان(۳).

و القسم الثانی هو القسم الوسطی من المدینه و قد خصص لقطائع القواد و اصحابهم، فکان لکل قائد قصر خاص یطل علی دجله، و تمتد قطیعته التی تنتشر فیها مساکن اتباعه من الجند،

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبری ۹/ ۲۱۲، و الکامل ۷/ ۸۷.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۶ و ری سامراء ۲/ ۳۳۹.

۳- ری سامراء ۲/ ۶۲۴- ۶۲۵.

شرقی قصره، فتخترق الشارع الأعظم و شارع ابی احمد حتی تنتهی الی ضفه القاطول الاعلی. و فی هذا الجزء من المدینه یتسع عرض الشارع الأعظم الی مائتی ذراع، و تتفرع من جانبیه شوارع فرعیه بزوایا قائمه، تنتهی الغربیه منها الی ضفاف نهر دجله، و تنتهی الشرقیه الی ضفاف القاطول الاعلی. و شید فی شمالی هذا القسم جامع المدینه المعروف باسم جامع ابی دلف و مئذنته الملویه. و ینتهی القسم الوسطی من المدینه شمالی الجامع بقلیل حیث یبدأ القسم الثالث منها، و هو القسم الشمالی الذی خصص لدار الخلافه و دواوین الدوله و قصور المتوکل علی اللّه، و یفصله عن بقیه اجزاء المدینه سور یمتد بین ضفه القاطول الأعلی و نهر دجله و له ثلاثه ابواب عظام جلیله یدخل منها الفارس برمحه(۱). بحیث کانت هذه المنطقه معزوله تماما عن المدینه.

و قد روعیت حمایه هذا القسم و عزلته فقد کان یحده من الشمال و الشرق نهر القاطول الاعلی، و من الغرب نهر دجله و من الجنوب السور الذی مر ذکره. و لا سبیل للوصول الی هذا القسم من غیر الابواب الثلاثه الماره الذکر. کما یلاحظ ان دار الخلافه و دواین الدوله و قصور الخلیفه قد احیطت هی الاخری بسور خاص بها یبلغ طوله اربعه کیلومترات و نصف الکیلومتر تقریبا. و قد ترکت بین السور الفاصل بین القسمین الوسطی و الشمالی، و القسم الخاص بدار الخلافه و الدواوین مساحات واسعه نظمت فیها حدائق و بساتین یخترقها شارعان یؤدیان الی دار الخلافه و دواوین الدوله(۲).

و کان المتوکل علی اللّه یتفقد بنفسه سیر العمل فی بناء مدینته، و فی حفر النهر، فمن رآه من العاملین قد جد فی البناء

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۶.

۲- ری سامراء ۲/ ۶۲۵- ۶۲۷.

اجازه و اعطاه، فجد الناس و نشطوا للعمل(۱)، و بلغ من حرصه على متابعه العمل و الاسراع فى انجازه انه انتقل الى قريه المحمديه ليكون قريبا من الماحوزه ليسهل عليه الاشراف على ذلك(۲).

و المحمديه قريه قريبه من الماحوزه كانت تعرف بالايتاخيه نسبه الى القائد التركى ايتاخ، و سماها المتوكل على اللّه المحمديه باسم اكبر ابنائه محمد المنتصر، و كانت تعرف قبل انشاء سامرا بدير ابى الصفره، و هم قوم من الخوارج(۳). و يرجح ان تسميتها بالمحمديه كانت بعد ان تمكن من القائد المذكور و قتله. و يتبادر الى الذهن ان اقامه المتوكل على اللّه فى المحمديه، ربما كانت وسيله للتخلص من معاكسه القواد الاتراك له فى سامرا و الابتعاد عن مشاكلهم العديده معه.

لقد ارتفع البنيان فى خلال مده تزيد على السنه، اذ بنيت القصور و شيدت الدور. و سمى المتوكل على اللّه المدينه الجديده «الجعفريه» نسبه اليه، الا انه كان هو و خاصه اصحابه يسمونها «المتوكليه»(۴). و كان البناء قد اتصل منها الى الدور ثم الكرخ و سامرا حتى اسفل المطيره، حيث شيد قصر المعتز بن المتوكل على اللّه، و لم يبق بين ذلك مكان لا عماره فيه، و كان مقدار ذلك سبعه فراسخ(۵).

و انتقل المتوكل على اللّه الى قصور هذه المدينه فى اول يوم من المحرم من سنه ۲۴۷ ه. فلما جلس اجاز الناس بالجوائز السنيه و وصلهم، و اعطى جميع القواد و الكتاب، و من تولى عملا ـ و ساهم فى تأسيس المدينه، و تكامل له السرور حتى قال: «الآن علمت انى

۱- كتاب البلدان/ ۲۶۶.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۳- معجم البلدان ۵/ ۶۵.

۴- كتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبرى ۹/ ۲۱۲، و الكامل ۷/ ۸۷.

۵- كتاب البلدان/ ۲۶۶- ۲۶۷.

ملک اذ بنیت لنفسی مدینه سکنتها»(۱). و اقام فیه احتفالاـ جمع فیه القراء، و احضر اصحاب الملاهی، و وهبهم اکثر من الفی الف درهم(۲).

و امر الخلیفه بان تنقل دواوین الدوله من سامرا الی الجعفریه، فنقل دیوان الخراج و دیوان الضیاع و دیوان الزمام و دیوان الجند و الشاکریه و دیوان الموالی و الغلمان و دیوان البرید، و جمیع الدواوین الاخری(۳). و من الطبیعی ان ینتقل الی العاصمه الجدیده حاشیه الخلیفه و ندماؤه و مستشاروه، و رجال الدوله و موظفوها، و کل من له علاقه بمؤسساتها و دواوینها المختلفه.

کما انتقل الیها العدید من الناس اقتداء بالخلیفه و رغبه فی التجدید. و یقول یاقوت الحموی: «و لما انتقل المتوکل من سامراء الی الجعفریه انتقل معه عامه اهل سامراء حتی کادت تخلو، فقال فی ذلک ابو علی البصیر هذه الأبیات»(۴)، منها قوله:

ان الحقیقه غیر ما یتوهم فاختر لنفسک أی امر تعزم

أتکون فی القوم الذین تأخرواعن خطهم ام فی الذین تقدموا

لا تقعدن تلوم نفسک، حین لایجدی علیک تلوم و تندم

أضحت قفارا سر من را ما بهاالا لمنقطع به متلوم

تبکی بظاهر وحشه و کأنهاان لم تکن تبکی بعین تسجم

رحل الامام فاصبحت، و کانهاعرصات مکه حین یمضی الموسم

۱- نفس المصدر/ ۲۶۷.

۲- الطبری ۹/ ۲۱۲، و الکامل ۷/ ۸۷.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۴- معجم البلدان ۲/ ۱۴۳- ۱۴۴.

و كأنما تلك الشوارع بعض ماأخلت اياد من البلاد و جرهم

كانت معادا للعيون، فأصبحت عظه و معتبرا لمن يتوسم

فارحل الى الارض التى يحتلهاخير البريه، ان ذاك الأحزم

و انزل مجاوره باكرم منزل و تيمم الجهه التى يتيمم

ارض تسالم صيفها و شتاؤهابالجسم بينهما يصح و يسقم

و من اشهر ما قيل من الشعر فى مدينه المتوكليه ما قاله الشاعر البحترى يمتدح المتوكل على اللّه و يشيد بالمدينه الجديده. فقد قال فى ذلك قصيده منها(۱):

يهنيك فى المتوكليه أنهاحسن المصيف بها، و طاب المربع

فيحاء مشرقه يرق نسيمهاميث تدرجها الرياح و اجرع

و فسيحه الاكناف ضاعف حسنهابر لها مفضى و بحر مترع

۱- ديوان البحترى- طبعه بيروت، ۱/ ۴۲- ۴۴.

قد سر فیها الاولیاء اذ التقوابنباء منبرها الجدید فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقی ذکرهاان الرفیع محله من ترفع

و من قوله فی قصیده اخری(۱):

اری المتوکلیه قد تعالت محاسنها، و اکملت التماما

قصور کالکواکب لامعات یکدن یضئن للساری الظلاما

وبر مثل برد الوشی فیه جنی الحوذان ینثر و الخزامی

اذا برز الربیع له کسته غوادی المزن و الریح النعامی

غرائب من فنون النبت فیهاجنی الزهر الفرادی و التواما

تضاحکها الضحی طورا و طوراعلیها الغیث ینسجم انسجاما

عنـد ما انتقل المتوکل علی اللّه الی عاصـمته الجدیده کان الخلاف بینه و بین القواد الاتراک قد بلغ درجه خطیره. و مما زاد فی خطوره هذا الخلاف ان ولی العهد محمد المنتصـر انضم الی معارضـی ابیه. و بلغ الخلاف بین الجانبین ان بات کل جانب منهما یتربص بالجانب الآخر و یعمل علی التخلص منه. و سرعان ما نجح الجانب الترکی فی تدبیر مؤامره اغتیل فیها الخلیفه، و لم یکن قد مضی علی انتقاله الی المتوکلیه سوی تسعه اشهر و ثلاثه ایام. اذ قتل لیله الاربعاء لأربع خلون من شوال سنه ۲۴۷ ه(۲).

۱- دیوان البحتری- طبعه بیروت، ۱/ ۳۷- ۳۹.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۰، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸.

و تولی الخلافه محمد المنتصر، فلم یلبث فی المتوکلیه سوی ایام قلیله ثم انتقل الی سامرا، و امر الناس جمیعا بالانتقال عن الماحوزه و ان یهدموا المنازل و یحملوا النقض الی سامرا. فانتقل الناس، و خربت قصور مدینه المتوکلیه و منازلها و مساکنها و اسواقها فی اسرع مده بحیث صار موضعها موحشا لا انیس فیه، کأنه لم یعمر و لم یسکن من قبل(۱). و یقول البلاذری ان المنتصر انتقل الی سامرا یوم الثلاثا لعشر خلون من شوال(۲). اما المسعودی فیری ان مقام المنتصر باللّه بعد ابیه فی الماحوزه سبعه ایام ثم انتقل منه و امر بتخریب المدینه(۳). بینما یری الطبری ان اقامته کانت عشره ایام ثم تحول بعیاله و قواده و جنوده الی سامرا(۴).

تقع اطلال مدینه المتوکلیه علی ضفاف نهر دجله، علی بعد عشره کیلومترات من الحدود الشمالیه لسامرا. و لا تزال آثار السور العظیم الذی کان یحیط بدار الخلافه و الدواوین و قصور الخلیفه و الذی یربو طوله علی اربعه کیلومترات و نصف الکیلومتر ماثله للعیان. و تبلغ مساحه الأرض التی کانت تشغلها هذه المبانی (۵۴۰) دونما. کما ان هناک آثار سور آخر یقع جنوبی السور السابق، و کان یمتد بین ضفه نهر دجله و الضفه الیمنی لنهر القاطول و یفصل دار الخلافه و الدواوین و قصور الخلیفه عن بقیه المتوکلیه کما اشرنا آنفا(۵). و لعدم القیام بالتنقیب فی اطلال المدینه خلا ما قامت به مدیریه الآثار القدیمه العامه من التنقیب المحدود فی اطلال بعض الدور السکنیه، فلم تتوفر معلومات کافیه واضحه

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۶.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۳۰.

۴- الطبری ۹/ ۲۳۴.

۵- ری سامراء ۱/ ۱۲۹.

عن المدینه. و کان هززفیلد قد القی نظره خاطفه علی هذه المنطقه من سامرا دون ان ینقب فیها کما سنذکر فیما بعد عند الکلام عن القصر الجعفری.

۲- النهر الجعفری:

فی الوقت الذی کان فیه العمال منهمکین فی انجاز مبانی و منشآت المدینه المتوکلیه فی الماحوزه کان عدد کبیر جدا من عمال الحفر منهمکین ایضا فی حفر النهر الـذی سـیوصل المیاه الی المـدینه الجدیـده. فقد عهد الخلیفه المتوکل علی اللّه الی دلیل بن یعقوب النصرانی کاتب القائد بغا الکبیر، بأمر الاشراف علی حفر النهر المذکور الذی اطلق علیه اسم الخلیفه جعفر المتوکل علی اللّه فسـمی النهر الجعفری. و قـد اسـتخدم فی حفره اثنی عشـر الف رجـل، و لم یزل دلیـل یحمـل المال اجورا للعمال و للنفقات الاخری مما یستلزمه العمل(۱).

یتفرع النهر الجعفری من الضـفه الغربیه لنهر دجله من موضع یقع شمالی تکریت بما یقرب من ۳۸ کیلومترا، و یسیر موازیا لدجله مسافه ۲۰ کم تقریبا، فیتجه نحو الشـرق مبتعدا عن دجله و بعد ان یجتاز الدور (دور تکریت) یصل الی تل اصـطناعی یسمی «تل البنات» و هو تل کبیر ینقسم عنده النهر المذکور الی فرعین یحیطان بالتل. ثم یعود الفرعان بعده للالتقاء ثانیه، فیسـیر النهر مقتربا من دجله حتی یصـل القـاطول الاـعلی عنـد قنطره الرصاصـی الواقعه علی مسـافه ۵ ر ۷ کلم من صـدر القـاطول، و هنا یتشـعب الجعفری الی ثلاثه فروع، فیعبر فرعان منه نهر القاطول، یعبر احدهما علی عباره فوق القنطره المذکوره، و یعبر الفرع

۱- الطبری ۹/ ۲۱۲.

الآخر على عباره اخرى شمالى العباره السابقه، و يصب الفرع الثالث فى نهر القاطول. و بعد ان يعبر الفرعان ينتهيان الى حوض كبير انشى ء فى ضفه القاطول اليمنى لتتجمع فيه مياهما. ثم تتشعب من الحوض عده جداول يمتد احدها الى مدينه المتوكليه، و يوصل الآخر المياه الى السواقى التى حفرت على جانبى الشارع الأعظم، و يمتد جدول ثالث الى القصر الجعفرى ليزود بركته الواسعه بالمياه. و يبلغ طول النهر الجعفرى من مبدئه حتى البركه حوالى ۶۳ كلم(۱).

و كانت العبّاره التى انشئت على قنطره الرصاصى لعبور فرع النهر الجعفرى تستعمل بنفس الوقت جسرا لعبور الناس و الدواب ايضا. و يرجح ان الجعفرى كان يجرى وسط العباره، و على جانبيه ممران للسابله و الحيوانات، و يظهر ان العباره بقيت تستخدم جسرا للعبور بعد ان اهمل النهر الجعفرى. و كانت العباره الشماليه اصغر و تقتصر على عبور فرع الجعفرى عليها. و يلاحظ من الآثار المتبقيه لقنطره الرصاصى الأصليه انها كانت تتألف من ثلاث دعامات و ان مجرى النهر كان يمر من تحت القنطره بفتحتين معقودتين بطاقين ضخمين، عرض كل فتحه عشره امتار. و يبلغ طول البناء الذى يشتمل على الفتحتين و الدعامات الثلاث تسعا و عشرين مترا، و قد قلع هذا البناء من اساسه لاستخراج الرصاص من احجاره(۲).

و هناك اختلاف فى روايات المؤرخين عن النهر الجعفرى، فبعضهم يقول انه لم يتم حفره، و بعضهم يرى أنه تم انجازه الا ان الماء لم يجر فيه بالشكل المطلوب. يقول الطبرى ان المتوكل على

۱- رى سامراء ۲/ ۳۱۹- ۳۲۱.

۲- نفس المصدر/ ۳۳۴- ۳۳۶.

اللّه قتـل فبطل العمل فی النهر و اخربت الجعفریه و نقضت و لم یتم امر النهر(۱). و یقـول الیعقوبی ان النهر لم یتم امره و لم یجر فیه المـاء الا جریـا ضـعیفا لم یکن له اتصـال و لا استقامه رغم انه انفق علیه قرابه الف الف دینار، و هو یعزو صـعوبه حفره الی صلابه الأرض و طبیعتهـا المتکونه من الحصـا و الانهـار ممـا لا تعمل فیه المعاول الا بصـعوبه بالغه(۲). امـا ابن الأثیر فیقول ان المتوکـل علی اللّه حفر للمـدینه نهرا، و قتل فبطل حفر النهر و اخربت المـدینه(۳). و یلاحـظ من هـذه الروایات ان الطبری و ابن الأثیر یتفقان فی ان النهر لم یتم حفره لموت المتوکل علی اللّه، بینما یفهم من روایه الیعقوبی ان حفر النهر لم یتم کما یجب، ای ان حفره کان فاشلا بسبب صلابه الأرض و لذا فقد کان جریان الماء فیه ضعیفا متقطعا.

و یظهر من روایه اوردها احمـد بن یوسف الکاتب عن مشـروع هذا النهر ان ما ذهب الیه الیعقوبی اقرب الی الصواب. و خلاصـه مـا یقوله: ان المتوکل علی اللّه طلب الی محمـد و احمـد ابنی موسـی بن شاکر، و هما من المتقـدمین فی علم الریاضه و الهیئه و حرکـات النجوم و الحیـل، ان یتولیـا حفر النهر الجعفری. فکلفـا احمـد بن کثیر الفرغـانی، و هو مهنـدس کان قـد عمل المقیاس الجدید لنهر النیل بمصر فی سنه ۲۴۷ ه «فغلط فی فوهه النهر و جعلها اخفض من سائره، فصار ما یغمر الفوهه لا یغمر سائره» فلما علم المتوکـل کلف المهنـدس سـند بن علی بـأن یتحری امر النهر المـذکور و یبین له مـا اذا کـان هنـاک خطـأ ارتکب فیه لکی یعاقب الاخوین ابنی موسی بن شاکر.

۱- الطبری ۹/ ۲۱۲.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۳- الکامل ۷/ ۸۷.

و کان قد سبق للأخوین المذکورین ان اساءا الی سند بن علی بأن سعیا به لدی المتوکل علی الله و باعداه عنه. کما کانا قد دبرا علی الکندی العالم الفیلسوف عند المتوکل علی اللّه فغضب علیه، فتوجها الی داره و استولیا علی مکتبته. و لذا فقد توسلا الی سند بن علی ان یتستر علی عیوب النهر و الاخطاء التی ارتکبت فی تخطیطه و حفره. فاشترط سند علیهما ان یعیدا الی الکندی منزلته لدی الخلیفه، و یعیدا الیه مکتبته فأعاداها و أخذا خطه بذلک.

فقال لهما سند: «الخطأ فی هذا النهر یستتر مده اربعه اشهر، و هی فتره زیاده نهر دجله، و قد اجمع الحسّاب- ای المنجمون- علی ان امیر المؤمنین لا یبلغ هذا المدی، و انا اخبره الساعه انه لم یقع خطأ فی النهر، ابقاء علی ارواحکما، فان صدق المنجمون افلتنا نحن الثلاثه، و ان کذبوا و جاءت مدته حتی تنقص دجله و ینضب النهر اوقع بنا ثلاثتنا». فشکر الاخوان له قوله. فدخل سند الی المتوکل علی اللّه و قال له: ما غلطا فی امر النهر. و زادت دجله و جری الماء فی النهر و استتر حاله. ثم قتل المتوکل علی اللّه بعد شهرین من ذلک. و سلم المهندسون المذکورون(۱).

و یظهر من هذا ان النهر الجعفری قد تم حفره و جرت فیه المیاه فی موسم الفیضان، و ذلک قبیل مقتل المتوکل علی اللّه. و ان الخطأ الذی وقع به المهندسون هو عدم التأکد من مناسیب المیاه فی نهر دجله فی مختلف ایام السنه، لکی یحفر مستوی النهر وفق ذلک، بحیث ان صدر النهر جاء اعلی من مستوی المیاه فی دجله فی الظروف الاعتیادیه فلا تجری فیه. و ان الماء الذی جری فیه انما کان فی موسم الفیضان اذ ارتفع فیه منسوبه فسهل انسیابه الی الجعفری و لکن لأمد قصیر. و لا ینکر ان مجهودات عظیمه قد بذلت و اموالا طائله قد انفقت علی النهر، اذ استغرق العمل فیه قرابه

۱- کامل الخبر فی المکافأه/ ۱۹۵- ۱۹۶، و عیون الانباء/ ۲۸۶- ۲۸۷.

سنه و نصف، و ذلک لصلابه الارض التی یمر فیها مما لا یساعد علی الحفر العمیق. اما موضوع اجماع المنجمین علی قرب نهایه اجـل المتوکل علی اللّه، فامر لا یخلو من ان تهدیـد القواد الاتراک باغتیاله قـد شاع بین الناس آنـذاک، و ان ظواهر الامور تـدل علی رجحـان کفه الاـتراک و قرب تحقیـق ذلـک، فاسـتغل المنجمـون الأـمر لاظهـار براعتهم فـادعوا ان حسابـاتهم تعطی تلک الدلاله.

۳- القصر الجعفری:

اشاره

بنی المتوکل علی اللّه فی المـدینه التی اسسـها فی الماحوزه قصـرا سـماه باسـمه «القصـر الجعفری». یقول عنه الیعقوبی: «و انتقل المتوکل الی موضع یقال له الماحوزه .. و بنی هناک مدینه سـماها الجعفریه. و بنی فیها قصرا لم یسمع بمثله»(۱). و یقول عنه ابو الفداء فی حوادث سنه ۲۴۶ ه «و فیها تحول المتوکل الی الجعفری و کان قد ابتدأ فی عمارته سنه ۲۴۵ ه و انفق علیه اموالا تجل عن الحصر»(۲). اما یاقوت الحموی فقد قال عن هذا القصـر: «الجعفری: هذا اسم قصـر بناه امیر المؤمنین جعفر المتوکل علی اللّه بن المعتصم بالله قرب سامرا بموضع یقال له الماحوزه. و فی سنه ۲۴۵ ه بنی المتوکل الجعفری و انفق علیه الفی الف دینار .. لأن الـدراهم کانت فی ایام المتوکل کل خمسه و عشـرین درهما بدینار، فیکون عن الفی الف دینار خمسون الف الف درهم. و لما عزم المتوکل علی بناء الجعفری تقدم الی احمد بن اسـرائیل باختیار رجل یتقلد المستغلات بالجعفری من قبل ان یبنی، و اخراج فضول ما بناه الناس من المنازل، فسمی

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲.

۲- المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۴۱.

له ابا لخطاب الحسن بن محمد الكاتب. فكتب الحسن بن محمد الى ابى عون، لما دعى الى هذا العمل:

انى خرجت اليک من اعجوبهمما سمعت به، و لما تسمع

سميت للاسواق قبل بنائهاو وليت فصل قطائع لم تقطع(۱)

و ايـد ياقوت النفقه التى اشار اليها، فى مكان آخر من معجمه، و لـذلک عند ما عدد قصور المتوكل على الله و ما انفقه على كل منها(۲). و يتضح من ذلک انه لم ينفق على اى قصر آخر مثل هذا المبلغ الكبير الذى يزيد على ضعف ما انفق على قصر بلكوارا مع سعته و ضخامه بنائه. و قد يكون ياقوت واهما فى ذلک. اذ يقول الطبرى ان هذه النفقه كانت على بناء مدينه الجعفرى التى كان يسميها هو و اصحابه المتوكليه(۳). اى ان المبلغ المذكور قد انفق على بناء المدينه كلها و ليس على قصر الجعفرى حسب. و مما يؤيد ان الطبرى يقصد بالجعفرى المدينه لا القصر قوله فى مكان آخر «فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرى قال له نجاح- و كان من النـدماء- يا امير المؤمنين، اسمى لک قوما تـدفعهم الى حتى استخرج لک منهم اموالا تبنى بها مدينتک هذه»(۴). و هو يسميها احيانا الجعفريه(۵).

۱- معجم البلدان ۲/ ۱۴۳.

۲- نفس المصدر ۳/ ۱۷۵.

۳- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۴- نفس المصدر/ ۲۱۵- ۲۱۶.

۵- نفس المصدر/ ۲۲۱- ۲۲۳.

و لا ـ تزال بقایا القصر الجعفری و برکته الواسعه تشاهد علی ضفه نهر دجله فی شمالی السور الداخلی لمدینه المتوکلیه، فی الزاویه التی یکونها نهر دجله من جهه و نهر القاطول من الجهه الأخری(۱). و قد تعرف الآثاری هرزفیلد علی بقایا هذا القصر فی اطلال المتوکلیه، و وصفها بقوله: «انها سور ضخم یغطی مساحه تبلغ ۳/ ۱ ۱ کیلومتر مربع، محاطه بجدران مدعمه بابراج من الطابوق المصنوع من اللبن. و تشکل مضلعا غیر منتظم یقع بین ضفه دجله العلیا و القناه، عند نقطه علی هذه القناه بحوالی ۲/ ۱ ۴ کیلومتر شمالی جامع ابی دلف، و حوالی کیلومتر واحد شمالی قنطره الرصاص. و عثر علی مدخل السور حیث ینقطع منه شارع مستطیل خلال مساحه القصر باتجاه ۷۰ درجه جنوب غربی»(۲).

و قد اشتهر القصر الجعفری بحسنه و فخامه بنائه و ببرکته الواسعه الجمیله. فوصفه عدد من الادباء و الشعراء. یقال ان ابا العیناء، الأدیب البصیر، دخل علی المتوکل علی اللّه فی قصره الجعفری فی سنه ۲۴۶ ه، فقال له المتوکل: ما تقول فی دارنا هذه؟ فقال: ان الناس بنوا الدور فی الدنیا، و انت بنیت الدنیا فی دارک. فاستحسن کلامه(۳). و عند ما انتهی المتوکل علی اللّه من بناء قصره هذا مدحه البحتری و أشاد بالقصر، و مما جاء فی شعره قوله(۴):

أصبحت بهجه النعیم و امست بین قصر الصبیح و الجعفری

۱- ری سامراء ۱/ ۱۳۳.

۲- العماره العباسیه/ ۱۷۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۲۳۶، و معجم الادباء ۱/ ۶۲، و وفیات الاعیان ۳/ ۴۶۸.

۴- دیوان البحتری ۴/ ۲۴۵۱- ۲۴۵۲.

فی البناء العجیب و المنزل الآنس و المنظر الجمیل البهی

و ریاض تصبو النفوس الیهاو تحیا بوردهن الجنی

دار ملک مختاره لامام احرزت کفه تراث النبی

و لعل احسن ما قاله البحتری فی هذا القصر قوله فی احدی مدائحه المتوکل علی اللّه(۱):

قد تم حسن الجعفری، و لم یکن لیتم الا بالخلیفه جعفر

ملک تبوأ خیر دار اقامهفی خیر مبدی للامام و محضر

فی رأس مشرفه حصاها لؤلؤ،و ترابها مسک یشاب بعنبر

مخضره، و الغیث لیس بساکب و مضیئه، و اللیل لیس بمقمر

تقریر لطفک و اختیارک اغنیاعن کل مختار لها و مصدر

فرفعت بنیانا کأن زهاءه اعلام رضوی او شواهد صنبر

ازری علی همم الملوک و غض من بنیان کسری فی الزمان و قیصر

۱- نفس المصدر ۲/ ۱۰۳۹- ۱۰۴۲.

ملأت جوانبه الفضاء و عانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

عال على لحظ العيون، كأنماينظرن منه الى بياض المشترى

و تسير دجله تحته، ففناؤه من لجه غمر و روض أخضر

أعطيته محض الهوى، و خصصته بصفاء ود منك غير مكدر

و اسم شققت له من اسمك فاكتسى شرف العلو به و فضل المفخر

و تظهر القصيده ما كان عليه القصر من سعه المساحه، و كثره الشرفات و ارتفاعها الذى يناطح السحاب العالى. و ان فخامته مما تعجز عن بناء مثله الملوك، و تقصر عنه ابنيه الروم و الفرس.

و انه كان يطل على دجله، و تحيط به الرياض الخضر، و ان الخليفه سماه باسمه، و ذلك مما زاده فخرا و جلالا.

و قد انشأ المتوكل على اللّه امام قصره الجعفرى بركه سميت باسمه ايضا هى «البركه الجعفريه» التى اشتهرت بسعتها و جمال تنسيقها، و اعتبرت فى يومها من عجائب الزمان. و لم يبق منها اليوم سوى حفره عميقه تحيط بها اطلال القصر الجعفرى فى خرائب مدينه المتوكليه، و هى مستطيله الشكل يبلغ طولها زهاء ۱۲۰ مترا و عرضها حوالى ۸۰ مترا، اى بمساحه تقرب من عشره الاف متر مربع. و كان المتوكل على اللّه جعل فرعا من النهر الجعفرى ينتهى اليها من جهتها الشرقيه ليزودها بالمياه. كما انشأ لها ثلاثه كهاريز تخرج من قمرها عند ضلعها الجنوبيه، ثم

تتوحد بكهريز واحد واسع لتصريف مياهها الزائده الى نهر دجله(۱).

و قد سبقت الاشاره الى ان مديريه الآثار العامه ترى ان البركه الجعفريه هذه هى التى وصفها البحترى و سماها البركه الحسناء و اشاد بها بقصيدته المشهوره التى يقول فيها(۲):

يا من رأى البركه الحسناء رؤيتهاو الآنسات اذا لاحت مغانيها

يحسبها انها من فضل رتبتهاتعد واحده، و البحر ثانيها

ما بال دجله كالغيرى تنافسهافى الحسن طورا، و طورا تباهيها

أما رأت كالى ء الاسلام يكلؤهامن أن تعاب، و بانى المجد بانيها

كأن جن سليمان الذين ولواابداعها فأدقوا معانيها

فلو تمر بها بلقيس عن عرض قالت: هى الصرح تمثيلا و تشبيها

تخط فيها وفود الماء معجلهكالخيل خارجه من حبل مجريها

كانما الفضه البيضاء سائلهمن السبائک تجرى فى مجاريها

۱- رى سامراء ۲/ ۳۳۷.

۲- كامل القصيده فى ديوان البحترى ۴/ ۲۴۱۴- ۲۴۲۱.

لا يبالغ السمک المحصور غايتهالبعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمق فيها باوساط مجنحهكالطير تنفض فی جو خوافيها

لهن صحن رحيب فی اسافلهااذا انحططن و بهو فی اعاليها

صور الی صوره الدلفين يؤنسهامنه انزواء بعينيه يوازيها

و زادها زينه من بعد زينتهاان اسمه حين يدعی من اساميها

محفوفه برياض لا تزال تری ريش الطواويس تحكيه و يحكيها

و دكتين مثل الشعريين غدت احداهما بازاء الاخری تساميها

ان البحتری يشيد بحسن البركه، و يشير الی سعتها كأنها البحر و يقول ان دجله تغار منها لحسنها، و كأنها من صنع جن سليمان، و يشبهها بالصرح الذی بناه سليمان لبلقيس من الزجاج الصقيل، و ذلک لشده صفائها. و يشير الی سرعه تدفق المياه فيها كأنها الخيل فی جريها، و انها من السعه بحيث لا يبلغ السمک الذی فيها طرفيها، و ان بهوا مرتفعا يشرف عليها، و ان تمثالا للدلفين كان مقاما فی احد اركانها. و هی محاطه برياض من الورود متنوعه الالوان كريش الطواويس. و ان مما يزيد فی جلالها و زينتها ان تسمی باسم الخليفه جعفر المتوكل علی اللّه.

و يشير فی خاتمه شعره الی دكتين كانتا علی البركتين و يشبههما

بالشعريين، و هما من أسطع النجوم و اقربهما الى الأرض، احداهما الشاميه و تسمى الغميصاء او الغميضاء، و الاخرى يمانيه و تسمى العبور.

قصر لؤلؤه:

و هناك آثار قصر آخر يقع جنوبى القصر الجعفرى على ضفه نهر دجله، خارج سور المتوكليه، يرجح انها اطلال قصر لؤلؤه(۱). و قد قال عنه الطبرى ان المتوكل على اللّه بنى فى المتوكليه قصرا سماه لؤلؤه لم ير فى مثل علوه(۲). و ذكره الشابشتى فى جمله قصور المتوكل على اللّه و سماه «اللؤلؤه»(۳).

و قال ياقوت الحموى ان النفقه عليه بلغت خمسه الاف الف درهم(۴).

۴- جامع ابى دلف:

مقدمه:

يقع جامع ابى دلف فى مدينه المتوكليه التى بناها المتوكل على اللّه فى اواخر سنوات حكمه و اتخذها عاصمه له، شمالى مدينه سامرا. و تبعد اطلال الجامع و بقاياه عن مدينه سامراء الحاليه بنحو خمسه عشر كيلومترا. و كان العالم الآثارى هرزفيلد قد قام بالتنقيب فى اطلال هذا الجامع و توصل الى كثير من المعلومات عن

۱- رى سامراء ۱/ ۱۳۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۳- الديارات/ ۱۵۹.

۴- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

سوره و اروقته و تسقیفه، الا ان تحریاته لم تتناول جمیع اطلال الجامع، کما ان بعضها لم یکن بدرجه کافیه من الدقه. و قد کشفت التنقیبات التی قامت بها مدیریه الآثار القدیمه العامه عن کثیر من المعلومات المتعلقه بمشتملات الجامع و ابعادها، و بتسقیفه. کما قامت بصیانه قسم کبیر من بقایاه، و بخاصه منارته الملویه، و ما بقی من اسواره و جدرانه. و نشر الاستاذان بشیر فرنسیس مفتش الآثار القدیمه، و محمود علی الرسام فی مدیریه الآثار القدیمه العامه مقالا فی مجله سومر(۱)، تضمن جمیع ما کشفت عنه التنقیبات المذکوره.

ان جامع ابی دلف من جمله منشآت المتوکل علی اللّه فی مدینه المتوکلیه. فقد ذکر البلاذری ان المتوکل علی اللّه «احدث مدینه سماها المتوکلیه. و بنی بها مسجدا جامعا»(۲). و قال الیعقوبی ان المتوکل علی اللّه عند بنائه الجعفریه «جعل فی کل مربعه و ناحیه سوقا، و بنی المسجد الجامع»(۳). کما اشار الطبری الی وجود مسجد جامع فی مدینه الجعفریه صلی فیه عبد الصمد بن موسی صلاه الفطر بالناس، و لم یصل بسامرا احد(۴). و یضیف الدکتور احمد سوسه ادله اخری علی ان هذا الجامع شید فی نفس الوقت الذی شیدت فیه المتوکلیه لیحل محل المسجد الجامع فی سامرا.

منها وجود الشارع الواسع الموازی للشارع الأعظم الذی یبدأ من الحدود الجنوبیه للمتوکلیه و یخترقها و ینتهی عند الجامع المذکور.

و الساحتان الواسعتان فی شمالی الجامع و جنوبیه تتفرع منهما

۱- مجله سومر، الجزء: ۱ لسنه ۱۹۴۷/ ۶۰- ۷۶.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۵.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۴- الطبری ۹- ۲۲۱.

الشوارع الی الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، مما یدل علی ان الجامع کان جزءا من تخطیط مدینه المتوکلیه(۱).

اما نسبه الجامع الی ابی دلف فانها حدیثه و یرجح ان الناس اطلقوها علیه فی القرون المتأخره لما یتمتع به صاحب هذا الاسم من الشهره، و لعلمهم انه کان من القواد العرب القلائل فی تلک الایام و قد عاش فی سامرا، فطاب لهم ان ینسبوه الیه، فاطلقوا علیه اسم جامع ابی دلف(۲). و ابو دلف هو القاسم بن عیسی بن ادریس بن معقل العجلی، احد الامراء الشجعان و من کبار رجال الدوله العربیه و قوادها علی عهد الرشید و ابنائه من بعده فی بغداد و سامرا. و قد سماه المتوکل علی اللّه «شقیق دوله بنی العباس»(۳). و قد اشتهر بالسخاء و الکرم و الوفاء کشهرته بالشجاعه و الطعان.

تخطیط الجامع:

تعتبر بقایا جامع ابی دلف ابرز اطلال مدینه المتوکلیه. و هو یشبه فی تخطیطه و شکله العام الجامع الکبیر الذی شیده المتوکل علی اللّه فی سامرا. فی اوائل عهده بالخلافه، شبها کبیرا. فهو مثله مستطیل الشکل، ذو صحن مکشوف محاط من جهاته الأربع باروقه، و مئذنته ملویه ذات مرقاه خارجیه، کما کان محاطا بساحه فسیحه مسوره. اما اوجه الخلاف التی تمیز بها هذا الجامع عن الجامع الکبیر فتنحصر فی الأبعاد و عدد الاروقه و کیفیه التسقیف، کما ستری فیما بعد. کما ان اطلال هذا الجامع علی عکس ما هی علیه بقایا جامع سامرا الکبیر الذی شیدت اسواره من الآجر فبقی معظمها شاخصا حتی الآن، بینما لم

۱- ری سامراء ۲/ ۶۰۴- ۶۰۵.

۲- مجله سومر- العدد المذکور آنفا/ ۷۶.

۳- المحاسن و المساوی ء/ ۲۰۹.

یبق شـی ء مما کان فی داخلها من المبانی سوی بعض المعالم و الأسس. اما جامع ابی دلف فان منشآته الداخلیه قد بنیت بالآجر و الجص فبقیت اکثر جدرانها قائمه عدا سـقوفها، بینما تداعت اسواره المشیده باللبن و تحولت الی خطوط من الآکام و الکثبان، عدا السور الشمالی فانه لا یزال اغلبه قائما قد یصل ارتفاعه فی بعض النقاط الی حوالی سبعه امتار(۱).

یبلغ طول الضـلع الکبری لجامع ابی دلف، و هی الضلع الممتده من الجنوب الی الشمال ۴۷ ر ۲۱۵ متر و ضلعه الصغری الممتده من الشرق الی الغرب ۲۴ ر ۱۳۸ متر، فتکون مساحته ثلاثین الف متر مربع تقریبا. و فی وسـطه صـحن مکشوف مستطیل الشکل ایضا و طول ضلعه الکبری ۰۷ ر ۱۵۵ متر، و ضلعه الصغری ۶۰ ر ۱۰۴ م ای ما مساحته سته عشر الف متر مربع، و تحیط بالصحن من جوانبه الاربعه اروقه مساحتها مع سـمک الجـدران ۵۰۰ ر ۱۳ متر مربع(۲). ای انه محـاط باربعه اقسام: بیت الصـلاه او الحرم فی الجنوب، و القسم الشمالی المقابل للحرم، ثم القسمین الشرقی و الغربی. و جمیع هذه الاقسام تؤلف بوائک تمتد من الجنوب الی الشـمال. و للحرم ست عشـره دعـامه تکون سـبع عشـره بلاطه، و کل بلاطه منها تتکون من خمسه اقواس باتساع ۱۲ ر ۳ متر متجهه نحو الشـمال. و یمتد صف عقود الرواقین فی طرفی الحرم الی الشـمال فیؤلفان فی کل من الضـلع الشرقیه و الضلع الغربیه تسع عشره بلاطه عمقها ۱۴ مترا. و الجزء الشـمالی من الجامع یشـبه الحرم و له ست عشـره دعامه تؤلف سبع عشره بلاطه. و کل رواق

۱- مدیریه الاثار القدیمه- سامرا/ ۶۶- ۶۷ و مجله سومر آنفه الذکر/ ۶۳.

۲- سومر آنفه الذکر/ ۶۳.

یتألف من ثلاثه عقود، معدل اتساع کل عقد ۵۰ ر ۳ متر، تتجه نحو الجنوب(۱).

و یبلغ عمق بیت الصلاه ۲۰ ر ۲۹ متر و هو عمق البوائک التی تنتهی عند الضلع الجنوبیه بدعامات علی شکل الحرف تسند البائکه المستعرضه للاروقه السبعه عشر الموازیه للجدار الجنوبی علی بعد ۶۰ ر ۱۰ متر منه. و اما هذه الأقواس السبعه عشر جناح عمقه ۶۰ ر ۱۰ امتار یمتد من الشرق الی الغرب بامتداد عرض الجامع، و یقع بین جدار القبله و الصفوف الأخیره من اقواس الحرم الموازیه للجدار المذکور. و یبدو ان هذا الجناح ظهر لأول مره فی الجوامع الاسلامیه مما جعل لجامع ابی دلف مکانه فریده فی سلسله تطور تصمیم الجوامع(۲). و قد کشفت التنقیبات التی اجرتها مدیریه الآثار القدیمه العامه عن وجود قواعد للاعمده فی هذا الجناح، مما یرجح انه کان مسقفا مثل حرم الجامع(۳).

و یلاحظ ان اقواس اروقه الجامع من طراز الاقواس ذات الأربعه مراکز، و هی مثل الاقواس التی وجدت فی المبانی الاخری بسامرا، کدار الخلیفه. کما انها تشبه اقواس قصر الاخیضر قرب کربلا فی البادیه، و فی العراق عدد من المبانی القدیمه فیها مثل هذه الاقواس ایضا. و تتکون هذه الاقواس من حلقتین آجرها مربع الشکل، و قد صف آجر الحلقه الداخلیه و وجهه الی الخارج، فی حین ان آجر الحلقه الخارجیه قد جعلت حافته الی الخارج، و سمک الحلقه الواحده نحو ۵۰ سم(۴).

۱- نفس المصدر/ ۶۶- ۶۷، و العماره العباسیه/ ۱۹۱ و ۱۹۴- ۱۹۵.

۲- العماره العباسیه/ ۱۹۳- ۱۹۴.

۳- مجله سومر انفه الذکر/ ۶۷.

۴- نفس المصدر.

المحراب و المنبر:

يقع محراب جامع ابى دلف فى منتصف جداره الجنوبى بمقدار ۵ ر ۱۲ درجه غربا. و قد سبق ان اشرنا الى ان اليعقوبى قد ذكر هذا الانحراف و انه موجود فى كل مساجد سامرا و لهذا سميت زوراء بنى العباس. و هو مشيد بالآجر و الجص و يبرز ظهره عن جدار الجامع من الخارج بمقدار ۴۴ ر ۲ م. و لوحظ من بقايا البناء ما يدل على وجود محرابين للجامع احدهما بظهر الآخر و انهما شيدا فى وقتين مختلفين. و قد يكون الأول قد شيد عند بناء الجامع ثم ارتؤى بعد اكماله ضروره تصغيره لاسباب ربما كان من جملتها وضع المنبر الذى يشغل جزء من المحراب الأول(۱).

و تشاهد عند الركن الأيسر للمحراب بقايا بناء من الآجر و الجص طوله ۶۵ ر ۲ م و عرضه ۲۰ ر ۱ م فى نهايته ثلاث درجات.

و يستنتج من شكل البناء و وضعه انه كان منبرا، و انه قد اضيف بعد اكمال الجامع، و لا يستبعد انه بنى فى وقت واحد مع المحراب الثانى(۲).

سور الجامع و ابوابه:

يحيط بالجامع سور خارجى يفصله عن جدران الجامع فضاء واسع فى الشرق و الغرب و الشمال و عرضه ۱۰۸ م، اما فى الجنوب فيضيق الى ۳۰ م(۳). و قد شيد السور باللبن و كسى وجهاه

۱- نفس المصدر/ ۶۷- ۶۸.

۲- نفس المصدر/ ۶۸.

۳- رى سامراء ۲/ ۶۰۳.

الداخلی و الخارجی بطبقه سمیکه من الجص. و یتراوح سمک السور بین ۶۰ ر ۱ م و ۸۰ ر ۱ م. و هو مثل سور جامع سامرا الکبیر مدعم من الخارج بابراج نصف دائریه. و یقوم فی کل رکن من ارکانه الأربعه برج مستدیر یقوم علی قاعده من الآجر مربعه الشکل طول ضلعها ۶۰ ر ۳ م و اضلاعها مماسه لمحیط البرج، ای ان قطر البرج هو نفس طول ضلع المربع. و قد شیدت الاقسام السفلی من الابراج الی ارتفاع ۵۵ مترا بالآجر مثل القاعده و ما بقی منها بنی باللبن. و قد استعمل للبناء ملاط الجص فی حالتی البناء باللبن او بالآجر.

و تقوم الابراج الاخری و هی نصف دائریه علی قواعد من الآجر مستطیله الشکل طول ضلعها الموازیه للسور ۱۰ ر ۳ م و طول کل من الضلعین المتعامدتین علیه ۹۰ ر ۱ م. و لما کانت هذه الاضلاع مماسه لمحیط البرج فان استدارته تزید علی نصف دائره. و تتوزع هذه الابراج علی جوانب السور الاربعه کالآتی: بنیت فی الضلع القبلیه للسور عشره ابراج و قد شید البرجان اللذان یلیان برجی الرکنین باللبن، و اللذان یلیانهما بالآجر، و هکذا بالتناوب فتکون سته من ابراج هذا الجانب مبنیه باللبن و الأربعه الأخر بالآجر.

و البعد بین الرکنین و البرجین المجاورین لهما ۴۰ ر ۱۲ مترا.

و المسافه بین الابراج الباقیه ۶۰ ر ۴ امتار. اما البعد بین بروز المحراب و البرج المجاور له فهو ۱۸ مترا. و فی الضلع الشمالیه المقابله لضلع القبله ثمانیه ابراج متناظره الابعاد ابتداء من برجی الرکنین، فالبرج الذی یلی الرکن یبعد عنه ب ۸۰ ر ۱۱ مترا، و یبعد هذا عن البرج الذی یلیه ب ۶۰ ر ۱۲ مترا، و یبعد هذا من البرج الثالث ب ۲۰ ر ۱۲ مترا، و البعد بینه و بین البرج الرابع ۶۰ ر ۱۲ مترا، و البعد بین البرجین المجاورین للمدخل الأوسط الذی یقابل المئذنه ۸ ر ۱۱ مترا. و کل هذه الابراج مبنیه باللبن بملاط الجص. و قد حافظ هذا الجانب من السور علی

وضعه تقريبا، فلم تؤثر فيه عوادى الزمن كما فعلت فى اسوار الجوانب الاخرى الا قليلا. و قد لوحظ امام قاعده هذا السور من الخارج وجود قنوات مكشوفه مشيده بالآجر عمقها نحو ۲۰ سم و عرضها ۱۸ سم، و هى تشبه تلك القنوات التى وجدت فى سور جامع سامرا الكبير، و اعتبرت مثلها لتصريف مياه الأمطار. و يبلغ سمك جدار السور فى هذه الضلع ۸۰ ر ۱ مترا. اما ابراج الضلعين الكبيرين، الشرقيه و الغربيه للسور فعددها عشره فى كل منهما.

و كلها مبنيه باللبن بملاط الجص. و البعد بين برج الركن و البرج الذى يليه ۸۰ ر ۳۵ مترا، و الأبعاد بين الابراج الاخرى تكاد تكون متساويه و هى تتراوح بين ۱۴ مترا و ۱۵ مترا. و بهذا يكون مجموع الابراج التى تدعم السور ۴۲ برجا، اربعه منها و هى ابراج الاركان دائريه الشكل- اسطوانيه- و البقيه و عددها ۳۸ برجا نصف دائريه. و كلها مبنيه باللبن عدا اربعه ابراج منها فى الضلع القبليه بنيت بالآجر كما سبق بيانه(۱).

اما ابواب الجامع فعددها ثمانيه عشر بابا، ثلاثه منها و هى القبليه تؤدى الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبيه للسور، و ثلاثه فى الضلع الشرقيه و الغربيه. و يلاحظ فى مواضع ابواب الجامع من جهاته الأربع انها تقع جميعها على محور الأقواس التى امامها، كما هى الحال فى جامع سامرا الكبير، دون مراعاه توسطها الجدران. ففى الضلع القبليه ثلاثه ابواب، يجاور اثنان منها برجى الركنين و يقع الثالث فى الوسط عند المحراب. و يبعد البابان الاولان عن برجى الركنين بنحو مترين و عرض كل منهما ۵۸ ر ۱ مترا. و اظهرت الحفريات ان كل باب منهما كان يؤدى الى حجره طولها ۱۰ امتار و عرضها ۶ امتار، و جدرانها من الآجر، و ارضيتها مبلطه بالطابوق. و يظهر من انفراد هاتين الحجرتين

۱- مجله سومر المذكوره/ ۶۳- ۶۴.

و موضعهما انهما مخصصتان لمن يتولى امور الجامع. اما الباب الثالث و هو الاوسط فانه يبعد عن شرقى بناء المحراب من الخارج ب ۲۰ ر ۱ مترا، و عرضه ۶۰ ر ۱ مترا، و هو يؤدى الى بنايه واسعه مشيده بالآجر تقع خلف المحراب ملاصقه للجدار القبلى. و يبدو ان الغرض من تشييد هذه البنايه ملاصقه للجامع ان تكون مكانا لاستراحه الخليفه اذا ما جاء لصلاه الجمعه، فيدخلها من الباب الذى فى ظهر الجامع، و بعد استراحته و تجديد وضوئه، يدخل الجامع من الباب الذى بجانب المحراب. و قد ظهر من التنقيب ان جميع جدران هذه الدار قد بنيت بالآجر و كسيت بالجص من الداخل و الخارج، و ان جميع حجراتها قد بلطت بالجص ايضا(۱). و من الجدير بالملاحظه انها شيدت على الطراز الحيرى ذى الصدر و الكمين، و هو الطراز الذى شاع آنذاك فى بناء الدور و القصور(۲).

التسقيف و التبليط:

ان ما تبقى من الاقواس و ما يعلوها من البناء لا يدل على ان سقف الجامع كان معقودا بالآجر، و ذلك لعدم وجود التقوسات التى تبدأ منها العقادات. الا انه وجدت عند نقاط تعلو بنحو ۵۰ سم عن ذروه الأقواس فى جهات متعدده من اروقه المصلى ثقوبا بقطر ۲۰- ۲۵ سم على استقامه واحده، و تتراوح المسافه بين ثقب و آخر بين ۶۰ سم و ۷۰ سم. و يستنتج من وجود هذه الثقوب ان السقف كان قائما على جسور من الخشب، و انه كان يرتفع عن مستوى التبليط بنحو سبعه أمتار(۳).

۱- مجله سومر آنفه الذكر/ ۶۴- ۶۶.

۲- نفس المصدر/ ۷۴.

۳- نفس المصدر/ ۶۸.

و كانت الاقسام المسقفه من الجامع مبلطه بطبقه سميكه من الجص، اما الاقسام المكشوفه فقد بلطت بالطابوق المصقول المربع الشكل، و طول ضلع الطابوقه ۳۲ سم و سمكها ۵ سم. و معدل حجم الطابوق الذى استخدم فى تطبيق ساحه المئذنه الملويه ۴۸* ۴۸* ۵ سم، و هو مربع الشكل و مصقول ايضا(۱).

المئذنه:

لجامع ابى دلف مئذنه مبنيه بالآجر و الجص و هى تشبه ملويه جامع سامرا الكبير و قد بنيت على شاكلتها الا انها اصغر منها حجما. و هى تقع على محور الباب الأوسط للجامع و على بعد ۵۰ ر ۹ امتار منه. و تقوم على قاعده مربعه الشكل تقريبا، طول كل من ضلعيها الشماليه و الجنوبيه ۸۷ ر ۱۰ امتار، و طول كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه ۶۰ ر ۱۰ امتار، و تعلو عن مستوى التطبيق ب ۷۰ ر ۲ مترا. و يزين كلا من اوجهها الأربعه صف من المشكيات عددها ۱۳ مشكاه فى كل وجه عدا الوجه الجنوبى ففيه عشر مشكيات تتوسطها باب المصعد. و يقع باب المصعد فى الضلع الجنوبيه لقاعده المئذنه كما اشرنا، و هو يفض الى درج يصعد منه الى سطح القاعده، و يبلغ عرض المدخل ۱۵ ر ۱ مترا، و عدد قدمات الدرج المشيد فى صلب القاعده اربع، تتجه نحو بدن الملويه من غير ان تنعطف الى الحلزون. و يرتفع جسم المناره، اى القسم الحلزونى منها، الى علو ۲۰ ر ۱۶ مترا فوق القاعده، فيصبح ارتفاع ملويه جامع ابى دلف من مستوى التطبيق حتى القمه المتهدمه نحو ۱۹ مترا. و يبدأ الحلزون، و هو سلم المئذنه من يمين

۱- مجله سومر آنفه الذكر/ ۶۹.

الباب و یدور ثلاث دورات کامله باتجاه معاکس لدوران عقرب الساعه، و عرضه متر واحد(۱).

و قد عثر فی الرواقین الواقعین بین المئذنه و الجدار الشمالی للجامع علی رحبه مربعه یبلغ طول ضلعها ۷۰ مترا تحیط بها جدران اقتلعت حجارتها. و وجد فی الجدار الموازی للضلع الشمالیه آثار عشر طاقات زخرفیه مشابهه لتلک التی وجدت علی اوجه قاعده الملویه. و یظهر من هذا ان جدران رحبه المئذنه کانت کلها مزینه بالزخارف المذکوره. و قد ظهرت فی هذه الرحبه آثار قناتین تمتدان بین سور الجامع الخارجی و الجدار الذی فی یمین المئذنه و یسارها، و لعلهما کانتا لتزوید المیضأه بالماء، او لانسیاب میاه الآمطار(۲).

۱- نفس المصدر/ ۶۹.

۲- نفس المصدر/ ۷۲.

الفصل الخامس سامرا بعد المتوكل على اللّه

۱- المنتصر باللّه:

اشاره

بويع للمنتصر باللّه بالقصر الجعفرى بالمتوكليه، الا انه آثر الابتعاد عن مسرح جريمه مقتل ابيه المتوكل على اللّه. فلم يلبث سوى بضعه ايام حتى قرر اعاده عاصمته الى سامرا. و سبق ان ذكرنا انه امر الناس جميعا بالانتقال عن الماحوزه- و هى منطقه مدينه المتوكليه- و ان يهدموا المنازل و يحملوا الانقاض الى سامرا. فخربت قصور المتوكليه و منازلها و اسواقها.

و عند عوده المنتصر باللّه الى سامرا سكن فى القصر الجعفرى المحدث الذى بناه ابوه و انفق عليه عشره الالف الف درهم(۱).

و ذكر الطبرى ان المنتصر باللّه عقد مجلسه فى هذا القصر ليستمع هو و القواد و القضاه و الامراء من بنى العباس الى اعلان اخويه المعتز و المؤيد تنازلهما عن ولايه العهد من بعده(۲). و فى هذا القصر كانت وفاته فى اوائل ربيع الآخر سنه ۲۴۸ ه.

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۳۷ و ۲۴۴.

کـان من المنتظر بعـد ان عـادت الجموع الکثیره من سـکان المتوکلیه الی سامرا ان یعاد بناء قصورها و بیوتها و اسواقها و مرافقها التی سـبق ان هدمت او هجرت عند انتقال العاصـمه الی المتوکلیه. و ان یتم ذلک بموجب تخطیط و تنسیق یعید للمدینه عمرانها و بهاءهـا. الاـ ان الوضع النفسـی للمنتصـر باللّه و ما کان اعتراه من کآبه و قلق لنـدمه علی المشارکه فی اغتیال ابیه، و قصـر مـده حکمه، فـانه لم یقم بشـی ء من ذلـک، بـل انه اهمل مشاریع ابیه العمرانیه، و بخاصه النهر الجعفری فلم یحاول تصـحیح الأخطاء التی حصـلت فی حفره. و لـذا فان سامرا لم تحظ فی ایامه بشـی ء من العنایه بعمرانها، و لکن امه طلبت عنـد وفاته ان تظهر قبره، فبنت له ضریحا اقیمت علیه قبه عرفت بقبه الصلیبیه.

قبه الصلیبیه:

تقع اطلال هذه القبه علی الضفه المرتفعه لنهر الاسحاقی فی الجانب الغربی من دجله، جنوبی قصر المعشوق و علی مقربه منه.

و کـانت فی الأصـل بنایه مثمنه الشـکل تتوسـطها قاعه مربعه یحیط بها رواق مثمن، و یسـتدل من سـمک جـدرانها و من الاسـم الشـائع لهـا انهـا کانت تعلوها قبه. و لا مجال للشک فی انها کانت ضـریحا لأحـد الخلفاء(۱). و کان هرزفیلـد قـد اجری تنقیبات اولیه فی اطلال هـذه البنایه، و وجد فیها ثلاثه قبور مما جعله یرجح انها کانت موضع قبر الخلیفه المنتصـر باللّه. ثم دفن الی جانبه المعتز باللّه و المهتدی باللّه(۲).

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۲.

۲- ۸۸۳: Creswell ,E .M .A .P

یقول الطبری عن دفن المنتصر باللّه انه اول خلیفه من بنی العباس عرف قبره لأن امه طلبت اظهار قبره(۱). و یقول عن دفن المعتز باللّه انه لما مات دفن مع المنتصر فی ناحیه قصر الصوامع(۲). و یضیف ابن الأثیر علی ذلک ان المهتدی باللّه لما مات دفن بمقبره المنتصر(۳). و فی هذا ما یؤید ما ذهب الیه هرزفیلد فی ان قبه الصلیبیه کانت ضریحا للخلفاء المذکورین.

و یری کریزول ان القبه المذکوره تعود الی زمن متأخر من عهد سامرا لأنها مبنیه بنفس المواد التی استعملت فی بناء قصر المعشوق الذی شید فی اواخر عهد المعتمد علی اللّه(۴). و قد یؤید هذا الرأی قرب القبه من القصر المذکور، و ان المعتمد علی اللّه ربما قد بناها لتکون ضریحا له. لاسیما و انه عند ما توفی ببغداد حمل الی سامرا و دفن فیها.

۲- المستعین باللّه:

لما توفی المتنصر باللّه اجتمع کبار القاده الاتراک فی القصر الهارونی و اتفقوا علی اختیار خلف له فبایعوا حفید المعتصم باللّه احمد بن محمد و لقب بالمستعین باللّه. و قد بات لیلته الأولی فی القصر المذکور. و یظهر من مجری الحوادث المهمه علی عهده انه سکن فی قصر الجوسق الخاقانی، قصر جده المعتصم باللّه الواقع علی نهر دجله جنوبی دار الخلیفه. فقد التجأ القائد الترکی اوتامش الی الخلیفه فی هذا القصر لما هاجمه مناوئوه

۱- الطبری ۹/ ۲۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰.

۳- الکامل ۷/ ۲۳۰.

۴- ....

من الأتراک، فدخلوا الجوسق و استخرجوه و قتلوه مع کاتبه شجاع بن القاسم(۱). و لما قتل باغا الترکی حاصر اتباعه من الجند و القواد الموالین له فی قصر الجوسق ایضا. و علم المستعین بالله باجتماعهم فرک القصر منحدرا مع بعض قواد و افراد حاشیته الی بغداد(۲).

و نزل الخلیفه فی بغداد علی محمد بن عبد الله بن طاهر فی داره. ثم انتقل منها الی دار رزق الخادم فی الرصافه. و لما تنازل عن الخلافه و بایع المعتز باللّه نقل هو و عیاله و ولده و جواریه من الدار المذکوره الی قصر الحسن بن سهل بالمخرم، و انزلوا فیها جمیعا(۳).

لقد ظلت شؤون سامرا و مرافقها العمرانیه مهمله طیله خلافه المستعین باللّه، لأنه قضی ما یقارب الثلاث سنوات من حکمه فی سامرا فی صراع مستمر مع الاتراک مما اضطره علی الانتقال الی بغداد، ثم قیام الحرب بین بغداد و سامرا، و لذا لم تتح له الفرصه للقیام بای عمل عمرانی یذکر فی سامرا.

۳- المعتز باللّه:

اما المعتز باللّه الذی بایعه الاتراک الذین ظلموا فی سامرا و فشلوا فی اقناع المستعین باللّه بالعوده الیها، فقد کان ینزل فی قصر الجوسق اول امره. و قد اضاف الیه جناحا خاصا لسکناه احسن عمارته و ریازته. و قد ذکر الشابشتی ان المعتز باللّه بنی فی الجوسق بیتا قدرته له امه و مثلث حیطانه و سقوفه، فکان احسن بیت رئی، و لما انتهی منه دعا المعتز باللّه حاشیته الیه فقضوا

۱- الطبری ۹/ ۲۶۴، و الکامل ۷/ ۱۲۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۰.

۳- الطبری ۹/ ۳۴۸.

احسن یوم سرورا(۱). و ضـرب فیه المعتز باللّه دینارا من دنانیر الصـله کل دینار بـدینارین کتب علی کل دینار منها «ضـرب هذا الدینار بالجوسق لخزینه امیر المؤمنین المعتز باللّه»(۲). و کان المعتز باللّه فی بیته هذا لما جی ء الیه برأس المسـتعین باللّه فی سنه ۲۵۲ ه(۳). و برأس القائد بغا الشرابی فی سنه ۲۵۴ ه(۴).

و یشـیر البحتری فی احـدی قصائـده فی مـدح المعتز بـاللّه الی انه بنی قصـرا فخمـا یقـال له «الکامل» و قـد تضـمن مـدحه بعض اوصاف القصر، و مما جاء فیها قوله(۵):

لما کملت رویه و عزیمهأعملت رأیک فی ابتناء الکامل

و غدوت من بین الملوک موفقامنه لأیمن حله و منازل

ذعر الحمام و قد ترنم فوقه من منظر خطر المزله هائل

روفت لمنخرق الریاح سموکه و زهت عجائب حسنه المتخایل

و کأن حیطان الزجاج بجوه لجج یمجن علی جنوب ساحل

و کأن تفویق الرخام اذا التقی تألیقه بالمنظر المتقابل

۱- الدیارات/ ۶۷۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۶۸.

۳- الطبری ۹/ ۳۶۴، و الدیارات/ ۱۷۰.

۴- الطبری ۹/ ۳۸۰.

۵- دیوان البحتری ۳/ ۱۶۴۶- ۱۶۴۹.

حبك الغمام رصفن بين منمرو مسير و مقارب و مشاكل

لبست من الذهب الصقيل سقوفه نورا يضى ء على الظلام الحافل

فترى العيون يجلن فى ذى رونق متلهب العالى انيق السافل

فكانما نشرت على بستانه سيراء و شى اليمنه المتواصل

اغنته دجله اذ تلاحق فيضهاعن فيض منسجم السحاب الهاطل

وافيته و الورد فى وقت معاو نزلت فيه مع الربيع النازل

يتضح من اوصاف البحترى ان الكامل كان قصرا مرتفعا شاهق البنيان، يحاذر الحمام ان يطاله فى ارتفاعه، و قد بنى بالرخام و المرمر و موهت سقوفه بالذهب الصقيل، و زينت نوافذه بالزجاج الشفاف. و انه كان على شاطى ء دجله بحيث يسقى ماؤها بستان القصر، و ان المعتز باللّه نزل فيه فى اول فصل الربيع.

و مدح البحترى المعتز باللّه بقصيده اخرى اشار فيها الى انه افتتح بناء جديدا، و لعله يقصد القصر الكامل المشار اليه آنفآ، كما يظهر من اوصاف البناء، اذ جاء فيها قوله:(۱)

۱- ديون البحترى- طبعه صادر ۱/ ۱۷۹- ۱۸۰.

بارک اللّه للخلیفه فی الفتح الجنوبی، و البناء الجدید

خیر مبهج، و بنیان بمن فی منیف، عند السماک مشید

فوق صرح ممرد من قواریر، غریب التألیف و التمدید

لو بدا حسنه لجن سلیمان لخروا من رکع و سجود

قد عددنا الیوم الذی جئته فیه لافراط حسنه، یوم عید

کما ذکر البحتری فی احدی مدائحه المعتز باللّه قصرا آخر باسم «قصر الساج» اذ یقول فیها(۱):

و کأن قصر الساج خله عاشق برزت لوامقها بوجه مونق

قصر تکامل حسنه فی قلعهبیضاء، واسطه لبحر محدق

و انی المحل فلا المزار بشاسع عمن یزور، و لا الفناء بضیق

قدرته تقدیر غیر مفرطو بنیته بنیان غیر مشقق

و وصلت بین الجعفری و بینه بالنهر یحمل من جنوب الخندق

۱- دیوان البحتری ۳/ ۱۴۷۹- ۱۴۸۴.

نهر كأن الماء فى حجراته افرند متن الصارم المتألق

لقد بنى المعتز هذا القصر و لم يدخر وسعا فى الانفاق عليه بحيث تكامل حسنه. فقد كان كالقلعه البيضاء وسط ساحه خضراء تكتنفها الاشجار الخضراء و الوان الورود. و كان واسع الارجاء قريبا فى موقعه.

و كان هناك قصر بديع يقع على ضفه القاطول الاعلى فى الناحيه الشماليه الغربيه من ساحه الحير، يعرف بقصر الدكه.

و قد عين الطبرى موقع هذا القصر فى معرض كلامه فى حادث مقتل القائد صالح بن وصيف فى سنه ۲۵۶ ه فيقول ان الناس اجتمعوا و «تهايجوا من دار امير المؤمنين، فركبوا فى السلاح، و اخذوا فى الحير حتى اجتمعوا ما بين الدكه و ظهر المسجد الجامع».(۱) و يرجح الدكتور احمد سوسه ان قصر الدكه هذا هو نفسه القصر المعروف بقصر الساج. و دليله على ذلك ان البحترى لما وصف قصر الساج فى قصيدته آنفه الذكر اشار فى اواخرها الى نهر كان يبدأ من قرب القصر الجعفرى و ينتهى عنده، اى ان النهر يوصل بين القصرين المذكورين، و ذلك بقوله:

الحقه يا خير الورى بمسيره و امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانماانزلت دجله فى فناء الجوسق

ان وصف البحترى بانه قصر تكامل فى حسنه و هو كالقلعه البيضاء يحيط بها البحر، و ان المعتز باللّه وصل بينه و بين الجعفرى

۱- الطبرى ۹/ ۴۵۱.

بالنهر الذی کان یتفرع من قناه سامرا، ینطبق علی قصر الدکه، و لذا فهو قصر الساج الذی بناه المعتز باللّه(١).

و یظهر ان مناطق سکنی الجند من الاتراک قد امتدت بعیدا عن المسجد الجامع الکبیر مما صعب علی المسنین منهم الوصول الیه لأداء فریضه الصلاه، فبتنی المعتز باللّه مسجدا قریبا من مناطق سکناهم.

فأشاد البحتری بصنیع المعتز باللّه بقوله(٢):

یا ابن عم النبی أمتعت العمر و ملیت نعمه الامتاع

یعلم اللّه کیف حمد الموالی ما تعانی من شأنهم، و تراعی

اعظموا المسجد الجدید فابدواو اعادوا فی الشکر عنه المذاع

رحت خیر البانین و اخترت بالامس لخیر البیوت خیر البقاع

فصرت خطوه الکبیر و لاقی متعب فضل راحه و اتداع

۴- المهتدی باللّه.

کان المهتدی باللّه قد اقام فی الجوسق منذ ان بویع له الی ان قتل(٣). و بسبب الوضع المالی السی ء للدوله فقد اتبع المهتدی

١- ری سامراء ١/ ١٢٣.

٢- دیوان البحتری- طبعه صادر ١/ ١٥٠- ١٥٢.

٣- کتاب البلدان/ ٢۶٨.

باللّه سیاسه اقتصاد و تقشف فی جمیع نفقاته و فی النفقات العامه.

و کان بطبیعته یمقت حیاه البذخ و الترف، فخفض کثیرا من نفقات بلاطه و نفقات اهله و ولده، مقتصرا علی الضروری منها.

و لذا لم یحدث فی ایامه التی لم تتجاوز السنه، ای عمران یذکر فی سامرا.

۵- المعتمد علی اللّه:

اشاره

اقام المعتمد علی اللّه عند مبایعته بالخلافه بسر من رأی فی الجوسق و قصور الخلافه، ثم انتقل الی الجانب الغربی من المدینه فبنی قصر موصوفا بالحسن سماه المعشوق(۱). و کنا ذکرنا فی سیرته انه کان مستضعفا، فانه رغم میله الی الفنون و الآداب، و مع طول مده حکمه لم یستطع ان یضیف شیئا الی عمران سامرا الا یسیرا، و هو بناؤه قصر المعشوق. و ذلک لعدم توفر المال من جهه بسبب حرب الزنج و الثورات الداخلیه الأخری، و لسیطره اخیه الموفق علی شؤون الدوله من جهه اخری، مما حال دون ان یتمکن من ان ینفق شیئا من المال حسب مشیئته و رغباته. کما کان الموفق نفسه رجل حرب قضی اغلب ایامه فی جبهات القتال، فلم یعن بالامور العمرانیه.

و کان الاهمال العمرانی الذی اصاب سامرا بعد المتوکل علی اللّه قد حرم قصورها من العنایه بها و صیانتها و تجدیدها، فاصبحت قدیمه و قد فقدت جدتها و رونقها و لم تعد صالحه لسکنی الخلفاء.

و لهذا یلاحظ المتتبع لتاریخ سامرا خلال السنوات العشر الأخیره من حکم المعتمد علی اللّه، انه کان یتردد فی سکناه بین بغداد و سامرا. و سبق ان اشرنا الی انه اتخذ القصر الحسنی ببغداد

۱- نفس المصدر.

سکنا له عند ما یکون فیها، و به کانت وفاته. علی انه استطاع فی سنه ۲۷۵ ه ان یبنی قصرا فخما فی الجانب الغربی من سامرا اسماه المعشوق، و قد انتقل الیه و سکن فیه.

قصر المعشوق:

اشار الیعقوبی الی هذا القصر بقوله «و لما ولی المعتمد اقام بسر من رأی فی الجوسق و قصور الخلافه ثم انتقل الی الجانب الغربی[(۱)] بسر من رأی فبنی قصرا موصوفا بالحسن سماه المعشوق، فنزله فاقام به حتی اضطرته الامور فانتقل الی بغداد»[(۲)]. و قال عنه یاقوت الحموی «المعشوق و هو اسم لقصر عظیم بالجانب الغربی من دجله قباله سامرا فی وسط البریه باق الی الآن[(۳)]. لیس حوله شی ء من العمران، یسکنه قوم من الفلاحین، الا انه عظیم مکین محکم لم یبن فی تلک البقاع علی کثره ما کان هناک من القصور غیره. و بینه و بین تکریت مرحله.

عمّره المعتمد علی اللّه»[(۴)]. و ذکر ابن الجوزی فی حوادث سنه ۳۵۰ ه ان معز الدوله احمد بن ابی شجاع البویهی نقض المعشوق بسر من رأی و حمل آجره لبناء داره ببغداد[(۵)]. و جاء فی کتاب تجارب الامم ان معز الدوله قد اشتدت علته و اراد ان یترک بغداد الا ان وزیره ابو محمد المهلبی صرفه عن رأیه واقنعه بان یبنی قصرا فی اعالی بغداد. و لما شرع بالبناء قلع الابواب الحدید التی علی مدینه ابی جعفر المنصور، و نقض قصور الخلافه بسر من رأی

۱- فی الاصل الشرقی.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۸.

۳- توفی یاقوت الحموی فی سنه ۶۲۶ ه.

۴- معجم البلدان ۵/ ۱۵۶- ۱۵۷.

۵- المنتظم ۷/ ۲.

و نقل منها الآجر لبناء قصره(۱). و يظهر انه نقض قصر المعشوق ايضا.

و كـان على بن يحيى المنجم نـديم الخلفاء مقربا من المعتمـد على اللّه فقلـده بناء المعشوق فبنى له اكثره(۲). لأنه توفى فى سنه ۲۷۵ ه قبل ان يتم بناء القصر. مما يستدل منه ان المعتمد على اللّه شيد هذا القصر فى حدود السنه المذكوره. فعهد وزيره سليمان بن وهب الى محمد بن عبد اللّه بن يحى الاشراف على اكمال بناء القصر، ثم ما لبث ان صرفه الخليفه(۳).

و مر باطلال قصـر المعشوق كل من ابن جبير و ابن بطوطه، فقال عنه ابن جبير ابو الحسن محمد بن احمد الاندلسـى المتوفى سنه ۶۱۴ ه، عنـد مروره بسـامرا «و نزلنـا مع الصـباح مـن يـوم الخميس الثـامن عشـر لصـفر على شـط دجلـه بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق .. فاقمنا بهـذا الموضع طول يومنا مستريحين، و بيننا و بين مدينه تكريت مرحله»(۴). و قال عنه ابن بطوطه ابو عبد اللّه محمـد بن عبـد الله الطنجى المتوفى سـنه ۷۹۷ ه فى رحلته من بغـداد الى الموصـل عنـد مـا مر به «فنزلنـا موضـعا على شـط دجله بالقرب من حصن يسـمى المعشوق و هو مبنى على الـدجله. و فى العـدوه الشـرقيه من هـذا الحصن مدينه سـر من رأى و تسـمى سامرا»(۵).

و كان المستشرق الفرنسى فيوله-Viollet من اوائل المحدثين الذين ابدوا اهتماما بهذا الأثر فنشـر دراسه قصيره عنه و بعضا من مخططاته فى سنه ۱۹۱۱ م، عقبه المستشرق الالمانى

۱- تجارب الامم ۲/ ۱۸۲- ۱۸۳.

۲- معجم الادباء ۵/ ۴۷۶.

۳- الوزراء/ ۲۸۴.

۴- رحله ابن جبير/ ۱۸۵.

۵- رحله ابن بطوطه ۱/ ۱۴۷.

هرزفیلد فاجری بعض التنقیبات فیه قبیل الحرب العالمیه الاولی(۱).

تقع اطلال قصر المعشوق علی الضفه الغربیه لنهر الاسحاقی فی الجانب الغربی من نهر دجله، و تسمی الیوم قصر العاشق. و کان المعتمد علی اللّه آخر خلفاء سامرا قد بناه فی اواخر عهده، قبل انتقال مقر الخلافه الی بغداد. و بنایه القصر مستطیله الشکل ذات طابقین، و قد تحول الطابق الأسفل الی سرداب لتراکم انقاض اجزاء الطابق الثانی فیه. و یبلغ طول البنایه ۱۳۱ مترا و عرضها ۹۶ مترا، و کانت محاطه بساحه مسوره، و یشاهد فی هذه الساحه بین القصر و السور آثار عده مبان فرعیه(۲). و کان یدور حول سور القصر خندق واسع یستمد میاهه من قناه جوفیه (کهریز) ینحدر الیها الماء من العیون التی فی اراضی الجزیره الغربیه فتفضی الیه، لأن موقع القصر کان مرتفعا بالنسبه الی منسوب المیاه فی نهر الاسحاقی فلم یکن بالامکان جر الماء منه الی الخندق(۳).

یعتبر قصر المعشوق من اهم القصور الأثریه المتخلفه عن العاصمه سامرا، و کان بناؤه متینا اذ ان معدل عرض جدرانه ۶۰ ر ۲ مترا، اضافه الی انه معزز بابراج ضخمه تدعمه من جوانبه المختلفه، و تحیط به مسناه من بعض جهاته لحمایته من میاه الأمطار. و ذلک ما حدا بالکتاب و البلدانیین القدماء الی ان یطلقوا علیه صفه القلاع و الحصون. و قد نشر المنقب الآثاری السید ربیع القیسی تقریرا بعنوان «الصیانه الاثریه فی قصر العاشق فی

۱- مجله سومر، العدد ۱ و ۲ من السنه ۱۹۶۷/ ۱۸۳.

۲- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۱.

۳- ری سامراء ۱/ ۸۸.

سامراء» فی مجله سومر(۱). تضـمن وصـفا دقیقا لأعمال الصـیانه التی قامت بها مدیریه الآثار العامه للحفاظ علی البقیه الباقیه من جدران القصـر و ابراجه المتداعیه و کثیر من جدرانه الداخلیه التی استظهرت بنتیجه اعمال التنقیب. و فیما یلی ملخص بما کشف من مرافق القصـر المـذکور قـد تساعـدنا علی تصور تخطیطه و ما کان یحتوی علیه من الغرف و القاعات و الممرات و غیر ذلک من المرافق الاخری.

بنی قصـر المعشوق جمیعه بالآـجر من النوع الکبیر (الفرشـی) من قیاس ۵ ر ۱۰* ۵ ر ۱۰* ۵ ر ۲ بوصه. و من اطلالـه الباقیه فی الوقت الحاضـر یشاهد فی الجهه الشـمالیه منه بقایا جدران امکن الاهتداء بواسـطتها الی مرافق القصـر. و کانت فی القصر اواوین علی غرار الاـواوین فی قصور سـامرا الاـخری. و وجـد ان جـدار الجبهه الشـمالیه للقصـر تصاقبه من الخارج مجموعه من الفرف مسـتطیله و متوازیه و متعامده علی هذا الجدار، و ظهر ان احداها و هی الغرفه الشرقیه تکون ممرا یؤدی الی مرافق القصر العلیا، و یحتمل ان یکون هذا الممر مدخلا للقصـر من جهته الشمالیه. و قد شید هذا المدخل بالآجر و الجص بهیئه سلم منحدر علی دفق من التراب یرتفع الی مسـافه اربعه امتـار ثم ینعطف نحو الیسار، و بعـد مسافه ۱۱ مترا ینحرف مره اخری نحو الیسار مشـکلا ممرا یصل نقطه تقع فوق باب المدخل و عندها ینتهی الدفن المشـید علیه السـلم. و ظهرت دلائل معماریه تؤکد اسـتمرار هذا السلّم و انعطافه یسارا مره ثالثه فیتصل بعقد من الخشب مشکلا سقفا للقسم الأسفل، و یؤدی بعد مسافه ۱۱ مترا الی مدخل بعرض مترین یفضی الی مرافق القصر. و فی جدار المدخل عده نوافذ للاضاءه و التهویه، و کشف عن طابق اسفل تحت هذه الجبهه

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷/ ۱۸۳- ۱۸۷.

بهیئه سرداب مشید بالآجر و الجص علی غرار الأواوین فی العمائر الاسلامیه.

و کشف فی منتصف الجبهه الشرقیه للقصر مدخل تدل معالمه البنائیه علی انه من المبانی المضافه علی هذا القسم، و عن یسار المدخل المذکور ثلاث غرف مستطیله الشکل ذات جدران سمیکه، و علی جدران هذه الجبهه میازیب عمودیه منحوته عرضها ۳۰ سم و عمقها ۲۰ سم لتصریف میاه الأمطار. و یظهر انها نحتت بعد تشیید الجدران لأنه لوحظت آثار قص الجدران، و ان هذا القص یخترق جانبا من المشاکی التی تزین ظاهر الجدران. و کان بعض هذه الجدران تزینها نقوش و کتابات.

و وجد فی الجانب الغربی من القصر منفذ بهیئه عقد یتوسط البرجین الثالث و الرابع و عرضه متران، مع آثار غرف صغیره امام المدخل تلاحق جدران القصر من هذا الجانب.

و فی الجبهه الجنوبیه من القصر وجدت بقایا اربعه ابراج.

و ظهر ان بعض جدران هذه الجبهه قد شیدت علی وجه الارض من دون اساس و ذلک لصلابه الارض التی تقوم علیها هذه الجدران.

و وجد مدخل صغیر فی هذه الجبهه علی غرار مدخل الجانب الغربی من القصر. کما وجدت عده مرافق بقرب هذا المدخل تشابه المرافق الملاصقه لمدخل القسم الغربی.

و قد اشاد البحتری بذکر هذا القصر فی قصیده مدح بها الخلیفه المعتمد علی اللّه مطلعها(۱):

أریتک الآن المع البروق ام شعل مرفضه من حریق

۱- دیوان البحتری- طبعه صادر ۱/ ۱۸۲- ۱۸۴.

الی ان یقول:

لازال معشوک یسقی الحیامن کل دانی المزن واهی الخروق

فما خلونا مذ رأیناه من فتح جدید، و زمان أنیق

أشرق نظارا الی ملتقی دجله یلقاه بوجه طلیق

و طالع الشمس علی موعدبمثل ضوء الشمس عند الشروق

لم أر کالمعشوق قصرا بدالأعین الرائین غیر المشوق

هذاک قد بر فی حسنه سبقا و هذا مسرع فی اللحوق

و قد اشار یاقوت الحموی فی معجمه الی ان المعتمد باللّه کان عمّر قصرا آخر سمی باسمه هو القصر الأحمدی، و لکنه لم یذکر موضعه و متی انشأه، مکتفیا بهذه اللمحه البسیطه، و ذکر ما قاله فیه ابن المعتز واحد الأدباء. فقد ذکر ابن المعتز هذا القصر فی شعر امتدح به المعتمد علی اللّه، منه قوله(۱):

بدر تنقل فی منازله سعد یصبحه و یطرقه

فرحت به دار الملوک فقدکادت الی لقیاه تسبقه

و الأحمدی الیه منتسب من قبل و المعشوق یعشقه

۱- معجم البلدان ۵/ ۱۵۶- ۱۵۷.

و قال بعض اهل الادب: اجتزت بسامرا فرايت على جدران القصر المعروف بالأحمدى مكتوبا(۱):

فى الأحمدى لمن يأتيه معتبرلم يبق من حسنه عين و لا أثر

غارت كواكبه و انهد جانبه و مات صاحبه و استفظع الحيز

۱- نفس المصدر ۱/ ۱۱۷.

الفصل السادس العوده الی بغداد و هجر سامرا

۱- العوده الی بغداد:

لیس هناک تاریخ معین لترک المعتمد علی اللّه مدینه سامرا و العوده الی بغداد، کما لا تتضح الاسباب التی دفعته الی الانتقال.

و ان ما ورد فی المصادر الأولیه حول هذا الموضوع لا یلقی ضوء واضحا علی ذلک. و لکن المتتبع لسیر الحوادث خلال السنوات العشر الأخیره من حیاه سامرا کعاصمه للدوله العربیه یلاحظ ان الخلیفه کان فی اثنائها یتردد بین بغداد و سامرا، فیکون مقره فی سامرا احیانا و فی بغداد احیانا اخری. و نذکر فیما یأتی بعضا من الحوادث التی وقعت خلال المده المذکوره و کانت بغداد مسرح حدوثها مع ان سامرا کانت لا تزال عاصمه الدوله و مقر الخلافه، لأن دواوین الدوله و خزائنها لازالت فیها.

و مما حدث فی سنه ۲۷۰ ه ان ابا العباس احمد بن الموفق، و کان بمعیه ابیه فی حرب الزنج، قدم بغداد و معه رأس الخبیث قائد ثوره الزنج لیراه الناس(۱). مما یدل علی ان الخلیفه کان

۱- الطبری ۹/ ۶۶۳، و الکامل ۷/ ۴۰۵.

حینذاک فی بغداد، لأن من المعتاد ان یحمل رأس الثائر الی الخلیفه لیقرر ما یراه بشأنه، فقد یأمر بدفنه، او بتعلیقه فی محل عام او بالطواف به فی بعض اقالیم الدوله.

و لتسع بقین من جمادی الآخره سنه ۲۷۲ ه قدم ابو العباس بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحین(۱). و فی هذه السنه ورد الخبر مدینه السلام بدخول حمدان بن حمدون و هارون الشاری مدینه الموصل(۲).

و عند ما حبس الموفق ابنه ابا العباس فی سنه ۲۷۵ ه شغب اصحاب ابی العباس و حملوا السلاح، و اضطربت بغداد، فرکب ابو احمد حتی بلغ باب الرصافه(۳).

و لأربع عشره خلت من شهر ربیع الاول من سنه ۲۷۶ ه شخص ابو احمد الموفق من مدینه السلام الی الجبل(۴).

و فی أول یوم من شعبان سنه ۲۷۷ ه قدم بغداد قائد من قواد ابن طولون فی جیش عظیم من الفرسان و الرجاله(۵). و مجی ء هذا الوفد العسکری الی بغداد یدل علی ان الخلیفه کان فیها آنذاک.

و ان وفاه الموفق فی صفر سنه ۲۷۸ ه و دفنه بالرصافه ببغداد(۶)، و وفاه المعتمد علی اللّه فی رجب سنه ۲۷۹ ه ببغداد(۷)، مما یشیر الی انهما کانا قد استقرا فی بغداد.

۱- الطبری ۱۰/ ۹.

۲- الطبری ۱۰/ ۹ و الکامل ۷/ ۴۱۹.

۳- الطبری ۱۰/ ۱۵ و الکامل ۷/ ۴۳۳.

۴- الطبری ۱۰/ ۱۶.

۵- الطبری ۰۱/ ۱۸، و الکامل ۷/ ۴۳۹.

۶- الطبری ۱۰/ ۲۲، و الکامل ۷/ ۴۴۳.

۷- الطبری ۱۰/ ۲۹، و الکامل ۷/ ۴۵۵.

یقول ابن الأثیر ان المعتمد علی اللّه اول الخلفاء انتقل من سر من رأی مذ بنیت ثم لم یعد الیها احد منهم(۱).

و یؤید الخطیب البغدادی تردد المعتمد علی اللّه علی بغداد، اذ یذکر انه کان قد استنزل بوران ارمله المأمون عن قصرها المعروف بالحسنی، فاستنظرته ایاما فی تفریغه و تسلیمه. ثم رممته و عمرته و فرشته باجل الفرش، و ملأت خزائنه بما یخدم به الخلفاء، و رتبت فیه من الخدم و الجواری ما تدعو الحاجه الیه، فلما فرغت من ذلک انتقلت منه. فانتقل المعتمد الیه. و لما کانت بوران قد توفیت فی اواخر ربیع الأول من سنه ۲۷۱ ه، فان انتقال المعتمد علی اللّه الی القصر کان قبل وفاتها.(۲)

و یشیر یاقوت الحموی الی نفس الخبر المذکور فیقول: «فاتاه فرأی ما اعجبه و ارضاه و استحسنه و اشتهاه، و صار من احب البقاع الیه، و کان یتردد فیما بینه و بین سر من رأی فیقیم هناک تاره و هناک تاره اخری»(۳). و واضح من هذا ان المعتمد علی الله لم ینتقل الی بغداد بصوره نهائیه.

و قد لاحظ یاقوت ان سامرا «لم تزل کل یوم فی صلاح و زیاده و عماره منذ ایام المعتصم و الواثق الی ایام المنتصر بن المتوکل. فلما ولی المستعین و قویت شوکه الأتراک و استبدوا بالملک و التولیه و العزل، و انفسدت دوله بنی العباس، لم تزل سر من رأی فی تناقص للاختلاف الواقع فی الدوله بسبب العصبیه التی کانت بین امراء الاتراک. الی ان کان آخر من انتقل الی بغداد من الخلفاء و اقام بها و ترک سر من رأی بالکلیه المعتضد باللّه امیر المؤمنین»(۴).

۱- الکامل ۷/ ۴۵۵.

۲- تاریخ بغداد ۱/ ۹۹- ۱۰۰.

۳- معجم البلدان ۲/ ۴.

۴- نفس المصدر ۳/ ۱۷۶.

و ذکر المؤرخ زکریـا بن محمـد القزوینی مثـل هـذا، فقـال «و لم تزل فی زیاده عماره من ایام المعتصم الی ایام المسـتعین، فعند ذلـک قویت شوکت الأـتراک و وقعت المخـالفه فی الـدوله. فلم تزل فی نقص الی زمـان المعتضـد باللّه فانه انتقل الی بغـداد و ترک سامرا بالکلیه»(۱).

ان ما ذکرناه یؤید ان المعتمد علی اللّه کان یترد بین سامرا و بغداد، و انه لم ینتقل بصوره نهائیه الی بغداد. و لعل قیامه ببناء قصر المعشوق فی سامرا خلال سنتی ۲۷۵ و ۲۷۶ ه دلیل آخر علی انه لم یزمع الانتقال منها. الا انه عنـد ما تولی المعتضد باللّه الخلافه فی رجب من سنه ۲۷۹ و هو فی بغداد آثر الاستقرار بها، و نقل دواوین الدوله الیها، فعادت من جدید عاصمه للدوله العربیه.

و هکذا کانت سامرا عاصمه للدوله العربیه خلال المده من اوائل سنه ۲۲۳ ه حتی رجب سنه ۲۷۹ ه، ای طیله مده تقرب من سبع و خمسین سنه عدا المده التی انتقل بها المتوکل علی اللّه الی المتوکلیه. اما المده التی انتقل بها المتوکل علی اللّه الی دمشق فانه «لم یر فی سـفرته هذه شیئا و لا نظر فی مصلحه»(۲). ای انه لم یمارس اعماله خلالها. و المده التی انتقل فیها المسـتعین باللّه الی بغـداد و بقاؤه فیها حتی تنازله عن الخلافه و قـدرها سـنه واحـده، فقد بقیت سامرا خلالها عاصـمه للخلیفه المعتز باللّه الذی بایعه القواد الأتراک اثر انحدار المستعین باللّه الی بغداد.

۲- اسباب هجر سامرا:

و کما قامت مـدینه سامرا و اتسـعت خلال مـده و جیزه من الزمن فقد قدر لها ان یغتالها الاهمال و یعمها الخراب بسـرعه ایضا. و لیس

۱- آثار البلاد و اخبار العباد/ ۳۸۶.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

هناک اسباب واضحه لهجرها و عوده مقر الخلافه الی مدینه السلام.

الا- ان المتتبع یلمس اهمال الخلفاء الذین جاءوا بعد المتوکل علی اللّه شؤون المدینه العمرانیه عدا مده قصیره فی ایام المعتز باللّه. و ذلک بسبب انشغال الدوله العربیه بالحروب و ما اصابها جراء ذلک من انهاک و ارهاق و بخاصه من الناحیه المالیه، بقیام ثوره الزنج التی استمرت خمسه عشر عاما، و خروج الولایات الشرقیه بین حین و آخر علی سلطه الخلافه. بحیث فقدت سامرا و بخاصه قصورها جدتها و بهاءها و اصبحت لا تلیق بسکنی الخلفاء فیها. مما جعل المعتمد علی اللّه، رغم الظروف المالیه الصعبه، یبنی له قصرا فی الجانب الغربی من المدینه. و ان المعتضد باللّه الذی قضی اکثر ایامه قبل تولیه الخلافه ببغداد، رأی بعد ان بویع له ان الاقامه بالقصر الحسنی اکثر راحه و اعظم ابهه من السکن باحد قصور سامرا القدیمه.

و لا- ینکر ان عوده العاصمه الی بغداد و نقل مختلف الدواوین و رجالها الیها، و ما تبع ذلک من انتقال عدد کبیر من سکان سامرا رعایه لمصالحهم، أثر تأثیرا بالغا فی عمران سامرا، و افرغها من سکانها تقریبا بحیث کادت تخلو منهم تماما. کما کان لصعوبه توفیر میاه الشرب لسکان الضفه الغربیه المرتفعه من سامرا، و هی الجانب الأوسع و الأهم منها، تأثیر مهم آخر فی نزوحهم عنها.

فهجرت المدینه التی نافست بغداد ردحا من الزمن زاد علی نصف القرن، و تطرق الیها الاضمحلال و الخراب. و قد احسن یاقوت الحموی بقوله انها خربت حتی لم یبق منها سوی موضع المشهد و محله بعیده یقال لها الکرخ، و اصبح «سائر ذلک خراب یباب یستوحش الناظر الیها بعد ان لم یکن فی الأرض کلها احسن منها و لا- اجمل و لا اعظم و لا آنس و لا اوسع ملکا»(۱).

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۶.

۳- سامرا بعد هجرها:

و قـد وصف سامرا بعد هجرها بسـنين عديده بعض البلدانيين، و ذكرها بعض الرحالين الذين مروا بها. فقال عنها الاصـطخرى «و هى خراب ربمـا يسـير الرجل فى مقـدار فرسـخ منها لا يجـد بها دارا معموره»(۱). و قـال المقدسـى «و الآن خربت، يسـير الرجل الميلين و الثلاـثه لاـ يرى عمـاره، و هى الجانب الشـرقى، و فى الغربى بساتين .. فلما خربت سـميت ساء من رأى»(۲). و قال ابن حوقل «و مـدينه سـر من رأى فى وقتنا هـذا مختله و اعمالها و ضـياعها مضـمحله، قـد تجمع اهل كل ناحيه منها فى مكان لهم به مسجد جامع و حاكم و ناظر فى أمورهم، و صاحب معونه يصرفهم فى مصالحهم.

و هواؤهـا و ثمـار اصـح من ثمـار بغـداد و هوائهـا. و لهـا نخيـل و كروم و غلاـت تحمـل الى مـدينه السـلام، و هى الآـن خراب اكثرها»(۳).

و مر بها الرحاله ابن جبير فى طريقه من بغداد الى الموصل، فقال عنها «و نزلنا مع الصـباح من يوم الخميس الثامن عشـر من صفر على شـط دجله بمقربه من حصن يعرف بـالمعشوق. و على قباله هـذا الموضع فى الشط الشـرقى مـدينه سر من رأى و هى اليوم عبره من رأى، اين معتصـمها و واثقها و متوكلها؟ مدينه كبيره قد استولى عليها الخراب الا بعض جهات منها هى اليوم معموره. و قـد اطنب المسـعودى رحمه اللّه فى وصـفها و وصـف طيب هوائهـا و رائق حسـنها، و هى كمـا وصف و ان لم يبق الاـ الأـثر من محاسنها»(۴).

۱- كتاب الاقاليم/ ۴۸.

۲- احسن التقاسيم/ ۱۲۲- ۱۲۳.

۳- صوره الارض/ ۲۱۸.

۴- رحله ابن جبير/ ۱۸۵.

اما ابن بطوطه الذی توفی سنه ۷۷۹ ه ای بعد وفاه ابن جبیر ب ۱۶۵ عاما فقد مر بها ایضا و قال عنها «فنزلنا موضعا علی شط دجله بالقرب من حصن یسمی المعشوق و هو مبنی علی الدجله. و فی العدوه الشرقیه من هذا الحصن مدینه سر من رأی و تسمی ایضا سامرا .. و قد استولی الخراب علی هذه المدینه فلم یبق منها الا القلیل.

و هی معتدله الهواء رائعه الحسن علی بلائها و دروس معالمها. و فیها ایضا مشهد صاحب الزمان»(۱).

و لم یفکر احد من الخلفاء بعد المعتضد باللّه بالعوده الی سامرا.

و لکن یظهر مما ذکره ابو الحسن الهلال الصابی ان المکتفی باللّه کان کلفا بها و کان یخرج الیها للصید(۲). و یشیر الطبری فی حوادث سنه ۲۹۰ ه الی ما یدل علی ان المکتفی باللّه قد اراد الانتقال الیها.

فهو یقول «و لعشر بقین من جمادی الآخره خرج المکتفی بعد العصر عامدا سامرا مریدا البناء بها للانتقال الیها، فدخلها یوم الخمیس لخمس بقین من جمادی الآخره، ثم انصرف الی مضارب ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبد الله و القوام بالبناء فقدروا له البناء و ما یحتاج الیه من المال للنفقه علیه، و کثروا علیه فی ذلک، و طولوا مده الفراغ مما اراد بناءه، و جعل القاسم یصرفه عن رأیه فی ذلک و یعظم امر النفقه فی ذلک و قدر مبلغ المال، فثناه عن عزمه»(۳). و قد ذکر ابن الجوزی مثل هذا فی حوادث سنه ۲۹۰ ه(۴). و قد یکون نقله عن الطبری. کما اشار الی ذلک ابن الأثیر فی حوادث السنه المذکوره(۵).

۱- رحله ابن بطوطه/ ۱/ ۱۴۷.

۲- الوزراء/ ۲۵۲.

۳- الطبری ۱۰/ ۹۸- ۹۹.

۴- المنتظم ۶/ ۳۸.

۵- الکامل ۷/ ۵۲۹.

و کتب عبـد اللّه ابن المعتز الی صدیق له یمدح سر من رأی و یصف خرابها، و یذم بغداد و اهلها، و یفضل سامرا، نجتزی ء منه بعض الفقرات(۱): کتبت الیک من بلـده قـد انهض الـدهر سـکانها، و اقعد جدرانها، فشاهد الیأس فیها ینطق، و حبل الرجاء فیها یقصـر، فکأن عمرها یطوی، و کأن خرابها ینشـر، و قـد وکلت الی الهجر نواحیها، و اسـتحث باقیها الی فانیها. و قد تمزقت باهلها الدیار، فما یجب فیها حق جوار، فالظاعن منها ممحو الأثر، و المقیم بها علی طرف سـفر، نهاره ارجاف و سـروره احلام، لیس له زاد فیرحل و لا مرعی فیرتع. فحالها تصف للعیون الشـکوی، و تشـیر الی ذم الـدنیا، بعـد ما کانت بالمرأی القریب جنه الأرض و قرار الملک، تفیض بالجنود اقطارها، علیهم اردیه السیوف و غلائل الحدید، کأن رماحهم قرون الوعول، و دروعهم زبد السیول، علی خیـل تأکـل الأـرض بحوافرهـا .. علی انهـا و ان جفیت معشوقه السـکنی، و حبیبه المثوی، کوکبها یقظان، وجوها عریان، و حصاها جوهر، و نسیمها معطر، و ترابها مسک أذفر، و شرابها مری ء ..

لا کبغدادکم الوسـخه السماء، الومره الهواء، جوها نار و ارضها خیار، و ماؤها حمیم، و ترابها سرجین، و حیطانها نزوز، و تشرینها تموز. فکم فی شمسها من محترق، و فی ظلها من عرق، ضیقه الدیار، قاسیه الجوار، ساطعه الدخان قلیله الضیفان.

اهلها ذئاب، و کلامهم سباب، و سائلهم محروم و مالهم مکتوم لا یجوز انفاقه و لا یحل خناقه، حشوشهم مسایل و طرقهم مزابل، و حیطـانهم اخصـاص و بیوتهم اقفـاص، و لکل مکروه أجل، و للبقاع دول، و الـدهر یسـیر بالمقیم و یمزج البؤس بالنعیم. و بعد اللجاجه انتهاء، و الهم الی فرجه، و لکل سابله قرار، و باللّه استعین، و هو محمود علی کل حال:

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۷- ۱۷۸.

غدت سر من را فی العناء فیا لهاقفا نبک من ذکری حبیب و منزل

و اصبح اهلوها شبیها بحالهالما نسحبتهم من جنوب و شمأل

اذا ما امروء منهم شکا سوء حاله یقولون لا تهلک اسی و تجمل

و اذا ما تتبعنا الأخبار عن سامرا بعد هجرها فاننا نجد ذکرها یتردد مقرونا باحداث بعض السنوات. فقد جاء فی حوادث السنه ۲۸۱ ه ان الأعراب دخلوا سامرا و اسروا ابن سیما(۱). و ذکر فی حوادث السنه ۲۹۶ ه عند ما خلع المقتدر و بویع عبد اللّه بن المعتز ثم عاد المقتدر، ان ابن المعتز و من بایعه من القواد حاولوا ان یسیروا الی سر من رای بمن تبعهم من الجند فیثبت أمرهم و یشتد سلطانهم، فلم یتبعهم احد(۲). و فی حوادث السنه ۳۲۰ ه ان مؤنسا انحدر من الموصل فی شوال و بلغ خبره جند بغداد فشغبوا و طلبوا ارزاقهم، ففرق المقتدر باللّه فیهم اموالا کثیره، و انفذ ابا العلاء سعید بن حمدان و صافیا البصری فی خیل الی سر من رأی، و انفذ ابا بکر بن یاقوت فی الفی فارس و معه الغلمان الی المشوق(۳). و عن وفیات السنه ۳۲۲ ه یقول ابن الأثیر «و فیها توفی خیر بن عبد اللّه النساج الصوفی من أهل سامرا»(۴). و ذکر فی حوادث سنه ۳۳۰ ه عند ما هرب ابو حسین البریدی من بغداد الی واسط و عاد الخلیفه المتقی باللّه الیها مع ابن حمدان، و کان المتقی قد سیر اهله من

۱- الطبری ۱۰/ ۳۷، و الکامل ۷/ ۴۶۸ و فیه انهم قتلوه.

۲- تجارب الامم ۱/ ۶، و الکامل ۸/ ۱۶.

۳- تجارب الامم ۱/ ۲۳۴، و الکامل ۸/ ۲۴۱.

۴- الکامل ۲۹۸.

بغـداد الی سـر من رأی، فاعـادهم. کمـا عاد من هرب الیها من الأعیان(۱). و لما نشـبت بین اصـحاب معز الدوله بعکبرا و ناصـر الدوله و من معه من الاتراک بسر من رأی فی سنه ۳۳۴ ه عبر اصحاب معز الدوله من الدیلم من الجانب الشرقی من سر من رأی الی الجانب الغربی و ساروا الی تکریت فنهبوها، ثم صار بعضـهم الی سـر من رأی فنهبوها ایضـا(۲). و یـذکر ابن الأثیر ان جامع سر من رأی احـترق فی سـنه ۴۰۷ ه(۳). و عنـد مـا خرج امر الخلیفه القادر باللّه فی سـنه ۴۱۵ ه بصـرف ابن ابی طـالب عن نقابه الکوفه انکر الوزیر المغربی ما یجری علی صـهره ابن ابی طالب من العزل، و کان عند قرداش بسر من رأی(۴). و ورد فی وفیات السنه ۴۲۵ ه وفاه ابی سـنان غریب بن محمد الملقب بسـیف الدوله فی شـهر ربیع الآخر فی کرخ سامرا، و کان قد ضـرب دراهم سماها السیفیه(۵).

و جاء فی حوادث السنه ۴۷۸ ه ان السلطان برکیاروق قتل عمه تکش و غرقه فی سر من رأی(۶).

۱- تجارب الامم ۲/ ۳۰، و الکامل ۸/ ۳۸۵.

۲- تجارب الامم ۲/ ۸۹- ۹۰، و الکامل ۸/ ۴۵۳.

۳- الکامل ۹/ ۲۹۵.

۴- الکامل ۹/ ۳۳۶.

۵- الکامل ۹/ ۴۳۸.

۶- الکامل ۱۰/ ۲۳۹.

الفصل السابع دور السكنى فى سامرا

ان دور السكنى التى تم الكشف عنها فى اطلال سامرا كانت تتألف من طابق ارضى واحد بوجه عام. و جدرانها مبنيه باللبن و الجص. اما الآجر فقد استعمل فى تطبيق ارض بعض الغرف، فى عقد الطيقان. و قد شوهد فى بعض الدور نوع من الطابوق المصنوع من الجص فى بناء الطيقان و العقادات المهمه.

اما ارضيه الغرف فيبلط بالآجر و بعضها بالجص، و قليل جدا منها بلط بالرخام الابيض او الاسمر، و قطع الرخام المستعمله مربعه الشكل او مثلثه. و كانت الجدران عاده تطلى بالجبس.

و لوحظ فى بعض الدور ان القسم الأسفل من جدران غرفها كانت تكسوه قطع الرخام الى ارتفاع متر واحد تقريبا. و على جدران معظم الغرف زخارف محفوره فى الجبس بالوان جميله. اما الجدران الخارجيه فلا أثر للتزيين فيها. و شوهد فى كثير من البيوت اعمده و اساطين مصنوعه من الجص ملتصقه بالجدران، و تحتها قواعد بديعه. و لا شک ان رؤوس هذه الأعمده كانت على هيئه التيجان.

و اغلب الأعمده التى عثر عليها جصيه كلها، و قليل منها يتكون داخلها من اللبن او الطين و قد كسيت بالجص لتجميل منظرها.

و وجد فی جدران بعض الغرف روازین مزینه بالزخارف. و کانت ابواب الغرف تحاط باطار بارز من الجص بوجه عام(۱).

و یظهر ان بیوت سامرا بنیت علی نسق واحد، اذ یتقدم البیت مدخل مسقف- و هو ما نسمیه بالمجاز- یفضی الی باحه مکشوفه مستطیله فی آخرها قاعه رئیسه علی شکل حرف"T '' مقلوب مع غرفتین صغیرتین فی الزاویتین، و تحاط القاعه بصفوف من الغرف للسکن او لاتخاذها مخازن، و السقوف جمیعها خشبیه(۲).

و قد یکون فی الدار اکثر من صحن واحد، و کما اشرنا آنفا فان الغرف فی جمیع البیوت المکتشفه مرتبه علی نظام واحد: الغرفه الأصلیه و تتألف من قسمین، الأول بمثابه الایوان و یتعامد مع القسم الثانی من وسطه و یکون عاده اعرض منه و أقل طولا. و تقوم علی طرفی الایوان غرفتان صغیرتان تنفتح باب کل منهما علی جناح القسم الثانی الذی یکون بمثابه رواق یمتد امام الغرفتین و یتصل بالایوان الذی یتوسطهما. و مما یلفت النظر ان هذا الترتیب ینطبق تماما علی «الطراز الحیری» الذی سبقت الاشاره الیه. فکان القسم المتوسط الشبیه بالایوان هو «الصدر» و الغرفتان اللتان علی جانبیه هما «الکمان» اما القسم الذی یتعامد مع الصدر و الکمین فهو «الرواق». و قد ظهر فی بعض الدور مجازان طویلان علی علی طرفی الکمین و الرواق، و هما بمثابه «خزانه الکسوه» و «مستودع الشراب». کما لوحظ فی بعض الدور ان الصدر لا یتصل بالکمین مباشره، بینما کان فی دور اخری متصلا بهما بصوره مباشره. و قد وجد فی احدی الدور المکتشفه ان الصدر کان غرفه مثمنه الشکل ذات ثلاثه ابواب، و ان بعض الغرف مقسمه الی

۱- حفریات سامراء ۱۹۳۶- ۱۹۳۹/ ۱/ ۲۵.

۲- ۷۸۲ - ۶۸۲: P. A. M. E. Creswell .

قسم داخلی و قسم خارجی بواسطه جدارین صغیرین او بسلسله من الأعمده(۱).

و اظهرت التنقیبات فی الدور المکتشفه عده حمامات، و مرافق صحیه، و بالوعات منتظمه یزید عمق بعضها علی ثلاثه امتار.

و شوهد فی بعض الدور مجاری للمیاه متقنه الصنع. کما شوهد فی کثیر من هذه الدور محلات مخصصه لتربیه الحمام، یقع بعضها فی احدی زوایا الدار، و بعضها الآخر تحت الدرج. و شوهدت فی بعض الدور غرف مخصصه لذلک و قد بنیت علی جدرانها اکنان علی نظام بدیع. و کان قسم من هذه الاکنان واسعه یستدل منها انها کانت لتربیه الطیور الداجنه الکبیره کالاوز و الدجاج.

و کشف عن وجود سرادیب فی بعض دور السکنی المذکوره علی اختلاف مواقعها، و وجد فی بعضها سردابان. و السرادیب المذکوره محفوره فی الطبقه الصخریه التی تعرف بین الاهلین باسم «السن».

و کان ینزل الی هذه السرادیب بدرج منظم یتألف قسمه الاعلی من خمس قدمات، و قسمه الاسفل من ست قدمات. و یدخل النور الی السرداب عاده من طاقات مفتوحه فی سقفه، و تظهر هذه الطاقات فی ارض الدار کفوهات آبار. و حفرت فی جدران بعض السرادیب نوافد عمیاء (روازین) لوضع بعض الحاجات و الاسرجه(۲).

و من المعتاد ان یکون فی مدخل الدار دهلیز او مجاز مستطیل تقوم علی طرفیه دکتان معدتان للجلوس، و یعقب هذا الدهلیز او المجاز مجاز آخر فیه دکتان او اکثر. و مما یلفت النظر ان امثال هذه الدکات کانت لا تزال تشاهد فی دور سامراء الحالیه فی وقت القیام بالتنقیبات. و یکون مدخل الدار فی اغلب الاحیان بارزا عن جدار الدار، و علی طرفیه حنایا علی شکل محاریب، و علی طرفیها بعض

۱- حفریات سامراء انف الذکر ۱/ ۲۷- ۲۸.

۲- نفس المصدر/ ۳۱- ۳۲.

الأعمـده، مما يكسب مـدخل الـدار جمالا. و لوحظ فى معظم الـدور المكتشـفه آثار تغييرات حصـلت فى بنائها، و فى زخارفها، اكثر من مره، كاسـتحداث باب فى احـد الجـدران، او سد باب قديم، او تقسـيم غرفه الى قسـمين او اكثر، او ردم الأرض و تعليه التطبيق.

او تجديد بعض الزخارف و النقوش. و ذلک ما نسميه اليوم بالصيانه و الأدامه. و تدل هذه التغييرات على نزعه التجديد. لقد لقد شوهـدت فى بعض الـدور مثلا، قاعه كبيره قـد قسـمت الى غرف صـغيره بجـدران بسـيطه. حتى ان بعض المغاسل و المراحيض اسـتحدثت فى زاويه من زوايا غرفه غنيه بالزخارف البـديعه، مما يـدل بشـكل واضح على ان التغييرات كانت قد أحدثت بعد ان هجرت الدار من اصحابها الأغنياء فتحولت الى مأوى يسكنه عدد من العائلات الفقيره(۱).

و قد وجدت بعض البيوت التى تقع على الشارع العام، تحتوى على صف من الدكاكين(۲). و كان تزيين البيت من الداخل سمه لهـا شأنهـا. فقـد كـانت الافاريز العاليه المزخرفه و المنقوشه توجـد فى معظم البيوت، لا سـيما فى الغرف، و هى تـدور فى جميع جوانبها.

و كـذلک كـانت السـقوف ايضا تزين بالنقوش، كما تزخرف اطارات الابواب و النوافـذ، وجل هـذه الزخارف من الجص، و قد تفنن صانعوها فى رسمها و صنعها و زينوها احيانا بالصور(۳).

و كان من المعتاد ان يزداد عـدد الغرف فى الـدار كلما اتسـعت مساحتها، و قـد يبلغ عدد الغرف فى الدار الواحده ستين غرفه، و بها شبابيک تغطيها الواح من الزجاج المتنوع الألوان، يتراوح عرض اللوح الواحد بين العشرين و الخمسين سنتمترا(۴).

۱- حفريات سامراء آنف الذكر ۱/ ۳۲- ۳۳.

۲- ۷۸۲. Creswell ,E .M .A .P .

۳- دائره المعارف الاسلاميه ۱۱/ ۸۶.

۴- الحضاره الاسلاميه ۲/ ۱۷۲.

الفصل الثامن زخارف سامرا

مقدمه:

لاـ شـک فی ان توفر مـاده الطین لصـنع اللبن، و التربه الکلسـیه الصـالحه لتحضـیر الجص لاسـتخدامه ملاطا و مؤنه للبناء و لطلاء الجـدران و زخرفتهـا بـالرسم او النقش او الحفر، ممـا ساعـد علی تقـدم الریـازه و تطور طرز العمـاره فی سامرا و ازدهار الزخرفه الجصـیه التی اتخـذت لتزین البنایـات و القصور ازدهارا کبیرا، بحیث نشأ فیها طراز خاص من هـذه الزخرفه باشـکال لا تعـد و لا تحصـی ارتبـط باسـمها فعرف فی تاریـخ الفن المعمـاری بزخارف سامرا. و ان ما کشـفت عنه التنقیبات من النقوش الزخرفیه فی قصور سامرا و منازلها یـدل علی براعه صانعیها، و مـدی تقـدمهم فی هـذا الفن آنذاک. و یلاحظ ان من ممیزات هذه الزخارف انها قد تعمل فی خلال البناء او بعد اتمامه، و ان القشـره الجصـیه التی علیها الزخارف یمکن ان ترفع بسـهوله و ان تعوض بقشره جدیده تزخرف باشـکال تختلف عن الأشـکال السابقه. و بعد ان اتخذ القالب لصـنع الزخارف المطلوبه صار عملها بهذه الطریقه رخیصا مما عمم استعمالها و اتاح للفنانین مجالا واسعا للعمل فی هذا المضمار(۱).

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۳۹- ۴۰.

و لاـ ینکر ان ثمه عوامل فنیه اخری توفرت فی سامرا لأنها غدت مرکزا جذبت الیها فنانین و صناع کثیرین من جمیع انحاء المعموره، و قد استهوتهم ثروه بلاط الخلفاء و الرعایه التی کانوا ینعمون بها فی ظلهم. فقدر لهذه المدینه ان تکون البوتقه التی انصهرت فیها فنون امم مختلفه من روم و سریان و فرس و اقباط و هنود، و بزغ من ذلک فن جدید هو فن الریازه العربیه(۱). و سوف نحاول ان نترسم خطی تطور هذه الزخارف التی اتسع نطاق استخدامها فاتخذت فی الحجر و فی الخشب اضافه الی الجبس و الجص.

الزخارف الجصیه:

سبق ان اشرنا الی ان جدران الغرفه القائمه فی مدخل السرداب الصغیر فی دار الخلیفه قد زینت برسوم قافله من الجمال حفرت علی الجبس، و ان جدران اواوین هذا السرداب نقشت علیها زخارف جصیه. و قد ازدانت جدران قصور سامرا و مساکنها بالزخارف الجصیه الجمیله. و تفاوتت رسوم هذه الزخارف و اشکالها تفاوتا کبیرا، فبعضها غایه فی البساطه و الغلظه، مستقیم الخطوط، غائر العمق، و بعضها احکم زخرفا و ابدع زینه، و قد اهتم الآثاریون بذه الزخارف اهتماما خاصا، فدرسوا مصادرها و تتبعوا مراحل تطورها. و یمکن القول ان العالم الآثاری هرزفیلد اول من عنی بذلک. و قد قسم هذه الزخارف الی ثلاثه انواع بحسب تطورها الزمنی. و یظهر ان تقسیمه نال قبولاـ لدی العلماء الآثاریین ممن اهتموا بهذا الفن الذی ازدهر فی عهد سامرا فنسب الیها.

و النوع الأول هو النوع القدیم الذی کان امتدادا للطراز الزخرفی الذی کان سائدا عند تأسیس مدینه

۱- دائره المعارف الاسلامیه ۱۱/ ۸۷.

سامرا. و یتمیز هـذا النوع بعمق حفره و قرب زخارفه من الطبیعه، و هی تتکون من تفریعات العنب، و کیزان الصنوبر، و المراوح النخیلیه، داخل تقسیمات هندسیه، و لها خلفیات واضحه. و مع ان الزخارف هنا تعتمد علی اسالیب الزخرفه الامویه، الا ان رجال الفن فی سامرا ابتکروا اشکالا جدیده ذات مظهر زخرفی رائع(۱).

و یری کریزول ان الشکل الممیز لهذا الطراز هو استخدام العنب فیه، مما یشاهد فی زخارف قبه الصخره مع بعض التغییر فی عدد الاوراق المستخدمه فی الزخرفه، و اختفاء حبات العنب التی کانت تظهر فوق الورقه عند اتصالها بالساق، و اضافه عیون جاحظه بین الورقات، و املاء الأرضیه، و هذا النموذج من الزخارف یری علی باب العامه و هو من البنایات الأولی فی سامرا(۲).

و فی النوع الثانی ابتعد الفنان عن الطبیعه فی رسم زخارفه التی تتکون من اشکال و تفریعات هندسیه تحمل اوراقا نباتیه او اشکالا مختلفه من المراوح النخیلیه. کما اهمل خلیفیه الرسم و صارت مجرد خطوط تفصل عناصر الزخرفه. الاـ انه احتفظ بممیزات الطراز الأول الاخری کعمق الحفر و احاطه الزخارف باشکال هندسیه(۳). و هذا النوع من الزخارف الجصیه لا تظهر فیه الشجره او النبته کامله، اذ اختفت سیقانها المتشابکه و اخذ کل منها یظهر مستقلا و متفرقا فی نهایته. ای ان الصفه الغالبه علی هذه الزخارف انها ابتعدت عن الطبیعه، و ان التفاف السیقان و التقاؤها هو الغالب بحیث امکن املاء المربعات و المثمنات بالسیقان و البراعم(۴).

۱- العراق مهد الفن الاسلامی/ ۲۱- ۲۲، الفنون الاسلامیه/ ۹۳.

۲- ۹۸۲: Creswell ,F .M .A .P .

۳- العراق مهد الفن الاسلامی/ ۲۲، و الفنون الاسلامیه/ ۹۳.

۴- ۹۸۲: Creswell ,E .M .A .P .

اما النوع الثالث فهو احدث الطراز المذکور، و فیه تبلورت الاسس الفنیه لزخارف سامرا. فابتعد الفنان تماما عن الطبیعه و اهمل خلفیه الرسم. و اصبحت الزخرفه تقوم علی خطوط متصله ببعضها بشکل لا- یحتاج معه الی الزخارف الدقیقه التی کانت تملأ الفراغ بین الزخارف الکبیره، لأن الأرضیه فی هذا النوع کادت تختفی تماما(۱). و ان طریقه عملها اصبحت تعتمد علی القوالب، بحیث ان الزخارف لم تعد ترسم و تحفر علی الجدار مباشره، کما کان الحال فی النوعین الأول و الثانی، حینما کان الفنان یرسم الزخارف علی الجدران فی المکان المطلوب زخرفته ثم یحفر الأرضیه و الخلفیات حول الرسم لیبرز العناصر الزخرفیه المطلوبه. و کان ذلک یتطلب دون ریب جهدا و مالا- فاتبعت طریقه القوالب و بخاصه فی زخرفه المساحات الواسعه من الجدران و السقوف. اذ یعمل الزخرف علی قالب من الطین ثم یفخر لیکتسب صلابه، و من ثم یصب ملاط الجص او الجبس فوق القالب بعد ان یدهن کی لا یلتصق الجص بالقالب، ثم یرفع لوح الجص بعد جفافه تماسکه.

و واضح ان هذه الطریقه و فرت مالا- و وقتا و جهدا. لأن القالب یستخدم لمرات عدیده فی صنع زخارف متماثله. و لکی لا تتشوه الواح الجص المزخرفه عند رفعها من قوالب فقد اتبع فی حفر القالب طریقه الحفر المائل. و اساس هذه الطریقه ان تنحت العناصر الزخرفیه نحتا مائلا، و تتقابل حوافها فی شکل زوایا منفرجه.

و قد اتبعت هذه الطریقه ایضا فی النحت علی الحجاره و زخرفه الخشب. و یطلق علیها الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل «Beveled»

(۲). و یقول کریزول ان القالب یعمل اول الأمر من الخشب ثم تصب علیه نماذج عدیده من الطین، و بعد ان

۱- العراق مهد الفن الاسلامی/ ۲۲- ۲۳، و الفنون الاسلامیه/ ۹۳.

۲- الفنون الاسلامیه/ ۹۴.

تفخر هـذه النمـاذج تصـبح هى القوالب التى تصب عليهـا الزخارف المطلوبه من الجبس، و كان اهم عامل لـذلك هو الرغبه فى سرعه انجاز الزخارف بالنظر لسعه الحركه العمرانيه(١).

و يزعم بعض الآثـاريين ان الفنان فى سامرا اقتبس هـذه الطريقه فى الحفر من الزخارف التى رآها محفوره حفرا مائلا على بعض بعض الحلى التى كان الرقيق الاتراك يجلبونها معهم من بلادهم.

و من هؤلاـء ارنست كونل Ernest Kuhnel الـذى يرى ان «هـذا التطور الأـخير فى سامرا يعتبر ثوره زخرفيه كامله. و ابتكارا لطراز عباسـى خاص مطعم بالفن التركى، يقوم على اساس الطراز السـيتى لتصوير الحيوان فى الفن الشـعبى الطورانى، و قـد اخذ عن الخشب اصـلا، ثم اسـتعمل فى ادوات الزينه. و معروف ان الحفر المائل يمثل هجره الشعب السيتى وحده»(٢). على انه مهما كانت العوامل المؤثره و التى دفعت الى ابتكار هـذا الطراز فنحن امام اسـلوب جديـد فى الزخرفه الجصـيه غير مسـبوق، او بعباره اخرى امام فن عربى ناضج، و قد خرج من العراق، او على الأدق من سامرا الى شـرق العالم الاسلامى و غربه، محمولا على ايدى العراقيين، او على ايدى فنانين مسلمين و فدوا الى العراق لكى يتعلموا طراز الخلافه العباسيه على ايدى فنانى العراق و صناعه(٣).

ان هـذه الوحـدات الزخرفيه النباتيه من الازهار و الاوراق و الفروع و البراعم التى رسـمها الفنان العربى فى زخارف سامرا بعد ان حورها و احسن تنسيقها، و اسبغ عليها جمالها الفنى الذى تميزت به، اطلق عليها الاوربيون اسم الأرابسک خ خ Arabesque

---

١- ٩٢٠: Creswell ,E .M .A .P

٢- الفن الاسلامى/ ٣٩.

٣- العراق مهد الفن الاسلامى/ ٢٦.

و يتضح من هذه التسميه ان هذه الزخارف عربيه اصلا. و قد توسع استعمال هذه الوحدات الزخرفيه، فنقشت على سقوف القاعات و الغرف، و على ابواب الجوامع و قبابها، و على المقرنصات و الدلايات. و لم يقتصر صنعها على الجص و الجبس، بل اتخذت ايضا على الحجر و الآجر و الخشب، كما رسمت على الطابوق المزجج القاشانى الذى غلفت به قباب الجوامع.

و هذه الزخارف النباتيه التى ولدت تحت سماء سامرا و تجلت خطوتها الاولى فى الطراز الثالث من طراز الزخارف الجصيه، قد اخذت تنمو و تتقدم حتى وصلت ذروه جمالها فى بعض مبانى مدينه الموصل، لا سيما المحاريب الحجريه التى يحتفظ بها المتحف العراقى ببغداد(۱). و يحتفظ المتحف العراقى بنماذج عديده لزخارف سامرا الجصيه بمراحلها او طرزها الثلاث. فهناك لوحان من الجص من هذه الزخارف، و هما من النوع الأول، عثر على احدهما فى قصر الجص الذى بناه المعتصم باللّه فى الجانب الغربى من سامرا، و عثر على اللوح الآخر فى احد دور سامرا التى اجرى التنقيب فى اطلالها(۲). و ثلاثه الواح من الجص نقشت بزخارف هندسيه على طراز سامرا الثانى، و جزء من جدار فيه شباك مزين بالواح جصيه مزخرفه من الجانبين بنقوش هندسيه و نباتيه من الطراز المذكور(۳). و ثلاثه الواح من الجص مزخرفه بنقوش نباتيه و هندسيه، و هى من الطراز الثالث لزخارف سامرا(۴).

و محراب من الجص مزخرف بنقوش و كتابات كوفيه وجد فى احد

۱- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۳۵.

۲- كنوز المتحف العراقى/ ۴۱۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۱۷.

۴- نفس المصدر/ ۴۱۹.

القصور بسامرا(۱). و لوحان من الرخام نقشا بزخارف محفوره حفرا عميقا باشكال هندسيه بديعه وجدا فی سامرا(۲).

الزخارف الخشبيه:

لم تكن القطع الخشبيه التی عثر عليها فی خلال الحفريات التی اجريت فی اطلال سامرا كثيره، بسبب سرعه تلف الخشب اذا ما تعرض للعوامل الجويه او لفعل الأرضه. و لكنها رغم قلتها كانت متنوعه تنوعا كبيرا. فقد لوحظ ان بعضها سميكه و مزخرفه بطريقه الحفر او الخرط، و بعضها قليله السمك مزخرفه بطريقه النقش بالاصباغ، و قسما منها مزخرفه بطريقتی الحفر و النقش معا.

و اكثر ما عثر عليه من القطع الخشبيه حشوات للابواب، او اجزاء من زخارف سقفيه، و كانت الالوان الغالبه فی زخرفتها اللون الأحمر و الازرق و الابيض، و قد استخدم اللون الأصفر احيانا(۳). اما اشكال النقوش التی رسمت باللوان مختلفه علی الخشب فتغلب عليها الرسوم الهندسيه المؤلفه من خطوط منكسره و مثلثات متتاليه او سلسله من الدوائر، مما يؤلف زخارف معقده جميله، و قد استخدمت فی بعض النقوش عناصر نباتيه و حيوانيه(۴).

لقد ابتكر الفنان العربی فی خلال القرن الثالث، ای فی عهد سامرا، طريقه جديده فی الحفر هی طريقه الحفر المائل او المشطوف، و ابتكر اسلوبا زخرفيا يناسبها. و مع ان طريقه الحفر المائل استخدمت فی حفر الزخارف الجصيه علی نطاق واسع الا انه

۱- نفس المصدر/ ۴۱۸.

۲- نفس المصدر/ ۴۱۹.

۳- حفريات سامراء/ ۲/ ۱۴- ۱۵.

۴- نفس المصدر/ ۱۵.

یرجح ان اول ظهورها کان علی الخشب(۱). و یحتفظ متحف المترو بولیان بامریکا من هذا الاسلوب الزخرفی الجدید بمصراعی باب و حشوتین قد تکونان جزء من کتفی باب او من سقف منقوش، و قد عثر علیهما فی تکریت و یرجح انهما جاءا من سامرا، و تعتبر هاتان الحشوتان من اکمل امثله الحفر علی الخشب فی سامرا. اما زخارف مصراعی الباب فموزعه- حسب الطریقه التقلیدیه- علی اقسام مستطیله و مربعه داخل اطار خال من الزخرفه، و قد استخدمت فی زخارف الباب و فی الحشوتین الفروع النباتیه و اشکال الزهریات و قد جمعت بشکل بعید عن الطبیعه(۲). و ان الالواح الخشبیه التی عثر علیها فی اطلال احد قصور سامرا الذی اجریت فیه التنقیبات تحتوی علی رسوم قوامها موضوعات نباتیه وفق اسلوب زخارف سامرا الجصیه، و هی ملونه بالالوان المشار الیها آنفا، و تحدها خطوط باللون الاسود(۳).

و فی المتحف العراقی مجموعه من قطع الخشب المزخرف من حشوات الأبواب و مصاریعها، و کلها ذات زخارف بارزه من طراز القطع المائل، وجد معظمها فی حفریات سامرا. منها لوحان من الخشب احدهما مزخرف بنقوش نباتیه دقیقه جدا، و الواح مزخرفه و ملونه. و قطعتان مزینتان بنقوش نباتیه محفوره(۴).

و قد دخل اسلوب زخرفه الخشب و نقشه الی مصر و اصبح شائعا فیها فی عهد الاماره الطولونیه. و فی المتحف الاسلامی فی

۱- الفنون الاسلامیه/ ۳۷.

۲- نفس المصدر/ ۱۱۷- ۱۱۸.

۳- نفس المصدر/ ۳۷/ ۳۸.

۴- کنوز المتحف العراقی/ ۴۱۹.

القاهره مجموعه من الأخشاب المزخرفه تعود الى العهـد المذكور، و تشـتمل على قطع من الابواب و السـقوف و الافاريز، و قطع الاثاث المدهون بعضها بالالوان الزاهيه، كما يوجد منها بمتحف المترو بوليتان امثله اخرى جميله(۱).

و لعـل من احسن أمثله الخشب المحفور من عهـد سـامرا مما لا يزال محافظا على شـكله الأصـلى منبر جامع القيروان الـذى جلبه الأـمير الاـغلبى ابـو ابراهيم احمـد بن محمـد من العراق(۲). و يتكـون المنـبر المـذكور من صـفوف من الحشـوات المقسـمه الى مسـتطيلات تزينهـا الزخـارف الهندسـيه المتشـابكه و النباتات المجرده و التفريعات من ورق العنب. و نجـد فى احـدى الحشوات شجره نخيل مسـتمده من شـجره الحياه الشـرقيه، و هذه تنتهى بزوج من القرون تعلوها كيزان الصنوبر، و شكل كروى على جانبيه مراوح نخيليه. و يتمثـل فى هـذه الزخـارف اسلوب سـامرا المجرد، و ذلـک فى زخارف من فروع العنب تحمل اوراقا نباتيه، فى البعـد عن الطبيعه، و كيزان صـنوبر بـدلا من عناقيـد العنب. و بعض كيزان الصـنوبر قريب من مظهره من الطبيعه، و بعضـها الآـخر ينتهى باشـكال من انصـاف المراوح النخيليه، و هـذه تغطيهـا اوراق نبـاتيه. و تزين منـاطق اخرى من تلـک الحشوات موضوعات مجرده تتكون من عـده تعبيرات مركبه يمكن اعتبارهـا من الاصول الفنيه لبعض العناصـر الزخرفيه للاسلوبين الثانى و الثالث من زخارف سامرا الجصيه(۳).

۱- الفنون الاسلاميه/ ۱۱۸.

۲- هو الامير السادس من بنى الاغلب و قد امتدت امارته من سنه ۲۴۲ حتى سنه ۲۴۹ ه.

۳- الفنون الاسلاميه/ ۱۱۵- ۱۱۶.

الرسوم الحائطيه:

كان من المعتاد ان يغطى الجزء الأسفل من جدران الغرف الرئيسه فى القصور و فى كثير من البيوت بوزره من الجص او الطابوق المصقول الى ارتفاع متر واحد تقريبا، مع حشوات زخرفيه. اما بقيه الجدار فتزين بالصور و الرسوم الحائطيه.

و من اطرف هذه الرسوم ما عثر عليه فى جناح الحريم، و تضم مناظر راقصات و موسيقيين، و طيورا و حيوانات، تنحصر بين دوائر او تفريعات نباتيه(۱).

و قد كشفت التنقيبات التى اجريت فى اطلال قصور سامرا عن رسوم حائطيه رسمت على عديد من جدران الأبهاء و القاعات و الغرف و الحمامات، و قد ابدع صانعوها فى رسمها و تلوينها.

و كانت بعض الرسوم بالالوان المائيه تموه بالذهب، كما اشرنا الى ذلك فى تزيينات قصر بلكوارا و زخارفه. كما سبق ان اشرنا الى انه قد رسم على جدار احدى القاعات فى قصر المختار الذى بناه المتوكل على اللّه صوره رهبان الكنيسه و قائد صلاتهم. و تم العثور على بعض المساكن الخاصه و فى احد الحمامات. و اعظم هذه الرسوم اهميه هى التى وجدت فى قصر الخليفه، و بخاصه فى قسم الحريم منه. و فى هذه الرسوم فروع نباتيه تشغل الفراغات، و رسوم بشريه، و رسوم حيوانات(۲). و كانت الدرجات فى حمامات سامرا تزين بالصور بدلا من البلاط المختلف الالوان، و ذكر المسعودى ان الناس يصورون العنقاء فى الحمامات(۳).

۱- نفس المصدر/ ۳۷.

۲- فن التصوير عند العرب/ ۴۲.

۳- الحضاره الاسلاميه ۲/ ۱۸۵.

و لعل اروع الصور التی عثر علیها سلیمه واضحه و قد احتفظت بالوانها و کانت تزین حائط احدی غرف قسم الحریم فی قصر الخلیفه. و تعد هذه الصوره مثالاـ نموذجیا لاسلوب سامرا فی الرسم المائی. و هی تمثل راقصتین کاملتی الملبس، تبدوان و کأنهما تتحرکان احداهما نحو الاخری و تمسکان بایدیهما المتقاطعتین بکأسین تصبان فیهما الخمر بشکل متزن من وعائین یظهران خلف رأسیهما. و ان الاوانی الذهبیه، و التیجان و الأحزمه، و اللآلی ء فی رأسیهما و فی آذانهما، و کذلک الألبسه الثقیله و الجذائل الطویله، کل هذه توضح بان تینک المطربتین تنتمیان الی قصر الخلیفه. و قد تجلت المهاره و الدقه و الابداع فی الرسم و فی التلوین، و جمیعها تنطق بان المصور العراقی فی عصر سامرا قد بلغ درجه عالیه من النضوج(۱).

و فی المتحف العراقی قطع جداریه من الجص علیها رسوم بالالوان المائیه بزخارف هندسیه و نباتیه و حیوانیه وجدت فی اطلال مختلفه من قصور سامرا(۲). و قطع من الخشب مصبوغه بالوان مختلفه علیها رسوم باشکال هندسیه متنوعه، وجدت فی حفائر سامرا(۳).

الزخرفه بالفسیفساء:

عثر بین انقاض بعض الغرف فی دار الخلیفه علی کمیه کبیره من الفصوص الزجاجیه: مکعبات صغیره من الزجاج الملون بینها

۱- العراق مهد الفن الاسلامی/ ۵۰، و فن التصویر عند العرب/ ۴۲.

۲- کنوز المتحف العراقی/ ۴۱۷.

۳- نفس المصدر/ ۴۱۹.

الأخضر و الأسود و الأحمر و الازرق و الذهبی، و کان البعض منها ملتصقا بقطع جصیه مما یستدل منه انها کانت تستعمل لتغطیه الجدران بزخارف من الفسیفساء. کما وجدت بین الأنقاض المذکوره کمیه من القطع الصدفیه التی تختلف عن بعضها اختلافا بینا من حیث اشکالها و ابعادها، و کان بعض هذه القطع ملتصقا بقطع جصیه بین فصوص زجاجیه منتظمه، مما یدل علی انها کانت تدخل فی ترکیبات الفسیفساء الزخرفیه لتکسبها رونقا و جمالا خاصا. و وجدت کذلک قطع زجاجیه سوداء و حمراء مختلفه الأطوال و الأشکال مما یدل علی انها کانت تتخذ لتطعیم جص الجدران و تکوین انطقه و اطارات للزخارف(۱).

و فی المتحف العراقی کسر من القاشانی الملون او من نوع الفسیفساء وجدت فی اطلال سامرا، و اکثرها من دار الخلیفه(۲).

۱- حفریات سامراء ۱۹۳۱- ۱۹۳۹، ۲/ ۱۳.

۲- کنوز المتحف العراقی/ ۴۱۴.

الباب الثانی خلفاء سامرا ۱- الخلافه و المبایعه و ولایه العهد

۲- المعتصم باللّه

۳- الواثق باللّه

۴- المتوکل علی اللّه

۵- المنتصر باللّه

۶- المستعین باللّه

۷- المعتز باللّه

۸- المهتدی باللّه

۹- المعتمد علی اللّه

الباب الثانی خلفاء سامرا

الفصل الأول الخلافه و المبایعه و ولایه العهد

١- الخلافه:

اشاره

یتطلب فهم طبیعه عهـد الخلفاء العباسـیین فی سامرا، من حیث اسـلوب الحکم الـذی اتبع فی اداره شؤون الـدوله العربیه المترامیه الأطراف. و طرق معـالجه المشاکـل الـداخلیه و الخـارجیه التی واجهتهـا. معرفه نظـام الخلافه و اسـسه التی قـام علیها و العوامل المختلفه التی اثرت فی تطوره، و لذا سنحاول فیمایلی ان نوضح ذلک مختصرا.

لقـد تطور نظام الحکم العربی فی العهـد العباسـی عما کان علیه فی عهـد الأمویین. و قـد حصل هـذا التطور بفعل عوامل متعدده أثرت فیه، لعل اهمها الاساس الـدینی الذی بنی علیه العباسـیون حقهم فی الخلافه. اذ انهم ثبتوا نظام الوراثه فی الحکم، و اعتبروا قرابتهم

من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الأساس الشرعى لخلافتهم. و كان نهج العباسيين هذا تطورا تاريخيا طبيعيا للدوله العربيه لأنها لم تقتصر على البلاد العربيه وحدها، بل انها ضمت تحت لوانها اقواما عديده اعتنق اغلب ابنائها الدين الاسلامى و جعلوا ولاءهم له، و هو يدعو الى التوحيد بين الناس و يعتبرهم سواسيه و لا يفضل احدا على آخر الا بالتقوى. فقد جاء فى خطاب ابى العباس السفاح اول خلفاء بنى العباس، عند ما بويع بالخلافه قوله: «الحمد للّه الذى اصطفى الاسلام لنفسه و كرمه و شرفه و عظمه، و اختاره لنا و ايده بنا و جعلنا اهله و كهفه و حصته .. و خصنا برحم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و انبتنا من شجرته و اشتقنا من نبعته»(۱).

كما انهم اكدوا على الأساس الدينى لحكمهم. و قد جاء فى خطبه داود بن على و هو عم السفاح قوله: «و رجع الحق الى نصابه فى اهل بيت نبيكم، اهل الرأفه بكم و الرحمه لكم و التعطف عليكم، الا و ان ذمه اللّه و ذمه رسوله و ذمه العباس لكم ان نسير فنحكم فى الخاصه و العامه منكم بكتاب اللّه و سنه رسوله»(۲). بحيث اصبحت الخلافه منصبا مقدسا يستلزم الولاء و الطاعه و النصره(۳). و انها خلافه عن صاحب الشريعه مع حراسه الدين و سياسه الدنيا(۴).

و ولايه عامه على كافه الأمه، و القيام بامورها و النهوض باعبائها(۵). فكان الخليفه رأس الدوله و مصدر السلطات كلها، و هو المرجع الأخير لشؤون الرعيه الدينيه منها و الدنيويه.

۱- خلاصه الذهب المسبوك/ ۵۴- ۵۵.

۲- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۳۵۰.

۳- الاحكام السلطانيه للماوردى/ ۸.

۴- مقدمه ابن خلدون/ ۱۰۴.

۵- مآثر الانافه ۱/ ۸.

اما الشروط التی یجب ان تتوفر فیمن یتولی الخلافه فان الماوردی یری ان الشروط المعتبره سبعه، اولها: العداله، و الثانی: العلم المؤدی الی الاجتهاد، و الثالث: سلامه الحواس، و الرابع سلامه الأعضاء، و الخامس الرأی المفضی الی سیاسه الرعیه، و السادس. الشجاعه و النجده، و السابع: النسب و هو ان یکون من قریش(۱).

و یری ابو یعلی الحنبلی انها اربعه، احدها: ان یکون قرشیا من الصمیم، و الثانی: ان یکون علی صفه من یصلح ان یکون قاضیا، و الثالث: ان یکون قیما بأمر الحرب و السیاسه و اقامه الحدود، و الرابع: ان یکون من افضلهم فی العلم و الدین: و قد روی عن الامام احمد بن حنبل ما یجیز اسقاط اعتبار العداله و العلم و الفضل(۲).

و یتفق ابو یعلی مع الماوردی فی جواز ان یسمی خلیفه من عقد له الامر، و ان یسمی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لأنه خلفه فی امته(۳).

و قد لخص ابن خلدون الشروط المذکوره باربعه هی: العلم و العداله و الکفایه و سلامه الحواس و الأعضاء مما یؤثر فی الرأی و العمل، و اختلف فی شرط خامس و هو النسب القرشی، و اذا ما تقرر ان نصب الخلیفه واجب فهو من فروض الکفایه، و یتعین علی اهل الحل و العقد نصبه، و یجب علی الجمیع اطاعته(۴).

۱- الاحکام لسلطانیه للماوردی/ ۴.

۲- الاحکام السلطانیه لابی یعلی/ ۴.

۳- الاحکام السلطانیه/ ۱۲، و الاحکام السلطانیه للحنبلی/ ۱۱.

۴- مقدمه ابن خلدون/ ۱۰۵.

اما واجبات الخليفه فهى عشر، احدها: حفظ الدين على اصوله المستقره، و الثانى: تنفيذ الاحكام بين المتنازعين حتى تعم النصفه. و الثالث: حمايه البيضه و الذب عن الحريم، و الرابع:

اقامه الحدود لتصان محارم اللّه عن الانتهاک، و الخامس تحصين الثغور بالعده و العدد، و السادس: جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوه حتى يسلم او يدخل فى الذمه، و السابع: جبايه الفى ء و الصدقات على ما اوجبه الشرع، و الثامن: تقدير العطايا و ما يستحق فى بيت المال من غير سرف و لا تقتير، و التاسع: استكفاء الامناء و تقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الأعمال و بكل اليهم من الأموال، و العاشر: ان يباشر بنفسه مشارفه الأمور و تصفح الأحوال لينهض بسياسه الأمه. و اذا ما قام الخليفه بهذه الواجبات فقد وجب له على الأمه حقان: هما الطاعه و النصره، ما لم يتغير حاله من جرح فى عدالته او نقص فى بدته(۱).

و كان للاستعانه بالعناصر غير العربيه فى الحكم فى عهد العباسيين أثر مهم فى تطور نظام الحكم. فقد تأثر العرب بالانظمه الاداريه التى كانت قائمه فى البلاد المفتوحه، و اقتبسوا بعض التقاليد التى اضفت على الخلافه مزيدا من الهيبه و الاحترام.

ضعف الخلافه:

ادى تعاظم نفوذ الأتراک فى عهد سامرا الى اضعاف شأن الخلافه و الخلفاء. فقد بدأ نفوذ قوادهم يظهر واضحا و يتسع منذ عهد الواثق باللّه. اذ انه توسع فى تكريمهم، حتى تسنى لهم ان يستبدوا بالحكم دون الخلفاء بشكل سافر خلال المده التى امتدت بين اغتيال المتوكل على اللّه و استخلاف المعتمد على اللّه. اذ تميزت

۱- الاحكام السلطانيه للماوردى/ ۱۳- ۱۴، الاحكام السلطانيه للحنبلى/ ۱۱- ۱۲.

هذه المده باستبداد القاده الاتراک بالخلفاء، فکانوا یختارون من یریدونه للخلافه و یجبرونه علی التنازل عند ما یختلفون معه.

و الواقع ان تدخلهم فی اختیار الخلفاء بدات بوادره عند ما توفی الواثق باللّه، الذی لم یعهد لأحد بالخلافه من بعده، احتجوا بعدم لیاقه ابنه للخلافه و قالوا انه غلام امرد لا تجوز معه الصلاه(۱).

دلاله علی صغر سنه. فاختاروا اخا الواثق بالله جعفر بن المعتصم باللّه الذی لقب بالمتوکل علی اللّه. و کان اول من بایعه القائدان الترکیان وصیف و سیما الدمشقی(۲). و قد شجعهم هذا التدخل فی اختیار الخلیفه علی الاستمرار فی التدخل بشؤون الدوله طیله عهده الذی قضاه فی صراع مستمر ضد تدخلهم و محاولتهم السیطره علی السلطه، ذلک الصراع الذی انتهی باغتیاله علی ایدیهم.

و قد تکون ازاحه الوزیر القدیر محمد بن عبد الملک الزیات عن مسرح الحکم حینما قتله المتوکل علی اللّه فی مطلع استخلافه، قد افقدت الخلیفه ظهیرا علی درجه کبیره من الحنکه و الدهاء مما لم یتوفر فیمن استوزرهم بعده، بحیث یستطیعون کبح جماح اولئک القاده المتعطشین للسلطه و الثروه و الجاه.

و بعد ان استطاع القواد الاتراک اغتیال المتوکل علی اللّه استفحل نفوذهم بحیث غدوا اصحاب السلطه الفعلیه فی الدوله العربیه. و سوف نری فی فصول قادمه مراحل الصراع بین الخلفاء و هؤلاء القاده و مظاهره و ما ترتب علیه من النتائج من جراء تدخلهم فی سیاسه الدوله و فی اختیارهم الخلفاء. «فکان الخلیفه فی یدهم کالأسیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا

۱- الطبری ۹/ ۱۵۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

قتلوه(۱) و ذلک حسبما تملیه علیهم رغباتهم، و بما یؤمن مصالحهم. و قد استمر هذا الوضع حتی استخلف المعتمد علی الله حینما استطاع اخوه ابو احمد الموفق ایقافهم عند حدهم، و استعاده سلطه الخلافه الی حین.

۲- المبایعه و ولایه العهد:

عند ما توفی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم انتخب المسلمون ابا بکر الصدیق دون ان یکون هناک نص بذلک اوامر من الرسول صلی اللّه علیه و سلم. و عند ما انتخبوه عاهدوه علی السمع و الطاعه بما فیه رضاء اللّه سبحانه و تعالی، و عاهدهم هو من جانبه علی ان یعمل بموجب کتاب اللّه و سنه نبیه. و کان التعاهد المتبادل بین الخلیفه و الأمه هو ما قصد به «البیعه او «المبیعه» لأنه یشبه ما یفعله البائع و المشتری عند عقد صفقه بینهما، اذ انهما یتصافحان بایدیهما دلاله علی اتمام معامله البیع. و کما ان عملیه البیع تستلزم الوفاء فان المبایعه توجب الوفاء بها. اما من الناحیه الشرعیه فان البیعه اتفاق تعاقدی بین جانبین الأول هو المرشح و یؤلف رکن الایجاب، و الآخر هو الشخص المختار و یؤلف رکن القبول. و یشترط علی من یبایع ان یظل مخلصا لأوامر اللّه، و هذا یعنی ان الحاکم اذا لم یظل متمسکا بهذه الأوامر فان لمن بایعوه الحق فی التحلل من التزاماتهم. علی ان الأثر الملزم للبیعه شخصی و یستمر مدی الحیاه، و لذا فان الجزاء الدنیوی لنکث البیعه هو القتل(۲).

۱- الفخری/ ۲۲۰.

۲- دائره المعارف الاسلامیه/ ۴۳- ۴۴.

ان البیعه علی رأی ابن خلدون «هی العهد علی الطاعه، کأن المبایع یعاهد امیره علی ان یسلم له النظر فی امر نفسه و امور المسلمین لا ینازعه فی شی ء من ذلک، و یطیعه فیما یکلفه به من الأمر علی المنشط و المکره. و کانوا اذا بایعوا الأمیر و عقدوا ایدیهم فی یده تأییدا للعهد، فأشبه ذلک فعل البائع و المشتری، فسمی بیعه، و صارت البیعه مصافحه بالأیدی»(۱).

و من المعتاد ان تتم مبایعه الخلیفه علی مرحلتین او اکثر.

و المرحله الاولی هی ما اصطلح علی تسمیتها «البیعه الخاصه» و فیها یشترک عدد محدود من کبار رجال الدوله و الحاشیه، ثم تعقبها «البیعه العامه» و تتم بمرحله واحده او اکثر. و قد تؤخذ البیعه احیانا بموجب عهد مکتوب، تتم المبایعه وفق ما جاء فیه. و ذلک تأکیدا لأثبات الحق الشرعی للخلیفه المبایع له.

و یتضمن هذا العهد المبایعه بالخلافه، و التعهد بالطاعه و الامتثال لأوامر الخلیفه و عدم عصیانه، و الیمین الکفیله بالالتزام بذلک.

کما جاء فی کتب بیعه بعض خلفاء سامرا(۲).

قد تطورت طریقه اختیار الخلیفه علی ید ابی بکر الصدیق (رض)، اذ انه اختار من یخلفه فی الأمر عند مماته. و بذلک اصبح من حق الخلیفه القائم ان یختار من یخلفه و علی الأمه ان تعاهده علی طاعته. و هذا ما سمی بولایه العهد. یقول الماوردی «ان انعقاد الخلافه بعهد من الخلیفه السابق امر انعقد الاجماع علی جوازه، و تم الاتفاق علی صحته»(۳). و یقول ابن خلدون «لما کانت الامامه هی النظر فی مصالح الأمه لدینهم

۱- مقدمه ابن خلدون/ ۱۱۴.

۲- یلاحظ مثلا کتاب بیعه المنتصر بالله، الطبری ۹/ ۲۳۷- ۲۳۹، و کتاب بیعه المعتز بالله، نفس المصدر/ ۲۸۴- ۲۸۶.

۳- الاحکام السلطانیه/ ۷.

و دنیاهم، و الأمین علیهم ینظر لهم ذلک فی حیاته، و تبع ذلک ان ینظر لهم بعد مماته و یقیم لهم من یتولی امورهم کما کان هو یتولاها، و یثقون بنظره لهم فی ذلک کما وثقوا فیما قبل. و قد عرف ذلک من الشرع باجماع الامه علی جوازه و انعقاده»(۱).

و فحوی هذین القولین ان الخلیفه، و هو المسؤول عن شؤون الامه الدینیه و الدنیویه، یجوز له شرعا ان یعین من یخلفه فی منصبه بحیث یطمئن الی قیام من عهد الیه بواجبات الخلافه فی حفظ بیضه الدین و رعایه مصالح الامه. و اذا ما عین الخلیفه احدا لولایه العهد بعده، وجب علی الامه الاعتراف به و الخضوع لسلطته، و یتمثل هذا الاعتراف بمبایعته.

و اذا اراد الخلیفه ان یعهد لاحد من بعده فعلیه ان یجهد رأیه فی ألاحق بها و الاقوم بشروطها. فاذا تعین له الاجتهاد فی واحد جاز ان ینفرد بتفویض العهد له ان لم یکن ولدا او والدا. اما اذا کان ولی العهد ولدا او والدا فقد رأی بعض الفقهاء وجوب مشاوره اهل الأختیار، و اجاز البعض للخلیفه الانفراد بتفویض العهد له. و اذ عهد الخلیفه الی من یصح العهد له علی الشروط المعتبره فیه فلیس للخلیفه المولّی عزل من عهد الیه ما لم یتغیر حاله. کما لا یجوز لأهل الاختیار عزل من بایعوه اذا لم یتغیر حاله. اما اذا عهد الخلیفه الی اثنین او اکثر و رتب الخلافه فیهم، فقال من بعده فلان، فان مات فالخلیفه بعد موته فلان، فان مات فالخلیفه بعده فلان، جاز له ذلک و کانت الخلافه متنقله الی الثلاثه علی ما رتبها. و اذا مات الخلیفه و الثلاثه احیاء کانت الخلافه بعده حسب ترتیبه. اما اذا مات الاول فی حیاه الخلیفه صارت

۱- مقدمه ابن خلدون/ ۱۱۴.

الخلافه بعده للثانی، و اذا مات الاول و الثانی فی حیاه الخلیفه فالخلافه بعده للثالث. لأنه قد استقر العهد لکل واحد من الثلاثه.

و لو مات الخلیفه و الثلاثه من اولیاء عهـده احیاء، و افضت الخلافه الی الاول منهم و اراد ان یعدل بها الی غیر الاثنین مما یختاره لها، فمن الفقهاء من منعه من ذلک الا ان یستنزل عنها مستحقها طوعا(۱).

من الواضـح ان اغلب الاحکام المشار الیها بشأن ولایه العهد نظریه بحته، لأن الخلفاء لم یکونوا یتقیدون بها الا بقدر ما یؤمن من رغباتهم و یلائم اهواءهم، اما تجربه العهد لأکثر من واحد فقد فشـلت عملیا لما تثیره من خلافات و منازعات بین من عهد الیهم. و هنـاک من الخلفـاء من یتزمت بعظم المسؤولیه تجاه الأمه فلا یریـد ان یتحمل و زر من یخلفه، فلا یعهـد لأحـد من بعـده، انما یترک ذلک لاختیار الأمه بعد وفاته. فان الواثق باللّه لم یعهد لاحد من بعده لأنه لم یرد ان یتحمل المسؤولیه حیا و میتا(۲).

۱- یلاحـظ کتاب تنازل کل من المعتز و المؤیـد عن ولایه العهـد- الطبری ۹/ ۲۴۶، و ان المعتز لمـا خلع اخاه المؤیـد من ولایه عهده اخذ منه رقعه بخطه بخلع نفسه، نفس المصدر/ ۳۶۲.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

الفصل الثانی المعتصم باللّه ابو اسحاق محمد بن هارون الرشید

۱- وصیه المأمون:

عنـد مـا مرض المأمون و هو فی بلاد الروم فی سـنه ۲۱۸ ه و اشـتدت به علته احضـر ابنه العبـاس و جمعـا من القضاه و الفقهاء و القواد و الکتاب و اوصـی بحضـرتهم. و فیما یلی بعض ما جاء فی وصیته: «هذا ما اشهد علیه عبد اللّه بن هارون. و بعد ان استغفر و اسـترحم لنفسـه .. ثـم طلب الی اخیه ابی اسـحاق ان یـدنو منه، و قـال له: ادن منی و اتعـظ بمـا تری، و خـذ بسـیره اخیـک فی القرآن، و اعمل فی الخلافه اذا طوقکها اللّه عمل المرید للّه .. و لا تغل امر الرعیه، الرعیه الرعیه، العوام العوام، فان الملک بهم، و بتعهدک المسـلمین و المنفعه لهم، اللّه اللّه فیهم .. و لا ینهین الیک امر فیه صـلاح للمسـلمین و منفعه لهم الا قدمته و آثرته علی غیره عن هواک، و خذ من اقویائهم لضـعفائهم، و لا تحمل علیهم فی شـی ء، و انصف بعضـهم من بعض بالحق بینهم .. و عجل الرحله عنی و القدوم الی دار ملکک بالعراق .. و الخرمیه فاغزهم ذا حزامه و صرامه

و جلـد، و اکنفه بالاـموال و السـلاح و الجنود من الفرسـان و الرجـاله، فـان طـالت مـدتهم فتجرد لهم بمن معک من انصارک و اولیائک ..

ثم دعا به ثانیه، حین اشـتد به الوجع، و قال له: یا ابا اسحاق علیک عهد اللّه و میثاقه .. لتقومن بحق اللّه فی عباده و لتؤثرن طاعته علی معصیته اذ انا انقلها من غیرک الیک .. فانظر من کنت تسمعنی اقدمه علی لسانی فاضعف له التقدمه، عبد اللّه بن طاهر ..

و اسـحاق بن ابراهیم .. و عبـد الوهاب علیک به من بین اهلک فقدمه علیهم .. و ابو عبد اللّه بن ابی دواد فلا یفارقک و اشـرکه فی المشوره فی کل امرک .. و لا تتخـذن بعـدی وزیرا .. فقد علمت ما نکبنی به یحیی بن اکثم فی معامله الناس و خبث سیرته ..»(۱).

کما سبق ان نفـذت کتب المأمون الی عماله فی البلـدان، و کان فی اولها: من عبـد اللّه المأمون امیر المؤمنین و اخیه الخلیفه من بعده ابی اسـحاق بن امیر المؤمنین الرشـید. و یقول الطبری ان ذلک لم یکتبه المأمون، بل کتب اسـتنادا الی امره بعد ان افاق من غشیه اصابته فی مرضه انه اذا حدث به حدث الموت فی مرضه هذا فالخلیفه من بعده ابو اسحاق بن امیر المؤمنین الرشید، فکتب الکتب بالصیغه المذکوره(۲).

و یتضـح من هـذا ان المـأمون عنـد مـا احس بـدنو اجله اوصـی اخـاه ابا اسـحاق بحضور العباس بن المأمون و جمع من القواد و القضـاه و الکتاب، بما یلتزم به اذا ما طوقه اللّه بالخلافه، و هو لم یعهـد له بها صـراحه. و یبـدو ان مؤیـدی ابی اسـحاق تنبهوا الی ذلک فکتبوا الی العمال فی البلدان علی لسان المأمون بان الخلیفه من بعده هو اخوه ابو اسـحاق. و انهم کتبوا بذلک اسـتنادا الی امر المأمون بانه اذا ما توفی فی مرضه فالخلیفه من بعده ابو اسحاق.

۱- کامل النص فی الطبری ۸/ ۶۴۷- ۶۵۰.

۲- الطبری ۸/ ۶۴۵- ۶۴۶.

فکانت هذه الملابسات سببا فی ان مبایعه ابی اسحاق لقیت معارضه من العباس بن المأمون و مؤیدیه من القواد، مما سبب بعض المشاکل للمعتصم باللّه فیما بعد.

و من الجدیر بالذکر ان نشیر الی ان الخلیفه هارون الرشید عند ما عهد بالخلافه الی ابنائه الثلاثه، جعل للمأمون عند ما یتولی الخلافه اثبات القاسم او خلعه. فقد نص فی کتاب العهد علی «اذا افضت الخلافه الی عبد اللّه بن امیر المؤمنین فالأمر الیه فی امضاء ما جعله امیر المؤمنین من العهد للقاسم بعده او صرف ذلک عنه الی من رأی من ولده و اخوته»(۱). و بینما اعتاد الخلفاء ان یعزلوا اخوتهم من ولایه العهد استئثارا بها لأبنائهم فان المأمون نقلها من اخیه القاسم، و لکن لیس لابنه العباس، و انما لیعهد بها الی اخیه الآخر ابی اسحاق، رغم ان العباس کان مؤهلا لمنصب الخلافه بعد ابیه، فقد کان شجاعا محببا الی الجند. و لم یوضح المأمون سبب اختیاره اخیه ابی اسحاق و تفضیله علی ابنه. و یقول ابن دحیه ان المأمون نص علی خلافه المعتصم دون اولاده لرؤیا رآها من النبی صلی اللّه علیه و سلم(۲). علی اننا نری ان الروح العسکریه التی کان یتمیز بها ابو اسحاق هی التی جعلت المأمون یفضله علی ابنه، بالنظر لما کان یهدد الدوله العربیه من الأخطار، لا سیما تمرد الخرمیه التی کانت تستهدف القضاء علی الدوله، و خطر الروم الذی ما زال یهدد الثغور العربیه. اضافه الی ان ابا اسحاق کان مقربا الی اخیه المأمون، و قد ولاه الشام و مصر منذ سنه ۲۱۴ ه، و استصحبه معه فی حملته الأخیره علی بلاد الروم.

۱- نفس المصدر/ ۲۸۰- ۲۸۱.

۲- النبراس/ ۶۳.

۲- مبایعه المعتصم باللّه:

تجمع المصادر التی تذکر مبایعه ابی اسحاق بالخلافه اثر وفاه اخیه المأمون فی یوم الخمیس لاثنتی عشره بقیت من شهر رجب سنه ۲۱۸ ه علی ان قسما من الجند و القواد الذین کانوا فی حمله المأمون، کانوا میالین الی مبایعه العباس دونه، و انهم طلبوا نقل الخلافه الی ابن المأمون. فقد اشار ابن قتیبه الی ذلک بقوله «فاراد الناس ان یبایعوا العباس، فأبی و سلم الی ابی اسحاق الأمر، فتوجه ابو اسحاق نحو بغداد مسرعا خوفا علی نفسه من جماعه من القواد کانوا هموا به»(۱). و یقول الیعقوبی «و امتنع بعض القواد من البیعه لمکان العباس من المأمون، فخرج الیهم العباس من مضر به فکلمهم بکلام استحمقوه فیه فشتموه و بایعوا لأبی اسحاق. و انصرف المعتصم یرید العراق»(۲). و جاء فی الطبری ان الناس کانوا قد اشفقوا من منازعه العباس بن المأمون له فی الخلافه، و ان الجند شغبوا لما بویع له، و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الی العباس فجاء و بایعه و اخبر الجند انه بایع عمه و سلم الیه الخلافه فسکنوا(۳). اما الملاسعودی فیذکر انه کان بین ابی اسحاق و العباس بن المأمون فی ذلک الوقت تنازع فی المجلس، ثم انقاد العباس الی بیعته(۴). و یقول مؤلف کتاب العیون و الحدائق بما یشبه ما اورده الطبری من شغب الجند علی المعتصم بالله و مناداتهم العباس باسم الخلافه فارسل الیه فجاء و بایعه و خرج الی الجند و اخبرهم بانه بایع عمه و سلم الیه الخلافه فسکتوا، و سار المعتصم باللّه الی بغداد مسرعا خوفا علی نفسه من

۱- المعارف/ ۳۹۲.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱.

۳- الطبری ۸/ ۶۶۷.

۴- مروج الذهب ۴/ ۴۶.

القواد و كانوا هموا به(۱). و كذلك يقول مسكويه ان الناس شغبوا على المعتصم و طلبوا العباس و نادوا باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الى العباس فاحضره. فبايعه و خرج الى الجند و قال لهم قد بايعت عمى و سلمت الخلافه اليه فسكنوا(۲). اما ابن الأثير فيقول و لما بويع له شغب الجند و نادوا باسم العباس، فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه، ثم خرج الى الجند فقال لهم ما هذا الحب البارد، قد بايعت عمى فسكنوا(۳). و ينفرد ابو حنيفه الدينورى بالقول ان المأمون كان قد بايع لابنه العباس بولايه العهد من بعده، و لما مات المأمون جمع اخوه ابو اسحاق محمد بن هارون اليه وجوه القواد و الجند و دعاهم الى بيعته فبايعوه، فسار من طرسوس حتى وافى مدينه السلام، و خلع العباس بن المأمون و غلبه عليها(۴). و هو قول يدحضه ما اتفق عليه من سبقه من المؤرخين الذين اشرنا اليهم.

يستنتج مما جاء فى هذه الروايات التى تتفق فى فحواها ان العباس بن المأمون كان يطمح الى تولى الخلافه بعد ابيه، و له من يؤيده من القواد و الجند و ان هؤلاء كانوا مطمئنين الى انه سيتولاها بعد موت ابيه. و لما قيل ان المأمون قد عهد لأخيه ابى اسحاق فقد اشفقوا من قيام النزاع بين العم و ابن اخيه، و هذا ما حدث فعلا.

و يبدو ان القواد و الجند قد انقسموا الى فئتين، احداهما تناصر ابا اسحاق و تحتج بأن المأمون قد عهد اليه بالخلافه فى وصيته، و تناصر الاخرى العباس. اما لأنها كانت تراه اصلح للخلافه بالنسبه لمصالحها، او انها كانت تدعى ان المأمون قد عهد اليه بها من بعده، كما ذكر الدينورى، و لهذا اخذت تطعن بما جاء فى

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۰.

۲- تجارب الامم ۶/ ۴۷۰.

۳- الكامل ۶/ ۴۳۹.

۴- الاخبار الطوال/ ۳۳۷- ۳۳۸.

وصیه المأمون من عهد بالخلافه الی اخیه دون ابنه. و یظهر ان الموالین للمعتصم باللّه قد ارغموا العباس علی مبایعه عمه، و ان یعلن ذلک علی مؤیدیه و یطلب الیهم الاقتداء به، فبایع مؤیدوه المعتصم باللّه علی مضض و بعد مناقشه حاده مع العباس. مما جعل المعتصم باللّه یشک بولائهم و یخاف انتفاضتهم علیه، فاسرع فی العوده الی بغداد مستصحبا معه العباس کی لا ینفرد به المعارضون فیغیروا من رأیه فینقاد الی طلبهم، فیقوم النزاع بینهما ثانیه.

و یلاحظ ان الجیش یتدخل لأول مره فی امر مبایعه الخلیفه و ینقسم علی نفسه بشأنها. و کان هذا التدخل مبادره خطیره صارت لها نتائج بعیده الأثر علی الدوله العربیه. علی ان هذه الفئه التی عارضت مبایعه المعتصم باللّه، ظلت، رغم مبایعتها، تتحین الفرصه المناسبه لامتناع العباس بمبایعته و الوثوب بعمه.

عاد المعتصم باللّه الی بغداد، و یصف الخطیب البغدادی دخوله المدینه بقوله «و دخل بغداد علی بغله کمیت بسرج مکشوف، و علیه قلنسوه لاطئه و سیف بمعالیق، فأخذ علی باب الشام حتی عبر الجسر، ثم دخل من باب الرصافه(۱). و کان دخوله الیها یوم السبت مستهل شهر رمضان سنه ۲۱۸ ه(۲). و یقول الیعقوبی انه دخل بغداد و علی جنده الدیباج المذهب(۳).

و عند ما تمت البیعه للمعتصم باللّه، وقف علی بن یحیی المنجم بین یدیه و مدحه بعد ان رثی المأمون، بقوله(۴):

أخنی علی الملک المأمون کلکله عندی جنایته یا معشر الناس

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۷.

۲- الطبری ۸/ ۶۶۷، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱.

۴- معجم الادباء ۵/ ۴۶۵.

أختی علی الملک المأمون کلکله فصار رهنا لأحجار و ارماس

قد کان ینهد رکن الدین حین ثوی و یترک الناس فوضی بلا راس

حتی تدارکهم باللّه معتصم خیر الخلائف من اولاد عباس

و جعل المعتصم باللّه نقش خاتمه، علی ما جاء فی کتاب العیون و الحدائق «اللّه ثقه محمد بن الرشید و به یؤمن»(۱). و فی العقد الفرید «اللّه ثقه ابی اسحاق بن الرشید و به یؤمن»(۲). الا ان السیوطی یقول نقلا عن الصولی ان نقش خاتمه کان «الحمد للّه الذی لیس کمثله شی ء»(۳) و احسبه نقله عن المسعودی الذی یقول انه کان «الحمد للّه الذی لیس کمثله شی ء و هو خالق کل شی ء»(۴). و قد یدل تعدد نقش الخاتم علی ان المعتصم بالله کان یستبدله بین حین و آخر.

و أمر المعتصم باللّه عند مبایعته برد المقاصیر فی مساجد الجماعه(۵). مما یستدل منه انه کان یخشی الفئه التی عارضت بیعته. و قد سبق للمأمون ان امر بنزعها باعتبارها سنه احدثها معاویه بن ابی سفیان(۶).

۱- العیون و الحدائق ۳/ ۴۱۰.

۲- العقد الفرید ۵/ ۱۲۱.

۳- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۸.

۵- البدء و التاریخ ۶/ ۱۱۴.

۶- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۶۸.

۳- صفاته و سیرته:

هـو ابـو اسـحاق محمـد بن هـارون الرشـید، و عنـد مـا اسـتخلف لقب بـالمعتصم باللّه و هو اول خلیفه اضـیف الی لقبه اسم اللّه تعالی(۱). و امه من مولدات الکوفه، و ذکر عن الفضل بن مروان انه قال ان ام المعتصم باللّه تسـمی مارده و هی صـفدیه الأصل و کـان ابوها نشأ بالسواد(۲). و کانت مارده احظی نساء الرشـید لـدیه، و قـد اهـدتها الیه زوجته زبیده ضـمن عشـر جوار عند ما تحقق لها انه لم یکن یتعشق المغنیه دنانیر، و انما یحب سماعها فقط(۳).

اما صـفات المعتصم باللّه الجسـمیه، فیکاد یجمع الـذین و صـفوه من المؤرخین علی انه کان ابیض مشـربا بحمره، اصـهب اللحیه طویلها، حسن العینین مربوع القامه(۴). و یقول المسعودی انه لم یشب(۵). و یقال انه کان شدیـد البدن عظیم القوه، یحمل الف رطل و یمشی بها خطوات(۶). و انه حمل ذات مره بابا من حدید فیه سبعمائه و خمسون رطلا و فوقه عکام فیه مائتان و خمسون رطلا، و کان یسـمی ما بین اصـبعیه المقطره لشـدتهما(۷). و یلوی عمود الحدیـد حتی یصـیر طوقا، و یشـد علی الـدینار باصـبعه فیمحو کتابته(۸). و یروی عن احمد بن ابی دواد،

۱- المختصر فی اخبار البشر ۴/ ۳۵، و مآثر الانافه ۱/ ۴۳ و ۴۱۷.

۲- الطبری ۹/ ۱۲۳.

۳- الأغانی ۱۸/ ۶۷.

۴- الطبری ۹/ ۱۱۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۶- العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۷- العقد الفرید ۵/ ۱۲۱، و العکام هو العدل. و المقطره خشبه فیها خروق علی رجل المحبوس یقید بها.

۸- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

و كـان مقربـا جـدا من المعتصم بـاللّه انه قـال: كـان المعتصم باللّه يخرج ساعـده الى و يقول يا ابا عبـد اللّه عض ساعـدى باكثر قوتک، فاذا هو لا تعمل فيه الأسنه فضلا عن الاسنان(۱).

و وصف المعتصم باللّه بحسن السيره و استقامه الطريقه(۲).

الا انه كان كثير اللهو مسرفا على نفسه(۳). كما كان سديد الرأى موصوفا بالشجاعه(۴). و ما رؤى اشد تيقظا فى حرب منه، فانه لمـا ادخـل عليه مازيـار بن قـارن، و كـان شديـد الغضب عليه، قيـل له ان لاـ يعجـل عليه فـان عنـده اموالاـ جمه، فانشـد قول ابى تمام(۵):-

ان الاسود اسود الغاب همتهايوم الكريهه فى المسلوب لا السلب

و عرف عنه كان قاسيا سريع الغضب، و اذا غضب لا يبالى من قتل و ماذا فعل(۶). الا ان استماعه الى نصح قاضى قضاته ابن ابى داود ساعـده على تجنب كثير من المظالم. و كان يتشدد فى سلوک ابناء الاسـره العباسـيه، و لما بلغه ان اخاه ابا على بن الرشـيد كان يتردد على بعض الاديره و معه القيان و يقضى اياما فى القصف و التهتک أمر اسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطه على تأديبه اياه، و امره ان لا يرخص لأمير من اهل بيته فى ذلک(۷).

و كان المعتصم باللّه فصيحا رغم جهله القراءه و الكتابه الا قليلا. يقول الخطيب البغدادى انه كان يكتب كتابا ضعيفا و يقرأ

۱- تاريخ الخلفاء/ ۳۳۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۴۷ و ۶۴.

۳- العبر ۱/ ۴۰۰.

۴- الفخرى/ ۲۰۹.

۵- تذكره ابن حمدون/ ۱۰۵.

۶- الكامل ۶/ ۵۲۶ و العبر ۱/ ۴۰۲ و جاء فيه انه كانت له نفس سبعيه.

۷- الديارات/ ۳۴- ۳۵.

قراءه ضعيفه(۱). و ذلک لأنه کان فی صغره يکره الدراسه.

و يروی ان اباه سأله يوما عن وصيف صغير له، فأجابه بأنه مات و استراح من الکتاب، فقال الرشيد: أو بلغ منک الکتاب هذا المبلغ، و اللّه لا حضرته ابدا، و وجهه الی الباديه فتعلم الفصاحه(۲). و ذکر القلقشندی ما يشبه هذا فيقول ان سبب ذلک هو ان المعتصم باللّه رأی جنازه بعض الخدم فقال: ليتنی مثل هذا حتی اتخلص من الکتاب، فقال له ابوه: و اللّه لاعذبنک بشی ء تختار عليه الموت و منعه من الکتاب(۳). و قد استفاد من الباديه فصاحه اللسان الی جانب الفروسيه، فکان اذا تکلم بلغ ما اراد و زاد عليه(۴).

و يذکر اليعقوبی بعض الامور التی کان المعتصم باللّه اول من اتخذها من الخلفاء، و اقتدی به الناس. فقد لبس الثياب الضيقه الأکمام فضيق الناس اکمام ثيابهم، و لبس الخفاف الکبار فقلدوه بلبسها، و کان اول من لبس شاشيه مربعه فلبسها الناس ايضا تشبها به فنسبت اليه فقيل «الشاش المعتصميه»، کما کان اول خليفه رکب السروج المکشوفه فتشبه الناس به(۵). و يذکر المسعودی عنه ما يشبه هذا(۶). و لم يکن المعتصم باللّه يمس الطيب الا قليلا، و کان يذهب فی ذلک الی تقويه بدنه و اعانته علی الشدائد، و اما فی حروبه فکان من دنا منه وجد رائحه صدأ

۱- تاريخ بغداد ۳/ ۳۴۳.

۲- العقد الفريد ۲/ ۴۴۰، و تاريخ بغداد ۳/ ۳۴۳.

۳- مآثر الانافه ۱/ ۲۱۸.

۴- تاريخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۵- مشاکله الناس لزمانهم/ ۳۱- ۳۲.

۶- مروج الذهب ۴/ ۳۱۹.

السلاح و الحدید من جسمه(۱). و انه کان یکره رائحه الغالیه و لا یستطیع الصبر علیها(۲).

و اشتهر المعتصم باللّه بالسخاء فی بذل المال، و کانت اعطیاته للشعراء و المغنین و فیره. و عند ما کان یستخفه الطرب فی مجالس الغناء لا تقتصرا عطیاته و خلعه علی المغنین وحدهم بل یشمل بذلک جمیع الحاضرین(۳). و دخل یوما دار خاقان عرطوج فرأی ابنه الفتح و هو صغیر فمازحه و سأله: ایهما احسن داری ام دارکم؟

فقال الفتح: یا سیدی، دارنا اذا کنت فیها احسن. فقال المعتصم باللّه: لا ابرح و اللّه حتی انثر علیه مائه الف درهم، و فعل ذلک(۴).

و اهدی قفلا من الذهب فیه ألف مثقال الی الکعبه المشرفه، و قد حمله الی مکه فی سنه ۲۱۹ ه وفد مؤلف من طاهر بن عبد اللّه و محمد بن ابراهیم و ابن فرج الرخجی، و کان من الذهب الخالص، و عند ما ارادوا نزع القفل القدیم لوضع القفل الذهبی مکانه احتج حجاب الکعبه علی انتزاع القفل القدیم و أصروا علی بقائه لأنه یعود الی عهد الرسول صلی اللّه علیه و سلم، فوافق الوفد علی ان یقفل علی البیت الحرام بقفلین، القفل القدیم و القفل الذی قدموا به، الا ان الحجاب و فدوا علی الخلیفه محتجین علی رفع القفل القدیم، لأنه قفل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فاقتنع بوجهه نظرهم و امر برفع القفل الذهبی الذی کان بعث به و ان یکتفی بالقفل الأول فقط، و اجاز الحجاب بأن وهبهم القفل الذهبی(۵).

۱- التاج/ ۱۵۵.

۲- رسوم دار الخلافه/ ۳۲.

۳- الاغانی ۵/ ۳۲۹.

۴- معجم الادباء ۶/ ۱۱۷.

۵- الذخائر و التحف/ ۳۶، و المعرفه و التاریخ ۱/ ۲۰۳.

و کـان المعتصم بـاللّه یبحث عن احـوال النـاس غـایه البحث و یتطلب فی الاطلاع علی امورهم(۱). فقـد وقع ببغداد حریق کبیر عقیب انتقـاله الی عاصـمته الجدیـده سـامرا، عرف بحریق الجمـل، و لمـا بلغه الخبر اعطی احمـد بن ابی دواد خمسه الاف الف درهم و طلب الیه ان یعوض المتضـررین من النـاس عمـا اصـابهم من جراء الحریق(۲). و اسـتخرج منه احمـد بن ابی دواد لأهل الشـاش، و هی من بلـدان مـا وراء النهر، الفی الف درهم لکری نهر انـدفن فی صـدر الاسـلام فأضـر ذلـک بـالمزارعین هنـاک، فساعـدتهم هبه المعتصم بـاللّه علی احیـاء النهر(۳). و کـانت مـدینه الرمله تسـقی من آبـار نظمت فیهـا قنوات للمیـاه، ینفق علیها الخلفـاء من بـاب البر و الاحسـان، فـأمر المعتصم بـاللّه ان یعتبر مـا تحتـاجه من اموال لا دامتها و ضـمان الماء للناس من النفقات العـامه، فـادخلت فی سـجل النفقـات بحیث صـارت نفقتها جاریه یقوم بها العمال سـنویا(۴). ممـا یؤمن اسـتمرار تـدفق المیاه فی القنوات. کمـا کـانت بئر زمزم فی مکه المکرمه مکشوفه الأـقبه صـغیره علی موضع البئر فی رکنها الـذی یلی باب الصـفا. فغیرها محمـد بـن فرج الرخجی فی سـنه ۲۲۰ ه بـأمر المعتصم بـاللّه، و انفق علیهـا مالا جزیلا فسـقف البئر کلها بالساج المـذهب من الداخل، و جعل علیها من ظهرها الفسیفساء، و اشرع لها جناحا صغیرا جعل فیه سلاسل تحمل قنادیل للاضاءه(۵).

۱- آثار الاول/ ۸۶.

۲- تفصیل الخبر فی نشوار المحاضره ۶/ ۱۸۷، و فی اخبار بطارکه کرسی الشرق لماری بن سلیمان/ ۷۷.

۳- الطبری ۹/ ۱۲۱.

۴- مختصر البلدان/ ۱۰۲.

۵- الاعلاق النفیسه/ ۴۳، و المعرفه و التاریخ ۱/ ۲۰۴.

۴- الخليفه المثمن:

أولع قـدامى المؤرخين بوصف الخليفه المعتصم بـاللّه بـالمثمن، و ذلـك لمـا فيه من نسـبه لرقم الثمانيه، من عمره و تسلسـله بين اخوانه و خلافته و عـدد اولاده. و قـد جمع صاحب العيون و الحـدائق هذه النسب بقوله، «هو المثمن من اثنتى عشـره وجهه، فهو الثامن من ولد العباس، و الثامن من الخلفاء، و كانت مده خلافته ثمان سـنين و ثمانيه أشـهر، و توفى و له ثمان و اربعون سـنه، و ولـد فى شـعبان و هو الشـهر الثـامن، و خلف ثمانيه ذكور و ثمانى بنات، و غزا ثمانى غزوات، و خلف ثمانمائه الف دينار عينا و ثمانيه الف الف درهم ورقا(۱). و يظهر انه نسى جهه، كما ان بعض ما ذكره لا يتفق و الحقيقه، فان المعتصم باللّه لم يكن الثامن من ولـد العبـاس، و انمـا السـابع منهم الاـ انه الثـامن من خلفائهم، و انه لم يخلف هـذا العـدد من البنين و البنات، فقـد خلف من الذكور سته فقط هم: هارون و جعفر و محمد و احمد و على و العباس(۲).

و مـا ذكره الطبرى و ابن الأـثير فى هـذا الباب لا يتعـدى ما اورده صاحب العيون و الحـدائق(۳). الا ان ابا المحاسن يضـيف الى ذلك:

و من الخيول ثمـانين الف رأس، و من الجمـال ثمانين الف جمل و بغل و دابه، و ثمانين الف خيمه، و ثمانيه الآلاف عبـد و قيل ثمانيه عشر الفا، و ثمانيه الاف جاريه، و عمر من القصور ثمانيه(۴).

و يضيف جلال الدين السيوطى الى ما ذكره من سبقه من المؤرخين:

و ملـك ثمانى عشـره و مولـده ثمان و سـبعون، و طالعه العقرب و هو ثامن برج، و قتل ثمانيه اعـداء، و مات لثمان بقين من ربيع الأول(۵). و غير خاف ان بعض ما ذكره يجانب الواقع.

۱- العيون و الحـدائق ۳/ ۴۰۹، و جـاء فى التنبيه و الاشـراف/ ۳۰۷، و العبـر ۱/ ۴۰۱ و الفخرى/ ۲۰۹ انه خلف ثمـانيه الف الف دينار.

۲- تاريخ اليعقوبى ۹/ ۱۱۹، و الكامل ۶/ ۵۲۴.

۳- الطبرى ۹/ ۱۱۹، و الكامل ۶/ ۵۲۴.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۱، و احسبه نقل ذلك من العبر ۱/ ۴۰۱ الذى يضيف: و وقف فى خدمته ثمانيه ملوك.

۵- تاريخ للخلفاء/ ۳۳۴.

اما المسعودی فیضیف الی ما ذکره صاحب العیون و الحدائق ثمانیه فتوح عظام منها اسر بابک، و المازیار بن قارن، و اسره البوارج، و هی مراکب هندیه و الظفر برؤسائها و ابطال مقاتلتها، و اخلاؤه الزط من البطائح، و قتله جعفر بن مهرجش الکردی، هزیمته تیوفیل ملک الروم و فتح عموریه(۱). کذلک عدد له ابن دحیه ثمانیه فتوح عظام و اعتبر الفتح الثامن قتله الأفشین لما و اطأ بابک الخرمی(۲). و لکن ابن الفقیه یقول: و للمعتصم بالله ست فتوح عظام جلیله هی: قتل مازیار، و اسر بابک و قتله، و فتح عموریه، و استباحه الزط حیث اجتث اصلهم، و قتله جعفر الکردی، و ما کان من شق الهند علی ید عمر بن النعتل(۳).

و حتی الشعراء لم یستغنوا عن هذه الصفه فی مدحه او هجائه. فقد جاء فی احدی مدائح ابی تمام للمعتصم باللّه قوله(۴):

بالقائم الثامن المستخلف اعتدلت قواعد الملک ممتدا لها الطول

بیمن معتصم باللّه لا اودبالملک مذ ضم قطریه و لا خلل

۱- مختصر کتاب البلدان/ ۵۲- ۵۳.

۲- النبراس/ ۷۳.

۳- مختصر کتاب البلدان/ ۵۲- ۵۳.

۴- القصیده فی دیوان ابی تمام ۳/ ۵- ۲۰.

و هجاه دعبل الخزاعی منکرا علیه تسلسله بین خلفاء بنی العباس(۱) بقوله:

ملوک بنی العباس فی الکتب سبعهو لم تأتنا فی ثامن منهم الکتب

کذلک اهل الکهف فی الکهف سبعهغداه ثووا فیه و ثامنهم کلب

من الغریب حقا ان تکون للمعتصم باللّه هذه العلاقه برقم الثمانیه، بحیث انها لفتت انظار من ارخوا له او کتبوا عنه. و ان کان قسم مما ذکروه غیر دقیق و لا یخلو من المبالغه، بل یجانب الحقیقه احیانا. فان الیعقوبی و هو اقدم من ذکرنا من المؤرخین یقول ان عمره تسع و اربعون سنه، و انه خلف من الذکور سته، ذکرناهم آنفا، کما انه من المتفق علیه انه توفی لثمانی عشره لیله مضت من ربیع الأول، و ان هناک اختلافا فی سنه میلاده، مما یجعل نسبه الثمانیه الی هذه الامور غیر صحیحه. اما ما ذکروه عن ترکته من الاموال و المتاع و الجواری و العبید و الدواب فان اغلبه من باب التخمین، و لا یخلو من المبالغه. کما ان اعتبار المسعودی و ابن دحیه و ابن الفقیه ما اشاروا الیه من انتصارات المعتصم باللّه فتوحات عظام، مبالغ فیه ایضا. فاذا کان اسر بابک و القضاء علی الخرمیه، و غزو بلاد الروم و فتح عموریه، فتحین عظیمین حقا تما علی عهد المعتصم باللّه، فان الانتصارات الاخری

۱- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۵، و دیوان دعبل الخزاعی/ ۵۱- ۵۳ و فیه کامل القصیده.

التی ذكرت لا- تعدو ان تكون مجرد اخماد حركات تمرد داخليه او حملات غزو اعتياديه او لرد عدوان، مما لا يتطلب سوى حركات عسكريه موضعيه ضيقه النطاق، محدوده النتائج، و من ثم فانها لم تكن فتوحات عظيمه.

ان الفتح العظيم فى الهند كما وصفه ابن الفقيه بانه شق الهند و ظفر بمراكبها و رؤسائها و ابطال مقاتلتها، لم يحظ باهتمام المؤرخين. اذ انهم لا يذكرون عنه الا القليل. و يظهر مما ذكروه ان حمله من المراكب الهنديه غلبت على جزء من ساحل الخليج العربى الشرقى و عمان و نواحى البصره، اى انها توغلت فى الخليج العربى حتى نواحى البصره. فوجه المعتصم باللّه القائد عمر بن الفضل الذى استطاع ان يقطع على الحمله خط الرجعه و يأسر افرادها(۱). مما شجع الحمله العربيه على تغزو قسما من السواحل الغربيه للهند. و ليس من الواضح ما اذا كانت الحمله المذكوره من المراكب الهنديه عسكريه منظمه تبغى الفتح و الاستيلاء، ام انها كانت تحمل عددا من المهاجرين الى السواحل المذكوره، كما سبق ان هاجرت اقوام من الزط الى جنوبى العراق، و ان كان سير الحوادث يؤيد الافتراض الثانى.

و يذكر خليفه بن خياط ما يدل على ان السواحل الغربيه للهند كانت هدفا لغزوات يشنها الجيش العربى و المطوعه فى عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه. فقد جاء فى حوادث سنه (۲۲۶ ه) ان احمد بن عبد اللّه بن الحسن قد غزا بحر البصره، و عند ما عزل احمد المذكور و عين بدلا عنه احمد بن رباح ارسل ابراهيم بن هاشم لغزو البحر المشار اليه فى سنتى ۲۲۸ ه و ۲۲۹ ه، و كذلك قام بغزوه فى سنه ۲۳۰ ه و بلغ ادنى بلاد

۱- النبراس / ۷۳.

سرشت فاحرق قراها و اصاب سبيا. كما يذكر فى اخبار السنه ۲۳۱ ه ان مراكب المطوعه فى بحر البصره كسرت فى المنطقه الواقعه بين جنابه و سينيز و اصيب فيها ناس من المطوعه(۱).

و يشير البلاذرى عند بحثه فتوح السند ان حمله من الجيش العربى وصلت فى عهد الخليفه المهدى الى الحدود الهنديه الشماليه الغربيه، و افتتحت بعض المدن. و ان هذه الفتوحات استمرت فى عهد الخليفه المأمون، اذ كان الفضل بن ماهان قد غلب على بعض مدن السند و بعث الى الخليفه بفيل، و دعا له فى مسجد جامع بناه هناك(۲). و لما مات الفضل قام ابنه مقامه فغزا المدن المجاوره. ثم غلب عليه اخوه ماهان بن الفضل و كتب الى الخليفه المعتصم باللّه و اهدى اليه ساجا لم ير مثله عظما و طولا(۳).

و كان المأمون قد عين موسى بن يحيى على المناطق المفتوحه فى السند، و عند ما مات استخلف ابنه عمران بن موسى، فأقره الخليفه المعتصم باللّه على ولايته. و قد تغلب عمران على القيقان و اغلبهم من الزط، و بنى مدينه سماها البيضاء و اتخذه عسكرا لجنده. ثم استولى على مدينه قندبيل، و هى مدينه جبليه جنوبى القيقان.

و عند ما وقعت العصبيه بين النزاريه و اليمانيه مال عمران الى اليمانيه فوثب عليه عمر بن عبد العزيز الهبارى و قتله غيله(۴).

۱- تاريخ خليفه بن خياط ۲/ ۵۱۸- ۵۲۰، و خبابه و سينيز من موانى الساحل الشرقى للخليج العربى.

۲- فتوح البلدان/ ۴۳۲.

۳- نفس المصدر/ ۴۳۳.

۴- فتوح البلدان/ ۴۳۲.

و واضح ان ما اشرنا الیه من فتح بلاد السند لا یمکن اعتباره من الفتوحات العظیمه.

علی ان من عجیب احوال المعتصم باللّه، کما یقول صاحب الذهب المسبوک، ان اباه هارون الرشید جعل ولایه العهد فی ثلاثه من اولاده: محمد الأمین و عبد اللّه المأمون، و القاسم المؤتمن، و لم یعینه معهم، فلم یکن من نسلهم خلیفه، و ساق اللّه تعالی الخلافه الیه و الی عقبه(۱). و یقال ان الرشید حجب الخلافه عنه لکونه قلیل التعلم(۲).

۵- وفاته:

تکاد المصادر تتفق علی ان وفاه المعتصم باللّه کانت فی یوم الخمیس لثمانی عشره مضت من ربیع الأول من سنه ۲۲۷ ه(۳).

و قد اشار الشاعر مروان بن ابی الجنوب الی ذلک بقوله:(۴)

ابو اسحاق مات ضحی فمتناو امسینا بهارون حیینا

لئن جاء الخمیس بما کر هنالقد جاء الخمیس بما هوینا

اما سبب وفاته فقد ذکر انه احتجم فی اول یوم من المحرم، و اعتل عندها. و یقول القفطی ان ابن ماسویه الطبیب الذی تولی

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۲۹۱.

۳- الطبری ۹/ ۱۱۰، و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و الکامل ۶/ ۵۲۴.

۴- الطبری ۹/ ۱۲۰.

الاشراف على صحه المعتصم باللّه بعد موت طبيبه الخاص سلمويه بن بنان، قد خالف طريقه سلمويه فى فصد المعتصم باللّه، اذ يقول: كان المعتصم قويا و كان سلمويه يفصده فى السنه مرتين، و يسقيه عقب كل فصد دواء، فلما باشره يوحنا بن ماسويه اراد عكس ما كان يفعله سلمويه، فسقاه الدواء قبل الفصد، فلما شرب الدواء حمى دمه و حم، و ما زال جسمه ينقص حتى مات(۱).

و عند ما اشتدت علته و حضرته الوفاه جعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيله، و قيل انه جعل يقول: أؤخذ من بين هذا الخلق(۲).

و حكى عنه انه قال: لو علمت ان عمرى قصير ما فعلت ما فعلته، يعنى قتل العباس بن المأمون(۳). و يذكر السيوطى عده عبارات اخرى رويت عن المعتصم باللّه لما احتضر، فيقول انه قال «حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته»(۴)، و قيل انه قال: اللهم انك تعلم انى اخافك من قبلى و لا اخافك من قبلك، و ارجوك من قبلك و لا ارجوك من قبلى(۵). و يقول ابن الطقطقى انه لما مرض مرضته التى مات فيها نزل فى سفينه و معه زنام الزامر فجعل يمر على قصوره و بساتينه بشاطى ء دجله، و طلب الى زنام ان يزمر له هذا اللحن:(۶)

يا منزلا لم تبل اطلاله الخ .. و قد سبق ان اشرنا الى ذلك فى فصل آخر. و كانت وفاته فى سر من رأى و بها دفن فى قصره

۱- تاريخ الحكماء/ ۱۲۰.

۲- الطبرى ۹/ ۱۱۹.

۳- العيون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۴- سوره الانعام- الآيه: ۴۴.

۵- تاريخ الخلفاء/ ۳۳۶.

۶- العخرى/ ۲۱۲.

المعروف بالجوسق علی دجله. و قد صلی علیه قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، و کان المعتصم بالله اوصاه بالصلاه علیه(۱).

و هناک اختلاف فی تاریخ مولد المعتصم باللّه، فیذکر الطبری ان مولده کان فی شعبان من سنه ۱۸۰ ه، ثم یستدرک فیقول:

و قیل فی سنه ۱۷۹ ه(۲). و یؤید کل من المسعودی و الخطیب البغدادی التاریخ الذی ذکره الطبری اولا، و یضیف المسعودی ان مولده کان فی قصر الخلد ببغداد(۳). اما السیوطی فیذکر انه قد ولد فی سنه ۱۷۸ ه(۴). و قد ترتب علی هذا الاختلاف، اختلاف فی مقدار عمره. فیقول الطبری ان عمره کان ستا و اربعین سنه و سبعه اشهر و ثمانیه عشر یوما، او سبعا و اربعین سنه و شهرین و ثمانیه عشر یوما. و یری کل الخطیب و مسکویه و مؤلف کتاب العیون و الحدائق ان عمره کان ثمانی و اربعین سنه.

اما الیعقوبی فیقول ان سنه کانت ۴۹ سنه. و یقول الذهبی انه توفی عن سبع و اربعین سنه. بینما یری الدینوری انه بلغ من العمر تسعا و ثلاثین سنه، و هو واهم و لا شک. و یری المسعودی انه مات عن ۴۸ سنه و قیل: ۴۶ سنه(۵). و کانت مده خلافته ثمانی

۱- الاخبار الطوال/ ۳۴۲.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۴، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۲.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۳.

۵- الطبری ۹/ ۱۱۹، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷ و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و العبر ۱/ ۴۰۱

سنوات و ثمانیه اشهر، و قال وزیره محمد بن عبد الملک الزیات یرثیه و یهنی ء ابنه الواثق باللّه(۱):

قد قلت اذ غیبوک و اصطفقت علیک أید بالترب و الطین

اذهب فنعم الحفیظ کنت علی الدنیا و نعم الظهیر للدین

لا جبر الله امه فقدت مثلک الا بمثل هارون

۱- الطبری ۹/ ۱۱۹. و الاخبار الطوال/ ۳۴۲، و مروج الذهب ۴/ ۶۳- ۶۴.

الفصل الثالث الواثق باللّه ابو جعفر هارون بن المعتصم باللّه

۱- مبايعته:

مات المعتصم باللّه و لم يكن قد عهد لابنه هارون بالخلافه.

الا ان هارون كان اكبر اخوته السته، و ان المعتصم باللّه لما خرج الى القاطول فى سنه ۲۲۰ ه للبحث عن موقع يبنى فيه مدينه لجنده الاتراك، استخلفه ببغداد(۱). و لما خرج فى سنه ۲۲۳ ه فى حملته على بلاد الروم دفع خاتمه اليه و اقامه مقام نفسه و استكتب له سليمان بن محمد بن عبد الملك الزيات(۲). و قد اعتبر بعض المؤرخين ذلك اشاره الى عهد المعتصم باللّه بالخلافه الى هارون.

و يقول السيوطى انه ولى الخلافه بعهد من ابيه(۳). و قد خلت المصادر الأوليه عن اشاره واضحه الى ذلك.

۱- الكامل ۶/ ۴۵۲.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۳۸.

۳- تاريخ الخلفاء/ ۳۴۰.

بویع هارون فی سامرا غداه وفاه ابیه فی یوم الخمیس التاسع عشر من ربیع الأول سنه ۲۲۷ ه و لقب بالواثق باللّه.

فتوجه اسحاق بن ابراهیم نائب الخلیفه ببغداد، من فوره الی بغداد فوصلها قبل طلوع الفجر، و اتخذ ما رآه ضروریا من اجراءات المبایعه، فاحضر القواد و الوجوه و اخذ علیهم البیعه للواثق باللّه(۱).

و یفهم مما جاء فی تاریخ بغداد و خلاصه الذهب المسبوک ان اسحاق بن ابراهیم کان ببغداد و جاءه نعی المعتصم باللّه فی الیوم الثانی من وفاته، ای فی یوم الجمعه، فلم یظهر النبأ، و خطب فی ذلک الیوم علی منابر بغداد للمعتصم باللّه و هو میت(۲). و فی الیوم التالی طلب اسحاق الی الامراء الهاشمیین و القواد و الاعیان الحضور الی دار الولایه، فلما اجتمعوا نعی الیهم المعتصم باللّه و اخذ علیهم البیعه لهارون الواثق باللّه، فتمت بذلک مبایعته(۳).

و نقش الواثق باللّه علی خاتمه عند ما اصبح خلیفه «اللّه ثقه الواثق»(۴). و یقال انه نقش علیه «محمد رسول اللّه)، و انه کان له ختم آخر نقش علیه «الواثق باللّه»(۵).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۶، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۳- جاء فی الطبری ۹/ ۱۲۳ انه بویع یوم الاربعاء لثمان خلون من ربیع الاول، الا انه سبق ان ذکر فی ص: ۱۱۸ ان المعتصم بالله توفی یوم الخمیس الثانی عشر من ربیع الاول.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۲۳، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۵- العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

لقـد اسـتطاع المعتصم باللّه ان يقضـى على ثوره بابک الخرمى التى كانت قد اسـتفحل امرها و شـغلت خلفاء بغداد ما يقرب من خمسه عشر عاما، و ان يشتت شمل قبائل الزط التى عاثت فى البلاد فسادا، و ان يكسر شوكه الدوله البيزنطيه و يهدد القسطنطينيه بفتحه عموريه و كثير من الحصون الروميه، و يقضـى على حركه الأفشـين و المازيـار الانفصـاليه. و بـذلک هيـأ لاـبنه الواثق باللّه عهدا من الهدوء و الاستقرار نعمت به ارجاء الدوله العربيه طيله حكمه، سوى بعض حركات التمرد الموضعيه. و كان من المنتظر ان يسـتأنف الواثق باللّه غزو بلاد الروم و يقضـى على الدوله البيزنطيه المرهقه و التى بان ضـعفها عند ما هاجمها ابوه. الا انه كان بطبيعته فنانا يعشق الشـعر و الموسـيقى و الغناء، و يميل الى الآداب و العلوم و المناقشه فى المجالس العلميه و الادبيه، و يؤثر حياه الدعه و الهدوء. فانصرف الى اللهو و الشعر و الغناء و المجالس، و ساعد على ازدهار الحاله الاقتصاديه.

اما من الناحيه السياسـيه فقد انتهج خطه عمه المأمون فى سـياسه التسامح و اللين مع العلويين، و الدفاع عن حريه الرأى و مناصـره المعتزله، الا انه فى الناحيه العسـكريه اتبع سـياسه ابيه فى الاعتماد على الجنـد الاتراک الـذين ازداد نفوذهم على عهده، و توسـع سلطانهم و تـدخلهم فى شؤون الـدوله. مما كان له اثر مهم فى اضـعاف الخلافه خاصه و الـدوله العربيه بصوره عامه. اذ انصـرف هؤلاء الى العمل على تطمين مصالحهم و تأمين ارزاق جنـدهم غير مبالين بمصـلحه الخلافه و الدوله، بل انهم اسـتغلوهما لتحقيق غاياتهم. و سنشير الى نتائج هذه السياسه و تأثيرها فى الفصل الخاص بالنزاع بين الخلفاء و الجند الاتراک.

و مع كل ما تقدم يمكن القول ان ايام الواثق باللّه التى دامت خمس سنوات و نصف السنه، كانت عهد سلام و هدوء لا يشوبها سوى تعسفه بأمر المحنه و امتحان الناس بخلق القرآن، و بعض الاضطرابات الداخليه التى سرعان ما كان يقضى عليها.

۲- صفاته و سيرته:

ولد الواثق باللّه بطريق مكه(۱)، لعشر بقين من شعبان سنه ۱۹۶ ه(۲). و مما يؤيد صحه تاريخ مولده هذا ان المسعودى يقول ان عمره كان يوم بويع بالخلافه احدى و ثلاثين سنه و بضعه أشهر(۳). و امه ام ولد روميه اسمها قراطيس(۴). و قد توفيت و هى فى طريقها الى مكه فى اوائل ذى القعده من اولى سنى حكمه، و دفنت فى الكوفه فى دار داود بن عيسى(۵).

يتقارب المؤرخون فى وصف الواثق باللّه بأنه كان ابيض اللون تعلوه صفره جميلا، قائم العين اليسرى و فيها نكته بياض. الا ان المسعودى و ابا المحاسن يقولان ان نكته البياض فى عينيه الاثنتين.

و ينفرد صاحب الذهب المسبوك بان النكته فى عينه اليمنى. كما ينفرد المسعودى بانه كانت تعلوه حمره(۶)، بدل الصفره.

۱- الطبرى ۹/ ۱۵۱ و الكامل ۷/ ۳۰.

۲- العقد الفريد ۵/ ۱۲۲، و تاريخ الخلفاء/ ۳۴۰.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۵.

۴- الطبرى ۹/ ۱۲۳، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۳.

۵- الطبرى ۹/ ۱۲۳.

۶- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵، و العبر ۱/ ۴۱۲، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۴، و تاريخ الخلفاء/ ۳۴۲، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

و عرف عن الواثق بالله انه کان یتشبه بعمه المأمون فی کثیر من اخلاقه. و یقول ابن الطقطقی انه کان یتشبه بالمأمون فی حرکاته و سکناته(۱). و یعلل صاحب خلاصه الذهب المسبوک ذلک بأن المأمون هو الذی رباه فتقبل افعاله(۲). ای انه تأثر به و اقتدی بافعاله. و یکاد یجمع من کتب عنه من المؤرخین القدامی انه کان من افاضل خلفاء بنی العباس، کثیر المعروف، واسع العطاء، سهل الانقیاد، محببا الی الرعیه(۳). دخل علیه مؤدبه هارون بن زیاد یوما فأکرمه و اظهر من بره به ما یلفت النظر، فقیل له: من هذا یا امیر المؤمنین الذی اکرمته کثیرا؟ قال: هذا اول من فتق لسانی بذکر اللّه و ادنانی من رحمه اللّه عز و جل(۴).

و کتب الیه محمد بن حماد بیتین من الشعر هما(۵):

جذبت دواعی النفس عن طلب الغنی و قلت لها عفی عن الطلب النزر

فأن أمیر المؤمنین بکفه مدار رحی الارزاق دائبه تجری

فوقع الواثق باللّه: جذبک نفسک عن امتهانها دعا الی صونک بسعه فضلی علیک، فخذ ما طلبت هنیئا.

۱- الفخری/ ۲۱۵.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۳- مروج الذهب ۴/ ۳۱۹، و الفخری/ ۲۱۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

۴- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۷.

۵- نفس المصدر.

و لعل ابرز ما اتصف به الواثق باللّه من الاخلاق الحميده انه كان واسع الحلم كثير التسامح. فلم يكن فى الخلفاء احد احلم منه و لاـ أصبر على اذى(۱). و هناك اخبار تدل على سعه حلمه و ميله الى التسامح. فقد كان يعجبه سماع المغنى ابى حشيشه الطنبورى، فوجد المسدود المغنى عليه من جراء ذلك. فهجاه فى بيتين من الشعر كتبهما فى رقعه كانت معه، و كان كتب على رقعه اخرى حاجه يريد ان يرفعها اليه، فأخطأ و ناوله رقعه الشعر بدلا عنها، فقرأها الواثق باللّه و كان فيها:

من المسدود فى الانف الى المسدود فى العين

انا طبل له شق فيا طبلا بشقين

فعلم انها فيه، فقال للمسدود: خلطت بين الورقتين، فهات الاخرى و خذ هذه، و احترس من مثل هذا، و لم يزد على ذلك شيئا(۲). و عند ما غضب الواثق باللّه على المغنى المذكور و نفاه الى عمان، ثم عفا عنه و كتب فى اعادته الى سامرا، نصحه بان لا يعاود ممازحه خليفه و ان اذن له، و قال له: فليس كل احد يحضره حلمه كما حضرنى فيك(۳).

و بلغ من تسامحه ان ابنه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فى الشام، لما دخلت عليه و استعطفته امر برد اموالها

۱- الاغانى ۲۰/ ۲۹۰، و الهفوات النادره/ ۱۸.

۲- الاغانى ۲۰/ ۲۹۱، و الهفوات النادره/ ۱۸- ۱۹.

۳- الاغانى ۲۰/ ۲۹۰.

علیها و بالغ فی الاحسان الیها(۱). و کان ابن الزیات قد امر بحبس احد کبار الکتاب هو سلیمان بن وهب فی خلافه الواثق باللّه، و کان سلیما آیسا من الفرج. فوردت علیه رقعه من اخیه الحسن بن وهب تخفف من جزعه و توصیه بالصبر، فاجاب بما یدل علی التفاؤل. فوقعت الرقعتان بید الواثق باللّه، فأمر باطلاق سلیمان و قال: و اللّه لا ترکت فی حبسی من یرجو الفرج و لا سیما من خیر منی، فاطلقه علی کره من ابن الزیات(۲).

و عرف عن الواثق باللّه شده رعایته لافراد عائلته من العباسیین، و ابناء عمومته من العلویین فکان بارا بهم لا یرد طلباتهم، و یعاونهم فی حل مشاکلهم. علی ان رعایته هذه لم تقتصر علی ذوی قرباه، بل شملت رعایاه کافه. فقد کان واسع المعروف، متفقدا شؤون الرعیه(۳). یتفقد احوال الناس و لا یبخل بمساعدتهم مالیا، و العمل علی ما فیه صلاحهم. اذ کان حسن التفکیر فی صلاح الرعیه، کما یقول صاحب خلاصه الذهب المسبوک(۴). یقول الیعقوبی: فرق الواثق باللّه اموالا جمه بمکه و المدینه و سائر البلدان، و علی الهاشمیین و سائر قریش، و الناس کافه، و قسم فی بغداد قسما کبیره مره بعد اخری، علی اهل البیوتات و عامه الناس(۵).

و قال الواثق باللّه یوما لقاضی قضاته، و قد ضجر بکثره حوائجه: لقد اخلیت بیوت الاموال بطلباتک للائذین بک

۱- المستطرف ۱/ ۱۸۹.

۲- الفرج بعد الشده ۱/ ۱۸۶- ۱۸۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۶.

۴- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

و المتوصلين اليک. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصل بک، و ذخائر اجرها مكتوب لک، و مالی من ذلک الا عشق الآلسن لخلود المدح فيک. فقال: يا ابا عبد اللّه، و اللّه لا منعتک ما يزيد فی عشقک و تقوی به منتک، و امر فاخرج اليه ثلاثون الف دينار يصرفها فی الزوار(۱).

اننا قد نستنكر بمفاهيمنا الحاليه مثل هذا الموقف من الخليفه، و هو رئيس الدوله الاعلی و المسؤول شرعا عن امور رعيته كافه، و نری توجيه قاضی قضاته اياه من باب الاستعطاف و التوسل. الا اننا اذا اخذنا مقاييس عصر الواثق باللّه بنظر الاعتبار و علمنا ان اموال بيت المال هی صافی ايرادات الدوله بعد ان حسمت منها النفقات المحليه فی كل ولايه و اقليم بحيث لا يترتب علی بيت المال من النفقات سوی نفقات الخليفه علی بلاطه و حرسه و حاشيته و آل بيته، و ما ينفقه علی مجالسه و ملاهيه. و لذلک فان اطلاق بعض الاموال لاسعاف المحتاجين و مساعده المعوزين انما يعتبر تبرعا من الخليفه و معونه منه.

و ان انفاقه بعض الأموال فی هذه الاغراض دليل علی مدی عنايته بشؤون الامه. اذ كان باستطاعته انفاقها علی ملذاته الخاصه كشراء الجواری و تشييد القصور المترفه، و منح مادحيه من الشعراء، و امثال ذلک.

و كان الواثق باللّه اديبا فنانا مولعا بالشعر و الغناء و التلحين، متتبعا اخبار الأولين، و سنشير الی شعره و اهتمامه بالغناء عند الكلام علی مجالسه العلميه و الادبيه و الغنائيه.

۱- المحاسن و المساوی ء/ ۴۳۹.

جاء فی کتاب التاج عند الکلام علی امارات الخلفاء لجلسائهم بالانصراف، ان الواثق باللّه کان اذا اراد ان یصرف جلساءه و سماره تثاءب و مس عارضیه(۱). و عند ذکر عادات الخلفاء فی الشرب و اللباس، اشار الی ان الواثق باللّه ربما ادمن علی الشرب و تابعه، غیر انه لم یکن یشرب فی لیله الجمعه و لا فی یومها(۲).

و هو بذلک یشبه اباه المعتصم باللّه، و ربما کان یقلده فی مواعید شربه. و کان الواثق باللّه اذا شرب و سکر رقد فی موضعه الذی سکر فیه، و من سکر من ندمائه ترک فی مکانه و لم یخرج(۳).

و یظهر ان الواثق باللّه کان مثل ابیه ایضا فی عنایته بلبسه، فهو لا یلبس القمیص الا لبسه واحده، الا اذا کان نادرا غریبا.

او کان معجبا به(۴). و کان شدید العنایه بالعطر و بخاصه عطر الغالیه، اذ کان یحفظها لیتقادم عهدها فیجود نوعها و تزکو رائحتها(۵).

۳- رجال الدوله فی عهد الواثق باللّه:

یذکر المسعودی فی مطلع بحثه عن خلافه الواثق باللّه خبرا یرویه عن الشاعر ابی تمام الطائی. خلاصه ما جاء فیه(۶): ان ابا تمام کان قصد سر من رأی فی اول یوم خلافه الواثق باللّه، فلقیه اعرابی قریبا منها. فاستطلع ابو تمام منه عما یعرف عن الخلیفه و عاصمته و رجال دولته البارزین و عن عسکره. فاجاب الاعرابی

۱- التاج/ ۱۲۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۵۳.

۳- العقد الفرید ۶/ ۶۰، و المستطرف ۲/ ۱۵۵.

۴- التاج/ ۱۵۴.

۵- نشوار المحاضره ۱/ ۲۸۹.

۶- مفصل الخبر فی مروج الذهب ۴/ ۶۶- ۶۸.

واصفا الواثق باللّه و رجاله كلا بما هو مشهور عنه، و ادعى بسعه معرفته بعاصمه الخلافه، و علاقته المتينه باهلها و عسكرها.

و ينتهى الخبر بشهاده الاعرابى بأن ابا تمام اشعر اهل زمانه.

و يظهر ان هذا هو بيت القصيد من الخبر.

و يلاحظ ان المسعودى يؤيد صحه ما اشتمل عليه الخبر من صفات و نعوت اسبغها الاعرابى على الخليفه و على رجال عهده الأ انه يشك فى صحه روايته. فهو يرى ان كان ما رواه ابو تمام صحيحا فان الاعرابى قد احسن الوصف، و ان كان ابو تمام هو الذى صنع الخبر و عزاه الى هذا الاعرابى فانه مقصر فى نظمه لأنه دون منزلته الأدبيه. و لما كان من الصعب، ان لم يكن من المستحيل على شخص بدوى بعيد عن حياه المدن و عن الاتصال بالخليفه و رجال دولته، ان يلم بمثل هذه التفصيلات عنهم و عن اعمالهم و عن اراء الناس فيهم. و لذلك فهو يرجح ان ابا تمام وضع هذا الخبر، فعمد الى وصف الخليفه و رجاله بطريق الروايه عن غيره، ليكون بمنأى عن غضب و نقمه من وصفهم بسوء.

لقد وصف الخليفه بأنه وثق باللّه فكفاه اشجى العاصيه، و عدل فى الرعيه، و رغب عن كل ذى جنايه. و قال عن احمد بن ابى دواد انه هضبه لا ـ ترام و جبل لا يضام، تشحذ له المدى و تنصب له الحبائل حتى اذا قبل هلك، وثب وثبه الذئب و ختل ختله الضب. و ابن ابى دواد هذا هو قاضى القضاه. و كان المأمون قد اكتشف فيه سعه العلم وحده الذكاء و نضج الرأى، و قد غدا فى عهد المعتصم باللّه الرجل الأول فى الدوله بعد الخليفه، و احتفظ بمركزه المرموق فى ايام الواثق باللّه. و يظهر الخبر انه كانت تحاك ضد ابن ابى دواد كثير من المكائد فيتغلب عليها.

و قال عن الوزير محمد بن عبد الملک الزيات انه وسع الدانی شره و وصل الی البعيد ضره، له فی کل يوم صريع لا يری فيه أثر ناب و لا مخلب. لقد کان ابن الزيات سياسيا ماهرا و اداريا قديرا، الا انه کان حقودا قاسيا لا يرحم، اذا رأی أثر نعمه علی احد سعی لازالتها و نکبه صاحبها و هذا ما يؤکده الخبر.

اما عن عمر الرخجی فقال انه ضخم نهم، استعذب الدم، ينصبه القوم ترسا للوغی. و کان الرخجی هذا من کبار الکتاب، کتب للمأمون. و تولی فی عهد الواثق باللّه ديوان النفقات، و کان نهما سی ء السيره، مما اضطر الخليفه ان يعين رقيبا علی اعماله.

و قال عنه القاضی ابن ابی دواد: ما صحب السلطان أرجل و لا اخبث من عمر بن فرج الرخجی(۱).

و وصف الفضل بن مروان بأنه رجل نبش بعد ما قبر، ليس تعد له حياه فی الأحياء، و عليه خفقه الموتی. و هو يصفه بعد خروجه من السجن ذليلا، اذ کان المعتصم باللّه قد اقصاه عن الوزاره و استصفی امواله و امر بسجنه.

و هکذا يستمر فی وصف ابی الوزير احمد بن خالد، و الأخوين سليمان و الحسن ابنی وهب، و ابراهيم بن رباح، و احمد بن الخصيب، و هم من کبار الکتاب و رؤساء الدواوين. و مهما کان الأمر فان هذا الخبر تضمن امرين مهمين، اولهما انه يعرفنا برجال الدوله البارزين فی عهد الواثق باللّه، و ثانيهما انه يصف کلا منهما بما يراه الناس فيه من صفات حسنه او سيئه، و الواقع انه، کما يقول المسعودی، قد احسن فی وصفهم.

۱- الفرج بعد الشده ۴/ ۱۷.

۴- مصادره الکتاب:

و مما له علاقه بشؤون الرعیه المبادره الاصلاحیه التی قام بها الخلیفه الواثق باللّه بمحاسبه کبار الکتاب فی الدوله و تابعیهم علی ما احرزوه من اموال لا تتناسب مقادیرها و مصادر ایرادهم المشروعه، فقد لاحظ ان اکثر المتنفذین من الموظفین کانوا یستغلون مراکزهم فی حیازه الأموال و جمع الثروات بطرق غیر مشروعه کالسرقه و الرشوه. فحاول ان یحد من تعسفهم الناس و یمنعهم من استغلال وظائفهم. و لیس من الواضح ما اذا کان الغرض من مصادره الکتاب و حبسهم اصلاح الجهاز الاداری و المالی، منع الرشوه، و ایقاف استغلال النفوذ، ام مجرد احتواء الخلیفه علی اموال الآخرین ممن اتهموا بالاستغلال. و مهما کان الأمر فان مبادره الخلیفه الی محاسبه کبار موظفیه و الضرب علی ایدی المفسدین منهم بهذه الشده لا بد و انها کان لها أثر فی اصلاح جهاز الدوله المالی و الاداری، و تخفیف و طأه موظفیه علی الرعیه.

علی انه یجب ان لا یغرب عن البال ان تکون هذه المصادره بنفس الوقت عاملا یحفز الموظفین المصادره اموالهم علی تعویضها عند ما تسنح لهم الفرصه بنفس اسالیبهم السابقه، بل و باسالیب قد قد تکون اشد منها تعسفا و جورا.

و کان السبب المباشر لغضب الواثق باللّه علی الکتاب انه سأل ندماءه ذات لیله عن سبب نکبه البرامکه. فقال احدهم ان الخلیفه هارون الرشید اشتری جاریه بمائه الف دینار. فاستکثر وزیره یحیی بن خالد هذا المبلغ و اخبر الرشید انه لا یقدر علی هذا المال، فغضب و قال لا بد منه. فارسل یحیی المبلغ بالدراهم لیستکثره الرشید. و بالفعل امر الرشید برد الجاریه، الا انه

اوعز بحفظ المـال ببيت مـال خاص به. ثم اخـذ فى البحث عن الاموال فوجـد ان البرامكه قـد فرطوا بها. و كان اعتاد ان يحضـر مجلس الرشـيد احـد النـدماء يعرف بـابى العـود، فـأمر له الخليفه يومـا بثلاـثين الـف درهم، فمـاطله يحيى. فاحتـال ابـو العود فى تحريض الرشيد عليه، و قد شاع انه قد تغير على البرامكه، فانشده ذات ليله قول عمر بن ابى ربيعه:

و عدت هند و ما كانت تعدليت هندا انجزتنا ما تعد

و استبدت مره واحدهانما العاجز من لا يستبد

فلمـا علم يحيى بـذلك حـاول ان يسترضـى ابا العود باعطائه المبلغ الـذى امر له الرشـيد به، و اضاف اليه عشـرين الف درهم من عنده. الا ان الرشيد جد فى امر البرامكه حتى أخذهم(١).

فقال الواثق باللّه: صدق و اللّه جدى انما العاجز من لا يستبد. و اخذ فى ذكر الخيانه و ما يستحقه اصحابها. و لم يمض غير اسبوع واحـد حتى امر بحبس عـدد من الكتاب و ضـربهم، و الزمهم اموالا كثيره قارب مجموعها الفى الف دينار، سوى ما ما اخـذه من العمال بسبب عمالاتهم. و جاء فى الطبرى انه اخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار و امر بضربه، فضرب فيما قيل نحوا من الف سوط. و اخذ من سليمان بن وهب اربعمائه

١- مفصل الخبر فى الطبرى ۹/ ۱۲۶- ۱۲۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷- ۵۲۸، و الكامل ۷/ ۱۰- ۱۱.

الف دینار و من الحسن بن وهب اربعه عشر الف دینار، و اخذ من احمد بن الخصیب و کتابه الف الف دینار، و من ابراهیم بن رباح و کتابه مائه الف دینار، و من نجاح بن سلمه ستین الف دینار، و من ابی الوزیر مائه الف دینار و اربعین الف دینار(۱). و ذکر مثل ذلک مسکویه و ابن الأثیر، سوی ان مسکویه ذکر ان مجموع ما صودر من الحسن بن وهب و ابی الوزیر هو مائتا الف دینار، ای بزیاده سته و اربعین الف دینار. عما ذکره الطبری و ابن الأثیر(۲).

اما الیعقوبی فیقول عن هذه المصادره ان الواثق باللّه رفع الیه ان احمد بن الخصیب قد حاز اموالا عظیمه فسخط علیه و قبض امواله و اموال اخیه ابراهیم و عذبا و عذبت امهما، کما ان الواثق بالله سخط علی ابراهیم بن رباح الذی ولاه دیوان الضیاع، و امر بقبض ضیاعه و امواله(۳). و لم یذکر المبالغ التی صودرت منهم.

و قیل ان الذی دفع الواثق باللّه الی القبض علی احمد بن الخصیب و سلیمان بن وهب و مصادرتهما انه غنی ذات لیله هذا الصوت:

من الناس انسانان دینی علیهماملیئان لو شاءا لقد قضیانی

خلیلی اما ام عمرو فمنهماو اما عن الاخری فلا تسلانی

۱- الطبری ۹/ ۱۲۵.

۲- تجارب الامم ۶/ ۵۲۸، و الکامل ۷/ ۱۰.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۱.

فدعا خادما لأبیه المعتصم باللّه، و قال له: انی سمعت ابی یتمثل بهذین البیتین و ینظر الیک، فمن اللذان کان یعنی بهما؟

فاخبره الخادم ان اباه وقف علی خیانه احمد بن الخصیب و سلیمان بن وهب بمبلغ من المال، و کان یبغی الایقاع بهما. فبادر الواثق باللّه الی القبض علیهما(۱).

کما قیل ان الوزیر بن الزیات هو الذی حرض الواثق باللّه علی نکبتهما(۲). اذ کان قد صنع شعرا اوصله الیه علی انه لبعض الشعراء و فیه اتهام ابن الخصیب و ابن وهب بالخیانه فی الاموال. و جاء فیه:

و لیت اربعه امر العباد معاو کلهم حاطب فی حبل محتبل

هذا سلیمان قد ملکت راحته مشارق الأرض من سهل و من جبل

خلافه قد حواها وحده فمضت احکامه فی دماء القوم و النقل

و ابن الخصیب الذی ملکت راحته خلافه الشام و الغازین و القتل

فنیل مصر فبحر الشام قد جریابما اراد من الاموال و الحلل

۱- الاغانی ۲۰/ ۲۶۸.

۲- نفس المصدر/ ۲۶۹.

حوی سلیمان ما کان الأمین حوی من الخلافه و التبلیغ بالأمل

و احمد بن الخصیب فی امارته کالقاسم بن الرشید الجامع السیل

و فی آخر الشعر تحریض علی الفتک بهما، کما فتک هارون الرشید بالبرامکه بعد ان اساءوا استعمال سلطتهم، اذ جاء فیه:

سمیت باسم الرشید المرتضی فیه قس الامور التی تنجی من الزلل

عث فیهم ما عاثت یداه معاعلی البرامک بالتهدیم للقلل

فلما وصل الشعر الی الواثق باللّه غاظه ما جاء فیه و بلغ منه، فأمر بالقبض علیهما. و کان سلیمان بن وهب کاتب القائد الترکی ایتاخ، و ابن الخصیب کاتب القائد اشناس. و کانا هذان القائدان الترکیان قد شددا قبضتهما علی شؤون الدوله مما فسح المجال لکاتبیهما استغلال مرکزیهما فی احتواء الأموال بمختلف الأسالیب. و مما یدل علی ان الشعر المذکور من صنع ابن الزیات ان ابراهیم بن العباس الذی تصدی لهجائه و تتبع سقطاته، قال عند ما قبض علی الکاتبین المذکورین، یخاطبه(۱).

ایها ابا جعفر و للدهر کرات و عما یریب متسع

۱- الاغانی ۲۰/ ۲۷۱.

ارسلت لیثا علی فرائسه و انت منها فانظر متی تقع

لکنه قوته و فیک له و قد نقضت اقواته شبع

و لما هجا علی بن الجهم الوزیران ابن الزیات بقصیدته التی کان مطلعها:

لعائن الله موفرات مصبحات مهجرات

هم الواثق باللّه بالفتک بوزیره، الا ان اسحاق الموصلی الذی کان مقربا جدا من الخلیفه شفع له، اذ قال للواثق باللّه: أمثل ابن الزیات علی خدمته و کفایته یفعل به هذا، و ماجنی و ما خانک، و انما دلک علی خونه اخذت ما اختانوه، و هذا هو ذنبه(۱). فمحا بذلک ما کان فی نفس الخلیفه علی وزیره.

و یظهر أن حبس الکتاب و مصادرتهم قوبلت بالرضا من الناس، فقد قال أحمد بن فنن(۲).

نزلت بالخائنین سنهسنه للناس ممتحنه

سوغت ذا النصح بغیته و ازالت دوله الخونه

و تری اهل العفاف بهاو هم فی دوله حسنه

و قد تولی حبس الکتاب و مصادرتهم صاحب حرس الخلیفه الأمیر اسحاق بن یحیی(۳). و یفهم من خبر اورده بن الطقطقی ان

۱- نفس المصدر/ ۲۷۲.

۲- نفس المصدر/ ۲۷۱.

۳- الطبری ۹/ ۱۲۵، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۶.

عددا منهم لبث فی السجن مطالبا بالأموال طیله عهد الواثق باللّه.

و هم ابن المدبر و سلیمان بن وهب و احمد بن اسرائیل. فلما جاءهم نبأ موت الواثق باللّه هربوا من السجن لیلا(۱). الا ان الطبری یقول ان الواثق باللّه لما امر بحبس سلیمان بن وهب و اخذه بمائتی الف دینار ادی منها مائه الف و سأل ان یؤخذ بالباقی عشرین شهرا فاجابه الخلیفه الی طلبه و امر بتخلیه سبیله ورده الی کتابه ایتاخ(۲). علما انه سبقت الاشاره الی ان سلیمان بن وهب قد اخذ منه اربعمائه الف دینار، مما یرجح انه قد صودر اکثر من مره.

و تعتبر مصادره الکتاب من مظاهر حکم الواثق باللّه البارزه، و یظهر انه اتخذها وسیله لمعاقبه الکتاب و العمال. الا انها اصبحت من بعده فی عهد اخیه المتوکل علی اللّه، مصدرا مهما من مصادر ایرادات بیت المال.

۵- وفاه الواثق باللّه:

توفی الواثق باللّه بالقصر الهارونی فی سامرا یوم الاربعاء لست لیال بقین من ذی الحجه من سنه ۲۳۲ ه. و یتفق معظم المؤرخین علی ان سبب وفاته اصابته بعله الاستسقاء، و انه عند ما اشتدت علته حفر له فی الأرض حفیر کالتنور ثم سخن بالحطب الطرفاء و صیر فیه مرارا، فوجد لذلک راحه. و طلب فی الیوم التالی زیاده

۱- الفخری/ ۲۲۵- ۲۲۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۵، و الکامل ۷/ ۲۹. و الکامل ۷/ ۲۹.

تسخینه و قعد فیه اکثر من الیوم الأول فحمی علیه، و حمل عنه فی محفه فمات علی اثر ذلک(۱).

و عند ما اشتد المرض علی الواثق باللّه، وصل خبر مرضه الی مکه قبل موسم الحج، فوجه و الیها الی سامرا بماء زمزم و خلوق من خلوق الکعبه(۲). و ذلک لاستخدامها فی غسل الخلیفه و تجهیزه عند وفاته. و کان الواثق باللّه امر قاضی القضاه احمد بن ابی دواد ان یصلی بالناس یوم الأضحی، فصلی بهم یوم العید، لأنه لم یقدر علی الحضور الی المصلی لشده علته، و قد دعا ابن ابی دواد للخلیفه فقال: اللهم اشفه مما ابتلیته(۳).

و جاء فی الطبری انه لما اعتل الواثق باللّه علته التی مات فیها أمر باحضار المنجمین فاحضروا، و کان ممن حضر الحسن بن سهل و الفضل بن اسحاق الهاشمی، و اسماعیل بن نوبخت، و محمد بن موسی الخوارزمی، و عامه من ینظر فی النجوم. فنظروا فی علته و نجمه و مولده فقالوا: یعیش دهرا طویلا، و قدروا له خمسین سنه مستقبله، فلم یلبث الا عشره ایام حتی مات(۴).

و قیل انه لما احتضر جعل یردد هذین البیتین:

الموت فیه جمیع الناس مشترک لا سوقه منهم تبقی و لا ملک

ما ضر اهل قلیل فی تفاقرهم و لیس یغنی عن الاملاک ما ملکوا

۱- الطبری ۹/ ۱۵۰، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵

۲- المعرفه و التاریخ ۱/ ۲۰۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۸۴.

۴- الطبری ۹/ ۱۵۱.

و امر بالبسط فطویت، و الصق خده بالأرض، و جعل یقول:

یا من لا یزول ملکه ارحم من زال ملکه، یکررها الی ان مات(۱).

و کان یقول فی علته: لوددت انی اقلت العثره، و انی حمال احمل علی رأسی. و قیل له فی البیعه لابنه، فقال: لا یرانی اللّه اتقلدها حیا و میتا(۲).

و حضر عند وفاته جماعه من الهاشمیین، و محمد بن عبد الملک الزیات، و احمد بن ابی دواد، و عمر بن فرج الرخجی، فلم یشعروا بموته حتی ضرب بوجهه المحنه(۳). و یقال انه لما سجی عند وفاته و شغل المجتمعون حوله بأمر بیعه خلفه، تسلل جرذ من البستان و أکل احدی عینیه(۴).

و مات الواثق باللّه و مجموع ما فی بیت المال من العین خمسه آلاف الف دینار و من الورق خمسه عشر الف الف درهم(۵).

و خلف من الاولاد الذکور خمسه هم: محمد الذی تولی الخلافه بعد المعتز باللّه و لقب بالمهتدی باللّه، و ابراهیم ابو اسحاق، و محمد ابو اسحاق، و ابو القاسم عبد الله الذی التحق بابن اللیث الصفار لما قتل اخوه المهتدی بالله، و ابو العباس احمد و کان عالما فاضلا، و من البنات اثنتان هما: العباسه و قد تزوجها المستعین باللّه، و عائشه و تزوجها المستعین باللّه ایضا لما ماتت اختها(۶).

۱- الکامل ۷/ ۲۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۵۵، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

۳- الکامل ۷/ ۳۰، و تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰، و نشوار المحاضره ۲/ ۷۳- ۷۴.

۴- الکامل ۷/ ۳۰، و تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰، و نشوار المحاضره ۲/ ۷۳- ۷۴.

۵- الذخائر و التحف/ ۲۱۸.

۶- العقد الفرید ۵/ ۱۲۲، و الذهب المسبوک/ ۲۲۵، و الکامل/ ۳۱، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵.

و قـد اختلف المؤرخون فی عمره عنـد وفاته، اذ یـذکر الیعقوبی انه توفی و عمره اربع و ثلاثون سـنه، و یتردد المسعودی فیذکر مره ان عمره اربع و ثلاثون سـنه، و مره اخری سبع و ثلاثون سنه و سته اشهر، و یفعل مثله الطبری و ابن الأثیر فیقولان کان عمره اثنتین و ثلاثین سـنه و قیل ستا و ثلاثین سنه، و احتسبه ابن عبد ربه ستا و ثلاثین سنه و اربعه اشهر و ایام، و اعتبره مسکویه ستا و ثلاثین سنه، و یقول ابن دحیه انه توفی و له اثنتان و اربعون سنه(۱).

و لا شک فی ان هذا الاختلاف ناشی ء عن اختلافهم فی تاریخ مولده.

و قـد سبق ان اشـرنا الی ان ابن عبـد ربه و السـیوطی یذکر ان مولده کان لعشـر بقین من شـعبان من سـنه ۱۹۶ و یؤیـد الخطیب البغدادی سنه میلاده المذکوره(۲). و اذا ما اخذنا هذا التاریخ اساسا للاحتساب کان عمره ستا و ثلاثین سنه و اربعه اشهر و ایاما، و هو ما ذکره ابن عبـد ربه. علی ان الخطیب البغـدادی یروی عن احمد بن الواثق باللّه انه قال: بلغ ابی ثمانیا و ثلاثین سـنه(۳). و قد دفن الواثق باللّه بسامرا، و کان اخوه جعفر قد صلی علیه عند دفنه(۴).

اما مده خلافته فقد اتفق المؤرخان الیعقوبی و المسـعودی، و الادیب ابن عبد ربه علی انها کانت خمس سـنوات و تسـعه اشهر و ثلاثه عشر یوما(۵). و یقرب منهم الطبری و ابن الأثیر اللذان

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و الطبری ۹/ ۱۵۱، و النبراس/ ۷۵.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۶.

۳- نفس المصدر/ ۲۰.

۴- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۱، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

یتفقـان معهم فی عـدد السـنوات و الأشـهر و یختلفـان فی عـدد الایام فاحتسـباها خمسه ایام بـدلا من ثلاثه عشـر(۱). و جـاء فی تجارب الأمم ان مـده خلافته خمس سـنوات- اما ابو المحاسن، و هو شدیـد الاهتمام باحتساب هـذه التواریـخ، فقد احتسب مده خلافته خمس سنوات و سته اشهر(۲).

و نظرا لاتفاق المؤرخین المذکورین فی تاریخ مبایعه الواثق باللّه بالخلافه و تاریخ وفاته، فقد کان من الطبیعی ان یتفقوا فی مده خلافته. و لا نـدری ما اذا کانت الفروق بین ما ذکروه نتیجه و هم او خطأ حسابی. لأن المده بین تاریخ مبایعته و تاریخ وفاته هی خمس سنوات و تسعه اشهر و خمسه ایام، و هی المده التی ذکرها الطبری و ابن الأثیر.

و کـان الواثق بـاللّه نوی اداء فریضه الحـج فی موسم السـنه ۲۳۱ ه، و اسـتعد لـذلک، و وجـه عمر بن فرج الرخجی الی اصـلاح الطریق، فاخبره ان الماء قلیل فی هذا الموسم، فلم یخرج فی تلک السنه(۳). و مرض فی السنه التالیه فی موسم الحج فعاقه ذلک عن عن الخروج، و ادرکته الوفاه فی اواخر ذی الحجه من السنه نفسها.

۱- الطبری ۹/ ۱۵۱، و الکامل ۷/ ۳۱.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۲.

۳- الطبری ۹/ ۱۴۰.

الفصل الرابع المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم باللّه

١- مبايعته:

توفى الواثق باللّه و لم يكن قد عهد لأحد بعده بالخلافه. و كان قد قيل له فى البيعه لابنه، فقال: لا يرانى اللّه اتقلدها حيا و ميتا(١). و كان ابنه محمد صغير السن، كما ان علاقته باخيه جعفر لم تكن وديه، و لم يكن يتوسم فيه الكفايه لمنصب الخلافه.

و يبدو ان اختلاف امهات الاخوين كان سبب النفره و التباغض بينهما لأن ابناء العلات- اى ابناء الرجل من نسوه شتى يختلفون و يتباغضون عاده. و قد اذل الواثق اخاه فى عهد خلافته، مما ملأ نفس جعفر حقدا على اخيه و على رجاله.

عند ما مات الواثق باللّه حضر رجال الدوله الى دار الخلافه، و على راسهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، و قاضى القضاه

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ۴٨٣.

احمـد بن ابی دواد، و ابو الوزیر احمد بن خالد، و کبار القواء الاتراک ایتاخ و وصـیف و بغا الکبیر و غیرهـم. فعزموا علی مبایعه محمد بن الواثق باللّه، فرأوه لا یزال صبیا صغیرا. و قد اعترض القائد وصیف بانه صغیر لا تجوز معه الصلاه(۱). فتناظر الحاضرون فیمن یولونه الخلافه، و ذکروا عده اسماء من امراء بنی العباس. ثم اتفقوا علی مبایعه جعفر اخی الواثق باللّه. فلما احضروه استقبله قاضی القضاه و البسه الطویله و عممه و قبله بین عینیه و سلم علیه بالخلافه. فبایعه الحاضرون(۲). و اول من بایعه القائدان وصیف وسیما المعروف بالدمشقی(۳).

و روی المتوکـل علی اللّه نفسه کیف تمت مبـایعته، قال ما خلاصـته: احتجمت فی الیوم الـذی توفی فیه الواثق باللّه و انا لا اعلم بوفاته، فقالت لی امی امضـی الی اخیک وعده فی مرضه. فذهبت لزیارته و دخلت الدار و جلست بحیث کنت اجلس، فسـمعت حرکه غیر اعتیادیه، فنظرت من ثقب الباب فرأیت محمـد عبـد الملک الزیات و ایتاخ و معهما محمد بن الواثق یلبسانه الرصافیه، و لما بـدت کبیره علیه، قال احـدهما: نعممه، ثم قال فما نفعل بجعفر، فقال محمـد بن عبـد الملک: نقتله بالتنور، و قال ایتاخ: بل ندعه فی الماء البارد حتی یموت و لا یبین علیه اثر القتل. فغشی علی لما سمعته من عزمهما فی امری. ثم لم یلبث ان حضر احمد بن ابی دواد فدخل و تکلم معهما کلاما لم اسمعه لما کنت فیه من خوف

۱- الطبری ۹/ ۱۵۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۲- نفس المصدرین السابقین.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

و ضعف. ثم نودی علیّ فدخلت علیهم وجلا خائفا، الا ان ابن ابی دواد لقینی فقبل یدی و قادنی الی السریر و قال لی: اصعد الی المکان فقد اهلک اللّه تعالی له. فلما صعدت و جلست سلم علی بالخلافه. و سلم علی بها محمد و ایتاخ ایضا. و اخذ ابن ابی دواد علیهما البیعه لی، و ادخل القواد و الموال علی مراتبهم یسلمون و یبایعون. ثم علمت فیما بعد ان محمد بن عبد الملک و ایتاخ کانا قد اتفقا علی ما سمعته منهما، و وکلا بباب الحجره من یمنع دخول قاضی القضاه الیهما حتی یفرغا من تدبیرهما. فلما حضر القاضی هابه الموکلون بالباب ففسحوا له فدخل. فلما علم انصرافهما عن ابن الواثق باللّه لصغر سنه، تداول معهما فیمن یبایعون، و ذکروا بعض الاسماء، و لما ورد اسمی قال ابن ابی دواد لهما: اصفقا علی یدی فصفقا، ثم ارسلوا الی فکان من الأمر ما کان. و بقی ما قاله محمد بن عبد الملک و ایتاخ فی نفسی فقتلتهما بما اعتزما قتلی به، فقتلت ابن الزیات بالتنور، و ایتاخ بالماء البارد(۱).

و لقب جعفر فی الیوم التالی بالمتوکل علی اللّه. و قد اراد ابن الزیات ان یلقبه بالمنتصر، فقال ابن ابی دواد: لقد رأیت لقبا موافقا هو المتوکل علی اللّه. فوافق الخلیفه علیه و امر ان یکتب به الی مختلف الولایات(۲). و کانت نسخه الکتاب: بسم اللّه الرحمن الرحیم، أمر- ابقاک اللّه- امیر المؤمنین اطال اللّه بقاءه ان یکون الرسم الذی یجری به ذکره علی اعواد منابره و فی کتبه الی قضاته و کتابه و عماله و اصحاب دواوینه و غیرهم من سائر من تجری المکتبه بینه و بینه «من عبد الله جعفر الامام المتوکل علی الله امیر

۱- کامل الروایه فی الهفوات النادره/ ۳۶۲- ۳۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۱۵۵، و الکامل ۷/ ۳۴.

المؤمنين» فرأيک فی العمل بذلک و اعلامی بوصول کتابی اليک موفقا ان شاء اللّه»(۱).

و هناک روايه تقول ان سبب هـذا اللقب ان المتوکل علی اللّه رأی فی منامه قبل ان يستخلف کأن سکّرا ينزل عليه من السماء مکتوبا عليه «جعفر المتوکل علی اللّه»، فقص ذلک علی اصحابه، ففسروه بانه سينال الخلافه(۲). و اذا صح هذا الخبر فان حلم المتوکل علی اللّه کـان انعکاسا لما يحز فی نفسه من الحجر و الحرمان و ما يقاسيه من سوء معامله اخيه الواثق باللّه الـذی يرفل فی نعمه الخلافه و قوه السلطان، ممـا جعله يتمنی فی قراره نفسه ان يکون خليفه مکان اخيه و له لقب الخلافه مثله. او ان يکون الخبر موضوعا اصلا للايحاء بان المتوکل علی اللّه کان موعودا بهذا اللقب الذی هو جدير به.

کان عمر المتوکل علی اللّه يوم بويع ستا و عشرين سنه، لأنه قـد ولد بفم الصلح فی شوال من سنه ۲۰۶ ه(۳). الا ان الخطيب البغدادی يقول سمع المتوکل علی اللّه يقول: ميلادی سنه ۲۰۷ ه(۴).

و عنـد ما تمت البيعه للمتوکل علی اللّه امر للاتراک برزق اربعه اشـهر، و للجنـد و الهاشـميين ارزاق ثمانيه اشـهر(۵)، و للمغاربه برزق ثلاثه اشهر فأبو ان يقبضوا فارسل اليهم من کان منکم مملوکا

۱- الطبری ۹/ ۱۵۵، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۵۵، و الکامل ۷/ ۳۴.

۳- الطبری ۹/ ۱۵۵، و مروج الذهب ۴/ ۸۵ و فيه سبع و عشرون سنه، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۴- الطبری ۹/ ۲۳۰، و تاريخ بغداد ۷/ ۱۶۶.

۵- الطبری ۹/ ۱۵۵، و تاريخ اليعقوبی ۲/ ۴۸۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

فلیمض الی القاضی احمد بن ابی دواد حتی یبیعه و من کان حرا صیرناه اسوه بالجند، فرضوا بذلک، ثم اجروا مجری الأتراک(۱).

و نقش علی خاتمه عباره «جعفر علی اللّه یتوکل»(۲).

۲- صفاته و سیرته:

هو ابو الفضل جعفر بن المعتصم باللّه، و امه ام ولد خوارزمیه ترکیه یقال لها شجاع، و کان من سروات النساء سخاء و کرما(۳).

و یقال انها کانت خیره کثیره الرغبه فی عمل الخیر و خلفت من العین خمسه الآف الف و خمسین الف دینار و من الجوهر ما قیمته الف الف دینار(۴). و قد توفیت فی المتوکلیه فی ربیع الآخر من سنه ۲۴۷ ه، و صلی علیها حفیدها محمد المنتصر، و دفنت عند المسجد الجامع(۵).

اما صفاته الجسمیه فقد وصف بانه کان اسمر رقیق البشره یضرب الی الصفره خفیف العارضین کبیر العینین و سیما مهیبا، و کان الی القصر اقرب(۶).

و عند ما تولی المتوکل علی اللّه نهی عن الجدل و المناظره و ابطل المحنه. و قد ذکرنا ما قام به فی هذا الباب بشی ء من التوسع فی

۱- الطبری ۹/ ۱۵۵.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۴، و الذهب المسبوک/ ۲۲۵ و فیه« علی الله توکلت»

۳- تاریخ بغداد ۷/ ۱۶۶.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۷.

۵- الطبری ۹/ ۲۳۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸.

۶- الطبری ۹/ ۲۳۰، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳- ۳۱۴، و تاریخ بغداد ۷/ ۱۷۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

موضوع المحنه. و قـد ابدى كثيرا من لين الجانب و الاهتمام بشؤون الرعيه. قال لابراهيم بن المدبر و هو احد اصحاب الدواوين: اذا خرج اليـك توقيعى بمـا فيه مصـلحه للناس و رفق للرعيه فانفـذه و لا تراجعنى فيه، و اذا خرج اليك بما فيه حيف على الرعيه فراجعنى، فأن قلبى بيـد الله عز و جل(۱). و قال يزيـد المهلبى: قال لى المتوكل على اللّه يا مهلبى ان الخلفاء كانت تتصـعب على الرعيه لتطيعهـا و انا الين لهم ليحبونى و يطيعونى(۲). و مر المتوكل على اللّه يوما بزرع لا يزال اخضـر لم يـدرك وقت حصاده، فقال: اسـتأذننى عبيـد الله بن يحيى فى اسـتفتاح الحراج وارى الزرع اخضـر، فمن اين يعطى الناس الخراج؟ فقيل له ان هـذا أضـر بالناس فهم يقترضون و يتسـلفون و ينجلون عن اراضـيهم و قد كثرت شـكاياتهم. و علم ان سـبب ذلك هو المطالبه بالخراج فى ابان النيروز، و نظرا لمنع العرب كبس السـنين باعتباره من النسـى ء الذى نهى الاسلام عنه، تقدم النيروز حتى صار يقع فى نيسان و الزرع اخضر، فطلب الى ابراهيم بن العباس ان يحسب الأيام بما يؤخر النيروز، ففعل ذلك(۳).

و يبـدو ان المتوكل على اللّه اراد تغيير موعـد جبايه الخراج بحيث يكون عند حصاد الزرع، الا انه قتل قبل ان يتم تدبير ذلك، و لم يحاول ان يتمه من جاء بعده من خلفاء سامرا حتى اسـتخلف حفيده المعتضد باللّه فأمر باصـلاح التقويـم بما اخر موعد الجبايه و حقق ما كان حاوله جده، اذ امر فى سـنه ۲۸۲ ه بالكتـابه الى جميع العمال بترك افتتاح الخراج بالنيروز العجمى، و تأخير ذلك الى

۱- تذكره ابن حمدون/ ۱۰۵.

۲- تاريخ الخلفاء/ ۳۵۲.

۳- الاثار الباقيه/ ۳۲، و الخطط المقريزيه ۱/ ۲۷۵.

اليوم الحادى عشر من حزيران، و سمى ذلك بالنيروز المعتضدى(۱).

لقـد وصف المتوكل على اللّه بالكرم الزائـد الـذى يصل الى حد التبذير، حتى قيل: ما اعطى خليفه شاعرا ما اعطى المتوكل على اللّه(۲). فقد انشده على بن الجهم شعره الذى مطلعه:

هى النفس ما حمّلتها تتحمل و للدهر ايام تجور و تعدل

و فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه، فاطرق ابن الجهم متفكرا فى شى ء يقوله ليأخذ التى فى يساره، ففطن و قال:

مالك متفكرا، انما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا بورك لك فيها(۳). و لكثره ما انفقه المتوكل على اللّه ايام خلافته، قال المسـعودى: «و قـد قيـل انه لم تكن النفقـات فى عصـر من الأعصـار و لا وقت من الأوقات مثلها فى ايام المتوكل على اللّه ... مع كثره الموالى و الجنـد و الشـاكريه و درور العطـاء لهم، و جليل ما كانوا يقبضون من الجوائز و الهبات»(۴). و قد انفق على اعذار ابنه المعتز سته و ثمانين الف الف درهم(۵). و وصفت ايامه بانها كانت حسنه فاخره كثيره الخير(۶). و انها «كانت احسن ايام و انضرها من استقامه الملك و شمول الناس بالأمن و العدل»(۷).

۱- الطبرى ۱۰/ ۳۹، و الكامل ۷/ ۴۶۹.

۲- تاريخ الخلفاء/ ۳۵۰.

۳- العقد الفريد ۱/ ۳۲۱.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۲۲.

۵- الديارات/ ۱۵۵.

۶- مشاكله الناس لزمانهم/ ۳۲.

۷- مروج الذهب ۴/ ۸۶.

و مما له علاقه بكثره الانفاق فى عهد المتوكل على اللّه اهتمامه بالعمران و ولعه ببناء القصور. فقد بنى ما ينوف على خمسه عشر قصرا انفق فى بنائها مبالغ طائله. و قد احدث المتوكل على اللّه بناء لم يكن الناس يعرفونه، و هو المعروف بالحيرى نسبه الى مدينه الحيره، فبنى الناس جميعا بسامرا هذا البناء. و قد تكلمنا عن الماحوزه شمالى سامرا اعظم اعماله العمرانيه و كان يسميها المتوكليه. و كنا افردنا لها فصلا خاصا بعمرانها.

و كان المتوكل على اللّه قد حاول اكثر من مره، قبل ان يؤسس مدينه المتوكليه، ان ينتقل عن سامرا الى مدينه اخرى. و لا ندرى ما اذا كان بدافع الرغبه فى التحرر من نفوذ القواد الاتراك المعارضين له، او طلبا لجو يلائم صحته، او انه كان يريد ان تكون عاصمه تنسب اليه. و لعل ما يؤيد السبب الأخير بناؤه مدينه المتوكليه و انتقاله و دواوين الدوله اليها. و كان قبل ذلك اراد الانتقال الى اصبهان بعد ان سمع عن طيب هوائها، فبعث جماعه من المهندسين لتخطيط القصور له و لخواص اصحابه، الا ان اهلها فزعوا الى وصيف القائد و سألوه التلطف فى فسخ عزمه فاقنعه بانها لا تتسع له، و اذا ما سكنها ضاق الأمر على الناس فى الميره، مما اثناه عن عزمه، فخرج الى دمشق لأنه قيل له ان هواءها مقارب لهواء اصبهان(۱).

عزم المتوكل على اللّه على المقام بدمشق لما وصف له من فضائلها و طيبها، فأمر بالبناء فيها و نقل الدواوين اليها، الا انه تركها بعد اقام فيها شهرين و بضعه ايام فعاد الى سامرا محتجا ببرد هواء دمشق

۱- الاعلاق النفيسه/ ۱۵۶.

و ثقل مائها و کثره ریاحها(۱). و هناک رأی یقول انه ترک دمشق لأن مناوئیه من الاتراک دبروا فیها وقیعه تستهدف قتله(۲).

الی جانب هذه النواحی الایجابیه من سیره المتوکل علی اللّه و سلوکه کخلیفه هناک نواح سلبیه ضرب فیها امثله سیئه من تصرفاته. فقد اشتد علی العلویین. کما اساء الی اهل الذمه و لا سیما النصاری منهم، فحدد نوع لباسهم و رکوبهم و نهی عن الاستعانه بهم فی اعمال الدوله و دواوینها. و اوامر اخری اتخذها بشأنهم بکتاب وجهه الی الولایات لمعاملتهم بموجبه، و معاقبه من لا یلتزم بها. و من الممکن تفسیر موقف المتوکل علی اللّه من العلویین و من اهل الذمه، بعاملین اتصف بهما، اولهما تعصبه الدینی الشدید، و الآخر حسده للعلویین لما یتمتعون به و بخاصه أئمتهم، من ولاء مطلق من اعداد غفیره من الرعیه، و حسده النصاری لأنهم کانوا یعیشون حیاه مرفهه نسبیا، و منهم معظم الأطباء المشهورین و کثیر من الکتاب المتقدمین.

و قد عرف عن المتوکل علی اللّه انه متقلب المزاج یرضی و یغضب بسرعه و لا- تفه الأسباب. و کان یتشبه فی الغضب بخلق الجبابره(۳). و انه حقود قاس فی غضبه، یحقد علی من یسی ء الیه، و یحسد کل ذی نعما مهما کان نوعها. و من مظاهر حقده انه امر بقتل محمد بن عبد الملک الزیات الوزیر الکف ء بعد تعذیبه، لأن ابن الزیات لم یکن یحسن استقباله عند ما کان یراجعه فی ایام اخیه الواثق باللّه. و موقف ابن الزیات هذا تجاهه ناشی ء من ان

۱- الطبری ۹/ ۲۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۲.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۱۵- ۱۱۶.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۵.

الخلیفه الواثق بـاللّه کان لا یود اخاه، دائم الغضب علیه، و من الطبیعی ان یحـذو وزیره حـذوه و الا عرض نفسه لغضب الخلیفه و نقمته. و سبق ان ذکرنا ان المتوکل علی اللّه قد کان قد اضـمر الشـر لابن الزیات و للقائد ایتاخ لأنه اعتقد بانهما عارضا ترشیحه للخلافه و اتفقا علی قتله.

و لم یسلم من سخط المتوکل علی اللّه و غضبه قاضی القضاه احمد ابن ابی دواد صاحب الفضل الأول فی تولیه الخلافه، و الذی کان شدیـد العطف علیه ایام اخیه الواثق باللّه، و کثیرا ما کان یلتمس الخلیفه لیحسن معامله اخیه و یرضـی عنه. فقد امر فی سـنه ۲۳۷ ه بمصادره ضـیاعه، و حبس ابنه ابا الولید محمدا مع مصادره امواله و اموال اخیه، رغم ان ابن دواد کان طریح الفراش و قد اصیب بالفالج منذ سنه ۲۳۳ ه. و لیس هناک من سبب واضح لسـخطه علیه و علی اولاده. و یسـتبعد ان یکون السبب هو ان ابن ابی دواد من المعتزله و قـد تزعم قضـیه المحنه، لأـن سـخط المتوکل علی اللّه جاء بعـد ابطال المحنه ببضـعه سـنوات. مما یجعلنا نمیل الی انه کان یحسـده لما صار الیه من مکانه مرموقه فی الـدوله، و انه کان موضع ثقه ابیه المعتصم باللّه و اخیه الواثق باللّه و احترامهما، کما انه نال بمواقفه النبیله احترام الناس و تقدیرهم.

و امر المتوکل علی اللّه بمصادره عـدد من الوزراء و کبار الکتاب، و یبـدو ان الـدافع الرئیس لذلک هو رغبته فی احتواء اموالهم لسد نفقاته الواسعه(۱).

و لعل ضخامه اموال رجال الدوله و کتابها و کثره املاکهم و تعدد

۱- الطبری ۹/ ۲۱۶، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۳.

ضیـاعهم وسـعه انفـاقهم، ممـالفت نظر المتوكل علی اللّه بانها جمعت بطرق غیر مشـروعه فاراد عقوبتهم بمصادرتها منهم بحجج مختلفه.

و لم یكن احـد ممن سـلف من خلفاء بنی العباس قد اظهر فی مجلسه العبث و الهزل، و المضاحک، حتی جاء المتوكل علی اللّه فكان اول خلیفه أظهر ذلک، حتی ذاعت هذه الامور فی الناس و جروا فیها(۱). فكان یجمع السماجه- و هم الممثلون الهزلیون- بین یدیه فیحاكون حركات بعض الناس و یمثلونهم فی اصواتهم، و یأتون بحركات مضـحكه عنهم تؤنسـه(۲). فكان السابق الی ذلک و المحدث له فاتبعه فیه اغلب خواصه و اكثر رعیته(۳).

۳- ولایه العهد:

لعل ما حدث اثر وفاه الواثق باللّه من خلاف حول اختیار خلیفه له، لأنه لم یعهد لأحد من بعده، قد دفع المتوكل علی اللّه الی ان ینظم ولایه العهد فی حیاته. فعقد فی سـنه ۲۳۵ ه البیعه لثلاثه من ابنائه هم محمد و سـماه المنتصـر، و ابو عبد اللّه- و یختلف فی اسـمه فیقـال محمـد او الزبیر او طلحه- و لقبه المعتز، و ابراهیم و لقبه المؤیـد. و عقـد لكل منهم لوائین احـدهما اسود و هو لواء ولاـیه العهـد و الآخر ابیض و هو لواء العمل. و ضم الی كل واحـد منهم عـددا من الولایات، فاقطع المنتصـر افریقیه و المغرب و جمیع الثغور و بعض الولایات الشـرقیه. و اقطع المعتز خراسان و طبرسـتان و الری و ارمینیه و اذربیجان. اما المؤید فقد اقطعه جند دمشق و جند فلسطین. كما جعل لكل منهما كاتبا خاصا، فجعل احمد بن

۱- مشاكله الناس لزمانهم/ ۳۲.

۲- الدیارات/ ۳۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۸۶.

الخصیب کاتبا للمنتصر، و احمد بن اسرائیل کاتبا للمعتز، و محمد بن علی المعروف کاتبا للمؤید(۱). و احضر المتوکل علی اللّه القضـاه و وجوه الناس من البلـدان الی سامرا لبیعه ولاه العهـد، و بعث خواصه الی الأمصار لیأخـذوا البیعه لهم، و وزع الجوائز، و اعطی الجند ارزاق عشره اشهر(۲). و کتب بولایه العهد کتابا مفصلا باربع نسخ وقعها الشهود بحضرته و امر ان تحفظ نسخه منها فی خزانته، و عند کل واحد من اولیاء العهد نسخه(۳).

سار المتوکل علی اللّه فی امر ولایه العهـد علی نهـج جـده هارون الرشـید الـذی عهد لأبنائه الأمین و المأمون و المؤتمن بکتاب موثق اودعه فی البیت الحرام سـنه ۱۸۶ ه و جعلهم متعـاقبین فی تولی الخلافه(۴). و لم یتعـظ بما نشب من الخلاف بین الأمین و المأمون و ما ترتب علیه من نتائج خطیره و کیف ان المأمون عهد بالخلافه من بعده لأخیه ابی اسحاق دون القاسم المؤتمن الذی نص علیه عهد الرشـید. کما یلاحظ ان کتاب المتوکل علی اللّه تجاهل بقیه ابنائه، و کان فیهم طلحه الملقب بالموفق الذی اثبتت الحوادث فیما بعد انه اکفأ اولاده و اقدرهم.

۴- مؤامره قتله:

انتهت حیاه المتوکل علی اللّه بعد حکم دام خمسه عشر عاما، و هو اول خلیفه یقتل فی سامرا. و یمکن حصر الأسباب التی ادت

۱- الطبری ۹/ ۱۷۵- ۱۷۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۷، و الکامل ۷/ ۴۹- ۵۰.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۸۶.

۳- نص الکتاب فی الطبری ۹/ ۱۷۶- ۱۸۰.

۴- الطبری ۸/ ۲۷۸، و مروج الذهب ۳/ ۳۶۴، و الکامل ۶/ ۱۷۳.

الی قتله بسببین رئیسین اولهما سوء علاقته بابنه الکبیر و ولی عهده محمد المنتصر، و ثانیهما سیاسته تجاه الاتراک المتغلبین علی شؤون الدوله.

کنا ذکرنا ان المتوکل علی اللّه عقد فی سنه ۲۳۵ ه لثلاثه من بنیه و هم محمد المنتصر و المعتز و المؤید. و رغم انه قدم المنتصر علی اخویه فی ولایه العهد فانه کان اکثر میلا الی المعتز بتأثیر امه قبیحه التی کان المتوکل علی اللّه یفضلها علی نسائه، و عند ما وزع امارات ولایات الدوله و اقالیمها خص المعتز بالمهمه منها. ثم اضاف الیه فی سنه ۲۴۰ ه خزن الاموال فی جمیع الولایات و دور الضرب اسمه علی الدراهم(۱). فکان ذلک من حمله ما آثار حفیظه المنتصر علی ابیه. و اخذ المتوکل علی الله ینتقص من شأن المنتصر و یعبث به و یأمر بصفعه، و قال له مره لقد سمیتک المنتصر فسماک الناس لحمقک المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل.

و جاهر فی احد مجالسه بخلعه من ولایه العهد. و یقال انه عزم علی ان یفتک به، و یقتل وصیفا و بغا(۲).

اما علاقه المتوکل علی اللّه بقاده الاتراک فقد کانت مشوبه بالحذر و عدم الثقه. لأنهم قد صارت الیهم ریاسه معظم المراکز الحیویه فی الدوله(۳). فأن ایتاخ بقی فی عهده محتفظا بمراتبه فی الجیش و اداره الاموال و البرید و الحجابه و شؤون دار

۱- الطبری ۹/ ۱۷۶، و الکامل ۷/ ۵۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۵، و الکامل ۷/ ۹۷ و ۱۰۴.

۳- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳. بدلا من الجیش، و یظهر انه الاصح، لان الطبری سبق ان قال فی ص:

الخلافه(۱). و لـذلک فان ایعاز المتوکل علی اللّه بقتله فی سـنه ۲۳۵ ه و محاوله الفتک بوصـیف و بغا، یدل علی عزمه اضـعاف شأنهم و سـلطانهم. الا ان هذه السیاسه جعلت القواد ینقمون علیه، و اخذوا یستغلون سوء علاقته بابنه المنتصر، و یحرضون الأخیر علی الفتک بابیه و تولی الخلافه مکانه، و سبق لهم ان قرروا قتله عند ما انتقل الی دمشق(۲).

و کان بغا الصـغیر قـد اسـتوحش من المتوکل علی اللّه و مال الی المنتصـر الـذی کان یعمل علی اجتـذاب القواد الاتراک الیه و استمالتهم، فلا یبعد المتوکل علی الله احدا منهم الا و استماله الیه، و کان اوتامش غلام الواثق باللّه یعاونه فی ذلک(۳).

و هکذا کان المتوکل علی اللّه و الموالون له و علی رأسـهم الوزیر عبد الله بن یحی، و الفتح بن خاقان، یسـعون للفتک بالمنتصر و وصـیف و بغـا و غیرهما من قاده الاتراک. کما واعـد المنتصـر القواد الاتراک و علی رأسـهم وصـیف علی قتل الخلیفه. فکان السـبق لتـدبیر الاـتراک. و کـان السـبب المباشـر لقتله انه کـان امر بـانتزاع ضـیاع وصـیف باصـبهان و الجبل و اقطاعها للفتـح بن خاقان(۴). فلما بلغ ذلک وصـیفا ثارت ثائرته و اسـتعجل جماعته فی التخلص من الخلیفه. فهیأ بغا الصـغیر باغر الترکی و آخرین من

۱- الطبری ۹/ ۱۶۷، و الکامل ۷/ ۴۳، و تجـارب الامم ۶/ ۵۴۲ و فیه الحبس ۱۶۶، و کـان من اراد المعتصم و الواثـق قتله، فعند ایتاخ یقتل و بیده یحبس.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۱۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۲۱.

۴- الطبری ۹/ ۲۲۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

الجند الاتراک ممن یثق بهم، فاقتحموا مجلس المتوکل علی اللّه و قتلوه، و قتلوا معه الفتح بن خاقان.

و حمل بغا الصغیر الخبر الی المنتصر الذی ارسل الی وصیف ان الفتح بن خاقان قد قتل ابی فقتلته، و امره ان یذیع ذلک فی اصحابه. و حضر القواد الموالون للمنتصر و اصحابهم و بایعوه بالخلافه. و عند ما حضر الناس من القواد و الکتاب و الوجوه و الجند صباح الیوم التالی الی الجعفریه للبیعه العامه، قرأ علیهم احمد بن الخصیب کتابا یخبر فیه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوکل علی اللّه فقتله به، فبایع الحاضرون(۱).

و یقال ان خبر التآمر علی المتوکل علی اللّه کان قد بلغ مسامع عبید الله بن یحیی فشاور الفتح بن خاقان فی احاطه الخلیفه بما یدبر له، و اتفقا علی کتمان الأمر عنه لما رأیا من سروره فی ذلک الیوم و کرها ان ینغصا علیه سروره، و انهما واثقان بانه لا یستطیع احد ان یتجاسر علی مثل هذا العمل(۲). الا ان مما یضعف هذا القول ان سیر الوقائع یدل علی انهما لم یکونا یعلمان شیئا عن المؤامره، اذ لو علما بها لاتخذا من وسائل الحیطه ما یستلزم لحمایه مجلس الخلیفه و تشدید حراسته و افشال المؤامره.

و یروی ان المتوکل علی اللّه رأی قبیل وفاته حلما تشاءم منه، اذ رأی کان دابه تکلمه، فسأل جلساءه عن تفسیره ففسره له احدهم بشی ء آخر، ثم قال لبعض من حضر: لقد حان رحیله،

۱- الطبری ۹/ ۲۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۶.

لقوله تعالی «و اذا وقع القول علیهم اخرجنا لهم دابه من الأرض تکلمهم»(۱).

و هنـاک شبه اتفاق فی الیوم الـذی قتل فیه و هو لیله الاربعاء لأربع خلون من شوال، و قیل لیله الخمیس(۲). اما مده خلافته فقد کانت اربع عشره سنه و عشره اشهر و بضعه ایام(۳). و یقال انه لم یکن المتوکل علی الله یوما اشد سـرورا منه فی الیوم الذی قتل فیه، فلقد اصبح فی هذا الیوم نشیطا فرحا مسرورا، و قال:

کأنی اجد حرکه الدم، فاحتجم فی ذلک الیوم، و احضـر الندماء و الملهین، فاشـتد سروره و کثر فرحه(۴). و عند دفنه لف هو و الفتح بن خاقان فی بساط و دفنا بدمائهما من غیر تغسیل فی قبر واحد(۵). و کان دفنه فی قصره المعروف بالجعفری(۶).

۱- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۶. و الآیه رقم(۸۲) من سوره النمل.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲، و الکامل ۷/ ۱۰۰.

۳- الطبری ۹/ ۲۳۰، و مروج الذهب ۴/ ۸۵، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲، و الکامل ۷/ ۱۰۰.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۲۱.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۳۲۴.

۶- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲.

الفصل الخامس المنتصر باللّه ابو جعفر محمد بن جعفر المتوکل علی اللّه

۱- مبایعته:

سبق ان ذکرنا ان الخلیفه المتوکل علی اللّه کان قد عقد البیعه بولایه العهد لثلاثه من بنیه، اولهم محمد و سماه المنتصر، و اقطعه اجزاء معینه من المملکه. کما اشرنا الی انه غضب علیه مؤخرا للاسباب التی ذکرناها، بحیث اخذ المتوکل علی الله یجاهر ببغضه لابنه المنتصر، و قد اشهد جماعه الحاضرین فی مجلسه علی خلعه من ولایه العهد(۱). مما دفع المنتصر الی الاتفاق مع عدد من قاده الاتراک الناقمین علی ابیه، علی العمل للفتک به و التخلص منه. و عند ما اتم المتامرون قتل المتوکل علی اللّه خرجوا الی المنتصر باللّه و سلموا علیه بالخلافه. و بادروا الی اخذ البیعه من الحاضرین الآخرین.

۱- الطبری ۹/ ۲۲۵.

و قد تمت بیعه المنتصر باللّه علی دفعتین، الاولی فی لیله الاربعاء- لیله مقتل ابیه- و الثانیه فی صباح الیوم التالی لأربع خلون من شوال و قیل لثلاث خلون منه(۱). و کان قد بایعه لیله الاربعاء القواد و غیرهم من المتآمرین حالما تم القضاء علی المتوکل علی الله، و منهم بغلون و باغر و هارون بن صوارتکین و بغا الشرابی و واجن و عدد من اولاد وصیف، و هم الذین تولوا عملیه اقتحام مجلس الخلیفه و الاجهاز علیه، و کذلک وصیف و اصحابه الذین حضروا بعد نجاح العملیه، کما حضر المعتز و المؤید، و اخبرا بان اباهما شرق بکأس شربه و مات لساعته، فبایعا اخاهما المنتصر(۲). و کانت هذه المبایعه الخاصه للمنتصر.

اما فی بیعه صباح الاربعاء، و هی البیعه العامه، فقد حضر الی الجعفری القواد و الکتاب و الوجوه و الجند و غیرهم. فقرأ علیهم احمد بن الخصیب الذی اتخذه المنتصر وزیرا، کتابا یخبر فیه عن المنتصر باللّه ان الفتح بن خاقان قتل اباه المتوکل علی اللّه فقتله به، فبایع الحاضرون. و کان عبید اللّه بن یحیی بن خاقان وزیر المتوکل علی الله من المبایعین فی هذا الیوم. و لما شاع الخبر غداه الیوم التالی فی اهل سامرا بمقتل المتوکل علی الله، ظهرت بعض الأصوات المعارضه لمبایعه المنتصر بالله. فقد تجمع قسم من الجند و الناس بباب العامه و ازدحموا محتجین و مستنکرین مما اضطر الخلیفه الجدید ان یوعز الی فریق من الجند فتولوا دفع الناس و تفریق جمعهم بعد ان قتل منهم بضعه انفار(۳). و کان

۱- الطبری ۹/ ۲۳۴، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۹.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۷- ۲۲۸ و ۲۳۶، و الکامل ۷/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۳- الطبری ۹/ ۲۳۹، و الکامل ۷/ ۱۰۵.

قد عرض جمع من الجند على الوزير عبيد الله بن يحيى ان يثوروا بالمنتصر باللّه و يقتلوه و اتباعه، فرفض ذلك لأنه رأى ان البيعه قد تمت و لا سيما و ان المعتز قد بايع اخاه(۱).

و بالنظر لهذه الظروف التى احاطت ببيعه المنتصر باللّه فقد اراد مؤيدوه اثبات حقه الشرعى فى الخلافه بموجب عهد مكتوب تمت المبايعه وفق ما جاء فيه. و فيما يلى اهم ما جاء فى كتاب البيعه التى اخذت له(۲):

بسم اللّه الرحمن الرحيم. تبايعون عبد اللّه المنتصر باللّه امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد و رضا و رغبه باخلاص .. على ان محمدا الامام المنتصر باللّه عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و مناصحته و الوفاء بحقه و عقده .. و على السمع له .. و الوقوف عند كل ما يأمر به .. و على انكم اولياء اوليائه و اعداء اعدائه من خاص و عام .. و تتمسكون ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و على ان لا تسعوا فى نقض شى ء مما اكده اللّه عليكم .. و على ان لا تبدلوا و لا يرجع منكم راجع عن نيته .. اذ كان الذين يبايعون منكم امير المؤمنين انما يبايعون اللّه .. عليكم بذلك ربما أكدت هذه البيعه فى اعناقكم ... ان تسمعوا ما اخذ عليكم فى هذه البيعه و لا تبدلوا، و ان تطيعوا و لا تعصوا .. و ان تنمسكوا بما عاهدتم عليه .. لا يقبل اللّه منكم فى هذه البيعه الا الوفاء بها ... فمن نكث منكم .. فكل ما يملك كل واحد ممن خان فى ذلك بشى ء نقض عهده من مال او عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه الى ثلاثين سنه

۱- الطبرى ۹/ ۲۲۹، تجارب الامم ۶/ ۲۵۷.

۲- نص كتاب البيعه فى الطبرى ۹/ ۲۳۷- ۲۳۹.

من ذکر او انثی احرارا لوجه اللّه، و نساؤه فی یوم یلزمه الحنث و من یتزوجه بعدهن الی ثلاثین سنه طوالق البته .. و علیه المشی الی بیت اللّه الحرام ثلاثین حجه، لا یقبل اللّه منه الا الوفاء بها، و هو بری ء من اللّه و رسوله، و اللّه و رسوله بریئان منه .. و الله علیکم بذلک شهید و کفی بالله شهیدا:

و بعد ان تمت البیعه للمنتصر بالله امر باعطاء الجند ارزاق عشره اشهر(۱).

۲- صفاته و سیرته:

اسمه محمد و کنیته ابو جعفر و قیل ابو عبد الله و قیل ابو العباس(۲). و لقبه ابوه المنتصر بالله حینما عقد له البیعه بولایه العهد. و امه ام ولد رومیه اسمها حبشیه، و کانت تحبه کثیرا، و قد حزنت علیه حزنا شدیدا لما مات و طلبت ان یبنی له قبر ظاهر مشهود. و یقال انه اول خلیفه عباسی عرف قبره(۳).

ای انه اول من بنی له قبر مشهود من خلفاء سامرا.

اقام المنتصر بالله بعد تولیه الخلافه بالجعفریه ثم تحول عنها بعد عشره ایام، بعیاله و قواده و جنده الی سامرا(۴). و سنأتی علی تفصیل ذلک فی الفصل الخاص بتأسیس مدینه الجعفریه.

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۳.
۲- تاریخ بغداد ۲/ ۱۱۹، و الکامل ۷/ ۱۱۴، و فیه اسمه احمد، و یرجح ان ذلک خطأ مطبعی.
۳- الطبری ۹/ ۳۵۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱.
۴- الطبری ۹/ ۲۳۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۰، و فیه انه تحول بعد سبعه ایام.

اما وصف المنتصر باللّه فتتفق المصادر على انه كان اسمر حسن الوجه، قصير القامه جسيما، عظيم البطن، ضخم الهامه، أعين اقنى، و على عينه اليمنى اثر اصابه من وقعه فى صغره(۱).

و قد وصف المسعودى اخلاقه وصفا دقيقا شاملا بقوله «و كان المنتصر واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغبا فى الخير، سخيا، اديبا، عفيفا. و كان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق، و كثره الانصاف، و حسن المعاشره، بما لم يسبقه خليفه الى مثله»(۲). و قيل عنه انه كان الى جانب ذلک فاتکا سفاکا للدم(۳). و مع ان المسعودى يتفق بوصفه اخلاق المنتصر باللّه مع من وصفها من المؤرخين الا انه يتهمه بالبخل فيقول «كان ذا شهامه و معرفه و امساک للمال، و حفظ له حتى انكر الناس عليه شده البخل و شده المنع»(۴). و مما يؤيد هذا ما رواه الطبرى عن بنان بن عمرو المغنى و كان من اخص الناس بالمنتصر باللّه، و هو خليفه، ان يهبنى ثوب ديباج، فقال لى: أو خير لک من الثوب الديباج؟ قلت ما هو؟ قال: تتمارض حتى اعودک، فانه سيهدى لک اكثر من الثوب الديباج. الا انه مات فى تلک السنه و لم يصل شى ء الى بنان(۵). لا شک فى ان هذ الخبر ينطوى على شى ء من خله الامساک فى المنتصر باللّه، اذ لم تجد

۱- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴، و تاريخ بغداد ۲/ ۱۱۹- ۱۲۰، و الكامل ۷/ ۱۱۵، و الذهب المسبوک/ ۲۲۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴- ۱۳۵.

۳- الكامل ۷/ ۱۱۶.

۴- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴.

۵- الطبرى ۹/ ۲۵۵.

نفسه بثوب دیباج لاقرب المغنین له، و حاول ان یعوضه بما یهـدیه الیه الآخرون عند مرضه. و قد یکون اراد بهذا ان یظهر اکرامه له بعیادته عند مرضه و ان یجعل الآخرین یکرمونه ایضا، و هذا ما یتفق مع اخلاق المنتصر باللّه و صفاته.

الاـ انه یقابـل هـذا ان المسـعودی نفسه یروی خبرین یـدلان علی کرم المنتصـر بالله فقـد روی عن علی بن یحیی المنجم، و کان ندیما لعدد من الخلفاء، انه احب ان یشتری ضیعه مجاوره لضیعته و لم یزل یبذل جهده لدی مالکها حتی اجابه الی بیعها.

الاـ انه لم یکن یملـک قیمتها حینـذاک، مما اقلقه من ان تفوته فرصه تحقیق امنیته. و عنـد ما حضـر مجلس المنتصـر باللّه لاحظ الخلیفه ما ظهر علی ندیمه من قلق و انشغال بال. فلما علم منه السبب استفسر عن قیمه الضیعه و ما مقدار ما یعوزه لشرائها.

فلما عاد ابن المنجم الی بیته رأی ان الخلیفه کان قد ارسل المبلغ الذی یعینه علی شـراء الضـیعه، و یقول انه لما بکر الی المنتصر باللّه فی الیوم التالی لم یذکر عن الأمر شیئا(۱).

و روی ایضا ان المنتصـر باللّه لما کان امیرا، بعث احـد رجاله و اسـمه سـعید بن محمد الصـغیر الی مصـر فی بعض اموره. فعشـق سعیـد جـاریه التقی بهـا هناک الا انه عجز عن شـرائها. فلما علم المنتصـر باللّه بشـده ولعه بها کتب الی عامل مصـر فی ابتیاعها و حملها الی سامرا، دون ان یعلم سعید بشی ء من ذلک. فلما وصلت الجاریه اهداها الیه(۲). یستدل من هذین الخبرین ان المنتصر باللّه لم یکن بخیلا شدید المنع، بل انه کان مدبرا غیر

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۳۷- ۱۳۸.

۲- نفس المصدر/ ۱۴۱- ۱۴۲.

مسرف، و ان کرمه من النوع الذی لا یرید صاحبه ان یتفاخر به.

و لعل اعطیاته الی المغنین و مادحیه من الشعراء تدل علی جوده و کرمه. و کان من نتیجه تدبیره فی الانفاق انه عند ما توفی کان فی بیت المال الف الف دینار، ففرق المستعین بالله الجمیع فی الجند(۱).

لقد اشتهر عن المنتصر باللّه انه کان عادلا منصفا بحیث مالت الیه قلوب الناس من الخاصه و العامه، مع شده تهیبها منه(۲).

و من اقواله الداله علی سماحته و علو همته، ما رواه وزیره احمد بن الخصیب انه قال حین عفا عن الشاری الثائر: ان لذه العفو اعذب من لذه التشفی، و اقبح افعال المقتدر الانتقام(۳). و من اقواله ایضا: و اللّه ما عز ذو باطل و لو طلع القمر من جبینه، و لا ذل ذو حق و لو صفق العالم علیه(۴). و من مظاهر انصاف المنتصر باللّه انه صالح اخوته و اخواته علی ترکه ابیه من الفرش و الرقیق و الدواب بمبلغ اربعه و عشرین الف الف درهم، و انه اشهد علیهم بذلک(۵).

کان المنتصر بالله قد نقش علی خاتمه عند ما بویع بالخلافه «محمد باللّه ینتصر»(۶). و یظهر مما جاء فی العقد الفرید ان

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۳۲۸، و الذخائر و التحف/ ۲۲۰ و فیه الف الف درهم.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۷، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۷.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۷۷، و البصائر و الذخائر ۲/ ۵۲۷ و جاء فیه کما یلی: لذه العفو احب من لذه التشفی یلحقها الندم.

۴- الکامل ۷/ ۱۱۶، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۰، و فیه: و لو اطبق بدلا من و لو اصفق. و الذهب المسبوک/ ۲۷۷ و فیه: ما ذل ذو حق و ان اطبق الناس علیه و ما عز ذو باطل و لو طلع القمر بین عینیه.

۵- الذخائر و التحف/ ۲۲۰.

۶- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۴.

خاتمین آخرین، نقش علی احدهما «یؤتی الحذر من مأمنه» و علی الآخر «انا من آل محمد، و اللّه ولی محمد»(۱). و قد یکون اتخذ الخاتم الأخیر لیدل علی ولائه لآل البیت و حبه للعلویین و عطفه علیهم. علی ان الخطیب البغدادی یذکر ان نقش خاتمه کان «محمد رسول اللّه» و ان له ختما آخر نقش علیه «المنتصر باللّه»(۲).

۳- ولایه العهد:

بعد ان استتب الامر للمنتصر باللّه اخذ الوزیر احمد بن الخصیب یحذر القواد الذین تآمروا علی اغتیال المتوکل علی اللّه من انتقام ابنائه الآخرین اذا ما تولی احدهم الخلافه، و لا سیما المعتز ولی العهد و المؤید الذی کان یلیه فی ولایه العهد. مما جعلهم یتوجسون خیفه منهما، و یرون ان سلامتهم و امنهم رهینان بابعادهما عن تولی الخلافه. و قد سبق ان ذکرنا ان المتوکل علی الله قد اخذ العهد لاولاده الثلاثه بکتب کتبها و شروط اشتراطها، و خصص لکل منهم جزء من اقالیم الدوله، و جعل محمد المنتصر ولی عهده و بعده المعتز ثم یلیه المؤید. و اخذت البیعه بهذا علی الناس. و لذا عمل ابن الخصیب و القواد الاتراک علی خلع الاخوین من ولایه العهد لیأمنوا انتقامهما لأبیهما، و الحوا علی المنتصر باللّه فی الأمر و زینوا له ان یولی ابنه عبد الوهاب العهد من بعده.

۱- العقد الفرید ۵/ ۱۲۳.

۲- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۰.

و کـان المنتصـر بـاللّه، رغم تظـاهره بحب اخویه و التودد لهمـا، یحقـد علیهمـا لأن اباه کان یحسن معاملتهما و یفضـلهما علیه و بخاصه المعتز، و لـذلک فقـد اسـتجاب للطلب. و امر بالطلب الی اخویه ان یخلعا نفسـیهما من ولایه العهـد. فوافق المؤید و تردد المعتز غاضـبا، الا ان اخاه اسـتطاع ان یقنعه حینما وضعه امام امر لا مفر منه، اذ قال له «هذا الامر قتل اباک فلیته لا یقتلک، اخلعه ویلک، فواللّه لئن کان فی سابق علم اللّه ان تلی لتلین»(۱).

فاجـاب بـالموافقه ایضـا. و کتب کل منهما کتابا یخلع فیه نفسه من ولایه العهـد و یحل الناس منها، بموجب صـیغه املاها علیهما کاتب الخلیفه.

و لمـا دخـل الاـخوان علی اخیهما الخلیفه لیعلماه بموافقتهما علی التنازل عن ولایه العهـد رحب بهما و اظهر لهما انه قام بـذلک حرصـا علی حیاتهمـا و لیس طمعا فی نقل ولایه العهـد الی ابنه، اذ قال «أتریانی خلعتکما طمعا فی ان اعیش حتی یکبر ولـدی و ابـایع له، و اللّه مـا طمعت فی ذلـک سـاعه قـط، و اذا لم یکن فی ذلـک طمع، فواللّه لاـن یلیها بنو ابی احب الی من ان یلیها بنو عمی، و لکن هؤلاـء- و اومـأ الی سـائر الموالی ممن هو قـائم و قاعـد- الحوا علیّ فی خلعکما، فخفت ان لم افعل ان یعترضـکما بعضـهم بحدیـده، فیأتی علیکما. فما تریانی صانعا، أقتله؟ فواللّه ما تفی دماؤهـم کلهم بدم بعضـکم، فکانت اجابتهم الی ما سألوا اسهل علیّ»(۲).

۱- الطبری ۹/ ۲۴۵.

۲- الطبری ۹/ ۲۴۵- ۲۴۶.

و عند ما حضرا للتنازل، کان اعوان المنتصر باللّه قد احضروا الامراء من بنی هاشم، و کبار القواد، و رؤوساء الدواوین، و القضاه، و صاحب الشرطه، و وجوه الحرس و غیرهم، لیشهدوا خلع المعتز و المؤید نفسیهما. و کانت صیغه الکتاب بالتنازل الذی املی علیهما هی(۱) «بسم اللّه الرحمن الرحیم: ان امیر المؤمنین المتوکل علی اللّه رضی اللّه عنه قلدنی هذا الأمر و بایع لی و انا صغیر من غیر ارادتی و محبتی، فلما فهمت اموری علمت أنی لا ـ اقوم بما قلدنی، و لا اصلح لخلافه المسلمین. فمن کانت بیعتی فی عنقه فهو من نقضها فی حلّ، و قد احللتکم منها، و ابرأتکم من ایمانکم، و لا عهد لی فی رقابکم، و انتم براء من ذلک».

و قرأ الرقاع الوزیر احمد بن الخصیب. ثم قام کل واحد منهما و قال للحاضرین: هذه رقعتی، و هذا قولی، فأشهدوا علیّ، و قد ابرأتکم من ایمانکم و حللتکم منها(۲).

و أمر الخلیفه ان یکتب الی خلیفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر یعلمه بتنازل اخویه عن ولایه العهد التی عقدها ابوهما لهما من بعده، و امره ان یکتب بذلک الی جمیع العمال و یوعز الیهم بالعمل بموجبه، و هو کتاب مطول جاء فیه(۳) «اما بعد ..

و قد علمت ما حضرت من رفع ابی عبد اللّه و ابراهیم ابنی امیر المؤمنین المتوکل علی الله الی امیر المؤمنین رقعتین بخطوطهما، یذکران ان فیهما ... انهما قد خلعا انفسهما من ولایه العهد و خرجا منها، و جعلا کل من لهما علیه بیعه و یمین ... فی حل

۱- نفس المصدر/ ۲۴۶.

۲- نفس المصدر/ ۲۴۶- ۲۴۷.

۳- نفس المصدر/ ۲۴۷- ۲۵۰.

وسعه من بیعتهم و ایمانهم، لیخلفوهما کما خلعا انفسهما ..

و یسألان امیر المؤمنین ان یظهر ما فعلاه و ینشره .. و ان امیر المؤمنین وقف علی صدقهما فیما ذکرا و رفعا .. و رأی امیر المؤمنین ان یجمع فی اجابتهما الی نشر ما فعلاه و اظهاره .. و أمر أمیر المؤمنین بانشاء الکتب بذلک الی جمیع العمال لیتقدموا فی العمل بحسب ما فیها، و یخلعوا ابا عبد اللّه و ابراهیم من ولایه العهد .. فاعلم ذلک و اکتب الی عمالک بنسخه کتاب أمیر المؤمنین هذا الیک و اوعز الیهم فی العمل علی حسبه».

و من الواضح ان عهد التنازل و کتاب الخلیفه قد أعدا بصیغه شملت تنازلهما عن ولایه العهد و ما کان ترتب لهما من حقوق و امتیازات بموجبها. و قد صیغا بلغه متینه واضحه لا تخلو من تکرار و تأکید النقاط المهمه، و تتضمن من المواثیق ما یؤمن الغایه منها. کما تضمن الکتاب تأکیدا علی سلطه الخلیفه المطلقه. و بتنازل ابنی المتوکل علی الله عن حقوقهما فی ولایه العهد حقق القواد الاتراک مکسبا جدیدا فی السیطره علی شؤون الخلافه. و کما استطاعوا التخلص من المتوکل علی الله استطاعوا ازاحه من لا یرغبون به من ابنائه عن ولایه العهد. و بذلک ضمنوا سیطرتهم علی تعیین الخلیفه الذی سیعقب المنتصر باللّه عند وفاته.

۴- وفاه المنتصر باللّه:

هناک عده روایات قیلت عن سبب وفاه الخلیفه المنتصر باللّه، یستنتج منها ان وفاته لم تکن طبیعیه. فقد قال بعضهم انه

اصابته الذبحه فی حلقه(۱). و قیل ان علته کانت من ورم فی معدته ثم تصعد الی فؤاده فمات(۲). و قال آخرون انه وجد حراره فدعا ببعض من یتطبب له و امره بفصده، ففصده بمبضع مسموم فکانت فیه منیته(۳). و ذکر انه وجد عله فی رأسه فقطر طبیبه ابن الطیفوری دهنا فی اذنه فورم رأسه، و عوجل فمات(۴). کما ذکر سبب آخر لموته هو ان المنتصر باللّه ضربته الریح، فقد لعب کره الصولجان و انصرف من المیدان و هو عرق فدخل الحمام، و لما خرج منه نام فی البادهنج فضربه الهواء و رکبته حمی عالیه. و لما عاتبه وزیره ابن الخصیب علی ذلک، اجابه بالا یخاف علیه من الموت، لأنه رأی فی منامه امس من اخبره بأنه سیعیش خمسا و عشرین سنه، و ذلک یعنی انه سیبقی فی الخلافه هذه المده(۵). و یبدو انه فسر حلمه کما کان یحلو له و یتمناه.

غیر ان الطبری یذکر هذا الحلم بشکل آخر خلاصته ان المنتصر باللّه رأی فی منامه أنه صعد درجا حتی انتهی الی خمس و عشرین مرقاه منه، فقیل له: قف فهذا آخر عمرک(۶).

علی ان روایه موته بالسم یؤکدها اکثر من ذکروا اسباب وفاته من المؤرخین(۷). و هم یعزون ذلک الی القواد الاتراک

۱- الطبری ۹/ ۲۵۱، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰، و تاریخ الاسلام ۱/ ۱۰۹ و فیه انه مات بالخوانیق.

۲- نفس المصادر.

۳- نفس المصادر.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۳۳. و البادهنج هو المنفذ الذی یدخل منه الهواء الی الغرفه.

۶- الطبری ۹/ ۲۵۳.

۷- الطبری ۹/ ۲۵۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و الکامل ۷/ ۱۱۵.

الذین اخذوا یتوجسون منه. و یظهر ان المنتصر باللّه اخذ یشعر بالندم و تأنیب الضمیر لمساهمته فی مؤامره قتل ابیه. لا سیما و ان الأمر انتشر بین الناس عامتهم و خاصتهم بأنه قاتل ابیه، و ان مده حیاته لا تطول اکثر من سته اشهر بعد ابیه، و هی المده التی عاشها شیرویه الفارسی قاتل ابیه. و هناک قصه تروی عن بساط کان مفروشا فی احد الأروقه فی القصر، و علیه صوره فرس علیه راکب و علی رأسه تاج، و حول الصوره کتابه بالفارسیه، لفتت نظر المنتصر باللّه، فترجمت له. فاذا هی صوره شیرویه قاتل ابیه ابرویز الملک و انه عاش بعده سته اشهر، فلما سمع ذلک تغیر وجهه و قام من مجلسه(۱). و یظهر من روایه المسعودی للخبر ان البساط المذکور کان تحت المتوکل علی اللّه لیله اغتیاله، و علیه آثار من الدماء(۲). و لعل ذلک کان مبعث تشاؤم المنتصر باللّه و تغیر وجهه.

لا شک فی ان الشعور بالذنب او الندم هو ضریبه الجریمه.

و کلما اعتقد المجرم بعظم جرمه و فداحه ما ارتکبه من اثم ازداد هذا الشعور، فیعیش صاحبه فی جو خانق من الخوف و القلق، مما یسبب له آلاما نفسیه مبرحه، و توترا عصبیا مستمرا. و قد کثرت نتیجه لوضع المنتصر باللّه النفسی احلامه التی کانت انعکاسا لشعوره بالأثم و ندمه علی فعلته. و کان لهذا الوضع النفسی السی ء الذی صار الیه المنتصر باللّه رد فعل شدید تمثل بحنقه الزائد علی القواد الاتراک و بخاصه اولئک الذین قتلوا اباه.

۱- تفصیل قصه البساط فی: مروج الذهب ۴/ ۱۳۰- ۱۳۱، و نشوار المحاضره ۵/ ۱۸۳- ۱۸۴ و فیه ان صاحب الصوره هو شیرویه بن کسری هرمز.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۱.

فلما شعر اولئک القواد بتغیر شعور المنتصر باللّه تجاهم اخذوا یتحینون الفرصه للتنکیل به و التخلص منه قبل ان یبیدهم.

فجعلوا لخادم له ثلاثین الف دینار علی ان یحتال فی سمه، و جعلوا لأبن طیفور الطبیب الذی کان یشرف علی شؤون الخلیفه الصحیه، جمله من المال للغرض نفسه(۱). فاتفق الطبیب و الخادم علی ان یدسوا له السم فی کمثراه ناضجه قدمت للمنتصر باللّه، اذ کان یحب الکمثری و یکثر من اکلها اذا قدمت له مع الفاکهه.

فلما اکلها وجد حراره فعالجه ابن طیفور بالحجامه و الفصد، و کانت الاتهما مسمومه فکان فی ذلک موته(۲). و یقال ان ابن طیفور القی المبضع المسموم بین مباضعه الاخری، ثم انه بعد مده وجد حراره فدعا تلمیذا له لیفصده، فنظر فی المباضع فلم یجد أحد من ذلک المبضع و لا اجود، ففصده به فمات(۳).

و یرجح ان فی هذا الخبر مبالغه لأن المبضع المسموم قد نفذ سمه باستخدامه فی المره الاولی، و قد یکون هذا القسم من روایه سم المنتصر باللّه بالفصد، قد اضیف بغرض التأکید علی ان المبضع الذی استخدم فی فصده کان مسموما.

ان تعدد الاسباب التی ذکرت لموت المنتصر باللّه، یبدو و کأنها اشیعت للتغطیه علی سبب موته الحقیقی. و هو ان الطبیب المتوطی ء مع القواد الأتراک قد سمه بالسم المعروف آنذاک و هو الزرنیخ. و کان قد استغل اصابته بالبرد الشدید- و ربما کان

۱- الطبری ۹/ ۲۵۲- ۲۵۳، و فوات الوفیات ۲/ ۳۷۲، و تاریخ الاسلام ۱/ ۱۰۹. و فی المصدرین الاخیرین ان الاتراک جعلوا للطبیب ثلاثین الف دینار.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۳، و الکامل ۷/ ۱۱۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۱۹.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰- ۵۶۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴.

قد اصیب بذات الرئه- و بقاءه فی الفراش قرابه عشره ایام، فاخذ یعطیه جرعات منه یوما مع الدواء الذی کان یسقیه اياه.

و لما قارب جسم المنتصر باللّه ان یستوفی من کمیه الزرنیخ ما یکفی لقتله اظهر الطبیب ان ما وضعه من السم فی الکمثری سیؤدی الی موته.

اما تاریخ وفاته فتکاد تتفق المصادر علی انه توفی یوم الأحد لخمس خلون من ربیع الآخر سنه ۲۴۸ ه(۱). و کانت وفاته بالقصر المحدث بسامرا(۲). و یقال انه لما حضرته الوفاه قال:(۳)

فما فرحت نفسی بدنیا أخذتهاو لکن الی الرب الکریم أصیر

و جاء ذلک فی فوات الوفیات کما یأتی:(۴).

فما متعت نفسی بدنیا احبتهاو لکن الی الرب الکریم اصیر

و ما کان ما قدمته رأی فلتهو لکن بفتیاها اشار مشیر

و هو یشیر بهذا الی ندمه و طلبه المغفره، و الی الفتوی التی حصل علیها من بعض الفقهاء عند ما استفتاهم فی قتل ابیه من غیر

۱- الطبری ۹/ ۲۵۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳ و فیه انه توفی یوم السبت لاربع خلون من ربیع الآخر.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۴.

۳- نفس المصدر/ ۲۵۱.

۴- فوات الوفیات ۲/ ۳۷۳.

ان يسميه، و حكى عنه امورا قبيحه(١). لم تفصح عنها المصادر التى اطلعنا عليها.

و قد اختلف المؤرخون فى مقدار عمر المنتصر باللّه عند وفاته. فان كلا من الطبرى و اليعقوبى و الخطيب البغدادى و مسكويه و المسعودى و ابن الأثير يرون انه توفى و عمره خمس و عشرون سنه و سته اشهر(٢). الا ان الطبرى و الخطيب البغدادى يستدركان و يقولان: بل كان عمره اربعا و عشرين سنه(٣). كما ان المسعودى يذكر فى كتابه التنبيه و الاشراف انه توفى و عمره ثمان و عشرون سنه(۴). و يقول ابن عبد ربه ان عمره كان ستا و عشرون سنه الا ثلاثه اشهر(۵). اما الذهبى فيرى انه توفى و عمره ست و عشرون سنه(۶).

و يعود سبب الاختلاف فى مقدار عمر المنتصر باللّه الى عدم التثبت من تاريخ ميلاده. فان الخطيب يقول ان مولده كان فى ربيع الآخر من سنه ٢٢٢ ه(٧). بينما يرى ابن عبد ربه انه ولد فى ربيع الاول من السنه المذكوره(٨). اما صاحب خلاصه الذهب المسبوك فيقول انه ولد فى سنه ٢٢۴ ه(٩).

١- الطبرى ٩/ ٢۵٢، و تجارب الامم ۶/ ۵۶١.

٢- الطبرى ٩/ ٢۵٣، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ۴٩٣، و تاريخ بغداد ٢/ ١١٩، و تجارب الامم ۶/ ۵۶١، و مروج الذهب ۴/ ١٢٩، و الكامل ٧/ ١١۵.

٣- الطبرى ٩/ ٢۵٣، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢٠.

۴- التنبيه و الاشراف/ ٣١۴.

۵- العقد الفريد ۵/ ١٢٣.

۶- العبر ١/ ۴۵٣.

٧- تاريخ بغداد ٢/ ١١٩.

٨- خلاصه الذهب المسبوك/ ٢٢٧.

٩- العقد الفريد ۵/ ١٢٣.

و رزق المنتصر باللّه من الولد عليا و عبد الوهاب و عبد اللّه و احمد(۱). و كانت مده خلافته سته اشهر(۲). و قد صلى عليه عند دفنه احمد بن محمد بن المعتصم باللّه الذى تولى الخلافه بعده و لقب بالمستعين باللّه. و دفن بسامرا بقبر ظاهر مشهود كما سبق ان اشرنا(۳) و كانت ولادته بسامرا كذلك(۴).

۵- المنتصر باللّه و الاحلام:

مما يلفت النظر فى مده خلافه المنتصر باللّه كثره الأحلام التى رآها هو بنفسه و رواها لحاشيته و المقربين اليه، و التى رآها اشخاص آخرون، و بعضهم مما كانت له علاقه بهم. و كلها تدور حول عمره و مده خلافته. اذ بالاضافه الى الحلم الذى سبق ان ذكرناه، فان المنتصر باللّه انتبه ذات يوم من نومه و هو يبكى و ينتحب. فسأله نديمه و صاحبه عبد اللّه بن البازيار عما يبكيه، فقال: رأيت فى نومى كأن المتوكل على الله قد جاءنى و قال لى و يلك يا محمد قتلتنى و ظلمتنى و غبنتنى فى خلافتى، و الله لا تمتعت بها الا اياما يسيره، ثم مصيرك الى النار. فانتبهت مذعورا لا املك عينى و لا جزعى. فقال له ابن البازيار مخففا عنه: هذه رؤيا و هى تصدق و تكذب، بل يعمرك الله و يسرك، ادع بالنبيذ و خذ فى اللهو و لا تعبأ بها(۵).

۱- العقد الفريد ۵/ ۱۲۳.

۲- الطبرى ۹/ ۲۵۳- ۲۵۴، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۹ و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱.

۳- الطبرى ۹/ ۲۵۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و الكامل ۷/ ۱۱.

۴- الطبرى ۹/ ۲۵۳، و الكامل ۷/ ۱۱۵، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۷.

۵- الطبرى ۹/ ۲۵۲، و الكامل ۷/ ۱۱۵.

و ذکر عن احمد بن صالح صاحب المصلی انه قال: کان لابی مؤذن فرآه بعض اهلنا فی المنام کأنه أذن أذانا لبعض الصلوات، ثم دنا من بیت فیه المنتصر باللّه فنادی یا محمد ان ربک لبالمرصاد(۱). و قال عبد الملک بن سلیمان بن ابی جعفر: رأیت فی منامی المتوکل علی الله و الفتح بن خاقان و قد احاطت بهما نار، و قد جاء المنتصر باللّه فاستأذن علیهما، فمنع من الوصول الیهما، ثم اقبل المتوکل علی الله علیّ فقال لی یا عبد الملک قل لمحمد بالکأس الذی سقیتنا تشرب، فلما اصبحت غدوت علی المنتصر بالله فوجوته محموما، فواظبت علی عیادته فمات من ذلک المرض، و سمعته یقول فی مرضه عجلنا فعوجلنا(۲).

و کان وزیر المنتصر احمد بن الخصیب غضب علی احد عماله و قرر ان یصادره، فعلم ابن ذلک العامل ما ازمع علیه الوزیر، فاراد ان یخبر اباه بذلک لیتخذ الحیطه. فزاره بعض کتاب الدیوان و جلس عنده. یقول ابن العامل: و شغلت عن جلیسی فاتکأ علی الوساده و غفا، ثم انتبه مرعوبا و قال انه رأی رؤیا عجیبه، فقد رأی الوزیر ابن الخصیب واقفا یقول: یموت الخلیفه المنتصر باللّه الی ثلاثه ایام. فقلت له: ان الخلیفه فی المیدان یلعب بالصولجان و هذه الرؤیا ضرب من الأوهام. فما استتما کلامهما حتی دخل علیهما داخل یقول: ان الخلیفه انصرف من المیدان و هو عرق فدخل الحمام و نام فی البادهنج فضربه الهواء، و رکبته حمی هائله(۳).

۱- الطبری ۹/ ۲۵۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴.

۳- نفس المصدر/ ۱۳۳.

و يقال ان احد الكتاب رأى فى المنام فى الليله التى استخلف فيها المنتصر باللّه كأن قائلا يقول(۱):

هذا الامام المنتصرو الملك الحادى عشر

فأمره اذا أمركالسيف ما لاقى بتر

و طرفه اذا نظركالدهر فى خير و شر

لاـ غرابه فى حدوث الأحلام التى أشرنا اليها اذا ما نظرنا اليها على ضوء علم النفس الحديث. فأن الأفكار و الذكريات المؤلمه التى لاـ يقوى الانسان على تحملها، اما لتألمه منها او لنفرته عنها، تتجمع بتأثير قوه نفسيه خفيه فى غياهب لا شعوره، و ذلك ما يدعى بالكبت. و ان بعض الرغبات و الأمانى التى يعلل الفرد بها نفسه و يتمناها فى يقظته، ثم يكبتها لسبب ما، فان الأحلام تتولى غالبا تحقيقها بالتعبير عنها بشكل صريح مكشوف، او بصوره رمزيه مقنعه تحتاج الى التفسير و التأويل. و هناك نوع من الاحلام ينبى ء عن حوادث مقبله. و تقوم مثل هذه الاحلام على توقع الشخص لا شعوريا بحدوث امر معين، فيظهر له فى الحلم ما توقعه.

اما مجتمع سامرا الذى هزته حادثه اشتراك المنتصر باللّه فى مؤامره اغتيال ابيه، و توليه الخلافه بعده، ثم شيوع قصه البساط و صوره الملك قاتل ابيه و موته بعده بسته اشهر، فقد شغلته هذه الأفكار. يقول الطبرى «و لم ازل اسمع الناس حين

۱- نفس المصدر/ ۱۳۷.

افضت اليه الخلافه من لدن ولى الى ان مات يقولون: انما مده حياته سته اشهر، مده شيرويه: بن كسرى قاتل ابيه، مستفيضا ذلك على السن العامه و الخاصه»(۱). بحيث كان الناس يلهجون بذلك فى مجالسهم و هم يتوقعون او يتمنون للمنتصر باللّه ما اصاب شيرويه من قصر عمره و عدم تمتعه بالملك بعد ابيه، فكانوا يترقبون موته قريبا.

و بالنظر لفداحه الجرم الذى ارتكبه المنتصر باللّه بحق ابيه، فان الناس كانوا يعتقدون ان اللّه تعالى له بالمرصاد، و ان مصيره سيكون الى النار. فكانت الاحلام التى رآها بعضهم هى انعكاسات لهذه الخواطر و الافكار و التمنيات التى يحاولون جهدهم ان يكبتوها خوفا من السلطه.

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۲.

الفصل السادس المستعين باللّه ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم باللّه

۱- مبایعته:

بعـد ان ارغم المنتصـر بالله اخویه علی التنازل عن ولایه العهـد حاول القواد الاتراک ان یقنعوه بان یعهد الی ابنه عبد الوهاب. الا انه لم تتـح له الفرصه لیعهـد الی احـد من بعـده اذ ادرکته المنیه بعـد فـتره وجیزه من تنـازل اخویه(۱). و عند وفاه المنتصـر باللّه اجتمع کبار القواد الاتراک: بغا الکبیر و بغا الصـغیر و اوتامش و عـدد من رجال الـدوله و علی رأسـهم احمد بن الخصـیب وزیر الخلیفه المتوفی، فی القصـر الهـارونی لاختیـار خلیفه. فاسـتحلف القواد الحاضـرون من الاـتراک و المغـاربه علی ان یرضوا بمن یرضی به بغا الکبیر و بغا

۱- تنازل المعتز و المؤید لسبع بقین من صفر سنه ۲۴۸، و مات المنتصر لاربع خلون من ربیع الآخر- ای بعد اربعین یوما. الطبری ۹/ ۲۴۶ و ۲۵۱ علی التوالی.

الصغیر و اوتامش(۱). و کان ذلک بتدبیر من الوزیر لتأمین استمرار السلطه بید قتله المتوکل علی اللّه. و قد حرص هؤلاء علی ان لاـ یتولی الخلافه احد ابنائه. فاشار احمد بن الخصیب علی القواد الثلاثه بان یبایعوا ابا العباس احمد بن محمد بن المعتصم باللّه(۲). فلما حضر لیبایعوه، قال: استعین باللّه، فلقب بعد مبایعته بالمستعین بالله(۳). و قد برروا اختیاره بانهم حرصوا علی ان لا تخرج الخلافه من ولد مولاهم المعتصم بالله(۴). و کانت تلک هی البیعه الخاصه للمستعین باللّه.

و لما حضر المستعین باللّه صباح الیوم التالی دار العامه، و قد لبس زی الخلافه لمبایعته البیعه العامه، حضر القواد و کثیر من بنی العباس و الطالبیین و غیرهم. و یظهر ان اختیار ابی العباس لقی معارضه من بعض القواد فحرضوا عددا من الجند و الفرسان فجاءوا الی الدار لیبدوا معارضتهم و تبعهم کثیر من العامه، فشهروا السلاح و نادوا بمبایعه المعتز بالله، فشد علیهم المغاربه و الاشروسنیه الذین بایعوا المستعین بالله، و تمکنوا بواسطه بغا الصغیر و جماعته من الأتراک من القضاء علی هذه الحرکه التی استمرت ثلاثه ایام و وقع فیها قتلی من الطرفین. و کان الموالون للمستعین بالله قد اخذوا له البیعه ممن حضروا الدار فی ذلک الیوم(۵). و یقول

۱- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۶، و تاریخ الیعقوبی ۸/ ۴۹۴ و النبراس/ ۸۶ و جاء فیه ان احمد هو ابن محمد المعتصم بالله، و هو و اهم فی ذلک.

۳- تاریخ بغداد ۵/ ۸۴، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۸.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۵- نفس المصدر/ ۲۵۷.

اليعقوبى «و فرق المستعين فى الناس اموالا كثيره، و استقامت اموره»(۱).

۲- صفاته و سيرته:

ولد المستعين باللّه يوم الثلاثاء السابع من رجب سنه ۲۲۱ ه(۲)، و امه جاريه صقلبيه اسمها مخارق(۳). و كان المستعين باللّه اطلق يدها و لم يمنعها من شى ء تريده، فكانت شديده الاسراف، تحتجز أكثر الاموال التى تحمل الى بيت المال، و قد وجد فى خزائنها عند ما خلع الاتراك ابنها ما قيمته الف الف دينار(۴).

و عاشت بعد قتل ابنها مده.

اما صفات المستعين باللّه الجسميه فقد كان ربعه خفيف العارضين، حسن الوجه، و بوجهه أثر جدرى، يلثغ فى السين نحو التاء(۵).

و يضيف المسعودى انه كان مسمنا اسود اللحيه(۶). اما عن سلوكه و سياسته فقد تفاوتت فيهما اراء المؤرخين، اذ وصفه المسعودى بانه كان شديد الخوف على نفسه فاداه خوفه و قله أمنه الى الهرب من دار ملكه فاديرت الأمور عنه(۷). الا انه قال عنه فى مكان آخر انه كان حسن المعرفه بأيام الناس و اخبارهم لهجا باخبار الماضين(۸).

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۴.

۲- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۸، و تاريخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاريخ بغداد ۵/ ۸۴.

۴- الذخائر و التحف/ ۲۳۸.

۵- تاريخ بغداد ۵/ ۸۵ و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۶، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۸، و تاريخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۶- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۵.

۷- نفس المصدر.

۸- مروج الذهب ۴/ ۱۵۶.

و بینما یصفه ابن الطقطقی بانه کان مستضعفا فی رأیه و عقله و تدبیر،، و کانت ایامه کثیره الفتن، و دولته شدیده الاضطراب، و لم یکن فیه من الخصال المحموده سوی انه کان کریما و هویا(۱)، یقول عنه الاربلی انه کان سدید الرأی حسن التدبیر(۲). و یقول السیوطی انه کان خیرا فاضلا، ادیبا بلیغا، و هو اول من احدث لبس الاکمام الواسعه فجعل عرضها نحو ثلاثه أشبار، و صغر القلانس و کانت قبله طوالا(۳). و یقول عنه الذهبی انه کان مسرفا فی تبدیر الخزائن و الذخائر(۴). و جاء عنه فی فوات الوفیات انه کان خاملا یرتزق بالنسخ، فلما جاءته الخلافه من حیث لا یحتسب قال:

جاء لطف اللّه بالأمر الذی لا ارتجیه فعلی ان اقضی حق الله فیه

و یروی اعداءه البیت الثانی: ان اقضی حق الشرب فیه(۵).

یمکن ان یستنتج مما قاله المؤرخون بشأنه انه کان ضعیفا خائر العزم، مستسلما سهل القیاد. فقد استوزر اول امره احمد بن الخصیب، الا ان انقیاده للقواد الاتراک اضطره الی ان یستوزر القائد الترکی اوتامش، و هو ابن اخت بغا الکبیر. و کان المتولی لامور اوتامش کاتبه شجاع بن القاسم الذی یقول عنه الحصری «انه امی لا یقرأ و لا یکتب و لا یفهم، و انما علم علامات یکتبها فی

۱- الفخری.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

۳- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۶.

۵- فوات الوفیات ۱/ ۱۲۶.

التوقیع»(۱). و یظهر ان اوتـامش کـان جشـعا لاـ یهمه من الوزاره غیر احتواء الاـموال «فعمـد الی مـا فی بیوت الاموال من الاموال فأکتسحها»(۲).

و کان من اول اعمال المسـتعین باللّه بعد ان تمت له الخلافه انه ابتاع فی جمادی الأولی سنه ۲۴۸ ه من المعتز و المؤید جمیع ما کـان لهمـا من الـدور و القصور و الضـیاع و الفرش و الاـمتعه و غیر ذلـک بعشـرین الف دینار، و اشـهد علیهما بـذلک القضاه و الشـهود العـدول، و یقـال ان قیمه مـا ابتاعه من المعتز عشـره الاف الف دینار، و من ابراهیم المؤیـد ثلاثه الاف الف دینار(۳). و کأنه بهذا قد صادرهما بطریقه مشروعه بشرائها بذلک الثمن البخس. ثم حبسهما فی الجوسق و وکل بهما.

و عقد المستعین باللّه فی سنه ۲۴۹ ه لأبنه العباس علی مکه و المدینه المنوره و البصـره و الکوفه، و عزم علی ان یعهد الیه بولایه العهد، و لکنه اخر ذلک لصـغر سـنه. فقال الشاعر ابو علی البصـیر قصـیده یسـتعجله البیعه بولایه العهد لابنه رغم صـغر سنه یقول فیها(۴):

بک اللّه احاط الدین و انتاش اهله من الموقف الدحض الذی مثله یردی

فول ابنک العباس عهدک انه له موضع، و اکتب الی الناس بالعهد

۱- جمع الجواهر/ ۱۷۲- ۱۷۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۶۳.

۳- نفس المصدر/ ۲۵۹.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۵۴.

فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبه الشیخ الموفق للرشد

و قد کان یحیی اوتی العلم قبله صبیا، و عیسی کلم الناس فی المهد

و عنـد مـا اشـتد الخلاـف بین المسـتعین بـاللّه و بعض قواد الاتراک، و انقسم القواد المـذکورون علی انفسـهم انحاز الخلیفه الی وصـیف و بغا و انحدر معهما الی مدینه السلام و لیس له معهما امر و لا نهی(۱). و فی مدینه السـلام اسلم امره الی امیرها محمد بـن عبـد اللّـه الـذی وقـف الی جـانبه فی محـاربه جیش سـامرا، و لکنـه مـا لبـث ان تخلی عنـه و فرض علیـه ان یخلـع نفسـه من الخلافه(۲). و قد شرحنا ذلک فی الفصل الخاص بالحرب بین سامرا و بغداد.

۳- قتله:

لقـد اتینا علی تفصـیلات الخلاف الذی نسب بین المسـتعین باللّه و بعض القواد الاتراک مما اضـطره الی الانحدار الی بغداد، ثم مبـایعه القواد فی سـامرا للمعتز بالله، مما ترتب علیه وجود خلیفتین فی آن واحـد، و قیام الحرب بینهما، و انتهائها بخلع المسـتعین باللّه نفسه من الخلافه و مبایعته للمعتز بالله، و ذلک فی الفصل الخاص بالنزاع بین خلفاء سامرا و الاتراک.

۱- نفس المصدر/ ۱۴۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۴۴.

کـان المسـتعین باللّه نقل اثر تنازله عن الخلافه الی قصـر الحسن بن سـهل بالمحرم(۱)، مع عیـاله و ولـده و جواریه. و وکل بهم سعیـد بن رجـاء الحضـاری فی اصـحابه. و منع من الخروج الی مکه حسـبما کـان قـد اشترط عنـد مـا خلع نفسه. فاختار ان ینزل البصـره فلم یسمح له کذلک. فأحدر الی واسط فاقام هناک بضعه اشهر محبوسا و قد وکل به القائد الترکی احمد بن طولون. الا ان القواد الاتراک الذین کانوا بایعوا المعتز باللّه خافوا ان یسـتمیل المستعین باللّه بعض القواد و الجند فیکید لهم و للمعتز بالله، و قـد افصـحوا عن مخـاوفهم لام المعتز بالله فاضـطربت خوفا علی ابنها، فاتفقت معهم علی وجوب التخلص من الخلیفه المخلوع. و لمـا تقرر قتله کتب المعتز باللّه الی محمـد بن عبـد اللّه یأمره بتسـلیم المسـتعین الی سـیما الخادم، فکتب محمـد الی الموکلین به بواسط بتسـلیمه الی سـیما. فاخرجه احمد بن طولون الی القاطول و سـلمه الی سـعید بن صالح، المعروف بسـعید الحاجب، الذی کلف بقتله، و احتز رأسه. و هناک عـده روایات عن الطرق التی اتبعت فی قتله. اذ یقال انه ادخله منزله و عـذبه حتی مات(۲). و یقال ان سـعید رکب مع المستعین باللّه فی زورق و معه عده حتی حاذی به فم دجیل فشد فی رجله حجرا و القاه فی الماء ۲۸. و ذکر ان سـعیدا کلف به رجلاـ من الاـتراک یقتله، فسـأله المسـتعین باللّه ان یمهله حتی یصـلی رکعتین، و کانت علیه جبه، فسأل سعید الترکی الموکل بقتله ان یأخذها منه قبل قتله،

۱- الطبری ۹/ ۳۴۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳- ۱۶۴ و فیه انه احدر الی دار الحسن بن وهب ببغداد.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۳، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۵، و الکامل ۷/ ۱۷۳، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

ففعل ذلک، فلما سجد فی الرکعه الثانیه قتله و اخذ رأسه(۱).

و ذکر الطبری الی جانب الروایات المذکوره روایات اخری(۲).

و انفرد صاحب خلاصه الذهب المسبوک بالقول بان الذی قتله هو بغا و حمل رأسه الی الخلیفه المعتز بالله(۳).

و جی ء بالرأس الی المعتز بالله، و کان یلعب الشطرنج مع بعض اصحابه، فقیل له: هذا رأس المخلوع، فقال ضعوه هناک. و بعد ان فرغ من لعبه دعا به فنظر الیه ثم امر بدفنه. و امر لقاتله سعید الحاجب بخمسین الف درهم و ولاه معونه البصره(۴). و هناک روایه اخری عن عرض رأس المستعین باللّه علی المعتز باللّه فی مجلس غنائه(۵).

کان المستعین بالله قد قتل فی الثالث من شوال سنه ۲۵۲ ه(۶). و قد اختلف فی عمره، فیقول المسعودی انه خمس و ثلاثون سنه، و یقول الخطیب البغدادی انه اربع و عشرون سنه(۷). و یلاحظ التفاوت الکبیر بینهما. اما السیوطی فیذکر ان عمره کان احدی و ثلاثین سنه، و یقول الابلی انه مات عن ثلاثین سنه(۸). الا انه لما کان الطبری و ابن الأثیر و السیوطی یتفقون علی انه کان فی الثامنه

۱- الطبری ۹/ ۳۶۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۳- ۳۶۴.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

۴- الطبری ۹/ ۳۶۴، و الکامل ۷/ ۱۷۳.

۵- الدیارات/ ۱۷۰.

۶- الطبری ۹/ ۳۶۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۴.

۷- مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۵.

۸- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

و العشرين عند ما بويع بالخلافه(۱)، و ان مده خلافته ثلاث سنوات و تسعه اشهر فان عمره يكون فى حدود احدى و ثلاثين سنه. و هذا يتفق مع سنه مولده فى ۲۲۱ ه التى سبقت الاشاره اليها. و كانت المده بين خلعه و قتله تسعه اشهر كان معتقلا فيها(۲).

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۶، و الكامل ۷/ ۱۱۷، و تاريخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۲- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

الفصل السابع المعتز باللّه ابو عبد اللّه المعتز باللّه بن جعفر المتوكل علی الله

۱- مبایعته:

عنـد مـا عـاد القواد الاـتراک الـذین ذهبوا الی بغـداد لمقـابله المسـتعین بـاللّه و اقناعه بالعوده الی سامرا، و قـد یئسوا من عودته، حرضوا اصحابهم علی خلعه من الخلافه، و اجمعوا علی مبایعه المعتز بن المتوکل علی اللّه بدلا عنه. و کان المستعین باللّه عند ما انحدر الی بغداد قد حبس المعتز و اخاه المؤید فی الجوسق و اوکل بهما رجلا من الاتراک مع عدد من الاعوان(۱). فاخرجوهما و بایعوا المعتز بالله و عینوا المؤیـد ولیا للعهـد من بعـده، و قـد اختلفت المصادر فی تاریـخ مبایعته، الا انها لا تتعدی عن النصـف الأول من المحرم سنه ۲۵۱ ه(۲). فأمر المعتز باللّه للجند برزق عشره اشهر،

۱- الطبری ۹/ ۲۸۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۲۵۱، الاربعاء لاحـدی عشـره لیله خلت من المحرم، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۲: الاربعاء لثلاث عشره خلت من المحرم، و النبراس/ ۸۸: یوم السبت لست خلون من المحرم.

فلم يتوفر المال الكافى لذلك، فاعطوا ارزاق شهرين فقط. و من الجدير بالذكر ان المستعين باللّه كان خلف فى بيت المال بسامرا نحوا من خمسمائه الف دينار، و كان فى بيت مال امه ما قيمته الف الف دينار، و فى بيت مال ابنه العباس ما قيمته ستمائه الف دينار(۱).

و قد اخذت البيعه للمعتز باللّه كتابه، و فيما يلى خلاصتها(۲): «بسم الله الرحمن الرحيم، تبايعون عبد الله الامام المعتز باللّه امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد .. لا مكرهين و لا مجبرين بل مقرين عالمين بما فى هذه البيعه و تأكيدها من تقوى اللّه و ايثار طاعته .. على ان ابا عبد الله المعتز باللّه عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و نصحيته ..

فى السر و العلانيه .. متمسكين ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و بولايه عهد المسلمين لابراهيم المؤيد باللّه اخى امير المؤمنين، و على الا تسعوا فى نقض شى ء مما اكد عليكم .. و على الا تبدلوا و لا تغيروا، و لا يرجع منكم راجع عن بيعته .. فمن نكث منكم مما بايع امير المؤمنين و ولى عهد المسلمين .. فكل ما يملك من مال و عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه اليوم و الى ثلاثين سنه ذكر و انثى، احرار لوجه اللّه، و نساؤه يوم يلزمه فيه الحنث و من يتزوج بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق طلاق الحرج، لا يقبل اللّه منه الا الوفاء بها .. و اللّه عليكم بذلك شهيد».

۱- الطبرى ۹/ ۲۸۴، و الكامل ۷/ ۱۴۳.

۲- نص كتاب البيعه فى الطبرى ۹/ ۲۸۴- ۲۸۶.

و مما یدعو الی الاستغراب ان القواد الاتراک الذین تأمروا علی المتوکل علی اللّه اختاروا المعتز باللہ للخلافه و عینوا اخاه المؤید لولایه العهد، بعد ان کانوا استبعدوا اولاد المتوکل علی اللّه عند ما اختاروا المستعین باللّه بعد وفاه المنتصر باللّه. و قد یکون سبب ذلک انهم شعروا بانهم اقوی من الخلیفه الذی اختاروه و بوسعهم التخلص منه متی ما ارادوا ذلک.

و رکب المعتز باللّه من غد ذلک الیوم الی دار العامه فاخذت له البیعه العامه علی الناس، و خلع علی اخیه المؤید، و عقد له عقدین اسود و ابیض، فکان الأسود لولایه العهد بعده، و الأبیض لولایه الحرمین. و بعثت الکتب بذلک الی سائر الأمصار(۱). و عند ما خلع المستعین باللّه نفسه من الخلافه لثلاث خلون من المحرم سنه ۲۵۲ ه و بایع للمعتز باللّه(۲)، استقرت الخلافه للأخیر فی جمیع ارجاء الدوله العربیه.

۲- صفاته و سیرته:

تقاربت المصادر التاریخیه التی وصفت المعتز باللّه فی انه کان جمیل الوجه لم یر فی الخلفاء مثله جمالا، ابیض مشربا بحمره، اسود الشعر کثیفه، ادعج العینین، و کان حسن الجسم طویل القامه(۳). و یقول عنه المسعودی انه کان یؤثر الملذات و یعدم

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۶۲- ۱۶۳.

۲- الطبری ۹/ ۳۴۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۳- الطبری ۹/ ۳۹۰، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۶، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

الرأی و تدبره امه قبیحه، و قد غلب علی امره، و قهر سلطانه، و کانت الکتب تخرج باسم صالح من وصیف کأنه مرسوم بالوزاره لقلبته علی الأمور(۱). و یری ابن الطقطقی ان المعتز باللّه لم یکن بسیرته و عقله بأس، الا ان الاتراک کانوا قد استولوا، منذ قتل المتوکل علی اللّه، علی المملکه، و استضعفوا الخلفاء، فکان الخلیفه فی یدهم کالاسیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا قتلوه(۲). الا ان ابن دحیه یقول عنه انه کان فیه ادب و کفایه و لکن ذلک لم ینفعه لأدبار امره و لقرب قرناء السوء منه(۳).

و وصف المعتز باللّه بانه کان سمح الأخلاق، واسع الصدر، له ادب و فهم، و کان یقول شعرا صالحا، و هو اول خلیفه احدث الرکوب بعلیه الذهب، و کان الخلفاء قبله یرکبون بالحلیه الخفیفه من الفضه(۴). و قد جعل نقش خاتمه «المعتز باللّه» کما یقول المسعودی، و «محمد رسول اللّه» کما جاء فی خلاصه الذهب المسبوک(۵). و یظهر مما یذکره الخطیب البغدادی انه کان له ختمان، احدهما کما ذکر المسعودی و الآخر کما جاء فی خلاصه الذهب المسبوک(۶).

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۶- ۳۱۷.

۲- الفخری/ ۲۲۰.

۳- النبراس/ ۸۸.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۸۰، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۷، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

۶- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۴.

ولد المعتز باللّه فی یوم الخمیس السادس عشر من ربیع الاول سنه ۲۳۲ ه(۱). و کان مولده بسامرا(۲). و امه قبیحه و هی ام ولد رومیه(۳)، و کانت الزوجه المفضله عند المتوکل علی اللّه. و قد اختلف فی اسمه، فقد ورد فی المعارف و فی مروج الذهب «الزبیر» و جاء فی الکامل و النبراس «الزبیر و یقال طلحه»(۴).

۳- خلع المؤید من ولایه العهد:

نص عهد بیعه المعتز باللّه علی ان تکون ولایه العهد من بعده لأخیه ابراهیم المؤید. و کان ذلک احیاء للعهد الذی وضعه المتوکل علی اللّه. و کانت العلاقه بین الاخوین ودیه، و استمرت کذلک حتی بلغ المعتز باللّه ان عامل ارمینیه العلاء بن احمد بعث الی المؤید بخمسه الاف دینار، فحاذر من اتصال اخیه ببعض القواد و العمال، و العمل ضده. فبعث الی اخویه المؤید و ابی احمد طلحه- و هما شقیقان لأم و اب- فحبسهما فی الجوسق، و قید المؤید و وضعه فی حجره ضیقه(۵). ثم علم ان جماعه من القواد الاتراک یریدون اخراجه من السجن، و رغم عدم تحققه من ذلک، فقد امر بضربه.

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۲، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰ و فیه انه ولد فی سنه ۲۳۳ ه.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۶۶.

۴- المعارف/ ۳۹۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۶، و الکامل ۷/ ۴۹، و النبراس/ ۸۸.

۵- الطبری ۹/ ۳۶۱.

و اخذت منه رقعه بخطه يخلع نفسه من ولايه العهد(۱). ثم ما لبث المؤيد ان مات فی الحبس.

خشى المعتز باللّه ان يتهم بقتل اخيه، فدعا بلقضاه و الفقهاء و الشهود فأخرج اليهم ابراهيم المؤيد ميتا لا أثر به و لا جرح، و حمله الى امه اسحاق على حمار و حمل معه كفن و حنوط، و امر بدفنه.

و يقال سبب موته انه ادرج فی لحاف مسموم و شد طرفاه حتى مات فيه(۲). كما يقال انه اقعد فی حجر من ثلج و نضدت عليه حجره التلج فماد بردا(۳). و يظهر ان موت المؤيد لم يكن طبيعيا، و قد مات باحدى وسائل التعذيب المعروفه آنذاك بعد ان قرر المعتز باللّه التخلص منه.

و قال الشاعر مروان بن ابى الجنوب قصيده فی مدح المعتز و امر المؤيد، جاء فيها(۴):

انت الذى يمسك الدنيا اذا اضطربت يا ممسك الدين و الدنيا اذا اضطربا

ما كنت اول رأس خانه ذنب و الرأس كنت و كان الناكث الذنبا

لو كان تم له ما كان دبره لأصبح الملك و الاسلام قد ذهبا

۱- الطبرى ۹/ ۳۶۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۷۶.

۲- الطبرى ۹/ ۳۶۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۷۶.

۳- الطبرى ۹/ ۳۶۲.

۴- الطبرى ۹/ ۳۶۴- ۳۶۵.

اراد يهلك دنيانا و يعطبهاو قد اراد هلاك الدين و العطبا

لما اراد و ثوبا من سفاهته امسى عليه امام العدل قد وثبا

لقد رماك بسهم لم يصبك به و من رماك عليه سهمه انقلبا

لقد رعيت له ما كان من سبب فما رعى لك احسانا و لا سببا

و كنت اكثر برا من ابيه به و لم تكن بأخ فى البر، كنت أبا

و كان قرب سرير الملك مجلسه فقد تباعد منه بعد ما اقتربا

و ذل بعد تماديه و نخوته كالحوت اصبح عنه الماء قد نضبا

و قد فسخت عن الأعناق بيعته فلا خطيب له يدعوا اذا اختطبا

أمست قطيعه ابراهيم قد قطعت حبل الصفاء و حبل الود فانقضبا

و يستنتج مما جاء فى هذه الأبيات ان المؤيد حاول الوثوب باخيه المعتز باللّه، رغم انه كان برا به، و قد احسن اليه و قربه حتى صار موضع احترام الجميع. الا انه تجاهل ذلك و تنكر له، و اخذ

یعمل ضد اخیه. هذا اذا لم یکن الشاعر قد حابی الخلیفه و قال ما یرضیه.

۴- خلع المعتز باللّه و قتله:

لم یلبث القواد الاتراک ان اختلفوا مع المعتز باللّه، لا سیما عند ما عجز عن تدبیر الاموال لهم و لارزاق جندهم، فقرروا خلعه و التخلص منه. و قد ذکرنا هذا بشیء من التفصیل فی البحث الخاص بالخلفاء و القواد الاتراک. فقبضوا علیه و اجبروه علی ان یخلع نفسه من الخلافه. و کانوا اتفقوا علی ان یبایعوا محمد بن الواثق باللّه الا ان محمدا امتنع عن قبول البیعه له ما لم یخلع المعتز باللّه نفسه امامه، فاحضر المعتز باللّه فتنازل امام محمد و تمت البیعه للخلیفه الجدید الذی لقب بالمهتدی باللّه.

و قد حبس المعتز باللّه، و کان القواد الاتراک قرروا قتله.

فقتل فی محبسه بعد بضعه ایام(۱). و هناک عده روایات عن کیفیه قتله. فیقال انه منع عنه الطعام و الشراب ثلاثه ایام، ثم ادخلوه سردابا و جصصوه علیه فاصبح میتا(۲). و یقال انهم ادخلوه الی الحمام حتی عاین الموت و هو یطلب الماء فیمنع عنه، ثم اعطوه ماء مثلجا فشربه و سقط میتا(۳). و یقال انه ادخل الحمام فاغلق علیه حتی مات(۴). و کانت وفاته فی الثانی من شعبان

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۷۸، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و الکامل ۷/ ۱۹۶، و تاریخ ابن خلدون ۲/ ۵۰۴.

۳- العبر ۲/ ۹.

۴- النبراس/ ۸۸.

سنه ۲۵۵ ه(۱). و لما مات اشهدوا علی موته بنی هاشم و القواد بانه صحیح لا اثر فیه. فدفن مع المنتصر باللّه فی ناحیه قصر الصوامع(۲). ای انه دفن فی قبر ظاهر مشهود کقبر المنتصر باللّه و فی نفس المکان.

و کان مده خلافته من یوم بویع له بسامرا الی ان خلع اربع سنین و سته اشهر و ثلاثه و عشرین یوما ۲۹. اما مدتها منذ ان تمت بیعته ببغداد فکانت ثلاث سنوات و سبعه اشهر(۳). و کان عمره عند وفاته اربعا و عشرین سنه(۴).

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴ و فیه انه توفی لثلاث بقین من رجب.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۵- ۱۲۶، و جاء فیه: و یقال انه دفن بموضع یقال له السمیدع.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۶۶ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴، و النبراس/ ۸۸، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۶، و فیه تنقص المده ثلاثه ایام.

۴- الطبری ۹/ ۳۹۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۶، و الکامل ۷/ ۱۹۶.

الفصل الثامن المهتدی باللّه محمد بن الواثق باللّه

۱- مبایعته:

بعـد ان قرر الاـتراک خلع المعتز بـاللّه اجتمعت کلمتهم علی ان لیس فی اولاـد الخلفـاء افضـل و لاـ اعقـل من محمـد بن الواثق باللّه(۱).

کانوا عنـد ما حبسوا المعتز باللّه بعثوا الی مـدینه السـلام لاحضار محمـد، و کان المعتز باللّه قـد نفاه الیها و اعتقله فیها. و یقال ان سبب نفیه انه کان یکثر التردد علی المعتز باللّه و کان هذا یستمع الی اقواله فی امور کثیره، و فیما یمضیه و یبدیه. و کان کثیرا ما یعـارض قبیحه ام المعتز بـاللّه فیمـا تـأمر و تنهی، فضـاقت به ذرعا و لم تزل بابنها حتی امر باحـداره الی مـدینه السـلام علی کره منه(۲) فلمـا جی ء به الی سـامرا عرض علیه الاـتراک ان یبـایعوه بالخلاـفه فابی حتی خلع المعتز باللّه نفسه امامه و اعترف بعجزه عن القیام بمهام

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۵.

۲- المحاسن و المساوی ء/ ۵۳۹.

الخلافه، ثم بايعه، فتبعه القواد الاتراک و الحاضرون و سمی المهتدی باللّه. و کان ذلک فی یوم الاربعاء للیله بقیت من رجب سنه ۲۵۵ ه(۱).

و عند ما ورد کتاب المهتدی باللّه الی مدینه السلام بالبیعه له هاج من فیها من الجند و خرج معهم العامه و هجموا علی دار سلیمان بن عبد الله صاحب الشرطه، و هتفوا باسم ابی احمد الموفق بن المتوکل علی اللّه الذی کان حینذاک منفیا فی مدینه السلام، و نادوا بالبیعه له. فحدثت بالمدینه فتنه قتل فیها کثیرون، و غرق فی دجله قوم و جرح آخرون. و یقول الطبری «حتی وجه الی اهل بغداد بمال رضوا و وقعت بیعته الخاصه ببغداد للمهتدی یوم الخمیس لسبع لیال خلون من شعبان، و دعی له یوم الجمعه لثمان خلون منه»(۲).

و مدحه الشاعر البحتری مشیدا بورعه و عدله بقصیده منها:(۳)

بارک اللّه للخلیفه فی الملک الذی حازه له المقدار

رتبه من خلافه اللّه قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا الیه، و ما کان به ساعه الیها افتقار

۱- الطبری ۹/ ۳۹۱ و مروج الذهب ۴/ ۱۸۲ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۵ و فیه
۲- الطبری ۹/ ۳۹۳. ان بیعته کانت قبل ذلک بیوم واحد. و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸.
۳- القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۸۵۲- ۸۵۶.

أخذ الاولياء اذ بايعوه بيدى مخبت عليه الوقار

و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار

و ارتنا السجاد سيماطويل الليل فى وجهه لها آثار

ولديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدا و اقتدار

زاد فى بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس، و هى نهار

و اجار الدنيا من الخوف و الحيف،فهل يشكر المجير المجار

۲- صفاته و سيرته:

ولد المهتدى باللّه بالقاطول فى سنه ۲۱۸ ه و قيل ۲۱۹ ه و نشأ بسامرا(۱). و كان عمره عند ما بويع له سبعا و ثلاثين سنه، و قيل تسعا و ثلاثين(۲). و امه ام ولد روميه يقال لها قرب(۳). و قد توفيت قبل ان يبايع له. و كان قد تزوجها المستعين باللّه، و لما قتل صير المعتز باللّه مع الحرم فى قصر الرصافه. و قال المهتدى يوما لجماعه من القواد الاتراك: اما انا ليس لى ام احتاج لها الى غله عشره الاف الف دينار فى كل سنه لجواريها و خدمها و المتصلين بها، و ما اريد لنفسى و ولدى الا القوت(۴). و هو يعرض بهذا بام المستعين بالله

۱- تاريخ بغداد ۳/ ۳۴۸، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۳۱.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۸۲.

۳- الطبرى ۹/ ۳۹۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۸۲، و تاريخ الخلفاء/ ۳۶۱ و يسميها ورده.

۴- الطبرى ۹/ ۳۹۶.

و أم المعتز بالله اللتين عرفتا باحتواء الاموال و الاسراف فی الانفاق و الامعان فی حیاه الترف.

اتفق الطبری و المسعودی علی وصف المهتدی باللّه بانه کان رحب الجبهه اجلح، جهم الوجه، اشهل عظیم البطن، عریض المنکبین، قصیر القامه، طویل اللحیه(۱). و یقول الخطیب البغدادی انه کان اسمر رقیقا، حسن اللحیه، اشیب، حسن العینین(۲).

و قد اختلف المهتدی عن اسلافه من خلفاء بنی العباس فی سلوکه و سیاسته فی الحکم. اذ کان، کما یقول الخطیب البغدادی، من احسن الخلفاء مذهبا و اجلهم طریقه، و اظهرهم و رعا، و اکثرهم عباده(۳). و یضیف السیوطی انه کان عادلا قویا فی امر اللّه، و بطلا شجاعا، و لم یزل صائما منذ ان ولی الخلافه الی ان قتل(۴).

و کان یحاول ان یکون فی بنی العباس مثل عمر بن عبد العزیز فی بنی امیه، و کان یقول انه غار علی بنی هاشم فاخذ نفسه بهذه السیره. و قد وجد له سفط فیه جبه صوف و کساء، و کان یلبس ذلک فی اللیل و یصلی فیه(۵).

امر المهتدی باللّه باخراج القیان و المغنین من حاضره الخلافه سامرا و نفیهم الی بغداد، و امر بقتل السباع التی کانت بدار

۱- نفس المصدر/ ۴۶۹، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸.

۳- نفس المصدر، و الکامل ۷/ ۲۳۳.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۱.

۵- تاریخ بغداد ۳/ ۳۵۰، و الکامل ۷/ ۲۳۴، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

الخلافه و طرد الکلاب(۱). و اطرح الملاهی، و حرم الغناء و الشراب(۲). و امر ان یحد شارب الخمر کائنا من کان. فابغضه الجند و اهل الفساد بسبب ذلک(۳). و مع الموظفین و العمال عن الظلم و التعدی(۴). و ذکر المسعودی اجراءات اخری اتخذها المهتدی بالله تقشفا و ورعا، فقد قلل من اللباس و الفرش و المطعم و المشرب. و امر باخراج آنیه الذهب و الفضه من الخزائن فکسرت و ضربت دنانیر و دراهم، و عمد الی الصور التی کانت فی المجالس فمحیت، و ذبح الکباش التی کان یناطح بها بین یدی الخلفاء، و الدیوک، و قتل السباع المحبوسه، و رفع بسط الدیباج و کل فرش لم ترد الشریعه بإباحته، و کانت الخلفاء قبله تنفق علی موائدها فی کل یوم عشره الاف درهم، فازال ذلک و جعل لمائدته و سائر مؤونته فی کل یوم مائه درهم(۵).

و کان المهتدی باللّه رد المظالم و جلس للعامه یستمع الی شکاواهم و یفصل بینهم(۶). و بنی قبه لها اربعه ابواب سماها قبه المظالم، و کان اذا جلس فیها للنظر فی المظالم امر بان توضع مواقد الفحم فی الاروقه عند اشتداد البرد، و اذ دخل المتظلم أمر بان یدفأ و یجلس لیسکن روعه و یثوب الیه عقله و یتذکر حجته، ثم یدنیه

۱- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الکامل ۷/ ۲۰۳.

۲- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الکامل ۷/ ۲۳۵، و الفخری/ ۲۲۳، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

۳- خلاصه الذهب المسبوک.

۴- الکامل ۷/ ۲۳۴، و الفخری/ ۲۲۳.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۸۹- ۱۹۰.

۶- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الکامل ۷/ ۲۰۳.

و يسمع منه(۱). و كان هو آخر من جلس لرد المظالم من خلفاء بنى العباس(۲). كما كان شديد الاشراف على امور الدواوين و شؤون الخراج، و يحاسب كتاب الدواوين بنفسه(۳).

ان تقليص نفقـات دار الخلافـه عامه، و نفقات الخليفه بصوره خاصه، و تشديـد الرقابه على دواوين الـدوله و امور الجبايه، كانت اهم ما قام به المهتـدى باللّه، فى مـده حكمه القصـيره. و يبدو انه كان يهدف الى اصـلاح النظام المالى الذى كان قائما آنذاك، بتنظيم جبايه الايرادات، و اوجه الانفاق. الا انه لم يستطع ان يحقق من ذلک سوى شى ء يسير لسوء الجهاز الادارى من جهه و لا نشغاله فى الصراع الذى نشب بينه و بين القواد الأتراک، من جهه اخرى.

لقد كان لتزمت المهتدى باللّه رد فعل سـى ء عليه، فقد ثقلت و طأته على الناس عامه و خاصه، فاسـتطالوا خلافته، و سئموا ايامه، و عملوا الحيله عليه حتى قتلوه(۴). و يعزو صاحب خلاصه الذهب المسبوک اتفاق الامراء الاتراک على محاربته و خلعه لما كان نهاهم عن جميع المنكرات، و منعهم عن تعاطى المحرمات(۵). و مع ما فى هذا القول من المغالاه فهو لا يخلو من الحقيقه. و قد قال له احـد القواد الاتراک فى احدى مناقشاته معهم: أتريد ان تحمل الناس على سـيره عظيمه لم يعرفوها؟ قال: اريد ان احملهم على سيره الرسول صلى الله عليه و سلم و اهل بيته و الخلفاء الراشدين، فقال

۱- المحاسن و المساوى ء/ ۵۴۰.

۲- الاحكام السلطانيه/ ۶۴.

۳- تاريخ بغداد ۳/ ۳۵۰.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۸۳.

۵- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۲.

له: ان الرسول صلی الله علیه و سلم کان مع قوم قد زهدوا فی الدنیا و رغبوا فی الآخره، و انت انما رجالک ما بین ترکی و خزری و فرغانی و مغربی، و غیر ذلک من انواع الأعاجم لا یعلمون ما یجب علیهم من أمر آخرتهم، و انما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنیا، فکیف تحملهم علی ما ذکرت(۱)؟ و شبیه بهذا ما یقوله المسعودی من ان المهتدی باللّه «صاحب اقواما لا تجوز عندهم اخلاق الدین و لا یریدون الا امر الدنیا»(۲). و الواقع ان المهتدی بالله لم یجد له ناصرا عند ما اصطدم بمخالفیه من الاتراک.

و یعزو ابن دحیه ما واجه المهتدی بالله من المصاعب الی الرجال الذین تولوا شؤون الدوله علی عهده، فیقول: و لم یوفق فی الوزیر و الحاجب و القاضی، لأن وزیره جعفر بن محمود الاسکافی، و حاجبه صالح بن وصیف، و قاضیه الحسن بن محمد بن ابی الشوارب، یحبون الدنیا و یشرئبون الیها، فکانوا اعانه علی سفک دمه(۳).

۳- خلعه و قتله:

تروی المصادر عده روایات عن اسباب الخلاف الذی نشب بین الخلیفه المهتدی باللّه و بین القواد الأتراک. و مهما اختلفت تلک الروایات فانها تتفق فی ان السبب الرئیس هو الشک القائم بین الخلیفه و کبار القواد مما ادی الی صراع شدید بین الجانبین انتهی

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۸۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸.

۳- النبراس/ ۸۹.

بالقضاء علی خلافه المهتدی باللّه و حیاته. فقد ضاق الخلیفه المتزمت ذرعا بتسلط اولئک القاده علی شؤون الدوله و استئثارهم بمواردها و اموالها، و حاول ان یستغل نقمه الجند علی قوادهم و شکاواهم منهم، و بعض الخلافات القائمه بین القواد انفسهم، و یعمل للقضاء علی بعضهم لأضعاف شوکتهم بصوره عامه. الا ان عمله فی هذا کانت تنقصه الحکمه و التدبیر، و کانت محاولاته مکشوفا. فلما ادرک الاتراک نیه المهتدی باللّه نحوهم و عزمه علی فل جمعهم و اضعاف شأنهم، و حدوا کلمتهم فقضوا علی احد زملائهم هو القائد صالح بن وصیف الذی کان یظاهر الخلیفه، و من ثم هاجموا الخلیفه نفسه. فقصدوا دار الخلافه فی منتصف شهر رجب سنه ۲۵۶ ه، و انضم الیهم الجند الاتراک الذین کانوا اعلنوا ولاءهم للخلیفه، فبقی معه عدد قلیل من مناصریه، فجرح و اضطر الی الهرب من الدار، ثم یلبث ان استسلم لاعدائه، فحبسوه فی الجوسق.

اجتمع القواد الاتراک و طلبوا الیه ان یخلع نفسه من الخلافه فأبی. الا انهم اختاروا احمد بن المتوکل علی اللّه و بایعوه بالخلافه، و لقب بالمعتمد علی اللّه. ثم اخرجوا المهتدی بالله من حبسه میتا و ادعوا بأنه مات متأثرا بجراحه. و یقال انه لما ابی ان یخلع نفسه خلعوا اصابع یدیه و رجلیه من کفیه و قدمیه حتی و رمتا و عذبوه فمات(۱). و یروی المسعودی انهم طعنوه بالخناجر و کان اول من جرحه ابن عم لبایکباک طعنه فی اوداجه و انکب علیه فالتقم الجرح و الدم یفور منه، و اقبل یمص الدم حتی ارتوی منه، و کان هذا

۱- الطبری ۹/ ۴۶۸.

الترکی سکرانا، فلما ترکه کان المهتدی باللّه قد مات(۱). و یؤید ابن دحیه انه قتل بخنجر(۲). و یروی انهم داسوا خصیته فمات(۳). و یظهر من روایه الیعقوبی انه یؤید موته من جراحه اذ یقول «فحملوه علی دوابه و جراحاته تنطف دما، فدعوه الی ان یخلع نفسه فأبی، و مات بعد یومین(۴).

و یظهر ان طائفه من الاتراک ندموا علی قتلهم المهتدی بالله، فداروا به ینوحون و یبکون علیه لما تبین لهم من نسکه و زهده(۵).

کان عمر المهتدی باللّه عند وفاته ثمانیه و ثلاثین عاما حسبما ذکره الطبری، الا ان الخطیب البغدادی و الاربلی یقولان انه مات عن سبعه و ثلاثین عاما و اربعه اشهر و عشره ایام. اما المسعودی فیقول انه کان له من العمر اربعون عاما(۶). و اذ ما کان تاریخ میلاده الذی سبق ان ذکرناه صحیحا فان ما ذکره الخطیب البغدادی و الاربلی هو العمر الصحیح للمهتدی باللّه.

اما مده خلافته فقد بلغت احدی عشر شهرا و سبعه عشر یوما او ثمانیه عشر، کما یقول الیعقوبی و المسعودی و الخطیب.

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۸۶.

۲- النبراس/ ۸۹.

۳- الکامل ۷/ ۲۳۰.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۶.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۸۶.

۶- الطبری ۹/ ۴۶۹، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸، و خلاصه الذهب المسبوک/

البغدادی[(۱)]. غیر ان الطبری یزید علی ذلک بضعه ایام[(۲)].

و نظرا لثبوت تاریخ مبایعته بالخلافه و یوم وفاته، فان المده التی ذکر الیعقوبی و المسعودی و الخطیب اقرب الی الصواب.

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۶، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸، و تاریخ بغداد ۲۳۲، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸. ۳/ ۳۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۴۶۹.

الفصل التاسع المعتمد على اللّه ابو العباس احمد بن المتوكل على اللّه

۱- مبايعته:

لم يستطع القواد الاتراك ان يرغموا الخليفه المهتدى بالله على، ان يخلع نفسه من الخلافه رغم الاساليب القاسيه التى اتبعوها معه، فمات و هو الخليفه الشرعى. الا انهم كانوا قد اخرجوا احمد بن المتوكل على الله من حبسه فى الجوسق و بايعوه، و لقب بالمعتمد على الله. و يظهر انهم بعد ان خاضوا صراعا عنيفا مع المهتدى بالله حتى تخلصوا منه، حرصوا على ان يختاروا للخلافه من يتوسمون فيه ضعف الشخصيه و سهوله الانقياد، ليكون طوع ارادتهم. فاختاروا احمد بن المتوكل على اللّه رغم انهم اخذوا على انفسهم الا يفسحوا المجال لأحد من ولد المتوكل على الله ان يصل الى منصب الخلافه.

و قد بویع المعتمد علی الله فی یوم الثلاثاء لاربع عشر بقیت من رجب سنه ۲۵۶ ه(۱) و کان عمره خمسا و عشرین سنه(۲). و کان قد ولد فی سنه ۲۲۹ ه(۳) و اذا صح تاریخ مولده هذا فان عمره یجب ان یکون قریبا من سبع و عشرین سنه. و کان احمد المعتمد علی اللّه یسمی ابن فتیان نسبه الی امه، و هی ام ولد رومیه اسمها فتیان(۴).

۲- صفاته و سیرته:

تفاوت المؤرخون فی ذکر اوصاف المعتمد علی الله. و یقول المسعودی انه کان حسن الجسم، کبیر العینین، طویلا- جسیما، طویل اللحیه، عظیم الهامه(۵). و یقول الاربلی انه کان اسمر رشیقا خفیف اللحیه(۶). و یضیف الذهبی علی ذلک انه کان مدور الوجه، ملیح العینین، صغیر اللحیه و قد اسرع الیه الشیب(۷).

اما ما ورد عن اخلاقه و سلوکه فان المسعودی یقول انه کان مشغوفا بالطرب، و الغالب علیه المعاقره و محبه انواع اللهو، و انه اهمل امور الرعیه و تشاغل بلهوه و لذاته حتی اشفی الملک علی

۱- الطبری ۹/ ۴۷۴، و المعارف/ ۳۹۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۸.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۸.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۳، و تاریخ الخلفاء ۳۶۳.

۴- المعارف/ ۳۹۱، و الطبری ۹/ ۴۷۴، و تاریخ بغداد ۴/ ۶۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۸ و یقول انها کوفیه.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۲۰.

۶- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۳.

۷- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

الذهاب(۱). و یؤیده فی ذلک مؤرخون آخرون. اذ یقول التنوخی عنه انه مع سماحه اخلاقه و کثره جوده و سخائه کان شدید العربده علی ندمائه اذا سکر، و لا یکاد یسلم له من العربده مجلس الا فی الأقل(۲). و یقول الذهبی انه کان منهمکا علی اللهو و اللذات، یسکر و یعربد(۳). و یقول السیوطی انه انهمک فی اللهو و اللذات و اشتغل عن الرعیه فکرهه الناس و احبوا اخاه طلحه(۴). علی انه من جهه اخری کان حلیما لطیفا، من الرأفه و الرحمه علی غایه(۵). و انه کان من اسمح آل العباس، و کان یمثل بینه و بین المستعین باللّه و یقال: ما ولی اسمح منهما، کما کان جید التدبیر، فهما بالامور، فلما قوض امره و غلب علی رأیه، نقصت حاله عند الناس(۶). و یقال انه کان یحب الاطراء و المدیح، فاذا عمل جمیلا اکثر من ذکره و تبجح به و ان کان صغیرا(۷).

و قد اشرنا فی الفصل الخاص بمجالس الخلفاء الی بعض مظاهر اسرافه، مما جعل اخاه الموفق یمنع عنه المال لحاجه الدوله الی الاموال لتوفیر نفقات الحروب الداخلیه، لا سیما حرب الزنج التی اضطرتها علی الاقتراض من التجار(۸).

۱- مروج الذهب ۴/ ۲۲۰ و التنبیه و الاشراف/ ۲۱۸.

۲- الفرج بعد الشده ۲/ ۲۴۳.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۴.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۳.

۵- تاریخ الخلفاء ۲/ ۱۷۴.

۶- الدیارات/ ۱۰۲.

۷- الفرج بعد الشده ۲/ ۲۴۸.

۸- تاریخ بغداد ۳/ ۲۰۶، و نشوار المحاضره.

۳- استئثار الموفق بالسلطه:

كانت خلافه المعتمد على اللّه عجيبه الوضع، كما يقول ابن الطقطقى، فقد كان هو و اخوه طلحه الملقب بالموفق كالشريكين فى الخلافه، للمعتمد على اللّه الخطبه و السكه و التسميه بامره المؤمنين، و لأخيه طلحه الأمر و النهى و قود الجيش و محاربه الاعداء و مرابطه الثغور و ترتيب الوزاره و الامراء(۱). و يقول المسعودى ان اخاه ابا احمد الموفق قد غلب على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه، و صيره كالمحجور عليه، لا امر له و لا نهى، و ان الموفق قام بذلك احسن قيام رغم ما كان يلقى من اعتراض الاتراك و شغبهم و سوء طاعتهم(۲). و كذلك يقول ابن الأثير ان المعتمد على اللّه كان فى خلافته محكوما عليه، قد تحكم فيه اخوه ابو احمد الموفق و ضيق عليه(۳).

و مما يلفت النظر ان ابا جعفر الطبرى و احمد بن واضح اليعقوبى، و هما من قدامى المؤرخين و قد عاصرا احداث عهد سامرا، لم يشيرا الى تسلط الموفق على شؤون الخلافه فى عهد اخيه المعتمد على اللّه، و لم يذكرا شيئا عن ذلك. و يعتبر المسعودى اقدم من اشار الى تلك العلاقه بين الخليفه و اخيه، من المؤرخين.

ان من يدقق سيره المعتمد على الله و اعماله طيله مده خلافته التى قاربت ربع قرن يستنتج انه كان احد اثنين: اما انه كان يزهد

۱- الفخرى/ ۲۲۶- ۲۲۷.

۲- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۸- ۳۱۹ و مروج الذهب ۴/ ۲۱۱.

۳- الكامل ۷/ ۴۵۵.

السلطه بطبيعته، و يميل الى اللهو و الملذات، و قد أمن جانب اخيه فترك له كل سلطاتها ليمارسها فى تسيير شؤون الدوله، بحيث غدا المعتمد على اللّه محجورا عليه، فلم يستطع مجابهه اخيه، فاضطر الى ان ينفس عن قهره و غلبته بالانصراف الى اللهو و الاغراق فى الملذات. الا ان ممارسه المعتمد على اللّه سلطاته كخليفه بين حين و آخر، كتعيين الوزراء و الولاه و القضاه، و توجيه بعض الامور، و قياده بعض الحملات العسكريه، و الاهتمام بالقضاء على الثورات، و تشييد قصر المعشوق و غيره، يجعلنا نميل الى الرأى الأول.

و الواقع ان المعتمد على الله كان يمارس سلطانه فى تعيين الوزراء و الولاه و القواد منذ توليه الخلافه. فقد استوزر عبيد الله بن يحيى عند ما افضت اليه الخلافه(۱). و لما مات عبيد الله استوزر الحسن بن مجلد(۲). ثم عزله و استوزر سليمان بن وهب(۳).

و قلد القائد التركى اماجور ولايه دمشق و اعمالها فى سنه ۲۵۶ ه(۴). و لما ظهر على بن زيد بالكوفه وجه القائد كيجور الى محاربته(۵). و وجه القائد موسى بن بغا، و هو كبير القواد الاتراک، الى الرى لحرب الحسن بن زيد الطالبى(۶). و سير فى سنه ۲۵۷ ه احمد المولد الى البصره لحرب صاحب الزنج(۷). و عقد

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۷، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹.

۳- الفخری/ ۲۲۸.

۴- الکامل ۷/ ۲۳۸.

۵- نفس المصدر/ ۲۳۹.

۶- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۴۰.

۷- الطبری ۹/ ۴۸۸، و الکامل ۷/ ۲۴۶.

فی سنه ۲۵۸ ه لأخیه الموفق علی عـدد من الولایات و خلع علیه، و علی مفلـح القائد، و سـیرهما الی حرب الزنج(۱). ثم اتبعهما بالقائد موسی بن بغا فی السنه التالیه(۲). و عین فی سنه ۲۶۰ ه اساتکین من کبار قواد الاتراک والیا علی الموصل(۳). و عین فی السنه التالیه محمد بن عمر بن علی الطائی والیا علی اذربیجان(۴). کما انه خرج فی سنه ۲۶۲ ه علی رأس الجیش لحرب یعقوب بن اللیث الصفار لما أصر علی القدوم بجیشه الی سامرا(۵).

یستدل مما ذکرنا ان الموفق لم یبعد اخاه عن ممارسه سلطاته الا بعد عده سـنوات من تولیه الخلافه. و ذلک بعد ان اظهر کفایه عسـکریه و سیاسـیه فی حربه صاحب الزنج، و فی رده ابن الصفار عن العراق، مما اکسبه محبه الناس و احترام القواد. و اذا کانت الحوادث الجسـام، او ما نسـمیه بالازمات، تظهر قابلیات الرجال و تکشف عن معادنهم، فقـد اظهر الموفق فی الحروب التی قادها مهـاره و حزمـا. اضـافه الی مـا کان یتمتع به من خلق هادی ء رصـین، و صـفات انسانیه. اذ کان شدیـد الرعایه لجنـده و بخاصـه الجرحی منهم، و یتفقد ابناء الشـهداء، و کانت رعایته تشـمل جرحی الأعداء ایضـا(۶). و بذلک اسـتطاع ان یفرض احترامه علی القواد و الولاه،

۱- الطبری ۹/ ۴۹۰، و الکامل ۷/ ۲۵۹.

۲- الکامل ۷/ ۲۵۹.

۳- نفس المصدر/ ۲۶۹.

۴- نفس المصدر/ ۲۸۸.

۵- الطبری ۹/ ۵۱۶، و مروج الذهب ۴/ ۲۰۰، و الکامل ۷/ ۲۹۰.

۶- الطبری ۹/ ۶۰۳ و ۶۰۸، و الکامل ۷/ ۳۶۵- ۳۶۶.

و رجال الدوله فی سامرا. مما اتاح له ان یفرض سلطاته علی الخلیفه نفسه بحیث لم یترک له بعد سنه ۲۶۸ ه من الخلافه غیر اسمها، و لم یعد ینفذ له توقیع لا فی قلیل و لا فی کثیر. و غدا الحکم کله للموفق، و الاموال تجبی الیه، مما اضجر المعتمد علی اللّه بحیث انه حاول الهرب و الالتجاء الی احمد بن طولون فی مصر، فاعید الی سامرا مرغما.

و مما یؤید ما ذهبنا الیه ما ذکره ابن دحیه من ان ایام المعتمد علی اللّه کانت مضطربه الاحوال مختله التدبیر، کثیره العزل و التولیه بتدبیر الموالی و غلبتهم علیه(۱). ای ان اضطراب احواله و اختلال ادارته فی اول امره کان بسبب تأثیر القواد الاتراک علیه.

و یستنتج مما اورده الحصری ان امر المعتمد علی الله کان، قبل تمکن الموفق، فی ید القواد الاتراک(۲). و الواقع انه اضطر بعد ما بویع بالخلافه ان یصافح کبیر قوادهم موسی بن بغا، فعند ما کان موسی یخرج من سامرا کان المعتمد علی الله یشیعه(۳). کما انه ولاه قیاده الجیش الذی وجهه لقتال صاحب الزنج فی سنه ۲۵۹ ه و شیعه بنفسه و خلع علیه(۴). و لما عهد بولایه العهد لابنه جعفر ضم الیه موسی بن بغا فآل الیه حکم الولایات التی جعلت لجعفر، نیابه عنه(۵). فقد ادرک المعتمد علی اللّه ان بقاءه رهین برضاء القواد الاتراک، و لا بد من مصانعتهم و تلبیه طلباتهم، کی یضمن

۱- النبراس/ ۸۹.

۲- جمع الجواهر/ ۱۵۸.

۳- الطبری ۹/ ۴۷۴.

۴- نفس المصدر/ ۵۰۴.

۵- الطبری ۹/ ۵۱۴.

ولاءهم و عدم و ثوبهم به. و لما لمس فی اخیه الموفق قوه شخصیته و قدرته علی السیطره حاول ان یضمن بواسطته سلامته و بقاءه علی عرش الخلافه. الا ان طموح الموفق و ضعف شخصیه المعتمد علی اللّه، جعلت الموفق یسیطر علی کل شی ء. و مما زاد فی نفوذ الموفق انغماس المعتمد علی اللّه فی اللهو و الملذات، فغلبه علی امره و تدبیر ملکه و سیاسه سلطانه. فقام بالملک احسن قیام و قمع من قرب من الاعداء و استصلح من نأی منهم(۱). و قد خطب للموفق علی المنابر، و کان یقال بالخطبه: اللهم اصلح الأمیر الناصر لدین اللّه ابا احمد الموفق ولی عهد المسلمین اخا امیر المؤمنین(۲).

و علی هذا نستطیع ان نقول ان تصرفات المعتمد علی اللّه و موقفه من الأحداث یدلان علی انه لم یکن ینقصه الذکاء او الکفایه، الا انه کما یبرر، کان ضعیف الشخصیه خاملا، و فیه میل شدید الی اللهو و التمتع و الابتعاد عن تحمل المسؤولیه. و هذا یفسر لنا التناقض الواضح فی سیرته کخلیفه له السلطه العلیا فی الدوله، فقد وصف بالسخاء و الکرم علی حاشیته و ندمائه، و بحبه مجالس اللهو و الطرب و عدم انقطاعه عنها. الا انه بنفس الوقت یتذمر من انه لا یملک التصرف بامور الدوله او حتی باموره الخاصه.

۴- ولایه العهد:

قرر المعتمد علی اللّه فی خلال النصف الاول من شوال سنه ۲۶۱ ه ان ینظم امر ولایه العهد بالخلافه من بعده بین ابنه جعفر، و اخیه ابی احمد الموفق طلحه. فولی ابنه العهد بعده و سماه

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸، و الدیارات/ ۱۰۱- ۱۰۲.

۲- النبراس/ ۸۹- ۹۰.

المفوض، و ولاه المغرب و افريقيه و عددا آخر من الولايات، و ضم اليه القائد موسى بن بغا. و ولى اخاه العهد بعد جعفر، و ولاه المشرق و ولايات اخرى و ضم اليه القائد مسرور البلخى. و عقد لكل منهما لواءين اسود و ابيض. و اشترط ان حدث به حدث الموت و جعفر لم يكمل للأمر، ان يكون الأمر لأبى احمد ثم لجعفر.

و اخذت البيعه بذلك على الناس(۱). و بعث بنسخه من كتاب العهد مع القاضى الحسن بن محمد بن ابى الشوارب ليعلقه فى الكعبه(۲). و ذلك توثيقا للعهد و ضمانا بعدم الخروج على ما جاء فى الكتاب المذكور.

و لما مات الموفق فى شهر صفر سنه ۲۷۸ ه بايع القواد و الغلمان ابنه ابا العباس احمد بولايه العهد بعد المفوض، و لقب بالمعتضد بالله، فاخرج ابو العباس العطاء للجند، و خطب يوم الجمعه التالى للمعتمد على الله ثم للمفوض ثم لأبى العباس المعتضد(۳). و فى السنه التاليه خلع جعفر و بويع للمعتضد بولايه العهد بعد المعتمد على اللّه. و هناك روايتان عن كيفيه خلع الأول و مبايعه الثانى. الراويه الاولى هى التى يذكرها الطبرى اذ يقول ان جعفر المفوض خلع من ولايه العهد فى اواخر المحرم سنه ۲۷۹ ه و بويع للمعتضد، و انشئت عن المعتضد كتب الى العمال و الولاه بأن أمير المؤمنين قد ولاه العهد و جعل اليه ما كان الموفق يليه من الأمر و النهى و الولايه و العزل، و خطب يوم الجمعه للمعتضد بولايه العهد(۴). و يفهم من هذا ان المعتضد هو الذى

۱- الطبرى ۹/ ۵۱۴، و الكامل ۷/ ۲۷۷- ۲۷۸.

۲- الطبرى ۹/ ۵۱۴.

۳- الطبرى ۱۰/ ۲۲، و الكامل ۷/ ۴۴۴، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۵۵

۴- الطبرى ۱۰/ ۲۸.

خلع جعفر المفوض من ولایه العهـد و الزم المعتمـد علی اللّه بان یعهـد بها الیه.(۱) و هـذا ما یؤیـد ذلک الذهبی ایضا بقوله «ان المعتمـد علی الله نقض ما کان لناصـر دین الله الموفق لولـده احمد، فاسـتبد بالأمر و اسـتخف بعمه و لم یرجع الیه فی شـی ء .. و متی لم تخلع ابنک جعفرا من الخلافه طائعا، خلعته کارها، فخلع المعتمـد ابنه و جعل العهد لابن اخیه احمد المذکور»(۲). ای ان المعتمد علی اللّه فعل ذلک مکرها.

اما الروایه الثانیه، فیذکر ابن الاثیر ان المعتمد علی اللّه جلس فی المحرم سـنه ۲۷۹ ه للقواد و القضاه و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الی اللّه جعفرا من ولایه العهد و جعلها للمعتضد باللّه ابی العباس احمد بن الموفق، و شهدوا علی المفوض أنه تبرأ من العهـد و اسـقط اسـمه من السـکه و الخطبه و الطراز، و خطب للمعتضـد، و کان ذلک یوما مشـهودا، فقال یحیی بن علی یهنی ء المعتضد(۳):

لیهنک عقد انت فیه المقدم حباک به رب بفضلک اعلم

فان کنت قد اصبحت و الی عهدنافانت غدا فینا الامام المعظم

و لا زال من ولاک فینا مبلغامناه، و من عاداک یشجی و یرغم

۱- مروج الذهب ۴/ ۲۲۹.

۲- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

۳- الکامل ۷/ ۴۵۲.

و کان عمود الدین فیه تأودفعاد بهذا العهد و هو مقوم

و اصبح وجه الملک جذلان ضاحکایضی ء لنا منه الذی کان یظلم

فدونک فاشدد عقد ما قد حویته فانک دون الناس فینا المحکم

و یؤید ابو الفداء روایه ابن الأثیر اذ یقول: و فی سنه ۲۷۹ ه خلع المعتمد ابنه جعفر المفوض من ولایه العهد و جعل ابن اخیه الموفق ولی العهد بعده(۱). الا ان السیوطی یأخذ موقفا وسطا بین الروایتین المذکورتین، فیقول: و فی اوائل سنه ۲۷۹ ه ضعف امر المعتمد علی اللّه جدا لتمکن ابی العباس احمد بن الموفق من الامور و طاعه الجیش له، فجلس مجلس عاما و اشهد فیه علی نفسه انه خلع ولده المفوض من ولایه العهد و بایع لأبی العباس و لقبه المعتضد(۲).

۵- وفاه المعتمد علی اللّه:

تکاد تجمع المصادر علی ان المعتمد علی اللّه توفی لیله الاثنین لاحدی عشره بقیت من رجب سنه ۲۷۹ ه(۳). و کان سبب وفاته انه شرب علی الشط فی القصر الحسنی شرابا کثیرا و تعشی فأکثر

۱- المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۵۵.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۷.

۳- الطبری ۱۰/ ۲۹، و مروج الذهب ۴/ ۲۲۹، و الکامل ۷/ ۴۵۵، و الذهب المسبوک/ ۲۳۴، و فیه انه توفی لیله الاثنین الخامس عشر من رجب.

من الأکل، فمات لیلا(۱). و ذکر المسعودی تفصیلات عن موته جاء فیها انه تناول مع اثنین من ندمائه رؤوس حملان، فتهرأ احدهم فی اللیل، و مات الآخر قبل الصباح، اما المعتمد علی اللّه فاصبح میتا. ثم یقول: و ذکر ان سبب وفاته انه سقی نوعا من السم فی الشراب الذی کانوا یشربونه یقال له البیش، یحمل من بلاد الهند و جبال الترک و التبت. و جاء فیه ایضا ان القاضی اسماعیل بن حماد أدخل علی المعتضد و سلم علیه بالخلافه، و حضر معه الشهود العدول، و اشرفوا علی المعتمد علی اللّه، و معهم غلام المعتضد یقول: هل ترون به بأس او اثر، لقد مات فجأه، و قتلته مداومته لشرب النبیذ. فنظروا الیه فاذا لیس به من أثر. و حمل الی سامرا فدفن فیها(۲).

و یشبه هذا ما ذکره الذهبی من ان المعتمد علی اللّه قد سم فی رؤوس جداء اکلها، ثم یستدرک و یقول انه نام فغم فی بساط، و قیل سم فی کأس الشراب(۳).

و اورد ابن دحیه اسبابا اخری قیلت فی موت المعتمد علی اللّه اضافه الی السم. قیل انه رمی فی رصاص مذاب فمات، و قیل انه مات فی حفره من ریش مشی علیها فسقط فیها فمات غما(۴) و روی السیوطی ان المعتمد علی اللّه مات فجاءه، و قیل انه سم، و قیل بل نام فغم فی بساط(۵). و وردت فی کتاب «مختصر کتاب

۱- الطبری ۱۰/ ۲۹، و الکامل ۷/ ۴۵۵، و المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۵۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۲۲۹- ۲۳۰.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

۴- النبراس/ ۹۰.

۵- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۷.

البلدان» اشاره يفهم منها انه قتل، اذ يقول «و كان المعتضد باللّه كتب الى عمرو بن الليث الصفار و امره بمواقعه رافع لما بلغه من ميل رافع الى محمد بن زيد و انكاره قتل المعتمد و جلوس المعتضد»(۱). اى ان رافعا يتهم المعتضد بقتل المعتمد ليجلس مكانه.

و يبدو ان السبب الذى ذكره الطبرى و نقله عنه من جاء بعد من المؤرخين، و هو الشرب الكثير و الأكل الكثير قد اودى بحياه المعتمد على اللّه و نديميه. و هناك احتمال بان الطعام الذى اكلوا منه قد تسرب اليه الفساد فتسمموا به فماتوا. اما ما اورده الآخرون عن قتله بالسم بوضعه فى الطعام او فى الشراب، او قتله بالوسائل التى ذكرت فأمر يشك فى صحته. لأن المعتمد على اللّه كان ضعيفا يسير طوع اراده اخيه الموفق الذى غلب على اموره، و لما توفى حل ابنه احمد مكانه و اصبح وليا للعهد و لم يتغير موقف المعتمد على اللّه منه اذ بقى مستسلما، منصرفا الى حياته التى اعتادها، بحيث كان المعتضد الخليفه الفعلى، فلم يكن و الحاله هذه ما يستدعى التخلص منه و اللجوء الى قتله.

و هناك اختلاف فى عمر المعتمد على اللّه عند وفاته. فقد قيل انه توفى عن ثمان و اربعين سنه(۲). و قيل ان عمره كان خمسين سنه(۳). او خمسين سنه و سته اشهر(۴). و اذا ما اعتبرنا ان

۱- مختصر كتاب البلدان/ ۳۱۲.

۲- مروج للذهب ۴/ ۱۹۸.

۳- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۳۴، و النبراس/ ۹۰، و العبر ۲/ ۶۱.

۴- الكامل ۷/ ۴۵۵، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۵۶، و تاريخ الخلفاء/ ۳۶۷.

مولده كان فى سنه ۲۲۹ ه كما سبق ان اشرنا، فان عمره لا يمكن ان يكون اقل من خمسين سنه.

و يكاد يجمع المؤرخون على ان مده خلافه المعتمد على اللّه كانت ثلاثا و عشرين سنه. الا ان ابن الاثير يضيف على ذلك سته اشهر. بينما يعتبرها الطبرى ثلاثا و عشرين سنه و سته ايام، و تبعه فى ذلك الاربلى. و لما كان تاريخ مبايعه المعتمد على الله و تاريخ وفاته معروفين، فان ما ذكره الطبرى اقرب الى الصواب.

الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فی عهد سامرا

اشاره

۱- وزراء سامرا

۲- الکتاب

۳- القضاء فی عهد سامرا

الفصل الأول وزراء سامرا

اشاره

سنعرض فیما یلی ملخصا بسیره من تولی منصب الوزاره فی خلفاء سامرا، ممن کان لهم دور بارز فی اداره شؤون البلاد، و نتعرف من خلال سیرهم علی علاقاتهم بالخلفاء و اسالیبهم فی الاداره، و ما ترکوه من آثار فی حیاه الدوله العربیه خلال عملهم.

۱- الفضل بن مروان:

عند ما وصل المعتصم باللّه الی بغداد و تمت مبایعته بالخلافه استوزر کاتبه ابا العباس الفضل بن مروان بن ما سرخس، و هو نصرانی الأصل من اهل البردان(۱). علی الرغم من ان اخاه المأمون کان قد اوصاه بالا یتخذ وزیرا لأن تجربته فی استیزار یحیی بن اکثم لم تکن مرضیه له. الا ان منصب الوزیر بما طرأ علیه من ظروف فی عهد خلفاء بنی العباس الذین سبقوا المعتصم باللّه کان قد استقر و ثبت، و اصبح من ارکان الدوله العربیه. و لهذا فقد عهد المعتصم بالله به الی کاتبه الذی کان یعتمد علیه کثیرا.

۱- وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۳.

کـان الفضـل فی اول امره یکتب لیحیی الجرمقـانی کـاتب المعتصم باللّه عنـد ما کان امیرا، فلما مات الجرمقانی حل محله. و قد اعجب المعتصم بالله به و استصـحبه معه الی الشام و مصـر، فاحتوی علی کثیر من الاموال، و لما صـحب ابو اسـحاق اخاه الخلیفه المـأمون فی حملته الاـخیره علی بلاـد الروم، عاد الفضل الی بغـداد. و کان یتولی تـدبیر امور ابی اسـحاق نیابه عنه و یکتب علی لسانه بما یرید.

و عنـد مـا بلغه خبر موت المـأمون و مبـایعه المعتصم بـاللّه بالخلاـفه، و خلاـف بعض القواد علیه و منـاداتهم بخلاـفه العبـاس بن المأمون، قام بدور بارز فی اخذ البیعه للمعتصم باللّه ببغداد، و ضبط الامور فیها. و لما قدم المعتصم بالله عرف له فضله و جهوده، فاستوزره و خلع علیه، و اسلم مقالید الامور الیه. و قد استطاع الفضل ان یحل من قلب الخلیفه المحل الذی لم یصل الیه احد، و تمکن منه و استقل بالأمور. فغلب علی امره حتی لم یبق للمعتصم بالله معه ید(۱). حتی قیـل ان المعتصم باللّه صار خلیفه و صار الفضـل بن مروان صاحب الخلافه و صارت الـدواوین کلها تحت یـدیه(۲). الاـ ان الفضل کان قلیل العلم، ضـحل المعرفه، رغم جوده کتابته.

و یصـفه ابن الطقطقی بأنه کان عامیا لا علم عنـده و لا معرفه، و کان ردی ء السـیره جهولا بالامور(۳). و یقول ابن الاـثیر عنه انه کان شرس الاخلاق، ضیق العطف، کریه اللقاء بخیلا(۴). و لکنه کان، کما یظهر حسن المعرفه بخدمه الخلفاء(۵).

۱- مآثر الانافه ۱/ ۲۲۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۹.

۳- الفخری/ ۲۱۲.

۴- الکامل ۶/ ۴۵۴.

۵- الفهرست/ ۱۹۰، و وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۳، و شذرات الذهب/ ۲/ ۱۲۲

لقد استغل الفضل بن مروان ثقه المعتصم باللّه به و اعتماده علیه. و یروی التنوخی خبرا فیه دلاله علی تسلط الکتاب و استغلالهم نفوذهم فی حیازه الأموال. فعندما ندب الخلیفه المآمون اخاه ابا اسحاق الی مصر لقمع الثوره التی قامت فیها سنه (۲۱۴ ه) استصحب معه کاتبه الفضل بن مروان. و قد اشخص الفضل معه احد کتابه هو ابن عبدون الانباری لیساعده فی عمله. و یقول ابن عبدون انه کسب فی لیله واحده مائه الف دینار. و ذلک ان القتل لما استشری فی اهل مصر تقدم عدد کبیر من رؤساء البلد الی الفضل یسألونه الآمان لهم، فخول کاتبه ان یجیبهم الی ما التمسوا. فکتب هذا فی الامان لمائه رجل منهم. فبعث بعضهم الیه مبالغ من المال بحیث اجتمع له فی تلک اللیله ذلک المبلغ(۱). لا شک فی ان المبلغ الذی احتجزه الکاتب الصغیر لنفسه جزء مما حصل علیه ابن مروان نفسه. و کان من واجب ابی اسحاق، و هو قائد الحمله لاخماد الثوره، ان یصدر عفوا عاما بعد قضائه علی رؤوس الفتنه، فیعید الأمن و الأطمئنان الی نفوس الناس، و لا یترک مجالا لهذا الکاتب و امثاله فی استغلالهم. الا ان استحواذ کاتبه الفضل بن مروان علیه جعله یترک الأمر لتدبیره مما اتاح له فرصه الانتهاب.

و قد بلغ من جشع الفضل انه اخذ یسرق الخلیفه. فکان یخالفه فی بعض ما یأمر به من المنح و الاعطیات. فکان المعتصم باللّه یأمره باعطاء المغنی و الملهی، فلا ینفذ الفضل ذلک(۲). و اخذ یحجب ما کان یحتاج الیه من الاموال فی مهام اموره. فقال ابراهیم الهفتی للمعتصم باللّه، و هو احد جلسائه المقربین الیه: مالک من الخلافه

۱- الفرج بعد الشده ۳/ ۸۶ و کامل القصه ۸۲- ۸۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۹.

الا ـ الا ـ سم، و الله ما يجاوز امرک اذنيک(۱). و كـان المعتصم بـالله امر له بمبلغ من المال فلم يعطه الفضل شـيئا. و ذكر القاضـى احمـد بن ابى دواد انه كثيرا مـا رأى المعتصم بـالله يطلب الى الفضـل ان يحمـل اليه مبلغـا من المـال، فيرد بعـدم توفره، او بعـدم استطاعته توفيره. فنصـح الفضـل الا ـ يرد الخليفه و لا يمتنع عن اجابه طلباته من المال جهـد امكانه، و حتى فى حاله عـدم وجود المال حقيقه، فعليه الا يرد الخليفه باجوبه غليظه، بل يعلله بأن سـيعمل على توفيره له. الا ان الفضل امعن فى نهجه، مما اثقل على المعتصم باللّه(۲).

و اثار غضـبه عليه. ففرض اول الأمر رقابه ماليه عليه، فعين احمـد بن عمار لتدقيق النفقات الخاصه، و عين نصـر بن منصور ليدقق اعماله فى الخراج و فى الاعمال الاخرى. و كان نصـر يتولى آنـذاك ديوان الخاتم و النفقات و الأزقه(۳). و امر الفضل بان يرفع اليه تقريرا عما وصله من الاموال و اوجه انفاقها.

و لمـا فرغ الفضـل بـن مروان فى اعـداد الحسـاب لـم ينـاظره فيه المعتصم بـاللّه، بـل امر بحبسه. ثم نفـاه الى قريه السن فى طريق الموصل. و قيل انه حبسه خمسه اشهر ثم اطلقه و الزمه بيته(۴).

و ذلک بعـد ان صادر امواله و اموال اهل بيته. كما بطش بجماعه من اصـحابه و استصـفى اموالهم، و قد تولى المصادره اسـحاق بن ابراهيم نائب الخليفه ببغداد و صاحب شـرطته(۵). و يقال انه اخـذ من بيته الف الف دينار، و اخـذ اثاثا و فرشا و آنيه قـدرت قيمتها

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۴.

۲- الطبرى ۹۰/ ۲۱.

۳- معجم الادباء ۵/ ۳۱۸- ۳۱۹.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۵- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۲.

بالف الف دينار كـذلك(۱). و يقول مؤلف كتـاب «العيون و الحـدائق فى اخبـار الحقائق» انه اخـذ منه من الاموال ما لا يحصـى حتى ان المعتصم بالله قال: ما كنت اعلم ان فى الـدنيا من له مثل هـذا المال(۲). و هناك من يقول انه اخذ منه عشـره الاف الف دينار(۳).

و قـال المعتصم بـاللّه لمـا قبض على الفضـل بن مروان انه عصـى اللّه فى طاعتى فسلطتى عليه(۴). ان ذلـك دليل على اسـتغلال الفضل و بطشه بالناس. و بلغ من تذمر الناس و شـكواهم منه انه جلس يوما لقضاء اشـغال الناس، فرفعت اليه قصص العامه، فرأى فى جملتها رقعه كتب عليها(۵):

تفرعنت يا فضل بن مروان فقبلك كان الفضل و الفضل و الفضل

ثلاثه املاك مضوا لسبيلهم ابادتهم الأقياد و الحبس و القتل

و انك قد اصبحت فى الناس ظالماستودى كما اودى الثلاثه من قبل

۱- وفيات الاعيان ۳/ ۲۱۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۲- العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۴.

۳- العبر ۱/ ۳۷۹.

۴- وفيات الاعيان ۳/ ۲۱۴.

۵- نفس المصدر/ ۲۱۳، و يريـد بالفضول الثلاثه: الفضل بن يحيى البرمكى، و الفضل بن سـهل، و الفضل بن الربيع. و الفخرى/ ۲۱۲ و قد اقتصـر على البيتين الاولين، و جاء عجز البيت الثانى: ابادهم التقييد و الاسـر و القتل. و يقول ان هذه الابيات للهيثم بن فراس السامى. و معجم الادباء ۲/ ۱۲۶ و عجز البيت الثانى فيه: ابادهم الموت المشتت و القتل.

و روى صاحب الهفوات النادره هذا الخبر على الشكل التالى:

تظلم اعرابى الى الفضل بن مروان من بعض عماله، فصرف وجهه عنه و انتهره، فوقف متحيرا واجما، ثم قال: أ يأستنى من عدلك فاسمع منى واصغ ما بدا لك، ثم انشده الأبيات المذكوره، مع تغيير فى بعض الالفاظ. فتغير وجه الفضل و امتقع لونه و بان غضبه و غيظه، و تصبر، و لم يرد على الاعرابى، و لا امر بانصافه، و لم يكن بين ذلك و بين القبض عليه الا ايام يسيره(۱).

و قال الفضل عن اسباب مصادرته: ما فى الارض اجهل من وزير يطلب الخليفه منه مالا و هو فى ولايته فيعطيه اياه، فانه يطمعه فى نعمته، و انما يدفع النكبه مده ثم تحدث و قد ذهب المال.

فمن ذلك ان المعتصم باللّه لما خرج لغزو الروم، و انا وزيره، استخلفنى على سر من رأى، فلما عاد طمع فى فقال لى: قد وردت و المال نزر و الجيش مستحق فاحتل لى مائه الف دينار من مالك و جاهك، ففعلت. فلما مضى شهر طلب منى على هذا السبيل خمسين الف دينار، ففعلت. فطلب منى فى الدفعه الثالثه بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار، فوعدته بها و دافعته اياما ثم حماتها اليه. فبلغنى انه قال لأبنه هارون: هذا النبطى ابن النبطيه اخذ مالى جمله، و هو ذا يتصدق على تفاريق(۲).

و قد شمت الناس بالفضل بن مروان لما نكب، و قال فيه بعضهم(۳):

۱- الهفوات النادره/ ۲۵۶- ۲۵۷.

۲- نشوار المحاضره ۸/ ۴۸.

۳- الكامل ۶/ ۴۵۴.

لیبک علی الفضل بن مروان نفسه فلیس له باک من الناس یعرف

لقد صحب الدنیا منوعا لخیرهاو فارقها و هو الظلوم المعنف

الی النار فلیذهب و من کان مثله علی أی شی ء فاتنا منه نأسف

و من المأثور عن الفضل بن مروان انه کان یقول: لا تتعرض لعدوک و هو مقبل فأن اقباله یعینه علیک، و لا تتعرض له و هو مدبر فان ادباره یکفیک امره(۱). و قد عفی عنه الخلیفه المعتصم باللّه بعد مده و اطلق سراحه من الحبس. فخدم جماعه من الخلفاء بعده حتی مات فی سنه (۲۵۰ ه) فی ایام المستعین باللّه، و قد جاوز التسعین سنه من عمره. و للفضل کتاب جمع فیه من الاخبار التی علم بها، و المشاهد التی رآها، سماه «دیوان الرسائل»(۲).

و لم یحفظ لنا المؤرخون من اعماله و اخباره الا النزر الیسیر.

منها ان الخلیفه المهدی بن المنصور کان قد امر بأن یجعل یوم الخمیس عطله لموظفی الدیوان یستریحون فیه و ینظرون فی امورهم، و یوم الجمعه للصلاه، ای الی ان ولی الفضل بن مروان الوزاره للمعتصم باللّه فازال ذلک و الزم الموظفین بالدوام یوم الخمیس(۳).

۱- وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۴.

۲- الفهرست/ ۱۹۰.

۳- الوزراء و الکتاب/ ۱۶۶.

و عند ما قبض علی الفضل اشار البحتری الی ذلک ببضعه ابیات وجهها الیه(۱):

لا تعجبن فما للدهر من عجب و لا من اللّه من حصن و لا هرب

یا فضل لا تجز عن مما رمیت به من خاصم الدهر جاثاه علی الرکب

کم من کریم نشا فی بیت مملکهأتاک مکتئبا بالهم و الکرب

اولیته منک اذلالا و منقصهو خاب منک و من ذی العرش لم یخب

ما تشتفی فعله ابکیت ناظرهاحتی تراک علی عود من الغرب

و ظاهر من هـذه الابیات ان الشاعر یبکت الفضل و یلومه علی سوء معاملته الناس، و ان ما اصابه انما کان نتیجه افعاله، فلا داعی لأن یتعجب مما آل الیه مصیره.

و لما قبض المعتصم بالله علی الفضل، قعد للعامه فوجد قصته فیها(۲):

یا فضل لا تجزعن مما بلیت به من خاصم الدهر جاثاه علی الرکب

۱- دیوان البحتری ۱/ ۳۵۸.

۲- محاضرات الادباء ۱/ ۸۶.

خنت الامام و هذا الخلق قاطبهو جرت حتی اتی المقدار فی الکتب

جمعت شتی و قد ادیتها جملالأنت اخسر من حماله الحطب

و کان الشاعر الهجاء دعبل الخزاعی قد نصح الفضل بن مروان و حذره من مغبه اعماله بابیات من الشعر طریفه هی(۱):

نصحت فأخلصت النصیحه للفضل و قلت فسیر المقاله فی الفضل

الا ان فی الفضل بن سهل لعبرهان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

و فی ابن الربیع الفضل للفضل زاجراذا ازدجر الفضل بن مروان بالفضل

و للفضل فی الفضل بن یحی مواعظاذا اتعظ الفضل بن مروان بالفضل

اذا ذکروا یوما و قد صرت رابعاذکرت بقدر السعی منک الی الفضل

فابق جمیلا من حیث تفز به و لا تدع الاحسان و الاخذ بالفضل

۱- دیوان دعبل الخزاعی/ ۱۷۰- ۱۷۱.

فانک قد اصبحت للملک قیماو صرت مکان الفضل و الفضل و الفضل

و لم أر ابیاتا من الشعر قبلهاجمیع قوافیها علی الفضل و الفضل

و لیس لها عیب اذا هی أنشدت سوی ان نصحی الفضل کان من الفضل

فبعث الیه الفضل بدنانیر و قال له: قد قبلت نصحک، فأکفنی خیرک و شرک. و ابیات دعبل علی بسطاتها و طرافتها لا تخلو من الانتقاد و التعریض، الی جانب ما تضمنته من النصح و التحذیر.

قد ادرک الفضل ما قصد الیه الشاعر الهجاء.

و قد اصبحت نکبه الفضل بن مروان مما یضرب به المثل، فقد قال احد الشعراء(۱):

یکفیک من غیر الایام ما صنعت حوادث الدهر بالفضل بن مروان

۲- محمد بن عبد الملک الزیات::

لما غضب الخلیفه المعتصم بالله علی کاتبه و وزیره الفضل بن مروان و أمر بمصادرته و حبسه، استوزر احمد بن عمار البصری.

و کان ابن عمار هذا رجلا موسرا من اهل المزار- و هی قصبه میسان بین البصره و واسط(۲)- و کان طحانا، فانتقل الی البصره

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۲.

۲- معجم البلدان ۵/ ۸۸.

و اشترى بها املاكا فكثر ماله، ثم انتقل الى بغداد فاتسع حاله.

و قالوا انه كان يخرج من الصدقه فى كل يوم مائه دينار(۱).

و عند ما كان الفضل بن مروان فى خدمه المعتصم بالله كان يصف له بن عمار بالامانه، فلما طرد الفضل استوزر الخليفه ابن عمار لأمانته(۲). و قيل ان لم يكن وزيرا بل كان كاتبا خاصا للمعتصم بالله عند ما غضب على الفضل بن مروان صير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات(۳).

و يظهر ان المعتصم بالله استخدم احمد بن عمار لما عرفه من امانته وسعه حاله لكى يأمن استغلاله منصبه فى ارهاق الناس و احتواء الاموال، كما فعل ابن مروان. الا ان احمد بن عمار كان جاهلا باعمال الوزاره و مهامها. و فيه قال بعض شعراء عصره(۴):

سبحان ربى الخالق البارى صرت وزيرا يا ابن عمار

و كنت طحانا على بغلهبغير دكان و لا دار

كفرت بالمقدار ان لم تكن قد جزت فى ذا كل مقدار

۱- الفخرى/ ۲۱۳.

۲- نفس المصدر. (۳۲) التنبيه و الاشراف/ ۳۰۸.

۳- الطبرى ۹/ ۲۰ و ۲۲، و العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۴، و تاريخ ابن

۴- الفخرى/ ۲۱۳. خلدون ۳/ ۵۴۸ و العبر ۱/ ۳۷۹.

و قد لبث فی الوزاره مده یسیره ثم اعفی منها.

فأستأذن الخلیفه بان یسمح له بالخروج الی الحج و المجاوره، فأذن له المعتصم بالله و وصله بعشره الاف دینار. و دفع الیه عشرین الف دینار لیصرفها فی اهل الحرمین من الهاشمیین و القرشیین و الأنصار. فقال: و اذا تقدم غیرهم ممن یستحق فماذا اعطیهم؟

فاعطاه خمسه الاف اخری. و حج ابن عمار و فرق المال کله مع العشره الاف التی کانت له، و جاور سنه ثم انصرف. فکان الناس هناک یضربون المثل بذلک العام، و یقولون ما رأینا مثل عام ابن عمار(۱).

اشرنا آنفا الی ان المعتصم بالله اعجب بسعه اطلاع محمد بن عبد الملک الزیات و وفره معلوماته فاتخذه وزیرا بدلا من ابن عمار.

الا ان روایه صاحب الهفوات النادره، ان صحت، تدحض ذلک و ترجح احتمال ان ابن عمار هو الذی رشح صاحبه و صدیقه ابن الزیات للخلیفه لیولیه الوزاره، لما یعرفه عنه من غزاره العلم، و الأمانه. و کان جد محمد بن عبد الملک الزیات ابان بن حمزه قرویا من اهل جیل و هی قریه من اعمال بغداد تحت المدائن(۲).

و کان یجلب الزیت الی بغداد، فنسب الیه و لقب بالزیات. و یظهر ان اباه عند ما انتقل الی بغداد عمل فی التجاره فصار من اغنیاء التجار، بحیث ان ابراهیم بن المهدی عند ما بایعه اهل بغداد بالخلافه و احتاج الی المال اقترض من عدد من التجار، کان عبد الملک الزیات احدهم.

۱- ثمار القلوب/ ۲۰۴.

۲- معجم البلدان ۲/ ۲۰۲. و یقول ابو الفرج ان اسم القریه جبل و هی مقابله لقریه دسکره غربی بغداد. الاغانی ۲۳/ ۴۶.

نشأ محمد ببغداد و انصرف الى طلب العلم و المعرفه فاصبح اديبا اريبا، عالما، فى النحو، بليغا فى اللغه. حتى ان ابا عثمان المازنى لما قدم بغداد فى ايام المعتصم بالله، كان اذا اختلف جلساؤه فيما يقع فيه الشک من علم النحو، يقول لهم عليکم بمحمد فاعرفوا جوابه. و کانت اجوبه محمد مصيبه دائما يرتضيها ابو عثمان(۱). و قد وصفه ابن الطقطقى بحده الذکاء و انه «برع فى کل شى ء حتى صار نادره وقته عقلاـ و فهما و ذکاء و کتابه و شعرا و خبره بأداب الرياسه و قواعد الملوک»(۲). و قال عنه الخطيب البغدادى انه کان اديبا فاضلا عالما بالنحو و اللغه(۳). و قال عنه ابن خلکان مثل ذلک و اضاف انه کان من اهل الأدب الظاهر و الفضل الباهر(۴). و يروى انه لما تولى الوزاره اشترط الا يلبس القباء، و ان يلبس الدراعه و يتقلد عليها سيفا بحمائل، فأجيب الى طلبه(۵).

لقد نهض ابن الزيات باعباء الوزاره على احسن وجه بحيث حاز ثقه الخليفه و رضاه. و يقول ابن الطقطقى انه نهض بالوزاره نهوضا لم يکن لمن تقدمه من اضرابه، الاـ انه يقول ايضا انه کان جبارا متکبرا، فظا غليظ القلب، خشن الجانب، مبغضا الى الخلق(۶). لقد کان ابن الزيات فى الواقع وزيرا حازما و اداريا

۱- تاريخ بغداد ۲/ ۳۴۲، و وفيات الاعيان ۴/ ۱۸۲.

۲- الفخرى/ ۲۱۳.

۳- تاريخ بغداد ۲/ ۳۴۲.

۴- وفيات الاعيان ۴/ ۱۸۲.

۵- الاغانى ۲۳/ ۵۲.

۶- الفخرى/ ۲۱۳.

قـدیرا. عرف بالشـده و الصـرامه. و قـد انـاط به المعتصم بـالله مسؤولیه جمیع مـا بنـاه فی سـر من رأی فی کلا جانبیها الشـرقی و الغربی(۱). و بلغ من قوه نفوذه انه کـان یعقـد للولاـه، فقـد عقـد لاسـحاق بن ابی خمیصـته علی الیمـامه و البحرین و طریق مکه ممایلی البصـره، فی دار الخلافه. و لم یـذکر ان احدا من الوزراء قام بذلک غیره(۲). و قد وصـفه کاتبه احمد ابن اسرائیل بقوله: کـان ابن الزیـات قلیـل الخیر، لا یرعی ذماما و لا یوجب حرمه، و لا یحب ان یصـطنع احـدا(۳). و روی ابو الفرج بعض الاخبـار الـداله علی لؤم ابن الزیات و حقده و حسده. فقد مر ذات یوم بدار ابراهیم بن فرأی فیه قبه مشـیده، فساءه ان یری مظاهر الجاه و الثراء علیه، فقال:

اما القباب فقد اراها شیدت و عسی امور بعد ذاک تکون

عبد عرت منه خلائق جهله اذ راح من الثراء و هو سمین

فما کانت الا ایام حتی اوقع بابن رباح و نکبه(۴). و من مظاهر لؤمه ایضا انه کان له جار، فلما بلغ ابن الزیات ما بلغ، شـخص الیه ذلک الجار یطلب اقاله عثرته. فقال: قد علمت حالک، فانصرف وعد الی فی غد. فولی الرجل، فلما صار غیر بعید منه

۱- الطبری ۹/ ۲۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۰.

۳- الفرج بعد الشده ۳/ ۲۷۵.

۴- الاغانی ۲۳/ ۷۲.

دعـا به و قـال له: و اللّه مالك عنـدی شـی ء. ثم اقبل علی بعض من كان بين يـديه فقال: انما رددته و آيسـته بخلا عليه بفسـحه الأمل بقيه يومه(۱). و ذلک منتهی اللؤم و البخل علی الآخرين و بخاصه ذوی الحاجه منهم.

ی انه مع رغم قسوه ابن الزيات و حقـده و صـرامته، فقد كان لا يخلو من العدل و الانصاف فی معامله الآخرين احيانا. فقد جلس يوما للمظالم فتقـدم اليه رجل ادعی بأنه مظلوم و ان الوزير نفسه قـد ظلمه. فسأله عن امره، فأوضح له ان وكيله قد اغتصب ضـيعه له، و هو لا يزال يدفع خراجها لئلا يفقد ملكيتها، بحيث اصبح(۲) وكيل الوزير يأخذ غلتها، و يؤدی صاحبها خراجها، و ان ما لم يسـمع فی الظلم مثله. فسـأله لما تأخر فی شـكواه، فأجاب بأن خوفه من سـطوته و قوه حجته منعه من التقـدم بالشـكوی. فقال ابن الزيات:

ان ذلـک يحتـاج الی بينه و شـهود و اشـياء. قـال الرجـل: أيؤمننی الوزير من غضـبه حتی اجيب؟ قـال: قـد امنتک. قال: البينه هم الشـهود و اذا شـهدوا فليس يحتاج معهم الی شـی ء، و ما قولک و اشياء الا للتعجيز. فضحک محمد(۳) قال: صـدقت. ثم وقع له برد ضيعته، و ان يطلق له كر حنطه و كر شعير و مائه دينار يستعين بها علی عماره ضيعته، و صيره من اصحابه(۴).

نسـتدل من هـذا الخبر علی عنت الحكـام و سوء تصـرف وكلاـئهم فی اغتصـاب اموال الآـخرين، او التمتع بغلاتهـا و خيراتهـا، و حرمان

۱- جمع الجواهر فی الملح و النوادر/ ۳۰۰.

۲- الاغانی ۲۳/ ۴۷- ۴۸، و الهفوات النادره/ ۳۸۹- ۳۹۰.

۳- العقد الفريد ۳/ ۲۱۳.

۴- عيون الانباء/ ۲۸۴.

اصحابها الشرعيين من ذلک. و اذا ما انصف ابن الزيات احد هؤلاء المغتصبه اموالهم لأنه تجرأ فاشتکی منه اليه، فان هناک عديد من امثاله ممن لا تصل شکواهم الی مسؤول.

يقول ابن عبد ربه ان محمد بن عبد الملک کان يأنس باهل البلاده و يستوحش من اهل الذکاء. فسئل عن ذلک، فقال: مؤونه التحفظ شديده(۱). و هذا يلقی ضوءا علی جانب من شخصيته، هو رغبته فی التميز علی الآخرين، و ذلک لا يتاح له الا اذا کانوا دونه کفايه و ذکاء. کما ان ذلک يعفيه من التحفظ فی اقواله و افعاله امامهم لأنهم لا يملکون قدره الاعتراض عليه او مناقشته، و انهم لا ينتبهون الی ما يهدف اليه من بعض اعماله و تصرفاته.

کان ابن الزيات مولعا بالآداب و العلوم الی جانب کفايته الاداريه و السياسيه. و قد شجع نقل الکتب اليونانيه الی العربيه و قد انفق علی ذلک مبالغ کبيره. يقول ابن ابی اصيبعه ان عطاءه للنقله و النساخ يقارب الفی دينار فی کل شهر، و ان بعض الکتب نقلت باسمه، و قام بذلک کبار الأطباء و المترجمين مثل يوحنا بن ماسويه و سلمويه بن بنان و اسرائيل بن زکريا الطيفوری(۲).

و ذکر صاحب الفهرست ان حنين بن اسحاق نقل لمحمد بن عبد الملک الزيات الی العربی کتاب الصوت و هو اربع مقالات(۳). و يمکن ان نستنتج مما کان ينفقه علی المترجمين و ما کان يهديه اليه بعض المؤلفين انه کانت له بسامرا خزانه کتب کبيره تضم مجلدات من الکتب الموضوعه و المترجمه فی مختلف الفنون و العلوم.

۱- الفهرست/ ۴۱۸.

۲- معجم الادباء ۶/ ۷۵.

۳- نفس المصدر/ ۸۵- ۸۶.

کما کان ابن الزیات یرعی الادباء و الشعراء. و کان عمرو بن بحر الجاحظ کبیر ادباء عصره ملازما له مختصا به. و قد انحرف بسببه عن قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، للخصومه التی کانت بین ابن الزیات و ابن ابی دواد. و قد اهدی الجاحظ کتابه «الحیوان» الی ابن الزیات فمنحه خمسه الاف دینار(۱). و قال الجاحظ: اردت الخروج الی محمد بن عبد الملک ففکرت شی ء اهدیه الیه فلم اجد اشرف من کتاب سیبویه، و قلت له اردت ان اهدیک شیئا ففکرت فاذا کل شی ء عندک، فلم أر اشرف من هذا الکتاب و قد اشتریته من میراث القراء. قال: و اللّه ما اهدیت الی شیئا احب الی منه(۲).

لقد جمع ابن الزیات بین النثر و الشعر، فکان شاعرا مجیدا لا یقاس به احد من الکتاب. قال الصولی: کنا نقول لم یل الوزاره اشعر من أحمد بن یوسف حتی ولی محمد بن عبد الملک فکان اشعر منه(۳). و من رقیق شعره قوله:

سماعا یا عباد اللّه منی و کفوا عن ملاحظه الملاح

فأن الحب آخره المنایاو اوله بهیج بالمزاح

و قالوا: دع مراقبه الثریاو نم فاللیل مسود الجناح

۱- الاوراق/ ۲۰۶.

۲- لاغانی ۲۳/ ۴۶- ۴۷.

۳- دیوان البحتری ۱/ ۶۳۲- ۶۳۸.

فقلت: و هل افاق القلب حتی افرق بین لیلی و الصباح

و قد افرد ابو الفرج فصلا فی کتابه لابن الزیات باعتباره ادیبا شاعرا و روی له عددا من المقاطع الشعریه(۱).

و مدح ابن الزیات عدد من شعراء عصره و علی رأسهم البحتری، فقد مدحه بقصیده یصف فیها بلاغته و عزمه و کفایته، جاء فیها(۲):

فی نظام من البلاغه ماشک امرؤ انه نظام فرید

و معان لو فضلتها القوافی هجنت شعر جرول و لبید

حزن مستعمل الکلام اختیاراو تجنبن ظلمه التعقید

و رکبن اللفظ القریب فادرکن به غایه المراد البعید

و اری الناس مجمعین علی فضلک من بین سید و مسود

عرف العالمون فضلک بالعلم و قال الجهال بالتقلید

۱- دیوان ابی تمام ۱/ ۲۳۹- ۲۵۹.

۲- نشوار المحاضره ۸/ ۹۱.

صارم العزم حاضر الحزم ساری الفکر ثبت المقام صلب العود

دق فهما وجل حلما فأرضی اللّه فینا و الواثق بن الرشید

قد تلقیت کل یوم جدیدیا ابا جعفر بمجد جدید

و اذ استطرفت سیاده قوم بنت بالسؤدد الطریف التلید

و مدحه ابو تمام الطائی بقصیده منها(۱):

و عاذل هاج باللؤم مأربه باتت علیها هموم النفس تصطخب

لما اطال ارتجال العذل قلت له الحزم یثنی خطوب الدهر لا الخطب

لم یجتمع قط فی مصر و لا طرف محمد بن ابی مروان و النوب

لی من ابی جعفر آخیه سبب ان تبق یطلب الی معروفی السبب

صحت فیما یتماری من تأملهامن فرط نائله فی انها نسب

لن یکرم الظفر المعطی و ان اخذت به الرغائب حتی یکرم الطلب

۱- الاغانی ۲۳/ ۴۶.

رداء الخلافه فی الجلی اذا نزلت و قیم الملک لا الوانی و لا النصب

القی الیک عری الأمر الامام فقدشد العتاج من السلطان و الکرب

یعشو الیک وضوء الرأی قائده خلیفه انما آراؤه شهب

و قد بقی محمد بن عبد الملک الزیات محتفظا بمرکزه فی الوزاره طیله ایام الخلیفه المعتصم باللّه، و فی ایام ابنه الواثق باللّه و بعض ایام المتوکل علی اللّه. و قال الفضل بن مروان: لا نعلم وزیرا وزر وزاره واحده بلا حرف لثلاثه خلفاء منسقین غیر محمد بن عبد الملک(۱). و یؤید ابو الفرج ذلک بقوله: انه وزر ثلاث دفعات و هو اول من تولی ذلک(۲).

و کان من اول اعمال الواثق باللّه عند ما تولی الخلافه انه اتخذ وزیر ابیه وزیرا له، لما کان یتوسمه فیه من الدرایه و الکفایه، و عمق المعرفه وسعه الاطلاع، رغم انه کان ینقم علیه امورا کثیره قاساها منه عند ما کان امیرا. بحیث انه قال یوما لخادمه: قد تم علیّ من هذا الکلب کل مکروه، فاذا افضت الی الخلافه فقتلنی ان لم اقتله(۳). و یقول ابن الطقطقی ان الواثق کتب بخطه کتابا و حلف فیه لیقتلن ابن الزیات(۴). الا انه عند ما آلت الیه الخلافه

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۱۹.

۲- الفخری/ ۲۱۴.

۳- نفس المصدر، و نشوار المحاضره ۸/ ۱۷- ۱۹.

۴- وفیات الاعیان ۴/ ۱۸۶.

و حضر الدار جميع الكتاب، لم يرق له ما كتبوه عن موت ابيه و توليه الخلافه، فاضطر ان يطلب الى ابن الزيات ان يكتب ذلك. فكتب كتابا نال استحسان الواثق باللّه بحيث امر بتحرير الكتب الى جميع الجهات بموجبه(۱). و اقره فى الوزاره لأنه لم يجد من يقوم مقامه من حيث درايته و حسن سياسته الى سعه اطلاعه و معرفته بتدبير الأمور. و فوض اليه ملكه و صار لا يصدر الا عن رأيه. و يروى انه قال ان عن المال و الفديه عن اليمين عوض، و ليس عن الملك و ابن الزيات عوض(۲). و انه قال: و اللّه ما يمنعنى من الوفاء بيمينى الا النفاسه على ان يخلو الملك من امثاله(۳). و لذلك فانه لم يستوزر غيره طيله حياته. على الرغم من ان ابن الزيات كان كما يقول اليعقوبى بشى ء من التحامل عليه: شديد القسوه، قليل الرحمه، جبّاها للناس، كثير الاستخفاف بهم، و لا معروف عنده(۴).

و عند ما بويع للمتوكل على الله بالخلافه استمر محمد بن عبد الملك الزيات فى الوزاره، الا ان المتوكل على الله كان يعقد عليه بعض الامور. و قد سبق ان اشرنا الى ما كان يحمله من حقد على ابن الزيات و القائد التركى ايتاخ. لانهما كانا عارضا ترشيحه للخلافه و اقترحا قتله للتخلص منه. اضافه الى ان ابن الزيات كان يسى ء معاملته فى عهد اخيه الواثق بالله. لذا كان من المتوقع ان يتخلص الخليفه من ابن الزيات الا انه تمهل قليلا قبل ان يقدم على ذلك. و يقول ابو الفرج انه «خشى ان نكبه عاجلا ان يستتر اسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره و خلع عليه. و جعل ابن ابى

۱- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ۳۰۳- ۳۰۴.

۲- و فيات الاعيان ۴/ ۱۸۶.

۳- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ۳۰۳- ۳۰۴.

۴- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۴.

دواد يغريه به و يجد لذلك عنده موقعا و استماعا»(۱). حتى اذا كان يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر من سنه (۲۳۳ ه) عزم المتوكل على الله على الفتك به. فأمر كبير قواده و حاجبه ايتاخ ان يقبض على ابن الزيات و يعذبه. فقبض عليه و اودعه السجن.

و وجه اثنين من وجوه اصحابه هما يزيد بن عبد الله الحلوانى و هرثمه شارباميان الى داره و اخذا جميع ما فيه(۲).

و كان الخليفه قد وجه راشدا المغربى الى بغداد لقبض ما لأبن الزيات فيها من الاموال، و امر ابا الوزير احمد بن خالد بقبض ضياعه و ضياع اهل بيته حيثما كانت. و اجبر ابن الزيات على ان يوكل العباس بن احمد كاتب القائد عجيف بن عنبسه ببيع ما يملكه. فكانت قيمه ما قبض له تسعين الف دينار، و قيل مائه الف دينار(۳).

و قيد ابن الزيات فى سجنه بأمر الخليفه، فامتنع عن الطعام، و كان شديد الجزع كثير البكاء قليل الكلام. و كان ابن الزيات قد اتخذ للمصادرين و المغضوب عليهم تنورا من الخشب فيه مسامير اطرافها الى داخل التنور، يعذبهم فيه. فأمر المتوكل على الله بادخاله فى ذلك التنور فبقى فيه اياما فمات(۴). و هناك اختلاف فى سبب موته، فقد قيل انه ضرب فمات و هو يضرب، و قيل انه مات بغير

۱- الاغانى ۲۳/ ۷۲- ۷۳.

۲- الطبرى ۹/ ۱۵۸.

۳- نفس المصدر/ ۱۵۸ و ۱۶۱ و الاغانى ۲۳/ ۷۴.

۴- نفس المصدر/ ۱۵۹، و الكامل ۷/ ۳۷، و مروج الذهب ۴/ ۸۸ و فيه كان التنور من الحديد، و كذلك جاء فى الاغانى ۲۳/ ۷۴.

ضرب، و یفهم مما ذکره مسکویه انه مات من جراء تعذیبه فی التنور(۱).

و یقول المسعودی ان ابن الزیات لما ادخل التنور طلب دواه و بطاقه فکتب الی الخلیفه:

هی السبیل فمن یوم الی یوم کأنه ما تریک العین فی النوم

لا تجزعن رویدا انها دول دنیا تنقل من قوم الی قوم

الا ان المتوکل علی الله لم یطلع علی الرقعه فی یومها، فلما کان الغد قرأها فأمر باخراجه، فوجد میتا(۲). و ذکر عن احد حراسه انه سمعه قبل موته یقول لنفسه: یا محمد لم تقنعک النعمه و الدواب الفره و الدار النظیفه و الکسوه الفاخره و انت فی عافیه، حتی طلبت الوزاره، ذق ما عملت بنفسک، ثم سکت عن ذلک، و کان لا یزید علی التشهد و ذکر اللّه، و کانت وفاته فی یوم الخمیس لاحدی عشره لیله بقیت من ربیع الأول سنه ۲۳۳ ه(۳) بعد ان لبث فی الوزاره اربعه عشر عاما و بضعه اشهر. و یقول ابو الفرج ان المتوکل علی الله «ندم علی قتله و لم یجد منه عوضا» و کان یقول لأحمد بن ابی دواد «اطمعتنی فی باطل، و حملتنی علی امر لم اجد منه عوضا»(۴).

۱- الطبری ۹/ ۱۵۹، و الکامل ۷/ ۳۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۸۸.

۳- الطبری ۹/ ۱۶۰، و الکامل ۷/ ۳۸.

۴- الاغانی ۲۳/ ۷۳.

و قد رثاه صدیقه و اقرب الناس الیه الحسن بن وهب بشعر کان یتنصل منه خوفا علی حیاته، جاء فیه[(۱)]:

یکاد القلب من جزع یطیراذا ما قیل قد قتل الوزیر

أمیر المؤمنین هدمت رکناعلیه رحاکم کانت تدور

سیبلی الملک من جزع علیه و یخرب حین تضطرب الامور

فمهلا یا بنی العباس مهلافقد کویت بنعلکم الصدور

الی کم تنکبون الناس ظلمالکم فی کل ملحمه عقیر

جزیتم ناصرا لکم المنایاو لیس کذلکم یجزی النصیر

۳- احمد بن خالد:

ابو الوزیر، من کتاب الدوله العربیه. و لما عزم المعتصم بالله علی بناء مدینه سامرا کلف وزیره محمد بن عبد الملک الزیات و اثنین من الکتاب لشراء الارض التی قرر انشاء المدینه علیها،

۱- نفس المصدر/ ۷۴.

كان احدهما احمد بن خالد(۱). و يقول الطبرى ان المعتصم بالله بعث احمد بن خالد الى ناحيه موقع سامرا ليشترى له ارضا يبنى فيها مدينه، و امره ان يأخذ معه مائه الف دينار ليدفع قيمه ما يشتريه فقال احمد انه سيأخذ خمسه الاف دينار و كلما احتاج الى زياده بعث الى الخليفه يستزيده، فاتى الموضع و اشترى ما كلفه به الخليفه(۲).

و ولى احمد بن خالد للخليفه المعتصم باللّه خراج مصر فى سنه (۲۲۶ ه) حينما قدم اليها يحمل معه كتاب ولايه القضاء لمحمد بن ابى الليث(۳). و يظهر انه عاد الى الكتابه فى ديوان الخلافه، اذ كان من جمله الكتاب الذين صادرهم الواثق بالله سنه (۲۲۹ ه) فاخذ منه صلحا، اى دون ان يأمر بضربه، مائه و اربعين الف دينار(۴). و عند وفاه الواثق بالله كان احمد بن خالد من الحاضرين فى قصر الخلافه مع الوزير ابن الزيات و قاضى القضاه ابن ابى دواد و كبار القواد الاتراك، و شارك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه(۵).

و عند ما كان المتوكل على الله مغضوبا عليه من اخيه الواثق بالله، و يلقى عنتا من الوزير ابن الزيات و من عمر بن فرج الرخجى صاحب ديوان النفقات، كان ابو الوزير و هو زمام على عمر المذكور آنذاك يواسيه و يحسن معاملته(۶). مما كان له أثر حسن فى نفس المتوكل على اللّه، فاخذ عند استخلافه يعتمد عليه فى اداء بعض المهام. اذ وجهه لقبض ضياع ابن الزيات عند ما

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۷- ۲۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۷.

۳- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۴۹.

۴- الطبرى ۹/ ۱۲۵، و الكامل ۷/ ۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۸ و فيه انه اخذ منه مائتى الف دينار.

۵- الطبرى ۹/ ۱۵۴، و الكامل ۷/ ۳۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵.

۶- الطبرى ۹/ ۱۵۷.

سخط علیه، کما اشرنا آنفا. ثم اناط به مهام الوزاره من غیر ان یسمیه بها. الا انه سرعان ما غضب علیه و امر فی ذی الحجه من السنه نفسها بمحاسبته و مصادرته، و اخذ منه ستین الف دینار، و بدرا من الدراهم و الحلی، و من متاع مصر و بضائعها اثنین و ستین سفطا، و اثنین و ثلاثین غلاما، و فرشا کثیره(۱). ثم ما لبث ان رضی عنه ثانیه، فولاه خراج مصر فی سنه (۲۳۸ ه) شریکا لعنبسه بن اسحاق الضبی(۲).

۴- محمد بن الفضل الجرجرائی:

ابو جعفر، کان یکتب للفضل بن مروان، و هو من جرجرایا من اعمال النهروان الأسفل بین بغداد و واسط(۳). و کان شیخا ظریفا حسن الأدب. عالما بالغناء مشتهرا به(۴). استکتبه الخلیفه المتوکل علی الله بعد ان صرف ابا الوزیر احمد بن خالد من عمله فی (۲۳۳ ه)(۵). الا انه اضطر بعد مده الی عزله بعد ان کثرت السعایات به، و قال: قد ضجرت بالمشایخ ارید حدثا استوزره(۶).

و لما قتل القائد الترکی اوتامش المتسلط علی الوزاره فی عهد الخلیفه المستعین باللّه، فی سنه (۲۴۹ ه) و اشتد الخلاف بین الخلیفه

۱- الطبری ۹/ ۱۶۲، و الکامل ۷/ ۲۹، و الفخری/ ۲۱۶.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۰۰.

۳- معجم البلدان ۲/ ۱۲۳.

۴- الفخری/ ۲۱۶.

۵- کتاب الطبری ۹/ ۲۶۲.

۶- الفخری/ ۲۱۶.

و الاتراک، اتخذ الخلیفه محمد بن الفضل الجرجرائی وزیرا(۱).

الا انه لم یلبث ان توفی السنه التالیه(۲).

۵- عبید اللّه بن یحی بن خاقان:

کان المتوکل علی اللّه قد صرف محمد بن الفضل الجرجرائی من الوزاره فی سنه (۲۳۶ ه) و استکتب عبید اللّه بن یحیی بن خاقان.

و کان اول معرفه المتوکل علی الله به، ان عبید الله کان قد لازم الفضل بن مروان، و هو یتقلد دیوان الضیاع، و یعاونه فی الامور الکتابیه. و صادف ان اهل ارمینیه طلبوا من الفضل ان یمضی لهم مقاطعه فی بلادهم فرفض رغم الحاحهم و لجوئهم الی کثیر من اصحابه. فلجآوا الی عبید الله بن یحیی فخاطب الفضل فی امرهم بما جعله یستجیب لطلبهم. فحمل القوم الی عبید الله خمسه الاف دینار فردها و قال ما کنت لآخذ علی معروف ثمنا. فلما خرجوا الی ارمینیه حملوا الیه فرش بیت ارمنی جمیلا جدا ببساط عظیم و مصلیات و اتخاخ و مخاد و ستور، و کتبوا علیه اسمه و کنیته.

و کان المتوکل علی اللّه حینذاک قد وکل بالطرق و امر الا یدخل شیء من الامتعه الا ان یعرض علیه. فلما عرضت علیه الهدیه المذکوره استحسنها و سأل عن عبید اللّه و علاقته باهل ارمینیه، و لما اطلع علی خبره معهم امر بتسلیم الفرش الیه، و قال هذا فتی یدل فعله علی کبر همته(۳). و لما صرف المتوکل علی اللّه محمد بن الفضل الجرجرائی عن الوزاره لم یعین وزیرا و امر اصحاب الدواوین ان یعرضوا علیه اعمالهم، و جعل التوقیع للقائد الترکی وصیف. ثم احتاج الی کاتب یکون بین یدیه فأمر ان یطلب له حدث

۱- الطبری ۹/ ۲۶۴، و الکامل ۷/ ۱۴۴، و الفخری/ ۲۲۰.

۲- الکامل ۷/ ۱۳۵.

۳- نشوار المحاضره ۸/ ۵۱- ۵۳.

من اولاد الکتاب، فسموا له جماعه کان فیهم عبید الله بن یحیی.

فلما ذکر اسمه تذکر المتوکل علی اللّه حدیث الفرش الارمنی، فاختاره للکتابه(۱).

و لم تزل منزله عبید الله تتقدم لدی الخلیفه حتی امر ان یخلع علیه و ان لا یعرض احد من اصحاب الدواین علیه شیئا، و ان یرفعوا اعمالهم الی عبید الله لیتولی عرضها علیه. و اجری علیه فی کل شهر عشره الاف درهم. و قوی امر عبید اللّه فحذف اسم القائد وصیف من التوقیع و اثبت اسمه. ثم امر له الخلیفه برزق الوزاره، ثم خوطب بها(۲). و لشده اعتماد المتوکل علی اللّه علی عبید الله قلده کتابه ابنیه المعتز و المؤید و ضم الیهما بضعه عشر الف رجل و جعل تدبیرهم الی عبید الله ایضا، فصار وزیرا امیرا(۳).

و قد ضم الیه توقیع دیوان العامه فی سنه (۲۴۵ ه) فاستخلف ابن عمه یحیی بن عبد الرحمن بن خاقان(۴).

کان عبید اللّه من خیره الکتاب، حسن الخط و له معرفه بالحساب و الاستیفاء، و رغم انه کان فی تصرفاته بعض التخلیط الا ان کرم نفسه و حسن اخلاقه، و نزاهته و عفته، غطت علی عیوبه(۵). و قد اعجب به المتوکل علی اللّه فرفعه و اعلی مرتبته و ولاه و امره ان یکتب: مولی امیر المؤمنین، و ان یأمر کتاب الدواوین ان یوقعوا باسمه. فاستعفاه یحیی من ذلک. الا انه اخذ یولی العمال علی الخراج و الضیاع و البرید و المعادن، و یعین القضاه فی جمیع انحاء الدوله. و قد سلک فی اعماله سیره حسنه

۱- نفس المصدر/ ۸۳.

۲- نفس المصدر.

۳- نشوار المحاضره ۸/ ۱۵- ۱۶.

۴- الطبری ۹/ ۲۱۷.

۵- الفخری/ ۲۱۶.

جعلته محمودا عند الناس(۱). و من تعففه ان صاحب مصر حمل اليه مائتی الف دينار و ثلاثين سفطا من الثياب المصريه، فلما احضرت بين يديه، قال لوكيل صاحب مصر: لا و اللّه لا اقبلها و لا اثقل عليه بذلک، ثم فتح الأسفاط و اخذ منها منديلا لطيفا وضعه تحت فخذه، و امر بالمال فحمل الى خزانه الديوان(۲).

و قد وصفه ابو العيناء الأديب الشاعر للمتوكل على اللّه لما سأله عنه، بقوله: العبد لله و لک منقسم بين طاعته و خدمتک، يؤثر رضاک على كل فائده، و ما عادل بصلاح رعيتک كل لذه(۳).

و عند ما عزم المتوكل على اللّه بناء مدينه المتوكليه (الجعفريه) حاول نجاح بن سلمه، و كان على ديوان التوقيع و التتبع على العمال، أن يتقرب الى الخليفه بتحريضه على مصادره اموال عبيد اللّه بن يحيى و عدد من رؤوساء الدواوين، فعرض عليه ان يسمى له قوما يدفعهم اليه حتى يستخرج منهم اربعين الف الف درهم تساعده فى نفقه بناء المدينه الجديده. فطلب اليه الخليفه ان يذكر اسماءهم. فرفع اليه نجاح رقعه يذكر فيها موسى بن عبد الملک صاحب ديوان الخراج، و الحسن بن مخلد صاحب ديوان التوقيع. و خليفته عيسى بن فرخانشاه، و عبيد اللّه بن يحيى و اخويه عبد اللّه و زكريا، و آخرين غيرهم، نحوا من عشرين رجلا. فلما علم عبيد اللّه بذلک عمل على انقاذ الجماعه و تسفيه اقتراح نجاح لدى الخليفه. فأقنع نجاحا بان يعتذر للخليفه عما تقدم به، و كان عبيد اللّه اخذ بنفس الوقت رقعه من موسى و الحسن يتعهدان فيها باستخراج اموال نجاح بن سلمه اذا سلمه الخليفه اليهما، و ضمنا

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۸- ۴۸۹.

۲- الفخرى/ ۲۱۶.

۳- الديارات/ ۹۰.

تحصیل الفی الف دینار منه. فاقتنع المتوکل علی اللّه باقتراح وزیره، و دفع نجاحا الی غریمیه. فاخذاه و اولاده فاقروا بنحو مائه و اربعین الف دینار، سوی الغلات و الغروس و الضیاع و غیر ذلک. ثم امروا بضرب نجاح حتی مات. فأقر ابناؤه بعد الضرب بسبعین الف دینار اخری سوی مالهما من الاملاک فأخذت جمیعها منهم. کما اخذ بسببه قوم بسامرا و ببغداد و بمکه و بناحیه السواد فحبسوا و صودروا(۱).

کان عبید اللّه موالیا للمتوکل حریصا علی ارضائه. فلما رآه یبعد ابنه محمدا المنتصر و ینتقصه شایعه فی ذلک، و بدلا من ان یقرب بین الخلیفه و ولی عهده و یعمل علی ازاله ما بینهما من اسباب التباعد و الجفاء انتهج سیاسه تزید فی سخط ولی العهد علی ابیه. فعند ما عزم المتوکل علی اللّه علی الصلاه آخر جمعه فی رمضان سنه (۲۴۷ ه) و اراد الرکوب للذهاب الی المسجد الجامع، قال له عبید اللّه و الفتح بن خاقان ان الناس اجتمعوا و کثروا، من بنی العباس و غیرهم، و اکثرهم متظلم و طالب حاجه، و قد یزعجون امیر المؤمنین و هو یشکو ضیق الصدر و وعکه، و اقترحا علیه ان یعهد لأحد ولاه العهد بالصلاه بالناس. فأمر المتوکل علی اللّه ابنه المنتصر بالصلاه. فلما نهض المنتصر لیرکب للصلاه، قالا للخلیفه ان یأمر ابا عبد اللّه المعتز لیشرفه بذلک و قد ولد له ولد قبل ذلک بیوم. فأمر المعتز فذهب و صلی بالناس، مما اغضب المنتصر(۲).

و لما حل عید الفطر امر المتوکل علی اللّه ان یصلی المنتصر بالناس، قالا له ان الناس یتطلعون الی رؤیه الخلیفه، و لا نآمن ان هو لم یحضر الصلاه ان یرجف الناس بعلته و یتکلمون بامره.

۱- الطبری ۹/ ۲۱۴- ۲۱۷، و الکامل ۷/ ۸۸- ۸۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۲- ۲۲۳.

فأمر بالتهیؤ للصلاه و خرج و صلی بالناس(۱). فزاد ذلک فی غضب المنتصر و سخطه علی ابیه و رجاله.

و عند ما قتل المتوکل علی اللّه اجتمع الی عبید الله جند الفرقه التی کانت تحت امرته و یتراوح عددهم بین خمسه الاف و عشره الاف، و قالوا له: انما کنت تصطنعنا لهذا الیوم فأمرنا بامرک وأ أذن لنا نمل علی القوم میله نقتل المنتصر و من معه من الاتراک و غیرهم. فأبی ذلک و قال: لیس فی هذا حیله و المعتز فی ایدیهم(۲). و کان یمیل الی المعتز فخاف ان هو تحرک ضد المنتصر و اتباعه ان یقتلوا المعتز. و یقول ابن الطقطقی ان الجند کانوا یحبون عبید اللّه بن یحیی لحسن سیرته فیهم فلما قتل المتوکل علی اللّه خاف عبید الله علی نفسه، فاجتمع الجند علی بابه و قالوا له: انت احسنت الینا و اقل ما یجب علینا ان نحرسک فی مثل هذه الفتنه، و لازموا بابه و حفظوه(۳).

و لما بویع المنتصر اللّه بالخلافه بایعه عبید اللّه بن یحیی و انصرف. و استوزر الخلیفه الجدید احمد بن الخصیب احد کبار الکتاب. و ظل عبید اللّه بعیدا عن الوزاره فی عهد الخلیفه المستعین باللّه الذی لم یکن یرتاح الیه، فاغتنم فرصه خروجه الی الحج فبعث خلفه احد رجاله و امره بنفیه الی برقه(۴). و عند ما اضطر المستعین بالله علی ترک سامرا و الالتجاء الی بغداد و تفویض امره الی نائبه فیها محمد بن طاهر بن عبد الله الذی وقف الی جانبه فی اول نزاعه مع الاتراک، لعب عبید الله بن یحیی دورا فی تغییر موقف ابن طاهر من المستعین بالله، و قد قال له مره: ان هذا الذی

۱- الطبری ۹/ ۲۲۳، و الکامل ۷/ ۹۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۹، و الکامل ۷/ ۹۹- ۱۰۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

۳- الفخری/ ۲۱۷.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۸، و الکامل ۷/ ۱۱۹، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۵ و فیه انه نفاه الی مکه و قبل وصوله الیها بعث خلفه من نفاه الی برقه.

تنصره و تجد فی امره من اشد الناس نفاقا، و اخبثهم دینا، و الله لقد امر وصیفا و بغا بقتلک فاستعظما ذلک .. و لم یفعلاه. حتی صرفه عما کان علیه من الرأی فی نصره المستعین باللّه. فقال محمد ابن طاهر: اخزی اللّه هذا لا یصلح لدین و لا دنیا(۱).

و عند ما تولی المعتمد علی الله الخلافه فی رجب سنه (۲۵۶ ه) استوزر عبد اللّه بن یحیی(۲). و قد عرف عنه انه کان خبیرا باحوال الرعیه و کفوءاً بعمله ضابطا للاموال. و لما دخل یعقوب ابن اللیث الصفار مدینه نیسابور و قبض علی امیرها محمد بن طاهر و اهل بیته، و ارسل رسله الی الخلیفه یعلمه بذلک، قال الموفق و الوزیر عبید الله بن یحیی للرسل، ان امیر المؤمنین لا یقر یعقوب علی ما فعل و انه یأمره بالانصراف بالذی ولاه ایاه، فانه ان فعل کان من الاولیاء، و الا لم یکن له الا ما للمخالفین(۳).

و عند ما اشتد خلاف یعقوب بن اللیث الصفار علی الخلافه، و اظهر ما کان یخفیه من مطالعه، و توجه بجیشه نحو سامرا فی سنه (۲۶۲ ه) خرج المعتمد علی اللّه علی رأس جیشه الذی قاده اخوه الموفق، و نزل بالسیب، کان الی جانبه وزیره عبید اللّه بن یحیی(۴).

و فی سنه (۲۶۳ ه) مات عبید الله بن یحیی، اذ سقط عن دابته فی میدان کره الصولجان من صدمه خادم له یقال له رشیق.

و ذلک فی یوم الجمعه لعشر خلون من ذی القعده، فسال الدم من منخره و اذنه. و مات بعد سقوطه بثلاث ساعات، فصلی علیه ابو احمد الموفق و مشی فی جنازته(۵).

۱- الطبری ۹/ ۳۴۲.

۲- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۳۵.

۳- الطبری ۹/ ۵۵۷، و الکامل ۷/ ۲۶۲.

۴- الطبری ۹/ ۵۱۷.

۵- الطبری ۹/ ۵۳۲، و المنتظم ۵/ ۴۵.

۶- احمد بن الخصیب:

کان احمد بن الخصیب کاتبا للقائد الترکی اشناس الذی کان یتولی اعمال الجزیره و الشامات و مصر و المغرب، و کان ابن الخصیب هو المدبر لشؤونه. و قد استصحبه اشناس فی حمله المعتصم بالله علی بلاد الروم فی سنه (۲۲۳ ه) و کلفه مع القائد محمد بن یوسف الثغری بالتحقیق مع احمد الخلیل فاخبرهما بما یعرفه عن مؤامره العباس بن المأمون و المشترکین بها و علی الأخص الحارث السمرقندی داعیه العباس، مما ساعد علی القضاء علی المؤامره و هی فی مهدها(۱).

و کان ابن الخصیب احد الکتاب الذین صادرهم الخلیفه الواثق بالله، و اخذ منه و من کتابه و من اخیه ما مجموعه الف الف دینار(۲). و یقول الیعقوبی انه انتزعت منه و من اخیه الأموال بعد تعذیبهما و تعذیب امهما(۳).

و لما بویع للمنتصر باللّه بالخلافه ابعد عبید الله بن یحیی بن خاقان وزیر ابیه عن الوزاره و جعل کاتبه احمد بن الخصیب وزیرا له. الا انه لم یکن موفقا فی هذا الاختیار. اذ کان ابن الخصیب تنقصه الکفایه فی الاداره، و لا یعرف شیئا عن شؤون الدوله. و مع مروءته کانت فیه حده وطیش(۴). و قد وصفه المسعودی بأنه قلیل الخیر کثیر الشر شدید الجهل(۵). و لذلک

۱- الطبری ۹/ ۱۷۵.

۲- نفس المصدر/ ۱۲۵، و الکامل ۷/ ۱۰.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۱.

۴- الفخری/ ۲۱۷، و الهفوات النادره/ ۲۶۱.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵.

ساءت الاحوال علی عهده، کما ساءت سمعته بین الناس و کان کثیرا ما یرفس المتظلمین الیه و ذوی الحاجات اذا ازدحموا علیه، و قد یبصق علیهم و یشتم اعراضهم. فقد عرض له مره رجل من ارباب الحوائج و الح علیه حتی ضایقه و ضغط رجله فی الرکاب، فاحتد علیه ابن الخصیب و اخرج رجله من الرکاب و رکله فی صدره، فقال احمد بن ابی طاهر(۱):

قل للخلیفه یا ابن عم محمداشکل وزیرک انه محلول

فلسانه للشتم فی اعراضناو الرجل منه فی الصدور تجول

کم طالب لظلامه او حاجهمتعرض لکلامه مرکول

و قد اعتبر ابن عبد ربه رکل الوزیر احد المتظلمین من سوء الأدب(۲). و اورد صاحب «الهفوات النادره» قصصا تدل علی جهل ابن الخصیب المطبق، و حمقه الزائد و ضعف لغته و قله ادبه و تسرعه فی الأحکام(۳). و قال فیه ابو العیناء: لو تأمل احمد اخلاقه فاجتنبها لاستغنی عن الاداب یطلبها، و ذمه برساله وضعها علی السنه الرؤساء و القواد و الکتاب، یصف کل منهم مساوی ء احمد بن الخصیب(۴). و قال عنه احد الشعراء عند ما اشتهرت

۱- الهفوات النادره/ ۲۶۱.

۲- العقد الفرید ۴/ ۱۰.

۳- الهفوات النادره/ ۲۶۱- ۲۶۶.

۴- جمع الجواهر فی الملح و النوادر/ ۲۰۷ و ۲۱۰.

حادثه رکله احد المتظلمین، یحرض الخلیفه علیه و یتهمه بحیازه الأموال(۱):

قل للخلیفه یا ابن عم محمداشکل وزیرک انه رکال

اشکله عن رکل کل الرجال و ان تردمالا فعند وزیرک الاموال

و اعتبره ابن الجوزی من الحمقی المغفلین، و روی عنه قصه تدل علی جهله و قله معرفته بالعربیه. فقد قرأ ابن رباح بحضره المنتصر کتاب الصدقات، و قال: فی کل ثلاثین بقره تبیع. فقال الخلیفه: ما هو التبیع؟ فاجاب ابن الخصیب: البقره و زوجها(۲). و قد ادخل ابن عبد ربه احمد بن الخصیب فی قائمه من ادخلوا انفسهم فی الکتابه و لم یستحقوها، و انما لطخوا انفسهم بالکتابه و ما دانوها(۳). و مما یؤید ضحاله ابن الخصیب اللغویه انه نظر یوما الی احد الکتاب، و کان فدما- ای غایظا سمینا- مضطرب الخلق، طویل العثفون، فقال: لأن یکون هذا فنطاس مرکب اشبه من ان یکون کاتبا(۴).

و مع هذه الصفات السیئه التی کان علیها احمد بن الخصیب، فقد طالت مده خدمته للخلفاء. و یرجح انه مع مساوئه المذکوره

۱- الهفوات النادره/ ۲۶۱، و الفخری/ ۲۱۸، و ذکر البیت الثانی کالآتی: قد نال من اعراضنا بلسانه و لرجله عند الصدور مجال

۲- اخبار الحمقی و المغفلین/ ۲۳۲.

۳- العقد الفرید/ ۱۷۰۴- ۱۷۱.

۴- نفس المصدر/ ۱۷۲.

و نواحی الضعف الاخری فیه، کان خدوما لهم لا یخرج عن اوامرهم و نواهیهم. و قد فسر ابن الخصیب نفسه سبب اتصال خدمته للخلفاء بانه لم تکن فی حیاته لذه فی بناء و لا فرش و لا غلمان و لا جوار و لا مفاخره بمروءه، و انما کانت لذته فی العماره و التوفیر مما جعلهم یستخدمونه(۱). علی انه یبدو انه کان الی جانب ذلک داهیه یجید حبک المؤامرات. فقد لعب دورا بارزا فی مبایعه المنتصر باللّه اثر مقتل ابیه(۲). و لما نشب الخلاف بینه و بین القائد وصیف، استطاع ان یحرض الخلیفه علیه و یقنعه بابعاده عن حاضره الخلافه، و خوفه منه، فارسله فی حمله لغزو بلاد الروم(۳). و تولی ابن الخصیب کتابه الکتاب الذی وجهه الخلیفه الی عامله فی بغداد یطلب الیه ان یحث الناس علی الخروج للجهاد فی سبیل اللّه و أن یوافوا عسکر و صیف فی ثغر ملطیه(۴).

کما استطاع ان یقنع القواد الذین تآمروا علی قتل المتوکل علی اللّه بارغام المنتصر باللّه علی خلع اخویه المعتز و المؤید من ولایه العهد، و قد أخذ ابن الخصیب رقاعهما بالتنازل و تولی قراءتها علی الذین حضروا للشهاده علی تنازلهما(۵).

استمر ابن الخصیب فی منصب الوزاره طیله ایام المنتصر باللّه، اذ لم یستطع الخلیفه ان یستبدله، و لعل قصر مده خلافته لم یتح له فرصه کافیه لذلک.

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۴۹- ۵۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۵.

۳- نفس المصدر/ ۲۴۰.

۴- الطبری ۹/ ۲۴۱- ۲۴۳ و الکامل ۷/ ۱۱۱- ۱۱۲.

۵- الطبری ۹/ ۲۴۴- ۲۴۶، و الکامل ۷/ ۱۱۲- ۱۱۴.

و قد لعب احمد بن الخصيب دورا رئيسا فی اختيار الخليفه المستعين باللّه بعد موت المنتصر بالله، فاستكتبه الخليفه الجديد، و عهد بامور الوزاره الی القائد اوتامش. و رغم خروج ابن الخصيب من الوزاره فقد ظل الی جانب الخليفه يستمتع بنفوذ كبير. و لما اراد الاتراک ان يقتلوا اخوی المنتصر باللّه، المعتز و المؤيد، عند ما شغب الغوغاء و الشاكريه فی اوائل عهد المستعين باللّه، و كانا محبوسين فی الجوسق بحراسه بغا الصغير، منعهم ابن الخصيب من ذلک و اقنعهم بان لا علاقه لهما بالذين شغبوا، فابقوهما محبوسين(۱).

علی ان الاتراک ما لبثوا ان غضبوا علی ابن الخصيب فی جمادی الأولی من سنه (۲۴۸ ه) فاستصفی الخليفه امواله و اموال ولده، و امر بنفيه الی اقريطش(۲)، و بقی مده فی منفاه ثم عاد الی سامرا، و قد توفی فی سنه (۲۶۵ ه).(۳).

۷- احمد بن اسرائيل:

ابو جعفر الانباری، كان من حذاق الكتاب فی سامرا، و كان الخليفه الواثق باللّه قد اتهمه مع آخرين من الكتاب بخيانه الواجب، فأمر بحبسه و الزمه تأديه ما خانه من الاموال. و دفعه الی صاحب الحرس يحيی بن معاذ و امره بضربه كل يوم عشره

۱- الطبری ۹/ ۲۵۹، و الكامل ۷/ ۱۱۹.

۲- نفس المصدرين السابقين.

۳- العبر ۲/ ۲۹- ۳۰.

اسواط. و يقال انه ضربه نحوا من الف سوط، و استخرج منه ثمانين الف دينار(۱).

و قد استخلفه عبيد الله بن يحيى بن خاقان على ديوان الخراج، و كان ابن اسرائيل يتولى يومئذ الكتابه للامير المعتز بن المتوكل على اللّه(۲). و ظل محتفظا بعمله فى الديوان حتى ايام المستعين بالله، و قد التحق به لما انحدر الى بغداد اثر خلافه مع بعض قواد الاتراك فى سنه (۲۵۱ ه). و بعثه الخليفه فى وفد يحمل كتابا الى القائد الحسين بن اسماعيل عند ما هزم و جيشه امام جيش سامرا فى جمادى الآخره من السنه المذكوره، يلومه فيه على ضعفه و تخاذله(۳).

و يظهر ان ابن اسرائيل كان مقربا من المستعين بالله، فاراد مؤيدوا المعتز باللّه ان يفرقوا بينهما باثاره شكوك الخليفه فى ولائه. فكلفوا رجلا يقف بباب الخليفه و يدعو للمعتز بالله بالنصر و التأييد. و لما قبض عليه ادعى بان احمد بن اسرائيل امره بذلك. فغضب الخليفه عليه، الا انه ما لبثت الحقيقه ان ظهرت و عرف امر الرجل(۴). على ان ابن اسرائيل ادرك ضعف مركز المستعين بالله و تزايد قوه المعتز بالله فانضم الى الجانب الذى كان يسعى للصلح مع الموفق قائد جيش المعتز بالله، و خرج الى معسكر الموفق مع عدد من رجال المستعين باللّه باذن من محمد بن عبد الله بن طاهر امير بغداد حينذاك لمناظره ابى احمد الموفق فى الصلح بين

۱- الطبرى ۹/ ۱۲۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۷.

۳- الطبرى ۹/ ۳۲۴.

۴- الفرج بعد الشده ۴/ ۱۲۵.

الطرفين(۱). كما ايـد ابن اسـرائيل عبيـد اللّه بن يحيى فى صـرف محمد بن عبد الله عن نصـره المسـتعين باللّه، و السـعى لايقاف القتال بين المعتز باللّه و المستعين باللّه، و السعى للصلح(۲). ثم صار الى المعتز باللّه فى سامرا فولاه البريد و وعده بالوزاره ان تم له النصر(۳).

و لما رأى المسـتعين باللّه ضـعف امره و خـذلان ناصـريه اجاب الى خلع نفسه من الخلافه و بايع للمعتز باللّه. فانتهت الحرب بين سامرا و بغـداد، و اسـتقر الأمر للمعتز باللّه. فكافأ المعتز باللّه ابن اسـرائيل على انتصاره له و خذلانه المسـتعين باللّه بأن اسـتوزره و خلع عليه و وضع تاجا على رأسه(۴).

و كان القائـدان التركيان وصـيف و بغا اللذان التحقا بالمسـتعين باللّه، لما رأيا ان الخلافه انتهت الى المعتز بالله، قررا المصـير اليه فى سامرا، فوجه وصـيف اخته سـعاد الى المؤيد ليكلم اخاه المعتز باللّه بالعفو عنه، و كان الموفق قد كلم المعتز بالله فى امر العفو عن بغا ايضا. فكتب الخليفه اليهما بالرضا عنهما. فتوجها الى سامرا.

و يبدو ان المعتز بالله لم يكن راغبا فى مجيئهما الى سامرا لأنه كتب الى امير بغداد محمد بن عبد اللّه ان يمنعهما من الخروج من بغداد(۵). و لما علم احمد بن اسرائيل بوصول القائدين المذكورين الى بغداد بكر فى زيارتهما قبل ان يحضرا دار

۱- الطبرى ۹/ ۳۳۶.

۲- نفس المصدر/ ۳۴۱- ۳۴۲.

۳- نفس المصدر/ ۳۴۴.

۴- نفس المصدر/ ۳۴۹.

۵- نفس المصدر/ ۳۵۵.

الخلافه(۱). و لعله کـان یهـدف من زیـارته الـترحب بهمـا لیکسب، تأییـدهما له، بعـد ان علم انهمـا اعیـدا الی سـابق مراتبهمـا و اعمالهما. و لما اشـتد الخلاف بین الخلیفه و القائـد بغا، وقف احمد بن اسـرائیل الی جانب الخلیفه و صـحبه الی کرخ سامرا لیلا للالتجاء الی القائد بایکباک و من معه ممن کانوا ضد بغا.

و کان بغا قـد غامر بالخروج علی الخلیفه فانتهی امره بالقتل و جی ء برأسه الی المعتز بالله. فبعث الخلیفه من ساعته الی احمد بن اسرائیل، و بعض رجال دولته، یبلغهم بذلک(۲).

و بـالنظر لازدیاد الجنـد الأتراک و ازدیاد نفقاتهم فقـد عجز الوزیر ابن اسـرائیل عن تأمین الأموال اللازمه لهم، فاسـتغل الاتراک تـأخر ارزاقهم فهـاجموه. و قـد تزعم حرکه تـذمرهم القائـد صالـح بن وصـیف، فقابـل الخلیفه بحضـور الوزیر و قـال له: یـا امیر المؤمنین لیس للاتراک عطاء، و لا فی بیت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائیل و اصحابه باموال الدنیا. فرد علیه احمد بن اسرائیل و اتهمه بالعصـیان. فأمر صالـح اتباعه فقبضوا علی الوزیر و اثنین من کبار الکتاب من مؤیـدیه هما الحسن بن مخلـد، و هو کاتب قبیحه ام المعتز باللّه، و ابو نوح عیسـی بن ابراهیم، و کان کاتب الفتـح بن خاقان، و قیـدوهم و اثقلوهم بالحدیـد. و رفض صالح طلب الخلیفه و امه باطلاق سـراح احمد ابن اسـرائیل. و لما لم یحصل الاتراک علی شـی ء من المال منهم، وجه صالح فی قبض ضیاعهم و دورهم، و ضیاع ذویهم و اموالهم(۳).

۱- نفس المصدر/ ۳۵۶.

۲- الطبری ۹/ ۳۷۹- ۳۸۰.

۳- نفس المصدر/ ۳۸۷- ۳۸۸.

و عند ما تفاقم الخلاف بين الخليفه و الاتراک خلعوه و قتلوه، و بايعوا لمحمد بن الواثق بالله بالخلافه و لقب بالمهتدى بالله.

و استمر صالح و اتباعه فى التشديد على الوزير و الكتاب حتى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان سنه (۲۵۵ ه) فأخرج ابن اسرائيل الى باب العامه و ضرب خمسمائه سوط، ثم حمل على بغل من بغال السقائين منكس الرأس مكشوف الظهر، و حين وصلوا به خشبه بابک مات. فقال الخليفه لما بلغه ذلک اما عقوبه الا السوط و القتل، اما يكفى الحبس(۱). و قد اختلف فيمن امر بضربه، فان الطبرى يقول ان صالح بن وصيف و كل بضربه حماد ابن محمد بن حماد بن دنقش، و يتفق معه ابن الأثير بان صالحا هو الذى امر بضربه(۲). بينما يقول المسعودى ان المهتدى باللّه لما افضت اليه الخلافه اخرج احمد بن اسرائيل الى باب العامه بسامرا فضرب خمسمائه سوط فمات، و ذلک لامور كانت قد استحق عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعه ان يفعل ذلک(۳).

كان احمد بن اسرائيل بعيد النظر، مرضيا فى عمله، و قد حاز ثقه الخلفاء الذين خدمهم و تقديرهم. و قد عرف بقوه حفظه و حده ذهنه، و قالوا انه كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا و خرجا. و ضاعت مره حسبه من الديوان فأوردها من خاطره، فلما وجدت كانت كما قال من غير زياده او نقيصه(۴).

۱- نفس المصدر/ ۳۹۸.

۲- نفس المصدر/ ۳۹۷- ۳۹۸، الكامل ۷/ ۲۰۱.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۸۷.

۴- الفخرى/ ۲۲۲.

و ذکر الصابی خبرا یؤید ذلک، فقد کان یلقی علی الکتاب الطویل نظره سریعه فیستوعب ما فیه، و یأمر بما یجاب به(۱).

۸- سلیمان بن وهب:

ابو ایوب سلیمان بن وهب بن سعید من بیت کتابه و انشاء، حزم اجداده عددا من الخلفاء الأمویین فی الشام، و بعض الخلفاء العباسیین فی بغداد. و کان ابوه وهب بن سعید کاتبا للفضل بن سهل وزیر المأمون، ثم کتب بعده للحسن بن سهل الذی قلده بعض الولایات فابدی کفایه فی الاداره(۲).

عمل سلیمان فی الکتابه فی سن مبکره. فقد کتب للمأمون و هو ابن اربع عشره سنه، و کتب لایتاخ ثم لأشناس، و هما من کبار القواد الأتراک(۳). و یقول ابن الطقطقی انه من قریه واسط، و اصل اهله نصاری اسلموا و خدموا فی الدواوین، و یعتبر سلیمان من کبار الکتاب و ذوی الرأی منهم(۴). ثم کتب سلیمان للخلیفه المعتصم باللّه، و قد بعثه لیحصی ما فی دار الأفشین عند ما حبسه(۵). و لما حبس الواثق باللّه الکتاب و الزمهم اموالا، امر بحبس سلیمان بن وهب، و کان حینذاک یکتب لایتاخ، و الزمه بمائتی الف درهم- و قیل دینار- فقید و البس مدرعه من مدارع الملاحین، فأدی مائه الف درهم و سأل ان یؤخذ

۱- الوزراء/ ۲۱۳.

۲- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۵.

۳- نفس المصدر.

۴- الفخری/ ۲۲۳.

۵- الطبری ۹/ ۱۱۴.

بالبـاقی فی عشـرین شـهرا، فاجابه الخلیفه الی ذلک و اخلی سبیله ورده الی کتابه ایتاخ(۱). و یقـال ان سـلیمان بن وهب بلغه ان الواثق باللّه نظر الی احمد بن الخصیب الکاتب فأنشد:

من الناس انسانان دینی علیهماملیّان لو شاءا لقد قضیانی

خلیلی اما ام عمرو فانهاو اما عن الاخری فلا تسلانی

فقال: انا للّه، احمد بن الخصیب ام عمرو، و اما الاخری فانا. فنکبهما الخلیفه بعد ایام(۲). و من شعر سلیمان لما سجنه الواثق باللّه قوله(۳):

نوائب الدهر ادبتنی و انما یوعظ الأریب

قد ذقت حلوا و ذقت مراکذاک عیش الفتی ضروب

ما مر بؤس و لا نعیم الا ولی فیها نصیب

۱- نفس المصدر/ ۱۲۸، و سبق ان ذکر فی ص: ۱۲۵ انه اخذ منه اربعمائه الف دینار و کذا جاء فی تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و فی الکامل ۷/ ۱۰.

۲- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۷.

۳- الأغانی ۲۳- ۱۴۸.

و لمـا امر المتوکـل علی اللّه اسـحاق بن ابراهیم بالقبض علی ایتاخ و حبسه فی سـنه (۲۳۵ ه) حبس اسـحاق کاتبیه ایضا، و کان احدهما سلیمان بن وهب(۱). الا ان المتوکل علی اللّه رضی عنه بعد ذلک فولاه دیوان الخراج(۲). ثم تولی الکتابه للقائد موسی بن بغا. و عند ما عاد معه الی سامرا من الجبل فی سنه (۲۵۵ ه) استوزره المهتدی باللّه و لقب بالوزیر(۳).

و یلاحظ ان سـلیمان بن وهب لم یبـد کفایه فی معالجه الخلاف الـذی نشب بین الخلیفه و القواد الاتراک. و کان بحکم علاقته بموسی بن بغا یمیل الی جانب القواد المذکورین. و قد قتل المهتدی باللّه و سلیمان لا یزال وزیره.

کان المعتمد علی الله قد استـوزر الحسن بن مخلد اثر وفاه عبید اللّه بن یحیی، و کانت علاقه الحسن بالقائد موسـی بن بغا سـیئه، فلما قدم موسی الی سامرا فی اوائل ذی الحجه سنه (۲۶۳ ه) اختفی الحسن. فاستوزر المعتمد علی اللّه مکانه سلیمان ابن وهب، و ولی ابنه عبید اللّه بن سـلیمان کتابه ابنه جعفر المفوض(۴). الا ان الخلیفه سـخط علیه فی السنه التالیه فحبسه و قیده و انتهب داره و داری ابنیـه وهـب و ابراهیـم، و اعـاد اسـتیزار الحسـن بن مخلـد، و ذلـک فی اواخر ذی القعـده من سـنه (۲۶۴ ه)(۵). و یقـول التنوخی ان المعتمد علی اللّه طلب من

۱- الطبری ۹/ ۱۶۹، و الکامل ۷/ ۴۶.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۰۳ و ۵۰۸.

۳- الاغانی ۲۳/ ۱۴۳.

۴- الطبری ۹/ ۵۳۲، و الکامل ۷/ ۳۱۰.

۵- الطبری ۹/ ۵۴۰، و الکامل ۷/ ۳۱۶.

وزیره سـلیمان مالا لنفقته علی ان لا یعلم الجند بذلک، فدافعه سـلیمان، فقبض علیه و قال له: قد تقلدت منذ ایام المعتز الی الآن اعمالا متوالیه منها الوزاره للمهتدی و ما نکبت و ما صودرت، و ارید منک خمسمائه الف دینار(۱).

الا ـ ان الموفـق جـاء الی سـامرا و اطلـق سـلیمان من الحبس، و هرب الحسن بن مخلـد فکتب الموفـق فی قبض امـواله(۲). الا انه سرعان ما أمر الموفق بحبس سـلیمان ثانیه و حبس معه ابنه عبید الله، و وکل بحفظ داریهما، و قبض ضیاعهما و اموالهما و اموال ذویهما و ضـیاعهم، ثم صولحا علی مبلغ قدره تسعمائه الف دینار، فصیرا فی موضع یصل الیهما فیه من أحبّا(۳). و یظهر ان سبب قبض الموفق علی سلیمان و ابنه عبیـد اللّه، ان المعتمد علی اللّه لما قبض علی سـلیمان ذهب ابنه الی الموفق یلتمسه فی انقاذ ابیه فوعده بذلک، الا انه الح بطلبه، فاعتذر الموفق، فقال له سـلیمان: تخرج بمن معک فتنتزعه قسرا، فقال الموفق: ان هذا یحتاج الی مـال و رجال، فقال عبیـد اللّه: علیّ ذلک. و قال عبـد الله ان الموفق اخـذ یـدافعنی بعـد ان رآنی بصوره من یملک المال و طاعه الرجـال فی قتـال خلیفه، فراوغنی و بعث بصاعـد بن مخلـد الی المعتمـد علی اللّه یشـیر علیه باطلاق ابی فاطلقه. و لما عاد صاعد شرع الموفق فی القبض علی سلیمان و ابنه عبید اللّه(۴).

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۹۶.

۲- الطبری ۹/ ۵۴۱.

۳- الطبری ۹/ ۵۴۳- ۵۴۴، و الکامل ۷/ ۳۲۷.

۴- نشوار المحاضره ۸/ ۹۷.

و قیل ان الموفق نکب سلیمان بن وهب و ابنه عبید اللّه لکثره اموالهما فقال ابن الرومی، و کان حاضرا(۱)

ألم تر أن المال یتلف ربه اذا جم آتیه و سد طریقه

و من جاور الماء الغزیر فجمه و سد مغیض الماء فهو غریقه

و لبث سلیمان فی حبس الموفق الی ان ادرکته منیته، فی یوم الثلاثاء لاثنتی عشره بقیت من صفر من سنه (۲۷۲ ه)(۲). و قد مدحه عدد من الشعراء. فمن محاسن قول ابی تمام فیه من قصیده قالها فی مدحه(۳):

کل شعب کنتم فیه آل وهب فهو شعبی و شعب کل ادیب

ان قلبی لکم لکالکبد الحری، و قلبی لغیرکم کالقلوب

و قال البحتری فی مدحه(۴).

کأن اراءه و الحزم یتبعهاتریه کل خفی و هو اعلان

۱- الاغانی ۲۳/ ۱۵۳.

۲- الطبری ۱۰/ ۹ و الکامل ۷/ ۴۱۰، و وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۶ و فیه قیل سنه ۲۷۱.

۳- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۶.

۴- نفس المصدر.

ما غاب عن عينيه فالقلب يكلؤه و ان تنم عينه فالقلب يقظان

و لما مات سليمان رثاه البحترى بقصيده منها(۱):

هذا سليمان بن وهب بعد ماطالت مساعيه النجوم سموكا

و تنصف الدنيا يدبر امرهاسبعين حولا قد تممن دكيكا

أغرت به الاقدار بغت ملمهما كان رس حديثها مأفوكا

فكأنما خضد الحمام بيومه غصنا بمنغرق الرياح نهيكا

۱- ديوان البحترى ۳/ ۱۵۷۹، السموك: الارتفاع، الدكيك: التام، رس الحديث: طرف منه، مأفول: مكذوب منخرق الرياح: مهبها.

الفصل الثانی الکتّاب

یعتبر الکتـاب اعوان الوزراء، فقـد کـان لکـل وزیر کاتب او اکثر لمعاونته فی عمله. کما کان لرجال الـدوله و کبار القواد و ولاه الأقالیم کتاب یستعینون بهم و قد تدرج بعض الکتاب الی منصب الوزاره. و کان هؤلاء الکتاب یمتازون بالثقافه العامه و الاطلاع الواسع علی معارف عصرهم، بحیث انهم کانوا یمثلون صفوه المثقفین، و هم الذین یقومون بشؤون دواوین الدوله.

و من الواضـح ان مـا یجب ان یتقنه الکـاتب و یلم به من المعـارف، یختلف باختلاـف عمله. فـان کـان کاتب خراج علیه ان یلم بالحسـاب و المساحه و الخراج و الفنون و الرتوق، و ان کان کاتب خراج علیه ان یلم بالحساب و المساحه و الخراج، و الفتوق و الرتوق، و ان کـان کـاتب احکام علیه ان یکون عالما بالحلال و الحرام و الاحتجاج و الاجماع و الأصول و الفروع، ای ان یکون متفقهـا فی الـدین، امـا اذا کـان کـاتب معونه فـانه یحتـاج الی ان یکون عالمـا بالقصـاص و الحـدود و الجراحات. و علی کاتب الجیش ان یکون عالما بحلی الرجال و شیات الدواب و مداراه الأولیاء- أی

الاتراک لأن غالبیه الجیش منهم- و علی معرفه بالنسب و الحساب.

و یحتاج کاتب الرسائل ان یکون عالما بالصدور و الفصول و الاطاله و الایجاز و ان یکون بلغیا حسن الخط بالنظر لطبیعه عمله(۱).

ان الکاتب بصوره عامه و مهما کان عمله، یجب ان یکون ادیبا ذا اطلاع واسع فی مختلف العلوم و الفنون المعروفه حینذاک.

ای ان یکون موسوعیا، بحیث یستطیع تحریر مختلف انواع الرسائل الرسمیه، مما یتطلب منه مقدره فائقه فی اللغه من نحو و صرف و بلاغه و بیان، و ملما بالامور الفقهیه، و یحفظ کثیرا من الآیات القرآنیه الکریمه و الاحادیث النبویه الشریفه. کما یحفظ انماطا مختلفه من الشعر و الامثال. و قد شرح النویری ما کان یحتاج الیه الکاتب من المعارف نلخصه بما یأتی(۲):

۱- حفظ کتاب اللّه تعالی و مداومه قراءته، و ملازمه درسه، و تدبیر معانیه. ذاکرا له فی کل ما یرد علیه من الوقائع التی یحتاج فیها الی الاستشهاد به.

۲- الاستکثار من حفظ الاحادیث النبویه، و النظر فی معانیها وفقه ما لا بد من معرفته من احکامها. لیحتج بها فی مکان الحجه، و یستدل بموضع الدلیل.

۳- قراءه ما یتفق له من کتب النحو التی یحصل بها المقصود من معرفته العربیه، و قراءه ما یتهیأ له من مختصرات اللغه، و حفظ خطب البلغاء.

۱- الفرج بعد الشده ۳/ ۳۰۹.

۲- نهایه الأرب ۷/ ۳۰- ۳۴.

۴- النظر فی ایـام العرب و وقـائعهم و حروبهم، و تسـمیه الایام التی کانت بینهم، و ما جری فی ذلک من الاشـعار، لما فی ذلک من العلم بما یستشهد به من واقعه او یوم مشهور.

۵- النظر فی التواریـخ و معرفه اخبـار الـدول، لما فی ذلک من الاطلاع علی سـیر الملوک و سـیاساتهم و وقائعهم و مکائـدهم و حروبهم، و ما اتفق لهم من التجارب.

۶- حفظ اشـعار العرب و مطالعه شـروحها و استکشاف غوامضها، و التوفر علی ما اختاره العلماء منها، کالحماسه و المفضلیات و الأصمعیات، بما یساعد علی الاستشهاد و وضعه فی مکانه.

۷- النظر فی رسائل المتقدمین و فی کتب الامثال الوارده عن العرب نظما و نثرا.

۸- النظر فی الأحکام السلطانیه.

و ینسب الی عبـد الحمید بن یحیی الکاتب کتابا موجها الی طائفه الکتاب(۱). تضمن بیان اهمیتهم فی المجتمع، و الصفات التی یجب ان یتحلو بهـا، و مـا یحتوجون الیه من انواع المعـارف «فقـد جاء فیه عن اهمیتهم و الحاجه الیهم «حفظکم اللّه یا اهل هـذه الصناعه ..

فان اللّه عز و جل جعل الناس بعد الأنبیاء و المرسـلین .. فجعلکم معشـر الکتاب فی اشـرفها صـناعه، اهل الأدب و المروءه .. بکم ینتظم الملک، و تستقیم للملوک امورهم، و بتدبیرکم و سیاستکم

۱- نص الکتاب فی« الوزراء و الکتاب/ ۷۳- ۷۹، و فی مقدمه ابن خلدون مع اختلاف کثیر ۱۳۵- ۱۳۶».

يصلح اللّه سلطانهم و تعمر بلادهم. يحتاج اليكم الملك فى عظيم ملكه، و الوالى فى القدر السنى و الدنى من ولايته، لا يستغنى عنكم منهم احد، و لا يوجد كاف الا منكم. فموقعكم منهم موقع اسماعهم التى بها يسمعون، و ابصارهم التى بها يبصرون، و السنتهم التى بها ينطقون و ايديهم التى بها يبطشون»(۱).

اما عن الصفات التى يتحلى بها الكاتب فقد قال: «فان الكاتب يحتاج من نفسه، و يحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات اموره، الى ان يكون حليما فى موضع الحلم، مقداما فى موضع الاقدام، و محجما فى موضع الاحجام، لينا فى موضع اللين، شديدا فى موضع الشده. مؤثرا للعفاف و العدل و الانصاف، كتوما للاسرار، وفيا عند الشدائد. عالما بما يأتى و يذر و يضع الامور فى مواضعها. فقد نظر فى كل صنف من صنوف العلم فاحكمه، فان لم يحكمه شدا منه شدوا(۲)، يكتفى به. يكاد يعرف بغريزه عقله و حسن ادبه و فضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، و عاقبه ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل امر عدته و يهى ء لكل امر اهبته»(۳).

و اما ما يحتاج اليه الكاتب من المعارف، فقد جاء فيه:

«فنافسوا، معشر الكتاب، فى صنوف العلم و الأدب، و تفقهوا فى الدين. و ابدأوا بعلم كتاب اللّه عز و جل، و الفرائض، ثم العربيه فانها ثقاف السنتكم، و اجيدوا الخط فانه حليه كتبكم، و ارووا

۱- الوزراء و الكتاب/ ۷۴.

۲- شدا بمعنى أخذ.

۳- الوزراء و الكتاب/ ۷۴- ۷۵.

الاشعار و اعرفوا غريبها و معانيها، و ايام العرب و العجم و احاديثها. و سيرها، فان ذلك معين لكم على ما تسمون اليه يهممكم. و لا يضعفن نظركم فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج منكم. و ارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها و دنيها، و مساوى ء الأمور و محاقرها، فانها مذله للرقاب مفسده للكتاب»(۱).

و يرى ابن المدبر(۲) ان الكاتب المستحق اسم الكتابه هو «من اذا حاول صنعه كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها، و ظهرت من معادنها، و بدرت من مواطنها، من غير استكراه و لا اغتصاب»(۳). و لكى يكون الكاتب بليغا فصيحا عليه ان يتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، و من رسائل المتأخرين ما يرجع اليه، لتلقيح ذهنه و استخراج بلاغته. بالاضافه الى الاستعانه بنوادر كلام الناس و بالاشعار و الأخبار و السير(۴). و هو يرى أن على الكاتب ان يخاطب كلا على قدر ابهته و جلالته، فيجعل طبقات كلامه على ثمانيه اقسام: اربعه منها للطبقه العلويه، و اربعه دونها. و الطبقه العلويه هى الخلافه التى اعلى اللّه شأنها عن مساواتها باحد من ابناء الدنيا فى التعظيم و التوقير و المخاطبه و الترسل. و الطبقه الثانيه الوزراء و الكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم و السنتهم، و يرتقون الفتوق بارائهم، و الثالثه

۱- الوزراء و الكتاب/ ۷۵.

۲- ابراهيم بن المدبر من مشاهير كتاب القرن الثالث و قد ولى رئاسه عدد من الدواوين فى عهد خلفاء سامرا، و له:« الرساله العذراء» فى ثقافه الكاتب و صفاته وزيه، و ادوات الكتابه و معرفته بها، و ما قيل فى الكتابه.

۳- الرساله العذراء/ ۳۶.

۴- نفس المصدر/ ۷.

امراء ثغورهم و قواد جیوشهم، و الرابعه القضاه فانهم و ان کان لهم تواضع العلماء و حلیه الفضلاء فمعهم ابهه السلطه و هیبه الامراء(۱). اما الطبقات الاخری التی هی دون الطبقات آنفه الذکر فهی: الأولی الملوک الذین اوجبت نعمهم تعظیمهم فی الکتب، و الثانیه الوزراء و کتابهم و اتباعهم الذین بهم تقرع ابوابهم، و الثالثه العلماء الذین یجب توقیرهم فی الکتب لشرف العلم و علو درجه اهله. و الرابعه لأهل القدر و الجلاله و الظرف و العلم و الأدب، فانهم یضطرونک بحده اذهانهم و شده تمییزهم و انتقادهم، الی الاستقصاء عن نفسک فی مکاتبتهم(۲).

کما یوصی ابن المدبر الکاتب بالاهتمام بصدد کتابه، و ینصحه باختیار الألفاظ و المعارف بما یناسب الموضوع الذی یکتب فیه، و یبین له انسب الأوقات للکتابه، فیقول: «و لیکن فی صدر کتابک دلیل واضح علی مرادک، و افتتاح کلامک شاهد علی مقصدک .. و لا تطیلن صدر کلامک اطاله تخرجه من حده، و لا تقصر به عن حقه»(۳). «و اذا حاولت صنعه رساله او انشاء کتاب فزن اللفظه قبل ان تخرجها بمیزان التصریف اذا عرضت ... وادر الالفاظ فی اماکنها، و اعرضها علی معانیها، و قلبها علی جمیع وجوهها حتی تقع موقعها»(۴). «و ارتصد لکتابک فراغ قلبک و ساعه نشاطک، فتجد ما یمتنع علیک بالکد و التکلف. لأن سماحه النفس بمکنونها وجود الاذهان بمخزوناتها،

۱- نفس المصدر/ ۱۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۱.

۳- نفس المصدر/ ۲۲.

۴- نفس المصدر/ ۲۹.

انما هو مع الشهوه المفرطه فی الشی ء، و المحبه الغالبه فیه، و الغضب الباعث فیه ذلک»(۱).

و بالنظر لأهمیه الکتاب و الحاجه الیهم فقد کونوا طبقه لها زیها الخاص، و اشترطوا مواصفات معینه فیمن ینتسب الیها.

فقد اشترطوا فی صفات الکاتب «طول القامه، و صفر الهامه، و خفه اللهازم، و کثافه اللحیه، و صدق الحس، و لطف المذهب، و حلاوه الشمائل، و ملاحه الزی»(۲). حتی قال احدهم لابنائه:

تزیوا بزی الکتاب فان فیهم ادب الملوک و تواضع السوقه(۳).

و یری النویری ان من کمال صفات الکاتب ان یکون بهی الملبس، نظیف المجلس، ظاهر المروءه، عطر الرائحه، دقیق الذهن، صادق الحس، و حسن البیان، رقیق حواشی اللسان، حلو الاشاره، ملیح الاستعاره(۴).

۱- الرساله العذراء/ ۳۰.

۲- نفس المصدر/ ۸.

۳- نفس المصدر/ ۹ و عیون الاخبار ۱/ ۴۶.

۴- نهایه الارب ۷/ ۱۲.

الفصل الثالث القضاء فی عهد سامرا

۱- مقدمه:

یعتبر القضاء من المناصب الدینیه الرئیسه فی الاسلام، لانه منصب الفصل بین الناس فی الخصومات حسما للتداعی و قطعا للتنازع، و ذلک بموجب الشریعه المستنده الی الکتاب و السنه(۱).

و قد تطور هذا المنصب و استقرت اسسه فی العهود التی سبقت انتقال عاصمه الدوله العربیه الی سامرا من حیث الشروط التی یجب توفرها فیمن یتولاه، و الصلاحیات التی یمارسها، و الواجبات التی علیه ان یلتزم بها، و علاقته بالدوله. و قد اسهب الفقهاء فی بیان ذلک، و منهم القاضی ابو الحسن الماوردی و القاضی ابو یعلی الحنبلی. فقد عقد کل منهما فی کتابه «الأحکام السلطانیه» بابا خاصا بالقضاء و احکامه، و تناول کل منهما الموضوع من الناحیتین الفقهیه و الاداریه.

۱- مقدمه ابن خلدون/ ۱۲۰.

و هنـاک شـروط معینه یجب ان تتوفر فیمن یعین للقضـاء، و اهمهـا: الاسـلام، و الحریه، و کمـال العقل، و سـلامه الحواس، و ان یکون اهلا للاجتهاد فیما یجوز له ان یقضی بین الناس(۱).

و اهم واجبـات القاضـی ان یسوی فی الحکم بین القوی و الضـعیف، و ان یعـدل فی احکـامه فلا یتبع هواه فی تقصـیر المحق او ممالاه المبطل(۲). و قد اتسـعت سـلطات القاضی فی خلال العهد العباسی الأول، فبعد ان کان ینظر فی القضایا المدنیه و الجنائیه اصبح ینظر فی قضایـا اخری تتعلق بالحقوق العامه کالنظر فی شؤون الاوقاف و التصـرف بمواردها، و تنفیـذ الوصایا، و النظر فی اموال المحجور علیهم من المجـانین و الیتـامی و اهـل السـفه، و تزویـج الأیـامی عنـد فقـد الأولیـاء، و اقامه الحـدود الـدینیه علی مستحقیها. و قد تضاف الیه احیانا الشرطه او المظالم او الحسبه او دار الضرب او بیت المال(۳).

و یعتبر الخلیفه ابو جعفر المنصور اول من عیّن القضـاه فی الأمصار، و کان تعیینهم قبل ذلک یتم محلیا من قبل الولاه(۴). و کان القاضـی یعین مشافهه او بالعهد کتابه. و کان عهد التعیین یتضـمن تحدید منطقه عمل القاضی، و تعیین القضایا التی ینظر فیها. و قد اورد قدامه بن جعفر نسـخه من عهد تولیه احد القضاه، و هو یتضمن توجیهات الخلیفه له حول عمله بما یؤمن العدل و تطبیق احکام الشریعه، و توجیهات اخری(۵).

۱- الاحکام السلطانیه للماوردی/ ۵۴.

۲- نفس المصدر/ ۵۹.

۳- مقدمه ابن خلدون/ ۱۲۱.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۳۸۹.

۵- الخراج و صناعه الکتابه/ ۳۹- ۴۰.

و كان الخلفاء عند تعيين القضاه فى الولايات يتوخون الأنسجام بين الوالى و القاضى المعين، و ذلك ضمانا لعدم قيام النزاع بين السلطتين التنفيذيه و القضائيه.

و يعاون القاضى فى اداء مهمته اضافه الى الشهود و الى من يقوم بالتحرى عن عدالتهم و عدم ارتكابهم ما يمنع من قبول شهاداتهم، عدد من الموظفين يؤلفون معه ديوان القضاء. فكان هناك كاتب الاحكام الذى يجب ان يكون عارفا بعلوم الشريعه و حدودها و له خبره بالاقرار و الانكار، و دربه باحكام الوكالات و الشهود و طبقاتهم(۱). و كاتب آخر يتولى عرض الدعاوى و الخصومات، و خازن يقوم بخزن اوراق القاضى و احضارها عند الطلب، و عدد من الحرس و الأعوان يتولون حمايه مجلس القضاء و تنفيذ الأحكام(۲).

و كان اللباس الرسمى للقاضى الطيلسان الاسود و العمامه السوداء(۳). اما رواتب القضاه فقد كانت زهيده اول الأمر، فقد عين الخليفه المهدى المفضل بن فضاله قاضيا على مصر و اجرى عليه ثلاثين دينارا فى كل شهر(۴). ثم زيدت رواتبهم فبلغت فى ايام المتوكل على اللّه لبعض القضاه مائه و ثمانيه و ستين دينارا فى كل شهر(۵).

۱- سلوك المالك/ ۱۵۹- ۱۶۰.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۵۷۴.

۳- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۵۲۲.

۴- نفس المصدر/ ۳۷۷.

۵- نفس المصدر/ ۵۰۷.

۲- قاضی القضاه:

اشاره

انشی ء فی العهد العباسی الاول منصب قاضی القضاه، ای رئیس القضاه، و کان یقیم فی حاضره الخلافه لیکون علی مقربه من الخلیفه الذی لا یستطیع الاستغناء عنه فی الامور و القضایا الفقهیه و الشرعیه. و کان قاضی القضاه یولی من یراه لمنصب القضاء فی الأمصار و الأقالیم ممن تتوفر فیهم شروط القضاء و صفاته، بعد ان یستحصل موافقه الخلیفه علی ذلک. و یعتبر ابو یوسف یعقوب ابن ابراهیم صاحب کتاب الخراج و قاضی هارون الرشید اول من اشغل هذا المنصب فی الدوله العربیه فی عهد العباسیین ببغداد.

اما فی عهد سامرا فقد تولی هذا المنصب سته من کبار الفقهاء هم علی التوالی: احمد بن ابی دواد، و یحیی بن اکثم التمیمی، و جعفر بن عبد الواحد الهاشمی، و جعفر البرجمی، و الحسن بن ابی الشوارب، و علی بن ابی الشوارب، و فی الصفحات التالیه تعریف موجز بکل منهم.

احمد بن ابی دواد:

ابو عبد الله احمد بن ابی دواد بن جریر بن مالک الأیادی.

اصله من قنسرین بین حلب و معره النعمان. و یقال ان اسم ابی دواد الفرج، الا ان المأمون کان سأل احمد عن اسم ابیه فاجاب هو اسمه، و یؤید الخطیب البغدادی ان کنیته اسمه(۱). ولد

۱- تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۱- ۱۴۲.

بالبصره و فيها نشأ، و نبغ فى الفقه و علم الكلام. و هو احد القضاه المشهورين من المعتزله، و رأس محنه القول بخلق القرآن.

تلـك الحركه التى شـغلت الخلافه العباسـيه و العـالم الاسـلامى على عهـد المأمون و المعتصم بالله و الواثق باللّه و قسم من عهد المتوكل على اللّه. اذ حمل المعتصم باللّه و ابنه الواثق من بعـده الفقهاء و القضاه على الامتحان بـذلك. كان ابن ابى دواد واسع الاطلاع على اخبار العرب و انسابهم، فصيح المنطق قوى الحجه. قال ابو العيناء:

مـا رأيت رئيسـا افصـح قط و لا انطق من ابن ابى دواد(۱). و هو اول من افتتـح الكلام مع الخلفاء، اذ كانوا لا يبـدأهم احـد حتى يبدأوه(۲). و له شعر جيد، و من شعره قوله(۳):

ما انت بالسبب الضعيف و انمانجح الامور بقوه الأسباب

فاليوم حاجتنا اليك فانمايدعى الطبيب لشده الأوصاب

اتصـل ابن ابى دواد بـاربعه من خلفـاء بنى العبـاس: المـأمون و المعتصم باللّه و ابنيه الواثق باللّه و المتوكل على اللّه. و كان مقربا اليهم محترما لـديهم ما خلا فتره قصـيره فى اواخر ايامه على عهـد المتوكل على اللّه. اتصل اول امره بالخليفه المأمون، قـدمه اليه قاضيه يحيى بن اكثم، فاعجب به، حتى انه قال عنه: اذا استجلس

۱- تاريخ بغداد ۴/ ۱۴۲، و وفيات الاعيان ۱/ ۶۳.

۲- وفيات الاعيان ۱/ ۶۳.

۳- الفهرست/ ۲۵۴، و تاريخ بغداد ۴/ ۱۴۳.

الناس فاضلا فمثل احمد(۱). و قد حاز ثقته فركن اليه. و عند ما اوصى الى اخيه ابى اسحاق جاء فى وصيته «و ابو عبد الله احمد ابن ابى دواد لا يفارقك و اشركه فى المشوره فى كل امرك»(۲).

و لما استخلف المعتصم بالله جعل ابن ابى دواد قاضى القضاه و مستشاره الخاص، و لم يكن يخرج عن رأيه. قال الحسين بن الضحاك الشاعر لبعض المتكلمين: ان ابن ابى دواد عندنا لا يحسن اللغه و عندكم لا يحسن الكلام و عند الفقهاء لا يحسن الفقه، و لكن عند المعتصم باللّه يعرف هذا كله(۳). و مع ما فى هذا القول من التجنى و المبالغه بانكار معرفه ابن ابى دواد شيئا مما ذكره ابن الضحاك، فان تقدير المعتصم باللّه له امر طبيعى اذا ما قورن علمه و معرفته بالفقه و علم الكلام بجهل المعتصم اللّه الذى كان اميا رغم فصاحته(۴). و الواقع ان وجوده الى جانب الخليفه عدل من مزاجه وحد من قسوته. لأن المعتصم باللّه كان متسرعا عجولا، فاذا اسرع اليه الغضب هدأه ابن ابى دواد و اراه وجه التوءده و الأناه، فلا يسعه الا ان يسير فى سبيلهما. فصار لأحمد من الداله عليه و سمو المركز لديه، ما يستعين به على الخير و الصلاح. فكانت له معه مواقف جليله حاسمه معتمدا فيها على ثقته به و تأييده اياه فى كل ما يقول و يفعل.

و من هذه المواقف انقاذه ابى دلف القاسم بن عيسى العجلى عند ما حاول القائد التركى الأفشين اغتياله(۵). اذ ذهب ابن ابى

۱- وفيات الاعيان ۱/ ۶۴.

۲- الطبرى ۸/ ۶۴۹.

۳- وفيات الاعيان ۱/ ۶۶ و الفرج بعد الشده ۲/ ۶۶- ۷۵.

۴- العقد الفريد ۲/ ۴۴۰، و تاريخ الخلفاء/ ۳۳۴.

۵- وفيات الاعيان ۱/ ۶۴- ۶۵.

دواد الی دار الافشین و استنقد ابا دلف باسم الخلیفه الذی اقره علی فعله، و عنف الأفشین فیما کان عزم علیه. و یظهر ان الأفشین کـان یمهـد للوثوب بان یتخلص من القواد العرب الموالین للخلافه العباسیه، و لا ریب ان هـذا ما دفع ابن ابی دواد الی انقاذ ابی دلف و اقرار المعتصم باللّه مبادرته.

و عنـد مـا غضب الخلیفه علی محمـد بن الجهم و امر بضـرب عنقه، انقـذه ابن ابی دواد بمـا ارضـی المعتصم بـاللّه ساعه غضبه، بحیث امر بحبس ابن الجهم حتی یحقق معه(۱). و لما قرر المعتصم باللّه معاقبه القائد خالد بن یزید الشیبانی لجأ هذا الی ابن ابی دواد لیشـفع له عنـد الخلیفه، فکلمه فلم یجبه. و لما جلس الخلیفه لمعاقبه خالد حضـر ابن ابی دواد المجلس و جلس دون مکانه المعتاد، و وقف من الخلیفه موقفا جعله یرضـی عن خالد و یخلع علیه و یکرمه. فلما خرج خالد و علیه الخلع، و کان بعض اتباعه فی الخارج یتوقعون الأیقاع به، صاح احدهم: الحمد للّه خلاصک یا سـید العرب. فقال خالد: اسـکت، سید العرب و اللّه ابن ابی دواد(۲).

و فی ثنایا مصادر التاریخ العربی بعض الأخبار مما یستدل منها علی شده احترام المعتصم بالله قاضی قضاته ابن ابی دواد.

فقد جاء فی تاریخ بغداد ان احمد بن ابی دواد قال: عند ما کنا بعموریه قال لی المعتصم بالله ما تقول یا ابا عبد الله فی البسر؟

فقلت: یا امیر المؤمنین نحن ببلاد الروم و البسر بالعراق. قال

۱- نفس المصدر.

۲- وفیات الاعیان ۱/ ۷۰- ۷۱، و الفرج بعد الشده ۲/ ۶۰- ۶۲.

قد وجهت الی مدینه السلام فجاءونی بکباستین، و قد علمت انک تشتهیه. ثم قال یا ایتاخ هات احدی الکباستین. فجاء بکباسه بسر، فمد المعتصم باللّه ذراعه و قبض علیها بیده، و قال: کل بحیاتی علیک من یدی. فقلت: جعلنی اللّه فداک یا امیر المؤمنین، بل تضعها فآکل کما ارید: لا و اللّه الا من یدی. فواللّه ما زال حاسرا ذراعه و مادا یده و انا اجتنی من العذق(۱). و قال ابن ابی دواد انه رکب یوما مع المعتصم باللّه فانتهوا الی واد لا یعرف غور مائه، فقال الخلیفه لرحال ابن ابی دواد: مکانک حتی اتقدم فاعرف غور الماء و اطلب قلته و اتبع انت سیری. و تقدم رجل فدخل الوادی و جعل یطلب قله الماء، و تبعه المعتصم باللّه فمره ینحرف عن یمینه و اخری عن شماله و تاره یمضی لسننه، و نحن نتبع اثره حتی قطعنا الوادی(۲).

لقد کان ابن ابی دواد یمثل الروح العربیه الأصیله فی الکرم و الأیثار و النخوه، تلک الروح التی ساعدت العرب علی الاحتفاظ بمقامهم فی الدوله فی عهد العباسیین، رغم سیطره الجند الاتراک و سلطان قوادهم. کما کان کریما جوادا، حتی قیل انه لم یر فی ابناء جنسه اکرم و لا انبل و لا اسخی(۳). و رآه اعرابی فقال: صفته شافیه للقلوب، و نصحیته جالبه للمنافع(۴).

و کان ابن ابی دواد یعزف عن مجالس اللهو و یکره سماع الموسیقی و الغناء. یروی عنه انه قال: کنت اعیب الغناء و انکر

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۵.

۲- نفس المصدر.

۳- الفهرست/ ۲۵۴.

۴- البصائر و الذخائر ۱/ ۱۳۳.

امر الطرب على الناس و ما يستفز الناس منه و يغلب على عقولهم، و اناظر المعتصم باللّه فى ذلك. حتى كان يوم خرج فيه المعتصم باللّه الى الشماسيه فى حراقه يشرب، و وجه فى طلبى فصرت اليه.

فلما قربت منه سمعت غناء حيرنى و شغلنى عن كل شى ء، فسقط سوطى من يدى، فالتفت الى غلامى اطلب منه سوطه، فقال لى:

قد سقط منى لصوت سمعته فشغلنى عن كل شى ء، فاذا قصته قصتى. فلما دخلت على المعتصم باللّه اخبرته بالأمر، فضحك و قال: هذا عمى ابراهيم بن المهدى كان يغنينى:

ان هذا الطويل من آل حفص نشر المجد بعد ما كان ماتا

فان ثبت مما كنت تناظرنا عليه فى ذم الغناء، سألته ان يعيده. ففعلت و امره باعاده غنائه. فبلغ بى الطرب حدا كبيرا بحيث رجعت عن رأى فى الغناء منذ ذلك اليوم(۱).

و قد عرف احمد بن ابى دواد بحبه الأدب و رعايه الادباء و الشعراء و اغداقه عليهم، و اعاله بعضهم بحيث انهم افتقدوه عند موته. و كان الجاحظ ملازما محمد بن عبد الملك الزيات خاصا به، و منحرفا عن ابن ابى دواد للخصومه التى كانت بين الأثنين. فلما قتل ابن الزيات جى ء بالجاحظ مقيدا الى قاضى القضاه فانبه و عاتبه، الا انه سرعان ما عفا عنه و اطلق سراحه(۲). فنال الجاحظ بعد ذلك حظوه لديه عند ما اهدى اليه كتابه «البيان

۱- الآغانى ۱۰/ ۱۰۶- ۱۰۷.

۲- معجم الادباء ۶/ ۵۸- ۵۹، و الفرج بعد الشده ۱/ ۳۶۱.

و التبین» فاعطاه خمسه الاف دینار. و لعل من المناسب ان ننقل نص کلمه الاهداء التی صدر بها الجاحظ الکتاب. یقوم امام الادباء: «حفظک اللّه و ابقاک و امتع بک، و جعل ما بینی و بینک من ود موصولا أبد الدهر. فقد عرفتک صدیقا لا یشوب صداقته زیف من شوائب الدنیا. و عرفتک علی تقادم العهد و تطاول الزمان، أخا ثابت الاخاء، وثیق النفس، لیس کمن یدور بخلته بین الناس ملتمسا بها الغنم و باغیا بها النفع. فکان ذلک، ایدک اللّه، مما اکبرک فی عینی و اعظمک فی نفسی. و بسطنی ان اقدم الیک هذا الکتاب الخالد، لتری فیه، و لتعلم ایها السمی الکریم، أنی احفظ لک فی نفسی مثل ما تحفظ لی من وفاء، و اطوی لک صدری مثل ما تطوی من ولاء»(۱).

کما مدحه ببضعه ابیات من الشعر بمناسبات مختلفه، منها قوله(۲):

و عویص من الامور بهیم غامض الشخص مظلم مستور

قد تسهلت ما توعر منه بلسان یزینه التحبیر

مثل وشی البرود هلهله النسج و عند الحجاج در نثیر

حسن الصمت و المقاطع امانطق القوم و الحدیث یدور

۱- البیان و التبین ۱/ ۳.

۲- نفس المصدر/ ۲۲۳، و معجم الادباء ۶/ ۵۹- ۶۰، مع تغییر طفیف.

ثم من یعد لحظه تورث الیسر و عرض مهذب موفور

و مدح بعض الشعراء القاضی بن ابی دواد، و علی رأسهم ابو تمام الطائی الذی امتدحه بقصائد عدیده فی مناسبات مختلفه قال فی احدی قصائده فی مدحه(۱):

یا ابا عبد الله أوریت زندافی یدی کان دائم الاصلاد

انت جبت الظلام عن سبل الآمال اذ ضل کل هاد و حاد

کادت المکرمات تنهد لو لاأنها أیدت بحی ایاد

و قال فی قصیده اخری یمدحه بها(۲):

لقد انست مساوی ء کل دهرمحاسن احمد بن ابی دواد

متی تحلل به تحلل جنابارضیعا للسواری و الغوادی

توشح نعمه الأیام فیه و تقسم فیه ارزاق العباد

و ما اشتبهت طریق المجد الاهداک لقبله المعروف هاد

۱- القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۳۵۶- ۳۶۸.

۲- القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۳۶۹- ۳۸۲.

و ما سافرت فی الآفاق الاو من جدواک راحلتی و زادی

و عند ما ولی احمد ابن ابی دواد دیوان المظالم مدحه ابو تمام بقصیده انطوی قسم منها علی بعض الحکم، و مطلعها(۱).

ألم یأن بأن تروی الظماء الحوائم و أن ینظم الشمل المشتت ناظم

و یقول فیها:

ینال الفتی من عیشه و هو جاهل و یکدی الفتی فی دهر و هو عالم

و لو کانت الارزاق تجری علی الحجاهلکن اذن من جهلهن البهائم

الی ان یقول:

الی احمد المحمود رامت بنا السری نواعب فی عرض الفلا و رواسم

الی سالم الاخلاق من کل عائب و لیس مال علی الجود سالم

له من ایاد قمه المجد حیثماسمت و لها منه البنا و الدعائم

۱- القصیده فی دیوان ابی تمام ۳/ ۱۷۶- ۱۸۳.

ثم ینتهی بقوله:

اذا انت لم تحفظه لم یک بدعهو لا عجبا أن ضیعته الأعاجم

فقد هز عطفیه القریض توقعالعدلک مذ صارت الیک المظالم

و لو لا خلال سنها الشعر ما دری بغاه الندی من این توتی المکارم

کما مدح الشاعر ابو حفصه مروان بن ابی الجنوب ابن ابی دواد بقوله(۱):

لقد حازت نزار کل مجدو مکرمه علی رغم الاعادی

فقل للفاخرین علی نزارو منهم خندف و بنو ایاد

رسول اللّه و الخلفاء مناو منا احمد ابن ابی دواد

و لیس کمثلهم فی غیر قومی بموجود الی یوم التنادی

و لما اصابته العله البارده- الفالج و عجز عن الکلام قال ابن ابی الجنوب فیه(۲):

۱- وفیات الاعیان ۱/ ۶۹.

۲- تاریخ بغداد ۴/ ۱۵۰.

لسان احمد سيف مسه طبع من عله، فجلاها عنه جاليها

ماضر احمد باقی عله درست و اللّه يذهب عنه رسم باقيها

موسی بن عمران لم ينقص نبوته ضعف اللسان به قد كان يمضيها

قد كان موسی علی علات منطقه رسائل اللّه تأتيه يؤديها

و قـد هجا ابن ابی دواد شـعراء آخرون، و علی رأسـهم البحتری الذی كان ينقم عليه انه رأس المحنه بالقول بخلق القرآن، و لذا فقد هجاه و هجا كتابه بعده قصائد. فقد قال يهجوه(۱):

يا احمد بن ابی دوادو الحادثات بكل ناد

ماذا رأيت اذا انتسبت الی اياد فی اياد

و هجاه بقصـيده اخری عند ما رفع المتوكل علی اللّه المحنه، باعتبار ان ابن ابی دواد هو المسؤول عن قيامها، و سنأتی علی بعض ابياتها فيما بعد.

و هجا الشاعر هفان المهزمی ابن ابی دواد عند ما سمع مدح مروان بن ابی الجنوب فيه، فقال يعارضه(۲):

۱- ديوان البحتری.

۲- وفيات الاعيان ۱/ ۷۰، و تاريخ بغداد ۴/ ۱۴۳.

فقل للفاخرين على نزارو هم فى الأرض سادات العباد

رسول اللّه و الخلفاء مناو نبرأ من دعى بنى اياد

و ما منا اياد ان اقرت بدعوه احمد بن ابى دواد

فلما بلغت هذه الأبيات ابن ابى دواد قال: ما بلغ منى احد ما بلغ هذا الغلام المهزمى، لو لا انى اكره ان انبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب احد بمثله جاء الى منقبه لى فنقضها عروه عروه.

كما هجاه ابو الحجاج الأعرابى بقوله(۱):

نكست الدين يا ابن ابى دوادفأصبح من اطاعك فى ارتداد

زعمت كلام ربك كان خلقاأمالك عند ربك من معاد؟

كلام اللّه انزله بعلم و أنزله على خير العباد

و من امسى ببابك مستضيفاكمن حل الفلاه بغير زاد

۱- نشوار المحاضره ۵/ ۲۲۰، و تاريخ بغداد ۴/ ۱۵۳ و فيه« اظرفت» فى اول البيت الاخير.

لقد أطرفت یا ابن ابی دوادبقولک اننی رجل ایادی

و من الشعراء المشهورین الذین هجوا ابن ابی دواد الشاعر الهجاء دعبل الخزاعی. فقد کان ابن ابی دواد یطعن بالشاعر المذکور بحضره المأمون و المعتصم باللّه و یسبه تقربا الیهما لأنهما یبغضانه لطول لسانه. فلما تزوج ابن ابی دواد بامرأتین من قبیله عجل فی سنه واحده قال دعبل یهجوه بابیات مقذعه، منها(۱):

غصبت عجلا علی فرجین فی سنهافسدتهم ما اصلحت من نسبک

و لو خطبت الی طوق و اسرته فزوجوک لما زادوک فی حسبک

ان کان قوم اراد اللّه خزیهم فزوجوک ارتغابا منک فی ذهبک

فذاک یوجب ان النبع تجمعه الی خلافک فی العیدان او غربک

و لو سکت و لم تخطب الی عرب کما نبست الذی تطویه من سببک

عد البیوت التی ترضی بخطبتهاتجد فزاره العکلی من عربک

۱- دیوان دعبل/ ۶۹، و الاغانی ۲/ ۱۳۴- ۱۳۵.

و لما ولی الواثق باللّه الخلافه ابقی ابن ابی دواد علی قضاء القضاه، و قد حسنت حاله لدیه، و بقی علی ما کان علیه من سعه النفوذ و التأثیر علی الخلیفه. و کان الیه تعیین القضاه، فلم یعیّن الا من کان من القائلین بخلق القرآن.

و قد استمر الواثق باللّه فی مناحره المعتزله بتأثیر ابن ابی دواد، بل لقد تطرف و اشتد فی محاربه اهل السنه، حتی انه قتل الفقیه احمد بن نصر الخزاعی لأنه لم یستجب الی دعوته بالقول بخلق القرآن. و کان ابن ابی دواد هو الذی تولی محاکمته بحضره الخلیفه مع عدد آخر من الفقهاء، و قد فصلنا ذلک فی الفصل الخاص بالمحنه.

کان الواثق باللّه شدید الاعجاب باحمد بن ابی دواد، و یستشیره فی معظم اموره و یعمل بمشورته. و قد امره ان یصلی بالناس فی یوم عید، و کان علیلاً فلما انصرف من الصلاه، قال له: یا ابا عبد اللّه کیف کان عیدکم؟ قال: کنا فی نهار لا شمس فیه. فضحک الواثق بالله و قال: یا ابا عبد الله انا مؤید بک(۱).

قال احمد بن ابی دواد: دخلت یوما علی الواثق بالله، فقال لی: ما زال قوم فی ثلبک و نقصک. فقلت: یا امیر المؤمنین «لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِیمٌ»(۲) و اللّه ولی جزائه، و عقاب امیر المؤمنین من ورائه، و ما ذل من کنت ناصره، و لا ضاع من کنت حافظه فماذا قلت لهم؟

قال: قلت.

۱- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۸.

۲- الآیه(۱۱) من سوره النور.

و سعی الی بعیب عزه نسوهجعل الأله خدودهن نعالها

و قال الواثق یوما لابن ابی دواد، و قد ضجر من کثره حوائجه: ان بیوت الأموال خلت بطلباتک للائذین بک و المتوسلین الیک. فقال: یا امیر المؤمنین، نتائج شکرها متصله بک، و ذخائر اجرها مکتوبه لک، و مالی من ذلک الاعشق الأنس بحلو المدح فیک. فقال: یا ابا عبد الله لا منعناک ما یزید فی عشقک و یقوی همتک، فتناولنا بما احببت(۱).

و لما توفی الواثق باللّه حضر ابن ابی دواد ساعه وفاته فاغمضه و اصلح من شأنه، و صلی علیه و انزله قبره(۲). و حضر مع بقیه رجال الدوله و القواد الاجتماع الذی عقد فی دار الخلافه لاختیار خلیفه للواثق باللّه. و قد أبعد ابنه لصغر سنه، فشارک فی اختیار اخی الواثق باللّه جعفر بن المعتصم بالله، و هو الذی البسه الطویله و عممه و سلم علیه بالخلافه، و اقترح ان یلقب بالمتوکل علی الله.(۳)

و کان ابن ابی دواد یحسن معامله جعفر فی عهد اخیه الواثق باللّه الذی کان یجفوه و یحنق علیه. و قد کلمه ابن ابی دواد فی ذلک و اقسم علیه بحق ابیه المعتصم باللّه ان یرضی عنه، فرضی الواثق باللّه عن اخیه. فلما استخلف جعفر ابقاه علی رئاسه القضاء. الا ان ابن ابی دواد اصیب بالفالج فی جمادی الآخره سنه (۲۳۳ ه) و رغم ذلک ابقاه الخلیفه فی منصبه حتی اواخر شهر

۱- تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۵۰- ۱۵۱.

۳- الطبری ۹/ ۱۵۴- ۱۵۵، و الکامل ۷/ ۳۴.

صفر من سنه (۲۳۷ ه) فغضب علیه و عزله من رئاسه القضاء و امر بالقبض علی ضیاعه و املاکه، و حبس ابنه ابا الولید و سائر اولاده. فحمل ابو الولید الی المتوکل علی اللّه مائه و عشرین الف دینار و جواهر قیمتها عشرون الف دینار، ثم صولح بعد ذلک علی سته عشر الف الف درهم، و اشهد الخلیفه علیهم جمیعا ببیع املاکهم(۱). و یظهر مما ذکره ابن وکیع القاضی ان احمد ابن ابی دواد کان یمیل الی الامویین(۲). الا ان هذا القول لا یمکن الاعتداد به لأن خدمه ابن ابی دواد الطویله برهنت علی اخلاصه لبنی العباس، و لم یکن هناک سبب واضح لغضب الخلیفه علیه سوی طبیعه المتوکل علی اللّه المتقلب المزاج، و حسده ذوی النعمه و المکانه من رجاله، مما سیأتی ذکره فی فصول قادمه.

توفی احمد بن ابی دواد فی المحرم من سنه (۲۴۰ ه)(۳) و نقل عنه انه قال: ولدت سنه ستین و مائه(۴) و هذا یتفق مع ما جاء فی کتاب العبر من انه مات و له ثمانون سنه(۵). و عند ما شیعت جنازته وقف ببابه جماعه من الشعراء، فقالوا: یدفن من کان علی ساقه الکرم و تاریخ الأدب و لا یتکلم فیه، فقال احدهم(۶):

الیوم مات نظام الفهم و اللسن و مات من کان یستعدی علی الزمن

۱- الطبری ۹/ ۱۸۹، و الکامل ۷/ ۵۹.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۲۹۸.

۳- الطبری ۹/ ۱۹۷، و الکامل ۷/ ۷۵.

۴- وفیات الاعیان ۱/ ۷۳.

۵- العبر ۱/ ۴۳۱.

۶- وفیات الاعیان ۱/ ۷۴.

و اظلمت سبل الآداب اذ حجبت شمس المکارم فی غیم من الکفن

و تقدم آخر فقال:

ترک المنابر و السریر تواضعاو له منابر لو یشا و سریر

و لغیره یجبی الخراج و انماتجبی الیه محامد و اجور

و قال ثالث:

و لیس فتیق المسک ریح حنوطه و لکنه ذاک الثناء المخلف

و لیس صریر النعش ما تسمعونه و لکنها اصلاب قوم تقصف

یحی بن اکثم التمیمی:

ابو محمد، یتصل نسبه باکثم بن صیفی التمیمی حکیم العرب المشهور. بدت علیه علائم النباهه فی سن مبکره، فقد جلس لسماع الحدیث علی عبد اللّه بن المبارک، و هو صغیر السن، فاحتفل ابوه بهذه المناسبه فصنع طعاما و دعا الناس متفاخرا بابنه(۱).

و عبد اللّه بن المبارک من علماء العرب فی خراسان، و من قبیله بنی تمیم کذلک. و قد جمع الحدیث و الفقه و اللغه و قضی عمره فی

۱- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۲.

الاسفار حاجا و مجاهدا و تاجرا، توفی سنه (۱۸۱ ه) فی هیت علی الفرات منصرفا من غزو الروم(۱).

لقد نشأ یحیی عالما بالفقه بصیرا بالاحکام، و کان عالما بالقرآن و الحدیث و اللغه، متکلما، فاذا جادل رجلا اتاه من جمیع الابواب حتی یفحمه، فاذا وجده یحفظ الحدیث سأله عن الفقه، و اذا رآه یحفظ الفقه سأله عن النحو، فاذا رآه ملما به سأله عن الکلام، حتی یقطعه و یخجله، و یعزو الخطیب البغدادی ذلک الی شده حسده(۲). و لکنه علی ایه حال دلیل علی سعه علمه و تعدد معارفه.

و کان یحیی مع فقهه وسعه علمه من ادهی الناس و اخبرهم، حاضر البدیهه، سریع الجواب. و قد تولی قضاء البصره و سنه احدی و عشرون سنه، فاستصغره شیوخها فامتحنوه، فقالوا، کم سن القاضی؟ قال: سن عتاب بن اسید حین ولاه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی مکه، فجعل جوابه احتجاجا(۳). و لقیه مره رجل، و هو یومئذ قاضی القضاه، فقال له اصلح اللّه القاضی، کم آکل؟ قال: فوق الجوع و دون الشبع، فقال: فکم اضحک؟ قال:

حتی یسفر وجهک و لا یعلو صوتک، قال: فکم ابکی؟ قال: لا تمل البکاء من خشیه اللّه تعالی، قال: کم اخفی من عملی؟ قال: ما استطعت، قال: فکم أظهر منه؟ قال: ما یقتدی بک البر و یؤمن علیک قول الناس(۴).

۱- الاعلام ۴/ ۲۵۶.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۵، و وفیات الاعیان ۵/ ۲۰۲.

۳- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۸، و وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۹ بروایه اخری.

۴- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۰.

و قد اتهم يحيى بن اكثم ببعض الهنات التى اشيعت عنه و هو منها برى ء. و مما يؤيد انها نسبت اليه بهتانا انه ذكر للامام احمد ابن حنبل عنه و ما يرميه بعض الناس به، فعجب من ذلک و انكره انكارا شديدا(۱). و كتب الخليفه المتوكل على اللّه الى الامام احمد يسأل عن رجلين احدهما يحيى بن اكثم، فكتب اليه: اما فلان فلا و لا كرامه، و اما يحيى بن اكثم فقد ولى القضاء فما طعن عليه احد(۲). و لما قدم احمد بن المعذل و هو من فقهاء المالكيه على المتوكل على اللّه، ذكر يحيى بن اكثم فى مجلس الخليفه، فقال بعض الحاضرين: ذاک صاحب غلمان، فستر ابن المعذل وجهه، و قال: سبحانک هذا بهتان عظيم(۳). و يقول ابن وكيع القاضى كان يحيى كثير المزاح لا يدع الهزل فى مجلسه، و له طرائف فى الهزل(۴). و روى عن احد العلماء قوله: كان يحيى بن اكثم لا يدع العبث و النظر، فاما ما وراء ذلک فلا، و اللحمد للّه(۵). و مما يؤيد ما ذكره ابن وكيع ان احد البلغاء سئل عن يحيى بن اكثم و احمد بن ابى دواد، أيهما انبل؟ فقال: كان احمد يجد مع جاريته و ابنته، و يحيى يهزل مع خصمه و عدوه(۶). و لعل ميل يحيى الى الهزل و أنسه بالناس و ممازحتهم سببت له تلک السمعه المشينه.

و لا ينكر ان من يكون فى منزلته العلميه و الاجتماعيه لا يخلو ممن يحسده و يروج ما يسى ء الى سمعته و ينتقص من منزلته.

۱- وفيات الاعيان ۵/ ۲۰۱.

۲- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۱.

۳- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۵.

۴- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۶.

۵- نفس المصدر ۲/ ۱۶۴.

۶- تاريخ بغداد ۱۴/ ۱۹۸، و وفيات الاعيان ۵/ ۱۹۸.

لقد اتصل یحیی بن اکثم بالخلیفه المأمون لما کان فی مرو، و خرج معه فی بعض غزواته الی بلاد الروم. و بعثه المأمون فی سنه (۲۱۶ ه) فی حمله الی بلاد الروم فغزا و عاد ظافرا(۱). و قد اعجب المأمون بسعه علم یحیی بالفقه و الحدیث، و غزاره ادبه، و سرعه جوابه، و قوه حجته، فقربه الیه و نادمه، فغلب علیه یحیی بحیث لم یتقدمه عنده احد من الناس(۲). و کان اذا صحب المأمون فی سفر رکب معه بمنطقه و قباء و سیق بمعالیق، و اذا کان الموسم شتاء رکب فی اقبیه الخز و قلانس السمور و السروج المکشوفه(۳).

و استصحبه المأمون الی مصر فی سنه (۲۱۷ ه) و کانت مصر بلا قاض، فأمره الخلیفه ان یجلس فی المجلس للقضاء، فجلس و قضی بین الناس لمده قصیره(۴). و یقول ابن خلکان انه حکم ثلاثه ایام(۵).

و قلده المأمون منصب قاضی القضاه و اوکل الیه تدبیر اهل مملکته، فکان وزراء الخلیفه لا یعملون شیئا الا بعد مطالعه یحیی ابن اکثم(۶). الا انه لم یلبث ان سخط علیه عند ما کان فی مصر، و یبدو ان للحسد و الوشایات دورا فی ذلک. یقول الیعقوبی ان یحیی کان قد وشی بالمعتصم الی المأمون و قال له: بلغنی انه یحاول الخلع. و کان المأمون قد وجه ابا اسحاق الی مصر عند ما استفحلت الثوره فیها فی سنه (۲۱۴ ه) فبعث الیه یأمره بالقدوم. و لما

۱- الاعلام ۴/ ۲۵۶.

۲- وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۲۲.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۴۴۱- ۴۴۲ و ۵۸۶.

۵- وفیات الاعیان ۵/ ۲۱۱.

۶- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۷- ۱۹۸، و وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۸، و العبر ۱/ ۴۳۹.

ذهب المأمون الی مصر فی اوائل سنه (۲۱۷ ه) وشـی محمـد بن ابی العباس و احمـد ابن دواد بیحیی بن اکثم الی المأمون تقربا الی ابی اسـحاق، فسـخط علیه المأمون و امر بنفیه من عسـکره و نزع السواد عنه- دلیل اقصائه من منصـبه- و اخراجه الی بغداد و امره ان لا یخرج من منزله(۱).

و یستنتج مما جاء فی وصیه المأمون الی اخیه ابی اسحاق عن یحیی بن اکثم انه اتهمه بخبث السیره و الخیانه، اذ قال: «و لا تتخذن بعدی وزیرا تلقی الیه شیئا، فقد علمت ما نکبنی به یحیی بن اکثم فی معامله الناس و خبث سیرته حتی ابان اللّه ذلک منه فی صحه منی، فصرت الی مفارقته، قالبا له غیر راض بما صنع فی اموال اللّه و صدقاته، لاجزاه اللّه عن الاسلام خیرا»(۲).

و قد ابعده المعتصم باللّه لما ولی الخلافه، عملا بوصیه اخیه.

و قد یکون لسبق و شایه یحیی عند المأمون تأثیر فی ابعاده عن مناصب الدوله. فبقی بعیدا عن القضاء طیله عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه. لأن الواثق باللّه کان شدید التأثر بعمه المأمون و یحاول ان یقتدی به فی کل اموره، فلم یستخدم یحیی طیله حکمه لأن عمه لم یکن راضیا عنه.

و عند ما غضب المتوکل علی اللّه علی قاضی القضاه احمد بن ابی دواد و عزله عن عمله فی سنه ۲۳۷ ه رضی عن یحیی بن اکثم، و کان مقیما ببغداد، فأشخصه الی سر من رأی و ولاه منصب قاضی القضاه و اضاف الیه رد المظالم(۳). و یقول الخطیب البغدادی ان

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۶۵- ۴۶۶.

۲- الطبری ۸/ ۶۴۹.

۳- الطبری ۹/ ۱۸۸، و مروج الذهب ۴/ ۹۶.

الخلیفه خلع علیه خمس خلع(۱). و قد استفتح یحیی عمله بأن ولی حیان بن بشر القضاء علی الجانب الشرقی من بغداد و سوار ابن عبد اللّه العنبری قضاء الجانب الغربی منها، و کلاهما اعور، فقال الجماز الشاعر(۲):

رأیت من الکبائر قاضیین هما احدوثه فی الخافقین

هما اقتسما العمی نصفین قداکما اقتسما قضاء الجانبین

و تحسب منهما من هز رأسالینظر فی مواریث و دین

کأنک قد وضعت علیه دنافتحت بزاله من فرد عین

هما فأل الزمان بهلک یحیی اذ افتتح القضاء باعورین

الا ان المتوکل علی اللّه سخط علی یحیی بن اکثم فی سنه (۲۴۰ ه) فعزله عن القضاء، و امر بمصادره امواله و املاکه، و أعید الی بغداد و الزم منزله. فقبض ما کان له ببغداد و مبلغه خمسه و سبعون الف دینار، و من اسطوانه فی داره الفا دینار، و اربعه آلاف جریب فی البصره(۳).

۱- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۱.

۲- الطبری ۹/ ۱۸۹.

۳- الطبری ۹/ ۱۹۷- ۱۹۸، و الکامل ۷/ ۷۴، و العبر ۱/ ۴۲۹ و فیه انه اخذ منه مائه الف دینار.

و خرج یحیی الی الحج فی سنه (۲۴۲ ه) و حمل اخته معه، و عزم علی ان یجاور و ینقطع للعباده. و یقول ابن وکیع ان المتوکل علی اللّه نفاه الی مکه(۱). و اتصل بیحیی ان الخلیفه قد رضی عنه فبدأ له فی المجاوره، و رجع یرید العراق، حتی اذا صار الی الربذه وافته المنیه فی یوم الجمعه منتصف ذی الحجه من السنه نفسها، و قیل فی مطلع السنه التالیه، و عمره ثلاث و ثمانون سنه و دفن هناک(۲).

جعفر بن عبد الواحد الهاشمی:

هو جعفر بن عبد الواحد بن سلیمان بن علی، هاشمی من البیت العباسی. کان فقیها حافظا للحدیث، لسنا بلیغا، و قد وصف بأنه رجل تصلح له الخلافه من ولد العباس لما یتمتع به من سکینه و وقار(۳). ولاه المتوکل علی اللّه منصب قاضی القضاه بسامرا فی صفر سنه (۲۴۰ ه) بعد عزل یحیی بن اکثم(۴).

و عند ما تم الاتفاق علی المفاداه مع الروم فی شوال سنه (۲۴۱ ه) طلب جعفر بن عبد الواحد ان یؤذن له فی حضور عملیه الفداء، و ان یستخلف رجلا یقوم مقامه فی اثناء غیابه، فوافق الخلیفه المتوکل علی اللّه و امر له بمائه و خمسین الف درهم معونه، و ارزاق ستین الف. فاستخلف جعفر الحسن بن ابی الشوارب، و لحق بشنیف الخادم المکلف بالفداء، و حضر معه عملیه المفاداه(۵).

۱- اخبار القضاه ۳/ ۳۰۳.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۳، و وفیات الاعیان ۵/ ۲۱۲.

۳- تاریخ بغداد ۷/ ۱۷۴.

۴- الطبری ۹/ ۱۹۸، و المنتظم ۵/ ۱۱.

۵- الطبری ۹/ ۲۰۲- ۲۰۳، و الکامل ۷/ ۷۷.

و لما آلت الخلافه الی المنتصر باللّه استمر جعفر بن عبد الواحد فی منصبه. و عند ما خلع المعتز و المؤید نفسیهما من ولایه العهد فی صفر سنه (۲۴۸ ه) بناء علی طلب اخیهما الخلیفه المنتصر باللّه، حضر قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد للشهاده علی ذلک مع کبار القواد و بنی هاشم و اصحاب الدواوین(۱).

و عند ما بویع للمستعین باللّه بالخلافه ابقی جعفر بن عبد الواحد قاضیا علی القضاه حتی ربیع الأول من سنه (۲۵۰ ه) حینما تمرد الشاکریه فبعث به الخلیفه الیهم لیستمع الی شکاواهم و یدعوهم الی الطاعه. و یظهر انه فشل فی ذلک، مما جعل القائد و صیفا یزعم بانه افسدهم. فغضب علیه الخلیفه و عزله من منصبه و امر بنفیه الی البصره(۲). و یظهر انه عفی عنه و عاد الی سامرا عند ما بویع فیها للمعتز باللّه. فقد استعان به الخلیفه المذکور لیصلح بین الجند من الاتراک و المغاربه عند ما استولی المغاربه علی الجوسق و بیت المال، فاستطاع جعفر ان یصلح ذات البین بینهما، فاصطلحا علی الا یحدثا شیئا(۳).

و لما قتل المهتدی و اشهد علی وفاته، صلی علیه جعفر بن عبد الواحد(۴). و قد توفی جعفر فی سنه (۲۵۸ ه)، و یظهر مما ذکره الخطیب البغدادی و ابو المحاسن انه کان قاضیا علی الثغور عند وفاته(۵).

۱- الطبری ۹/ ۲۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۳۴.

۳- الطبری ۹/ ۳۶۹.

۴- الطبری ۹/ ۴۶۲، و الکامل ۷/ ۲۳۳.

۵- الطبری ۹/ ۳۷۱.

جعفر البرجمی:

جعفر بن محمد بن عمار البرجمی، من اهل الکوفه من قبیله تمیم. کان یتولی قضاء الکوفه عند ما ولی منصب قاضی القضاه بسامرا، بعد ما عزل جعفر بن عبد الواحد(۱). و کان قد تولی قضاء سامرا فی سنه (۲۳۵ ه)، و تولی بعد ذلک قضاء واسط.

و کان البرجمی صلبا فی القضاء لا یسمح لأحد بالتدخل فی احکامه. و یقال ان صاحب البرید اراد ان یحضر مجلس قضائه، فقال له: من انت؟ قال: بعث بی لأجلس معک. فقال: انت متصفح وجوه حرم المسلمین، و ختم القمطر و قام. فبلغ الخلیفه ذلک فارسل الیه و ولاه قضاء القضاه(۲). و بقی البرجمی فی منصبه حتی مات فی اوائل شهر رمضان سنه (۲۵۰ ه)(۳)، ای بعد سته اشهر تقریبا من تولیه منصب قاضی القضاه.

و کان الشاعر ابو السری احمد بن بدیل قد هجاه، ثم عاد فمدحه، و مما قاله فی مدحه(۴):

سأشکر جعفرا و اقول فیه مقاله صادق فیما یقول

جبلت علی العفاف و کل فضل و جل الناس خیرهم القلیل

۱- الطبری ۹/ ۲۶۵ و ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۲۴.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۱۹۴.

۳- الطبری ۹/ ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۳۵.

۴- اخبار القضاه ۳/ ۱۹۶.

و وليت القضاء فخير وال على الأحكام ليس له عدول

و سرت كسيره العمرين حتى انار الحق و اتضح السبيل

الحسن بن محمد بن ابى الشوارب:

الاموى البصرى. ولى القضاء فى عهد المتوكل على اللّه، و هو فتى حدث السن عند ما استخلفه قاضى القضاه جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتز باللّه توليه قاض للقضاه جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتز باللّه توليه قاض للقضاه فطلب الى مؤدبه محمد بن عمران الضبى ان يسمى له عددا من الفقهاء فسمى له ثمانيه، كان فيهم الخلنجى، و الخصاف. الا ان حاشيه الخليفه اتهموهم بانهم من اصحاب احمد بن ابى دواد و انهم قدريه جهميه، اى انهم من اهل الاعتزال. فأمر المعتز باللّه باخراجهم الى بغداد، و ولى الحسن بن محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب المنصب المذكور، و ذلك فى سنه (۲۵۲ ه)(۱).

ولد الحسن بالبصره و نشأ فيها، و ابوه محمد بن عبد الملك الاموى البصرى من نسل خالد بن اسيد، و هو اخو عتاب بن اسيد الذى ولاه رسول اللّه صلى الله عليه و سلم على مكه. و كان محمد ابن عبد الملك من محدثى البصره و فقهائها. و قد اشخصه المتوكل على اللّه الى سامرا ليحدث فيها، عند ما نهى عن القول بخلق القرآن. و عند ما ورد كتاب الحسن على ابيه يعلمه بتوليه القضاء، كتب ابوه اليه: وصل كتابك بتوليتك القضاء، و حاشا لوجهك

۱- تاريخ بغداد ۷/ ۴۱۰، و المنتظم ۵/ ۲۷.

الحسن باحسن من النار(۱). ای انه یوصیه بالتمسک بالعدل فی احکامه لئلا یعرض نفسه لعذاب الآخره.

کـان الحسن من المروه و السـخاء و الکرم علی حانه لم یر علیها حاکم قط(۲). و کان الخلیفه المعتز باللّه یمتـدحه کثیرا و یقول: ما رأیت أفضل منه، و لا احسن وفاء، ما حدثنی قط فکذبنی، و لا ائتمنته قط علی شـی ء من سر او غیره فخاننی علیه، و انی لأراه یستوحش من ذکر القبیح و یحسن الثناء(۳). و لم یزل الحسن یتقلد عمله طیله ایام المعتز باللّه. و لما خلع المعتز باللّه من الخلافه فی اواخر رجب سنه (۲۵۵ ه) حضر الحسن للشهاده علی خلعه، فطلب الیه القائد صالح بن وصیف ان یکتب کتاب الخلع فاعتذر، فکتبه احد الکتاب الحاضرین. و حاول الحسن ان یؤمن سلامه الخلیفه المخلوع و ذویه. فأخذ الشهاده علی صالح بن وصیف بأن للمعتز و لاخته و امه و ابنه الأمان قبل ان یشهد علی خلعه(۴).

و لمـا تولی المهتـدی بـالله الخلافه أقر الحسن بن ابی الشوارب علی عمله فی القضـاء، الا انه بعـد مـده قصـیره حبسه و ولی عبد الرحمن بن نائل البصری قضاء سامرا. و یظهر مما ذکره ابن وکیع القاضی ان الخلیفه امر بحبس الحسن لاعتقاده بأن له علاقه بما اتهم به حماد بن اسحاق و اخاه القاضی اسماعیل بن اسحاق(۵).

۱- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۰.

۲- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۰.

۳- نفس المصدر.

۴- الطبری ۹/ ۳۹۰، و الکامل ۷/ ۱۹۶.

۵- الطبری ۹/ ۴۳۷، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۱.

و قد اعید الحسن بن ابی الشوارب الی منصبه لما تولی الخلافه المعتمد علی اللّه. و عند ما عین الخلیفه ابنه جعفرا ولیا للعهد فی شوال سنه (۲۶۱ ه) و سماه المفوض الی اللّه، و عین اخاه ابا احمد الموفق ولیا للعهد بعد جعفر، و اخذت البیعه بذلک علی الناس، و فرقت نسخ کتاب العهد فی الأمصار، بعث المعتمد علی اللّه نسخه من الکتاب المذکور مع الحسن لیعلقها فی الکعبه. فخرج الحسن الی الحج، فوافته المنیه بعد ما ادی فریضه الحج(۱). الا ان الخطیب البغدادی یقول انه توفی بمدینه السلام لثمان عشره خلت من ذی الحجه سنه ۲۶۱ ه، و یشارکه فی ذلک ابن الجوزی(۲).

و احسبه انه نقل ذلک عنه. و یقول ابن الاثیر انه توفی فی شهر رمضان من السنه المذکوره(۳). ای قبل ان یدرک موسم الحج.

علی بن محمد بن ابی الشوارب:

هو اخو قاضی القضاه الحسن بن محمد بن ابی الشوارب.

نشأ فی بیت علم وفقه، فسمع الحدیث علی محدثی عهده، و رواه.

و کان رجلا صالحا، ثقه امینا، لا مطعن علیه فی شی ء، و قد حمل الناس عنه حدیثا کثیرا(۴).

و لما توفی قاضی القضاه الحسن بن ابی الشوارب وجّه الخلیفه المعتمد علی اللّه وزیره عبید اللّه بن یحیی الی علی بن محمد بن ابی الشوارب فعزاه بأخیه و هنأه بالقضاء، فأمتنع علی عن قبول ذلک.

۱- الطبری ۹/ ۵۱۵.
۲- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۷، و المنتظم ۵/ ۲۷.
۳- الکامل ۷/ ۲۸۹.
۴- تاریخ بغداد ۱۲/ ۶۰.

الا ان عبید الله لم یبرح علیا حتی قبل المنصب، فتقلد قضاء القضاه فی سامرا، و مکث بهذا المنصب حتی وفاته(۱).

بقی علی فی منصبه حتی ایام المعتضد علی اللّه، و قد أخذ برأیه فی وجوب رد الفاضل من سهام المواریث علی ذوی الأرحام، و امر بالکتاب الی جمیع النواحی بردها(۲).

توفی علی بن ابی الشوارب فی عهد المعتضد باللّه، و کانت وفاته لسبع خلون من شوال سنه (۲۸۳ ه)، و هو بمدینه السلام، فحمل الی سامرا من یومه فی تابوت و دفن فیها(۳).

۳- قضاه مدینه السلام:

اشاره

عند ما نقلت عاصمه الدوله العربیه الی سامرا ظلت مدینه السلام بغداد تحتفظ بمرکزها المهم فی النواحی المختلفه، و بخاصه النواحی العلمیه و الاداریه. فکان و الیها یعتبر نائبا للخلیفه او خلیفه عنه. و لقضائها منزله لا تقل عن منزله قضاء العاصمه. و لذا رأینا من المناسب ان نستعرض سیره اولئک الذین تولوا قضاءها فی عهد سامرا.

محمد بن سماعه:

ابو عبد اللّه محمد بن سماعه بن عبید الله التمیمی، من رجال الحدیث و رواته الثقات، حتی قیل: لو کان اصحاب الحدیث

۱- المصدر السابق، و المنتظم ۵/ ۱۶۴، و نشوار المحاضره ۴/ ۱۳۳.

۲- المنتظم ۵/ ۱۶۱.

۳- الطبری ۱۰/ ۴۹، و المنتظم ۵/ ۱۶۴، و تاریخ بغداد و فیه انه توفی لاحدی عشره خلت من شوال.

یصدقون کما یصدق محمد بن سماعه لکانوا فیه علی نهایه(۱).

کان ابن سماعه متعبدا متقشفا، و یروی عنه انه قال: مکثت اربعین سنه لم تفتنی التکبیره الاولی فی جماعه الا یوما واحدا ماتت فیه امی(۲). و هو من اصحاب القاضی ابی یوسف و اخذ عنه و عن محمد بن الحسن، و روی عن ابن الحسن کتبه(۳). و قد ولاه المأمون قضاء مدینه المنصور بعد وفاه القاضی یوسف بن ابی یوسف، رغم انه کان یطعن بتقشفه، فقد روی عنه انه قال: عشره من اعمال البر لا یصعد الی للّه، و اللّه، منها شی ء، و لما سئل عنها عددها و کان من ضمنها تقشف ابن سماعه(۴).

استمر ابن سماعه علی قضاء مدینه المنصور فی عهد المعتصم باللّه، رغم انه کان علی مذهب ابی حنیفه و یعتبر من ذوی الرأی فیه، و امتنع عن القول بخلق القرآن. و یظهر ان سبب بقائه فی القضاء انه کان عالما ثقه محمود السیره(۵). الا انه لما ضعف بصره عزله المعتصم باللّه، و یقال انه استعفی من العمل(۶).

و لمحمد بن سماعه عدد من المصنفات فی اصول الفقه. ذکر ابن الندیم منها کتاب ادب القاضی و کتاب المحاضر و السجلات(۷). و ذکر له المسعودی کتاب نوادر المسائل و قد

۱- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۲.

۲- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۱.

۳- الفهرست/ ۳۰۳، و العبر ۱/ ۴۱۴.

۴- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۱- ۳۴۲.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۱.

۶- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۲، و النجوم الزاهره ۲/ ۷۲۱.

۷- الفهرست/ ۳۰۳.

وضعه عن استاذه محمد بن الحسن، و هو من الوف الاوراق(۱).

لقد عمر محمد بن سماعه طویلا، فقد توفی سنه (۲۳۳ ه) بعد ان بلغ مائه سنه من عمره، و هو صحیح الجسم و العقل(۲).

شعیب بن سهل:

ابو صالح شعیب بن سهل بن کثیر الرازی المولد، من رجال المعتزله المتطرفین، ولاه الخلیفه المعتصم باللّه فی اول خلافته قضاء الجانب الشرقی من بغداد عند ما توفی قاضیها جعفر بن عیسی الحسنی. و یظهر ان احمد بن ابی دواد رشحه لهذا المنصب لأنه من اهل الاعتزال. و قد جعل الخلیفه الیه، اضافه الی القضاء، الصلاه بالناس فی مسجد الرصافه فی ایام الجمع و الأعیاد(۳).

ای انه انابه عن نفسه فی اداء هذا الواجب الدینی، و فی ذلک تقدیر کبیر له، علما انه لم یکن یعین للامامه الا من بنی هاشم، او ممن یوثق به من افاضل المسلمین(۴).

کان شعیب من القائلین بخلق القرآن و نفی الصفات و الرؤیه عن الباری عز و جل فی الآخره. و کان ینتقص اهل السنه و یتحامل علیهم، و قد کتب علی جدار مسجده «القرآن مخلوق» و حاول عوام الجند و الغوغاء فی ربیع سنه (۲۲۷ ه) اثر مبایعه الواثق باللّه ان یمحوا هذه الکتابه، فمنعهم خادم المسجد، فذهبوا الی بیت القاضی نفسه و احرقوا بابه و انتهبوا داره، و ارادوا نفسه فهرب

۱- مروج الذهب ۴/ ۹۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۹۵، و تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۳، و الکامل ۷/ ۴۰.

۳- تاریخ بغداد ۹/ ۲۴۳، و اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷.

۴- الخراج و صناعه الکتابه/ ۴۳- ۴۴.

منهم. فانفذ صاحب الشرطه اسحاق بن ابراهیم حرسا استطاعوا انقاذ شعیب و صاروا به الی دار اسحاق(۱).

بقی شعیب علی قضاء الرصافه، و لما تولی الواثق بالله الخلافه عزله من منصبه(۲). و قد توفی سنه (۲۴۶ ه) فی ایام المتوکل علی اللّه(۳).

عبد الرحمن بن اسحاق:

عبد الرحمن بن اسحاق بن سلمه الضبی، کان جده من رجال الدوله(۴). و کان هو احد فقهاء المذهب الحنفی و من اصحاب الرأی فیه، و کان مترفا جماعا للمال(۵). و یروی ابن طیفور کیفیه تولیه القضاء، و ذلک انه کان یختلف الی ولد ابن سماعه القاضی، فاتاهم یوما فتغدی عندهم، و اخذوا قلنسوته و تراموا بها و خرقوها، فاغضبه ذلک. فصار الی ابیهم لیشکوهم فوجد عنده جماعه فاحتشم ان یشکوهم بحضره تلک الجماعه فجلس ینتظر خروجهم. فاتی ابن سماعه کتاب طاهر بن الحسین کبیر قواد المأمون یذکر حاجته الی قاض یکون فی عسکره لینظر فی امورهم. فقال لعبد الرحمن: هل لک ان تمضی الیهم؟ قال:

نعم. فبعث به الی طاهر فجعله قاضیا فی عسکره، و استمر به الأمر، و دخل فی عداد القضاه(۶).

۱- تاریخ بغداد ۹/ ۲۴۳، و اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷.

۳- الاعلام ۳/ ۲۴۴.

۴- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۰.

۵- نفس المصدر/ ۲۶۰- ۲۶۱، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۲.

۶- بغداد لابن طیفور/ ۱۴۱.

و نقل عبد الرحمن الضبی بعد حین الی قضاء الرقه و بقی علی قضائها مده، و قیل انه لما تولی قضاء الرقه لم یکن له علم بشی ء من الفقه، الا انه عنی بعد ذلک بحفظ الحدیث و حفظ منه شیئا صالحا(۱). ثم عینه المأمون علی قضاء مدینه المنصور بدلا من اسماعیل بن حماد، ثم ضم الیه قضاء الشرقیه(۲)، لما عزل قاضیها بشر بن الولید، فصار قاضیا علی الجانب الغربی باسره.

و ظل فی منصبه هذا طیله ایام المعتصم بالله(۳). و عند ما خرج المعتصم باللّه الی حرب الروم سنه (۲۲۳ ه) احضر القضاه و رجالا من ذوی العداله فاشهدهم علی ما اوقف من الضیاع، کان عبد الرحمن بن اسحاق احد القضاه الذین شهدوا علی ذلک(۴).

و لما استخلف الواثق باللّه عزل عبد الرحمن بن اسحاق فی سنه (۲۲۸ ه) و ولی مکانه الفقیه الحسن بن علی بن الجعد علی قضاء مدینه المنصور، و عبد اللّه بن محمد الخلنجی علی قضاء الشرقیه(۵). و حضر عبد الرحمن بن اسحاق بصفته من کبار الفقهاء مجلس محاکمه احمد بن النصر الخزامی فأید کفره، و قال هو حلال الدم(۶).

۱- اخبار القضاه ۳/ ۲۸۲.

۲- الشرقیه محله کبیره بالجانب الغربی من بغداد، سمت بالشرقیه لانها، شرقی مدینه المنصور.

۳- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۱.

۴- الطبری ۹/ ۵۶.

۵- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۷۱.

۶- الطبری ۹/ ۱۳۸.

توفی عبد الرحمن الضبی فی ذی القعده سنه (۲۳۲ ه) بفید و هو بطریقه الی مکه لاداء فریضه الحج، و دفن بها(۱).

اسماعیل بن اسحاق:

ابو اسحاق اسماعیل بن اسحاق بن اسماعیل بن حماد الأزدی.

نشأ بالبصره و درس اللغه و الحدیث و الفقه علی مذهب الامام مالک بن انس، حتی صار علما فیه، و قد عمل علی شرحه و نشره، و صنف الکتب فی الاحتجاج له، کما اتقن علوم القرآن و الحدیث و صنف عددا من الکتب فیها(۲). و یقول ابن الندیم ان اسماعیل بن اسحاق هو الذی بسط فقه مالک و دعا الناس الیه و رغبهم فیه، و صنف فیه الکتب(۳). و کان ابوه اسحاق علی المظالم فی مصر فی عهد المأمون(۴).

استوطن اسماعیل مدینه السلام و ولی القضاء فیها، و لم یزل یتولاه حتی وفاته. و قد تولی القضاء لأول مره فی سنه (۲۴۶ ه) لما مات القاضی سوار بن عبد اللّه العنبری، فأمر الخلیفه المتوکل علی اللّه قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد الهاشمی ان یولی اسماعیل بن اسحاق قضاء الجانب الشرقی من بغداد فولاه(۵).

و ظل فی منصبه حتی ایام المهتدی علی اللّه الذی نقم علی حماد بن

۱- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۱.

۲- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۴- ۲۸۵، و وفیات الاعیان ۲/ ۲۵۷، و المنتظم

۳- الفهرست ۲۹۶. ۵/ ۱۵۱- ۱۵۲.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۸۹ و ۵۰۲.

۵- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷.

اسحاق اخی اسماعیل لما بلغه عن مکاتبته الموفق ایام کان بمکه و صرف اسماعیل عن القضاء(۱).

و لما بویع للمعتمد علی اللّه بالخلافه اعاد اسماعیل بن اسحاق الی عمله فی القضاء. و کان الموفق شدید الاعجاب باسماعیل و بعلمه، فسأله اسماعیل ان ینقله الی الجانب الغربی من مدینه السلام، و کان علی قضاء الشرقیه القاضی البرتی و علی قضاء مدینه المنصور احمد بن یحیی، فکره ذلک قاضی القضاه الحسن بن ابی الشوارب و اجتهد فی رده، الا انه لم یستطع ذلک لتمکن اسماعیل من الموفق. فاجابه الی طلبه، و نقل البرتی الی الجانب الشرقی من المدینه، و اسماعیل الی الجانب الغربی باسره، و ذلک فی سنه (۲۵۸ ه)، ثم جمع قضاء بغداد بجانبیها لاسماعیل بن اسحاق فی سنه (۲۶۲ ه) و قلد معها قضاء المدائن و النهروانات و قسم من اعمال السواد، و صار المقدم علی سائر القضاه(۲).

کان اسماعیل بن اسحاق مقربا الی الخلیفه المعتمد علی اللّه و الی اخیه الموفق، فکانا ینتد بانه لبعض المهام. فقد اوفده الخلیفه ضمن الوفد الذی بعث به الی یعقوب بن اللیث لما استحوذ علی اقلیم فارس فی سنه (۲۵۷ ه)(۳). و عند ما تغلب ابن واصل علی فارس فی سنه (۲۶۱ ه) و اسر احد قواد موسی بن بغا، وجه الخلیفه اسماعیل بن اسحاق الی ابن واصل یسأله اطلاق القائد

۱- الطبری ۹/ ۵۲۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷- ۲۸۸، و اخبار القضاه/ ۳/ ۲۸۱.

۲- الطبری ۹/ ۵۲۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷- ۲۸۸، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۱، و المنتظم ۵/ ۱۵۲.

۳- الطبری ۹/ ۴۷۶ ۹/ ۴۷۶.

الأسیر(۱). و وجهه الخلیفه کـذلک الی یعقوب بن اللیث عنـد مـا وافی رامهرمز و عـاد برسـاله من یعقوب، فی رجب سـنه (۲۶۲ ه)(۲).

توفی اسـماعیل بن اسحاق فی ذی الحجه من سنه (۲۸۲ ه) فجاءه و هو قاض علی جانبی مدینه السـلام(۳). و یقول ابن الجوزی انه لبس سواده لیخرج الی الجامع و لبس احـد خفیه و جاء لیلبس الآخر فمات(۴). و اهم ما صنفه اسماعیل من الکتب کتاب فی احکـام القرآن، و کتـاب فی القراءات، و کتـاب فی معانی القرآن، و المسـند(۵). و یضـیف ابن النـدیم علی هذه الکتب: کتاب اهوال القیامه، و کتاب المبسوط، و کتاب شواهد الموطأ، و کتاب المغازی(۶).

الحسن بن الجعد:

هو الحسن بن علی بن الجعـد بن عبیـد الجوهری و کان ابوه مولی ام سـلمه المخزومیه امرأه ابی العباس السـفاح(۷). و قد درس الفقه و الحدیث علی علیه اصحاب الحدیث و رواته. و قد اخذ عنه البخاری(۸). و توفی بعد تولی ابنه القضاء

۱- نفس المصدر/ ۵۱۳.

۲- نفس المصدر/ ۵۱۶.

۳- الفهرست/ ۲۹۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۹۰، و أخبار القضاه ۳/ ۲۸۱.

۴- المنتظم ۶/ ۳۸۴.

۵- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۴ و ۲۸۶، و وفیات الاعیان ۲/ ۲۵۷- ۲۵۸.

۶- الفهرست/ ۲۹۶.

۷- المعارف/ ۲۲۵.

۸- مروج الذهب ۴/ ۷۶، و الکامل ۷/ ۱۸.

بسنتين(۱). درس الحسن الفقه و الحديث على ابيه، و تابع الدرس و التحصيل حتى غدا من مشاهير العلماء بمذهب اهل العراق(۲). و مال اول امره الى مذهب المعتزله ثم رجع عنه.

فقد سئل الامام احمد بن حنبل عنه، فقال: كان معروفا عند الناس بانه جهمى مشهور، ثم بلغنى انه قد رجع عن ذلك(۳).

عرف الحسن بن الجعد بنبله و مروءته و سمو اخلاقه. و قد اختاره الواثق باللّه لقضاء مدينه المنصور فى سنه (۲۲۸ ه) و لم يزل قاضيا عليها الى ان مات فى رجب سنه (۲۴۲ ه) فى عهد الخليفه المتوكل على اللّه(۴).

عبد الله الخلنجى:

عبد اللّه بن محمد بن يزيد الخلنجى، من اصحاب الرأى، كان واسع العلم حاذقا فى الفقه الحنفى و من القائلين بخلق القرآن.

تقلد المظالم فى اقليم الجبل، و القضاء فى همذان نحوا من عشرين سنه، فكان مستقلا بالقضاء و وجوهه(۵). كتب اليه الخليفه المعتصم باللّه بأن يمتحن الناس، فكان معتدلا يضبط نفسه و لم يتطرف فى الاعتزال. فقد تقدمت اليه امرأه فقالت:

ان زوجى لا يقول بقول امير المؤمنين، ففرق بينى و بينه، فصاح بها(۶).

۱- تاريخ بغداد ۷/ ۳۶۴.

۲- نفس المصدر، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۳.

۳- تاريخ بغداد ۷/ ۳۶۴.

۴- نفس المصدر، و الطبرى ۹/ ۲۰۸.

۵- تاريخ بغداد ۱۰/ ۷۳.

۶- نفس المصدر، و اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰ و جاء فيه ففرق بينه و بينها.

و تولی الخلنجی القضاء علی الشرقیه بالجانب الغربی من بغداد فی ایام الواثق باللّه(۱)، و بقی فی منصبه حتی ایام المتوکل علی اللّه، فعزله فی سنه (۲۳۷ ه) و امر ان یکشف للناس لیفضحه، لأنه کان من اصحاب احمد بن ابی دواد. فاقیم للناس فی جمادی الأخیره من السنه المذکوره(۲). فلم یتقدم احد بالشکوی علیه او اتهامه بأخذ حبه من احد، حتی لقد قال بعض الشهود الذین حضروا الکشف: ما علمت ان القرآن مخلوق الا الیوم. فلما سئل کیف علم ذلک، قال: سمعت القاضی یقول ذلک(۳). و هو دلیل علی ما کان یتمتع به الخلنجی من ثقه عالیه فی نفوس الناس.

کان الخلنجی عفیفا و فیه تیه و کبر شدید، و یظهر انه کان اسود اللون ذا شکل مهیب، فقد قال فیه احد الشعراء(۴).

نسبته فی سواد لبسته اشبه شی ء بلون خلقته

کأنی بالجبال قد نصبوافیه الخلنجی فوق بغلته

اکرم به من فتی مناسبهبین اجاوینه و قصعته

۱- تاریخ بغداد ۱۰/ ۷۳ و اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۸۹.

۳- تاریخ بغداد ۱۰/ ۷۴.

۴- اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰.

ما عذب اللّه امه سلفت فيما سمعنا بمثل صورته

يصـطلح النـاس حين يقعـد للحكم فرارا من هول طلعته و عنـد مـا اشـتد الخلاـف بين المسـتعين بـاللّه و القواد الأتراك و اضـطر الخليفه على الانحدار مع مؤيديه الى بغداد كان عبد اللّه الخلنجى من جمله حاشيته. و لما طلب امير بغداد محمد بن عبد اللّه الى المستعين باللّه ان يتنازل عن الخلافه لانهاء الحرب مع المعتز باللّه، بحضور عدد من القواد و الفقهاء، قال الخلنجى للخليفه محتجا على طلب محمـد: يا أمير المؤمنين انه يسألك ان تخلع قميصا قمصك به اللّه(۱). و لما اسـقط بيد المستعين باللّه و لم ير بدا من الموافقه على التنازل عن الخلافه. اشترط شروطا معينه لتنازله، فبعث محمد بن عبد اللّه وفدا الى قائد جيش المعتز باللّه ابى احمد الموفق، يحمل كتابا بشـروط الخليفه المسـتعين باللّه، كان الخلنجى احـد اعضائه، ففاوض الوفـد و عاد بجواب ما سأل المسـتعين باللّه من الشروط(۲).

و كان المعتز باللّه بعـد ان اسـتقر له الأمر فى سامرا، طلب الى مؤدبه عمران الضبى ان يسـمى له عددا من الفقهاء ليوليهم القضاء، فـاقترح له ثمـانيه رجال فيهم عبـد اللّه الخلنجى، الا انهم اتهموا بالاعتزال، فأمر المعتز باللّه باخراجهم الى بغـداد(۳). و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

۱- الطبرى ۹/ ۳۴۳.

۲- نفس المصدر/ ۳۴۴.

۳- نفس المصدر/ ۳۷۱.

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراک ۱- الأتراک فی عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه.

۲- الصراع بین المتوکل علی اللّه و الاتراک.

۳- ایام الفتنه.

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراک

الفصل الأول الاتراک فی عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه

۱- مقدمه:

کان الجیش عماد الدوله العربیه فی عهد العباسیین. و قد توسع کثیرا و ازداد عدده، و تنوعت صنوفه، و لم یعد یقتصر علی العرب وحدهم، کما کان الأمر فی عهد الأمویین. اذ سمح لابناء البلاد المفتوحه ممن اعتنقوا الدین الاسلامی ان ینخرطوا فی صفوفه. و قد توسع العرب فی فتوحاتهم الی بلاد ما وراء النهر و استولوا علی امهات المدن فیها مثل بخاری و کاشغر و فرغانه و سمرقند. و کان سکان هذه المناطق من القبائل الترکیه البدویه، اعتنق اکثرها الدین الاسلامی. و یتمیز ابناء هذه القبائل بقوه اجسامهم و شجاعتهم فی القتال. و کان قسم من غلمانهم من الاسری و السبایا یجلبون الی مرکز الخلافه و یباعون رقیقا. و قد

استخدم بعضهم فی الجیش لشجاعتهم و لیاقتهم البدنیه. و یعتبر ابو جعفر المنصور اول خلیفه استعمل موالیه و غلمانه و قدمهم علی العرب، فامتثلت ذلک الخلفاء بعده(۱). الا ان عددهم کان قلیلا، و لم یکن استخدامهم بموجب سیاسه مرسومه. فبقیت اکثریه الجیش علی عهده من العرب و الخراسانیین.

و کان العباسیون فی اول عهدهم اکثروا من استخدام الخراسانیین فی الجیش لأنهم کانوا عونا لهم فی التغلب علی الامویین، مما جعلهم العنصر المسیطر فیه. و اتخذ الخلفاء الأوائل حرسهم الخاص منهم. غیر ان انتصار المأمون علی اخیه محمد الأمین اتاح لأنصاره من الفرس الذین اولاهم ثقته ان یهیمنوا علی الجیش العربی هیمنه تامه. مما دفعه الی ان یستخدم ابناء ما وراء النهر، بعد ان اخضع کاتبه احمد بن ابی خالد الأحول فی بلاد اشروسنه. و کان یأمر عماله فی خراسان ان یشجعوا اهل تلک البلاد علی اعتناق الاسلام، فکان یستمیلهم بالترغیب و یقرض لهم فی الدیوان، و یجزل صلاتهم(۲). و لا ریب فی ان انعطاف المأمون نحو الأتراک کان رد فعل لما لمسه من مطامع الفرس و محاولتهم الاستئثار بالسلطه. و کان الأفشین حیدر بن کاوس من امراء اشروسنه، و قد اصطنعه المأمون و اعتمد علیه، هو الذی زین له ان یتوسع شرقا فأستولت الدوله العربیه علی مناطق و اقالیم جدیده فی آسیا الوسطی.

ان المعتصم باللّه الذی شاهد جرأه الفرس و تطاولهم علی قتل اخیه الخلیفه محمد الأمین، اخذ یرتاب فی ولائهم منذ ان کان

۱- مشاکله الناس لزمانهم/ ۲۳ لمن، و تاریخ الخلفاء/ ۲۴.

۲- فتوح البلدان/ ۴۱۹- ۴۲۰.

أميرا. كما ان نكبه الفضل بن سهل، و ترك المأمون مدينه مرو الى بغداد، مما اساء الى العلاقه بين العباسيين و الخراسانيين.

فكان ذلك من جمله ما حدا بالمعتصم باللّه الى الاعتماد على الاتراك.

لأنه رأى فى ذلك خير وسيله لاضعاف النفوذ الفارسى فى الجيش العربى. و يقول احد رجال المعتصم باللّه، و هو جعفر الخشكى انه كان يوجه به فى ايام المأمون الى نوح بن اسد فى سمرقند لشراء الأتراك و انه كان يعود عليه فى كل سنه بجماعه منهم، بحيث اجتمع لديه منهم حينذاك زهاء ثلاثه الاف(۱). و جعل حرسه الخاص منهم. و يقول ابن قتيبه ان المأمون امر المعتصم باللّه باتخاذ الاتراك و جلبهم(۲). و يقول اليعقوبى انه لما افضت اليه الخلافه اشترى من كان منهم من الرقيق فى بغداد. و كان ممن اشتراهم اشناس مملوك نعيم بن خازم، و ايتاخ مملوك سلام الابرش، و وصيف مملوك آل النعمان، و سيما الدمشقى مملوك الفضل بن سهل(۳). و اراه قد نوه بهذه الاسماء لما بلغه اصحابها من مراكز قياديه فى الجيش و الدوله، و لما كان لهم من تأثير كبير فى سير الاحداث.

و قد كلف المعتصم باللّه عند ما كان اميرا بمهمتين عسكريتين اعتمد فيها على غلمانه من الاتراك. فعند ما ندبه الخليفه المأمون الى قمع الثوره التى قامت فى مصر فى سنه ۲۱۴ ه توجه اليها ابو اسحاق فى اربعه الاف من اتراكه(۴). و لما خرج مهدى بن علوان (۳) نفس المصدر/ ۴۱۹.

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۵۶.

۲- المعارف/ ۳۹۱.

۳- كتاب البلدان/ ۲۵۶.

۴- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۱۸۸.

الحروری علی ابراهیم بن المهدی فی سنه ۲۰۳ ه وجه الیه ابراهیم ابا اسحاق فی جماعه من القواد، و مع ابی اسحاق غلمان له اتراک(۱).

و هکذا صار اکثر جند المعتصم باللّه عند ما تولی الخلافه من اهل ما وراء النهر من الصغد و الفراغنه و الاشروسنیه و اهل الشاش و کلهم من الأتراک(۲) بحیث صار له منهم جیش کبیر، و یقول فی تقدیر عددهم الشاعر علی بن الجهم(۳).

امام من له سبعون الفامن الاتراک مشرعه السهام

و یقول یاقوت الحموی مؤیدا هذا العدد من جند المعتصم باللّه الأتراک: ان جیوش المعتصم کثروا حتی بلغ عدد ممالیکه من الأتراک سبعین الفا(۴).

۲- المعتصم باللّه و استخدامه الاتراک فی الجیش:

لقد کانت هناک بالاضافه الی ما ذکرناه من عزم المعتصم باللّه علی القضاء علی سیطره العنصر الفارسی علی الجیش العربی، عوامل اخری دفعته الی تتریک جیشه جندا و قوادا. و من هذه العوامل هو ما له علاقه بشخصیه المعتصم باللّه نفسه. و انه کان قوی الجسم بدرجه تلفت النظر، و یغلب علیه حب الفروسیه و الولع بالحرب و شؤونها، و لذا اعجب بشجاعه الغلمان الأتراک

۱- الطبری ۷/ ۵۵۸.

۲- فتوح البلدان/ ۴۲۰.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲، و الاغانی ۱۰/ ۲۰۵.

۴- معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

و جرأتهم. و کان یتخیر عند شرائهم من یتوسم فیه الشجاعه و قوه الجسم، و اعتمد علیهم فی امر سلامته الشخصیه. و میزهم علی بقیه جنده فالبسهم حلل الدیباج و المناطق المذهبه(۱). و آثرهم علی المتقدمین من اولیائه و نصحاء آبائه(۲).

و لما کان حظ المعتصم باللّه من العلم و الثقافه ضئیلا، فقد کان یشعر بتقارب ذهنی مع هؤلاء الغلمان الذین کانوا امیین و قد جاءوا من مناطق متخلفه من الناحیه الحضاریه عن بقیه بلدان الدوله العربیه، و لا سیما مرکزها مدینه السلام. و الواقع انهم کانوا لا یزالون فی دور البداوه فلا یخضعون الا لأمراء قبائلهم او رؤسائهم.

و کما یقول الطبری انهم کانوا عجما جفاه(۳). و لذلک فان الجیش الذی تکون منهم کان یختلف کثیرا عن بقیه الجیش العربی.

و لهذا افرد المعتصم باللّه قلطائعهم عن قطائع الناس جمیعا عند ما بنی مدینه سامرا، و اشتری لهم الجواری الترکیات فازوجهم منهن، و جعلهم منعزلین عن غیرهم، و منعهم ان یتزوجوا او یصاهروا الی احد المولدین، و اجری لجواریهم ارزاقا و اثبت اسماءهن فی الدیوان، فلم یقدر احد منهم ان یطلق امرأته او ان یفارقها(۴). و قد اکد المعتصم باللّه حرصه علی عدم اختلاط الجند الاتراک بغیرهم عند ما اقطع اشناس ارضا فانه امره ان لا یطلق لغریب من تاجر و لا غیره مجاورتهم(۵)، بحیث جعل

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۳- الطبری ۹/ ۱۸.

۴- کتاب البلدان/ ۲۵۸- ۲۵۹.

۵- نفس المصدر/ ۲۵۹.

للاتراک قطائع متحیزه(۱). و قد کان اعتزازه بهم من اهم اسباب تشیید عاصمته سامرا.

یضاف الی ذلک موقف بعض القواد العرب منه عنـد ما بویع بالخلافه و میلهم الی مبایعه العباس بن المأمون، مما جعله لا یطمئن الی ولاـئهم. کما ان انصراف العرب عن الحیاه العسکریه الی النواحی الحضاریه الاخری، لا سیما النواحی العلمیه و الاقتصادیه نتیجه ارتفاع مستواهم الحضاری، ساعده علی اضعاف شأنهم فی الجیش، مما اتاح له ان یخرج کثیرا منهم و یسقط اسماؤهم من الدیوان دون ان یلقی مقاومه تذکر. اما من بقی من قبائل الیمن و قیس و مضر فی الجیش فقد اصطنعهم(۲) و ابقی علیهم.

ان هـذه العوامـل مجتمعه جعلت الخلیفه المعتصم بـاللّه لاـ یـأمن الجیش الـذی وجـده عنـد تـولیه الخلاـفه، سـواء لتغلب العنصـر الفارسی فیه، او لعدم ولاء بعض قواده من العرب، مما دفعه الی الاعتماد علی عنصر جدید یرکن الیه تتوفر فیه الکفایه و الولاء.

و لـذا فقد اعتبر غلمانه الأتراک اساس جیشه الجدید و اناط قیاداته بمن توسم فیهم الجرأه و الشـجاعه من جهه و الولاء من جهه اخری، من بین هؤلاء الغلمان. و بذا اصبح معظم القواد الکبار علی عهده من الاتراک.

۳- کبار القواد الاتراک:

اشاره

اعتاد المعتصم باللّه تکریم قواده الأتراک عند عودتهم من الحروب منتصرین، اعترافا بما قاموا به من خدمه الدوله و حمایه

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

الـدین، و تقـدیرا لجهودهم فی ذلک، و تشـجیعا لهم. و من اهم مظاهر هـذا التکریم تقلیـد القائد الطوق و الأسوره، و السـیف و المنطقه، بحیث صار ذلک رسـما لامراء الـدوله(۱). او الاغـداق علیهم بالاموال و الهـدایا الثمینه. فقـد کرم الأفشـین عنـد ما قدم ببابـک اسـیرا الی سـر من رأی، بـأن البسه و شاحین بالجوهر، و توّجه، و وصـله بعشـرین الف الف درهم(۲). کمـا اجلس القائد اشناس علی کرسی و توجه و وشحه(۳).

و کان تشـجیع المعتصم باللّه و تقدیره قواده عاملا مهما فی بروزهم علی مسـرح السـیاسه بعد وفاته، بحیث غدا لهم نفوذ سیاسی الی جانب سـلطاتهم العسکریه. و بذا یکون المعتصم باللّه قد خلق طبقه جدیده من القواد الحکام. الذین لم تقتصر هیمنتهم علی شؤون الـدوله العسـکریه فقـط، بـل شـملت النواحی الاـداریه و السیاسـیه کـذلک. فقـد عینوا للحجـابه، و الولاـیه، مع احتفـاظهم بمناصـبهم القیادیه فی الجیش، فاصـبح لهم السـلطان الحقیقی علی شؤون الـدوله. و قـد اتیـح لهذه الطبقه من القاده الأتراک ان تلعب دورا خطیرا فی حیاه الدوله العربیه بعد عهد المعتصم باللّه.

و اظهرت الحوادث بعـد مده قصـیره ان اسـتخدام الاتراک فی الجیش کان خطأ کبیرا من المعتصم باللّه، لأن قادتهم و رؤساءهم اساءوا استعمال نفوذهم و سلطانهم فی فرض ارادتهم علی الخلفاء، و اخذوا یتصرفون کغرباء متغلبین.

۱- رسوم دار الخلافه/ ۹۴.

۲- الطبری ۹/ ۵۵.

۳- نفس المصدر/ ۱۰۳.

و قد برز فی عهد المعتصم باللّه عدد من کبار القواد الأتراک.

و لعل ابرز هؤلاء حیدر بن کاوس، و قد اشرنا الی ما فیه الکفایه عنه عند الکلام عن حروبه و مطامحه و غضب الخلیفه علیه و محاکمته. و من القواد الاتراک الذین اعتمد علیهم المعتصم باللّه، و اتیح لهم ان یلعبوا ادوارا مهمه بعده: ایتاخ الخزری، و بغا الکبیر، و اشناس، و وصیف. و فیما یلی لمحه موجزه عن سیره کل منهم. و لسوف نتعرف علی کثیر عنهم فی الفصول القادمه.

ایتاخ الخزری:

اصل ایتاخ من الخزر، و کان طباخا مملوکا لسلام الأبرش خادم المأمون و الرشید من قبله، فاشتراه منه المعتصم باللّه. و کان له من البأس و الشجاعه ما ساعده علی ان یصل الی مرکز مرموق فی الدوله. اذ قربه المعتصم بالله و رفع من شأنه، فولاه معونه سامرا بالاشتراک مع اسحاق ابراهیم المصعبی، اضافه الی البرید، و قیاده قسم من الجیش. و فی حمله المعتصم باللّه علی بلاد الروم ولی ایتاخ قیاده میمنه جیشه(۱). و کان یعتمد علیه فی مهام الامور و بخاصه فی التخلص من اعدائه، فمن اراد حبسه او قتله فعند ایتاخ یحبس و بیده یقتل(۲). و هو الذی تولی قتل العباس بن المأمون و عجیف بن عنبسه عند ما تآمرا علی الوثوب بالخلیفه، و هو ببلاد الروم(۳). و قد احتفظ ایتاخ بمرکزه طیله ایام المعتصم باللّه. و زاد نفوذه و توسع سلطانه فی عهد الواثق

۱- الطبری ۹/ ۵۷، و الکامل ۶/ ۴۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۱۶۶- ۱۶۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

۳- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

باللّه الذی ولاه السند و خراسان، و عند ما مات اشناس صیر الواثق ولایه مصر الی ایتاخ.

و لما استخلف المتوکل علی اللّه بقی ایتاخ فی مرتبته، فکانت الیه قیاده الاتراک و المغاربه و الموالی، ثم البرید اضافه الی الحجابه بدار الخلافه. و لکن ما لبث المتوکل علی اللّه ان تغیر علیه اثر مشاجره قامت بینهما، همّ فیها ایتاخ بقتله(۱). فانتهز المتوکل علی اللّه فرصه خروج ایتاخ الی اداء فریضه الحج، فاتفق مع امیر بغداد اسحاق بن ابراهیم علی استدارجه عند عودته الی بغداد و القبض علیه هناک. و نجح اسحاق فی ذلک فقید ایتاخ و سجنه. و ما لبث ان مات فی السجن و یقال انه قتل عطشا فی سجنه(۲). و سنأتی علی تفصیل ذلک فی موضوع الصراع بین المتوکل علی اللّه و الأتراک.

أشناس:

من الغلمان الأتراک الذین اشتراهم المعتصم باللّه ببغداد، و کان مملوکا لنعیم بن خازم. و قد اعجب المأمون بشجاعته فقربه و اعتمد علیه. و عند ما تکررت الثورات بمصر ضد الولاه قدم الیها المأمون فی سنه ۲۱۵ و معه اشناس، الذی عاونه فی اعاده النظام الی البلاد. و لما وجه ابراهیم بن المهدی، فی اثناء تولیه الخلافه، ابا اسحاق لحرب ابن علوان الحروری طعنه احد الحروریه فحامی عنه اشناس فحاز ثقته، بحیث لما آلت الیه الخلافه جعله من کبار قواده، و انعم علیه بولایه مصر و دعی له

۱- الطبری ۹/ ۱۶۷، و الکامل ۷/ ۴۳.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

علی منابرها. کما انه استخلفه علی العاصمه سامرا عند ما خرج الی السن فی سنه ۲۲۵ ه(۱). و عند تأسیس سامرا اقطعه الخلیفه المعتصم باللّه و اصحابه الموضع المعروف بالکرخ و ضم الیه عده من قواد الاتراک و الجند، و امره ان یبنی المساجد و الاسواق و ان لا یطلق لغریب من تاجر و لا غیره مجاورتهم(۲). و کان قد جعله علی مقدمه جیشه فی حملته علی بلاد الروم، فکان اشناس اول من ورد عموریه عند ما افتتحها المعتصم باللّه(۳).

کما کان لاشناس دور کبیر فی کشف مؤامره العباس علی المعتصم باللّه، و فی القضاء علی رؤوسها مما زاد فی اعتماد الخلیفه علیه، و صار اثیرا لدیه. و قد کرمه بأن اشرف علی حفل زواج ابنته اترنجه من الحسن بن الافشین، و أمر بأن یکون العرس فی قصره، و احضر عرسها عامه اهل سامرا، و کان یتفقد بنفسه من حضره(۴). و اجلسه علی کرسی و وشحه بنفسه فی سنه ۲۲۵ ه(۵).

و قد ازداد نفوذ اشناس فی عهد الخلیفه الواثق باللّه، اذ استخلفه فی سنه ۲۲۸ ه علی السلطنه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحین مجوهرین(۶). مما زاد فی سلطاته التی تعدت المهام العسکریه. و یلاحظ انه أول قائد یقلد السلطنه فی ظل الخلافه العباسیه. و قد توفی اشناس فی سنه ۲۳۰ ه فی ایام الخلیفه الواثق باللّه.

۱- الطبری ۹/ ۱۰۳.

۲- کتاب البلدان/ ۲۵۸- ۲۵۹.

۳- الطبری ۹/ ۶۳، و الکامل ۶/ ۱۱۱

۴- الطبری ۹/ ۱۰۱.

۵- الطبری ۹/ ۱۰۱.

۶- نفس المصدر/ ۱۲۴.

وصیف:

من ممالیک المعتصم باللّه الذین اشتراهم ببغداد، و کان زرادا مملوکا لآل النعمان. و لم یلبث ان اصبح من کبار القواد الأتراک، لما کان یتمتع به من جرأه و بساله. و اتخذه المعتصم باللّه، عند ما تولی الخلافه حاجبا له. و عند تأسیس سامرا أقطعه و اصحابه مما یلی الحیر لیقیموا مساکنهم هناک(۱).

و قد تولی وصیف فی عهد الواثق بالله قیاده الحمله التی جردت لاخماد تمرد الاکراد فی الجبال و فارس، فنجح فیما ندب الیه و قدم سامرا و معه مئات من الاسری فجازاه الخلیفه بخمسه و سبعین الف دینار، و قلده سیفا(۲). و عند ما توفی الواثق باللّه من غیر ان یعهد بالخلافه، اشترک وصیف فی اختیار من یخلفه و لما اختیر المتوکل علی اللّه تولی وصیف حجابته، و لکنه بعد حین تزعم مؤامره اغتیاله. و کان سبب نقمه وصیف علی المتوکل علی اللّه ان الخلیفه امر بقبض ضیاعه باصبهان و الجبل و اقطاعها الفتح ابن خاقان(۳). و ذلک فی جمله اجراءاته لاضعاف شأن القواد الاتراک. فبلغ ذلک وصیفا فغضب و انضم الی جانب محمد المنتصر ابن المتوکل علی اللّه فی النقمه علی ابیه و العمل علی التخلص منه.

و حاول المنتصر باللّه لما استخلف ابعاد وصیف فی شؤون الدوله. فعهد الیه فی سنه ۲۴۸ ه قیاده حمله لغزو بلاد الروم

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۸.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۰- ۱۴۱.

۳- نفس المصدر/ ۲۲۲.

و حمایه الثغور العربیه. و امره ان یقیم هناک حتی یأتیه امره(۱). و لما غزا وصیف و کان بالثغور الشامیه، ورد علیه خبر موت الخلیفه المنتصر باللّه، فعاد الی سامرا. و لعب دورا مهما مع القائد بغا فی تحریض الجند علی القائد اوتامش الذی کان قد استولی علی امور الخلافه فی اوائل عهد المستعین باللّه. و لما قتل اوتامش سیطر هذان القائدان علی شؤون الدوله فی عهد الخلیفه المذکور.

و عند ما ترک المستعین باللّه عاصمته سامرا الی مدینه السلام للتخلص من نفوذ الأتراک و ضغطهم علیه، کان القائد وصیف احد القواد الأتراک الذین صحبوه، و ظل الی جانبه الی ان خلع من الخلافه. و قد استطاع وصیف ان یسترضی المعتز باللّه الذی آلت الیه الخلافه، فرضی عنه، و عاد الی سامرا، و اعیدت الیه اعماله و رتبه السابقه. الا انه لقی مصرعه بعد مده علی ید الجند الأتراک الذین شغبوا مطالبین بارزاقهم فی سنه ۲۵۳ ه. و سنطلع علی تفصیل ذلک فی الفصل الخاص بالنزاع بین المعتز بالله و القواد الأتراک.

بغا الکبیر:

من ممالیک المعتصم باللّه الذین تقدموا علی عهده، فاصبح من کبار قواده. و قد شارک فی حروب عدیده. فقد وجهه المعتصم باللّه علی رأس جیش کبیر مددا للقائد الأفشین فی حربه مع بابک.

کما بعثه الی حرب منکجور عند ما اعلن عصیانه. فجاء به اسیرا الی

۱- الطبری ۹/ ۲۴۴، و الکامل ۷/ ۱۱۲.

سامرا. و هو الذی تولی اعتقال الأفشین عند ما نقم علیه المعتصم باللّه. کما قاد عده حملات فی عهد الخلیفه الواثق باللّه لتأدیب بعض القبائل العربیه. فقد وجهه لاخضاع الاعراب من بنی سلیم الذین اغاروا علی اطراف المدینه المنوره فتغلب علیهم و قضی علی تمردهم. کما انتدبه لتأدیب بنی نمیر الذین هاجموا الحجاز و الیمامه فالتقی بهم و هزمهم، و عاد الی سامرا بعدد کبیر من اسراهم.

و صار بغا من قواد المتوکل علی الله البارزین. و عند ما قتل القائد یوسف الثغری فی ارمینیه عین الخلیفه بغا والیا علیها و طلب الیه ان یثأر لدم یوسف. فاحرق تفلیس و خرب عددا من الحصون. و حمل عددا من البطارقه اسری الی سامرا.

و اعاد فی خلال ولایته علی ارمینیه و اذربیجان بناء مدینه و شمکور القدیمه التی خربت و هجرها اهلها، فحصنها و اسکنها قوما خرجوا الیه من الخزر مستأمنین لرغبتهم فی الاسلام. و نقل الیها التجار من برذعه و سماها المتوکلیه، لتکون من الثغور العربیه(۱). و بذل جهودا کبیره فی اصلاح و تعمیر الحصون فی الثغور، بشکل لم یکن علی مثله(۲).

و عند ما قتل المتوکل علی اللّه کان بغا الکبیر فی سمیساط یرد الروم الذین اغاروا علیها و علی الثغور القریبه منها. و لما مات المنتصر باللّه اوکل القواد الاتراک باقتراح من احمد بن الخصیب، الی بغا الکبیر و اوتامش و بغا الصغیر، و هم ابرز القواد الاتراک

۱- فتوح البلدان/ ۲۰۶.

۲- نفس المصدر/ ۲۱۳.

الحاضـرین حینـذاک، اختیار من یرون للخلافه(۱). فتشـاوروا فیمـا بینهم، و قـد کرهوا ان یولوا احـد ابنـاء المتوکل علی اللّه لئلا ینتقـم منهم، و اجمعـوا علی اختیـار احمـد بن محمـد بن المعتصم بـالله، محتجین بحرصـهم علی ابقـاء الخلافـه فی ولـد مولاـهم المعتصم باللّه، و لقب بالمستعین باللّه.

مات بغا الکبیر فی سنه ۲۴۸ ه و قد تجاوز عمره التسعین سنه، و کان قد خاض من الحروب ما لم یخضه غیره، فما اصابته جراحه قط(۲). و کـان متـدینا من بین القواد الاـتراک. و لما مرض عاده الخلیفه المسـتعین باللّه، و عنـد ما توفی عقـد لأبنه موسـی علی الأعمال التی کانت لأبیه اضافه الی ولایه البرید(۳).

۴- الأتراک فی عهد الواثق باللّه:

اتبع الواثق باللّه سـیاسه ابیه المعتصم بالله فی الاعتماد علی الجنـد الاتراک فزاد عـددهم فی عهـده و اتسع نفوذهم و بخاصه کبار قوادهم اشـناس و ایتاخ و وصـیف و بغا. و سـبق ان اشـرنا الی ما و صـلوا الیه من مراکز رفیعه فی الدوله العربیه فی عهد المعتصم باللّه. و قد اسـتمروا فی ایام الواثق علی ما کانوا علیه فی عهد ابیه، بل أن سیاسته تجاههم ساعدت علی ازدیاد نفوذهم و تدخلهم فی شؤون الـدوله. فانه لم یقم طیله حیاته بایه فعلیه عسـکریه یشـغلهم بها و انما اسـتخدم بعضـهم فی مناصب اداریه وسـعت لهم مجال التدخل فاتسع بذلک سلطانهم. و لسوف نری فی فصول

۱- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۸.

قادمه ما ترتب علی ازدیاد نفوذ الاتراک و تدخلهم من عواقب خطیره أثرت فی مسیره الدوله العربیه فی عهد العباسیین.

لقد ولی الواثق باللّه، غداه مبایعته بالخلافه، القائد اشناس من بابه الی آخر عمل المغرب(۱). و یشمل ذلک اعمال الجزیره و بلاد الشام و ارمینیه و مصر و شمالی افریقیه. و ولی ایتاخ خراسان و السند و کور دجله(۲). کما ولاه اکثر اعمال اشناس عند ما توفی فی سنه ۲۳۰ ه(۳)، و اتخذ القائد وصیفا حاجبا له(۴). و خلع اشناس لقب السلطان و استخلفه علی السلطنه فی سنه ۲۲۸ ه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحین مجوهرین(۵). فکان اول خلیفه استخلف سلطانا(۶).

و کان الواثق باللّه مثل ابیه لا یألوا جهدا فی مکافأه قواد الأتراک و اعلاء شأنهم کلما انجزوا مهمه تناط بهم. فعند ما تمکن القائد وصیف من اخضاع الأکراد الذین کانوا قد تمردوا فی نواحی اصبهان و الجبال فی اواخر ایام المعتصم باللّه، و قدم الی الی سامرا و معه خمسمائه من الأسری، منحه خمسه و سبعین الف دینار و قلده سیفا(۷).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- نفس المصدر.

۳- نفس المصدر/ ۴۸۱.

۴- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۵.

۵- الطبری ۹/ ۱۲۴، و المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۳۵، و الکامل ۷/ ۹.

۶- تاریخ الخلفاء/ ۳۴۰.

۷- الطبری ۹/ ۱۴۰- ۱۴۱، و الکامل ۷/ ۲۳- ۲۴.

الا ان قوه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات و سياسه الحكمه من جهه، و قوه شخصيه الواثق باللّه من جهه اخرى حددت من نفوذ القواد الأتراک و سلطاتهم. بحيث استطاع الخليفه ان يامن جانبهم و يضمن ولاءهم و ان يستفيد من خدماتهم فى الميادين العسكريه الداخليه. فقد اعتمد عليهم فى اخضاع حركات التمرد المتتاليه التى قامت فى الجزيره العربيه.

الفصل الثانی الصراع بین المتوکل علی اللّه و الأتراک

اشاره

سبق ان اوضحنا تأثیر کبار القواد الاتراک فی اختیار المتوکل علی اللّه للخلافه، و توخیهم ان یکون طوع ارادتهم لیؤمنوا مصالحهم و یحافظوا علی مراکزهم. لما لهم علیه من منه فی رفعه الی مرکز الخلافه بعد ان کان مضطهدا مغضوبا علیه فی ایام اخیه الواثق باللّه. الا ان الاحداث اظهرت انهم کانوا و اهمین فی ذلک. اذ انه عند ما تسلم مقالید الخلافه و لمس تعاظم نفوذهم، اخذ یفکر فی العمل علی اضعاف شأنهم و الحد من سلطانهم. و الواقع انه جفاهم و اطرحهم، و حط من مراتبهم، و عمل علی الاستظهار علیهم و استئصالهم(۱). الا انه لم یکن یستطیع ذلک علانیه بالنظر لقوه مراکزهم و انقیاد الجند لهم، فاخذ یتحین الفرص المواتیه لتنفیذ سیاسته نحوهم.

و قد لمس القواد الاتراک موقف الخلیفه منهم و ما یرمی الیه من اخضاعهم، فأخذوا بدورهم یعملون جهد امکانهم علی مقاومته و عدم السماح له بالمساس بمصالحهم. فنشأ عن ذلک صراع خفی بین الطرفین، یتحین کل جانب الفرصه للایقاع بالجانب الآخر.

حتی انتهی الأمر بفشل محاولات المتوکل علی اللّه، و نجاحهم فی

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳.

التخلص منه. و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان قتل المتوكل على اللّه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، كان غلطه كبيره منه، اذ ان ذلك افقده شخصيه سياسيه قويه متمرسه كانت تقف الى جانبه بوجه الطغيان التركى، و تساعد على الحد من نفوذهم. كما ان غضبه على قاضى القضاه احمد بن ابى دواد افقده ايضا شخصيه عربيه مخلصه كان يمكن ان يستفيد من خبرته و آرائه و نفوذه. و سنحاول فيما يأتى ان نتلمس نواحى الصراع المذكور و ما ادى اليه من النتائج.

۱- التخلص من القائد ايتاخ:

سبق ان اشرنا الى ان ايتاخ كان قد اشتراه المعتصم باللّه فرأى فيه شجاعه و لمس منه ولاء، فضمه الى الجيش و رفع منزلته حتى غدا من كبار قواده و قواد ابنه الواثق باللّه. فلما تولى المتوكل على اللّه الخلافه كان ايتاخ يتولى الحبس و قياده قسم كبير من الجيش يشمل المغاربه و الأتراک، و يتولى كذلك البريد و الحجابه و شؤون دار الخلافه(۱). مما جعله اقوى القاده الاتراک سلطه و اوسعهم نفوذا. بحيث ان القضاء عليه يؤثر فى تقليص نفوذ القواد الآخرين. و قد سبقت الاشاره الى موقف ايتاخ فى اختيار خلف للواثق باللّه و انه كان من مؤيدى اختيار ابن الواثق باللّه على صغر سنه، مما جعل المتوكل على اللّه يضمر له شرا. و شرب المتوكل ذات ليله و عربد على ايتاخ فهم هذا بقتله. فلما اصبح المتوكل على اللّه و قيل له بما حصل بالأمس اعتذر اليه(۲).

۱- تجارب الامم ۶/ ۵۴۲، و الطبرى ۹/ ۱۶۶۷ و فيه: كان يتولى الجيش، الا انه سبق ان اشار فى ص: ۱۶۶ الى انه بيده الحبس.

۲- الطبرى ۹/ ۱۶۷.

و یظهر من روایه الطبری ان المتوکل علی اللّه لم یعد یأمن جانب ایتاخ فاراد التخلص منه «فدس الیه من یشیر علیه بالاستئذان للحج ففعل»(۱). و یؤید ابن الاثیر هذا بقوله «ثم وضع علیه من یحسن له الحج فأستأذن من المتوکل فاذن له»(۲).

الا ـ ان الیعقوبی یقول «و اتصل بالمتوکل انه کان علی ایقاع الحیله به، فلما لم یمکنه ذلک طلب الحج»(۳). و مهما کان السبب فی خروجه الی الحج فان المتوکل علی اللّه قد تظاهر باکرامه، فخلع علیه و صیره امیر کل بلد یمر به فی طریقه، و ذلک کسبا لثقته. و لما انصرف ایتاخ عائدا من الحج اراد العوده الی سامرا عن طریق الانبار. الا ان المتوکل علی اللّه کتب الی اسحاق بن ابراهیم عامله علی الشرطه ببغداد یأمره بحبسه(۴). فکتب اسحاق الی ایتاخ ان امیر المؤمنین قد أمره بأن یتلقاه بنو هاشم و وجوه الناس ببغداد زیاده فی اکرامه. و عند ما وصل بغداد احتال علیه اسحاق فحبسه و قیده. فاقام عده ایام فی الحبس ثم مات. و یقال انه أطعم فاستسقی فمنع عنه الماء حتی مات عطشا(۵).

و قد اتقن المتوکل علی اللّه تدبیر القضاء علی ایتاخ باختیاره بغداد لاعتقاله فیها، لأن اهل بغداد کانوا یعادون الاتراک و هم الذین ارغموا المعتصم باللّه علی الانتقال الی سامرا. و یقول الطبری «لو لم یؤخذ ببغداد ما قدروا علی اخذه، و لو دخل الی سامرا فاراد باصحابه قتل جمیع من خالفه امکنه ذلک»(۶).

۱- نفس المصدر.

۲- الکامل ۷/ ۴۳.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۵.

۴- الکامل ۷/ ۴۶.

۵- الطبری ۹/ ۱۷۰.

۶- الطبری ۹/ ۱۶۹.

۲- انشاء جيش من العرب:

من الدلائل الواضحه على عزم المتوكل على اللّه على مقاومه نفوذ الأتراك و الاستظهار عليهم محاولته تأسيس جيش يخلو من الاتراك قوادا و افرادا، و يعتمد بالدرجه الاولى على العرب. يقول المسعودى «انه ضم الى وزيره عبيد اللّه بن يحيى نحوا من اثنى عشر الف رجل من العرب و الصعاليک و غيرهم برسم المعتز و كان فى حجره»(۱). و رغم ان عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان كان تركيا الا انه كان مواليا للخليفه، و هو ابن اخى الفتح بن خاقان القائد التركى المقرب جدا من المتوكل على اللّه. لقد ادرک الاتراک خطر تأليف هذا الجيش و توسيعه، و ان نموه سيكون على حسابهم، لا سيما و قد شعروا بضيق المال عليهم لأن قسما منه ينفق على هذا الجيش. فاخذوا يقاومون توسعه بمختلف الوسائل، فلم يزد عدده كثيرا. اذ عند ما قتل المتوكل على الله دخل قاده هذا الجيش على عبيد الله بن يحيى و طلبوا اليه ان يسمح لهم بمقاومه قتله الخليفه من الاتراک و غيرهم، اختلف فى عدد افراد هذا الجيش فقال البعض انهم كانوا عشره الاف، و زاد آخرون او نقصوا(۲). يبدو ان المتوكل على اللّه لم ينجح فى محاولته هذه بشكل يؤثر على قوه الاتراک و نفوذهم. و يمكن القول بأن قيام المتوكل على اللّه بتأسيس هذه الفرقه من الجيش دليل على نيته فى اعاده النفوذ

۱- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۳.

۲- الطبرى ۹/ ۲۲۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷، و الكامل ۷/ ۹۹.

العربی الی الجیش، و ان هذه الفرقه ستکون نواه جیش کبیر یستطیع بواسطته ان یضع حدا لتسلط القواد الاتراک. و لکن یبدو انه کان یحذر جانب اولئک القواد و یخشی اثارتهم فلم یعهد بقیاده الفرقه المذکوره الی احد کبار القواد العرب، و انما عهد بها الی وزیره. الا ان القواد المذکورین احسوا بالخطر الذی یکمن وراء تشکیل هذه الفرقه فعملوا جهدهم علی عدم توسعها من جهه، و علی الایقاع بالمتوکل علی اللّه من جهه اخری. و قد استطاعوا ان یستمیلوا ولی العهد محمد المنتصر الی جانبهم ضد ابیه، مما سهل القضاء علیه. و بهذا تکون جریمه المنتصر مزدوجه اذ ساهم فی اغتیال ابیه، و ساعد القواد الاتراک فی تقویه مراکزهم و نفوذهم باضعاف الفرقه المذکوره و حلها. فأبقی الأتراک وحدهم اصحاب الصوله فی المیدان السیاسی و العسکری.

۳- نقل العاصمه الی دمشق:

اراد المتوکل علی اللّه الانتقال من سامرا لیبتعد عن تسلط الاتراک و تدخلهم فی شؤون الدوله. و یظهر انه اختار دمشق لتکون عاصمه له لنزعتها العربیه و خلوها من نفوذ الاتراک. کما ان کره اهل الشام لبعض العلویین مما یتفق مع میوله. و قد احتج فی انتقاله الی دمشق بسبب صحی. فقد وصف له برد هوائها و کان محرورا(۱). فأمر باصلاح الطریق و اقامه المنازل علیه للاستراحه، و اعداد القصور فی المدینه لسکناه و سکنی

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

حاشیته. فدخلها فی صفر سنه ۲۴۴ ه و عزم علی المقام بها و نقل دواوین الدوله الیها، و امر بالبناء فیها(۱).

الا ان القواد الاتراک سرعان ما ادرکوا غرضه من الانتقال الی دمشق فحرضوا جنودهم علی الشغب، فاحتجوا یطلبون باعطیاتهم و ارزاقهم، ثم جردوا اسلحتهم و رموا قصر الخلیفه بالنشاب بحیث ارتفعت السهام الی الرواق الذی یجلس فیه المتوکل علی اللّه.

فاستدعی احد القواد ممن یعتمد علیه، و هو رجاء الحضاری لیستطلع رأیه فیما حدث، فنصحه هذا بأن یأمر بدفع ارزاقهم حالا، و ان یعود الی سامرا. فأمر بدفع ارزاق الجند و ضرب الطبول للرحیل الی العراق. و یظهر ان الجند الاتراک فرحوا بذلک حیث سارعوا بالحرکه للرحیل.

و یظهر مما یرویه المسعودی ان الاتراک حاولوا ان یقتلوا المتوکل علی الله بدمشق الا انهم لم یتمکنوا من ذلک بسبب وجود القائد بغا الکبیر الی جانبه. و قد عملوا علی ابعاده عنه و خططوا للوقیعه بینهما لیعزلوا عن الخلیفه احد کبار مؤیدیه. فکتبوا الرقاع الی المتوکل علی اللّه یحذرونه من ان بغا یزمع علی الفتک به، و عینوا لذلک وقتا. ثم کتبوا الی القائد بغا بان جماعه من الاتراک عزموا علی الفتک بالخلیفه و یحثونه علی تشدید حراسته و حمایته له. و لما ذهب بغا مستعدا بحرسه للحیلوله دون الایقاع بالخلیفه، تأکد لدی المتوکل علی اللّه تصمیم بغا علی الفتک به، فاخذ یتوجس منه. و لهذا لما عاد الی سامرا ابقی بغا فی دمشق(۲). و ما ذکره الیعقوبی یؤید ما ذهب الیه المسعودی فی

۱- الطبری ۹/ ۲۰۹.

۲- تفصیل ذلک فی مروج الذهب ۴/ ۱۱۵- ۱۱۷.

سبب عوده المتوکل علی اللّه الی سامرا بقوله «و بلغه عن بعض الموالی امر کرهه فشخص عن دمشق الی العراق»(۱).

و برر المتوکل علی الله عودته الی سامرا بأنه «استوبأ البلد و ذلک ان الهواء بها بارد ندی، و الماء ثقیل، و الریاح تهب فیها مع العصر فلا تزال تشتد حتی یمضی عامه اللیل، و هی کثیره البراغیث، و غلت فیها الأسعار، و حال التلج بین السابله و المیره»(۲). ان القسم الأول مما ذکر عن مدینه دمشق قد یکون صحیحا، و کذلک غلاء الاسعار فیها بسبب انتقال هذا العدد الکبیر من الجند و بعض موظفی الدوله و حاشیه الخلیفه. الا ان حیلوله الثلج بین السابله و وصول المیره الی المدینه لا یتفق و الواقع. لان المتوکل علی الله دخل دمشق فی صفر سنه ۲۴۴ ه و اقام بها شهرین و ایاما ثم خرج عائدا الی سامرا فوصلها فی اواخر جمادی الآخره من نفس السنه. و لا بد انه ترک دمشق فی ربیع الثانی.

و هذه الأشهر من السنه المذکوره تقابل الأشهر مایس و حزیران و تموز من السنه ۸۵۸ المیلادیه(۳). و هی من اشهر الصیف فی دمشق و لم یکن الثلج قد سقط فیها. و قد یکون الطبری اراد ان یشیر الی ان الثلج یحول بین السابله و وصول المیره فی فصل الشتاء مما لا یشجع علی البقاء فی المدینه، الا انه لم یحسن التعبیر عن ذلک. و نقل نص قوله المؤرخون ممن جاءوا بعده.

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

۲- ۹/ ۲۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۲، و الکامل ۷/ ۸۵.

۳- التوفیقات الالهامیه/ ۱۲۲.

۴- تغلب القواد الأتراک:

ذکرنا فی البحث الخاص بمقتل المتوکل علی اللّه کیف ان المنتصر، عند ما تفاقم خلافه مع ابیه، اخذ یستقطب کبار القواد الاتراک حوله. و مما ساعده علی ذلک عدم اطمئنان اولئک القاده الی سیاسه المتوکل علی اللّه و نوایاه تجاههم. و قد ذکر ان المتوکل علی اللّه عزم هو و الفتح بن خاقان ان یصیرا غداءهما عند عبد اللّه ابن عمر المازیال یوم الخمیس لخمس لیال خلون من شوال ۲۴۷ ه علی ان یفتک بالمنتصر و یقتل و صیفا و بغا و غیرهما من قواد الأتراک و وجوههم(۱). و کانت نتیجه محاوله المتوکل علی الله هذه انها دفعت بالقواد المذکورین و غیرهم ممن کانوا یناصرون المنتصر ضد ابیه، الی الاسراع فی القضاء علیه قبل ان یحکم تدبیره فی الفتک بهم.

و کان من جمله الوسائل التی اتخذها المتوکل علی اللّه فی اضعاف نفوذ القواد الاتراک، ان ینتزع منهم بعض الضیاع التی اقطعت لهم فی مناسبات مختلفه. و قد ابتدأ بالقائد و صیف، فأمر فی سنه ۲۴۷ ه بانشاء الکتب بذلک، و صارت الی دیوان الخاتم لتوقیعها علی ان تنفذ فی الخامس من شعبان. فبلغ ذلک و صیفا، فزاد فی غضبه علی المتوکل علی اللّه بحیث کانت هذه الخطوه من الخلیفه السبب المباشر الذی ادی الی اغتیاله.

یتضح مما ذکرناه ان المتوکل علی الله حاول جاهدا ان یقضی علی نفوذ الأتراک او یضعفه علی الأقل، و قد اتبع لتحقیق ذلک

۱- الطبری ۹/ ۲۲۵، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

عده وسائل، و امتد صراعه معهم طيله مده خلافته. الا انه لم يستطع التغلب عليهم لسيطرتهم على الجيش، و لا شغالهم وظائف و مراكز مهمه تتيح لهم التعرف على محاولاته ضدهم، فكانوا سرعان ما يبادرون الى العمل على احباط تلك المحاولات. بل انهم لم يتورعوا عن اغتياله لما علموا بعزمه على الفتك بهم.

الفصل الثالث أيام الفتنه

۱- مقدمه:

اطمأن القواد الاتراک بعد ان اغتالوا المتوکل علی الله الی عدم وجود من یهدد مصالحهم، او یقف بوجه مطالیبهم المالیه، او یقلص نفوذهم و سطانهم بل نستطیع القول انهم ازدادوا نفوذا و تأثیرا علی الدوله و الخلفاء، فسیطروا علی الخلافه بعد المتوکل علی اللّه مده امتدت منذ خلافه المنتصر باللّه حتی مقتل المهتدی باللّه، بحیث اصبح الحکم الفعلی خلال هذه المده بایدیهم. و قد سادها صراع عنیف بینهم و بین الخلفاء، و کثرت الفتن خلالها و اهمها قیام الحرب بین جیش المستعین بالله و جیش المعتز باللّه و مقتل اربعه خلفاء، حتی سماها ابن خلدون «ایام الفتنه»(۱).

کان مجی ء المنتصر باللّه الی عرش الخلافه بعد تواطئه مع القواد الاتراک علی اغتیال ابیه، کسبا کبیرا للقواد المذکورین.

۱- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۲۹۳.

الا انهم ما لبثوا ان انقلبوا علیه بعد ان شعروا بنوایاه و ما یبیته ضدهم و قرروا قتله او التخلص منه بالسم، و قد اشرنا الی ذلک فی موضوع وفاته. و لما تخلصوا منه اجتمعت کلمتهم علی ان یبعدوا اولاد المتوکل علی اللّه الآخرین عن عرش الخلافه، بل انهم فی ایام المنتصر باللّه دفعوه الی ان یرغم اخویه المعتز و المؤید علی التنازل عن ولایه العهد. بحیث تسنی لهم ان یختاروا للخلافه من یتوسمون فیه الانقیاد لهم. فاختاروا احمد بن محمد بن المعتصم باللّه الذی لقب بالمستعین باللّه، مبررین اختیارهم له بانهم لا یرغبون فی خروج الخلافه من اولاد مولاهم المعتصم بالله.

الا ان القواد، لما اشتد خلافهم مع المستعین باللّه رغم ضعفه و استکانته، بایعوا للمعتز بالله بن المتوکل علی الله، لأنهم توقعوا انه سیکون طوع ارادتهم. و تجاهلوا الخلیفه القائم الذی فر الی مدینه السلام. مما نشأ وضع شاذ فی رئاسه الدوله العربیه، و ذلک بوجود خلیفتین فی وقت واحد، فقام الصراع بینهما و نشبت الحرب بین جیش المستعین بالله و جیش المعتز بالله، ثم انتهت وفق ما یرغب به کبار القواد الاتراک الذین کانوا اضطروا المستعین بالله علی الهرب الی بغداد، ثم التنازل عن الخلافه للمعتز بالله، و ما لبثوا ان اقنعوا المعتز بالله بقتله.

و لما تحقق للقواد المذکورین عجز المعتز بالله عن سد حاجتهم المستمره الی المال بادروا الی خلعه و اختیار محمد بن الواثق باللّه الذی عرف بزهده و عزوفه عن بهرجه الخلافه و مباهج الحیاه، و طمعوا ان یجدوا فیه اداه طیعه لتلبیه رغباتهم. الا انهم لما لمسوا حرصه الزائد علی اموال الأمه، و عمله فی نشر العدل، و محاسبته موظفی الدوله، ثاروا علیه و قتلوه. و اختاروا للخلافه

المعتمد على اللّه الذى كان منهمكا فى ملذاته اكثر من اهتمامه بشؤون الدوله. و توقعوا ان سيكون لهم المجال واسعا فى عهده للاستئثار بالسلطه و جر المغانم و حيازه الاموال. الا ان ابا احمد الموفق وقف الى جانب اخيه الخليفه و ضرب على ايديهم و كفهم عن العبث بشؤون الدوله. و هو و ان استأثر بالسلطه دون اخيه، استطاع ان يستعيد للخلافه هيبتها و للدوله العربيه سطوتها و سلطانها، فانهى عهد الفتنه التى سيطر خلالها الاتراک على شؤون الدوله، و اثروا تأثيرا سيئا فى مسيرتها.

و سنحاول فيمايلى من الصفحات ان نستعرض علاقه القواد الأتراک بخلفاء هذه المده لنتلمس نواحى قوتهم و ضعف هؤلاء الخلفاء. مع الاشاره الى مظاهر الصراع الذى استمر طيله المده المذكوره بين الطرفين، و الذى كان ينتهى دوما بانتصار القواد الاتراک، حتى استطاع الموفق ان يضع حدا لتسلطهم طيله وجوده فى الحكم الى جانب اخيه الخليفه.

۲- المنتصر باللّه يتنكر للاتراک:

اتخذ المنتصر باللّه موقف الحذر من القواد الأتراک و العمل على تفريق كلمتهم و اضعاف شأنهم بل و الانتقام منهم. و كانت سياسته هذه قد كلفته حياته. اذ ان نجاح مؤامرتهم فى قتل المتوكل على الله زاد من نفوذهم و تسلطهم على شؤون الخلافه، و اضعف النفوذ العربى فى الدوله. و كان هؤلاء القواد اول من بايع الخليفه الجديد حليفهم فى المؤامره، مما جعلهم يعتقدون بأن لهم الفضل فى توليه الخلافه. و تأييدا لسلطتهم عليه انهم استطاعوا

ان یرغموه علی خلع اخویه من ولایه العهد لکی یأمنوا انتقام اولاد المتوکل علی الله الآخرین اذا ما تولی احدهم الخلافه.

الا ان المنتصر بالله، و قد ساهم فی مؤامره اغتیال ابیه، أخذ یشعر بتأنیب الضمیر، فلا تغیب ذکراها عن ذهنه. کما لا تغیب صوره ابیه عن باله، حتی انه رآه اکثر من مره فی منامه یعاتبه و یعنفه، مما نغص علیه عیشه و اسلمه الی الکآبه و الیأس.

و اخذ یحس کأنه خسر الدنیا و الاخره. و کثیرا ما صرح بما کان یقاسیه من آلام نفسیه. و لذلک کان یشعر بکره طاغ تجاه هؤلاء القواد الذین زینوا له الاشتراک فی المؤامره، و بخاصه اولئک الذین تولوا قتل ابیه. و یود لو انه ینتقم منهم لیکفر عن خطیئته بحق ابیه. فکان اذا سکر قال عنهم هؤلاء قتله الخلفاء و اکثر من تهدیدهم(۱). و یظهر انه کان عزم علی الفتک بهم فقد قال للفضل بن المأمون. قتلنی اللّه ان لم اقتلهم و افرق جمعهم بقتلهم المتوکل علی اللّه(۲). فأخذ یغتنم الفرص للایقاع بهم. و عند ما اقترح علیه وزیره احمد بن الخصیب اخراج القائد وصیف علی رأس جیش لحرب الروم، اغتنم هذه الفرصه للتخلص من احد کبار قوادهم.

و کانت العلاقه بین الوزیر ابن الخصیب و القائد وصیف قد ساءت، و لکی یأمن الوزیر شر وصیف و تدخله فی اعماله، رأی ان خیر وسیله لذلک ابعاده عن حاضره الخلافه. فأشار علی الخلیفه بافتراحه المذکور. فتظاهر المنتصر بالله بالاهتمام بموضوع احباط نیه الاعتداء و استطاع ببراعته ان یقنع وصیفا

۱- الطبری ۹/ ۲۵۲.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۱۹.

بـالخروج. اذ قال له انه بلغه ان طاغيه الروم قـد اقبل يريـد الثغور العربيه، و هو ما لا يمكن السـكوت عليه، و لا بـد من رده بحمله عسـكريه توجه اليه، و ان لا مناص من ان يخرج بنفسه على رأس حمله للجهاد فى سبيل اللّه، ان لم يخرج على رأسـها احد كبار قواده. فقال وصيف بل انا اشخص يا امير المؤمنين. فاوعز المنتصر باللّه الى وزيره ان يبادر فورا الى تجهيز الحمله، و ان يبذل كل جهوده فى تآمين جميع ما تحتاجه. و كتب بنفس الوقت الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعرفه توجيهه وصيفا للروم و يعلمه بخروج حملته الى ثغر ملطيه، و يـأمره بـان يبلـغ عمـاله فى نـواحى عمله بكتـاب امير المـؤمنين لقراءته على من قبلهم من المسـلمين و ترغيبهم فى الجهاد و استنفارهم اليه، و الانفاق فى سبيل اللّه. و ينوه بفضل منزله المجاهدين على القاعدين، و يدعو الى بـذل النفوس و الاـموال لا علاء كلمه اللّه. و جاء آخر الكتاب «و قـد رأى امير المؤمنين- لما يحبه من التقرب الى اللّه بجهاد عدوه .. ان ينهض وصـيفا مولى امير المؤمنين فى هذا العام الى بلاد اعداء اللّه الكفره الروم، غازيا لما عرف الله امير المؤمنين من طـاعته و مناصـحته و محمـود نقيبتـه و خلـوص نيته، فى كـل مـا قر به من اللّه و من خليفته. و قـد رأى امير المـؤمنين- و الله ولى معونته و توفيقه- ان تكون موافاه وصيف فيمن انهض امير المؤمنين معه من مواليه و جنوده و شاكريته ثغر ملطيه .. فأعلم ذلک و اكتـب الى عمالـک على نـواحى عملـک بنسـخه من كتـاب امير المـؤمنين هـذا، و مرهم بقراءته على من قبلهم من المسـلمين و ترغيبهم فى الجهـاد، و حثهم عليه و اسـتنفارهم اليه، و تعريفهم مـا جعـل اللّه من الثواب لأـهله، ليعمـل ذووا النيـات و الحسـبه و الرغبه فى الجهاد على حسب ذلک فى

النهوض الی عدوهم، و الخفوف الی معاونه اخوانهم و الذیاده عن دینهم و الرمی من وراء حوزتهم، بموافاه عسکر وصیف مولی امیر المؤمنین ملطیه»(۱).

و کان غرض الخلیفه الرئیس من اخراج هذه الحمله الکبیره للغزو ابعاد القائد وصیف عن التدخل فی شؤون الخلافه، و اضعاف نفوذ القواد الاتراک بنفس الوقت. و مع هذا بقی المنتصر بالله یتوجس خیفه من هؤلاء القواد، و یرهب جانبهم لسیطرتهم علی الجیش و یخاف ان یتآمروا علیه کما تآمروا علی ابیه من قبل. و رغم تکتمه فی العمل علی تفریق کلمتهم و مناوراته فی ذلک فقد ظهر منه ما یدل علی انه ینوی بهم شرا، و یحاول ان یتنصل من الاشتراک فی المؤامره علی ابیه لیحملهم کامل المسؤولیه. و قد روی عنه انه قال(۲):

لو یعلم الناس الذی نالنی فلیس لی عندهم عذر

کان الی الأمر فی ظاهرو لیس لی فی باطن امر

کما یحتمل قول هذا شکواه من تسلطهم بحیث لم یبق له من الخلافه سوی مظاهرها.

ان موقف المنتصر باللّه هذا من الاتراک دفعهم الی الاسراع فی العمل علی التخلص منه قبل ان یتمکن هو منهم. لأنهم لما علموا

۱- نص الکتاب فی الطبری ۹/ ۲۴۱- ۲۴۳.

۲- فوات الوفیات ۲/ ۳۷۳.

بسوء نیته فیهم و انه یعمل علی التدبیر علیهم، بادروه بذلک(۱).

الا ان هیبه المنتصر بالله و شجاعته و یقظته و شده تحرزه حالت دون ان یتمکنوا من اغتیاله(۲). و لذلک عمدوا الی التخلص منه بالسم. و سبق ان ذکرنا ذلک فی الموضوع الخاص بوفاته. و بذلک انتصر القواد الاتراک علی المنتصر باللّه.

۳- المستعین بالله و الاتراک:

انقسم القواد الاتراک اثر مبایعه المستعین بالله الی کتلتین متناحرتین تتنازعان علی السلطه و حیازه الاموال. و کان لهذا الانقسام سببان مهمان، اولهما استیلاء القائد اوتامش، و هو ابن اخت القائد بغا الکبیر، علی السلطه و احتوائه الاموال دون بقیه القواد. فقد استوزره المستعین بالله عند ما تولی الخلافه و اطلق یده و ید شاهک الخادم فی بیوت الاموال. و فعل الخلیفه مثل ذلک مع امه فتیان فلم یمنعها من شی ء تریده. فکانت الاموال التی ترد الی بیت المال یصیر معظمها الی هؤلاء الثلاثه، و ما یفضل عن ذلک یترک لأوتامش ایضا لینفقه علی العباس بن المستعین بالله الذی کان فی حجره. فاحتوی اوتامش بذلک علی کثیر من الاموال و الضیاع. مما اثار حفیظه عدد من کبار قواد الاتراک و بخاصه وصیف و بغا الصغیر. فأخذا یعملان علی الایقاع به. و استطاعا ان یثیرا علیه قسما کبیرا من الجند فهاجموه و هو فی الجوسق مع الخلیفه، و ذلک فی منتصف ربیع الآخر سنه ۲۴۹ ه، فقبضوا علیه و قتلوه، و قتلوا معه کاتبه شجاع بن القاسم، و انتهبوا دور

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۴.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۷.

اوتامش و اخذوا منها اموالا جمه. «و يقال ان ذلك جرى بموافقه المستعين بالله(۱)».

و فى احدى قصائد البحترى فى مدح المستعين باللّه يشير الشاعر الى قتل اوتامش و كاتبه لتماديهما فى الاستيلاء على الاموال العامه، و افسادهما الحكم، و ظلم الرعيه و اضطهادهما، كما يشير الى نقمه قسم من الأتراك عليهما، منها قوله(۲):

لقد نصر الامام على الاعادى و اضحى الملك موطود العماد

و عرفت الليالى فى (شجاع)و (تامش) كيف عاقبه الفساد

تمادى منهما غى فلجاو قد تردى اللجاجه و التمادى

و ضلا فى معانده الموالى فما اغتبطا هناك بالعناد

برار فى اقتطاع المال جم و سعى فى فساد الملك باد

بهضم للخلافه و انتقاص و ظلم للرعيه و اضطهاد

أمير المؤمنين اسلم فقد مانفيت الغى عنا بالرشاد

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۶.

۲- كامل القصيده فى ديوان البحترى ۱/ ۵۲۴- ۵۲۶.

تدارک عدلک الدنیا فقرت و عم نداک آفاق البلاد

اما السبب الثانی لانقسام الأتراک فکان مقتل باغر الترکی الـذی کان علی رأس الزمره التی اغتالت المتوکل علی اللّه، فزیـد فی ارزاقه، و اقطع عـددا من الضـیاع. و کـان ممـا اقطع بعض القری بسواد الکوفه. فوثب رجـل من اهـل تلـک النـاحیه بوکیل باغر، فحبسه هذا و قیده. فشـکی الرجل امره الی القائد بغا الشـرابی، و کان باغر احد قواده، فانتصف له و کف ید باغر و وکیله عنه، و ذلـک بتـأثیر کـاتبه دلیـل بن یعقوب النصـرانی. فغضب بـاغر و بیت لبغا و دلیل شـرا. فجمع الیه الفئه التی کانت شارکته فی قتل المتوکل علی اللّه، و غیرهم من مؤیدیه و اصـحابه و ناظرهم و تأکد من تأییدهم له، و قال لهم «الزموا الدار حتی نقتل المسـتعین و وصـیفا و بغا، و نجی ء بعلی بن المعتصم باللّه او ابن الواثق باللّه، فنقعـده خلیفه، حتی یکون الامر لنا کما هو لهـذین اللذین قد اسـتولیا علی امر الدنیا، بقینا نحن فی غیر شی ء، فأجابوه الی ذلک»(۱). و انتهی الأمر الی المسـتعین باللّه فبعث الی وصیف و بغا و قال لهما «ما طلبت الیکما ان تجعلانی خلیفه، و انما جعلتمانی و اصـحابکما، ثم تریدان ان تقتلانی»(۲). فحلفا له انهما ما علما بذلک. و اتفق رأیهم علی اخذ باغر و رجلین من اصحابه من الأتراک و حبسهم. فاحضروا باغرا و حبسوه. فلما بلغ الخبر

۱- ۹/ ۷۷۹- ۲۸۰، و الکامل ۷/ ۱۳۸.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۰ و الکامل ۷/ ۱۳۹.

مؤيديه و اتباعه وثبوا على اصطبل الخليفه فانتهبوه و ركبوا ما فيه من الخيل و الدواب، و حضروا الى الجوسق بالسلاح لانقاذه.

الا ان اتباع وصيف و بغا قتلوا باغرا. فثار اتباعه و حاصروا المستعين باللّه و وصيفا و بغا فى دار الخلافه، فخاف الخليفه و القواد المناصرين له على انفسهم، فركبوا حراقه خفيفه اعدها لهم ميسان ملاح الخليفه فصاروا الى بغداد. و صحب الخليفه اضافه الى القائدين المذكورين، بعض رجاله و افراد حاشيته، منهم شاهك الخادم، و احمد بن صالح بن شيرزاد كاتب وصيف، و احمد بن اسرائيل. فوصلوها فى يوم الأربعاء لأربعه او خمسه خلت من المحرم سنه ۲۵۱ ه(۱). فنزل الخليفه فى دار محمد بن عبد اللّه ابن طاهر. ثم التحق به بعض القواد الأتراك، وجله الكتاب و العمال و بنى هاشم.

و قال الشاعر ابو على اليمانى فى شخوص المستعين باللّه الى بغداد(۲):

ما زال الا لزوال ملكه و حتفه من بعده و هلكه

و كأنه تنبأ بمصير المستعين باللّه. فقد خسر الخلافه و خسر حياته بانتقاله من عاصمه ملكه سامرا و لجوئه الى بغداد.

اضطرب الأتراك الذين بقوا فى سامرا، فمنعوا الناس من الانحدار الى بغداد. و ذكر انهم اخذوا ملاحا اكرى سفينته فضربوه مائتى سوط و صلبوه على دقل السفينه. فامتنع اصحاب

۱- الطبرى ۹/ ۲۸۳، و تاريخ بغداد ۵/ ۸۴، و الكامل ۷/ ۱۴۱.

۲- الطبرى ۹/ ۲۸۲.

السفن من الانحدار، الا سرا(۱). ثم اتفقوا على ضروره اعاده الخليفه الى سامرا، و قرروا ان يبعثوا اليه وفدا منهم يسألونه العوده الى دار ملكه. فصار اليه عده من كبار قادتهم منهم كلباتكين و بايكباک. و يقال انهم اخذوا اليه البرد و القضيب و بعض الخزائن و مائتى الف دينار(۲). و عند ما قابلوه سألوه ان يصفح عما بدر منهم و من اتباعهم من خلاف، فأجابوهم بما يكرهون، فقال لهم «انتم اهل بغى و فساد و استغلال للنعم الم ترفعوا الى فى اولادكم فالحقتهم بكم .. و فى بناتكم فامرت بتصييرهن فى عداد المتزوجات .. و ادررت لكم الارزاق حتى كان لكم آنيه الذهب و الفضه .. كل ذلک اراده لصلاحكم و رضاكم، و انتم تزدادون بغيا و فسادا»(۳). فاعترفوا بخطأهم و سألوه العفو، فعفا عنهم.

فقال له القائد بايكباک «فان كنت رضيت عنا و صفحت فقم فاركب معنا الى سامرا، فان الاتراک ينتظرونک»(۴) فاحتج محمد بن عبد اللّه على طريقه مجادله الخليفه فاوعز لأحد اتباعه فلكن بايكباک. فضحک المستعين باللّه قائلا ان هؤلاء عجم لا معرفه لهم باصول الكلام. و امر بايكباک و جماعته ان يصيروا الى سامرا، و اكد لهم ان ارزاقهم ستستمر، و انه سينظر فى امر مقامه ببغداد او عودته الى سامرا.

عاد القواد الاتراک الى سامرا و قد يئسوا من عوده الخليفه اليها، فاجمعوا على خلعه و مبايعه المعتز باللّه بن المتوكل على اللّه. و قد سبق ان اوضحنا ذلک فى سيره المعتز بالله.

۱- الطبرى ۹/ ۲۸۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۷۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۶۲.

۳- الطبرى ۹/ ۲۸۳.

۴- الطبرى ۹/ ۲۸۴، و الكامل ۷/ ۱۴۲.

۴- الحرب بين جيش المستعين باللّه و جيش المعتز باللّه:

اشاره

ان مبايعه المعتز باللّه بالخلافه فى سامرا مع وجود الخليفه الأصلى فى بغداد اوجد وضعا غريبا فى الخلافه العباسيه ادى الى نشوب الحرب بين انصار الخليفتين، اى بين جيش المستعين باللّه و جيش المعتز باللّه. فعند ما بلغ امير بغداد محمد بن عبد الله ان الأتراك فى سامرا نقضوا بيعه المستعين باللّه و بايعوا المعتز باللّه، أمر بقطع الميره عن اهل سامرا، فمنع السفن او اى شى ء من الميره من ان ينحدر من الموصل اليها، او ان يصعد نحوها شى ء من ذلك من بغداد.

و امره المستعين باللّه بتحصين بغداد، فنشط لاحاطه المدينه بجانبيها بسور. و كان السور فى الجانب الشرقى يبدأ من باب الشماسيه على ضفه دجله من فوق قصر المهدى، و هو على هيئه ربع دائره تبدأ من باب بردان و تنتهى عند باب خراسان. فكان السور يحيط بمحلتى الرصافه و الشماسيه، ثم ينعطف بهيئه ربع دائره ليشمل محله المخرم حتى يصل الى دجله ثانيه عند باب سوق الثلاثاء. اما فى الجانب الغربى فكان السور يبدأ من فوق باب قطيعه زبيده مشتملا على الفرضه العليا حتى يمر بباب قطربل متبعا خندق طاهر حتى باب الأنبار، و هو بهيئه نصف دائره كبيره يشتمل على مدينه المنصور، و قسم من الكرخ حتى يصل الى دجله خلف باب البصره تحت الموضع الذى يصب فيه نهر الصراه. و رتب على كل باب من ابواب السور قائدا على رأس ثله من الجند، و حفر الخنادق حول السورين كما يدوران فى الجانبين. و اقام مظلات يأوى اليها الفرسان فى الحر و المطر. و بلغت النفقه فيما

ذکر علی السورین و حفر الخنادق و اقامه المظلات ثلاثمائه و ثلاثین الف دینار(۱).

و جعل علی باب الشماسیه من الخارج بابا سمیکا معلقا قد البس بصفائح الحدید و شد بالحبال، فاذا ما وافی احد ذلک الباب ارسل علیه الباب المعلق فیسقط علیه و یقتله. کما نصب علی جمیع ابواب السور العرادات و المجانیق، و علیها ما تحتاجه من الرجال(۲). و من هذا یظهر ان المستعین باللّه اتخذ موقف المدافع فیما اذا هاجمته جیوش سامرا.

و قبل ان تبدأ الحرب جرت بین المعتز باللّه و محمد بن عبد الله مکاتبات، دعا فیها المعتز بالله محمدا الی خلع المستعین بالله و مبایعته، و ذکره بعهد ابیه المتوکل علی اللّه له بالخلافه بعد اخیه المنتصر بالله. و دعا محمد بدوره المعتز باللّه الی الأوبه الی طاعه المستعین بالله. و احتج کل منهما علی صاحبه فیما یدعوه الیه بما یراه حجه له تسنده ضد خصمه.

کما کتب المستعین باللّه الی عمال الخراج بکل بلده ان یحملوا الأموال الیه فی بغداد و الا یحملوا شیئا منها الی سامرا. و امر بالکتابه الی القواد و الجند الاتراک بسامرا یأمرهم بنقض بیعه المعتز باللّه، و الوفاء ببیعتهم له، و ینهاهم عن معصیته و نکث بیعته»(۳).

بدایه الحرب و حصار بغداد:

عقد المعتز باللّه لأخیه ابی احمد الموفق لسبع بقین من المحرم سنه ۲۵۱ ه علی حرب المستعین باللّه، و ضم الیه جیشا بقیاده

۱- الطبری ۹/ ۲۸۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۰.

۳- الطبری ۹/ ۲۸۸- ۲۸۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۱.

کلباتکین. فتجمع فی القاطول خمسه الاف من الأتراک و الفراغنه، و الفان من المغاربه، فسار الجیش حتی وافی عکبرا(۱).

و لما بلغ المستعین باللّه تحرک جیش المعتز بالله نحو بغداد ولی القائد الحسین بن اسماعیل مهمه الدفاع عن باب الشماسیه باعتباره الباب الرئیس للمدینه. و قبل ان تبدأ المعارک بین الجانبین امر محمد بن عبد الله بحشد جیش بغداد فی القفص(۲)، لیرهب الجیش المهاجم، و رکب معه وصیف و بغا فی الدروع، و استصحب معه الفقهاء و القضاه، و بعث الیهم یدعوهم الی الرجوع عما هم علیه من الطغیان و العصیان و انه یبذل لهم الأمان، و ان یکون المعتز باللّه ولی العهد بعد المستعین بالله فلم یجیبوا(۳).

اهم المعارک:

اشاره

جرت بین الجانبین مناوشات و معارک عدیده کانت الحرب فیها سجالا بینهما لم تسفر عن انتصار حاسم لأحدهما. فکانت حرب استنزاف للطرفین. حتی اضطر فی الأخیر جیش بغداد علی الاستسلام بسبب ما قاسته مدینه بغداد من جراء حصارها.

و سنقتصر علی ذکر اهم المعارک من حیث نتائجها و کثره الجیوش المشترکه فیها.

۱- الطبری ۹/ ۲۹۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۲، و الکامل ۷/ ۱۴۵، و فیه کان جیش الاتراک و الفراغنه خمسین الفا.

۲- القفص: قریه بین بغداد و عکبرا و هی الی بغداد اقرب، و کانت من مواطن اللهو. معجم البلدان ۴/ ۳۸۲.

۳- الطبری ۹/ ۲۹۲، و الکامل ۷/ ۱۴۷.

معرکه الشماسیه:

وافی قسم من جیش المعتز بـاللّه الشماسـیه لیله الأحـد لسـبع خلون من صـفر، فرماهم حماه الباب بالسـهام و المجانیق و العرادات، فوقع کثیر من القتلی و الجرحی بین الجانبین. و لما رأی جند سامرا تکاثر جیش المستعین باللّه علیهم انسحبوا الی معسکرهم(۱).

معرکه النهروان:

اتصـل بـابن طاهر ان جمعا من جنـد المعتز بالله صاروا الی ناحیه النهروان، فوجه الیهم ما ینوف علی الف فارس و راجل و علیهم قائـدان، فهـاجمهم جیش المعتز بالله و هزمهم، و انصـرف من نجا منهم الی بغـداد. و سـیطر جیش المعتز بالله علی طریق بغـداد- خراسان، و هو الطریق الذی یربط بغداد بالولایات، الشرقیه(۲).

معرکه قطربل:

وجه المعتز بالله جیشا آخر من الاتراک و الفراغنه و المغاربه الی بغداد، و علیه القائدان الدرغمان الفرغانی و ربله المغربی.

فاجتاز الجیش قطربل(۳) قاصدا بغداد من الجانب الغربی، و عسکر عند قطیعه ام جعفر، و ذلک فی یوم الثلاثاء لاثنتی عشره لیله بقیت من صفر. فوجه ابن طاهر ثلاثه من کبار قواده هم الشاه بن میکال، و بندار، و خالد بن عمران، و معهم اصحاب من

۱- الطبری ۹/ ۲۹۱- ۲۹۲ و الکامل ۷/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۹۴، و الکامل ۷/ ۱۴۷.

۳- هی قریه شمالی بغداد، بینها و بین عکبرا- معجم البلدان ۴/ ۳۷۱.

الفرسـان و الرجاله. فاشـتبک الجانبان فی الیوم التالی بمعرکه عنیفه انتصـر فیها جیش المسـتعین بالله و قتل و غرق کثیر من جنود جیش المعتز بـالله و أسـر آخرون منهم، و عبر قسم من المنهزمین الی معسـکر ابی احمـد فی الجـانب الشـرقی. و ذکر انهم کانوا اربعه الاـف فقتل منهم الفان(۱). فـاعتبر ذلـک انتصـارا للمسـتعین باللّه، و کتب به بیان قری ء علی اهل بغـداد فی جامعها، و هو بمثابه بیان حربی مسـهب یشـیر الی خروج جماعه ضاله نکثت بیعه الخلیفه و ناصرت غیره، و ان هؤلاء الناکثین جمعوا جموعهم من الاـتراک و الفراغنه و سـاروا نحو مـدینه السـلام معلنین البغی، فهزموا عنـد باب الشماسـیه، الا انهم اسـتنهضوا جیشا آخر من سـامرا. و لم تزل الحرب بین الموالین لأـمیر المؤمنین المسـتعین باللّه و الفرقه الضاله حتی انزل الله بهم البوار و احل علیهم النقمه فولوا منهزمین مغلولین(۲).

ثم اسـتأنف جیش المعتز بالله بعد فشله فی معرکه قطربل، الهجوم علی باب الشماسیه و باب البردان، فرد علی اعقابه بعد ان خسر عـددا غیر قلیل من القتلی و الجرحی، فهاج الغوغاء فی سامرا اثر هـذه الهزائم، و اعتبروها ضـعفا فی امر المعتز بالله، فانتهبوا سوق اصـحاب الحلی و السـیوف و الصـیارفه و اخذوا جمیع ما وجدوا فیها من متاع و اموال. و یظهر ان اهل سامرا ملوا الحرب فاخذوا یعلنون احتجاجهم علی استمرارها، و لا سیما عند وصول الاسری و رؤوس القتلی من بغداد. مما اضطر المعتز باللّه

۱- الطبری ۹/ ۲۹۵.

۲- کامل البیان فی الطبری ۹/ ۲۹۶- ۳۰۳.

ان یأمر بتغطیه وجوه الاسری، و ان یمنح کلا منهم دینارین، و ان تدفن الرؤوس(۱).

و لما طالت الحرب دون نتیجه و اظهر اهل سامرا تذمرهم من استمرارها کتب المعتز بالله الی اخیه الموفق یلومه علی تقصیره فی قتال اهل بغداد. فکتب الیه الموفق ما سبق ان قاله الشاعر علی بن امیه فی حرب الأمین و المأمون(۲):

لأمر المنایا علینا طریق و للدهر فیه اتساع و ضیق

فایامنا عبر للانام فمنها البکور و منها الطروق

الی ان یقول:

فبالله نبلغ ما نرتجیه و باللّه ندفع ما لا نطیق

معرکه الأنبار:

وقعت بالقرب من الانبار معرکتان مهمتان کان النصر فیهما لجیش المعتز باللّه. فقد وجه محمد بن عبد الله بن طاهر الی الانبار جیشا علیه القائد نجوبه بن قیس(۳)، لیحول دون وصول جیش سامرا من جهتها. فبثق الماء من الفرات الی خندق المدینه و قطع القناطر التی توصل الیها. و سبق لأبن طاهر ان امر بکسر القناطر و بثق المیاه بطسوج الأنبار و ما قرب منه من طسوج:

۱- الطبری ۹/ ۳۱۳، و الکامل ۷/ ۱۵۱.

۲- تتمه الابیات فی الطبری ۹/ ۳۱۶، و الکامل ۷/ ۱۵۲- ۱۵۳.

۳- فی الاصل بحونه، الا انه جاء فی الصحیفتین ۲۸۷ و ۲۸۹ من نفس الکتاب، و فی الکامل ۱۴۳ و ۱۵۳، نجوبه.

بادوريا ليقطع الطريق على جيش سامرا اذا ما ورد الأنبار[۱].

ثم استمد القائد نجوبه قوه اخرى ليعزز جيشه، فندب اليه ابن طاهر قوه اخرى عليها القائد رشيد بن كاوس، اخو الأفشين قائد جيش المعتصم باللّه.

و كان المعتز باللّه قد ارسل من سامرا جيشا على رأسه ابو نصر محمد بن بغا الكبير للاستيلاء على الأنبار، فباغت ابو نصر جيش ابن كاوس فهاجمه و هزمه. فلما بلغ نجوبه ما لقيه الجيش الذى ارسل مددا له، عبر النهر بقسم من جيشه و قطع جسر الأنبار، فوصل بغداد و اعلم ابن طاهر بمصير جيش ابن كاوس.

فوجه ابن طاهر القائد الحسين بن اسماعيل مع عدد من القواد الآخرين الى الانبار لايقاف زحف جيش سامرا.

و عند ما هزم جيش ابن كاوس و تنحى نجوبه عن الانبار، و رأى اهلها تقدم جيش المعتز بالله نحو المدينه، طلبوا الأمان و سمحوا للجيش المذكور بدخولها. و كانت قد وصلت الى الانبار فى هذه المده عدد من السفن من الرقه عليها دقيق و زيت و ابل و دواب اخرى، فاستولى جند المعتز باللّه عليها، و وجهوا ما بها و بالاسرى الى سامرا. و يظهر ان الحسين بن اسماعيل الذى ارسل لانقاذ مدينه الأنبار كانت تنقصه الكفايه العسكريه، فلم يحسن اختيار الموقع الذى نزله بجيشه. بحيث انه عند ما اشتبك بجيش سامرا هزم و جيشه هزيمه شنيعه، و احتوى جند سامرا جميع ما فى عسكره من المضارب و السلاح و الأثاث و صناديق الأموال. و عاد الحسين مع من هزم معه من القاده و الجنود الى الجانب الغربى من

۱- الطبرى ۹/ ۲۸۹.

بغداد. و لما اتصل خبر هذه الهزيمه بابن طاهر منع المنهزمين من العبور الى الجانب الشرقى من المدينه، و نودى فيمن دخلها من جند الحسين ان يلتحقوا بمعسكره. و قد وبخ ابن طاهر الحسين و امره بجمع فلول جيشه و العوده الى الأنبار ليحارب عنها ثانيه.

عاد الحسين بن اسماعيل الى الأنبار فنزل باصحابه موقعا يسمى «دمما» و هو قريه كبيره على نهر الفرات عند الفلوجه شرقى الفرات(۱). ثم عبر جدولا صغيرا رغم مقاومه جيش المعتز باللّه. على ان هذا الجيش قام بهجوم عبر فيه نهر الفرات، و كان الحسين قد تهاون بامر عبوره لعدم تقديره قوته، فتكاثر عليه و هزمه للمره الثانيه، بعد ان قتل و اسر من جيشه اعداد كثيره، مما اضطره على العوده الى بغداد بفلول جيشه المهزوم(۲).

الوضع الداخلى فى بغداد:

كان الأمراء من بنى هاشم الموجودون ببغداد قد تذمروا من معامله محمد بن عبد اللّه لهم، و اهماله شؤونهم و تأخيره ارزاقهم، مما دفع بعضهم الى ان يلتحق بالمعتز بالله مع من كان قد التحق به من الكتاب و القواد، منهم على و محمد ابنا الواثق بالله، و محمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر و محمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن على(۳). اما الذين بقوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين باللّه، و تناولوا ابن طاهر بالشتم القبيح و قالوا «قد منعنا

۱- معجم البلدان ۲/ ۴۷۱.

۲- راجع عن تفصيلات معركتى الانبار: الطبرى ۹/ ۳۲۱- ۳۲۶.

۳- الطبرى ۹/ ۳۲۶.

ارزاقنا .. فان دفعت الینا ارزاقنا و الا قصدنا الابواب ففتحناها و ادخلنا الاتراک فلیس یخالفنا احد من اهل بغداد»(۱). و قد عجز ابن طاهر عن ترضیتهم، مما زاد فی حنقهم علیه و علی المستعین باللّه.

کما ان حصار المدینه اشتد علی سکانها فاخذوا یتذمرون و یشکون القحط و غلاء الأسعار «و صاحوا فی اول ذی القعده یوم الجمعه: الجوع و مضوا الی الجزیره التی هی تلقاء دار ابن طاهر لیسمعوه صراخهم و احتجاجهم»(۲). و اجتمع فی اواخر الشهر المذکور «قوم من رجاله الجند و کثیر من العامه، فطلب الجند ارزاقهم، و شکت العامه سوء الحال التی هم علیها من الضیق و غلاء السعر و شده الحصار»(۳).

و حاول ابو احمد قائد جیوش المعتز بالله ان یقتحم سور بغداد. فبعث فی یوم الخمیس لاثنتی عشره لیله خلت من شعبان حمله لمهاجمته من ابواب الشماسیه و بغواریا و الأنبار. و قد استطاع قسم من رجال الحمله الذین هاجموا باب بغواریا ان ینقبوا السور فی موضعین تدفق منهما الجند الی داخل المدینه. کما ضرب قسم آخر من رجال الحمله باب الأنبار بالنار فاحرقوه و احرقوا ما کان علیه من المجانیق و العرادات، و دخلو المدینه ایضا. اما باب الشماسیه فقد استعصی علی الجند الذین وجهوا الیه. و شعر ابن طاهر بخطر هذا الهجوم فرکب علی رأس قواده.

و استثار الجند و الناس. و وجه القائدین وصیفا و بغا الی باب

۱- نفس المصدر/ ۳۲۷.

۲- الطبری ۹/ ۳۲۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۲۶.

بغواريا، و القائدين الشاه بن ميكال و الحسين بن اسماعيل الى باب الأنبار فالتقوا بمن دخل المدينه من جيش المعتز بالله و تكاثروا عليهم فطردوهم و ردوهم على اعقابهم بعد ان قتلوا و جرحوا و اسروا اعدادا منهم(۱).

و يظهر ان محمد بن عبد اللّه اخذ يشعر بضعف مقاومه جيش المستعين بالله و فتور حماسه للقتال. فحاول ان يثير عزائم قواده، فجمع المكلفين منهم بابواب بغداد و غيرهم و شاورهم فى امر استمرار الحرب بعد ما اصابهم من و هن و ضعف، فأبدوا استعدادهم لبذل النفس و الدم و المال. فادخلهم على المستعين بالله، و علمه بما ناظرهم به و ما ردوا عليه من الجواب. فقال لهم «و الله يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسى و سلطانى ما اقاتل الا عن دولتكم و عامتكم، و أن يرد الله اليكم اموركم قبل مجى ء الاتراك و اشباههم، فقد يجب عليكم المناصحه و الجهد فى قتال هؤلاء الفسقه. فردوا احسن مرد، و جزاهم الخير و امرهم بالانصراف»(۲).

الاستعانه بالعيارين:

كان محمد بن عبد الله أمر بأن يستعان بالعيارين فى الحرب، و ان يجعل عليهم عريف، و ان تعمل لهم تروس من البوارى المقيره، و مخال تملأ بالحجاره. فكان الواحد منهم يقف خلف الباريه فلا يرى منها. و قد نصب عليهم عريف يقال له ينتويه(۳).

۱- راجع عن معركتى ابواب بغداد: الطبرى ۹/ ۳۳۰- ۳۳۱.

۲- الطبرى ۹/ ۳۳۴.

۳- الطبرى ۹/ ۲۸۸.

و يظهر ان الحاجه اشـتدت اليهم فامر محمد بن عبد الله بتسـليحهم و اثبت اسماءهم. ففرق ينتويه اتباعه على ابواب بغداد ليكونوا عونا للجيش المدافع عنها(۱). و يقول الطبرى انهم كانوا أثبت من العامه فى الحرب(۲). و خرج ينتويه و اصحابه من العيارين فى احـد الايام من باب قطربل و اشـتبكوا بالمهاجمين من جيش المعتز باللّه و اسـتطاعوا ان يردوهم الى معسـكرهم مثخنين بالجراح. فأمر له محمد بن عبد الله بخمسمائه درهم، الا انه امره الا يخرج بجماعته الى الحرب الا فى يوم قتال(۳).

محاوله فک الحصار عن بغداد:

رغم فشل جيش المعتز باللّه فى اقتحام اسوار مـدينه بغداد الا ان حصاره لها كان محكما بحيث اضـطر محمد بن عبد الله ان يقوم بهجوم كبير على محاصـريه ليجليهم و يفك حصار المـدينه. فأمر فى اوائل ذى القعده بفتح الابواب كلها فى الجانبين الشـرقى و الغربى، و نصب المجـانيق و العرادات عليهـا و على السـفن فى نهر دجله، و خرج على رأس الجنـد و معه كبـار القـواد. فـتزاحف الفريقـان و اشـتبكا فى معركه عنيفه هزم فيهـا جيش المعـتز بـالله و هرب من سـاحه القتـال حـتى صـار الى معسـكره. فتعقبه جند المسـتعين باللّه و انتهبوا قسما من المعسكر، و ضربوا زورقا لهم يقال له (الحديدى) كان شديدا على اهل بغداد برمى النار. الا ان ابا احمد الموفق استطاع ان يرد جنده الى استئناف القتال و القيام

۱- نفس المصدر/ ۳۰۹.

۲- نفس المصدر/ ۲۹۳.

۳- نفس المصدر/ ۳۱۰.

بهجوم معاكس. اذ قال لهم انهم ان لم يكروا لم تبق لهم بقيه(۱).

فعادوا و صمدوا فى اماكنهم. و صادف ان جمعا من جيش المستعين بالله رجعوا عن الاتراك المنهزمين مما اوهم جماعتهم ان جنود المعتز بالله قد رجعوا عليهم، فانهزموا نحو بغداد متزاحمين.

و هكذا انصرف الفريقان عن بعضهما.

و قد سر ابن طاهر مما حققه جنده من الانتصار فى المعركه الأخيره على بعض ابواب بغداد، و جعل يطوق كل من جاءه برأس قتيل، حتى بدت الكراهيه فى وجوه اتباع بغا و وصيف من الأتراك لمقتل اصحابهم جنود المعتز بالله.

المستعين باللّه يخلع نفسه و يبايع المعتز باللّه:

يمكن اعتبار معركه فك الحصار عن بغداد و فشلها نهايه للحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المستعين بالله. و قد ذكر ان ابن طاهر كان قد كاتب المعتز باللّه قبل ذلك فى الصلح(۲). اذ كان جادا فى نصره المستعين باللّه حتى استطاع عبيد اللّه بن يحيى ابن خاقان و احمد بن اسرائيل و الحسن بن مخلد ان يصدقوه عما كان عليه. اذ اقنعوه بان المستعين باللّه يعمل للتخلص منه(۳).

و كان استياء اهل بغداد من استمرار الحرب، و ما قاسوه من تأثير الحصار المفروض عليهم، مما شجعه على ان يبعث وفدا الى عسكر ابى احمد لمناظرته فى امر الصلح. كما انه خرج بنفسه لمقابلته.

و كان قد ضرب لابن طاهر بباب الشماسيه مضرب كبير، و جاء ابو احمد فى زلال و دخل المضرب. فتناظرا طويلا ثم خرجا. و انصرف

۱- نفس المصدر/ ۳۳۴.

۲- الطبرى ۹/ ۳۳۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۴۲.

ابن طاهر الی المستعین بالله و اخبره بما دار بینه و بین ابی احمد «فذکر انه فارقه علی ان یعطی خمسین الف دینار، و یقطع غله ثلاثین الف دینار فی السنه. و ان یکون مقامه بغداد حتی یجتمع له مال یعطون الجند، و علی ان یولی بغا مکه و المدینه و الحجاز، و وصیف الجبل و ما والاه، و یکون ثلث ما یجبی من الخراج لمحمد ابن عبد الله و جند بغداد، و الثلثان للموالی و الأتراک»(۱).

کانت هذه شروط المستعین باللّه، و قد امتنع اول الأمر من ان یخلع نفسه من الخلافه، «الا انه عند ما ناظره ابن طاهر و وصیف و بغا و اغلظ لهم کاشفوه بنوایاهم. فقال له وصیف:

انت امرتنا بقتل باغر فصرنا الی ما نحن فیه، و انت حرضتنا لقتل اوتامش، و قلت ان محمدا لیس بناصح، و ما زالوا یفزعونه و یحتالون له. فقال له محمد بن عبد الله: و قد قلت لی ان امرنا لا یصلح الا باستراحتنا من هذین الاثنین. فلما اجتمعت کلمتهم اذعن لهم بالخلع و کتب بما اشترط لنفسه»(۲). و قد کشفت هذه المناظره عن سوء تدبیر المستعین بالله و فساد نیته تجاه رجاله، مما ازال الثقه بینه و بینهم و جعلهم یحجمون عن الاستمرار بالحرب الی جانبه.

و یظهر ان مفاوضات الصلح قد اثمرت، اذ وجه الموفق خمس سفائن من دقیق و حنطه و شعیر وتین الی ابن طاهر. فوجه هذا قواده الیه فبایعوا للمعتز باللّه. کما ان رشید بن کاوس احد کبار قواد المستعین بالله کان قد قابل الموفق ثم عاد الی بغداد یقول

۱- نفس المصدر/ ۳۴۳.

۲- نفس المصدر ۳۴۴- ۳۴۵.

للناس «ان امیر المؤمنین المعتز و ابا احمد یقرآن علیکم السلام و یقولان من اطاعنا وصلناه و من أبی فهو أعلم»(۱).

و لما علم اهل بغداد بهذه الاتصالات ظنوا ان مفاوضات الصلح تجری باذن الخلیفه المستعین بالله علی ان یستمر هو فی الخلافه و یکون المعتز بالله ولی عهده. الا انهم اتضح لهم ان ذلک تم دون موافقه المستعین بالله فهاجوا علی ابن طاهر و قصدوا داره و شتموه، الا ان جنده ردوهم عن داره.

ان المستعین باللّه بعد ان رأی ما صارت الیه الأمور، و ان اتباعه تخلوا عن نصرته اذعن لما ستسفر عنه نتیجه المفاوضات.

فلما کان یوم السبت لعشر بقین من ذی الحجه ادخل محمد بن عبد الله جمیع القضاه و الفقهاء علی المستعین بالله و اشهدهم علیه بأنه صیر امره الیه(۲). و استمر محمد فی مفاوضاته التی انتهت بالموافقه علی ان یتنازل المستعین باللّه عن الخلافه و یبایع للمعتز بالله بشرط ان یقطع المستعین بالله بعض الاراضی و ینزل المدینه المنوره و یسمح له بالتنقل بینها و بین مکه. فوافق ابو احمد الموفق علی ذلک، الا ان المستعین بالله طلب ان یکتب المعتز بالله موافقته علیها بخطه. فاخرج ابن طاهر جماعه من قواده الی المعتز بالله فی الشروط المذکوره، فوقع ذلک بخطه و شهدوا علی اقراره. و خلع المعتز بالله علی الرسل و قلدهم السیوف، و وجه معهم جماعه من رجاله لأخذ البیعه له من المستعین باللّه(۳).

۱- الکامل ۷/ ۱۵۸.

۲- الطبری ۹/ ۳۴۵.

۳- نفس المصدر، ۳۴۴- ۳۴۵، و الکامل ۷/ ۱۶۲.

و يقال ان المستعين بالله طلب ان ينزل بواسط الى وقت مسيره الى مكه و ان المعتز كتب له على نفسه شروطا متى نقض شيئا منها فـاللّه و رسوله منه براء، و النـاس فى حـل من بيعته(۱). فخلع المسـتعين بـالله نفسه من الخلافه فى يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنه ۲۵۲ ه(۲). و بذلك انتهت الحرب التى قامت بين المسـتعين بالله و المعتز بالله، و غدا على رأس الدوله العربيه رئيس واحـد فى سامرا. و تسـلم محمـد بن عبـد الله منه البرده و القضـيب و الخاتم، و هى شارات الخليفه، و وجه بها الى المعتز بالله مع اخيه عبيد اللّه بن عبد الله، و كتب معه كتابا، قال فيه «اما بعد، فالحمد للّه متمم النعم برحمته و الهادى الى شـكره بفضله، و صلى اللّه على محمد عبده و رسوله .. كتابى الى امير المؤمنين و قد تمم اللّه له امره، و تسـلمت تراث رسول اللّه صـلى الله عليه و سـلم ممن كان عنده، و انفذته الى امير المؤمنين ..»(۳).

و قال بعض الشعراء فى خلع المستعين بالله(۴):

خلع الخلافه احمد بن محمدو سيقتل التالى او يخلع

و يزول ملك بنى ابيه و لا يرى أحد تملك منهم يستمتع

ايها بنى العباس ان سبيلكم فى قتل أعبدكم طريق مهيع

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۳- الطبرى ۹/ ۳۴۸- ۳۴۹.

۴- الطبرى ۹/ ۳۵۰، و الكامل ۷/ ۱۶۸.

رقعتم دنیاكم فتمزقت بكم الحیاه تمزقا لا یرقع

و تمثل هـذه الابیات علی قصرها شـعور الناس حینـذاک، و رأیهم فی تصـرفات الخلفاء من بنی العباس و مصـیرهم علی ایـدی موالیهم الأتراک المتسلطین علیهم، الذی ینتهی بالخلع و القتل.

۵- المعتز باللّه و الأتراک:

اشاره

کـان الاـتراک قـد اسـتحوذوا منـذ مقتـل المتوکـل علی اللّه علی شؤون الخلافه و استضـعفوا الخلفاء. فکان الخلیفه كالأسـیر فی ایـدیهم یبقوه اذا شـاءوا، و یخلعوه اذا مـا اختلفوا معه. و یورد ابن الطقطقی قصه للـدلاله علی تسـلط القواد الأـتراک علی مقادیر الخلفاء، فیقول «لما جلس المعتز علی سـریر الخلافه قعـد خواصه و احضـروا المنجمین، و قالوا لهم: انظروا کم یعیش و کم یبقی فی الخلاـفه. و کـان بـالمجلس بعض الظرفـاء فقـال: أنـا اعرف من هؤلاـء بمقـدار عمره و خلافته. فقالوا: فکم تقول انه یعیش و یملک؟ قال: مهما اراد الأتراک»(۱).

و ممـا یـدل علی ان المعتز بـالله کـان یرهب جـانب الأـتراک، مـا یقال ان امه لم تزل تحرضه علی الفتک بقتله ابیه من الأتراک، فکان یعـدها و یمنیها، و هو یعلم انه لا یقوی علیهم لشـده شوکتهم و غلبتهم علی الامور. فأخرجت الیه یوما قمیص ابیه المتوکل علی

۱- الفخری/ ۲۲۰.

اللّه و هو مخضب بدمائه، و جعلت تبکی و تستثیره، فقال لها: یا امی ارفعی القمیص و الا صار قمیصین(۱).

و یظهر ان عامه الناس و قسما من الجند لم یکونوا راضین عن تسلط الأتراک لاستغلالهم مراکزهم و اضطهادهم الناس. فقد وثب بعض الجند الاتراک بالوزیر عیسی بن فرخان فی اول رجب سنه ۲۵۲ ه، فثار له المغاربه من الجند و غلبوا الاتراک علی الجوسق و اخرجوهم منه، و قالوا لهم: کل یوم تقتلون خلیفه و تخلعون آخر و تقتلون وزیرا(۲). فصار الجوسق و بیت المال بید المغاربه.

فتجمع الأتراک ثانیه و اشتبکوا مع المغاربه. و قد اعان الناس المغاربه کرها بالاتراک حتی قاربوا ان یتغلبوا علیهم. الا ان قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد اصلح بین الطرفین.

القائدان وصیف و بغا و مقتلهما:

بقی القائدان وصیف و بغا الی جانب المستعین بالله الی ان خلع نفسه من الخلافه و بایع المعتز باللّه. فأمر المعتز بالله محمد بن عبد الله ان یسقط اسمیهما مع اتباعهما من الدیوان ببغداد. الا ان وصیفا وجه اخته سعاد الی ابراهیم المؤید، و کان نشأ فی حجرها، فکلم اخاه المعتز فی الرضا عنه. و یقول الطبری ان سعادا اخرجت من قصر وصیف الف الف دینار کانت مدفونه فیه، فدفعتها الی المؤید، فکلم هذا اخاه الخلیفه. فرضی عن وصیف،

۱- الدیارات/ ۱۶۹، و ثمار القلوب/ ۸۶.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۹، و الکامل ۷/ ۱۷۳، و فیه: و تعملون وزیرا.

و کتب الیه بالرضا عنه(۱). و کلم الموفق اخاه المعتز بالله بشأن بغا الصغیر، فرضی الخلیفه عنه کذلک(۲). فعادا الی خدمته فی سامرا، رغم انه کان یرغب ببقائهما ببغداد بعیدین عنه. اذ اوعز الی ابن طاهر ان یحول دون خروجهما الی سامرا.

الا انهما استطاعا الشخوص الیها، و عادا الی مراتبهما(۳).

و کان الاتراک و الفراغنه و الاشروسنیه من الجند قد شغبوا فی اوائل شوال سنه ۲۵۳ ه و طالبوا بارزاقهم المتأخره لأربعه اشهر.

فخرج الیهم من القواد وصیف و بغا الصغیر و سیما الشرابی لیناظروهم فی طلباتهم. فاغلظ وصیف فی کلامه مع الجند فوثبوا به و قتلوه، و نصبوا رأسه علی محراک تنور(۴). فتخلص بذلک المعتز بالله من احد کبار القواد المتغلبین.

لقد صفا الجو بعد مقتل وصیف للقائد بغا الصغیر، فأخذ المعتز یظهر اکرامه فجعل الیه ما کان الی وصیف من المهام و القیادات، ثم خلع علیه و البسه التاج و الوشاحین(۵). و من الجدیر بالذکر ان نشیر الی ان اکرام القواد الاتراک فی المناسبات المختلفه لا سیما عند انتصارهم فی الحروب، فی عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله، لم یکن لقوه نفوذهم و سلطانهم، و انما کان تشجیعا لهم و تقدیرا لجهودهم و دفعهم الی مزید من الولاء للخلیفه و خدمه الدوله العربیه. اما فی عهد بقیه خلفاء سامرا فان الباعث علی تکریمهم کان محاوله کسب رضاهم و دفعا لنقمتهم و غضبهم، بعد ان قوی نفاذهم و اشتد ازرهم کطبقه عسکریه حاکمه.

۱- الطبری ۹/ ۳۵۵.

۲- نفس المصدر

۳- الطبری ۹/ ۳۵۶، و الکامل ۷/ ۱۶۹.

۴- الطبری ۹/ ۳۷۴، و الکامل ۷/ ۱۷۹.

۵- نفس المصدرین.

و حاول بغا ان يقنع المعتز بالله بالمسير الى بغداد لكى ينفرد بالهيمنه على شؤون الخلافه، الا ان المعتز باللّه كان يأبى ذلك.

و لما زوج بغا بنته من صالح بن وصيف، و قد اصبح هذا من كبار قاده الاتراک، ازداد بغا قوه و نفوذا، فطغى و تفرد بالأمور(۱).

فاخذ المعتز بالله يرهب جانبه بحيث «كان لا ينام فى غيبه بغا الا فى ثيابه و عليه السلاح»(۲) و قال «لا ازال على هذه الحاله حتى اعلم لبغا رأسى او رأسه لى»(۳).

و يبدو ان الخلاف اشتد بين الخليفه و بغا، لا سيما و ان المعتز باللّه قد استطاع ان يكسب ولاء بعض القواد الاتراک. و لما بلغه ان بغا عزم على الوثوب به دبر على قتله، فلما بلغ ذلک بغا هرب(۴). و حاول ان يتظاهر بالخروج من سامرا لكى يباغت المعتز بالله و اعوانه. فخرج فى غلمانه و قواده الى السن ثم عاد بمفرده ليلا متخفيا ليجتمع الى صالح بن وصيف ليدبرا الوثوب بالخليفه. الا انه وقع بيد الحراس، و لما اعلموا المعتز بالله بالقبض عليه، أمر بقتله. فقتل و حمل رأسه اليه، فنصب بسامرا و بغداد(۵). و يقول الطبرى ان المعتز بالله وهب قاتله عشره الاف دينار و خلع عليه خلعه(۶). مما يدل على اغتباطه بالتخلص منه.

۱- كتاب دول الاسلام ۲/ ۱۱۱.

۲- الكامل ۷/ ۱۸۷.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۷۷.

۴- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۳.

۵- الطبرى ۹/ ۳۸۰، و الكامل ۷/ ۱۸۷، و المروج ۴/ ۱۷۷.

۶- الطبرى ۹/ ۳۸۱.

سیطره صالح بن وصیف:

انتهت زعامه الجند الأتراک بعد مقتل وصیف و بغا الی القائد صالح بن وصیف. فصار الشخص الاول بعد الخلیفه، تخرج الکتب باسمه، و یتولی تعیین الوزراء و الولاه و الکتاب. و عند ما ساء الوضع المالی و لم یعد فی بیت المال ما یکفی لدفع ارزاق الجند التی اخذت تتأخر کثیرا عن مواعیدها، عمد صالح بن وصیف الی مصادره الکتاب للحصول علی الأموال. فأخذ احمد بن اسرائیل کاتب الخلیفه و وزیره، و الحسن بن مخلد کاتب ام الخلیفه، و ابا نوح عیسی بن ابراهیم، فقیدهم و طالبهم باخراج ما یملکونه من الاموال. و قال للخلیفه مبررا فعلته هذه «لیس للاتراک عطاء، و لا فی بیت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائیل و اصحابه باموال الدنیا»(۱). و ضرب ابن اسرائیل حتی کسرت اسنانه، و ضرب ابن مخلد مائه سوط، و کان عیسی بن ابراهیم محتجما فلم یزل یصفع حتی سالت الدماء من محاجمه، و لم یترکوا حتی اخذت رقاعهم بمال جلیل قسط علیهم(۲).

لقد حاول المعتز بالله ان یعتمد علی قوه تساعده فی مناهضه صالح و مؤیدیه من الاتراک، فاصطنع المغاربه و الفراغنه من الجیش. الا ان نتیجه سیاسته هذه ان الاتراک وحدوا صفوفهم، و قد رأوا الخلیفه یعمل علی اضعاف شأنهم. فعمد قوادهم و علی رأسهم صالح بن وصیف الی تحریض الجند و دفعهم الی مطالبه الخلیفه بارزاقهم التی کان عاجزا عن دفعها لفراغ بیت المال نتیجه سوء الاداره و اهمال الشؤون الزراعیه و تکالیف الحرب

۱- الطبری ۹/ ۳۸۷.

۲- نفس المصدر.

الأهليه التی قامت بین سامرا و بغـداد(۱). و یقول الطبری ان حـاجه الجنـد الأـتراک دفعتهم الی ان یطلبوا الی الخلیفه ان یعطیهم خمسین الف دینار علی ان یقتلوا صالحا. فارسل المعتز بالله الی امه یعلمها باضطراب الاتراک، و شغبهم علیه، و خوفه علی نفسه منهم، و یطلب مساعدتها من المال. فارسلت الیه ان لیس عندها مال و لینتظروا حتی تقبض و تعطیهم. علما انها کانت معها اموال لا تحصـی، و قد قوموا جواهرها بالفی الف دینار(۲). فقـد کـانت بخیله و قـد جمعت اموالا طائله و کانت تخفیها عن ابنها. و قد وقع صالـح علی خزائن لهـا فیهـا اموال کثیره من اللؤلؤ و الیـاقوت و غیر ذلک بحیث ظلت تلک الخزائن تباع فی سامرا و بغـداد عده شهور حتی نفذت(۳). و یقول السـیوطی انها کانت اختفت اثر مقتل ابنها، و لما ظهرت اعطت صالـح بن وصـیف قاتل ابنها مالا عظیما، من ذلک الف الف دینار، و سفط زمرد و آخر لؤلؤ. فلما رأی صالح تلک الأموال قال: قبحها اللّه عرضت ابنها للقتل لأجل خمسین الف دینار و عندها هذا(۴).

خلع المعتز باللّه من الخلافه:

عند ما رأی القواد الاتراک انهم لم یحصل لهم شـی ء من المال من المعتز باللّه اتفقت کلمتهم علی خلعه و التخلص منه. فساروا الیه، و دخلوا علیه و طلبوا الیه ان یخرج الیهم، فاحتج بالمرض.

۱- الطبری ۹/ ۳۹۴- ۳۹۵.

۲- کتاب دول الاسلام ۲/ ۱۱۲.

۳- الطبری ۹/ ۳۹۴- ۳۹۵.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۰.

الاـ ان بعضـهم اقتحموا عليه الغرفه و جروا برجله و ضـربوه بالـدبابيس، و خرقوا قميصه. و اقـاموه فی الشـمس فكان يرفع رجلا و يضع اخرى من شده الحر، و كان بعضهم يلطمه(۱). ثم امروه ان يخلع نفسه من الخلافه طالما عجز عن تدبير المال لهم.

و احضـروا القاضـی ابن ابی الشوارب، و كتبوا كتـاب خلعه، فـأقر المعتز بـاللّه مكرهـا بمـا جـاء فی كتاب الخلع(۲). و شـهد عليه الحاضرون، كما شهدوا علی صالح بن وصيف بان للمعتز باللّه و امه و ولده و اخته الأمان(۳). و كان ذلک فی يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنه ۲۵۵ ه(۴). و كان نص كتاب الخلع كما يأتی(۵):

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هـذا ما اشـهد عليه الشـهود المسـمون فی هذا الكتاب، شـهدوا ان ابا عبد الله بن امير المؤمنين المتوكل علی اللّه أقر عنـدهم، و اشـهدهم علی نفسه فی صـحه من عقله، و جواز من امره، طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافه و القيام بامور المسـلمين، فرأى انه لا يصلح لذلک، و لا يكمل له، و انه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلـک، فـاخرج نفسه، و تبرأ منهـا، و خلعهـا من رقبته، و خلع نفسه منهـا، و برأ كل من كانت له فی عنقه بيعه من جميع اوليائه و سائر الناس ممن كان له فی رقابهم من البيعه و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصـدقه و الحج و سائر الأيمان، و حللهم

۱- الطبری ۹/ ۳۸۹، و الكامل ۷/ ۱۹۱، و الفخری/ ۲۲۱.

۲- العبر ۲/ ۹.

۳- الطبری ۹/ ۳۹۰.

۴- الطبری ۹/ ۳۸۹.

۵- نفس المصدر/ ۳۹۱- ۳۹۲.

من جمیع ذلک، و جعلهم فی سعه منه فی الدنیا و الآخره، بعد ان تبین له ان الصلاح له و للمسلمین فی خروجه عن الخلافه و التبرؤ منها، و اشهد علی نفسه بجمیع ما سمی و وصف فی هذا الکتاب جمیع الشهود المسمین فیه و جمیع من حضر، بعد ان قری ء علیه حرفا حرفا، فأقر بفهمه و معرفته جمیع ما فیه طائعا عن مکره، و ذلک یوم الاثنین لثلاث بقین من رجب سنه ۲۵۵ ه».

و وقع المعتز فی ذلک: أقر ابو عبد اللّه بجمیع ما فی هذا الکتاب و کتب بخطه. و کتب الشهود شهاداتهم.

ثم حبس المعتز باللّه، و کان القواد الاتراک قد اوعزوا بقتله و قد ذکرنا تفصیل ذلک فی سیرته.

۶- المهتدی باللّه و محاوله اضعاف سلطه الاتراک:

اشاره

الخلاف بین المهتدی باللّه و موسی بن بغا:

کان موسی بن بغا الکبیر علی رأس جیش فی محاربه الحسن بن زید العلوی فی بلاد الری. فاستنجدت به ام المعتز باللّه لما ضایق القواد الاتراک ابنها، فلم یتمکن آنذاک من الشخوص الی سامرا.

و لکن بعد ان بلغه نبأ مقتل الخلیفه صعب علیه ذلک فقرر العوده بجیشه الی سامرا للانتقام من قاتله صالح بن وصیف و اصحابه.

و کان الجند الذین مع موسی بلغهم ما اخذه صالح و جنده من اموال الکتاب و اسلاب المعتز بالله و اموال امه، فحسدوا المقیمین بسامرا من الجند و دعوا موسی الی الشخوص بهم الی سامرا.

و لما بلغ المهتدی بالله خبر توجه موسی نحو سامرا انکر ذلک علیه و کتب الیه بالمقام فی موضعه للحاجه الماسه الیه فی القضاء

على الخارجين على الدوله فى تلك النواحى. و كان صالح بن وصيف بدافع خوفه من انتقام موسى منه و محاسبته على الاموال التى حازها، يعظم على الخليفه قدومه و ينسبه الى المعصيه و الخلاف. الا ان موسى ابى الاذعان لأمر الخليفه و سار بجيشه قدما حتى وصل سامرا. و رأى صالح بن وصيف، و هو المسيطر على شؤون الخلافه، فى عوده موسى و جيشه خطرا عليه، و عجب من قدومه رغم ممانعه الخليفه، مما جعله يعتقد ان الخليفه هو الذى طلب اليه سرا ان يقدم الى سامرا لكى يباغت اتباعه، فانفض عن المهتدى باللّه.

و عند ما جاء موسى الى دار الخلافه كان المهتدى باللّه قد جلس للمظالم فلم يأذن له و لمن معه الا بعد ان فرغ من المجلس، فدخلوا عليه. و كانوا رأوا فى تأخير الخليفه الأذن لهم بالدخول مطاوله منه حتى يكبسهم صالح بن وصيف و اتباعه. فخافوا من ذلك، فأخذوا المهتدى باللّه من مجلسه و حملوه معهم الى دار ياجور احد كبار قواد الاتراك. و بعد مناظره الخليفه اخذ موسى و جماعته عليه «العهود و المواثيق ان لا يمايل صالحا عليهم، و لا يضمر لهم آلا مثل ما يظهر، ففعل ذلك، فجددوا له البيعه»(۱) وردوه الى الجوسق.

علم صالح بما تم بين الخليفه و موسى و اتباعه، و انهم ينقمون عليه قتله المعتز بالله و الكتاب و اخذه اموالهم، فاختفى خوفا على حياته. فخاف موسى ان يعمل صالح عند اختفائه على الوثوب به، فبث العيون و الارصاد فى طلبه. فوصل الى الخليفه كتاب من صالح، فدعا بسليمان بن وهب ليقرأه بحضور جماعه من قواد

۱- الطبرى ۹/ ۴۳۹.

الاتراک فیهم موسی بن بغا و مفلح و بایکباک و یاجور. و ذکر صالح فی کتابه انه مستخف بسامرا و قد استتر متخیرا للسلامه و ابقاء علی الموالی، و خوفا من ایصال الفتن بحرب ان حدثت بینهم، و بین ما صار الیه من اموال الکتاب و من وصل الیه ذلک المال و تولی تفریقه، ثم ذکر اشیاء یعتذر ببعضها و یحتج بالبعض الآخر(۱).

و تکلم المهتدی بالله یحض الحاضرین علی المهادنه و الصلح و الألفه، و یکره الیهم الفرقه و التباغض. مما جعل موسی و اتباعه یتهمونه بالمیل الی صالح و انه یقدمه علیهم، و انه یعلم بمکان اختفائه فخرجوا منه و صاروا مع موسی الی داره فی داخل الجوسق و تناظروا فیما بینهم، و ذکر بعض من کان حاضرا ان القوم اجمعوا علی خلع المهتدی باللّه(۲).

و لما اتصل الخبر بالمهتدی بالله خرج الی مجلسه متقلدا سیفا ثم امر بادخالهم الیه، فقال لهم «انه قد بلغنی ما انتم علیه من امری، و لست کمن تقدمنی مثل احمد بن محمد المستعین و لا مثل ابن قبیحه ... و هذا سیفی، و اللّه لاضربن به ما استمسک قائمه بیدی .. أما دین، أما حیاء، أما رعه؟ کم یکون هذا الخلاف علی الخلفاء، و الاقدام و الجرأه علی اللّه ... هل تعلمون انه وصل الی من دنیاکم هذه شی ء؟ اما انک یا بایکباک ان بعض المتصلین بک ایسر من جماعه اخوتی و ولدی .. ثم تقولون انی أعلم علم صالح، و هل صالح الا رجل من الموالی و کواحد منکم فکیف الاقامه معه اذا ساء رأیکم فیه؟ فان آثرتم الصلح کان ذلک ما

۱- نفس المصدر/ ۴۴۱.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۲، و الکامل ۷/ ۲۱۹.

اهوی لجمعکم، و ان ابیتم الا الاقامه علی ما انتم علیه فشأنکم، فاطلبوا صالحا ثم ابلغوا شقاء انفسکم، و اما انا فما اعلم علمه»(۱).

ان خطاب المهتدی باللّه خطاب رجل ضعیف یتوسل، و لیس خطاب رئیس دوله حازم یرهب من یحید عن طریق الصواب، و یهدد بمحاسبه من یسی ء الی الخلافه. و هو یترک المشاکل القائمه، و بخاصه امر صالح بن وصیف، الیهم لیتخذوا ما یرونه بشأنه. بینما کان من الضروری ان یشعرهم بانه سیتولی ذلک بنفسه و یحاسب کل مقصر او مسی ء. و لا شک فی انه بخطابه هذا اطمعهم بنفسه و جرأهم علیه، لما لمسوا من ضعفه و فقدانه الحزم.

و ذکر ان المهتدی بالله قال لبایکباک و لابی نصر محمد بن بغا: قد حضرتما ما عمله صالح فی اموال الکتاب و ام المعتز فان اخذ من ذلک شیئا فقد اخذتما مثله، فاحفظهما ذلک(۲).

و قد قیل ان القوم من لدن قدوم موسی بن بغا الی سامرا للثأر لمقتل المعتز باللّه، کانوا یضمرون خلع المهتدی بالله، و انما کان یمنعهم من ذلک قله الأموال لدیهم لدفع ارزاق الجند و کسب رضاهم. فلما استحوذوا علی المال الوارد من الأهواز فی المحرم سنه ۲۵۶ ه و مقداره سبعه عشر الف الف و خمسمائه الف درهم، تحرکوا للعمل علی تحقیق نوایاهم(۳).

۱- الطبری ۹/ ۴۴۲- ۴۴۳.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۳ و الکامل ۷/ ۲۲۱.

۳- نفس المصدرین، و جاء فی الکامل ان مبلغ المال عشره الاف الف و خمسمائه الف درهم.

و مما زاد فی قوه مرکز موسی بن بغا انه تخلص من صالح بن وصیف. اذ عثر علیه غلام صدفه فی احد الدور فی اوائل صفر، فاستعان بعیار یعرفه، فجمع هذا آخرین معه و هجموا علی الدار و اخرجوا صالحا و ذهبوا به الی دار موسی. فاخذه بعض القواد الی الجوسق، الا انهم قتلوه فی الطریق و احتزوا رأسه و صاروا به الی المهتدی بالله، فأمرهم ان یواروه. الا انهم حملوه علی قناه و طافوا به ینادون علیه: هذا جزاء من قتل مولاه، ثم نصبوه بباب العامه(۱). و هناک من یقول انه رأی انه حمی له حمام و ادخل الیه فمات فیه(۲).

تنکر المهتدی باللّه للقواد الاتراک:

ضاق المهتدی بالله ذرعا بتسلط القواد الاتراک و بخاصه استحواذهم علی الأموال التی ترد من الولایات الی بیت المال متجاهلین جهود الخلیفه فی تقویم الوضع المالی. فحاول ان یستفید من نقمه الجند علی قوادهم، و ان یعمل علی ایقاع الخلاف بین القواد انفسهم. و کان قد وجه فی مستهل جمادی الاولی موسی بن بغا و بایکباک الی حرب مساور الشاری، فکتب بعد ان حبس ابا نصر محمد بن بغا الی موسی یأمره بتسلیم قیاده جیشه الی بایکباک و القدوم الی سامرا. و کتب بنفس الوقت الی بایکباک یستمیله بتسلم قیاده الجیش و القیام بقتال الشاری، و ان یقتل موسی و مفلحا او یحملهما الیه مقیدین. الا ان بایکباک اطلع موسی علی کتاب الخلیفه، و قال له: هذا تدبیر علینا جمیعا، فاذا فعل بک

۱- الطبری ۹/ ۴۵۳- ۴۵۵، و الکامل ۷/ ۲۲۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۸۵.

الیوم شی ء فعل بی غدا مثله. و اتفقا علی ان یتظاهر بایکباک بمولاه الخلیفه، و من ثم یدبران امر قتله(۱).

و قد اخبر بعض الاتراک المهتدی بالله بان بایکباک قد اتفق مع موسی علی الفتک به فی الجوسق. فلما دخل بایکباک مع بعض قواده علی المهتدی بالله امر بحبسه و صرف الباقین، ثم امر بضرب عنقه. و لما احتج اتباعه علی حبس قائدهم و تجمعوا لمهاجمه الدار و اطلاق سراحه، رمی الخلیفه برأسه الیهم، مما اثار غضبهم و زاد فی ثورتهم علیه(۲). و قد حاول المهتدی بالله بعمله هذا ان یتخذ موقف ابی جعفر المنصور من ابی مسلم الخراسانی، متصورا ان ذلک سیفل قوه الاتراک و یضعف سلطانهم. الا انه لم تکن له منعه المنصور و قوته. و لذا فقد اعتبر قواد الاتراک هذا غدرا بهم، و انهم لذلک اصبحوا فی حل من بیعته. و الواقع ان محاوله المهتدی بالله الایقاع بین موسی و بایکباک لم تکن محکمه لأنه کاشف کلا منهما بنیته تجاه زمیله دون ان یتوثق من ولائه و اخلاصه، مما انعکس علیه بنتیجه سیئه. اذ صارت محاولته دافعا لجمع کلمتهم و توحید قواهم لمقاومته. کما کان قبضه علی ابی نصر محمد بن بغا بعد ان کتب الیه بالأمان علی نفسه و من معه و من ثم امره بقتله(۳)، قد اثار مزیدا من سخط الاتراک و غضبهم علیه.

محاولته الاعتماد علی الجند و العامه:

لما انتشر الخبر بین العامه ان القواد الاتراک علی و شک ان یخلعوا المهتدی بالله و یفتکوا به، کتبوا الرقاع انتصارا له

۱- الطبری ۹/ ۷۴۵۶- ۴۵۷.

۲- نفس المصدر/ ۴۵۹.

۳- نفس المصدر/ ۴۶۰.

و القوها فی المساجد و الطرقات. و ذکر انها کانت کالآتی «بسم الله الرحمن الرحیم: یا معشر المسلمین، ادعوا اللّه لخلیفتکم العدل الرضی المضاهی لعمر بن الخطاب ان ینصره علی عدوه و یکفیه مؤونه ظالمه، و یتم النعمه علیه و علی هذه الأمه ببقائه، فان الموالی قد اخذوه بان یخلع نفسه و هو یعذب منذ ایام، و المدبر لذلک احمد بن محمد بن ثوابه و الحسن بن مخلد. رحم اللّه من اخلص النیه و دعا و صلی علی محمد صلی الله علیه و سلم».

و کان المهتدی بالله من جانبه یؤلب الجند و العامه ضد القواد الاتراک. فقد جاء بالفراغنه و الاشروسنیه و الطیریه و الدیالمه و غیرهم، فسألهم النصره علی موسی و مفلح، و قال: «قد اخذوا الاموال و استأثروا بالفی ء، و انا اخاف ان یقتلونی. و ان نصرتمونی اعطیتکم جمیع ما فاتکم و زدتکم ارزاقکم. فاجابوه الی نصره و الخلاف علی موسی و اصحابه. کما اخذ المهتدی بالله یرکب فی بنی هاشم و یدور فی الاسواق، و یسأل الناس النصره علی الفساق قتله الخلفاء(۱).

لقد اخافت دعوه العامه برقاعهم لنصره الخلیفه قسما من الجند فارسلوا الی الخلیفه انهم مستعدون للموت دونه اذا ما استمع الی شکاواهم و ازال اسبابها. و تقدموا الیه بمطالیب معینه یتعلق قسم منها بالامور العامه، و یخص القسم الآخر شؤونهم المسلکیه و تنظیم امورهم. و اهم هذه الطلبات(۲):

۱- ان ترد الامور الی امیر المؤمنین فی الخاص و العام و لا یعترض علیه معترض.

(۹۳) نفس المصدر/ ۴۴۴.

(۹۴) الطبری ۹/ ۴۶۸.

۱- نفس المصدر ۴۶۹.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۶- ۴۴۷.

۲- ان ترد رسومهم الی ما کانت علیه ایام المستعین بالله، و هو ان یکون علی کل تسعه منهم عریف، و علی کل خمسین خلیفه، و علی کل مائه قائد.

۳- ان یدفع لهم العطاء فی کل شهرین.

۴- ان تبطل الاقطاعات.

۵- ان یصیر امیر المؤمنین الجیش الی احد اخوته او غیرهم ممن یری، علی ان لا یکون من الموالی.

۶- ان یأمر الخلیفه بمحاسبه صالح بن وصیف و موسی بن بغا علی ما عندهما من الأموال.

و قالوا انهم لا یرضیهم دون ما سألوا، مع تعجیل ارزاقهم المتأخره. فأجابهم الخلیفه بسروره من طاعتهم له و تأییدهم ایاه، و انه موافق علی جمیع ما سألوه و سیعمل علی تنفیذه، و یزیل ما یشتکون منه.

الا ـ ان عدم توفر المال اللازم فی بیت المال حال دون تلبیه تعجیل عطائهم، و هو أهم طلباتهم و لا شک. کما انه لم یتخذ أی اجراء لأبطال الاقطاعات الممنوحه للقواد، و لم یبادر الی اعاده رسوم الجیش و تنظیمه بالشکل الذی کان علیه ایام المستعین بالله.

کما انه لم یقرر محاسبه القائدین الکبیرین اللذین طلبوا محاسبتهما. فکان ذلک مما افقدهم الثقه بالخلیفه، لا سیما و انه کان یتظاهر بالتودد للقواد الاتراک و یحاول ترضیتهم.

و کان القواد بنفس الوقت یعملون علی ترضیه الجند. فاعلنوا موافقتهم علی طلباتهم التی تقدموا بها الی الخلیفه، و تأیید

اخلاصـهم له، و انهم لا يريدون به سوء، كما سارعوا الى دفع ارزاقهم المتأخره. و بذا اصبحت الظروف مهيئه لان يفرض الخليفه سلطته على الاـتراك و قـوادهم، الاـ ان مـوقفه المتسم بـالحيره و الـتردد. و تظـاهر بـالتودد للقواد مع انه يبطن الشـر لهم، و عـدم مبادرته الى اى عطف او استجابه لطلبات الجند، افقده ثقه الطرفين.

نهايه المهتدى باللّه:

عنـد ما استشـعر المهتـدى بالله شـرا من جموع الاتراك، خرج فعسـكر بجسـر سامرا فى جمع من الجند الموالين له من الفراغنه و المغـاربه و بعض الأـتراك فأصـطدم الطرفـان و وقع بينهما كثير من القتلى. و انضم الجنود الاتراك الـذين اعلنوا ولاءهم للخليفه الى جماعتهم، و انهزم بقيه جنده و مؤيدوه، و تركوا الخليفه يواجه مصيره مع عدد قليل من اتباعه. فجرح و اضطر الى الهرب.

فخرج الى باب العامه و هو يسـتغيث طالبا النجـده، فلم يجبه احد من عامه الناس. فصار الى باب السـجن فاطلق من فيه و هو يظن انهم يعينـونه، فلم يكن منهم الاـ الهرب، فصـار الى دار صـاحب الشـرطه. الاـ ان الاـتراك دخلـوا خلفه و اخرجوه الى الجوسق و حبسوه عند القائد احمد بن خاقان.

ثم اجتمع القواد الأتراك و قرروا خلعه من الخلافه، و مالبثوا ان قتلوه بحجه عـدم موافقته على التنازل عن الخلافه. و قد اوضـحنا ذلک مفصلا عند الكلام عن خلعه و مقتله.

۷- انحسار نفوذ القواد الاتراک:

بعـد ان تم للقواد الاتراک بزعامه القائـد موسـی بن بغا، التغلب علی الخلیفه المهتـدی بالله و قتله، انتخبوا للخلافه احمد بن جعفر المتوکل علی اللّه، و لقب بالمعتمـد علی اللّه، و قد ورث الخلیفه الجدید ترکه ثقیله من المشاکل. فقد کان الوضع المالی للدوله سیئا جدا بحیث کان الخلیفه عاجزا عن دفع ارزاق الجند. و ذلک لاسـتغلال امراء الولایات و عمالها ضـعف الخلافه و استئثارهم باموال الخراج و لم یوجهوا شـیئا منها الی بیت المال. کما کانت ثوره الزنج قد استفحلت و اصبحت تهدد الخلافه و کیان الدوله العربیه و وجودها. یضاف الی ذلک اطماع امراء الولایات المستقله و محاولاتهم فی توسیع اماراتهم علی حساب الدوله. هذا الی جانب المشـکله المزمنه و هی سـطوه القواد الاتراک و عبثهم بشؤون الخلافه و الـدوله. و کانت هـذه المشاکل مما ینوء المعتمد بالله بحملها و بعجزه عن التغلب علیها، لو لا ان قدر بان یکون اخوه الموفق طلحه الی جانبه. و قد سـبق ان اشرنا الی ما کان یتمتع به الموفق من صـفات قیـادیه و اهمهـا الحزم و الشـجاعه، مما اهله للسـیطره علی شؤون الخلافه بحیث لم یترک لأخیه منها سوی الاسم.

و کان المعتمـد علی اللّه عنـد تولیه الخلافه اناط بأخیه الموفق رئاسه الجیش. و یبـدو ان ذلک کان تنفیذا لطلب الجند من سـلفه المهتدی بالله أبن یصیر رئاسه الجند الی احد اخوته، او غیرهم ممن یراه من القواد علی ان لا یکون من الاتراک. و بذلک اطمأن الخلیفه الی ولاء الجیش، و أمن شر الاحتکاک بقواده الاتراک.

و قد استطاع الموفق ان یستفید من الظروف المحیطه بالخلافه فی ان

یوقف تـدخل هؤلاء القواد بشؤون الـدوله و فرض رغباتهم علی الخلیفه. و اهم ما ساعده فی ذلک اضافه الی کفایته السیاسـیه و قوه شخصـیته عاملان، اولهما النزاع الذی کان قد قام بین القواد انفسهم منذ عهد المستعین بالله حتی تولی المعتمد علی اللّه، مما اضعف من قوتهم و قلل من شأنهم. و ثانیهما الحروب القائمه التی استطاع الموفق ان یوجههم الیها و یشغلهم بها. و بذلک تسنی للموفق ان یعید للخلافه هیبتها، و للدوله سلطانها و نفوذها.

و کا من الاخطار المهمه التی هددت الخلافه فی سامرا، اضافه الی اسـتفحال ثوره الزنج، ان یعقوب بن اللیث الصفار قدم بجیشه یطرق ابواب عاصـمه الخلافـه، لانـه رغم ما کان یتظاهر به من ولاء و طاعه للخلیفه، لم یکن قانعا بما ولیه من الاقلیم و الولایات، لأن ذلک لا یزال دون هدفه فی ازاله دوله العرب.

فعزم علی محـاربه الخلیفه لیتم له الاستیلاء علی الـدوله العربیه کلها مـدعیا «بانه لم یجی ء الا لخـدمه الخلیفه و التشـرف بالمثول بین یـدیه و النظر الیه و ان یموت فی رکابه»(۱). الاـ ان الخلیفه و اخاه الموفق ادرکا ما کان یخفیه من النوایا الخبیثه تجاه الـدوله العربیه، خلف هذا القناع من المسکنه و التذلل. فخرج الیه الخلیفه بنفسه بجیش اشترک فیه اغلب القواد و علی رأسهم الموفق. و سرعان ما دارت الدائره علی الصفار و جیشه فهزم شر هزیمه، و عاد خائبا و قد تحطمت احلامه. و اعادت الدوله سیطرتها علی ما سبق ان استولی علیه من الاقالیم عنوه.

کمـا ان الاـمیر احمـد بن طولون الـذی کـان نـازع الخلافـه و ارسل جیوشه لمحاربتها ردحا من الزمن، قـد انتهی نزاعه بالخضوع لسیاده الخلافه فی سامرا. و هکذا کانت الحروب التی

۱- وفیات الاعیان ۵/ ۴۵۹.

دامت اکثر ایام المعتمد علی اللّه اهم عامل فی تدعیم سلطه الموفق، بحیث انه انتزع من القواد الاتراک ما کانوا یتمتعون به من نفوذ و سلطان علی الخلافه، و جعلهم ینصرفون الی داء واجباتهم العسکریه حسب. و بذلک مهد للخلیفه القادم و هو ابنه احمد الملقب بالمعتضد بالله، ان یتفرغ لاعاده بناء الدوله العربیه و تقویه شأن الخلافه، بحیث سمی المنصور الثانی.

الباب الخامس العلویون و خلفاء سامرا ۱- خلفاء سامرا و العلویون ۲- خروج العلویین فی عهد سامرا

الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا

الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون

اشاره

كانت علاقه العلويين تتسم بالخلاف و التوتر مع خلفاء بنى العباس، و لم يدخروا وسعا فى الخروج كلما سنحت لهم الفرصه.

الا ان الخليفه المأمون حاول ان يتقرب اليهم و يحسن معاملتهم ليكسب ولاءهم. و قد زوج بنته من الامام الرضا و عهد اليه بالخلافه من بعده، كما زوج بنته الثانيه من الامام محمد الجواد.

و عند ما اوصى لأخيه ابى اسحاق اكد عليه بأن يرعى العلويين و يحسن معاملتهم. و لما تولى المعتصم باللّه الخلافه انتهج سياسه اخيه المأمون فى التسامح مع العلويين التزاما بوصيته اليه، و قد جاء فيها «و هؤلاء بنوعمك من ولد امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى اللّه عنه، فأحسن صحبتهم، و تجاوز عن مسيئهم، و اقبل من محسنهم، و لا تغفل صلاتهم فى كل سنه عند محلها، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى»(۱). و لكى يدلل المعتصم

۱- الطبرى ۸/ ۶۵۰، و الكامل ۶/ ۴۳۱.

باللّه علی رعایته العلویین و اهتمامه بشؤونهم استدعی الامام محمد الجواد فی سنه ۲۲۰ ه من المدینه المنوره لیقیم الی جانبه فی سامرا. فجاء و معه امرأته ام الفضل بنت المأمون. و لا یخفی ان استدعاءه کان حذرا من ان یلتف الناس حوله. و لیکون تحت انظار الخلیفه. الا انه ما لبث ان توفی فی اواخر السنه المذکوره. و هناک من یقول انه مات مسموما(۱). فأمر المعتصم باللّه بأن تحمل زوجه الامام الی قصره لتعیش مع حرمه(۲). و لما خرج محمد بن القاسم فی عهده، اکتفی المعتصم باللّه بسجنه.

و سار الواثق باللّه علی نهج ابیه و عمه فی اتباع سیاسه التسامح و اللین مع العلویین. فاشتمل علیهم، و بالغ فی اکرامهم و الاحسان الیهم، و التعهد لهم بالاموال، بحیث انه لما توفی کان بعض نساء اهل المدینه یخرجن کل لیله الی البقیع فیبکین علیه و یندبنه حزنا علیه، لما کان یکثر من الاحسان الیهم(۳). یقول ابو الفرج «و کان آل ابی طالب مجتمعین بسر من رأی فی ایامه تدور الارزاق علیهم»(۴) و یقول ابن الطقطقی «و لما ولی الخلافه احسن الی بنی عمه الطالبیین و برهم»(۵). و یقول القاضی یحیی بن اکثم «ما احسن احد الی آل ابی طالب ما احسن الیهم الواثق، ما مات و فیهم فقیر»(۶). و قد اثمرت سیاسه الواثق بالله القائمه علی

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۲، و الکامل ۶/ ۴۵۵.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۵۴، و وفیات الاعیان ۳/ ۳۵.

۳- الکامل ۷/ ۳۱.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۵۹۳.

۵- الفخری/ ۲۵۱.

۶- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹.

التسامح و اللین تجاه العلویین و تعهده ایاهم، اذ لم یخرج علیه احد منهم طیله خلافته.

اما المتوکل علی اللّه فقد کان شدیدا فی معامله العلویین، مما جعل عهده ثقیل الوطأه علیهم، علی ان اسباب بغض المتوکل علی اللّه للعلویین غیر واضحه، الا انها یمکن ان تعزی الی ما کان یغیظه ما یراه من ولاء اتباع العلویین لأئمتهم و اخلاصهم لهم و تقدیسهم ایاهم. فقد امر بهدم قبر الامام الحسین بن علی بن ابی طالب، و هدم ما حوله من المنازل، و ان یحرث موضع القبر و یبذر، و ان یمنع الناس من اتیانه. فامتنع الناس من المصیر الیه(۱).

و کان اکثر منادمی المتوکل علی اللّه ممن اشتهروا ببغض العلویین، منهم علی بن الجهم الشاعر الشامی، و ابو السمط من ولد مروان ابی حفصه من موالی بنی امیه، و عمر بن فرج الرخجی. و کانوا یخوفونه منهم و یشیرون علیه بالاعراض عنهم و الأساءه الیهم(۲). و احسبهم انهم کانوا یتملقونه بذلک و یستدرون عطایاه. و یقول ابو الفرج «ان عبید الله بن یحیی بن خاقان وزیره کان یسی ء الرأی فیهم، فحسن له القبیح فی معاملتهم»(۳).

و بلغ مسامع المتوکل علی اللّه ان احد زعماء العلویین، و هو یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی (۸) مقاتل الطالبیین/ ۵۹۷.

(۹) الکامل ۷/ ۵۶.

۱- الطبری ۹/ ۱۸۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۵، و الکامل ۷/ ۵۵.

۲- الکامل ۷/ ۵۶.

۳- مقاتل الطالبین/ ۵۹۷.

طالب، قد جمع جمعا ببعض النواحی، فأمر بالقبض علیه، فاخذ و ضرب و حبس فی سجن المطبق ببغداد(۱).

کـان امـام العلویین فی عهـد المتوکـل علی اللّه علی بن محمـد الجواد الملقب بالنقی و بالهادی، یقیم فی المـدینه المنوره، و قد عرف بالزهد و التقوی و الانصـراف الی العلم، الا ان و شایات عنه وصلت الی المتوکل علی اللّه فأمر باشخاصه الی سامرا لیکون تحت رقابته المباشـره. فبعث به والی مکه ابو العباس عبـد الله بن محمـد ابن داود مع یحیی بن هرثمه حتی صار الی بغداد. و لما وصـلا قریبـا منهـا رکب اسـحاق بن ابراهیم المصـعبی لتلقیه، و لمـا رأی تشوق النـاس الیه و اجتمـاعهم لرؤیته، انتظر حلول اللیل فدخل به بغداد، ثم وجه به فی الیوم التالی الی سامرا(۲). و مما ذکره یحیی بن هرثمه عن الامام انه قال: و فی احد ایام السفر، و السـماء صاحیه رکب و علیه ممطره و قـد عقـد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم یکن بعـد ذلک الا هنیهه حتی جاءت سـحابه و نالنـا من المطر امر عظیم. فـالتفتت الی و قـال: انـا اعلم انـک انکرت مـا مـا رأیت و توهمت انی اعلم من الأمر ما لا تعلمه، لیس ذلـک کمـا ظننت و لکن نشـأت بالبادیه فانا اعرف الریاح التی یکون عقبها المطر، فلما اصـبحت هبت ریـح شـممت منها رائحه المطر فتأهبت لذلک(۳).

و یظهر ان المتوکل علی اللّه ابقاه فی سامرا، الا انه کان یتمتع بحریه کبیره فیلقی اصحابه، و یحضر مجالس الخلیفه. و لکن ما

۱- الطبری ۹/ ۱۸۲، و الکامل ۷/ ۵۳، و جاء سمه فیه یحیی بن عمر بن یحیی.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

۳- عقیده الشیعه/ ۲۱۷ عن الکافی للکلینی/ ۲۰۶.

لبث ان وشى به بعضهم الى المتوكل على اللّه بان فى بيته سلاحا و كتبا من شيعته، و انه يطلب الأمر لنفسه. فوجه اليه من الجند الاتراك من داهم منزله ليلا على غفله من اهله، فوجده وحيدا جالسا على الأرض فى غرفه مغلقه، و عليه مدرعه من شعر و على رأسه ملحفه من صوف، و هو مستقبل القبله يرتل آيت من القرآن الكريم. فحمل الى الخليفه فى جوف الليل، فمثل بين يديه و هو فى مجلس شراب. و قال من اتى به انه لم يجد فى منزله شيئا مما قيل عنه. فأعظمه المتوكل على اللّه و اجلسه الى جانبه، و ناوله الكأس التى كانت فى يده، فاعتذر بأنه لم يذقه. فطلب اليه ان ينشده مما يحفظ من الشعر، فأعتذر بأنه قليل الروايه للشعر. فالح عليه المتوكل على اللّه فأنشده(۱):

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا، يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبرواأين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمهمن دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

۱- مروج الذهب ۴/ ۹۳- ۹۴، و وفيات الاعيان ۲/ ۴۳۴- ۴۳۵.

قد طالما اكلوا دهرا و ما شربوافأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كثروا الاموال و ادخروافخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلهو ساكنوها الى الأجداث قد رحلوا

فتأثر الخليفه و بكى حتى بلت دموعه لحيته، و بكى الحاضرون، فأمر برفع الشراب. ثم قال له: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم، اربعه الاف دينار. فأمر بدفعها اليه ورده الى منزله مكرما.

لبث الامام على الهادى فى سامرا طيله حكم المتوكل على اللّه، و ابنه المنتصر باللّه، و المستعين باللّه بعده، حتى توفى فى ايام المعتز باللّه لأربع بقين من جمادى الآخره سنه ۲۵۴ ه ۱۷، و دفن بداره بسامرا.

الملحق: الامام علی الهادی:

و الأمام علی الهادی هو ابن الامام محمد الجواد و یعرف بابی الحسن العسکری و انما قیل له العسکری لأنه لما کثرت السعایه به عند المتوکل علی الله احضره من المدینه المنوره و أقره بسر من رأی و کانت تدعی العسکر ایضا فاقام بها عشرین سنه فنسب الیها(۱).

و هو عاشر الأئمه الأثنی عشر. ولد بالمدینه المنوره و بها کانت نشأته. و هناک خلاف بسیط فی تاریخ مولده، اذ یقول الخطیب البغدادی انه ولد فی رجب سنه ۲۱۴ ه، بینما یقول ابن الأثیر انه ولد فی سنه ۲۱۲ ه، و یتردد ابن خلکان فی ان ولادته کانت فی سنه ۲۱۳ ه او فی سنه ۲۱۴ ه(۲).

کان الامام الهادی من الاتقیاء الصالحین، فقیها متعبدا منصرفا الی العلم. و لما ارتاب المتوکل علی الله به لکثره الوافدین علیه من مختلف الاقطار، استقدمه الی سامرا لیکون تحت رقابه الخلافه مباشره. فبقی الامام فی سامرا لا یبرحها، الا انه کان یستقبل اصحابه و زائریه و یحضر مجالس الخلفاء و مجالس کبار

۱- وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۹.

۲- تاریخ بغداد ۱۲- ۵۷، و الکامل ۷/ ۱۷۹، و وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵.

رجال الدوله. و يروى الخطيب البغدادى خبرا يدل على سمو منزلته لدى الخليفه و اطمئنانه اليه. فقد اعتل المتوكل على اللّه فقال لئن برئت لاـ تصـدقن بـدنانير كثيره. فلمـا برى ء جمع الفقهـاء فسـألهم عن ذلـك فـاختلفوا فى الاجابه، فبعث الى الامام على بن محمـد يسأله، فقال: يتصـدق بثلاثه و ثمانين دينارا. فعجب بعض الفقهاء من ذلك و تعصب قسم منهم عليه، و قالوا تسأله يا امير المؤمنين من اين له هـذا. فرد الرسول اليه و قـال: قـل لأـمير المؤمنين فى هـذا الوفـاء بالنـذر لأن اللّه تعالى قال «لقـد نصـركم فى مواطن كثيره» فروى اهلنـا جميعـا ان المواطن فى الوقـائع و السـرايا و الغزوات كـانت ثلاثه و ثمانين موطنا. و ان يوم حنين كانت الرابع و الثمانين، و كلما زاد امير المؤمنين فى فعل الخير كان انفع له و آجر عليه فى الدنيا و الآخره(۱).

بقى الامام على الهادى طيله عهد المتوكل على الله و عهد المنتصر بالله و خلفه المستعين باللّه مقيما فى سامرا مكرما، لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع و كرم النفس و قوه الصبر و الاحتمال، قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته رغم حذر الخلفاء منه و فرضـهم الرقابه عليه. و قد انتقل الى جوار ربه فى سنه ۲۵۴ ه فى يوم الخميس لليال بقين من جمادى الآخره و هو ابن اربعين سنه، فى ايام المعتز باللّه. فبعث الخليفه باخيه ابى احمـد ابن جعفر المتوكل على اللّه فصـلى عليه فى الشارع المعروف بشارع ابى احمـد. و لما كثر الناس و اشتد بكاؤهم و علا ضجيجهم، رد النعش الى دار الامام فدفن فيها(۲). و يقول الخطيب البغدادى ان

۱- تاريخ بغداد ۱۲/ ۵۶- ۵۷.

۲- الطبرى ۹/ ۳۸۱، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۳، و تاريخ بغداد ۱۲/ ۵۷.

هذه الدار كان الامام قد اشتراها من دليل بن يعقوب النصرانی(۱).

الامام الحسن العسكری:

و كـان خلف الامام علی الهادی ابنه الامام الحسن العسـكری و هو الامام الحادی عشـر، ابو محمـد، و غلب عليه لقب العسـكری لسـكناه فی سـامرا، و قـد اقـام بهـا طيله حياه ابيه و بعـده حتی توفی بها. و هناك بعض الاختلاف فی مكان ولادته و تاريخها، و يسـتنتج من تاريخ وفاته و مقدار عمره انه ولد فی سـنه ۲۳۱ ه و قيل ۲۳۲ ه او ۲۳۳ ه. و يقول ابو المحـاسن ان ولادته كانت فی سنه ۲۳۱ ه(۲). اما محل ولادته فليس هناك اشاره واضـحه الی ذلك فی المصادر الأوليه عـدا ما قاله ابو المحاسن بانه ولد بسـر من رأی و امه ام ولد(۳). الا انه يظهر من تاريـخ ولادته ما يرجـح بانه ولـد بالمدينه المنوره لأن اباه كان حينذاك لا يزال فيها و لما يشخص بعد الی سامرا.

انتقل الامام الحسن العسكری مع ابيه علی الهادی الی سامرا فنشأ بها نشأه دينيه علی سنن سلفه الصالح، فكان ناسكا متعبدا.

و يظهر انه عنی بتعلم عدد من اللغات لاختلاف جنسيات الوافدين الی زيارته و زياره ابيه من قبل. فكان يتكلم بالهنديه مع الزوار الهنود، و بالتركيه مع الاتراك و بالفارسيه مع العجم(۴). و عند ما

۱- تاريخ بغداد ۱۲- ۵۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹، و وفيات الاعيان ۱/ ۳۷۲، و النجوم الزاهره ۳/ ۳۲

۳- النجوم الزاهره ۳/ ۳۲.

۴- عقيده الشيعه/ ۲۲۳ اعتمادا علی خلاصه الاخبار للسيد محمد مهدی.

توفی ابوه سجن الامام الحسن فی بغداد، الا انه ما لبث ان اطلق من السجن و سمح له بالعوده الی سامرا، فاقام بها حتی نهایه حیاته.

توفی الامام الحسن العسکری فی سنه ۲۶۰ ه و یقول ابن خلکان انه توفی بسر من رأی و دفن بجنب قبر ابیه(۱). و لما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأی، و عطلت الأسواق، و رکب بنو هاشم و القواد و الکتاب و القضاه و سائر الناس لتشییع جنازته(۲).

و لما تولی المنتصر باللّه الخلافه بعد مقتل ابیه المتوکل علی اللّه، اتسمت سیاسته تجاه العلویین بالتسامح معهم و العمل علی استرضائهم، فأمر بعدم التعرض لهم، و الا یمنع احد من زیاره قبر الحسین و قبر غیره من أئمه آل البیت. فلم یجر علی احد منهم قتل او حبس او مکروه(۳). و کان اول عمل قام به لتنیفذ سیاسته هذه انه أقال و الی ابیه علی المدینه المنوره صالح بن علی الذی کان آل ابی طالب هناک ینقمون علیه لسوء معاملته لهم.

و استعمل علیها علی بن الحسن بن اسماعیل بن العباس بن محمد.

و ذکر عن علی هذا انه قال «دخلت علی المنتصر اودعه، فقال لی:

یا علی انی اوجهک الی لحمی و دمی و مد جلد ساعده: و قال لی:

الی هذا وجهتک، فانظر کیف تکون للقوم و کیف تعاملهم، یعنی آل ابی طالب. فقلت: ارجو ان امتثل رأی امیر المؤمنین ایده اللّه فیهم ان شاء اللّه. فقال: اذا تسعد بذلک عندی»(۴).

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹، و الکامل ۷/ ۲۷۴، و وفیات الاعیان ۱/ ۳۷۳.

۲- الاعلام ۲/ ۲۱۵.

۳- الطبری ۹/ ۳۸۱، و وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۶۲۶.

كما اطلق المنتصر باللّه ما كان محبوسا عليهم من الأوقاف، ورد «فدك» الى اولاد الحسن و الحسين(۱). و كان الرسول صلى الله عليه و سلم صالح اهل فدك على نصف الارض بتربتها، و كان ذلك النصف خالصا له لأنه لم يوجت عليه المسلون بخيل و لا ركاب، و كان يصرف ما يأتيه منها فى ابناء السبيل. و لما قبض عليه الصلاه و السلام قالت فاطمه الزهراء لأبى بكر الصديق: ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جعل لى فدكا فاعطنى اياها، و شهد لها على بن ابى طالب. فسألها ابو بكر شاهدا آخر. فشهدت لها ام أيمن مولاه الرسول صلى اللّه عليه و سلم، فقال لها: قد علمت يا بنت رسول اللّه انه لا تجوز الا شهاده رجل و امرأتين، فانصرفت. و لما تولى المأمون الخلافه امر بدفعها الى ولد فاطمه.

فردت الى ورثتها و سلمت الى محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين و محمد بن عبد الله بن الحسن. الا ان المتوكل على اللّه كان قد ردها الى ما كانت عليه قبل المأمون(۲).

لقد لقيت مبادره المنتصر باللّه برده فدك الى آل البيت رضى من العلويين و شيعتهم. و قال الشاعر يزيد المهلبى فى ذلك(۳):

و لقد بررت الطالبيه بعد ماذموا زمانا بعدها و زمانا

ورددت الفه هاشم فرأيتهم بعد العداوه بينهم اخوانا

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵، و الكامل ۷/ ۱۱۶.

۳- عن موضوع فدك راجع: فتوح البلدان/ ۴۲- ۴۳، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۶۹، و الخراج و صناعه الكتابه/ ۲۵۹- ۲۶۰.

آنست ليلهم و صبرت عليهم حتى نسوا الأحقاد و الاضغانا

لو يعلم الاسلاف كيف بررتهم لرأوك أثقل من بها ميزانا

و لشده بر المنتصر باللّه بالعلويين قال عنه صاحب الذهب المسبوك انه كان شيعيا(۱). كما مدحه البحترى بقصيده اشاد فيها بسياسته تجاه العلويين. و لعلها القصيده الوحيده التى قالها فى مدحه، لأنه كان قد اتهمه بالمشاركه فى اغتيال ابيه، قال فيها يخاطب المنتصر باللّه(۲):

رددت المظالم و استرجعت يداك الحقوق لمن قد قهر

و آل ابى طالب بعد ماأذيع بسربهم فابذعر

و نالت ادانيهم جفوهتكاد السماء، لها تنفطر

وصلت شوابك ارحامهم و قد أوشك الحبل ان ينبتر

فقربت من حظهم ما نأى وصفيت من شربهم ما كدر

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵- ۱۳۶.

۲- الذهب المسبوك/ ۲۲۷.

قرابتكم، اشقاؤكم و اخوتكم دون هذا البشر

و من هم و انتم يدا نصرهو حدا حسام قديم الأثر

بقيت امام الهدى، للهدى تجدد من نهجه ما دثر

و كان من نتيجه محاسنه المنتصر بالله العلويين، انهم اخلدوا الى مسالمه الخلافه العباسيه على عهده.

و عند ما ضعفت الخلافه فى ايام الفتنه كثرت و ثبات العلويين.

و لكن رغم ضعف الخلفاء كان الجيش الذى يعتمد عليه القواد الحكام من الاتراك قويا و هو تحت قيادتهم، و لذلك كانوا يبادرون الى توجيهه لاخضاع تلك الوثبات و البطش بالقائمين بها. و يمكن القول ان جميع و ثبات العلويين على خلفاء سامرا قد قضى عليها سوى فتنه الحسن بن زيد العلوى التى اندلعت فى ايام المستعين باللّه. فقد استمرت الى ما بعد عوده العاصمه الى مدينه السلام ثانيه حتى تم القضاء عليها فى سنه ۲۸۷ ه على أيدى السامانيين، كما سنرى فى الفصل القادم، بعد ان استمرت سبعا و ثلاثين سنه، بحيث ان ابن خلدون سماها الدوله العلويه.

و بلغ الخليفه المعتز باللّه فى سنه ۲۵۲ ه ان بعض العلويين المقيمين فى بغداد لهم اتصالات بالحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان، و ان احدهم شخص الى ناحيه الكوفه مع عدد من اتباعه.

فأوجس خيفه من انهم يعتزمون الخروج عليه، فكتب الى نائبه فى بغداد محمد بن عبد الله ان يحمل هؤلاء الطالبيين الى سامرا،

فحملوا جمیعا، و کان فیهم ابو هاشم داود بن القاسم الجعفری و هو من احفاد جعفر بن ابی طالب، و علی بن عبید الله بن عبد الله من احفاد الحسن بن علی بن ابی طالب، و ابو احمد محمد بن جعفر من احفاد الحسن کذلک و هم من رؤوساء العلویین. و کان ابو احمد المذکور سبق ان ولاه المعتز باللّه ولایه الکوفه بعد ما قضی مزاحم بن خاقان علی ثوره الحسین بن محمد العلوی، فاساء ابو احمد فی ادارته و اعتدی علی اموال الناس و ضیاعهم. فارسل محمد بن عبد الله نائبا عنه الی الکوفه، فاستطاع ان یخدع ابا احمد و یقبض علیه و یحمله مقیدا الی بغداد، فحبسه محمد ثم ما لبث ان اطلقه بکفاله بعض العلویین، و کان مع العلویین الذی حملوا الی سامرا من بغداد عدد من اتباعهم(۱).

و یظهر ان المعتز باللّه رأی ان یضع بقیه العلویین تحت رقابته فی حاضره الخلافه سامرا، فأمر بحمل العلویین الموجودین فی مصر الی سامرا کذلک. فقدم عیسی الشیبانی من مصر و معه سته و سبعون من سائر ولد ابی طالب من اولاد علی و جعفر و عقیل.

و کان هؤلاء قد خرجوا الی مصر خوفا من الفتنه و بسبب الجهد النازل بالحجاز. فلما وصلوا سامرا احسن المعتز بالله معاملتهم و امر بتکفیلهم و اطلاقهم(۲).

و یتضح مما یذکره ابو الفرج فی کتابه مقاتل الطالبین ان ایام المعتمد علی اللّه کانت شدیده علی العلویین، و قد مات عدد منهم فی سجن سامرا فی ایامه. فقد توفی محمد بن الحسین بن محمد ابن الحسن بن علی بن ابی طالب و هو محبوس بسجن سامرا.

۱- القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۸۴۸- ۸۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۹- ۳۷۱، و الکامل ۷/ ۱۷۵- ۱۷۶.

و توفی موسی بن موسی بن محمد بن الحسن بن علی بن ابی طالب، و کان ممن حمل من مصر فی ایام المعتز بالله و سجن. کما توفی محمد بن احمد بن عیسی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، و کان قد حمله سعید الحاجب مع ابنیه احمد و علی، فتوفی محمد و ابنه احمد فی الحبس ایضا(۱)(۲).

۱- مروج الذهب ۴/ ۷۷۷.

۲- مقاتل الطالبین/ ۶۸۸- ۶۸۹.

الفصل الثانی خروج العلویین فی عهد خلفاء سامرا

۱- خروج محمد بن القاسم العلوی:

کان محمد بن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب(۱)، و یکنی بابی جعفر، یسکن المدینه المنوره ملازما المسجد النبوی الشریف(۲). و قد عرف بحسن السیره و الزهد، و لقب بالصوفی لأنه ادمن لبس الثیاب من الصوف الأبیض(۳). فاتصل به احد الخراسانیین المجاورین واقنعه بحقه فی الامامه و بایعه علیها، و صار یأتیه ببعض حجاج خراسان یبایعونه(۴). و لما رأی محمد بن القاسم کثره من بایعه من الخراسانیین سافر الی الطالقان من کور خراسان و اظهر دعوته فیها

۱- هکذا ورد اسمه فی تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱، و مروج الذهب ۴/ ۵۲، مقاتل الطالبین/ ۵۸۷ و ورد فی الطبری ۹/ ۷: محمد بن القاسم ابن عمر بن علی ... و نقله عنه ابن الاثیر- الکامل ۶/ ۴۴۲.

۲- الکامل ۶/ ۴۴۲.

۳- مقاتل الطالبیین/ ۵۷۸.

۴- الکامل ۶/ ۴۴۲.

فی سنه ۲۱۹ ه، فصار الیه کثیر من الاتباع و الأنصار فی تلک المناطق.

و یقول المسعودی انه کان بالکوفه و قد عرف بالزهد و التقوی، و لما خاف علی نفسه هرب الی خراسان و تنقل بین کورها، و اظهر دعوته هناک(۱).

و ذکر ابو الفرج ان ابراهیم بن عبد الله العطار، و هو احد دعاه محمد بن القاسم، قال انه نزل بمرو و معه عدد من الکوفیین من اتباعه، فلما اجتمع امره عین یوما لخروجه علی الخلافه، فاجتمع الیه اتباعه فی یوم محدد لیتلقوا امره بالخروج. و یروی ابراهیم المذکور خبرا عن احد الانتهازیین ممن بایعوا محمد بن القاسم لمجرد الانتفاع و الکسب. قال ما خلاصته: بینما نحن عنده نعد للخروج سمعنا صوت استغاثه رجل، فقال لی محمد انظر ما هذا الصراخ، فأتیت الموضع فرأیت رجلا حائکا قد اخذ رجل ممن بایعنا لبدا و الحائک متعلق به یستغیث. فاستفسرت عن الأمر، فقال الحائک: اخذ صاحبکم هذا لبدی. فقلت للرجل اردد علیه لبده، فقد سمع ابو جعفر صراخه. فقال لی: انما خرجنا معکم لنکتسب و ننتفع و نأخذ ما نحتاج الیه. فلم ازل ارفق به حتی اخذت منه اللبد و رددته الی صاحبه. و رجعت الی محمد بن القاسم و اخبرته الخبر، فقال: یا ابراهیم أبمثل هذا ینصر الدین؟ ثم قال لنا: فرقوا الناس حتی اری رأی(۲).

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۲.

۲- مقاتل الطالبین/ ۵۷۹- ۵۸۰.

و عند ما شعر امير خراسان عبد الله بن طاهر بخطر دعوه محمد بن القاسم قرر ان يقبض عليه. فجرت بين قواته و اتباع محمد عده وقائع بنواحى الطالقان و جبالها، كان نتيجتها فشل محمـد، فانهزم و بعض اتباعه الى احـدى القرى فقبض عليه عبد الله بن طاهر و سيره الى سامرا. و لم يجسـر ابن طاهر على اشخاصه علنا لكثره اتباعه و مؤيديه، فكان يخرج بغالا عليها قباب ليوهم الناس انه قد اخرجه، ثم يردها، و قـد فعل ذلك عده مرات حتى اسـتطاع ان يبعث به فى احدى الليالى و معه جيش لحمايته، حتى اوصـله الى الخليفه ببغداد(۱). فأمر المعتصم باللّه بحبسه ريثما ينظر فى امره(۲).

و كان المعتصم باللّه امر ببناء حبس فى بستان موسى و كان القيم به مسرور مولى الرشيد، و هو نموذج للحبوس فى ذلك العهد، و قـد وصف بـانه كـالبئر العميقه حفرت الى المـاء، ثم بنى فيهـا بنـاء على هيئه المناره مجوف من باطنه و مـدرج. و قـد حفر فى مواضع من التدريـج مستراحـات، و بنى فى كـل مستراح مـا يشـبه الغرفه، يجلس فيهـا رجـل واحـد كأنهـا على مقـداره بحيث لا يسـتطيع ان يمد رجليه. فلما قبض على محمد بن القاسم حبس فى اسـفل ذلك الحبس. فاصابه من الجهد لضيقه، و من البرد امر عظيم. فكاد ان يتلف من ساعته، فقال: ان كان امير المؤمنين يريد قتلى فالساعه اموت، و الا فقد اصبحت على وشك منه.

۱- مقاتل الطالبيين/ ۵۸۴.

۲- الطبرى ۹/ ۸.

فلما بلغ المعتصم باللّه قوله، قال: ما ارید قتله، و امر باخراجه و حبسه فی بیت کان قد بنی فی البستان(۱).

و قد استطاع محمد بن القاسم ان یهرب من سجنه بمساعده بعض اتباعه. و هناک عده روایات عن کیفیه هروبه.

یقول الطبری: و لما کانت لیله الفطر و اشتغل الناس بالعید و التهنئه، احتال للخروج من الحبس باللیل. و انه دلی الیه حبل من کوه کانت فی اعلی البیت الذی حبس فیه یدخل منها الضوء. فلما اصبحوا اتوه بالطعام فافتقدوه، و جعلوا لمن دل علیه مائه الف درهم، الا ـ انه لم یعرف له خبر(۲). و جاء فی مقاتل الطالبیین انه هو الذی صنع الحبل من لبد کان تحته فی السجن و ربطه فی الکوه و تدلی الی الخارج و هرب(۳). اما المسعودی فیقول ان جماعه من شیعته من الطالقان أتو ذلک البستان، فتأتوا للخدمه فیه من غرس و زراعه و اتخذوا سلالم من الحبال و اللبود و نقبوا الازج و اخرجوه، فذهبوا به، و لم یعرف له خبر(۴).

و وردت عن نهایه محمد بن القاسم روایات متعدده ایضا.

فان المسعودی یقول ان هناک من یقول انه قتل بالسم، و ان کثیرا من اتباعه یزعمون انه مهدی هذه الأمه. و هو یری أن قولهم هذا

۱- التفصیلات فی الفرج بعد الشده ۲/ ۱۷۵- ۱۷۹ و یبین کیفیه هروبه. و فی مروج الذهب ان المعتصم بالله حبسه فی ازج اتخذ فی بستان- ۴/ ۵۲.

۲- الطبری ۹/ ۷- ۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۵۸۶.

فی محمـد بن القاسم یشـبه قول الکیسانیه فی محمـد بن الحنفیه(۱). و جـاء فی مقاتـل الطـالبیین انه رجع الی الطالقان، و قیل انه انحدر الی واسط و اختفی طیله ایام المعتصم باللّه و الواثق بالله، ثم اخذ فی ایام المتوکل علی الله فحبس و مات فی حبسه(۲).

و من المرجـح ان نهایه محمـد بن القاسم کانت القتل، لأن خروجه علی الخلیفه العباسـی بدعوه الامامه العلویه مما یهدد خلافته. اما الادعاء باختفائه فانه یلائم السـلطه لتتخلص من تهمه قتله، کما انه یلائم اتباعه الـذین یرون فیه المهدی المنتظر الذی سـیتمثل بمن سیخرج علی الدوله من العلویین.

۲- خروج محمد بن صالح:

رغم سـیاسه الشـده التی اتبعها المتوکل علی اللّه مع العلویین فقـد حاول بعضـهم الخروج علیه. فقد خرج فی الحجاز فی ایامه ابو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله من احفاد الحسن بن علی ابن ابی طالب. و کان خروجه فی موسم الحج فی سنه ۲۴۲ ه.

و کان القائـد ابو الساج قد عینه المتوکل علی اللّه فی سـنه ۲۴۲ ه و الیا علی طریق مکه و احداث الموسـم(۳). فخاف موسی بن عبـد الله، و هو عم محمـد بن صالـح، علی نفسه و اولاـده و اهله فضـمن لأبی الساج تسـلیمه. و اسـتطاع موسـی ان یقنع ابن اخیه بالتسلیم، فخرج محمد الی ابی الساج فقیده و حمله الی سامرا مع جماعه من اهله. فأمر المتوکل علی اللّه بسجنه فیها. الا ان الفتح

۱- نفس المصدر/ ۵۲- ۵۳.

۲- مقاتل الطالبیین/ ۵۸۷.

۳- الطبری ۹/ ۲۱۰.

ابن خاقان تکفل بأمره فوافق المتوکل علی اللّه اطلاقه علی ان یجعله الفتح تحت رقابته. و ان یکون مقامه بسامرا و لا یخرج الی الی الحجاز. فلم یزل بسامرا حتی مات بالجدری فی ایام المنتصر باللّه. و کان یجهد فی ان یؤذن له بالرجوع الی الحجاز، فلا یجاب الی ذلک.

و یعتبر محمد بن صالح من شعراء آل ابی طالب المتقدمین.

و قد عده ابو الفرج الاصبهانی من شعراء الحجاز الظرفاء، و افرد له فصلا فی کتابه باعتبار ان له شعرا یغنی به(۱). و قد قال محمد بن صالح فی عبید اللّه بن یحیی بن خاقان. وزیر المتوکل علی الله، هجاء کثیرا، لأنه کان لشده انحرافه عن الطالبین یغری المتوکل علی اللّه به و یحذره من اطلاقه. و قد هجاه فی قصیده مدح بها صدیقه ابراهیم بن المدبر، جاء فیها(۲):

و ما فی آل خاقان اعتصام اذا ما عمم الخطب الکبیر

لئام الناس اثراء و فقراو اعجزهم اذا حمی القتیر

و قوم لا یزد حبهم کریم و لا تسنی لنسوتهم مهور

و کان محمد بن صالح حلو اللسان، ظریفا، ادیبا، و کان فی سامرا یخالط سراه الناس و وجوه البلد، و لم یکن یفارق

۱- الاغانی ۱۶/ ۳۶۰- ۳۷۲.

۲- کامل القصیده فی الاغانی ۱۶/ ۳۶۷- ۳۶۸، و عن خروجه راجع مقاتل الطالبیین/ ۶۰۰ ج ۶۱۳.

سعید بن حمید، و هو من کبار کتاب الدوله. بحیث لما توفی محمد رثاه سعید بقصیده منها(۱):

لعمری لقد غال التجلد أننافقدناک فقد الغیث و العام جادب

فما اعرف الایام الا ذمیمهو لا الدهر الا و هو بالثأر طالب

فقدت فتی قد کان للارض زینهکما زینت وجه السماء الکواکب

سقی جدثا امسی الکریم ابن صالح یحل به، و ان من المزن ساکب

اذا بشر الرواد بالغیث برقه مرته الصبا و استحلبته الحجائب

فغادر باقی الدهر تأثیر صوبه ربیعا زهت منه الربا و المذائب

۳- خروج یحیی بن عمر:

خرج فی سنه ۲۵۰ ه علی عهد المستعین باللّه احد الطالبیین هو یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب المکنی بابی الحسین، بالکوفه و بها کان مقتله. و قد سبق ان شرنا الی محاولته الوثوب فی عهد المتوکل علی اللّه و فشله فی

۱- الاغانی ۱۶/ ۳۶۹.

ذلـک. فقـد سـافر بعـد اطلاـقه من السـجن الى خراسـان، الاـ ان اميرها عبـد الله بن طاهر رده الى سامرا خوفا من ان يتجمع حوله اولياؤه و مؤيـدوه. فنالته ضائقه ماليه شديده و تراكمت عليه ديون ضاق بها ذرعا. فلقى عمر بن فرج الرخجى، و كان يتولى امور الطالبيين، و كلمه فى صـلته، فاغلظ له عمر القول فقذفه يحيى فى مجلسه. و لما شـكاه الرخجى الى المتوكل على اللّه امره بضربه و حبسه، و لم يزل محبوسا حتى كفله بعض اهله فاطلق سراحه.

فشـخص الى بغداد فاقام بها بحال سيئه، فعاد الى سامرا و كلم وصيف القائد ان يخصص له رزق يجرى له، فجابهه وصيف و قال «لأى شى ء يجرى على مثلک»(۱) متجاهلا مكانته، فانصرف حانقا غاضبا.

كان يحيى بن عمر دينا عفيفا كثير العطف و المعروف على عوام الناس، بارا بحوائجهم لم تظهر له زله(۲). و فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب(۳). و يظهر ان ما قاساه من ضيق مالى، و ما لقيه من معامله سيئه من رجال الخليفه، دفعه الى شق عصا الطاعه و الخروج. يقول المسعودى «و كان ظهوره لذل نزل به، و جفوه لحقته، و محنه نالته، من المتوكل و غيره من الأتراک»(۴).

فتوجه الى الكوفه و اظهر امره، فاجتمعت اليه الزيديه و كثير من اهل الكوفه و الاعراب النازلين حولها، فبايعوه، فقوى امره بهم.

فطرد عامل الكوفه، و صار الى بيت مالها فاخذ ما فيه و مقداره

۱- الطبرى ۹/ ۲۶۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۴۹.

۳- مقاتل الطالبيين/ ۶۳۹.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸.

الفا دینار و زیاده شی ء، و من الورق سبعون الف درهم(۱). و وجه الی قوم من الصیارفه عندهم مال للسلطان فاخذه منهم(۲). و فتح السجون و اخرج جمیع من کان فیها.

و لما بلغ خبره محمد بن عبد الله أمیر بغداد أمر عبد الله بن محمود السرخسی عامله علی معاون السواد بمحاربه یحیی. فلما لقیه جرح السرخسی و انهزم مع اصحابه. و استولی یحیی علی ما کان معه من المال و الدواب. فوجه محمد بن عبد الله لمحاربته القائد الحسین بن اسماعیل و معه عدد من القواد. فقدم الحسین الی شاهی، و هو موضع غیر بعید من الکوفه، و اقام ینتظر تحرک یحیی و اتباعه.

و اخذ یحیی بن عمر یستعد للحرب فجمع ما تیسر له من السیوف لتسلیح بعض اتباعه. و نظرا لقله خبرته بشؤون الحرب استجاب الی جماعه من اتباعه الزیدیه ممن لا ـ معرفه لهم باصول الحرب،، بمعاجله الحسین. کما الح علیه عوام اتباعه بالخروج الیه. فزحف الی الجیش باتباعه و اکثرهم عزل من السلاح، و التقی الطرفان عند شاهی و اقتتلا قتالا شدیدا، فانهزم اصحاب یحیی لما رأوا کثافه الجیش و شده الحرب. اما یحیی فقد صرع فی احدی حملاته علی عسکر الحسین، فحز رأسه و ارسل الی بغداد.

فلما رآه اهلها استنکروا ذلک و ضجوا لما کان فی نفوسهم من المحبه له(۳). و جعلوا یصیحون ان یحیی لم یقتل، میلا منهم الیه، حتی

۱- الطبری ۹/ ۲۶۷.

۲- مقاتل الطالبیین/ ۶۴۰.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸.

حتی ان الغوغاء کانوا یصرخون فی الطرقات: ما قتل و ما فر و لکنه دخل البر(۱).

أمر محمد بن عبد اللّه بحمل رأس یحیی الی المستعین باللّه و کتب الیه بالنصر علیه. و نصب الرأس بباب العامه بسامرا، الا ان الناس اجتمعوا متذمرین، فأمر الخلیفه برده الی بغداد و ان ینصب بها بباب الجسر. الا ان محمدا لم یقدر علی ذلک لکثره من اجتمع من الناس و تذمرهم، فخاف ان یأخذوه، فجعله فی صندوق فی بیت السلاح فی داره(۲). و جلس محمد بن عبد الله یتقبل التهانی بمقتل یحیی. و کان ممن دخل علیه ابو هاشم داود بن القاسم، و کان ذا علم و ورع و زهد فقال لأبن طاهر: ایها الأمیر انک لتهنا بقتل رجل لو کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حیا لعزی به. فما رد محمد علیه بشی ء، فخرج ابو هاشم و هو یقول(۳):

یا بنی طاهر کلوه و بیاان لحم النبی غیر مری

ان وترا یکون طالبه اللّه لوتر نجاحه بالحری

و قد اکثر الشعراء فی رثاء یحیی لما کان علیه من حسن السیره و ما اتصف به من خصال حمیده، و عداله و نزاهه. یقول ابو الفرج: «و ما بلغنی ان احدا ممن قتل فی الدوله العباسیه من آل ابی طالب رثی باکثر مما رثی به یحیی، و لا قیل فیه من الشعر باکثر مما قیل فیه»(۴).

۱- مقاتل الطالبیین ۶۴۴.

۲- الطبری ۹/ ۲۷۰، و الکامل ۷/ ۱۲۸.

۳- الطبری ۹/ ۲۷۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۸ مع اختلاف یسیر.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۶۴۶.

و کان الشاعر ابن الرومی علی بن العباس اشهر من رثاه فقد قال فی رثائه قصیده اربت علی مائه بیت، منها(۱):

ألا أیهذا الناس طال ضریرکم(۲)

بآل الرسول فاخشوا او ارتجوا

أکل أوان للنبی محمدقتیل زکی بالدماء مضرج

تبیعون فیه الدین شر أئمهفلله دین اللّه قد کاد یمرج(۳)

أیحیی العلا لهفی لذکراک لهفهیباشر مکواها الفؤاد فینضج

أحین تراءتک العیون جلاءهاو اقذاءها اضحت مراثیک تنسج(۴)

أردیتم یحیی و لو یطو أیطل طرادا و لم یدبر من الخیل منسج(۵)

تأتت لکم فیه منی السوء هینهو ذاک لکم بالغی اغری و ألهج

تمدون فی طغیانکم و ضلالکم و یستدرج المغرور منکم فیدرج

۱- القصیده فی مقاتل الطالبین/ ۶۴۶- ۶۶۲.

۲- ضریرکم: ضررکم.

۳- یمرج: یفسد و یضطرب.

۴- تراءتک: نظرتک فکنت جلاء لعیون احبابک و قذی لاعدائک.

۵- الایطل: الخاصره، و الطراد: حمل الفرسان بعضهم علی بعض، و المنسیح ما بین العرف و موضع اللبد.

أجنوا بنى العباس من شنآنكم و شدوا على ما فى العياب و اشرجوا(۱)

و لم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها بهيم و ديزج

و رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر بعدد من القصائد ذكر المسعودى بعضا منها(۲). و كان على هذا نقيب الهاشميين فى الكوفه، و قد تخلف عن زياره الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحيى بن عمر، فتفقده الحسين بن اسماعيل قائد الجيش الذى حارب يحى بن عمر، فتفقده الحسين و بعث بجماعه فاحضروه. فأنكر الحسين عليه تخلفه عن سلامه، فاجابه على بقوله(۳):

قتلت أعز من ركب المطاياو جئتك استلينك فى الكلام

و عز علىّ ان القاك الاو فيما بيننا حد الحسام

و لكن الجناح اذا أهيضت قوادمه يرف على الأكام

كما رثاه احمد بن طاهر الشاعر بقصيده طويله ذكر المسعودى عددا من ابياتها منها(۴):

۱- أجنوا: استروا، الشنآن: البغض، العياب: جمع عيبه و هى ما يجعل فيها المتاع، و الاشراج شد الخريطه.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸- ۱۵۱.

۳- نفس المصدر/ ۱۵۱.

۴- نفس المصدر/ ۱۴۸- ۱۴۹.

سلام على الاسلام فهو مودع اذا ما مضى آل النبى فودعوا

فقدنا العلى و المجد عند افتقادهم واضحت عروش المكرمات تضعضع

بنو طاهر و اللؤم منكم سجيهو للغدر منكم حاسر و مقنع

قواطعكم فى الترك غير قواطع و لكنها فى آل احمد تقطع

لكم مرتع فى دار آل محمدو داركم للترك و الجيش مرتع

أخلتم بأن اللّه يرعى حقوقكم و حق رسول اللّه فيكم مضيع

۴- خروج الحسن بن زيد الطالبى:

لعل اخطر الوثبات العلويه و ابعدها اثرا من حيث طول مدتها وسعه رقعتها هى التى قام بها الحسن بن زيد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب المعروف بالحسن العلوى او الطالبى، فى رمضان سنه ۲۵۰ ه على عهد الخليفه المستعين باللّه(۱). و كان سبب خروجه ان الخليفه كافأ امير بغداد

۱- النسب، و انه من نسل الحسين بن ابى طالب لا الحسن كما فى الطبرى ۹/ ۲۷۱، و الكامل ۷/ ۱۳۰ و فيه بعض الخلاف فى سلسله الطبرى.

محمد بن عبد الله لما قضى على حركه يحيى بن عمر، فاقطعه بعض القطائع من اراضى الدوله بطبرستان و منها قطيعه على حدود الديلم. فوجه محمد بن عبد الله جابر بن هارون و هو اخو كاتبه بشر بن هارون النصرانى، لحيازه ما اقطع هناك من الأراضى.

و كان عامل طبرستان حينذاك سليمان بن عبد الله خليفه اخيه محمد بن عبد الله، و الغالب على سليمان محمد بن اوس البلخى الذى فرق اولاده حكاما على مدن طبرستان. و هم احداث سفهاء تأذى الناس بهم و استنكروا منهم و من ابيهم سيرتهم و سوء تصرفاتهم. و قد اثار محمد بن اوس الديلم باجتياحه ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان فقتل و سبى منهم عددا كبيرا، و هم اهل سلم و موادعه لأهل طبرستان، مما جعل الطبريه ينقمون عليه و على اولاده و يتحينون الفرصه للوثوب بهم. فلما وصل رسول محمد ابن عبد الله الى طبرستان عمد الى ما اقطع محمد من الاراضى فحازه و حاز معه ما اتصل به من موات الارض التى كان اهل تلك الناحيه يرتفقون بها، فترعى فيها مواشيهم و منها يحتطبون، فأثار بعمله هذا حفيظتهم. و كان فى تلك المنطقه اخوان معروفان بالشجاعه و البأس يقال لاحدهما محمد و للآخر جعفر، فانكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازه الارض الموات. و كان الاخوان مطاعين فاستنهضا اتباعهما لمنع جابر من ذلك. فنهضوا معهما، فهرب جابر خوفا على نفسه، و لحق بسليمان بن عبد الله. فأيقن الأخوان و اتباعهما بالشر لأن سليمان عامل طبرستان هو اخو محمد بن عبد اللّه و عم محمد بن طاهر بن عبد اللّه عامل الخليفه على خراسان و جميع اقاليم المشرق. فاتصلوا بجيرانهم من الديلم و تعاقدوا على معاونه بعضهم بعضا فى مجابهه سليمان اذا قصدهم بحرب.

و لکی یعزز هؤلاء مرکزهم ارسلوا الی رجل من الطالبیین المقیمین بطبرستان یقال له محمد بن ابراهیم یدعونه الی البیعه له لیتولی رئاستهم و قیادتهم فأبی ذلک و امتنع علیهم. الا انه دلهم علی طالبی آخر و قال لهم انه یصلح للرئاسه. و کان ذلک الطالبی هو الحسن بن زید. فوجهوا الی الری من یدعوه الی الشخوص الی طبرستان فوافاهم الحسن بن زید، و اجمعوا علی مبایعته و قتال سلیمان بن عبد الله، و بایعه معهم رؤساء الدیلم.

و کان اول اعمال الحسن بن زید انه طرد عمال ابن اوس و اولاده من تلک المناطق. فانضم الیه کثیرون من اهل جبال طبرستان و سفوحها، فزحف باتباعه نحو مدینه آمل، و هی حاضره طبرستان، فاقبل ابن اوس یرید دفعه عنها الا انه هزم و دخل الحسن و اتباعه المدینه. و باحراز الحسن هذا النصر کثف جیشه و غلظ امره. و انضم الیه کل طالب نهب و مرید فتنه من الصعالیک و الحوزیه و غیرهم(۱). و جبی الحسن الخراج من اهل المدینه، و نظم اتباعه، و سار نحو مدینه ساریه لمحاربه سلیمان بن عبد الله و اخراجه منها. فنشب القتال بین الطرفین، و استطاع الحسن ان یهزم جیش سلیمان و یدخل المدینه. فهرب سلیمان الی جرجان تارکا اهله و عیاله و امواله بمدینه صاریه. فاستولی الحسن و اتباعه علی الاموال، اما الحرم و الاولاد فقد سیرهم الحسن الی سلیمان بجرجان. و یقول ابن الأثیر «یقال ان سلیمان انهزم اختیارا لأن الطاهریین کلهم کانوا یتشیعون لآل ابی طالب، فتأثم سلیمان من قتال الحسن بن زید»(۲). فأجتمع للحسن بن زید بهزیمه سلیمان امره طبرستان کلها. و قد شجعه ذلک علی ان یوجه

۱- الطبری ۹/ ۲۷۴.

۲- الکامل ۷/ ۱۳۲.

حمله الی مدینه الری فطردت عاملها و استولت علیها فأستخلف الحسن احد الطالبیین علیها، یقال له محمد بن جعفر. و بذلک اجتمعت للحسن بن زید مع طبرستان الری الی حد همذان.

و لما بلغ خبر استفحال امر الحسن بن زید الخلیفه المستعین باللّه ارسل القائد اسماعیل بن فراشه علی رأس جیش الی همذان و امره بالقیام بها و الدفاع عنها، اما ما وراء ذلک فقد ترک امر الدفاع عنه لمحمد بن طاهر و عماله(۱). و کان محمد بن طاهر قد اغتنم فرصه و ثوب اهل الری بمحمد بن جعفر الطالبی لسوء سیرته فیهم، فوجه الیها جیشا یقوده محمد بن میکال فأستطاع ان یأسر الطالبی و یهزم اتباعه و یسترجع المدینه. و حمل محمد بن جعفر الی نیسابور فسجنه محمد بن عبد اللّه بن طاهر فمات فی محبسه(۲). الا ان الحسن بن زید جرد حمله اخری علی رأسها احد قواده المسمی و اجن، فهاجم ابن میکال الذی قتل فی المعرکه فصارت الری ثانیه الی الحسن بن زید.

و قد استطاع سلیمان بن عبد الله ان یجمع جیشا کثیفا فی جرجان، و هاجم فی سنه ۲۵۱ ه طبرستان و اضطر الحسن بن زید علی ان یتنحی عنها و یلحق بالدیلم. فدخل سلیمان الری و استرجع کذلک مدینتی ساریه و آمل. و کتب الی ابن اخیه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان و هزیمه الحسن بن زید و استرجاع ساریه و آمل، فابلغ ابن طاهر الخلیفه المستعین باللّه بذلک، فقری ء کتابه ببغداد(۳). و لکن الحسن بن زید ما لبث بعد مده ان لم شمل

۱- الطبری ۹/ ۲۷۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۵۳.

۳- الطبری ۹/ ۳۰۷.

اتباعه و هاجم مدینه الری مجددا و استولی علیها فی رمضان سنه ۲۵۶ ه، فوجه الیه الخلیفه المعتمد علی اللّه کبیر قواده موسی ابن بغا، فخرج بجیشه فی شوال و شیعه الخلیفه بنفسه»(۱).

الا ان الحسن بن زید قصد فی السنه التالیه مدینه جرجان و کان محمد بن عبد الله قد جهز جیشا و بعث به لحمایتها، فظفر الحسن بهذا الجیش و غنم ما کان معه من اموال و دواب و استولی علی المدینه(۲). کما استطاع بعد ذلک بسنتین ای فی سنه ۲۵۹ ه ان یتغلب علی عامل مدینه قومس و یستولی علیها(۳).

علی انه واجه فی السنه التالیه خطر اماره بنی الصفار التی اخذت بالتوسع فی الأقالیم الشرقیه للدوله العربیه. فقد هاجمه یعقوب بن اللیث و هزمه و دخل طبرستان. و کان سبب هجومه انه کان قد استرد سجستان من عامله عبد الله السجزی الذی کان خرج علیه، فهرب و لحق بالحسن بن زید فی طبرستان. فبعث یعقوب الی الحسن یطلب الیه ان یسلمه السجزی، الا ان الحسن ابی تسلیمه فاذنه ابن اللیث بالحرب. و عند ما التقی جیشاهما انهزم الحسن بن زید و فر الی ارض الدیلم و دخل ابن اللیث مدینه ساریه ثم مدینه آمل. و حاول ان یتعقب الحسن، الا ان و عوره الطریق حالت دون ذلک.

و استفاد الحسن بن زید فی السنه التالیه من غضب الخلیفه المعتمد علی الله علی یعقوب بن اللیث الصفار، و کان قد امر

۱- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۴۰.

۲- الکامل ۷/ ۲۴۸.

۳- الطبری ۹/ ۵۰۶، و الکامل ۷/ ۲۶۶.

عبید الله بن عبد الله بن طاهر بأن یجمع من ببغداد من حجاج خراسان و الری و طبرستان و جرجان و یقرأ علیهم کتابا یعلمهم فیه ان الخلیفه لم یول ابن الیث ولایه خراسان، و ینکر علیه دخولها و اسره امیرها محمد بن عبد الله بن طاهر، و یأمرهم بالبراءه منه. فاغتنم الحسن الفرصه و هاجم طبرستان باتباعه من الدیلم و استعادها، و عاقب الذین ایدوا ابن اللیث علیه(۱).

و ما لبث الحسن بن زید بعد ذلک بضع سنوات حتی توفی فی طبرستان فی رجب سنه ۲۷۰ ه، بعد ان استمر خروجه قرابه عشرین عاما، و تولی مکانه اخوه محمد بن زید(۲). و کان الحسن زاهدا متواضعا، عالما بالفقه و العربیه، جوادا. مدحه احد الشعراء، فقال(۳):

لا تقل بشری و لکن بشریان عزه الداعی و یوم المهرجان

فقال له الحسن: کان الواجب الا تفتتح الأبیات بلفظ (لا) لأن الشاعر المجید یتخیر لأول قصیدته ما یعجب السامع و یتبرک به، و لو ابتدأت بالشطر الثانی لکان أحسن. فقال الشاعر: لیس فی الدنیا کلمه اجل من قوله لا اله الا اللّه، و اولها (لا)، فقال له:

اصبت، و اجازه.

و حکی عنه ان مغنیا غنی امامه قصیده الفضل بن العباس فی عتبه بن ابی لهب التی اولها:

۱- الطبری ۹/ ۵۱۲، و الکامل ۷/ ۲۸۸.

۲- الکامل ۷/ ۴۰۰، و الطبری ۹/ ۶۶۶ و فیه انه مات فی رجب او فی شعبان.

۳- الکامل ۷/ ۴۰۸.

و انا الآخضر من يعرفنى اخضر الجلده من بيت العرب

فلما وصل الى قوله:

برسول اللّه و ابنى عمه و بعباس بن عبد المطلب

غير الشطر الثانى من البيت و قال: لا بعباس بن عبد المطلب.

فغضب الحسن و قال له: يا ابن اللخناء تهجو ابن عمنا بين يدى، و تحرف ما مدح به؟ لئن فعلتها ثانيه لأجعلنها آخر غنائك(۱).

و يظهر ان محمـد بن زيـد لم يكن كأخيه الحسن درايه و كفايه، اذ هاجمه القائـد التركى اذكوتكين فى منتصف جمادى الاولى من سنه ۲۷۰ ه باربعه الاف فارس، فلاقاه بمن معه من الديلم و الطبريه و الخراسانيه، و اقتتلوا قتالا شديدا. و رغم كثافه جيش ابن زيد فقد هزم و تفرق اتباعه بعد ان قتل منهم سته الاف و اسر الفان، و غنم جيش اذكوتكين من اثقالهم و دوابهم شيئا كثيرا، و دخل بجيشه الرى(۲).

و فى سنه ۲۷۵ ه سار رافع بن هرثمه الى جرجان و ازال عنها محمد بن زيد الذى فر الى استراباذ. فتعقبه جيش رافع و حاصره فى المـدينه نحو سنتين. و قد استطاع محمد ان يفر منها ليلا مع عدد يسير من اتباعه الى مدينه ساريه، فسير اليه رافع جيشا، فأجبره على الالتجاء الى ارض الديلم(۳).

۱- الكامل ۷/ ۴۰۸.

۲- نفس المصدر/ ۴۱۸.

۳- نفس المصدر/ ۴۳۴.

و لما نشبت الحرب بين عمرو بن الليث الصفار و رافع بن هرثمه. حاول رافع ترضيه محمد بن زيد طمعا بمساعدته على ابن الليث فبعث اليه و صالحه بأن اعاد اليه طبرستان و جرجان.

الا ان محمدا لم يخف الى نجده رافع عند ما احاط به جيش الصفار و اضطره على الهرب. فعرف الصفار لمحمد بن زيد موقفه و خلى عليه طبرستان(۱).

و عند ما قامت اماره بنى سامان و دخلت فى حرب طاحنه مع بنى الصفار و بلغ محمد بن زيد ان اسماعيل بن احمد السامانى قد اسر عمرو بن الليث خرج فى جيش كثيف نحو خراسان طامعا بالاستيلاء عليها ظنا منه ان اسماعيل السامانى قد انهكته الحرب مع بنى الصفار و لا يطمع فى الوصول اليها. فلما صار الى جرجان كتب اليه اسماعيل يسأله ان يتركها و يعود الى طبرستان، فابى محمد ذلك. فوجه اسماعيل جيشا يقوده محمد بن هارون.

و لما التقى الجيشان على ابواب جرجان اقتتلا قتالا شديدا فاصيب محمد بعده طعنات، و اسر ابنه زيد، و احتوى محمد بن هارون على ما فى عسكره من اموال و متاع. و لبث محمد بعد هذه الوقعه اياما قليله و مات من اثر الطعنات التى اصابته فى الحرب، فدفن عند باب مدينه جرجان. اما ابنه زيد فقد حمل الى اسماعيل السامانى فاكرمه و وسع عليه و انزله بخارى، و كان الجيش السامانى دخل طبرستان(۲).

۱- نفس المصدر/ ۴۵۸.

۲- الطبرى ۱۰/ ۸۱، و الكامل ۷/ ۵۰۴.

و بهـذا انتهت الاماره التی اقامها الحسن بن زید الطالبی و قد سـماها ابن خلدون «الدوله العلویه»(۱). الا انه فی الواقع لم یؤسس دوله بـالمعنی المعروف، لأنـه اقرب الی الثـائر المتغلب منه الی الامیر المسـتقر. و قـد مر بنا کیف انه کان یسـتولی علی المـدن و یتنحی عنها. و قـد تکرر ذلک عـده مرات. و قضـی حیاته فی کر وفر. و من الطبیعی ان مثل هـذا الأضـطراب لا یساعـد علی قیام دوله. و قد انتهج محمد اخو الحسن نفس نهجه فی الاستیلاء علی المدن و التنحی عنها حتی قتل بعد ثمانی عشـره سـنه من تولیه الأمر علی ایدی السامانیین کما ذکرنا.

۵- خروج اسماعیل بن یوسف الطالبی:

اشـرنا الی ان من اسـباب تذمر الطالبیین و وثوب بعضهم بین آن و آخر ما کانوا یلقونه من سوء المعامله من رجال السلطه. و هذا طالبی یسکن المدینه المنوره، خرج فیها فی سنه ۲۵۱ اثر خلاـف بینه و بین الوالی فیها حول وقف کان له، فتحامل علیه الوالی و اغلظ له الکلام مما اثار غضـبه، فاعلن العصـیان. و جمع حوله لفیفا من الاعراب المتعطشـین للسـلب و النهب، و هاجم بهم ناحیه الروحـاء و اسـتولی علی اموال کـانت تحمـل الی المـدینه من بعض الجهـات. ثم انصـرف الی مکه و کان العامل علیها جعفر بن الفضل ابن عیسی بن موسی بشاشات، فقاومه و حاول منعه من دخولها.

الا ان اسماعیل استطاع باتباعه ان یهزم الوالی و حامیته. و انتهب منزله

۱- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۶۰۴.

و منازل اصحابه(۱). و لما حاول اهل مکه مساعده الوالی و خرجوا لمقاتله اسماعیل و اتباعه، وضع هؤلاء السیوف فیهم و قتلوا جماعه منهم فتهاربوا امامهم. فدخل اسماعیل و اتباعه مکه و استولی علی ما کان حمل من المال لاصلاح بئر زمزم، و اخذ کسوه الکعبه و ما وجده فی خزائنها من الذهب و الفضه، و بقی فیها خمسین یوما عاث فیها و اتباعه قتلا و نهبا و حرقا، و استولی علی نحو من مائتی الف دینار.

ثم عاد اسماعیل باتباعه الی المدینه المنوره فهرب عاملها علی ابن الحسین بن اسماعیل لضعف حامیته، فدخلوها، ثم رجعوا الی مکه و حاصروا اهلها الذین لقوا منهم البلاء، و مات کثیر من اهلها جوعا و عطشا. و لما لم یجدوا فی مکه ما یشبع نهمهم من الاموال هاجموا جده و استولوا علی ما فیها من مؤونه و اخذوا اموال التجار و ما وجدوه من متاع فی المراکب.

و لما وافی اسماعیل مکه للمره الثالثه کان موسم الحج قد حل، فصار الی عرفه. فقابله جیش کان قد وجهه الخلیفه المعتز باللّه لقتاله علیه محمد بن احمد بن عیسی الملقب بکعب البقر و معه عیسی بن محمد المخزومی صاحب جیش مکه. فقاتلهم اسماعیل و قتل ما یزید علی الف من الحجاج الواقفین بعرفه، فهرب الباقون الی مکه دون ان یقفوا بعرفات لیلا و لا نهارا(۲). و قد توفی

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۸.

۲- الطبری ۹/ ۳۴۶- ۳۴۷، و الکامل ۷/ ۱۶۵- ۱۶۶ و فیهما کان خروجه بمکه اولا.

اسماعیل بن یوسف فی سنه ۲۵۲ ه(۱). فخلفه اخوه محمد بن یوسف و کان اسن منه بعشرین سنه فنال الناس بسببه جهدا شدیدا، حتی تمکن منه القائد ابو الساج الاشروسنی الذی بعث به المعتز بالله، فهرب محمد بعد ان قتل اکثر اصحابه(۲).

ان خروج اسماعیل بن یوسف و اخیه من بعده لم یکن ثوره منظمه تستهدف الحکم القائم، و انما هو مجرد عصیان و ما یتبعه من سلب و نهب اموال الدوله و الناس لمجرد الانتقام و الکسب.

و لذا فانهما لم یلقیا من الناس ای عطف او مساعده، بل انهم علی العکس قاوموهما و ساعدا السلطه ضدهما. و لا یعتبره ابو الفرج من الثوار العلویین و انما اعتبره عابثا مفسدا تبعه امثاله، فعرضوا للحجاج و قطعوا المیره عن بیت اللّه الحرام(۳).

۶- خروج الحسین بن محمد العلوی:

لم یکن یقضی علی فتنه یحیی بن عمر الطالبی الذی خرج مع من بایعه من الزیدیه فی الکوفه، حتی وثب طالبی آخر فی نفس المدینه، هو الحسین بن محمد بن حمزه بن عبد الله بن الحسین بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، و یکنی ابا احمد(۴).

و یلاحظ ان المسعودی و ابن الأثیر یحذفان من سلسله نسبه اسم

۱- الطبری ۹/ ۳۲۷، الکامل ۷/ ۱۷۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۷۶- ۱۷۷.

۳- مقاتل الطالبیین/ ۶۶۹.

۴- هکذا ورد اسمه فی الطبری ۹/ ۳۲۸، و مقاتل الطالبیین/ ۶۶۵، و الکامل ۷/ ۱۶۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۵۴.

«الحسین بن علی» المکرر. و نمیل الی صحه ما جاء فی الطبری و مقاتل الطالبیین لأن بقیه الطالبیین الذین خرجوا فی السنتین ۲۵۰ ه و ۲۵۱ ه جاء نسبهم بثمانیه اجیال کالحسن بن زید و یحی ابن عمر. و یلقب ابو الفرج الحسین بن محمد العلوی بالحرون(۱).

خرج الحسین العلوی فی سنه ۲۵۱ ه علی عهد المستعین بالله بسواد الکوفه فی اتباعه من الزیدیه و من بنی اسد، و هم بضع مئات. و کان عامل الکوفه احمد بن نصر بن مالک الخزاعی، فقتل العلوی بعض رجاله مما اضطره علی الهرب منها فاستولی علیها اتباع العلوی. فأمر الخلیفه و کان حینذاک فی بغداد، محمد بن عبد الله ان یبادر الی اخماد الفتنه الجدیده. فوجه ابن طاهر احد کبار القواد الاتراک الذین صحبوا الخلیفه عند انتقاله الی بغداد، و هو مزاحم بن خاقان، فی جیش کبیر. فلما وصل الجیش مدینه الکوفه هرب منها الحسین لتخلی اصحابه عنه(۲).

لأنهم ادرکوا ان لا قبل لهم بمواجهه جیش کثیف. الا ان ابن خاقان دخل المدینه فقابله اهلها بالحجاره فامر بضرب المدینه بالنار، فأحرق فیما یقال الف دار و ثمانیه اسواق، و قبض علی جمیع من وجده من العلویین فی الکوفه و اودعهم السجن. و اخذ للحسین العلوی جوار و فیهن امرأه حره، فنادی علیها لبیعها بباب المسجد(۳).

۱- مقاتل الطالبیین/ ۶۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۲۹، و مروج الذهب ۴/ ۱۰۴.

۳- الطبری ۹/ ۳۲۹.

و یظهر ان الحسین العلوی کان قد ظهر بناحیه نینوی و اجتمع الیه جماعه من الأعراب، فلقیه القائد هاشم بن ابی دلف و قتل جماعه من اصحابه، فهرب الی الکوفه و اعلن الخروج ثانیه(۱).

و یذکر ابو الفرج عن نهایه الحسین انه عند ما قارب جیش ابن خاقان مدینه الکوفه هرب و خالف طریق الجیش و صار الی سامرا و بایع للمعتز باللّه الذی کان قد بایعه القواد الاتراک فیها بعد التجاء الخلیفه المستعین بالله الی بغداد، الا انه ما لبث بعد مده ان هم بالوثوب ثانیه فقبض علیه و سجن، و بقی سجینا حتی سنه ثمان و ستین و مائتین فاطلق المعتمد علی اللّه سراحه، و لکنه خرج للمره الثالثه بسواد الکوفه فقبض علیه و امر الخلیفه بحبسه فی مدینه واسط. و انه لبث فی الحبس الی ان مات فی سنه ۲۷۱ ه(۲).

۷- ظهور الکوکبی الطالبی:

یشیر کل من الطبری و ابن الأثیر الی ظهور احد العلویین المعروف بالکوکبی الطالبی فی سنه ۲۵۳ ه بقزوین. و قد التقی به و باتباعه جیش القائد موسی بن بغا فهزمه بخدعه حربیه، فهرب علی أثرها الکوکبی و لحق بالدیلم. و کان سبب الهزیمه ان اصحاب الکوکبی لما التقوا بجیش موسی جعلوا تروسهم فی وجوههم یتقون بها السهام، و لما رأی موسی ان سهام اصحابه لا تصیب منهم مقتلا امر بما معه من النفط ان یصب فی ساحه المعرکه. ثم امر اصحابه بالاستطراد لاتباع الکوکبی ففعلو ذلک.

۱- الطبری ۹/ ۳۲۹، و الکامل ۷/ ۱۶۷.

۲- مقاتل الطالبیین/ ۶۶۵.

فظن الكوكبى ان اصحاب موسى قد انهزموا فامر اتباعه فتبعوهم فلما توسطوا النفط امر موسى بالنار فالقيت فيه، فالتهب النفط من تحت اقدام اصحاب الكوكبى و جعل يحرقهم، فانهزموا، فدخل جيش موسى قزوين(۱).

و يلاحظ ان كلاـ من الطبرى و ابن الأـثير لم يـذكر اسم الكوكبى الطالبى و نسبه حسب العاده، بل اكتفى بلقبه فقط. الا ان ابن الأثير سبق ان اشار فى حوادث سنه ۲۵۱ ه الى ظهور احد الطالبيين بناحيه قزوين و اسمه الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسـماعيل الأرقـط بن محمـد بن على بن الحسـين بن على بن ابى طـالب، المعروف بالكركى، و طرد عمال بن طاهر منها(۲). كما ان المسعودى يـذكر انه ظهر فى السـنه المشار اليها آنفا بقزوين «الكركى» الحسـين بن احمـد بن اسـماعيل .. و هو من ولد الأرقط، فحاربه موسـى بن بغا، و صار الكركى الى الـديلم(۳). و لعدم اشاره الطبرى الى ظهور من سـماه المسعودى و ابن الأثير بالكركى، يمكن القول انه هو الـذى خرج فى سـنه ۲۵۳ ه بـاسم الكوكبى العلوى، فقاتله موسـى بن بغا و هزمه، كما اشـرنا. و ان احـد اللقبين تصـحيف للآـخر، فقـد يكون لقبه الصـحيح الكوكبى فصـحف الى الكركى، او بـالعكس، و ذلك ما جعل ابن اثير يعتبرهما شخصين. و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ان اليعقوبى يسميه الكوكبى الارقط(۴).

۱- الطبرى ۹/ ۳۷۸، و الكامل ۷/ ۱۸۴.

۲- الكامل ۷/ ۱۶۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۵۴، و اسمه فيه الحسن بن احمد.

۴- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۱.

۸- خروج علی بن زید العلوی:

یظهر مما جاء فی الطبری و مروج الذهب و الکامل ان علی ابن زید الحسنی حاول فی اواخر خلافه المعتز بالله الخروج بمعاونه طالبی آخر هو عیسی بن جعفر العلوی فخرجا فی سنه سنه ۲۵۵ ه و قتلا عاملها عبد الله بن محمد بن داود بن عیسی فوجه الخلیفه الیهما القائد سعید بن صالح المعروف بسعید الحاجب فی جیش کبیر، فانهزم العلویان لتفرق اصحابهما عنهما(۱). و بعد فشلهما انفرد علی بن زید بالخروج فی السنه التالیه، فی اواخر خلافه المهتدی باللّه. فظهر فی الکوفه ایضا و استطاع ان یطرد و الیها عنها و ان یستولی علیها. فتوجه الیه القائد الشاه بن میکال علی رأس جیش کثیف، الا ان علی بن زید استطاع ان یهزمه و یقتل کثیرا من افراده(۲). مما قوی مرکزه فی الکوفه و ما حولها.

و عند ما تولی المعتمد علی اللّه الخلافه ارسل القائد کنجور الترکی الی محاربه العلوی و امره ان یدعوه الی الطاعه و یبذل له الأمان قبل مبادرته بالقتال. فسار الیه کنجور و نزل فی موضع یقرب من الکوفه یسمی شاهی، و ارسل الی علی بن زید یبذل له الأمان اذا ما استسلم و اعلن طاعته. فاشترط علی شروطا لم یقبلها کنجور. و لما رأی علی بن زید کثافه الجیش الذی جاء لمحاربته، تنحی عن الکوفه الی القادسیه فعسکر فیها باصحابه و مناصریه، فدخل کنجور مدینه الکوفه.

۱- الطبری ۹/ ۳۸۸، و مروج الذهب ۴/ ۱۸۰، و الکامل ۷/ ۲۱۶.

۲- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۳۹.

اوغـل علی بن زیـد فی البادیه و دخل اراضـی بنی اسـد و کان قـد صاهرهم، فارسل کنجور خلفه جیشا یتعقبه، فتواری علی عن الانظـار، و بـذلک انتهت فتنته. و یقول ابو الفرج ان اتباع علی بن زیـد کانوا قلیلی العـدد، فلما هاجمه جیش کنجور، قال لأتباعه «ان القوم لا- یریـدون غیری، فـاذهبوا انتم فی حـل من بیعتی»(۱). فرفض اتبـاعه التخلی عنـه رغـم جزعهم و خـوفهم من الجیش الکبیر المحیـط بهم، فحاول علی ان یثیر حماسـهم فانتضـی سـیفه و حمل علی الجیش، فتشـجع اتباعه و حملوا معه فهزموا جیش منکجور. و لکن رغم انتصار علی فقـد تخاذل اصـحابه من الکوفه و خـذلوه خوفا لما لحقهم من الاذی، و ما اصاب مدینتهم من الحرق و التدمیر عند ما ایدوا یحیی بن عمر، فاضطر علی علی الهرب و الاختفاء.

۹- وثوب محمد و علی ابنی الحسین بن جعفر:

دخل الأخوان محمد و علی ابنا الحسین بن جعفر بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین المدینه المنوره فی سنه ۲۷۱ ه، فقتلا جماعه من اهلها، و اخذ اموال الناس. فذعر اهل المدینه طیله مقام الأخوین فیها، و لم یصـلوا فی مسجد الرسول صلی الله علیه و سلم اربع جمع، لا جمعه و لا جماعه(۲). و لا تعرف

۱- مقاتل الطالبیین/ ۶۷۵.

۲- الطبری ۱۰/ ۷، و الکامل ۷/ ۴۱۳ و فیه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوی، و فی البیت الثالث(امسی) بدلا من(اضحی) و لا ذکر للبیت الأخیر.

اسـباب وثوبهما الا ان يكون ذلك عبثا و فسادا منهما، لأن احد شـعراء العلويين و هو ابو العباس بن الفضل، قد تألم من اعمالهما و شتمهما بقوله(۱).

أخربت دار هجره المصطفى البر فابكى اخرابها المسلمينا

عين فابكى مقام جبريل و القبر فبكى و المنبر الميمونا

و على المسجد الذى أسه التقوى خلاء اضحى من العابدينا

و على طيبه التى بارك الله عليها بخاتم المرسلينا

قبح اللّه معشرا أخربوهاو اطاعوا متبرا ملعونا

۱۰- اسباب فشل خروج العلويين:

اذا مـا القينا نظره فاحصه على ما ذكرناه من الوثبات العلويه و دققنا فى اسـباب كل منها و نتائجها، لرأيناها قـد فشـلت كلها تقريبا من تحقيق هـدف العلويين الأساسـى و هو ازاحه بنى العبـاس عن الحكم و القيـام مقـامهم فيه. و هنـاك عوامل عديـده ادت الى فشلها يمكن تلخيصها بما يأتى:

۱- الطبرى ۱۰/ ۷ و الكامل ۷/ ۴۱۳ و فيه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوى و فى بيت الثالث(امسـى) بدلا من(اضحى) و لا ذكر للبيت الاخير.

ا- التسرع باعلان الخروج قبل ان تستكمل اسباب نجاحه، من حيث تهيئه العدد الكافى من المؤيدين، و تجهيزهم بالسلاح الكافى، و ضمان تأييد الناس لها.

ب- لم تكن اسباب الفتن التى قامت من العمق و السعه بما يمس مصالح الناس بحيث يهبون لنصرتها و تأييدها عند قيامها.

فقد كان اكثر اتباع العلويين الخارجين اما من الأعراب المتعطشين للغزو و السلب و النهب و لا يستهدفون من تأييدهم الا ما يكسبون من الاسلاب، او من الانتهازيين الذين يتوخون مكاسب آنيه. و قد كانت اغلب الفتن التى استعرضناها قد قامت لأسباب شخصيه تتعلق بالعلوى الخارج، مما كان يجعلها اقرب الى العصيان و التمرد.

ج- عدم تنظيم الدعوه العلويه، و توحيد اجنحتها المختلفه.

فان العلويين انفسهم كانوا شيعا متعدده. مما جعل اكثر تلك الوثبات مبتسرا لم تسبقه دعوه لمبادی ء و اهداف واضحه، او ترتبط بشخص معين مهيأ لذلك بحيث تستحق التضحيه فى سبيل انجاحها.

د- ان معظم القاده العلويين الذين اعلنوا عصيانهم كانت تنقصهم الخبره العسكريه بحيث انهم لم يستطيعوا المناوره او الصمود امام الجيوش التى كانت توجه لحربهم و اخضاعهم، الا نادرا. فللحرب اساليبها و فنونها، و لا بد من معرفتها و الاحاطه بها لتحقيق النصر فى ايه معركه حربيه.

ه- قرب مواقع الفتن من حاضره الخلافه. اذ اعلن اغلبها فى مدينه الكوفه او فى اماكن قريبه من مراكز جيوش الدوله

العربیه. لان قیام الفتنه فی اماکن لا تبعد کثیرا عن حاضره الخلافه لا تتیح لها فرصه کافیه لأن تتوسع و تستفحل، لأنه سرعان ما تصل انباؤها و اخبارها الی المسؤولین، سواء من رجال البرید او من العیون المبثوثه لرقابه العلویین اینما کانوا. کما کان هذا القرب یساعد ایضا علی سرعه وصول الجیوش التی ترسل لقمع الفتن و اخضاع القائمین بها.

و قد رأینا کیف ان فتنه الحسن بن زید الطالبی اتسعت و استمرت مده طویله بسبب بعدها عن حاضره الخلافه و قیامها فی منطقه نائیه.

انتهی

المجلد ۲

اشاره

الباب السادس الفتن و الاضطرابات فی عهد سامرا

الفصل الأول الفتن الکبری

-۱ فتنه الخرمیه:

اشاره

علی الرغم من طول مـده حکم الخلیفه المـأمون الـتی بلغت عشـرین عامـا و نصف العـام، و علی الرغم من کفـایته الاـداریه و ما عرف عنه من الحزم و الـدهاء، فـانه لم یسـتطع التغلب علی الفتنه الخرمیه التی انـدلعت نیرانها فی اذربیجان، أو التغلب علی تمرد الزط و عبثهم فی نواحی البطائـح. و یبـدو ان انهماکه فی توطید عرشه الذی انتزعه من أخیه الخلیفه محمد الامین، و تعیین الامام علی بن موسی الکاظم لولایه العهد، و ما نشأ عن ذلک من مشاکل بینه و بین بنی العباس.

و کـذلک اعتناقه مذهب المعتزله و تعصـبه لآرائهم، و ما اثاره من خلاف مع فقهاء السـنه فی موضوع خلق القرآن، قد شـغله عن التفرغ للقضاء علی تلک الفتن یضاف الی ذلک اسـتمرار العلاقات العدائیه بین الدوله العربیه و البیزنطیین مما جعل الثغور العربیه عرضه لهجمات الروم. بحیث اضطر المأمون ان یقود الحملات فی السنوات

الاربع الاخیره من حکمه لمقارعه البیزنطیین. حتی انه ادرکته الوفاه و هو یجاهد فی بلاد الروم.

و لا ریب فی ان الجهود التی بذلها المأمون فی القضایا آنفه الذکر استنفدت منه وقتا و جهدا کبیرین، مما اضعف من امکانیاته فی القضاء علی الاخطار الداخلیه التی أشرنا الیها رغم اهتمامه بأمرها. و قد تمثل هذا الاهتمام بتأکیده فی وصیته علی أخیه أبی اسحاق ان یتفرغ لها و یبذل کل جهوده للقضاء علیها. و لذا کان من أولی واجبات المعتصم باللّه الا یألو جهدا فی مقاومه تلک الاخطار و القضاء علیها. اذ لم یکد ینتهی من أمر المبایعه حتی انصرف الی العمل بجد و حزم لمجابهه تلک الاضطرابات التی کانت قائمه و التی قامت بعد ذلک فی عهده. و سنحاول فیما یأتی ان نتبین جهوده فی القضاء علیها.

و بالنظر لأهمیه الفتنه الخرمیه التی کانت تهدد بالقضاء علی الخلافه و الدوله العربیه، فسنتکلم عنها بشی ء من التفصیل.

الحرکه الخرمیه:

یری یاقوت الحموی ان الحرکه الخرمیه عرفت بهذا الاسم نسبه الی بابک الخرمی. و خرم (بظم أوله و تشدید ثانیه مع الفتح) رستاق باردبیل. کما یقول: و قیل ان الخرمیه تعبیر فارسی معناه الذین یتبعون الشهوات و یستبیحونها(۱). و جاء فی کتاب السیاده العربیه ان اسمها مشتق من خرم و هی مدینه ببلاد میدیا، أو من کلمه خرم الفارسیه و معناها لذیذ(۲). و یری المسعودی ان الخرمیه هی الطائفه التی تدعی بالمسلمیه القائلین بامامه ابی مسلم الخراسانی، و قد تنازعوا بعد وفاته، فمنهم من رأی انه لم یمت و لن یموت حتی یظهر فیملأ الدنیا عدلا، و فرقه قطعت بموته و قالت

۱- معجم البلدان، ۲/ ۳۶۲.

۲- السیاده العربیه/ ۹۹- ۱۰۰.

بامامه ابنته فاطمه و هم يدعون الفاطميه(۱). أما البغدادى فيرى ان الخرميه صنفان صنف منهم كان قبل الاسلام كالمزدكيه الذين استباحوا الحرمات و زعموا ان الناس شركاء فى الاموال و النساء.

و الصنف الثانى الخرميه الذين ظهروا فى دوله الاسلام، و هم فريقان: بابكيه و مازياريه، و كلتاهما معروفه بالمحمره(۲). و لأبن الأثير رأى فاحش فى التسميه(۳).

لقد نشأت هذه الحركه بين سكان اذربيجان و المناطق الفارسيه المجاوره لها، بين من احتفظوا بمجوسيتهم، و الذين كانوا شديدى البغض و الكراهيه للاسلام و العرب. فكانوا يجرون وراء كل دعوه تستهدف محاربه الاسلام و القضاء على دوله العرب. و الخرميه اصناف عديده غير انهم يجمعون على القول بالرجعه و يقولون بتغيير الاسم و تبديل الجسم(۴)، اى انهم يؤمنون بتناسخ الارواح و القول بالحلول. فقد جاء فى وصيه جاويدان التى بلغتها زوجته لاصحابه بعد موته: انى أريد أن أموت فى هذه الليله، و ان روحى تخرج من بدنى و تدخل بدن بابك و تشترك مع روحه(۵). و كان بابك يقول لمن يستغويه انه اله(۶). و يدعون الى اباحه النساء و الاموال.

يقول المقدسى، وجدنا منهم من يقول باباحه النساء على الرضاء منهن، و اباحه كل ما يلذ للنفس و ينزع اليه الطبع ما لم يعد على أحد يقرر(۷). و قد أمر المازيار الأكره بانتهاب أموال أرياع

۱- مروج الذهب ۳/ ۳۰۵.

۲- الفرق بين الفرق/ ۱۶۱.

۳- الكامل ۶/ ۳۲۸.

۴- البدء و التأريخ ۴/ ۳۰.

۵- الفهرست/ ۴۹۶.

۶- نفس المصدر/ ۴۹۴.

۷- البدء و التأريخ ۵/ ۱۱۴.

الضیاع و غلاتها(۱). کما انهم یعملون علی اعاده الملک الی العجم و الدعوه الی الالحاد(۲).

و کانت الحرکه منظمه یتولاها اناس متمرسون بأسالیب الدعایه، مما ساعد علی حفظ آراء مزدک و مبادئه و نشرها بین سکان هذه المناطق. و قد آلت رئاستها فی نهایه القرن الثانی للهجره الی جاویدان بن سهل(۳)، و کان من الاغنیاء المتنفذین فی جبال البذ. و هو الذی اکتشف بابک و قابلیاته، و مهد له السبیل لریاسه الحرکه.

بابک یتولی قیاده الحرکه:

کان بابک فی أول نشأته صبیا مغمورا یرعی البقر، و عمل سائسا ردحا من حیاته، ثم التحق بخدمه جاویدان الذی وجده علی رداءه حاله و تعقد لسانه بالأعجمیه، فهما، و رآه خبیثا شهما.

فاتخذه وکیلا لأعماله و أمواله و ضیاعه(۴)، و اطلعه علی أسرار الحرکه المجوسیه. و سرعان ما اظهر بابک تفهما عمیقا لمبادئها و أهدافها. و لما مات جاویدان ساعدت زوجته وکیله بابک لیحل محله فی ریاسه الحرکه و اتباعها، بأن لفقت وصیته علی لسان زوجها و بلغتها لرجاله، و خلاصتها ان روح جاویدان حلت فی بدن بابک، الذی سیبلغ أمرا لم یبلغه أحد، و ان النصر سیحالفه فیملک الارض، و یقتل الجبابره، و یرد المزدکیه، و یعتز به الذلیل و یرتفع الوضیع(۵). و بایعته هی و تزوجت منه، فتبعها أصحاب جاویدان، فأصبح الرئیس الجدید للحرکه. و یقول أبو حنیفه الدینوری انه صح عنده ان بابک من ولد مطهر بن فاطمه بنت أبی مسلم

۱- الطبری ۹/ ۸۱ و العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۹.

۲- البدء و التأریخ ۵/ ۱۳۴.

۳- فی التنبیه و الاشراف/ ۳۰۶ ورد اسمه جاوذان بن شهرک.

۴- الفهرست/ ۴۹۵.

۵- نفس المصدر/ ۴۹۶، و البدء و التأریخ ۶/ ۱۱۴- ۱۱۸.

الخراسانی[(۱)]. بینما یظهر خبر أورده ابن الندیم انه ولد سفاحا لدهان من أهل المدائن[(۲)]. و کذلک یری الطبری انه من أصل وضیع[(۳)].

تختلف حرکه بابک عن الحرکات الاخری التی قامت ضد الدوله العربیه فی انها کانت منظمه تنظیما جیدا کفل لها سرعه الانتشار، و طول مده الصمود فی صد الجیوش العربیه التی وجهت لضربها. فلم یقتصر انتشارها علی المجوس من الفرس وحدهم، بل انضم الیها کثیر من الاکراد و الأرمن و غیرهم ممن یتشکون من وطأه الحکم العباسی. و من الطبیعی ان ینضم الیها کذلک قطاع الطرق و اللصوص طمعا فی الغنائم و الکسب المادی[(۴)]، و هربا من مطارده السلطه. کما مالأه بعض القواد و الحکام المحلیین بدوافع شخصیه، فقد شایعه محمد بن البعیث و عصمه الکردی و منکجور القرتماتی، و کاتبه حاتم بن هرثمه بن أعین فی اذربیجان و هون له الأمر هناک فتحرک بابک و غلب علی اذربیجان[(۵)]. کما کاتبه مازیار یحرضه و یعرض علیه النصره[(۶)].

اعلان الخروج علی الدوله:

لقد استطاع بابک خلال فتره قصیره تنظیم اتباعه و اعدادهم للحرب، و یقول المسعودی انهم کانوا مائتی ألف[(۷)]. بحیث استطاع أن یعلن الانتفاض علی الحکم العربی الاسلامی المتمثل بالخلافه العباسیه، فی صیف سنه ۲۰۱[(۸)] فی اران و البیلقان و اذربیجان،

۱- الاخبار الطوال/ ۴۹۶.

۲- الفهرست/ ۴۹۴.

۳- الطبری ۹/ ۵۴.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۵- تأریخ الیعقوبی ۲/ ۴۶۲.

۶- الطبری ۹/ ۸۱ و الکامل ۶/ ۴۹۶.

۷- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۸- الطبری ۹/ ۱۱.

و اتخذ مدینه البذ(۱) مرکزا حربیا له. و اخذ یزحف منها علی المناطق المجاوره. و من العوامل المهمه التی ساعدت بابک فی حرکته معرفته و اصحابه بطبیعه اراضی المناطق التی انتشرت فیها الخرمیه، من حیث ممراتها و مکامنها، و قیامهم بتخریب ما یستولون علیه من القلاع و الحصون. و قد اطلق علی أصحاب بابک من الخرمیه اسم «المحمره»(۲). و سبب هذه التسمیه انهم صبغوا ثیابهم بالحمره التی اتخذوها شعارا لهم(۳).

لقد استطاع بابک ان ینشر حرکته فی أقالیم و مدن عدیده مثل اصبهان و همذان و الری و سائر أراضی العجم(۴). و دخل فی سنه ۲۱۸ ه و هی السنه التی تولی فیها المعتصم باللّه الخلافه، جماعه کبیره من أهل الجبال فی الدعوه الخرمیه و تجمعوا و عسکروا فی همذان(۵). و کان هدف بابک ان یزیل ملکا و یقلب مله و یبدلها(۶). کما أراد أن یقیم مله المجوس(۷). و الواقع ان خرمیه بابک استهدفت ازاله الحکم العربی و استبدال الخرمیه المجوسیه به. فهی حرکه دینیه سیاسیه معا تسعی الی اداله دوله العرب و دینهم، و ذلک بالقضاء علی الدوله العربیه أو الاستقلال عنها.

و رغم ما کانت تنطوی علیه الحرکه الخرمیه من خطر جسیم بات یهدد الدوله العربیه و الدین الاسلامی، فان الحرب الاهلیه

۱- البذ: بتشدید الذال، کوره بین اذربیجان و ایران، کان بها مخرج بابک الخرمی، و یقال: و فیها تعقد اعلام المحمره المعروفین بالخرمیه، و فیها یتوقعون المهدی- معجم البلدان ۱/ ۳۶۱.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱.

۳- المنتظم ۵/ ۱۱۴.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۶.

۵- الطبری ۸/ ۶۶۷.

۶- مروج الذهب ۴/ ۵۸، و للمسعودی فی کتابه التنبیه و الاشراف/ ۳۰۶ قول مماثل اذ یقول ان ما ینتظره الجمیع فی المستقبل من الزمان الآتی من عوده الملک فیهم، و من خلق الاسلام منهم.

۷- شذرات الذهب ۱/ ۳۸۴.

التی قامت بین الخلیفه محمد الامین و أخیه المأمون قسمت الجیش علی نفسه مما اضعفه و لا شک، و اشغلت الدوله عن الاهتمام بشأن هذه الحرکه مده من الزمن، مما ساعدها علی التوسع و الانتشار.

و کان من المفروض ان یبادر المأمون بعد أن تربع علی عرش الخلافه الی مجابهه هذا الخطر. الا انه لم یتخذ أی اجراء بشأنه حتی سنه ۲۰۴ ه عند ما عاد الی بغداد، و ذلک مما یدعو الی الاستغراب، و لا ندری ما اذا کان المأمون و هو فی مرو علی علم بأمرها و لم یعرها الأهمیه الکافیه استصغارا لشأنها، أم لم یکن یعلم عنها شیئا، لان و زیره الفارسی الفضل بن سهل کان یحجب عنه بعض الاخبار و الحقائق و یموه علیه بعضها. علی ان تستر الفضل بن سهل علی الحرکه الخرمیه و عدم اخبار المأمون بها مما یدعو الی التساؤل.

هل کان ذلک ناشئا عن عدم اهتمامه بها و انه اعتبرها مجرد حرکه دینیه محلیه تسعی فی أحیاء المزدکیه القدیمه، فلم یلتفت الی خطرها السیاسی، أم انه أراد أن یشجعها و یتیح لها فرصه التوسع و الانتشار لانها تستهدف اعاده الحکم الفارسی؟ و لعل مما یؤید الاحتمال الثانی ما کان یهدف الیه الفضل نفسه من نقل الدوله الی الفرس. فقد قال له القائد العربی نعیم بن حازم بحضره المأمون:

انک ترید ان تزیل الملک عن بنی العباس الی ولد علی ثم تحتال علیهم، فتصیر الملک کسرویا(۱). کما ان هرثمه بن أعین أکبر قواد المأمون من العرب کان قد شعر بخطر سیاسه الفضل و تبین أهدافه البعیده، فجاء الی المأمون مغاضبا و انتقد تصرفات الفضل و سیاسته، و سماه المجوسی(۲).

و یلاحظ کذلک ان طاهر بن الحسین و هو فارسی الأصل أیضا، قد تولی اماره خراسان و ما جاورها من ولایات المشرق منذ ان وصل المأمون الی بغداد، و استمر فی منصبه الی ان مات فی سنه ۲۰۷ ه لم

۱- الوزراء و الکتاب/ ۳۱۳.

۲- نفس المصدر/ ۳۱۷.

يقم بأى اجراء ضد استفحال أمر الخرميه، لا سيما و انها امتدت الى امهات مدن ولايات المشرق. فهل كان ذلك منه تشجيعا لها، أو عدم اهتمام و استهانه بأمرها؟ على ان الدينورى ينفرد بخبر يقول فيه ان المأمون لما اتصل به خبر بابك وجه اليه طاهر بن الحسين فى جيش عظيم، فواقى البذ و قد عظم أمر بابك و تهيبه الناس، فحاربوه فلم يقدروا عليه، بل انه فض جمعهم(۱).

و مهما كان الامر فان أحد ولاه المأمون و هو يحيى بن معاذ قد اشتبك ببعض قوات بابك فى سنه ۲۰۴ ه دون طائل(۲). ثم أخذ المأمون بعد ذلك يوجه الحملات لحرب بابك بين حين و اخر حتى سنه ۲۱۴ ه. و كانت الغلبه فيها لاتباع بابك اذ هزموا تلك الحملات و اسروا بعضها و قتلوا بعض قادتها. و يظهر مما يذكره اليعقوبى انهم هزموا عددا من قواد المأمون كانوا قد توجهوا لحربهم(۳). أما فى السنوات التى تلت ذلك فقد انشغل المأمون فى رد هجمات الروم على الثغور العربيه، و غزو ديارهم، و لم يستطع توجيه حملات أخرى لحرب الخرميه، حتى توفى و هو متألم لعدم استطاعته القضاء على الحركه المذكوره. مما دعاه ان يؤكد على أخيه أبى اسحاق فى وصيته بأن يوجه أكفأ قواده و احزمهم لحرب بابك و ان لا يالو جهدا فى القضاء عليه، حتى و ان تطلب الأمر خروجه بنفسه لحربه(۴).

المعتصم باللّه و تمرد بابک:

و هكذا اصبحت حركه بابك و تمرده أهم خطر يهدد الدوله العربيه واجهه المعتصم باللّه عند توليه الخلافه. اذ كانت الحملات التى وجهت اليه فى عهد المأمون قد باءت بالفشل. و من الواضح ان انقسام الجيش العربى فى الحرب الاهليه، و انشغاله بعدها باخماد

۱- الأخبار الطوال/ ۳۳۷.

۲- الكامل ۶/ ۳۵۸.

۳- تأريخ اليعقوبى ۲/ ۴۶۳.

۴- الطبرى ۸/ ۶۴۹.

الاضـطرابات المتعـاقبه فی مصـر، و تمرد الزط فی بطائـح العراق، و مقـارعه الروم فی الثغور العربیه ممـا انهکه و جعله دون القوه المطلوبه لمجـابهه الحرکه الخرمیه، مما اتاح الفرصه لبابک و اتباعه ان یعـدوا أنفسـهم، بل و یکسـبوا بعض المعارک الحربیه. و لـذلک فقد اولی المعتصم باللّه هذا الامر اهتماما بالغا. و قد یکون لوصـیه أخیه بشأنه أثر مهم فی هذا الاهتمام. حتی انه لم یکن له شأن یشغله، و لم تنصرف همته الی غیره(۱). و قد انتهج خطه عسکریه بارعه تضمن هزیمه بابک و اتباعه. و تقوم هذه الخطه علی توجیه خیره قواد الـدوله و أکفأهم لمحاربته، و استماله بعض الموالین له و ضـمان تأییـدهم الجیوش العربیه التی توجه الی حربه. و اصلاح القلاع و الحصون التی خربها اتباعه، و شحنها بالرجال. فقد وجه الخلیفه القائد أبا سعید محمد بن یوسف الثغری الی اردبیـل و أمره باصـلاح القلاع و الحصون المخربه فیما بین زنجان و اردبیل، و بناء الحصون الضـروریه، و تخصـیص القوات الکافیه لها و لحفظ الطرق التی ستستخدم لایصال المیره و المؤن للجیوش المقاتله(۲).

و لما علم بابک بالاعمال التی یقوم بها أبو سـعید ادرک خطرها علیه. فوجه الیه سریه لتشغله عن انجاز ما کلف به. فاعترضها أبو سعیـد بعـدد وافر من جنوده فقتـل أکثر أفرادهـا و أسـر منهم جمـاعه. فکـانت هـذه هزیمه أخری تحل باصـحاب بابک فی عهد المعتصم باللّه(۳). فقـد کـان ثمه انتصـار اخر سـبق أن أحرزه الجیش العربی و ذلـک عنـد مـا تجمع اتبـاع بابک و عسـکروا فی همذان سنه ۲۱۸ ه و قطعوا الطریق. فوجه الیهم المعتصم بـاللّه القائـد هـاشم بن بـایتجور فلم یتمکن منهم(۴). فاتبعه باسحاق بن ابراهیم المصعبی

۱- الأخبار الطوال/ ۳۳۹.

۲- الطبری ۹/ ۱۱.

۳- نفس المصدر/ ۱۳.

۴- تأریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱.

الذی تمکن من سحقهم، و قتل منهم مقتله عظیمه(۱). و یقدر الطبری عدد من قتل من الخرمیه بستین آلفا، ثم یعود فیقول انه قتل منهم نحوا من مائه ألف سوی النساء و الصبیان(۲). و یقال ان الخرمیه کانوا تواعدوا الی موضع علم به اسحاق فکمن لهم فیه، و کل من جاء منهم قتل و حزت اذنه، حتی انه وجه الی الخلیفه بستین الف اذن(۳). و قد مدح ابو تمام الطائی اسحاق المصعبی و اشاد بایقاعه باتباع بابک بقصیده جاء فیها قوله(۴).

لاسحاق بن ابراهیم کف کفت عافیه نوء المرزمین

و مجد لم یدعه الجود حتی اقام مناوئا للفرقدین

ازلت الشک عنهم یوم رانت ضلالتهم علیهم ای رین

لقیتهم بحلاب المنایابعید الرز نائی الحجرتین

فاضحوا بعد عز و اختیال و هم عبر لأهل المشرقین

رددت الدین و هو قریر عین بها و الکفر و هو سخین عین

و طارد اسحاق فلول المنهزمین حتی حدود بلاد الروم حیث التجا قسم منهم الیها. و کان لهذه الهزیمه التی حلت بالخرمیه فی همذان تاثیر کبیر فی اضعاف شأنهم فی اقلیم الجبال. و تضییق رقعه انتشارهم بحیث حصروا فی اقلیم اذربیجان و ما حوله. و کانت نکسه ثالثه حلت ببابک، فقد نزل أحد قواده مع اتباعه فی قلعه الشاهی الحصینه، و کان صاحبها محمد بن البعیث مصالحا للخرمیه، الا انه فتک باتباع القائد و أسره و بعث به الی الخلیفه

۱- نفس المصدر، و الطبری ۸/ ۶۶۷- ۶۶۸.

۲- الطبری ۹/ ۸.

۳- دیوان ابی تمام ۳/ ۲۹۷.

۴- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۳/ ۲۹۷- ۳۰۷.

بسامرا، فساله عن بلاد بابک فاعلمه بطرقها و وجوه الحرب فيها(۱).

على ان بابک، رغم هذه الخسائر، کان یحتفظ بالقسم الاکبر من جیشه فی منطقه اران، بحیث یستطیع أن یزج به فی میدان المعرکه لمواجهه الجیش الذی یوجهه الخلیفه لحربه.

توجیه الأفشین لحرب بابک:

عقد المعتصم بالله فی أوائل جمادی الآخره سنه ۲۲۰ ه لأکبر قواده الافشین حیدر بن کاوس، الأماره علی الجبال و وجه به لحرب بابک(۲). فنزل فی برزند من نواحی تفلیس، و عسکر بها. و وزع قواده و امرهم باصلاح الحصون، و حفر الخنادق، بحیث امن سلامه تموین جیشه، ثم الحق به الخلیفه عددا من القواد الاخرین. و قد استطاعت حمله الافشین ان تلحق عددا من الهزائم بجیوش بابک و تکبدها خسائر جسیمه فی الرجال فی عده معارک. و مما ساعد الافشین علی الاحتفاظ بانتصاراته و مطارده الخرمیه، الامدادات المستمره من الجند و الأموال التی کان الخلیفه یبعث بها بصوره متلاحقه. فقد بعث الیه بعد أن أخذت جیوشه مواقعها، بغا الکبیر و معه مال للجند و للنفقات الاخری کما وجه الیه فی سنه ۲۲۲ ه مددا من الجند یقوده القائد جعفر الخیاط. و بعث الیه مع القائد ایتاخ ثلاثین ألف ألف درهم، فاوصلها الیه و عاد.

و کان الافشین یحسن معامله جواسیس بابک عندما یقعون فی یده و یجزل عطاءهم، و یحصل منهم علی معلومات عن العدو من حیث مواضعه و عدد قواته، و تحصیناته و مکامنه. کما استطاع ان یدفع

۱- الطبری ۹/ ۱۲.

۲- نفس المصدر/ ۱۱.

جنوده الی الاستبسال فی القتال بما بذله لهم من بذر الاموال، و الاسوره و الاطواق التی کان یقلد بها قواده، و وعوده لهم بزیاده أرزاقهم، و بانه سیکتب باسماء المستبسلین الی الخلیفه لیجزل عطاءهم(١).

کانت خطه الافشین فی محاربه الخرمیه تقوم علی مطاولتهم فی الحرب و تضییق الخناق علیهم تدریجیا، و قطع سبل مواصلاتهم، مستهدفا حصرهم فی عقر دارهم، و من ثم الانقضاض علیهم. و أول عمل قام به، کما سبق ان أشرنا، أنه أمن سبل مواصلاته بان وزع قواده علی مواقع معینه تؤمن حراسه قوافل تموینه و امدادات جیشه، و أمرهم بتحصینها. کما انه انتهج سیاسه الحذر الشدید من مباغته اتباع بابک و کمائنهم. و کان یجعل نصف جیشه علی أهبه الاستعداد دائما، عملا بتوجیه الخلیفه الذی کتب الیه بان یجعل الناس نوائب، گرادیس تقف علی ظهور الخیل، کما یدور العسکر باللیل، فبعض القوم معسکرون و بعض وقوف علی دوابهم، کما یدور العسکر باللیل و النهار مخافه البیات حتی اذا ما دهمهم امر کان الناس علی تعبیه(٢).

لقد اشتبک الجیش بالخرمیه فی عدد من المعارک انتصر فیها علیهم، قبل معرکه البذ الفاصله. و لعل أهم هذه المعارک التی انهکت الخرمیه، معرکه أرشق و معرکه هشتادسر. و تعتبر معرکه أرشق أولی المعارک الکبیره التی انتصر فیها الافشین. و قد أبلی فیها المتطوعون و علی رأسهم القائد أبو دلف بلاء حسنا. فقد وصل القائد بغا الکبیر الی اردبیل و هو یحمل أموالا الی الافشین. فعلم به بابک و استعد بکمائن نصبها لقطع الطریق علیه و الاستیلاء علی الاموال. فبلغ ذلک الافشین فلجأ الی الخداع و التضلیل، فأمر بغا بأن یسیر بقافلته حتی حصن النهر ثم یعود بالاموال الی أردبیل،

١- الطبری ٩/ ٤٠- ٤١.

٢- نفس المصدر/ ٤١.

و یترک القافله تسیر نحو برزند، مقر الافشین. فلما انقض بابک علی القافله و تمکن منها لم یجد الاموال معها. فظن ان الاموال قد وصلت الی حصن أرشق فتوجه بقواته لمحاصره الحصن المذکور، و طلب استسلام حامیته. الا ان الافشین الذی توقع هجوم بابک علی حصن ارشق، کان قد خرج بحمله نحو الحصن المشار الیه و فاجا قوات بابک و أحاط بها و قضی علیها. و لکن بابک استطاع مع نفر قلیل من اتباعه الافلات و الهرب الی موقان، و ما لبث ان وصل الی معقله فی مدینه البذ(۱).

أما معرکه هشتادسر فقد خطط لها الافشین بحیث تکون المعرکه الحاسمه اذا تمکن فیها من جیش الخرمیه. فوجه ثلاثه جیوش نحو معقل بابک، و ذلک بان یسیر الافشین نفسه من برزند، و یسیر محمد بن یوسف الطائی من خش، و یتوجه بغا الکبیر من خنادقه قرب جبل هشتادسر. الا ان تسرع بغا فی دخول المعرکه و هزیمته فیها حال دون تحقیق هدف الافشین، رغم انتصاره علی بابک و اتباعه فی هذه المعرکه. لان بابک استطاع الفرار و العوده الی معقله و التحصن فیه أیضا(۲).

معرکه البذ الفاصله و نهایه بابک:

بادرت قوات الجیش العربی الی محاصره مدینه البذ، فوزع الافشین قواته حولها منتظرا الفرصه المواتیه للهجوم. الا ان قسما من الجیش بقیاده جعفر الخیاط و بعض جیش أبی دلف من المطوعه، اشتبکوا باتباع بابک و تغلبوا علیهم، و أوشکوا ان یدخلوا المدینه. و کان ذلک بدون اذن من الافشین. فاستدعاهم و انکر علیهم قیامهم بالهجوم قبل الاوان. و استمر مقیما فی موضعه حتی

۱- الطبری ۹/ ۱۴- ۱۶.

۲- نفس المصدر/ ۲۳- ۲۴.

سئم الجند و لا سيما المطوعه منهم، فاتهموه بالتهاون، و انه لو كان أمرهم عند هجومهم السابق لدخلوا المدينه. فاضطر الافشين ان يأمر بالتجهيز و التهيوء للهجوم العام، و وزع المواقع على قواده، ثم أمر بالزحف صوب المدينه. فتقدم قسم من الجيش و وصل أسوار المدينه و اخذ يقاتل عندها. الا ان القوات المرابطه فى المدينه من الخرميه استطاعت ان تصد هذا الهجوم.

أعاد الافشين ترتيب قواته و ازمع على تطويق المدينه ليلا، فوزع رجاله بشكل يؤمن ذلك، و أمرهم بالاستيلاء أولا على التل الذى تسيطر عليه ثله من الخرميه بقياده آذين أحد كبار قواد بابك.

و كان بابك قد امره ان يحصن هذا التل المشرف على المدينه، و جعل معه ثلاثه آلاف رجل للدفاع عنه(۱). الا ان القوه التى وجهها الافشين اجبرت جيش آذين على النزول من التل، فنشبت معركه كانت فاصله اذ انتصر الجيش العربى فيها، مما جعل الاستيلاء على المدينه و شيكا. و يظهر ان هذه المعركه كانت آخر ما استطاعت القوات الخرميه ان تقاتل فيها. لان بابك تقدم على أثرها يطلب الامان من الافشين و يتعهد بتقديم الرهائن و الضمانات لاستسلامه(۲). محاولا الحفاظ على معقله و على ما بقى من جيشه. و لكن قبل ان تتم المفاوضه حول الاستسلام و شروطه، جاء الخبر ان قسما من الجيش قد دخل مدينه البذ. و كان بابك قد كمن فى قصوره الاربعه فى المدينه عددا من أشداء رجاله يقدرون بستمائه رجل(۳). فخرجوا للقتال، فانتهز بابك الفرصه و فر هاربا و معه أهله و بعض اتباعه، بعد أن رأى قواته قد قضى عليها. فسقطت المدينه، و احرقها الجيش و هدم قصورها و قتل من فيها من الخرميه،

۱- الأخبار الطوال/ ۳۳۹.

۲- الطبرى ۹/ ۴۴.

۳- الطبرى ۹/ ۴۴، و العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۶، و يقدر عددهم باربعه الاف و ستمائه رجل.

و أسر من بقی من أولاد بابک و عیاله. و کان سقوط مدینه البذ فی یوم الجمعه لعشر خلون من شهر رمضان سنه ۲۲۲ ه(۱).

سار بابک فیمن معه یرید الهرب الی ارمینیه، فکتب الافشین الی بطارقتها یأمرهم بحفظ نواحیهم و ان لا یترکوا احدا یمر بهم الا اخذوه و عرفوه به. و قد علم الافشین من جواسیسه بموضع بابک، و کان فی واد کثیر الاشجار طرفه الاول باذربیجان و طرفه الاخر بارمینیه، فأمر بمحاصره ذلک الوادی. و لما ورد کتاب الخلیفه بالامان لبابک کلف الافشین بعض من کان استأمن الیه من أصحاب بابک بان یذهبوا بالکتاب الیه. الا ان بابک رفض الامان الذی عرض علیه(۲). و یقال انه احرق کتاب الامان و شتم الخلیفه(۳).

و عند ما أحس بابک بان جیش الافشین یحیط به رکب هو و من معه و سار مستخفیا حتی استطاع سهل بن سنباط أحد بطارقه أرمینیه ان یحتال علیه و یأسره. و کان الافشین قد جعل لمن جاء به حیا الفی ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم(۴). فجاء القائد أبو سعید علی رأس قوه من الجیش و قبض علیه و جاء به الی الافشین(۵).

و قد انقذ جیش الافشین من أسری بابک نساء کثیرات و صبیان، و جعل لهم حظائر اسکنهم فیها و أجری لهم الخبز و أمرهم أن یکتبوا الی أولیائهم حیث کانوا. فجاء الناس و استرجعوا کثیرا منهم(۶).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۴، و العبر ۱/ ۳۸۴.

۲- الطبری ۹/ ۴۵- ۴۶.

۳- العبر ۱/ ۳۸۴.

۴- العبر ۱/ ۳۸۴، و فی النجوم ان الخلیفه المعتصم باللّه قد جعل لمن جاء ببابک حیا الفی ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم، فاعطی المعتصم باللّه ابن سنباط الفی ألف درهم و حط عنه خراج عشرین سنه- ۲/ ۲۷۳.

۵- تفصیلات القبض علی الافشین فی الطبری ۹/ ۴۷- ۵۰، و فی مروج الذهب ۴/ ۵۶، و فی الکامل ۶/ ۴۷۲- ۴۷۴.

۶- الطبری ۹/ ۵۰، و جاء فی تأریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۴ ان عدد الاسری الذین استنقذوا عند سقوط مدینه البذ، کان سبعه الاف و ستمائه.

و كان بابك أرسل أخاه عبد اللّه الى حصن اسطفانوس، اذ قال لسنباط ليس يستقيم أن أكون أنا و أخى فى موضع واحد، فلعله أن يعثر باحدنا فيبقى الاخر(١). فارسل الافشين الى عيسى بن يوسف بن اسطفانوس يطلب منه عبد اللّه فانفذه اليه. فلما صار فى يده حبسه مع أخيه و وكل بهما حرسا يحافظ عليهما. و كتب الى الخليفه بالفتح و اطلق الحمام بذلك(٢). فأمره بالقدوم بهما عليه. فقدم بهما فى أوائل صفر سنه ٢٢٣ ه و لما صار قريبا من سامرا تلقاه هارون بن المعتصم باللّه و آخرون من عائله الخليفه، و انزل الافشين بابك عنده فى قصره بالمطيره.

و فى اليوم التالى قعد المعتصم باللّه لبابك، و اصطف الناس من باب العامه الى المطيره. و أمر الخليفه ان يشهر ببابك و ان يراه الناس، فحمل على فيل. فقال الوزير محمد بن عبد الملك الزيات(٣):

قد خضب الفيل كعادته يحمل شيطان خراسان

و الفيل لا تخضب أعضاؤه الا لذى شأن من الشان

فاستشرفه الناس حتى ادخل الى دار العامه أمام أمير المؤمنين، فأمر بقتله. و يصف المسعودى كيفيه قتله وصفا دقيقا. اذ جرد من الزينه و قطعت يداه و رجلاه، ثم طعن بالسيف فى قلبه، و جز لسانه، ثم صلبه على خشبه عاليه، و حمل رأسه الى بغداد و نصب على الجسر، ثم حمل الى خراسان ليطاف به فى كل مدينه من مدنها، لما كان فى نفوس الناس من استفحال أمره و عظم شأنه(۴). ثم أمر

١- الطبرى ٩/ ۴٨.

٢- مروج الذهب ۴/ ۵۶.

٣- الطبرى ٩/ ۵٣، و الكامل ۶/ ۴٧٧.

۴- مروج الذهب ۴/ ۵٨.

یحمل أخیه الی اسحاق بن ابراهیم المصعبی ببغداد و أمره أن یفعل به ما فعل بأخیه بابک، و صلب فی الجانب الشرقی بین الجسرین(۱).

و کان المعتصم باللّه یجزی الافشین فی أثناء حربه مع بابک، سوی الارزاق و الانزال و المعاون، فی کل یوم یرکب فیه عشره آلاف درهم، و فی کل یوم لا یرکب فیه خمسه آلاف درهم(۲). کما کان کثیر الاهتمام بسیر الحرب دائم الاتصال بقیادتها. و لشده اهتمامه باخباره و لفساد الطریق بالثلج و غیره رتب بریدا خاصا لیوافیه بالاخبار یومیا. فجعل من سامرا الی حلوان خیلا مضمره، علی رأس کل فرسخ فرسا معه مجر مرتب، فکان یرکض بالخبر رکضا حتی یؤدیه الی الذی یلیه یدا بید. و کذلک رتب الخیول بعد حلوان الی اذربیجان، فکانت یرکض بها یوما أو یومین ثم تبدل. کما اقام دبادبه علی رؤوس الجبال باللیل و النهار فیشعروا اذا وصلهم الخبر، لیتهیأ الذی یلیهم، و بذا کان البرید یصل من عسکر الافشین الی سامرا فی أربعه أیام أو أقل(۳).

لقد ارتفعت منزله الافشین بعد انتصاره علی بابک و قضائه علی حرکته التی شغلت الدوله قرابه اثنتین و عشرین سنه. فتوجه المعتصم باللّه و ألبسه و شاحین بالجوهر، و وصله بعشرین ألف ألف درهم، منها عشره آلاف ألف درهم صله، و عشره آلاف ألف درهم بضرقها فی عسکره، و عقد له علی السند(۴). و فی ذلک یقول اسحاق بن خلف الشاعر فی قصیدته التی مدح بها المعتصم باللّه، و أشاد بالافشین(۵):

۱- الطبری ۹/ ۵۴.

۲- نفس المصدر.

۳- الطبری ۹/ ۵۲.

۴- الطبری ۹/ ۵۵، و الکامل ۶/ ۴۷۸ و فیه انه وصله بعشرین ألف ألف درهم و عشره الاف ألف درهم یفرقها فی عسکره.

۵- الاخبار الطوال/ ۳۴۱.

ما غبت عن حرب تحرق نارهابالبذ كنت هنا و انت هناكا

عزت بافشين حسامك امهو الدين متمسك به استمساكا

لما اتاك ببابك توجته و احق من أضحى له تاجاكا

و قام فى مجلس المعتصم باللّه بعض الخطباء فتكلموا، و قالت الشعراء. و من جمله من قام ابراهيم بن المهدى فقال شعرا منه(۱):

يا أمين اللّه ان الحمد للّه كثيراهكذا النصر فلا زال لك النصر نصيرا

و على الأعداء أعديت من اللّه ظهيراو هنيئا هيأ اللّه لك الفتح الخطيرا

فهو فتح لم ير الناس له فتحا نظيرا

و مع ما كان يتمتع به الافشين من كفايه عسكريه، و شجاعه فائقه، فان نجاحه فى القضاء على بابک و حركته لم يتحقق الا بتوجيهات المعتصم باللّه، و متابعته اليوميه اخبار الحرب و سير المعارک، و انفاقه الاموال الطائله فى سبيل ذلک، بحيث وفر له كل مستلزمات النجاح للحمله العسكريه التى قادها لحرب الخرميه.

لقد حفظ لنا الطبرى احصائيه بخسائر كل من الدوله و الحركه الخرميه، اذ يقول: و كان جميع من قتل بابک فى عشرين سنه مائتى ألف و خمسه و خمسين ألفا و خمسمائه انسان. و غلب من القواد يحى بن معاذ، و عيسى بن محمد بن أبى خالد، و أحمد بن الجنيد و قد اسره، و زريق بن على بن صدقه، و محمد بن حميد الطوسى، و ابراهيم بن الليث. و أسر مع بابک ثلاثه آلاف و ثلثمائه و تسعه اتاسى، و استنقذ ممن كان فى يده من المسلمات و أولادهن سبعه

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۸- ۵۹.

آلاف و ستمائه. و عده من صار فی ید الأفشین من بنی بابک سبعه عشر رجلا و من البنات و الکنات ثلاث و عشرون امرأه(۱). و یقدر المسعودی مجموع من قتلهم بابک فی اثنتین و عشرین سنه من جیوش المأمون و المعتصم باللّه من الامراء و القواد و غیرهم من سائر طبقات الناس خمسمائه ألف علی أقل تقدیر(۲). و ما یذکره ابن خلدون عن عدد من قتل و من أسر و من أنقذ من الاسری لا ـ یختلف عما جاء فی الطبری(۳)، و أحسبه قد نقل ذلک عنه. الا اننا اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد المتحاربین من الطرفین و نوع الاسلحه المستخدمه آنذاک و طبیعه الحرب التی لم تکن معارکها متواصله، و ان المعارک کانت موضعیه، فان فی تقدیر المسعودی مبالغه، حتی و ان اضیف الی قتلی المعارک ما یقتل من السکان الاخرین. و ان تقدیر الطبری الذی أیده ابن خلدون أقرب الی الصواب.

و قد انفق المعتصم باللّه علی حرب بابک حتی تم القضاء علیه مبالغ طائله من الاموال. فقد تذاکر بعض الکتاب فی مقدار تلک المبالغ التی انفقت، الا انهم لم یتهیأ لهم حصرها، فقدروها بخمسمائه و قر من الدراهم(۴).

۲- مؤامره العباس بن المأمون:

اشاره

واجه المعتصم باللّه و هو یحارب الروم و قد اتم فتح عموریه، مؤامره استهدفت اغتیاله مع عدد من کبار قواده، لا سیما الاتراک منهم، و مبایعه العباس بن المأمون بالخلافه. و کان العباس نفسه یتزعم هذه المؤامره و یؤیده عدد من القواد. و کان لهذه المؤامره،

۱- الطبری ۹/ ۵۴- ۵۵.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۵.

۳- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۵۵۶.

۴- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۹.

اضافه الی السبب المباشر لها، أسباب أخری غیر مباشره کانت تدفع المتآمرین لتنفیذ مؤامرتهم. و یمکن حصر الاسباب غیر المباشره بأمرین مهمین، أولهما طمع العباس بالخلافه رغم انه کان قد بایع عمه المعتصم باللّه. و سبق ان رأینا ان مبایعته کانت عن اضطرار و کراهیه. فقد سبق لمؤیدیه ان شغبوا لما بویع لأبی اسحاق غداه وفاه المأمون و أرادوا العباس للخلافه و نادوه باسمها. مما اضطر المعتصم باللّه حینذاک الی ان یستدعیه لیعلن لأولئک المعارضین انه بایع عمه و یطلب الیهم ان یقتدوا به، و یخلدوا الی السکینه.

و عند ما عاد المعتصم باللّه الی مدینه السلام استصحب معه العباس لکی لا یتیح له فرصه للاتصال بمؤیدیه. و لکن یظهر انه کانت له رغم ذلک علاقات و اتصالات ببعض مؤیدیه من القواد. و ثانیهما ان استفحال سیطره القواد الاتراک و ازدیاد نفوذهم علی الخلافه و الجیش، و استکانه المعتصم باللّه الی ولائهم جعلهم یسأثرون بالمراکز المهمه فی الجیش و حصر المغانم بهم. مما اثار حفیظه القواد العرب، و الخراسانیین علی قلتهم، و من شایعهم من الجند.

و کانوا لا یفتأون یبدون تذمرهم من تزاید نفوذ الاتراک فی الجیش و الدوله.

أما السبب المباشر فقد نشأ عند ما وزع الخلیفه کبار قواده علی مواقعهم فی حملته علی بلاد الروم، و عین صلاحیات کل منهم فی الشؤون المالیه و الاداریه. فاطلق ید الافشین و القاده الاتراک الاخرین مثل اشناس و ایتاخ فی الانفاق، و اناط بهم القیادات المهمه الفعاله. مما جعل بعض القواد الاخرین ینقمون من ذلک و اعتبروه استصغارا لشأنهم. و کان القائد العربی عجیف بن عنبسه الذی سبق ان قضی علی تمرد الزط، علی رأس هؤلاء الناقمین. اذ اعتقد ان الخلیفه یستصغر شأنه و یستقصر أمره، فلم یطلق یده فی النفقات کما اطلق ید الافشین(۱). فاشتکی ذلک الی العباس الذی

۱- الطبری ۹/ ۷۱.

کـان فی الحمله مع عمه، و لامه علی تفریطه فی المبـایعه و شـجعه علی ملافـاه ما کان منه، و اکـد له ان هناک عـددا من القواد ممن ینحـازون الی جـانبه و یؤیـدون مبایعته دون عمه. فلقی ذلک اسـتجابه من العباس، و اتفقا علی ان یتولی تنظیم الـدعوه الی العباس الحارث السمرقندی الذی یصفه الطبری بانه کان رجلا أدیبا له عقل و مداراه(۱). أی انه کان سیاسیا بلیغا. و کان العباس یأنس بالحارث و یطمئن الیه، فصیره سفیره الی القواد الناقمین علی الخلیفه.

و قـد اسـتطاع الحـارث ببلاغته و دهـائه ان یسـتمیل جمـاعه من القواد الی مبایعه العباس. و کان من بین من بایعه بعض خواص المعتصم بـاللّه. و سـمی لکل رجل من رجال الخلیفه المخلصـین رجلا من ثقات من بایعوه و قال لهم: اذا اظهرنا أمرنا فلیثب کل منکم بالقائد الذی کلف به. فوکل من بایعه من خواص الخلیفه بقتله، و من بایعه من خواص القواد الکبار کالافشـین و أشناس و غیر هما بقتلهم(۲). أی ان المؤامره دبرت علی أساس اغتنام الفرصه المواتیه لاغتیال المعتصم باللّه و کبار قواده ممن لم یشترکوا فی المؤامره، و مبـایعه العباس بالخلافه. و یلاحظ ان التامر بـدأ قبل تحرک الجیش من سامرا الی بلاد الروم. اذ کان المتحمسون لتنفیـذ المؤامره أرادوا الوثوب بالمعتصم باللّه عند ما دخل الدرب فی قله من اتباعه و هو فی طریقه الی بلاد الروم، الا ان العباس أبی ذلک، و قال: لا أفسـد هذه الغزاه(۳). ثم حاولوا ثانیه عنـد ما تم فتـح عموریه و انشـغل الجند بالغنائم، و لکن العباس ارتأی تأجیل الأمر حتی

۱- نفس المصدر، و تأریخ ابن خلدون ۳/ ۵۶۱ و فیه ان الحارث السمرقندی من بطانه عجیف بن عنبسه.

۲- الطبری ۹/ ۷۱، و تجارب الامم ۶/ ۴۹۵. و العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۶.

۳- الطبری ۹/ ۷۲، و تجارب الامم ۶/ ۴۹۶، و العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۶.

عوده الجيش و مرور المعتصم باللّه بالدرب خاليا من اتباعه، كما حصل فى المره الاولى فيسهل الوثوب به و قتله(۱).

اكتشاف المؤامره:

رغم التكتم و الحرص الشديد اللذين التزم بهما الحارث السمرقندى، فقد تسربت اخبار المؤامره الى بعض القواد الموالين للمعتصم باللّه. اذ تقدم أحد المتآمرين و هو أحمد بن الخليل الى القائد اشناس و اعلمه بان لديه معلومات مهمه عن مؤامره دبرت ضد الخليفه و انه لا يخبر بها احدا غير أمير المؤمنين نفسه. الا ان اشناس أرغمه على أن يدلى بمعلوماته الى شخصين يثق بهما الخليفه هما القائد أبى سعيد الثغرى و الكاتب احمد بن الخصيب. فأفشى اليهما أحمد بن الخليل أمر العباس و الحارث السمرقندى و من والاهما من القواد. و يبدو ان ما دفع أحمد بن الخليل الى أن يفشى سر المؤامره هو ان اشناس كان قد ازعجته بعض تصرفاته و تصرفات زميله عمرو الفرغانى فقبض عليهما و جعلهما تحت انظاره.

فتصور ابن الخليل ان التآمر قد انكشف فحاول ان ينجو بنفسه باعترافه على الاخرين. و عند ما علم المعتصم باللّه بالأمر تريث حتى تأكد من صحه الخبر لكثره عدد القواد المتهمين و بينهم عدد من خواص قواده و رجاله. فقبض على الحارث أولا فادلى بمعلومات تطابق لما اخبر به ابن الخليل. فلم يبق لدى الخليفه شك فى صحه ما وصله من اخبار عن التآمر على حياته و حياه عدد من قواده، فقبض على العباس و استطاع ان يستدرجه و يتعرف على القواد المتآمرين معه. و قد ذكر الطبرى أسماء عدد ممن تآمروا من القواد و هم: عمرو الفرغانى، و عجيف بن عنبسه، و السندى بن بختاشه،

۱- . نفس المصادر المذكوره.

و الشاه بن سهل، و هرثمه بن النضر الختلی(۱). فتتبع المعتصم باللّه القواد المتآمرین حتی اخذهم جمیعا. و قد استخدمت وسائل مختلفه فی القضاء علیهم، بحیث لم یمض علی القبض علیهم بضعه أیام حتی قتلوا جمیعا، عدا هرثمه الختلی اذ کان الافشین استوهبه من المعتصم باللّه فوهبه اياه(۲)، و السندی بن بختاشه الذی أمر الخلیفه بان یوهب لأبیه القائد بختاشه لأنه لم یشترک فی المؤامره(۳) و بذلک قضی علی المؤامره و هی فی مهدها. و یظهر ان المعتصم باللّه تفنن فی طرق قتلهم تشفیا منهم. و یقول صاحب العیون و الحدائق: لم یزل المعتصم باللّه یقتل واحدا واحدا من القواد کل واحد منهم بفن من القتل، الواحد بضرب العنق، و الآخر بالخنق، و الآخر بالضرب بالخشب حتی یموت(۴).

أما العباس فکان فی قبضه الافشین، فلما وصل المعتصم باللّه منبج طلب العباس طعاما فقدم الیه الکثیر منه فأکل. و لما طلب الماء منع منه، و ادرج فی مسح فمات ۸۲. و قد وجد له مائه ألف و سته عشر ألف دینار، فأمر الخلیفه أن تفرق علی الجند و یومروا ان یلعنوه. فاحصی عددهم فوجدوا ثمانین ألف مرتزق، فدفع الیهم دینارین لکل جندی، و تمم المعتصم باللّه المبلغ المطلوب من عنده(۵). و فی هذا الخبر اشاره الی عدد من بقی من الجند الذین کانوا فی الحمله مما یجعلنا نستنتج ان عدد افراد الحمله لم یکن یقل عن المائه ألف جندی. و یقدر ابن لعیه عدد الفاتحین بأکثر من

۱- الطبری ۹/ ۷۸، و العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۸ و یقدر عدد القواد الذین قبض علیهم بسبعین قائدا، و تجارب الامم ۶/ ۵۰۱-۵۰۲ و فیه: عمر الفرغانی و هرثمه بن النضر الجیلی.

۲- الطبری ۹/ ۷۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۰۲.

۳- الطبری ۹/ ۷۸.

۴- العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۸.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۶.

ثلثمائه ألف رجل(۱). و لابد انه أخذ بنظر الاعتبار فی تقدیره المطوعه الی جانب الجند النظامی.

و ذکر ابن الاثیر عن عجیف بن عنبسه الـذی قتل عطشا و دفن فی باعثایا قرب الموصل، قصه تسـتدعی التأمل. قال: ان محمد بن علی الاسـکافی، کان یتولی اقطاع عجیف، فرفع علیه انه خانه، فاخذه عجیف و اراد قتله، فبال فی ثیابه خوفا من عجیف، ثم شفع فیه فحبسه. و لمـا قتـل عجیف اطلق سـراح محمـد. ثم مـا لبث ان تقلـد عملاـ فی نواحی الجزیره. فخرج یومـا الی تـل فی باعثایا فجلس یبول علیه. فخرج علیه رجل من أهل المنطقه و قال له: فی هـذا التل الذی تبول علیه قبر عجیف. فعجب محمد الاسـکافی من بوله علی نفسه خوفا من عجیف، و بوله علی قبره(۲).

عاد المعتصم باللّه الی سامرا سالما فسمی العباس یومئذ باللعین.

و أمر بسـجن أولاد المأمون فحبسهم ایتاخ فی أحد سرادیب داره حتی ماتوا(۳). و قد انشد مروان بن أبی الجنوب المعتصم باللّه قصیده لما کان من أمر العباس و عجیف، جاء فیها(۴):

ألا یا دوله المعصوم دومی فانک قلت للدنیا استقیمی

هوی العباس حین أراد غدرافوافی اذ هوی قعر الجحیم

کذلک هوی کمهواه عجیف فاصبح فی سواء لظی الحمیم

قال المعتصم باللّه: أبعده اللّه.

۱- النبراس/ ۶۳.

۲- الکامل ۶/ ۴۹۲- ۴۹۳، و الفرج بعد الشده ۲/ ۲۶ و فیه اسمه محمد بن الفضل الجرجرائی.

۳- الطبری ۹/ ۷۹. و تفصیل المؤامره فی: الطبری ۹/ ۷۱- ۷۹، و تجارب الامم ۶/ ۴۹۳- ۵۰۲، و العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۵- ۳۹۸، و الکامل ۶/ ۴۸۹- ۴۹۲.

۴- الاغانی ۱۲/ ۸۴.

نتائج المؤامره:

كان من أهم نتائج القضاء على مؤامره العباس استقرار الخلافه للمعتصم باللّه و أبنائه، بعد ان تخلص من منافسه ابن أخيه الذى كانت تراوده فكره الوثوب بعمه بتأييد عدد من القواد الناقمين على الخليفه. الا ان ذلك أدى الى زياده نفوذ الاتراك على الخليفه و توسع سلطانهم و تدخلهم فى شؤون الدوله، بعد ان وقف قادتهم الى جانبه ضد المتآمرين، و عاونوه فى القضاء عليهم.

و بالعكس فقد اضعف ذلك شأن القواد و الجند العرب، لا سيما و انه سبق للمعتصم باللّه ان أمر فى أوائل خلافته باسقاط عدد من الجند العرب من الديوان و قطع اعطياتهم عند ما وقفوا الى جانب المنادين بخلافه العباس عند موت المأمون.

على ان هذه المؤامره اضطرت الخليفه المعتصم باللّه على ايقاف حملته العسكريه على بلاد الروم، و الاسراع فى العوده الى العاصمه سامرا. بعد ان كان سير المعارك يبشر بانتصارات و فتوح واسعه للجيش العربى. و قد اشرنا عند الكلام عن فتح عموريه الى ان خطه المعتصم باللّه فى حربه مع الروم كانت تستهدف التقدم نحو القسطنطينيه عاصمه البيزنطيين. و لذلك فان هذه المؤامره حالت دون سحق الدوله البيزنطيه و فتح عاصمتها، و يمكن اعتبار ذلك من أهم نتائج المؤامره المذكوره.

۳- مؤامره الافشين:

اشاره

يظهر مما يرويه البلاذرى ان الافشين حيدر بن كاوس كان ابن ملك اشروسنه و قد غضب عليه أبوه حين قتل أحد رجاله.

فشخص الى مدينه السلام و أظهر اسلامه. و انه اتصل بالخليفه المأمون و سهل له أمر الاستيلاء على اشروسنه و وصف له طريقا مختصره لتحقيق ذلك، فوجه المأمون كاتبه احمد بن أبى خالد

لغزوها. فقدمها و افتتحها، فاستسلم ملكها كاوس و أظهر اسلامه، فأقره المأمون ملكا عليها(١). و اثر الافشين البقاء فى عاصمه الخلافه لانه رأى فيها مجالا واسعا لتحقيق مطامحه.

و قد اتصل الافشين بابى اسحاق و هو امير على مصر و بلاد الشام من قبل أخيه المأمون. فاعجب أبو اسحاق بشجاعته و كفايته فى الحرب، فقربه اليه و جعله من رجاله. و عند ما تولى الخلافه أصبح الافشين فى مقدمه قواده. و عقد له على رياسه الجيش الذى وجهه لحرب بابك الخرمى الذى استفحلت دعوته. و استطاع الافشين بما بذله الخليفه من الاموال و ما سيره من الجيوش و كبار القواد، ان يقضى على ثوره بابك و جاء به اسيرا الى سامرا حيث قتل و صلب.

و لما وصل الافشين سامرا عائدا من حرب بابك أكرمه الخليفه و منحه مبلغا كبيرا من المال، و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

و عند ما خرج المعتصم باللّه الى بلاد الروم لتأديبهم و ايقاف اعتداءاتهم على الثغور العربيه، اسند الى الافشين قياده أحد جيوش الحمله. و قد استطاع ان يهزم ملك الروم فى أحد المعارك مما سهل لجيش الخليفه اقتحام عدد من مدن الروم و حصونهم و فتح حموريه أكبر مدنهم بعد القسطنطينيه.

الأفشين و عصيان مازيار:

الأفشين و عصيان مازيار(٢):

لقد تعرض الافشين الذى بلغ أوج مجده بعد قضائه على تمرد بابك، و حسن بلائه فى حرب الروم، الى غضب الخليفه المعتصم باللّه لما بدر منه من أمور تنطوى على سوء النيه. و من هذه الامور عصيان مازيار حاكم طبرستان. فقد كان الخليفه المأمون قد ولى مازيار بن قارن اماره طبرستان و سماه محمدا. و كان أبوه من قبل ملكا عليها

١- فتوح البلدان/ ۴۱۹.

٢- يسميه البلاذرى مايزديار- فتوح البلدان/ ۳۳۴.

و قد أعلن العصيان فی عهد الخليفه أبی جعفر المنصور، و كان المهدی بن المنصور حينذاك فی خراسان علی رأس حمله عسكريه، فأمره أبوه بالقضاء علی عصيانه. فوجه اليه القائد خازم بن خزيمه فاسر قارن و فتحت طبرستان(۱).

و لما استخلف المعتصم باللّه أقر مازيار علی عمله. و كانت علاقه مازيار بعبد اللّه بن طاهر أمير خراسان سيئه، و لم يكن مازيار يحمل اليه خراجه مباشره، بل يتسلمه ممثل للخليفه و يحمله الی عبد اللّه(۲). و كان عبد اللّه لا يفتأ يكتب الی المعتصم باللّه عن مخالفات مازيار مما اقنعه بعدم ولائه للخلافه و الدوله العربيه.

و مما شجع مازيار علی مخالفته أمير خراسان تأييد الافشين له، لانه كان يطمح بولايه خراسان، و يريد أن ينقل الملك الی العجم(۳).

و لذلك اتصل بمازيار يستميله و يغريه بعبد اللّه و يدفعه الی محاربته(۴). كما كان بنفس الوقت يحرض المعتصم باللّه علی و انی خراسان سيما و انه كان يسمع من الخليفه أحيانا ما يدل علی انه يريد عزله(۵). و يهدف من ذلك ان يضعف مركز عبد اللّه فيعجز عن القضاء علی عصيان مازيار. فلا يجد الخليفه بدا من اقالته و تعيين الافشين بدلا عنه. علی ان مناصره الافشين لمازيار لم تكن بدافع النكايه بعبد اللّه بن طاهر فقط، بل كما يبدو من فحوی المكاتبه بينهما انما كانا يسعيان لهدف مشترك هو اضعاف الدوله العربيه و الاسلام و أحياء المجوسيه. فقد اعترف مازيار لما قبض عليه و حمل الی سامرا: انه بعثه علی الخروج و العصيان لمذهب كانوا اجتمعوا

۱- كتاب البلدان/ ۳۰۳.

۲- الطبری ۹/ ۸۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۰۲.

۳- البدء و التاريخ ۶/ ۱۱۹.

۴- الطبری ۹/ ۸۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۰۲- ۵۰۳، و العيون و الحدائق ۳/ ۳۹۹.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۲۴۰.

علیه، و دین اتفقوا علیه من مذاهب الثنویه و المجوس(۱). و مازیار مثل الافشین لم یعتنق الاسلام الا ظاهریا، فقد کفر و غدر(۲). و قد سبق ان اشرنا الی انه کاتب بابک الخرمی یحرضه و یعرض علیه النصره. کما ظهرت میوله الخرمیه عند ما أمر الاکره بانتهاب أموال أرباب الضیاع و غلاتهم.

اعلن مازیار تمرده فی سنه ۲۲۴ ه واجبر الناس علی مبایعته و أخذ منهم الرهائن، و اهتم بجمع الاموال فجبی فی شهر ما کان یؤخذ فی سنه(۳). ثم بعث أحد قواده الی مدینه آمل فاجلی أهلها و خرب سورها. ففزع أهل جرجان القریبه من آمل و خافوا علی أنفسهم و أموالهم فهرب منهم کثیرون الی نیسابور. و لما انتهی خبر ذلک الی عبد اللّه بن طاهر وجه عمه الحسن بن الحسین فی جیش کثیف لحمایه جرجان، و وجه حیان بن جبله فی عده آلاف لحمایه قومس. و وجه الخلیفه القائد محمد بن ابراهیم المصعبی فی جیش کثیف لیدخل طبرستان، معاونه لعبد اللّه بن طاهر فی اخماد الحرکه و الفتنه المجوسیه.

لم یستطع مازیار و اتباعه مواجهه الجیوش التی احاطت بهم، فضعفت مقاومتهم و طردوا من المدن التی کانوا استولوا علیها.

و بعد عده معارک تمکنت هذه الجیوش من الانتصار علی المتمردین و أسر رئیسهم مازیار. و للقبض علی مازیار قصه ذکرها مفصله کل من الطبری و مسکویه و صاحب العیون و الحدائق(۴). و بعث عبد اللّه بن طاهر الی عمه الحسن ان یسلم مازیار و أهل بیته الی محمد بن ابراهیم لیحملهم الی أمیر المؤمنین بسامرا، کما طلب الیه ان

۱- مروج الذهب ۴/ ۶۱.

۲- فتوح البلدان/ ۳۳۴.

۳- الطبری ۹/ ۸۳.

۴- الطبری ۹/ ۸۹- ۹۵، و تجارب الامم ۶/ ۵۰۸- ۵۱۱، و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۰- ۴۰۲.

یستصفی أموال مازیار، فاحضره الحسن و سأله عن أمواله و أحضر شهودا لیشهدوا علیه. فاعترف بان جمیع ما حمله من أمواله سته و تسعون ألف دینار، و سبع عشره قطعه زمرد، و ست عشره قطعه یاقوت أحمر، و ثمانیه أوقار سلال مجلده فیها ألوان الثیاب، و تاج، و سیف من ذهب، و خنجر من ذهب و کلل بالجواهر، و حق کبیر مملوء جواهر. و قد تسلمها منه محمد بن الصیاح خازن عبد اللّه بن طاهر.

و ذکر علی بن ربن الطبری کاتب مازیار ان ذلک الحق کان ثمن شراء جوهره ثمانیه عشر ألف ألف درهم(۱).

و عند ما حمل مازیار الی عبد اللّه بن طاهر، و عده ان هو اظهره علی کتب الافشین الیه فسوف یسأل فیه الخلیفه لیصفح عنه، فاظهر مازیار الکتب لعبد اللّه فاخذها منه و سیرها معه الی اسحاق بن ابراهیم المصعبی و طلب الیه الا یسلم مازیار و الکتب الا بید أمیر المؤمنین(۲). فاوصل اسحاق ذلک الی الخلیفه. فسأل المعتصم بالله مازیار عن الکتب فانکرها، فأمر بضربه(۳). الا انه عند ما جمع بینه و بین الافشین فی دار العامه، و کان الافشین قد حبس، أقر مازیار بان الافشین کان یکاتبه و یصوب له الخلاف و المعصیه(۴).

الا ان الطبری یقول ان المازیار عند ما سئل بحضور الافشین ما اذا کان کتب الیه، قال «نعم، کتب أخوه خاش الی أخی قوهیار انه لم یکن ینصر هذا الدین الابیض غیری و غیرک و غیر بابک، أما بابک فأنه بحمقه قتیل نفسه، و لقد جهدت أن أصرف عنه الموت فابی حمقه الا ان دلاه فیما وقع فیه. فان خالفت لم یکن للقوم من یرمونک به غیری ... ثم تجول الخیل علیهم جوله فتأتی علی

۱- الطبری ۹/ ۹۶، و تجارب الامم ۶/ ۵۱۲، و فیه: علی بن زین کاتب مازیار.

۲- الطبری ۹/ ۹۹- ۱۰۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۱۴، و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۳.

۳- الطبری ۹/ ۱۰۰.

۴- الکامل ۶/ ۵۱۰.

آخرهم، و يعود الـدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم»(۱). و يقول اليعقوبى ان مازيـار قال و اللّه ما كتب الى و لا راسـلنى الا ان أبا الحارث وكيلى أخبرنى انه لما قدم عليه بره و أكرمه(۲).

و ازاء هذا التردد فى الاعتراف و الانكار من مازيار غضب الخليفه عليه فأمر به فضرب حتى مات، و صلب الى جانب بابك.

و يقـال ان الخشـبه التى صـلب عليهـا مالت نحو خشـبه بابک فتـدانت أجسامهما. و كان صـلب فى ذلک الموضع ياطس بطريق عموريه أيضا، و قد انحنت خشبته نحوهما كذلک. و فى ذلک يقول أبو تمام الطائى(۳).

و لقد شفى الاحشاء من برحائهاان صار بابک جار مازيار

ثانيه فى كبد السماء و لم يكن لأثنين ثان اذ هما فى الغار

و كأنما انتبذا لكيما يطوياعن ياطس خبرأ من الاخبار

الأفشين و عصيان منكجور:

من الـامور الـاخرى التى اتهم بهـا الافشـين عصـيان منكجور الفرغـانى خـال أولـاد الافشـين و عـامله على اذربيجان. فقـد احتجز منكجور لنفسه أموالـا وجـدها فى بعض قرى بابـک، و لمـا طولب بهـا انكرهـا. و بلغ ذلـک الخليفه فـامر الافشـين بان يعزله من الولايه.

فوجه اليه الافشـين أبا الساج المعروف بديوداد. و لما بلغ منكجور الخبر أعلن العصـيان. الا انه هزم أمام الجيش الذى وجه اليه و التجأ الى أحد الحصون فى اذربيجان مما خربه بابک، و حاول ان

۱- الطبرى ۹/ ۱۰۹.

۲- تأريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۷.

۳- ديوان ابى تمام ۲/ ۱۹۸- ۲۰۹، و جاء اسم ياطس فيه: ناطس.

یتحصن فیه. الا ان بعض اتباعه و ثبوا به و اسلموه الی قائد الحمله. و لکن الخلیفه اتهم به الافشین لأنه بلغه ان منکجور انما أعلن التمرد بـأمره و انه وجه أبـا السـاج مـددا له لا ـ حریـا علیه. ممـا اضـطر الخلیفه ان یرسل الیه القائـد بغا الکبیر فاسـره و قـدم به الی سامرا(۱)، فأمر الخلیفه بحبسه.

غضب الخلیفه علی الأفشین:

اعتاد الافشین فی خلال حربه بابک ان یجمع ما یصل الیه من الاموال و الهدایا و یبعث به مع بعض اتباعه الی بلده اشروسنه.

و لما علم عبـد اللّه بن طاهر بـذلک کتب به الی الخلیفه المعتصم باللّه، فأمره باعلامه بکل ما یوجه به الافشـین الی هناک. فأخذ أمیر خراسـان یتتبعه و یوصـل اخبـاره الی الخلیفه. و لا ـ ریب فی ان جمع الافشـین أمواله فی بلـده و بین اتباعه دلیل علی انه کان ینوی أمرا، ممـا یقتضـی مراقبته و متابعه حرکاته و اتصالاته. کما لوحظ ان الافشـین کان یتلکأ فی محاربه بابک مما اثار الشـبهه بـأنه کـان متواطئا معه، و جعل الخلیفه یشک بولائه. یقول ابن الجوزی انه عنـد ما توجه لمحاربه بابک تخاذل عن قتاله و اضـمر موافقته فی ضلاله(۲). و یری ابن دحیه ان المعتصم بـاللّه قتـل الافشـین لمـا واطأ بابک، فانه تاره کان معه و تاره کان علیه(۳). و عنـد ما یتکلم البغـدادی عن الباطنیه یذکر الافشـین منهم و یقول انه کان فی سـره مع بابک و قد توانی فی القتال معه و دله علی عورات عساکر المسـلمین فقتل الکثیر منهم، و لما اسـر بابک و صـلب ظهر للخلیفه غـدر الافشین و خیانته فی حروبه مع بابک، فأمر بقتله و صلبه(۴).

۱- تأریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و هو یری ان هذا اول أسباب حبس الافشین، ص: ۴۷۷.

۲- المنتظم ۵/ ۱۱۴.

۳- النبراس/ ۷۳.

۴- الفرق بین الفرق/ ۱۷۱.

یمكن الاستنتاج من هذا ان الافشین كان یخطط لحركه انفصالیه یقوم بها فی منطقته التی یدین اهلها بالولاء له و لعائلته.

و تمهیدا لذلك تطلع الی ولایه خراسان فكاتب مازیار و هو حاكم طبرستان، و كان یتفق معه فی أهدافه، یغریه بالتمرد علی عبد اللّه بن طاهر و یشجعه علی الانتقاض علی الخلافه العباسیه. و ازاء هذا كله لیس من الغریب ان یتغیر الخلیفه علی كبیر قواده، و یتوجس منه الانتقاض و شق عصا الطاعه. كما ان الافشین شعر بتغیر الخلیفه علیه، فعزم علی ان یحتال للهرب قبل أن ینكشف أمره. فدبر أمر هروبه بطریق الموصل الی أرمینیه، كان المعتصم باللّه قد ولاه علیها، و من هناك یعبر الی بلاد الخزر ثم یتجه صوب أشروسته(۱). و قد اختار هذا الطریق للوصول الی بلده تمویها للآخرین. الا ان الهرب تعسر علیه لكثره العیون التی كانت تراقب حركاته. فعزم علی ان یفتك بالخلیفه و كبار قواده بولیمه یدعوهم الیها و یدس لهم السم فی الطعام فیقضی علیهم جمیعا.

و حتی اذا تعذر حضور الخلیفه الی ولیمته فانه سیتخلص من كبار القواد الموالین له امثال ایتاخ و اشناس، مما یسهل له أمر الوثوب، و قد أخذ یهی ء لذلك. الا ان أحد قواده و هو واجن الاشر و سنی علم بنوایاه فاستنكرها فتهدده الافشین. فبادر واجن الی اعلام الخلیفه بما عنده من نوایا الافشین و ما عزم علی القیام به. فوجه المعتصم باللّه حاجبه محمد بن حماد بن دنقش یدعو الافشین الیه. فجاء الافشین فی سواد، فأمر الخلیفه بأخذ سواده و حبسه فی الجوسق.

و كتب الی عبد اللّه بن طاهر ان یحمل الیه الحسن بن الافشین من خراسان. فاحتال عبد اللّه فی القبض علیه، ثم وجه به و بزوجته اترنجه الی سامرا. و لما حبس الافشین عزل عن الحرس و ولی اسحاق بن یحی بن معاذ بدلا عنه(۲).

۱- الكامل ۶/ ۵۱۲.

۲- الطبری ۹/ ۱۰۳.

و یعزو ابو المحاسن غضب المعتصم باللّه علی الافشین الی عداوته لعبد اللّه بن طاهر و لأحمد بن ابی دواد، فعملا علیه و نقلا عنه انه یکاتب مازیار، و یقول ان المعتصم باللّه تأکد من ذلک من کاتب الافشین الذی اعترف بانه کتب الی مازیار یأمر الافشین یقول له «لم یبق غیری و غیرک و غیر بابک الخرمی، و قد مضی بابک، و جیوش الخلیفه عند ابن طاهر، و لم یبق عند الخلیفه سوای، فان هزمت ابن طاهر کفیتک أنا المعتصم باللّه، و یخلص لنا الدین الابیض- یعنی المجوسیه- و کان الافشین یتهم بها»(۱).

و یقول شمس الدین الذهبی ان سبب غضب المعتصم باللّه علی الافشین انه اتهم بعباده صنم، و کان اقلف، ثم یقول: و خافه أیضا(۲).

و قیل ان احمد بن أبی دواد وجد علی الافشین لکلام بلغه عنه، فاشار علی المعتصم باللّه بان یجعل الجیش نصفا مع الافشین و نصفا مع أشناس. ففعل الخلیفه ذلک، فوجد الافشین من هذا الاجراء باعتباره یقلل من أهمیته کقائد عام للجیش، و طال حزنه و اشتد حقده. فقال ابن ابی دواد للمعتصم باللّه: ان أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده فی أبی مسلم فکان جوابه ان قال: یا أمیر المؤمنین ان اللّه تعالی یقول «لو کان فیهما آلهه الا اللّه لفسدتا»(۳) فقال له المنصور: حسبک، ثم قتل أبا مسلم. فقال المعتصم باللّه: حسبک انت أیضا یا أبا عبد الملک، ثم وجه الی الافشین فقتله(۴).

و جاء فی الهفوات النادره ان الافشین رأی فی منامه قبل ان یسخط علیه المعتصم باللّه رؤیا افزعته، فبعث الی مفسر لیفسرها له.

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۲۴۲.

۲- کتاب دول الاسلام ۱/ ۹۸.

۳- سوره الانبیاء، الایه: ۲۲.

۴- الاخبار الطوال/ ۳۴۱.

قال: رأيت كأن الشمس و القمر دخلا على و أنا جالس فى بهو فقعد احدهما على كتفى الايمن و الاخر على كتفى الايسر، فانتبهت لجزعى منهما. قال المفسر: اقرأ «لا اقسم بيوم القيامه» فقرأها حتى بلغ «جمع الشمس و القمر يقول الانسان يومئذ أين المفر»(۱). فاخذته رعده و زمع- و الزمع رعده تعترى الانسان ان هم بأمر- فما مضت عليه ثلاثه حتى قبض عليه(۲). و اذا صحت هذه الروايه فهى دليل على ما كان يشغل بال الافشين من الخروج عن الخليفه و احتمال فثل حركته و ما يترتب على ذلك من وقوعه بأيدى الخليفه و قتله، مما أظهره عقله الباطن بهذه الرؤيا المرعبه.

محاكمه الأفشين:

أوكل المعتصم باللّه الى مجلس خاص مؤلف من وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و كبير قضاته أحمد بن أبى دواد، و خليفته ببغداد اسحاق بن ابراهيم المصعبى، و عدد من القضاه و الفقهاء، ليتولى محاكمه الافشين. و لما كان العباسيون قد أقاموا خلافتهم على أساس دينى و اتخذوا الدين وسيله لتثبيت سلطانهم، و ضرب من يخرج عليهم، اذ انهم مزجوا الدين بالسياسه بحيث يعتبر الخروج على الخلافه جريمه دينيه تنطوى على الكفر، فقد حاول المجلس المذكور حشد ما اعتبر من المخالفات الدينيه التى قام بها الافشين و التى اذا ما ثبتت عليه كانت كافيه لادانته بالكفر و الزندقه و انه لم يسلم حقيقه، و الحكم عليه بالموت بموجب أحكام الشريعه الاسلاميه.

عقد المجلس المذكور للمحاكمه و احضر الافشين. كما احضر الشهود و هم مازيار حاكم طبرستان، و الموبذ، و المرزبان بن

۱- سوره القيامه، الايات ۱- ۱۰.

۲- الهفوات النادره/ ۱۸۵- ۱۸۶.

ترکش و هو أحـد ملوک الصـغد، و رجلان من اهل الصـغد. و کان المناظر له قاضـی القضاه احمـد بن أبی دواد. أما التهم التی وجهت الیه فهی:

۱- انه ضرب کلا من امام و مؤذن المسجد الذی بنی فی الصغد ألف سوط کل واحد منهما.

۲- احتفاظه فی بیته بکتاب محلی بالذهب و الجوهر فیه کفر باللّه تعالی.

۳- شهاده الموبذ بأکله لحم المخنوقه، اذ قال: ان هذا کان یأکل المخنوقه و یحملنی علی أکلها، و یزعم انها ارطب لحما.

۴- کتابه أهل بلده الیه بالاشر و سنیه ما معناه الی اله الآلهه من عبده فلان ابن فلان.

۵- عدم اختتانه.

۶- مکاتبته مازیار و اغراؤه بالخروج علی أمیر خراسان.

أجاب الافشین عن التهمه الاولی بأن بینه و بین ملک الصغد عهد بات یترک کل قوم علی دینهم، و ان هذین الرجلین و ثبا علی بیت فیه أصنام لأهل أشروسنه، فاخرجا الاصنام و صیراه مسجدا، فضربهما علی ذلک لتعدیهما.

و عن احتفاظه بالکتاب المحلی بالـذهب و الجوهر، قال انه ورثه عن أبیه و فیه آداب العجم و کفرهم، و انه کان یأخـذ الآداب و یترک الکفر. أما الحلیه التی فیه فانه غیر محتاج الی انتزاعها منه، فترکها علی ما هی علیه.

أما عن أکله لحم المخنوقه، و کان قـد شـهد علیه بـذلک الموبذ و هو مجوسـی، فقد طعن الافشـین بشـهادته لانه لا یجوز قبولها بموجب أحکام الشریعه الاسلامیه، و ان الموبذ شخص غیر ثقه.

و أجاب عن أسلوب مكاتبه أهل بلده معه بأن تلک هی عادتهم فی مکاتبه أبیه و جده، و قد کره ان یضع نفسه دونهما فتفسد علیه طاعتهم.

و عن عدم اختتانه قال انه خاف ان یقطع ذلک العضو من جسمه فیموت. و لما قیل له انه یقاتل بالسیف و الرمح، و یخوض الحرب، و یجزع من قطع قلفه. أجاب ان تلک ضروره تصیبه، و الاختتان شی ء یستجلبه لنفسه.

أما التهمه الاخیره التی کانت وحدها ذات الطبیعیه السیاسیه و التی کانت سبب غضب الخلیفه علیه و حبسه فلم تثبت علیه بشکل قاطع. اذ ان شهاده مازیار، کما سبق أن أشرنا، ترددت بین الاعتراف و الانکار. و کان الافشین قد انکر التهمه منذ البدایه.

و عند ما قیل له ان أخاه کاتب اخا مازیار بذلک، انکر ان تکون المکاتبه قد جرت بعلمه، و انه غیر مسؤول عما کتبه أخوه. ثم استفسر عما اذا کان هناک ما یمنع من أن یحاول استماله مازیار لیثق به ثم یسلمه الی الخلیفه، فیکون بذلک قد نصر الخلیفه و نال الحظوه لدیه. و هو استفسار أقرب الی أن یدینه من أن یبری ء ساحته من هذه التهمه، لأنه ینطوی علی اعترافه الضمنی بمکاتبته مازیار.

قال أحمد بن ابی دواد فی نهایه المناظره انه قد وضح أمر الافشین، أی انه ثبتت علیه المخالفات التی اتهم بها. و أمر بغا الکبیر ان یعیده الی السجن، رغم اعتراض الافشین علی ذلک. و کان الحبس الذی سجن فیه فی الجوسق شبیها بالمناره، و قد جعل فی وسطها دکه لجلوسه(۱).

لقد حاول الافشین ان یقنع الخلیفه ببراءته مما نسب الیه من التهم. فطلب الیه ان یبعث له بمن یثق به لکی یؤدی الیه ما

۱- الطبری ۹/ ۱۰۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۱۹.

سیقوله له. فانفذ المعتصم باللّه ندیمه حمدون بن اسماعیل. فأخذ الافشین ینفی کل ما قیل فیه من التهم، و عزا ذلک الی انه حسد علی ما ناله من حظوه و منزله عالیه لدی الخلیفه، و انه لا یزال علی ولائه له لانه ربی فی کنفه و تقدم برعایته. ثم التمس من الخلیفه ان یراعی حقه علیه و خدمته له. فلما انصرف حمدون من الافشین و ابلغ رسالته الی الخلیفه، أمر بقطع الطعام و الشراب عنه الاـ القلیل حتی مات(۱). و یذکر حمدون انه رأی بین یدی الافشین طبق فاکهه أرسله الیه المعتصم باللّه مع ابنه هارون، و انه لما خرج منه لم یلبث قلیلا حتی قیل ان الافشین یموت أو قدمات(۲). اشاره الی ان الفاکهه کانت مسمومه.

و لما مات الافشین حمل الی دار ایتاخ، ثم اخرج و صلب علی باب العامه بسامرا عریانا ساعه من نهار لیراه الناس. ثم طرح و احرق مع خشبته و القی الرماد فی نهر دجله(۳).

و کان الخلیفه حین أمر بحبس الافشین وجه الکاتب سلیمان بن وهب لیحصی ما فی داره فی المطیره. فوجد بیتا فیه تمثال انسان من خشب علیه حلیه کثیره و جوهر، و فی اذنیه حجران أبیضان مشتبکان، علیهما ذهب. کما اخرج من منزله اصناما مع الاطراف الخشب التی اعدها لهروبه. و وجد له کتابا من کتب المجوس، و کتبا دینیه أخری(۴).

و مدح أبو تمام الطائی الخلیفه المعتصم باللّه بهذه المناسبه مشیرا الی صلب الافشین و حرقه، بقصیده طویله جاء فیها(۵):

الحق أبلج و السیوف عوارفحذار من اسد العرین حذار

۱- الطبری ۹/ ۱۱۴.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۵، و الکامل ۶/ ۵۱۸.

۳- الطبری ۹/ ۱۱۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۵، و الکامل ۶/ ۵۱۸.

۴- الطبری ۹/ ۱۱۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۵.

۵- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۲/ ۱۹۸- ۲۰۹.

ملک غدا جار الخلافه منکم و اللّه قد اوصی بحفظ الجار

یا رب فتنه أمه قد بزهاجبارها فی طاعه الجبار

جالت بخیذر جوله المقدارفأحله الطغیان دار بوار

کم نعمه للّه کانت عنده فکأنها فی غربه و أسار

ثم یقول:

مکرا بنی رکنیه الا انه وطد الاساس علی شفیرهار

حتی اذا ما اللّه شق ضمیره عن مستکن الکفر و الاصرار

و یقول:

ما زال سر الکفر بین ضلوعه حتی اصطلی سر الزناد الواری

نارا یساور جسمه من حرهالهب کما عصفرت شق ازار

طارت لها شعل یهدم لفحهاأرکانه هدما بغیر غبار

مشبوبه رفعت لاعظم مشرک ما کان یدفع ضوءها للساری

فصلن منه کل مجمع مفصل و فعلن فاقره بکل فقار

صلی لها حیا و کان وقودهامیتا و یدخلها فی الفجار

و کذلک اهل النار فی الدنیا هم یوم القیامه جل أهل النار

خاتمه:

مما یلفت النظر فی محاکمه الافشین عدم سماع شهاده واجن الاشر و سنی الذی یعتبر الشاهد الاصلی علی محاوله الافشین الخروج علی الخلیفه و الفتک بکبار القواد، و التی بموجبها أمر المعتصم باللّه بحبسه. کما أن ما ادلی به هذا الشاهد لم یسأل عنه الافشین، و لم یسأل کذلک عن مواطأته بابک، و مساعدته منکجور. و لا ندری

ما اذا كان مجلس التحقيق اغفلها مكتفيا بالتهم الدينيه لوضوحها، أم ان المؤرخين الذين سردوا تفاصيل المحاكمه اهملوا الاشاره اليها، أم ان التهم الدينيه وحدها كانت سبب غضب الخليفه على كبير قواده. و نرجح ان ما ذهبنا اليه آنفا من ان اهمال الجوانب السياسيه و التأكيد على المخالفات الدينيه مما اتهم به الافشين كان مقصودا المسبب الذى أشرنا اليه.

على اننا يجب ان لا نغفل ما صار اليه الافشين من مركز مرموق، و ما له من داله على الخليفه المعتصم باللّه، بسبب الانتصارات المتتاليه التى احرزها فى حروبه. بحيث اخذ كبار رجال الدوله يرهبون جانبه و يخشون سطوته. و قد تسرب الحسد الى نفوسهم، فعملوا على التخلص منه، مستغلين بعض ما ظهرت منه من تصرفات يؤاخذ عليها، فكان لهم ما ارادوا. و لعل مما زاد فى حقدهم عليه اعتداده بنفسه و تعاليه عليهم. و قد اورد الخطيب الاسكافى ما يؤيد هذا حيث يقول ما خلاصته ان الافشين بعد عودته مع أمير المؤمنين من حرب عموريه تقدمت حاله لديه لبلائه الحسن فى حرب بابك و حرب الروم. فاخذ يستخف برجال الدوله، لا سيما بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات و القاضى أحمد بن ابى دواد، فاعملا الفكر فى كيفيه التخلص منه. و لم يريا أبلغ من ايحاشه من الخليفه. فاستخدما لذلک محمد بن ابراهيم، و كان صديقا حميما للافثين و وعداه بولايه فارس و الاهواز اذا استطاع ان يوحش الافثين من المعتصم باللّه. فادخل محمد فى روع الافشين بما لفقه من الاخبار ان امير المؤمنين قد تغير عليه و انه يعمل على التخلص منه، مما زرع بذور الشک و سوء الظن فى نفس الافشين. و عند ما دخل الافشين بعد ذلک على المعتصم باللّه و كان فى حينه ضجرا ببعض أموره، رآه متغير البشر عابس الوجه، فصدق عنده ما اخبره به محمد بن ابراهيم، فحاذر على نفسه و تحرز فى بيته. و لما بلغ المعتصم باللّه فعله انكره، و كان ابن الزيات و ابن ابى دواد لم يألوا

جهـدا فی ایحـاشه منه. و اغتنم ابن ابی دواد الفرصه فحـذر المعتصم بـاللّه من دخـول الاعـاجم علیه و هم مسـلحون بالسـیوف و الخناجر و هو أعزل. فنفر قلب المعتصم باللّه من الافشـین. و لم تزل الوحشه تتفاقم بینهما حتی أمر المعتصم باللّه بحبس الافشـین و قتله(۱).

رغم ان الافشـین من أصـل ترکی من قبائـل مـا وراء النهر التی کـان أغلبهـا و ثنیـا، فقـد کـان یعتنق المجوسـیه. و قـد اتضـح من محاکمته انه لم یکن اسـلم عن یقین و ایمان. و لهـذا فهو یلتقی مع الفرس فی مجوسـیته و فی کراهیته الشدیده للعرب. فقد کان یقول:

اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس(۲).

و وصـفهم فی کتـابه الی مازیـار بقوله: و العربی بمنزله الکلب اطرح له کسـره ثم اضـرب رأسه بالـدبوس(۳). و قـد اتخذ الدین الاسـلامی الـذی اعتنقه عنـد ما جاء الی بغـداد، و التقرب الی العرب الحکام وسـیله لتحقیق مطامحه التی تکشـفت فی عمله علی الانفصـال عن الـدوله العربیه و اعـاده المجوسـیه. و ذلـک نفس ما کان یعمل بابک الخرمی علی تحقیقه. و قـد کانت تصـرفات الافشـین فی حرب بابک تنم عن أهـدافه المذکوره التی حاول اخفاءها بولائه الظاهری للخلیفه. الا انه لم یسـتطع الاسـتمرار علی ذلک بحکم ما یعمل له و یستهدف تحقیقه، فظهرت دلائله فی القضایا التی اثیرت ضده وحوکم علیها.

و یمکننا الان علی ضوء هذه الحقائق ان نفسر أسباب ارساله ما یتوفر له من الاموال الی اشروسنه، و نفسر کذلک تلکؤه و تباطؤه فی حرب بابک، و سعیه لاقناعه بالاستسلام لیضمن حیاته و یقلل خسائره، بحیث یصدق علیه قول ابن الجوزی: فتخاذل عن قتاله

۱- لطف التدبیر/ ۹۱- ۹۳، و جاء مثل ذلک فی آثار الاول مع تغییر طفیف/ ۱۰۷- ۱۰۸.

۲- البیان و التبیین ۳/ ۵۸.

۳- الطبری ۹/ ۱۰۹.

و اضمر موافقته فی ضلاله. و قول ابن دحیه: فانه تاره کان معه و تاره کان علیه. الا ان حذره من رقابه عبد اللّه بن طاهر أمیر خراسان، و یقظه الخلیفه و اتصاله المستمر به، و لهفه الجند و القواد و بخاصه العرب منهم علی القضاء علی بابک و الحرمه الخرمیه، جعله لا یستطیع الا ان یستجیب لحرب بابک و القضاء علیه. و لذلک نراه بعد الانتهاء من هذه الحرب و العوده من غزو بلاد الروم، یخطط لحرکته التی باءت بالفشل و انتهت بمصرعه.

و لعل مما یؤید تخطیطه للوثوب بالخلافه انه حاول القضاء علی القواد الموالین للمعتصم باللّه. فقد حاول قتل القائد العربی أبا حلف القاسم بن عیسی، فخف القاضی أحمد بن أبی دواد لانقاذه، و کان مما قاله للافشین: کم تراک قدرت تقتل أولیاء أمیر المؤمنین واحدا بعد واحد، و تخالف أمره فی قائد بعد قائد(۱).

۴- حرکه الزنج: بدایه الحرکه:

اشاره

من الحرکات الخطیره التی جابهت الدوله العربیه فی عهد سامرا، و کانت عمیقه التأثیر فی أمن البلاد و أحوالها الاقتصادیه و الاجتماعیه، الحرکه التی حمل لواءها الدعی علی بن محمد و عرفت بحرکه الزنج.

ان ما اصاب الدوله العربیه من وهن شدید من جراء استبداد القواد الاتراک بالسلطه و منازعتهم الخلفاء، شجع ذوی المطامح علی الخروج علی سلطانها. و قد استطاع أحد المغامرین و هو علی بن محمد العبقسی(۲) ان یقوم بدعوه فی جنوبی العراق مستغلا

۱- الاغانی ۸/ ۲۵۰- ۲۵۱.

۲- نسبه الی عبد القیس- العبر ۲/ ۴۲.

اوضاع العبید من الزنوج الذین استطاع ان یثیر حفیظتهم علی مالکیهم من أصحاب الاراضی الزراعیه، فهربوا منهم و التحقوا به.

کما التف حوله کل صاحب فتنه(۱).

ان دعوه علی بن محمد لم تقم علی قواعد سیاسیه و اجتماعیه معینه تستهوی الناس الیه، و انما اکتفی بادعائه بتحسین أحوال العبید «و انه یرید ان یرفع اقدارهم، و یملکهم العبید و الاموال و المنازل، و یبلغ بهم اعلی الامور(۲) و مناداته بعدم التمییز بین العناصر و الاجناس، و هی من دعاوی الخوارج، مما بدا ان ذلک کافیا عند اولئک الذین انضموا الیه من الزنوج. و بصرف النظر عن العوامل الاخری فان مجرد وعد الزنوج بتحریرهم و تملیکهم الاموال کان کافیا لان یسارعوا الی اجابه دعوته. کما انه ادعی الانتساب لآل البیت لیضفی علی دعوته سمه روحیه و یکسبها الشرعیه المطلوبه ... و قد اطلق علی نفسه لقب أمیر المؤمنین، و ضرب ذلک علی نقوده الذهبیه و الفضیه(۳).

و لم یلبث علی بن محمد مده وجیزه حتی التف حوله الوف من الزنوج ینشدون الخلاص من العبودیه و شظف العیش. فکون منهم جیشا استطاع ان یتحدی به سلطات الدوله مده من الزمن.

فاستولی علی ضواحی البصره و اخذ یهدد المدینه نفسها. و یظهر انه اختار منطقه البصره لعده اسباب منها ان طبیعه المنطقه الجغرافیه ساعدت الزنج علی حرب کمائن و عصابات متنقله، مما أدی الی اطاله أمد الاضطرابات و تعسر قمعها علی الجیش النظامی.

و کثره العبید العاملین فی ازاله السباخ عن الاراضی الزراعیه فیها، فقد کانت «کسوح الزنوج معروفه بالبصره کالجبال، و کان فی

۱- العبر ۲/ ۸.

۲- الطبری ۹/ ۴۱۵.

۳- ثوره الزنج/ ۱۷۲.

انهار البصره منهم عشرات الالوف يعذبون بهذه الخدمه»(۱).

يضاف الى ذلك ان البصره كانت مركزا لطبقه كبيره من الاغنياء الذين كونوا ثرواتهم من استثمار العبيد فى الزراعه، و ان هذه الطبقه وقفت ضد حركه الزنج منذ البدايه(۲).

و قد اتخذ صاحب الزنج منطقه القنوات و المستنقعات جنوبى البصره للاسباب التى ذكرناها قاعده له، و استطاع ان يصمد امام الجيوش التى سيرت اليه.

استفحال الحركه:

صرف صاحب الزنج جهوده أول أمره لاحتواء البصره فحاصرها حتى أضر بأهلها، فاستولى فى سنه ۲۵۶ ه على الأُبلّه و قتل بها نحو ثلاثين ألف(۳). ثم هاجم فى منتصف شوال من السنه التاليه مدينه البصره. و كان القائد المكلف بحمايتها قد تهاون فى اتخاذ العده لصد هجوم الزنج(۴). فدخلوها و احرقوا المسجد الجامع و قسما من المدينه، و نهبوا ممتلكاتها، و قتلوا عددا هائلا من أهلها، و هرب الباقون بأسوأ حال. و يقول المسعودى انهم قتلوا ثلثمائه ألف نفس من أهل المدينه(۵). فكانت هذه اول مذبحه يقوم بها الزنج.

و مما ساعد الزنج على التوسع شرقا و شمالا انشغال الجيش بمحاربه يعقوب بن الليث الذى بات يهدد العاصمه سامرا، فدخلوا

۱- نفس المصدر/ ۲۸.

۲- نفس المصدر/ ۱۱۲.

۳- العبر ۲/ ۱۳.

۴- الطبرى ۹/ ۴۸۴.

۵- مروج الذهب ۴/ ۲۰۷.

الاحواز فی رجب سنه ۲۵۹ ه(۱). و دخلوا مدینه واسط فی سنه ۲۶۴(۲)، ثم صاروا الی جبل و النعمانیه و جرجرایا فهرب کثیر من أهل السواد الی بغداد(۳). الا ان بعد هزیمه ابن اللیث تفرغ الجیش للقضاء علی الحرکه فی جنوبی البلاد.

الموفق یتفرغ لحرب الزنج:

بعد أن أمن الموفق، أخو الخلیفه المعتمد علی اللّه، جانب ابن اللیث، أخذ یستعد لحرب الزنج الذین استفحل أمرهم و صاروا خطرا کبیرا یهدد الخلافه بعد الانتصارات التی حققوها علی الجیوش التی أرسلت لقتالهم. و بعد أن أکمل استعداده أرسل ابنه أبا العباس أحمد فی سنه ۲۶۶ ه الی واسط لحربهم، فقاتلهم أبو العباس فی عدد من المعارک و تغلب فیها علیهم و استرد منهم کثیرا من المواقع و الاموال و انقذ اعدادا کبیره من الاسری و السبایا(۴).

و بهذا بدأ مد الزنج بالانحسار.

أخذ صاحب الزنج بعد أن وصلته انباء الخسائر التی حلت بجیشه، یجمع جموعا جدیده یسیرها الی حرب ابی العباس.

فسار الموفق بنفسه الی حربه فی صفر سنه ۲۶۷ ه و نزل قریبا من واسط، و جعل جیش ابنه مقدمه لجیشه فی زحفه علی قاعده صاحب الزنج. و کان أول نصر کبیر حققه جیش الموفق انه هزم قائد الزنج سلیمان بن موسی الشعرانی و دخل مدینه المنیعه و استنقذ زهاء خمسه آلاف امرأه سوی الزنجیات، و حملن الی واسط لیدفعن الی أولیائهن، و استولی علی کل ما فی المدینه من امتعه الزنج

۱- الطبری ۹/ ۵۰۳.

۲- نفس المصدر/ ۵۳۹.

۳- نفس المصدر/ ۵۴۲ و ۵۴۴.

۴- نفس المصدر/ ۵۶۴.

و میرتهم، و هـدم أسوارهـا و طم خنـدقها(۱). ثم اسـتولی علی مـدینه المنصوره، و هی معقـل آخر من معاقـل الزنـج، و اصـیب قائدهم أحمد بن مهدی الجبائی بسـهم مات علی أثره. و اسـتنقذ زهاء عشـره آلاف من نساء أهل واسط و صبیانهم، فاعیدوا الی ذویهم، و احتوی الجیش علی ما فی المدینه من الذخائر و الاموال و الاطعمه و المواشی(۲).

بعـد هـذه الانتصـارات اسـتعد الموفق للهجوم علی المختـاره قاعـده صـاحب الزنـج علی نهر أبی الخصـیب. و قبـل أن یشن علیه الهجوم کتب الیه یـدعوه الی التوبه و الاتـابه الی اللّه تعالی مما رکب من سـفک الـدماء و انتهاک المحارم و تخریب البلـدان، و یعلمه ان الأمان مبسوط له ان هو نزع عما هو علیه من الامور التی یسـخطها اللّه، الا ان صاحب الزنـج ازداد عنادا و لم یجب علی الکتاب(۳). و یقال انه قتل الرسول(۴).

حاصرت جیوش الموفق مدینه المختاره فی أواخر رجب سنه ۲۶۷ ه. و کان صاحب الزنج قد جمع قواده کافه من جمیع الجهات بجیوشـهم لیدافعوا عن عاصـمته. فقاتلوا دونها قتالا شدیدا. مما حمل الموفق علی أن یقیم عسکره مقابل المختاره فی موقع سماه الموفقیه، و ما لبث هـذا العسـکر ان صار مدینه عامره بالاسواق و أنواع التجارات، و بنی بها أبو أحمد مسـجدا جامعا، و اتخذ بها دارا لضرب الدنانیر و الدراهم(۵). و قـد نشط الموفق فی تشدید الحصار علی قاعده صاحب الزنج الذی أخذ یطاول فی الحرب. و لما أصیب الموفق بسهم فی صدره فی جمادی الاولی لم یترک

۱- الطبری ۹/ ۵۶۶- ۵۶۸.

۲- نفس المصدر/ ۵۷۳.

۳- نفس المصدر/ ۵۸۱.

۴- العبر ۲/ ۴۳.

۵- الطبری ۹/ ۵۸۵- ۵۸۶.

مدينته الموفقيه، فعولج من جرحه حتى شفى منه. فاستأنف تشديد الخناق على صاحب الزنج فى عقر داره.

المعركه الفاصله:

كـان صاحب الزنـج قـد قطع القناطر و الجسور التى كانت على نهر ابى الخصـيب و احـدث سـكرا فى النهر من جانبه و جعل فى وسط السكر بابا ضيقا ليحتد فيه جرى الماء فلا تستطيع السفن دخوله.

لذا رأى الموفق ضـروره قلع هذا السـكر فارسل عليه الجند و الفعله فالحوا عليه حتى قلعوه، و فتح النهر أمام سفن الجيش. و كان للزنـج مزارع فى ناحيه النهر الغربى و لهم قنطرتان على هـذا النهر، فوجه الموفق ابنه العباس بجمع من شـجعان جيشه، فنصب لهم الكمـائن و أقـام من فوهه النهر المـذكور. و عنـد مـا هم الزنـج بـالعبور اعترضـتهم سـفن أبى العباس، فقتل منهم فى النهر و على ضفتيه خلق كثير، و أسر منهم اعدادا كبيره.

و قـد وصل الى الموفق مـدد كبير، اذ وصـله وزيره و قائده صاعد بن مخلد من سامرا و معه جيش قدر بعشـره آلاف مقاتل. كما وصل لؤلؤ قائد ابن طولون بعد ان خرج على سيده و معه جيش عظيم(۱).

فـوزع الموفـق قـواده و جيوشـهم حسـب الخطه الـتى أعـدها للهجـوم الاـخير على صـاحب الزنـج و من بقى يحـارب الى جـانبه. فتحركت القوات من جهـات مختلفه على مواقع الزنـج التى ضاقت بهم فولوا منهزمين، بعـد ان احتوى أصـحاب الموفق مـدينتهم باسرها، و اطلقوا من كان فيها من الاسرى.

و كان صاحب الزنج و ابنه و عدد من قواده قد اوغلوا فى نهر أبى الخصيب، هاربين الى موضع كان صاحبهم قد وطأه ملجأ اذا

۱- الطبرى ۹/ ۶۴۹- ۶۵۰.

غلب علی مدینته(۱). فأمر الموفق بملاحقتهم، فزحفت الیهم جموع متتالیه من الجیش و اوقعت بهم. فاسر سلیمان بن جامع قائد قواد الزنج، مع قواد آخرین مما فت فی عضد علی بن محمد.

و لم یکف الجیش عن مطاردته حتی وافی البشیر بقتله، و جاءوا الی الموفق برأسه، فخر الموفق ساجدا للّه علی ما أولاه و أبلاه، و سجد أبو العباس، و قواد الموفق شکرا للّه. و أمر الموفق برفع الرأس علی قناه و نصبه بین یدیه لیراه الناس(۲).

و بذل الموفق الامان لمن یستسلم ممن بقی من الزنج المحاربین، فوافی معظمهم مستسلمین. و أمر أن یکتب الی سائر الامصار بالنداء فی أهل البصره و الابله و کور دجله، و الاحواز، و أهل واسط و ما حولها، بقتل صاحب الزنج، و ان یؤمروا بالعوده الی أوطانهم.

و قدم أبو العباس أحمد الی مدینه السلام، اذ کان الخلیفه المعتمد علی اللّه آنذاک فیها، و معه رأس علی بن محمد صاحب الزنج، فدخلها لأثنتی عشره بقیت من جمادی الأولی سنه ۲۷۰ ه، فاستبشر الناس بالقضاء علیه و علی حرکته التی أجج أوارها، و دامت أربع عشره سنه و أربعه أشهر و سته أیام(۳).

أسباب فشل تمرد الزنج و حرکتهم:

هناک أسباب عدیده تظافرت علی فشل الحرکه التی قادها الدعی علی بن محمد. فعلی الرغم من تکاثر اتباعه سواء ممن طمع باسترداد حریته، أو بالمغانم من الاموال و السبایا، فان عدم دربتهم علی فنون القتال، و ضعف قیادتهم، اضطره علی أن یتبع ما

۱- المنتظم ۵/ ۵۹.

۲- الطبری ۹/ ۶۵۹- ۶۶۰.

۳- الطبری ۹/ ۶۶۳.

یعرف بحرب العصابات. و قد حققت له هذه الخطه قدرا کبیرا من النجاح، و لکنه تجاح موضعی موقت. فاذا ما استولی علی موضع ما سرعان ما کان ینسحب أو یهرب منه. علی انه بمرور الرمن أصبح من الاخطار التی تهدد کیان الدوله العربیه. و لما توجه الامیر الموفق لمحاربه الزنج اتبع خطه أضطرهم بموجبها علی المواجهه و خوض المعارک الکبیره. فقد شدد الحصار علی جماعات الزنج المتفرقین فی المناطق الجنوبیه من العراق و لا سیما فی البطائح و الاهوار و أطرافها مما اضطرهم علی التجمع بفوات کبیره لکی تستطیع خرق الحصار المفروض علیها، ورد الجیوش التی أخذت توالی هجومها علیها. و علی الرغم من کثره الخسائر التی حلت بهذه الجیوش فانها اضطرت صاحب الزنج علی خوض معارک کبیره کانت نتائجها فی معظم الحالات و بالا علیه.

و من العوامل الاـخری المهمه التی ساعدت علی فشل الحرکه ما رافقها من عنف الزنج و قسوتهم و تشبعهم بروح الحقد و الانتقام، مما جعل الناس ینقمون علیها و یتطوعون لمحاربتها. فضعضع ذلک قوات علی بن محمد مما أدی به الی الفشل، و قد انتهی بقتله کل نشاط للزنوج فی جنوبی العراق.

الفصل الثانی الاضطرابات الأخری

اشاره

واجه خلفاء سامرا اضافه الی الفتن و المؤامرات التی ذکرناها آنفا، حرکات أخری أقل شأنا و أضعف خطرا. و هی أقرب الی أن تکون حرکات تمرد و عصیان تقوم بین آن و آخر فی ولایات و أقالیم مختلفه من أنحاء الدوله العربیه المترامیه الأطراف. الا انها مع ذلک استنفدت کثیرا من الجهود للقضاء علیها، مع ما سببته من خسائر فی الارواح و الاموال.

و من المؤسف ان مصادرنا التأریخیه التی عاصر أصحابها تلک الاحداث أو جاءوا بعدها بقلیل، عند ما تذکر تمردا ما أو حرکه عصیان، لا- تهتم بأسبابها و لا- تتحوی العوامل التی أدت الیها و الظروف التی کانت تحیط بها بقدر ما ترکز من اهتمام بتوجیه العساکر الیها و اخضاعها و وصف ما یرافق ذلک من قسوه و بطش.

و یرجح ان ذلک ناشی ء من الاعتقاد بأن الخروج علی الخلافه غیر جائز شرعا. و لذا فلا داعی لمعرفه أسبابه. أما الاهتمام بالقضاء علی تمرد ما و ما یتبع ذلک من تقتیل و حرق و نهب، فیظهر انه تهدید للاخرین و تحذیرهم من سوء المصیر اذا ما أقدموا علی أمر مماثل.

سوف نتناول فی هذا الفصل حرکات التمرد و العصیان التی قامت ضد خلفاء سامرا بحسب تسلسلها التأریخی لکی تعطینا صوره عن جانب من الاوضاع الداخلیه للدوله العربیه حینذاک.

کما سنفرد بحثا خاصا بکل حرکه من حرکات الخوارج لاختلاف طبیعه خروجهم علی الخلافه، و الفتن التی قامت فی أرمینیه و اذربیجان لتعددها علی فترات متقاربه.

۱- تمرد الزط:

تسلل الی منطقه البطائح فی جنوبی العراق قبل الفتح العربی بعض القبائل الهندیه عرفت بالزط. و قد هاجروا من مواطنهم فی الهند لغلاء وقع هناک فتنقلوا فی بلاد کرمان و الاهواز الی أن صاروا الی هذه المواضع(۱). و یعتبرهم ابن خلدون انهم أخلاط من الناس(۲). و الواقع انهم أصبحوا کذلک بعد أن التجأ الیهم عدد من اللصوص و قطاع الطرق و العبید الفارین. و هناک قول بأن الحجاج الثقفی عند ما کان والیا علی العراق أتی بخلق من زط السند و اصناف ممن بها من الامم و معهم أهلوهم و أولادهم و جوامیسهم، و اسکنهم باسافل کسکر فغلبوا علی البطیحه و تناسلوا بها(۳). و ان محمد بن القاسم هو الذی حملهم من السند الی العراق(۴).

عاش الزط فی منطقه البطائح بعزله عن بقیه السکان، و احتفظوا بعاداتهم و تقالیدهم الغریبه و بطراز معیشتهم و لباسهم.

و علی الرغم من حسن معامله العرب لهم، و خاصه بعد الفتح العربی، لم یلبثوا ان اصبحوا عنصر فتنه و فساد، فالتجأ الیهم اباق العبید و الهاربین من وجه السلطه، و اخذوا ینتهبون الغلات الزراعیه من

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۲- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۵۴۶.

۳- فتوح البلدان/ ۳۶۸.

۴- نفس المصدر/ ۱۶۶.

البیادر. و عند ما نشبت الحرب الاهلیه بین الخلیفه الامین و أخیه المأمون، اغتنموا فرصه ضعف السلطه فخرجوا علیها. و اخذوا یقطعون طریق البصره بالسلب و الاعتداء، فتحامی الناس عن الاجتیاز بهم. و انقطع عن بغداد ما کان یحمل الیها من البصره بالسفن، فاشتد امرهم علی الناس. فلما استقر المأمون ببغداد حاول تأدیبهم، فارسل فی سنه ۲۰۵ ه عیسی بن یزید الجلودی لمحاربتهم(۱). ثم بعث فی السنه التالیه حمله أخری بقیاده داود بن ماسجور(۲). الا انه فشل فی التغلب علیهم لصعوبه تعقیبهم فی أهوار البطائح.

و لما استخلف المعتصم بانّه قرر ان یقضی علی عبثهم بصرامه.

فوجه الیهم أحمد بن سعید الباهلی فهزموه(۳). فبعث الیهم فی منتصف سنه ۲۱۹ ه جیشا بقیاده عجیف بن عنبسه الذی اتبع فی محاربتهم خطه تقوم علی سد منافذ الطرق النهریه و محاصرتهم.

فضیق علیهم الخناق قرابه سته شهور حتی اضطرهم علی الاستسلام.

و کان الخلیفه هو الذی أمره باتباع هذه الخطه فی حربهم(۴). و مما یدل علی اهتمام المعتصم باللّه بامر الزط انه أمر عجیفا بترتیب الخیل فی کل سکه من سکک البرید لترکض بالاخبار، فکان الخبر یخرج من عند عجیف فیصل الی المعتصم باللّه فی یومه(۵).

و کان برأس الزط محمد بن عثمان و قد اسقط فی یده بعد أن حاصرهم عجیف، فطلب الامان علی دمائهم و أموالهم، فامنهم عجیف، و حملهم فی السفن و جاء بهم الی بغداد. و کان عددهم

۱- الطبری ۸/ ۵۸۰. و الکامل ۶/ ۳۶۲.

۲- الطبری ۸/ ۵۸۱. و الکامل ۶/ ۳۷۹.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۲.

۴- فتوح البلدان/ ۳۶۹.

۵- نفس المصدر، و الطبری ۹/ ۸ و الکامل ۶/ ۴۴۳.

حوالی سبعه و عشرین ألفا بین رجل و امرأه و صبی، و عدد المقاتله منهم اثنا عشر ألفا(۱). و یصف لنا الطبری کیفیه عرضهم علی الخلیفه الذی رغب فی مشاهدتهم بازیائهم. اذ عبأهم عجیف فی زواریقهم علی هیئتهم فی الحرب، معهم البوقات، و دخل بهم بغداد یوم عاشوراء من سنه ۲۲۰ ه و المعتصم باللّه عند الشماسیه فی سفینه کبیره من نوع الزو، فمر به الزط علی تعبئتهم ینفخون بالبوقات.

فکان أولهم بالقفص و آخرهم بحذاء الشماسیه، و اقاموا فی سفنهم ثلاثه أیام، ثم عبر بهم الی الجانب الشرقی فدفعوا الی بشر بن السمیذع فذهب بهم الی خانقین، ثم نقلوا الی عین زربه(۲). و هی احدی الثغور الشامیه، و یظهر ان نقلهم الیها کان تقویه لحامیتها.

و یقول البلاذری ان عجیفا أخذهم جمیعا و قدم بهم بغداد فی الزواریق، فجعل بعضهم بخانقین و فرق سائرهم فی عین زربه و الثغور(۳). و یؤید هذا ما ذکره المسعودی بأنه انزلهم بلاد خانقین و جلولاء من طریق خراسان، و بلاد عین زربه من الثغر الشامی(۴). و قد قضت الهجمات البیزنطیه علی الثغور العربیه علی القسم الاکبر منهم.

۲- تمرد جعفر الکردی:

عصی فی الموصل أحد زعماء الاکراد اسمه جعفر بن مهرجش(۵) فی سنه ۲۲۶ ه و تبعه عدد کبیر من الاکراد و غیرهم ممن کانوا یتذمرون من تعسف الولاه. فولی المعتصم باللّه عبد اللّه بن السید بن انس الأزدی علی الموصل و أمره بالقضاء علی تمرد جعفر و اتباعه. و کان جعفر قد استولی علی مدینه الموصل و الجبال

۱- الطبری ۹/ ۱۰.

۲- نفس المصدر.

۳- فتوح البلدان/ ۱۱۸.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۲۰۷.

۵- الطبری ۹/ ۱۱۸، و الکامل ۶/ ۵۰۷ و فیه اسمه جعفر بن فهرجس، و مثل هذا جاء اسمه فی تاریخ ابن خلدون- ۳/ ۵۷۶.

القریبه منها، فقاتله عبد اللّه و أخرجه من الموصل. فلجأ جعفر مع أتباعه الی أحد الجبال المنیعه. و لما تبعه جیش عبد اللّه استظهر علیه جعفر لمعرفته بتلک المواضع الجبلیه، و اعتیاد اتباعه علی القتال فیها. فهزم عبد اللّه و قتل کثیر من أفراد جیشه، و کاد أن یقضی علیه، الا ان أحد قواده استطاع ان یشاغل اتباع جعفر عن أصحابه من جیش عبد اللّه مما سهل لهم الانسحاب و النجاه.

و لما علم الخلیفه بفشل حمله عبد اللّه بن انس و تمزق جیشه، وجه فی المحرم من سنه ۲۲۷ ه القائد ایتاخ علی رأس حمله لقتال ابن مهرجش. فالتقی ایتاخ بالتمردین، و استطاع بعد عده معارک أن یتغلب علیهم و یمزق شملهم. فتفرق من بقی من اتباع جعفر عنه، و وثب به أحد أصحابه فقتله(۱). فاوقع ایتاخ باتباعه و لاحقهم و أکثر فیهم القتل و السبی. ثم حشد الاسری و النساء و الاموال و حمل ذلک الی تکریت(۲).

۳- خروج المبرقع الیمانی:

من الحوادث المهمه التی حدثت فی السنه الاخیره من عهد المعتصم باللّه، و کانت من نتائج تعاظم سلطه الجند الاتراک، و عدم مراعاتهم حقوق الناس و تعدیهم علی حریاتهم، ظهور ثائر فی جبال الأردن هو أبو حرب تمیم اللخمی، و قد عرف بالمبرقع الیمانی.

و هو رجل من أهل فلسطین اشتهر بالشجاعه و شده البأس. و قد ثار علی السلطه عند ما حاول أحد الجنود الاتراک النزول فی داره و هو غائب، فمانعته امرأه کانت فی البیت فضربها و اغلظ لها الکلام.

۱- الطبری ۹/ ۱۱۸، و الکامل ۶/ ۵۰۷، و فیه: قیل ان جعفرا شرب سما کان معه فمات.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۸.

فلما عاد أبو حرب شكت اليه الأمرأه سوء معامله الجندى التركى، لأن العرب لم يألفوا نزول الجند قسرا فى بيوتهم. فاخذ سيفه و بحث عن الجندى، فوجده و قتله. ثم هرب من ملاحقه السلطه و قصد أحد جبال الاردن و أقام مختفيا. و قد جعل على وجهه برقعا لئلا يعرف(۱). و كان يظهر فى النهار متبرقعا، فاذا جاءه أحد أمره بالمعروف و نهاه عن المنكر، فاذا استجاب له ذكر الخليفه و ما يأتيه من الاعمال القبيحه و يعيبه عليها(۲). فاستجاب له جماعه من فلاحى تلك الناحيه و القرى القريبه منها، رغبه فى التخلص من أوضاعهم الاقتصاديه و المعيشيه السيئه.

و زعم المبرقع انه أموى، و لعل ذلك كان سبب تخوف السلطه من توسع دعوته، لا سيما اصحابه زعموا انه السفيانى(۳). و كان ممن استجاب الى دعوته جماعه من رؤساء اليمانيه انتصارا له و عصبيه لانه من اليمانيين، منهم زعيم يقال له بيهس و كان مطاعا فيهم، و رجلان آخران من أهل دمشق(۴). مما جعل الخليفه المعتصم باللّه يهتم بأمره، فسير اليه القائد رجاء الحضارى فى زهاء الف من الجند. فلما اتاه رجاء وجد جماعته يزيدون على مائه ألف، فتحاشى الاصطدام بهم. و لقله خبره المبرقع العسكريه فانه لم يبادر الى مهاجمه الجيش الذى قدم لتأديبه. و قد عسكر رجاء بعيدا عنه و اخذ يشاغله و يطاوله حتى آن وقت الزرع فانصرف من كان مع المبرقع من الفلاحين الى أراضيهم، و لم يبق معه الا قرابه الالفين. و نظرا لقله معرفتهم بشؤون الحرب فقد استطاع رجاء الحضارى ان يفل جمعهم بسهوله. و يقول مسكويه: فتأمل رجاء عسكر المبرقع فلم يجد فيه من له فروسيه غيره، فقال لاصحابه لا

۱- نفس المصدر/ ۱۱۶، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و العيون و الحدائق ۳/ ۴۰۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۱۶، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و الكامل ۶/ ۵۲۲.

۳- نفس المصادر.

۴- الكامل ۶/ ۵۲۲، و الطبرى ۹/ ۱۱۶.

تعجلوا علیه فانه سیظهر لأصحابه بعض ما عنده. فما لبث المبرقع ان حمل، فقال رجاء لأصحابه: افرجوا له. فأفرجوا له، ثم حمل ثانیه. فقال رجاء: افرجوا له، فاذا اراد الرجوع فحولوا بینه و بین ذلک و خذوه. فافرجوا له، ففعل ذلک، و احاطوا به فانزلوه عن دابته، و اسره رجاء و حمله الی الخلیفه بسامرا(۱).

و لما قدم رجاء بأبی حرب علی المعتصم باللّه عاتبه علی تلکؤه فی حربه.

فاوضح رجاء للخلیفه ان سبب ذلک هو قله جنده و کثره اتباع المبرقع، و کلهم من حراثی تلک الناحیه، و لذلک فقد تمهل حتی قل عدد اتباعه لما انصرف أکثرهم الی عملهم فی المزارع و وجد الفرصه لحربه و التغلب علیه(۲).

و یستدرک الطبری فیقول ان هناک من یزعم بان خروج المبرقع الیمانی کان فی سنه ۲۲۶ ه بالرمله، و قالوا انه سفیانی. فصار فی خمسین ألفا من أهل الیمن و غیرهم. و قد ناصره ابن بیهس و آخران معه من رجال دمشق. فسار الیهم رجاء الحضاری و واقعهم بدمشق فتغلب علیهم و اخذ ابن بیهس اسیرا. ثم اتجه الی مقاتله أبی حرب، فقتل عددا کبیرا من أصحابه و أسره و حمله الی سر من رأی، حیث جعل هو و ابن بیهس فی المطبق(۳).

و ما ذکره ابن خلدون یقرب مما استدرکه الطبری، اذ جاء فیه، انه بینما کان رجاء و جیشه یعسکرون قباله اصحاب المبرقع ینتظرون أوان الزراعه، توفی المعتصم باللّه. و کانت الفتنه قد ثارت بدمشق، فأمر الواثق باللّه رجاء ان یقضی علی هذه الفتنه أو لا ثم یعود لحرب المبرقع. ففعل رجاء بأمر الواثق باللّه فقاتل ثوار دمشق و هزمهم، و اصلح أمر دمشق، و رجع الی قتال المبرقع فاخذه

۱- الطبری ۹/ ۱۱۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۷.

۳- نفس المصدر/ ۱۱۸.

أسيرا و ابن بيهس معه(۱). و اذا صحت هذه الروايه، فان ما ذكره الطبرى عن معاتبه المعتصم باللّه قائده، يصبح من الاخبار الموضوعه، أو أن يكون الواثق باللّه هو الذى عاتب القائد المذكور.

۴- تمرد القبائل العربيه:

تمرد القيسيين فى دمشق:

كان بعض زعماء اليمانيه و عدد من أهل دمشق و على رأسهم ابن بيهس الذى كان ذا نفوذ فى قومه، قد استجابوا لدعوه المبرقع اليمانى الذى تمرد على الدوله فى فلسطين. و قد يكون لعامل العصبيه القبليه تأثير فى انتصارهم له. و قد سبقت الاشاره الى أسباب تمرده و الى توسع دعوته. و خرج ابن بيهس اثر وفاه المعتصم باللّه فى عدد كبير من بطون قيس بدمشق، و حاصر أميرها أبا المغيث الرافقى. فبعث الواثق باللّه القائد رجاء الحضارى لاخماد ثورته. فقدم رجاء دمشق و رأى ثوارها يعسكرون بمرج راهط، فنزل بدير مران و دعاهم الى الطاعه، فلم يرجعوا عن غيهم فقاتلهم و هزمهم و قضى على تمردهم(۲).

تمرد بعض القبائل العربيه:

و تمرد عدد من القبائل العربيه التى تقع منازلها قرب المدينه المنوره، منهم بنو سليم و بنو هلال و بنو مره، و هم من أقوى القبائل العربيه. فكانوا يعتدون على الناس و يغتصبون أموالهم. و عند ما هاجم بنو سليم جماعه من كنانه و باهله و قتلوا بعض أفرادهما وجه اليهم أمير المدينه محمد بن صالح بن العباس ثله من الجند، الا انهم

۱- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۵۷۲- ۵۷۳.

۲- راجع عن تمرد القيسيين: الكامل ۶/ ۵۲۸- ۵۲۹.

استعدوا للقائها و قطعوا الطريق بين مكه و المدينه و نهبوا القرى و المناهل، حتى تخلف الناس عن الحج. و نصبوا رجلا من سليم يقال له عزيزه الخفاجي و سلموا عليه بالخلافه(۱). فكان ذلك و لا شك محاوله للخروج على الخلافه العباسيه و الانفصال عنها اذا ما نجحت. فبادر الواثق باللّه و وجه فى سنه ۲۳۰ ه حمله على رأسها القائد التركى بغا لاخضاعهم. فهاجمهم بغا و تمكن من دحرهم، فدعاهم الى الامان فاستسلم أكثرهم. و لكى يأمن تمردهم ثانيه احتبس من وصف منهم بالشر و الفساد و سجنهم فى المدينه المنوره(۲).

و كان فيهم عزيزه بن القطاب. فلما انقضى موسم الحج استطاع بغا ان يجبر بنى هلال أيضا على الاستسلام، و احتبس من أشرارهم عددا سجنهم فى المدينه المنوره كذلك.

و قد حاول المسجونون الهرب فنقبوا السجن، و قتلوا الحرس و اخذوا سلاحهم. فلما علم بهم اهل المدينه أحاطوا بهم و قاتلوهم حتى قضوا عليهم. و كان عزيزه بن القطاب قد فك قيوده و جعل يقاتل بها و يرتجز قائلا(۳):

لا بد من زحم و ان ضاق الباب انى انا عزيزه بن القطاب

للموت خير من العاب هذا و ربى عمل للبواب

حتى قتل فأمر به أمير المدينه المنوره فصلب(۴).

۱- تأريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۰.

۲- الطبرى ۹/ ۱۳۰- ۱۳۱، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۰.

۳- الطبرى ۹/ ۱۳۳.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۶- ۲۵۷.

و كان القائد بغا قد توجه نحو قبائل بنى مره و فزاره الذين كانوا قد استولوا على مدينه فدك، و استطاع ان يخضعهم و يأسر عددا كبيرا منهم.

و تمردت قبائل بنى نمير فى اليمامه فى سنه ۲۳۲ ه و عاثت فسادا. فأمر الواثق باللّه القائد بغا ان يتوجه اليها بجيشه لتأديبها. فلقيها و حاربها فى معارك متعدده حتى تغلب عليها. و لما تم اخضاع جميع القبائل المتمرده قفل عائدا الى بغداد، و طلب الى أمير المدينه المنوره ان يلحق به بمن معه من الاسرى. فلقيه ببغداد و سارا جميعا الى سامرا و معهما من الأسرى ما يزيد على الألفى رجل من مختلف تلك القبائل التى تمردت. و بذلك قضى على حركات تمرد القبائل العربيه.

ان استمرار هذه الاضطرابات المحليه طيله السنوات ۲۲۸- ۲۳۲ ه، أى طيله خلافه الواثق باللّه، بين القبائل العربيه فى الحجاز و اليمامه لابد و ان تكون لها أسباب دفعت تلك القبائل الى التمرد و الخروج على السلطه الى حد انها تسمى خليفه لها. الا ان مراجعنا التأريخيه لا تشير الى تلك الاسباب، و انما اكتفت بذكر حشد الجيوش لا خمادها و نجاحها فى القضاء عليها. أى ان أخماد تلك الاضطرابات لم يتم بالقضاء على أسبابها و معالجه دوافعها التى قد تكون اقتصاديه او سياسيه، و انما اخضعت بقوه السيف التى تمثلت بحشود الجند التى كانت قاسيه فى قتالها تلك القبائل.

و يقول الطبرى ان المتمردين كانوا يرددون حين هاجمهم بغا:

يا بغيه الخير و سيف المنتبه و جانب الجور البعيد المشتبه

من كان منا جانيا فلست به أفعل هداك اللّه ما أمرت به

فقال بغا: انما امرت ان اقتلكم(۱).

۱- الطبرى ۹/ ۱۳۳.

۵- تمرد قبائل البجه

۵- تمرد قبائل البجه(۱)

البجه قبائل بدويه كانت تسكن شرقى بلاد النوبه ما بين نهر النيل و بحر القلزم. و بين أرض النوبه و البجه جبال منيعه. و فى بلادهم معدن الذهب و الزبرجد(۲). و هم ينزلون خياما من الجلود، و ينتفون لحاهم، و ينزعون فلكك ثدى الغلمان لئلا يشبه ثديهم ثدى النساء، و غالب طعامهم الذره، و هم يركبون الابل و يحاربون عليها، و يرمون بالحراب فلا يخطئون(۳). و هم يقاسمون من يستخرج المعادن النفيسه من أرضهم، و يؤدون الى عمال مصر فى كل سنه أربعمائه مثقال من التبر(۴). و خمسمائه نفر من العبيد و الجوارى مع عدد من البخت البجاويه و زرافتين و فيلين(۵). و قد توقفوا عن دفع ذلك فى سنه ۲۴۰ ه و لعده سنوات، و منعوا من كان يعمل من العرب فى استخراج الذهب و الجوهر، كما اخذوا يغيرون على أراضى مصر و ينتهبون بعض قرى الصعيد مثل اسنا و ادفو(۶).

و كتب والى مصر عنبسه بن اسحاق الى الخليفه المتوكل على اللّه بتمرد البجه و اعتداءاتهم، فانكر الخليفه الامر. الا ان بعد بلادهم الصحراويه عن العمران جعله يتردد فى توجيه حمله عسكريه لتأديبهم. فشاور فى أمرهم أرباب الخبره بمسالك تلك البلاد، فعرفوه انهم أهل باديه و ان الوصول الى بلادهم و منه برارى و مفاوز موحشه معطشه، و انهم متى ما طرقهم طارق استنجدوا بقبائل

۱- كذا وردت فى الطبرى و فى مختلف المصادر ما عدا فى الكامل ۷/ ۷۷ فهى: البجاه.

۲- مختصر كتاب البلدان/ ۵۹ و ۷۸.

۳- كتاب البلدان/ ۳۳۶.

۴- الطبرى ۹/ ۲۰۶.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۵.

۶- الكامل ۷/ ۷۷. و النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۵.

الاحباش المتصله علی شواطی ء النیل حتی بلاد الزنج(۱). فبلغ الامر محمد بن عبد اللّه، و کان من القواد الذین یتولون خفاره الحجاج أکثر السنین، فحضر الی الفتح بن خاقان و عرض علیه انه اذا ما أمر الخلیفه عامل مصر بتجهیزه کما یرید عبر الصحراء الی بلاد البجه. فلما عرض الفتح ذلک علی المتوکل علی اللّه أمر بتجهیزه بسائر ما یحتاج الیه و تقدم الی عنبسه ان یمده بالرجال و الخیل و الجمال و ما یحتاج الیه من المیره و السلاح و الاموال(۲).

فخرج الیهم محمد بن عبد اللّه من مصر و قد انضم الیه عدد کبیر من المتطوعین ممن کانوا یعملون فی استخراج المعادن، بحیث صار عدد جیشه نحوا من عشرین ألف مقاتل بین فارس و راجل.

کما سیر بنفس الوقت سبعه مراکب موقره بالمؤونه من الدقیق و التمر و الزیت و الشعیر و السویق فی بحر القلزم. و امر بعض أصحابه أن یرافقوا هذه السفن لتوافیه فی ساحل البحر عند عیذاب من أرض البجه. و قد أعدها احتیاطا لاحتمال عدم امکان حصول جیشه علی الطعام هناک.

و لما وصل محمد بجیشه الی حصون البجه خرج الیه ملکهم، و اسمه علی بابا، فی جیش کثیف و سلاحهم الحراب و المزاریق و أکثرهم علی الجمال و هی علی غایه من النفره و الشراسه. و لما قارب البجه عسکر محمد رأوا ان لا ـ قبل لهم بهم لکثره عددهم و کمال عدتهم. فعزم ملکهم علی مطاولتهم فی الحرب حتی تفنی ازوادهم و تضعف خیولهم فیسهل التغلب علیهم. فاخذ یراوغ بجیشه و یستطرد أمام جیش محمد. الا ان وصول مراکب المؤونه الی جیش محمد أفسد خطه علی بابا الذی أیقن ان المدد لا ینقطع من

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۶.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۷.

جهه الساحل، لا سیما و ان محمدا کان قد شدد الحراسه علیها کی لا تستولی علیها جموع البجه. فصمم علی الاشتباک بجیش محمد.

و رای محمد بن عبد اللّه ان یربک جیش البجه لیضعف من أهمیه کثره عددهم فجمع اجراس الابل و الخیل التی فی جیشه و جعلها فی اعناق خیل المقدمه، و أمر بضرب الطبول و نفخ الابواق ساعه الحمله. و عند ما حمل علی البجه نفرت ابلهم من الاصوات الصاخبه و اشتد رعبها، فولت الادبار و تساقط عن ظهورها اکثر رکابها. فارتبک جیش علی بابا و داس بعضه بعضا. فتبعهم جیش محمد و أوقع بهم قتلا و أسرا. فلما رأی ملک البجه ذلک و ایقن بالهزیمه طلب الامان. فاجابه محمد الی طلبه بعد أن أدی ما علیه من الخراج و غیره عن السنوات التی کان ممتنعا فیها عن الاداء.

و أخذه محمد أسیرا الی سامرا، فوصلها فی أواخر سنه ۲۴۱ ه.

و لما مثل علی بابا بین یدی المتوکل علی اللّه أمره الحاجب بتقبیل الأرض فامتنع، فعزم الخلیفه علی أن یأمر بقتله، و خاطبه علی لسان الترجمان: انه بلغنی ان معک صنما من حجر اسود تسجد له کل یوم مرتین، فکیف تتأبی علی تقبیل الارض بین یدی، و بعض غلمانی قد قدر علیک و عفا عنک؟ فلما سمع علی بابا کلامه قبل الارض ثلاثا،، فعفا عنه و خلع علیه و علی أصحابه، و سمح له بالعوده الی بلاده(۱).

و کان قد وقف بباب العامه بسامرا سبعون من البجه علی ابلهم و قد رفعوا علی حرابهم رؤوس عدد ممن قتل من عسکرهم فی الحرب. و قد ولی الخلیفه علی البجه و الطریق بین مکه و مصر سعدا الخادم، فولی هذا محمد بن عبد اللّه خلیفه عنه، فخرج محمد عائدا بعلی بابا الی بلاده(۲).

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۹.

۲- الطبری ۹/ ۲۰۶، و الکامل ۷/ ۷۹.

۶- الاضطرابات فی أرمينيه:

اشاره

كان المأمون قـد ولى خالـد بن يزيد بن مزيد الشـيبانى على أرمينيه، فخالط بطارقتها، أى أمراءها المحليين- و قبل هداياهم، مما جرأهم على من جـاء بعـده من العمال(١). و بقى خالـد فى منصـبه هـذا الى أيـام المعتصم بـاللّه، فولى بـدلا عنه الحسن بن على الباذغيسـى المعروف بالمـأمونى. فأهمل شؤون البطارقه و لان لهم فازدادوا فسادا على الـدوله(٢). و قـد ولى المعتصم باللّه بعده عددا من الولاه لم يتمكنوا من السيطره على المنطقه. و كان اخرهم على بن الحسين بن سباع القيسى. فاستضعفه الامراء المحليون حتى سـموه اليتيم لضعفه و مهانته(٣). فاعاد المعتصم باللّه خالـد بن يزيـد الشـيبانى الى الولايه على أرمينيه و ديار ربيعه. فلما بلغ خبره البطارقه خافوه و عملوا على العصيان عليه، و قد تحصن كل منهم فى قلعته. مما اضطر الخليفه على رد خالد، و اعاده الوالى السابق على بن الحسين.

و كانت رواتب الجنـد قـد تأخر دفعها لقله الجبايه فشـغبوا مطالبين بارزاقهم، فطالب الوالى أهل البلاد بدفع ما عليهم من الخراج، فـامتنعوا عن الـدفع و ثـاروا به و حاصـروه، مما اضـطر الخليفه على أن يبعث القائـد حمـدون بن على بن الفضل ليتولى مساعـده الوالى فى اخضاع الولايه(۴).

ثم اضطربت أرمينيه فى عهد الواثق باللّه و تحرك بها بعض البطاركه و العرب و تغلبوا على نواحيهم. فولى الخليفه خالد بن يزيد الشيبانى الولايه عليها و ضم اليه بعض الكور من ديار

١- فتوح البلدان/ ٢١٢.

٢- فتوح البلدان/ ٢١٢، و مختصر كتاب البلدان/ ٢٩۴.

٣- تأريخ اليعقوبى ٢/ ۴٧۵.

۴- تأريخ اليعقوبى ٢/ ۴٧۵.

ربیعه، فسار الیها فی جیش کثیف. فلما بلغ المتغلبین امره خافه أکثرهم و کتبوا الیه یعلنون طاعتهم و ارسلوا الیه الهدایا، فرفضها و طلب ان یأتی بها مرسلوها بانفسهم، و ذلک لیختبر ولاءهم و طاعتهم. و طلب الی اسحاق بن اسماعیل العامل علی تفلیس، و کان من جمله المتغلبین یأمره بالقدوم الیه، فلم یفعل. فزحف الیه، الا ان الموت عاجله قبل ان یصل الیه. فولی الخلیفه محمد بن خالد مکان أبیه. و لما کان أصحاب أبیه قد انصرفوا عند موته فقد طلب الی الخلیفه ان یمده. فسیر الیه القائد أحمد بن بسطام الذی ساعده فی جمع أصحاب أبیه و موالیه، و فی محاربه قسم من المتغلبین و اخضاعهم، مما ساعده علی ضبط شؤون الولایه.

عصیان ابن البعیث فی اذربیجان:

کان محمد بن البعیث من جمله المتغلبین علی بعض نواحی اذربیجان، فقاتله عاملها فظفر به و أسره و حمله الی سامرا فسجن فیها. الا انه ما لبث ان هرب فی سنه ۲۳۴ ه و عاد الی منطقه مرند، و جمع الیه اتباعه من ربیعه و غیرهم، و اعلن الخلاف و العصیان، ثانیه. و لم یستطع والی اذربیجان محمد بن حاتم بن هرثمه ان یظفر به. فولی المتوکل علی اللّه حمدویه بن الفضل السعدی علی اذربیجان و وجهه من سامرا علی البرید(۱). فلما وصل الی مقر عمله زحف الی ابن البعیث و الجأه الی مدینه مرند. و کان ابن البعیث قد حصنها و جمع فیها ما یحتاجه من آله و مؤونه للحصار.

فاقام حمدویه علی حصاره زمنا دون جدوی لمتانه أسوار المدینه و قوه حامیتها. فوجه الخلیفه الیه قائدا اخر لمساعدته، فلم یفلحا فی فتح المدینه. فسیر الخلیفه القائد بغا الشرابی فی أربعه آلاف من الجند الأتراک و المغاربه. فلما قرب بغا من مرند حاول ان یستمیل.

۱- الطبری ۹/ ۱۶۵، و الکامل ۷/ ۴۲.

بعض أصحاب ابن البعیث، فارسل عیسی بن الشیخ بن السلیل الشیبانی(۱). و معه امان لوجوه المدینه و لابن البعیث نفسه، علی أن ینزلوا علی حکم أمیر المؤمنین الخلیفه، و الا فانه سیقاتلهم، و ان ظفر بهم لم یستبق احدا منهم، و کان عامه من مع ابن البعیث من ربیعه قوم عیسی بن الشیخ، فخرج الیه عدد کبیر منهم(۲). ثم فتحت المدینه أبوابها فدخلها الجیش، و حاول ابن البعیث الهرب فلحقه بعض الجند و أخذوه أسیرا، و انتهب الجند منزله و منازل أصحابه و أهل المدینه ممن لم یستأمنوا.

و قدم بغا الشرابی الی سامرا فی شوال سنه ۲۳۵ ه بابن البعیث مع أخوین له واحد أبنائه، و کانوا خرجوا بأمان، مع عدد من الاسری. و قد حملوا علی الجمال لیراهم الناس. فأمر المتوکل علی اللّه بحبسهم. و ذکر انه لما أتی المتوکل علی اللّه بمحمد بن البعیث أمر بضرب عنقه، و قبل ان یقتله السیاف سأله الخلیفه عما دعاه الی ما صنع، فقال: الشقوه، و انت الحبل الممدود بین اللّه و بین خلقه، و ان لی فیک لظنین اسبقهما الی قلبی أولاهما بک و هو العفو، ثم اندفع یقول(۳):

أبی الناس الا انک الیوم قاتلی أمام الهدی و الصفح بالناس أجمل

و هل أنا الا جبله من خطیهو عفوک من نور النبوه یجبل

فانک خیر السابقین الی العلاو لا شک ان خیر الفعالین تفعل

فقال الخلیفه لبعض أصحابه: ان معه لأدبا. فقال: بل یفعل أمیر المؤمنین خیرهما و یمن علیه. فأمر برده فحبس مقیدا. و قیل

۱- فی الکامل ۷/ ۴۲ ابن الشلیل، و فی المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۴۴ ابن السلیک.

۲- الطبری ۹/ ۱۶۵، و الکامل ۷/ ۴۲.

۳- الطبری ۹/ ۱۷۰، و الکامل ۷/ ۴۷- ۴۸ و فیه آخر البیت الاول: بالمرء أجمل.

ان المعتز شفع فيه الى أبيه فعفا عنه(۱). و لم يلبث ابن البعيث ان مات فى السجن بعد وصوله سامرا بشهر واحد.

خروج أرمينيه فى سنه ۲۳۷ ه:

عين المتوكل على اللّه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى على أرمينيه و اذربيجان، فعسكر بكرخ فيروز متأهبا للخروج الى ولايته. الا انه توفى فجأه فى أوائل شوال سنه ۲۳۶ ه. فولى الخليفه ابنه يوسف، فشخص الى ارمينيه و استطاع ان يضبطها.

و عند ما خرج بقراط بن آشور، و هو بطريق البطارقه، يطلب الاماره على الولايه فى سنه ۲۳۷ ه استطاع يوسف ان يظفر به فقيده و بعث به الى سامرا، فاثار عمله هذا عددا من البطارقه فاعلنوا عصيانهم على الوالى، و تحالفوا على قتله، و قد انضم اليهم اسحاق بن اسماعيل عامل تفليس. و صادف موسم سقوط الثلج فى طرون، و هى المدينه التى كان فيها يوسف الثغرى، فحاصروه، فقاتلهم الا انهم تغلبوا عليه و قتلوه، كما قتلوا كل من قاتل معه من أهل المدينه، و أما من لم يقاتل معه قالوا له: انزع ثيابك و انج بنفسك عريانا، ففعلوا و مشوا حفاه عراه فهلك أكثرهم من البرد، و سقطت أصابع كثير ممن نجا منهم، و كان ذلك فى رمضان(۲). ثم تغلبوا على عمال بقيه النواحى فقتلوهم.

لما بلغ المتوكل على اللّه خبر خروج البطارقه و قتلهم يوسف بن محمد و عماله وجه بغا الشرابى الى ارمينيه طالبا بدم يوسف.

فسار اليهم بغا بجيش كبير و حارب قتله يوسف فظفر باكثرهم، و قتل زهاء ثلاثين ألفا من أهل أرمينيه و سبى منهم خلقا كثيرا(۳).

ثم توجه بغا الى تفليس للقبض على عاملها الثائر اسحاق بن

۱- الطبرى ۹/ ۱۷۱، و الكامل ۷/ ۴۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۸۷، و الكامل ۷/ ۵۸.

۳- الطبرى ۹/ ۱۸۸، و الكامل ۷/ ۵۸- ۵۹.

اسماعیل. و أمر قائده زیرک الترکی بمهاجمه المدینه، فخرج اسماعیل الی محاربته. و کان بغا یقف علی تل مطل علی المدینه یراقب المعرکه، فلما رأی خروج اسحاق بعث النفاطین فضربوا المدینه بالنار، و کان أکثر بیوتها من خشب الصنوبر فالتهمتها النیران. فعاد اسحاق الی المدینه لیعالج أمر الحریق فاحاط به الجند و أخذوه أسیرا فضرب بغا عنقه و سیر رأسه الی الخلیفه بسامرا. و احترق بالمدینه نحو خمسین ألف انسان، و أسر الجند من بقی حیا فیها، و سلبوا الموتی(۱).

ثم وجه بغا جیشه لتأدیب بقیه العصاه من البطارقه، ففتح قلعه الجردمان(۲)، و هی بین برذعه و تفلیس و اخذ بطریقها اسیرا. کما استطاع ان یخضع البیلقان و أران و یأسر أصحابهما من البطارقه. و بذلک قضی علی حرکه العصیان و التمرد الذی کان قد عم أغلب أنحاء أرمینیه. الا ان الیعقوبی یذکر ان بغا زحف الی الصناریه فحاربهم فهزموه فانصرف عنهم، و تتبع من کان أعطاهم الامان فأخذ بعضهم، و هرب جماعه و کاتبوا صاحب الروم و صاحب الخزر و صاحب الصقالبه، فاجتمعوا فی خلق عظیم، فکتب بغا بذلک الی المتوکل علی اللّه، فندب للبلد محمد بن خالد بن یزید الشیبانی، فلما قدم ارمینیه جدد الامان للثائرین فسکنوا(۳).

مما یلفت النظر تعدد الفتن التی قامت فی أرمینیه و اذربیجان.

و یظهر ان السیاسه التی انتهجتها الدوله العربیه فی تلک المناطق، فی الابقاء علی الامراء المحلیین بمراکزهم طالما کانوا موالین للدوله، کانت نتیجتها ان تمسک هؤلاء الامراء بسلطاتهم التی غدت مشروعه باعتراف الدوله بها. و کانوا یسخطون لأی تدخل من الولاه فی شؤونهم، لا سیما اذا کان اولئک الولاه ضعفاء.

۱- الطبری ۹/ ۱۹۲- ۱۹۳، و الکامل ۷/ ۶۷.

۲- الطبری ۹/ ۱۹۳، و الکامل ۷/ ۶۸، و جاء فیه اسم لقلعه الحرزمان.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۰.

و الواقع ان بطارقه ارمينيه كانوا شبه مستقلين فى اماراتهم. فاذا قدم عليهم وال داروه فان رأوا منه عفه و صرامه و كان فى قوه و عده اذعنوا له بالطاعه و أدوا الخراج، و الا طمعوا فيه و استخفوا بأمره(۱). كما ان القسوه المتناهيه التى كان يلجأ اليها قواد الحملات العسكريه التى توجه لاخضاع العصاه كاحراق المدن و الامعان فى تقتيل السكان و سبيهم، كانت تولد رد فعل لدى سكان تلك المناطق فيزدادون بغضا للسلطه و بعدا عنها، و يبادرون الى مناصره كل من يناهضها، انتقاما لما أصابهم. و لذلك يلاحظ ان حركات التمرد فى المناطق المذكوره قلت كثيرا و كادت تتلاشى عند ما شغلت الدوله بمقاومه حركه الزنج، اذ انصرفت بكل جهودها للقضاء عليها. مما ترك للبطارقه الحريه الكامله فى اداره شؤونهم، و لذا لم يكن ثمه ما يدعوهم الى التمرد و العصيان.

۷- فتن الخوارج:

اشاره

كان جمهور الخوارج بدوا تغلب عليهم نزعه المساواه، و لذا لم يختصوا قبيله أو فخذا بالخلافه، بل قالوا بترشيح كل مسلم لها، و ان يختار لها أفضل الناس بانتخاب الامه كافه(۲). و يذكر الشهرستانى ان عدد فرقهم الرئيسه ثمانيه، و قد تشعبت بحيث أصبحت خمسا و عشرين فرقه، يجمعها كلها وجوب الخروج على الامام اذا غير السيره و عدل عن الحق(۳). و هم لا يقرون مبدأ الوراثه أو التفويض و لذلك اعتبروا الخلفاء الامويين جائرين يجب الخروج عليهم، لانهم لم تختارهم الامه.

و كان رأى الخوارج فى الخلفاء العباسيين لا يختلف عن رأيهم فى الخلفاء الامويين، فانهم لا يرونهم صالحين للخلافه لانهم لم

۱- فتوح البلدان/ ۲۱۲.

۲- النظم الاسلاميه للدورى/ ۸۷- ۸۸.

۳- الملل و النحل ۱/ ۱۱۵.

يستوفوا شروطها، و لم يختاروا من قبل الامه اختيارا حرا، و لذلك ظلوا يحملون لواء الخروج عليهم طيله عهد سامرا. و كانوا يستفيدون من الاضطراب القائم فى حاضره الخلافه بسبب النزاع بين الخلفاء و القواد الاتراک، فيستضحل أمرهم و يشنون الغارات على القرى و الرساتيق و يجبون منها الزكاه و العشور. و قد دخلوا اكثر من مره بعض المدن و القرى. و لم تستطع الدوله القضاء عليهم رغم الحملات التى وجهت اليهم، لانهم لم يكونوا يتبعون قواعد الحرب النظاميه. فهم يظهرون عند ما تسنح لهم الفرصه، فيقاتلون بشجاعه و استبسال، ثم يفرون ملتجئين الى الجبال أو المناطق الوعره عند ما يهزمون أمام الجيش الموجه لقتالهم. و لم يتيسر لهم ان يستولوا على منطقه معينه بصوره دائمه و يؤسسوا اماره خاصه بهم. و لعل أهم أسباب ذلک قله عددهم، و ان الناس لم يكونوا يؤيدونهم، فضلا عن انهم كانوا يرهبون جانبهم لشدتهم و صرامتهم فى معامله من لم يأخذ بعقيدتهم، و كثيرا ما كانوا يتطوعون لمحاربتهم.

و سنستعرض فيما يأتى الانتفاضات التى قام بها رؤساء الخوارج ممن طالت مقارعتهم جيوش الخلافه فى عهد سامرا. فقد خرج عدد من زعماء الخوارج فى أماكن مختلفه من أرجاء الدوله العربيه لا سيما فى منطقه الموصل و الجزيره. كما كان أمرهم قد استفحل لوقت ما فى سجستان من الولايات الشرقيه. الا ان أكثرهم لم يتمكنوا من الثبات فى وجه السلطه، اذ سرعان ما كان يقبض عليهم فيسجنون أو يقتلون. و لم يستطع الاستمرار فى مقارعه الحملات التى توجه اليهم سوى نفر قليل منهم. فقد خرج فى سنه ٢٣١ ه على عهد الواثق باللّه، محمد بن عمرو الشيبانى الخارجى من بنى تغلب، فى ثلاثه عشر رجلا من اتباعه، فى ديار ربيعه فى الجزيره، و استجاب له كثيرون. فخرج الى محاربته غانم بن ابى مسلم، و كان على جيش الموصل، فاخذه أسيرا و بعث به الى سامرا،

فحبس فی سجن المطبق ببغداد، و نصبت رؤوس القتلی من أصحابه عند خشبه بابک بسامرا(۱). و یروی الیعقوبی اخبار هذا الخارجی بشکل آخر فیقول ان محمد بن عمرو الشیبانی خرج بدیار ربیعه و ابو سعید محمد بن یوسف بها فخرج الیه مع الجند، و کان محمد بن عمرو فی ثلاثمائه أو أربعمائه من الخوارج فصار الی سنجار ثم انهزم الی ناحیه الموصل، فتبعه أبو سعید فاسره و ادخله نصیبین علی بقره، و حمله الی الواثق فکتب الیه: ما ینبغی ان یقتل، فانه لن یخرج خارجی مادام حیا، فلم یترک محبوسا فی ایام الواثق باللّه(۲).

و یظهر ان محمد بن عمرو اطلق من السجن او انه استطاع الهرب، لانه خرج ثانیه بناحیه الموصل فی سنه ۲۴۸ ه فی أیام المنتصر باللّه. فوجه الیه القائد اسحاق بن ثابت الفرغانی، فاخذه أسیرا مع عدد من أصحابه فقتلوا و صلبوا(۳). الا ان ابن الأثیر یشیر فی حوادث سنه ۲۵۲ ه الی ان محمدا المذکور قتل فی دیار ربیعه، قتله خلیفه لأیوب بن احمد فی ذی القعده(۴). و لعله و أهم فی ذلک لأنه سبق له أن أید روایه الطبری، الا ان یکون قد نجا من القتل فی سنه ۲۴۸ ه و هرب من السجن، أو ان الطبری و اهم فی تأریخ قتله و صلبه. علی ان المسعودی یذکر و ثوب خارجی آخر فی أیام المنتصر باللّه غیر محمد بن عمرو، هو ابو العمود الشاری الذی ظهر بالبوازیج قرب تکریت، و قد استفحل أمره اذ انضمت الیه جماعات من ربیعه و من الاکراد. فسرح الیه المنتصر باللّه جیشا علی رأسه القائد الترکی سیما، فکانت بین الفریقین عده مواقع تمکن الجیش بعدها من أسر الشاری فجی ء به الی سامرا. و یظهر ان

۱- الطبری ۹/ ۱۴۰، و الکامل ۷/ ۲۳ و جاء اسمه فیه محمد بن عبد اللّه الثعلبی، و لعلها مصحقه عن التغلبی.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۵، و الکامل ۷/ ۱۲۰.

۴- الکامل ۷/ ۱۷۶- ۱۷۷.

المنتصر باللّه عفا عنه و اطلق سراحه بعد ان اخذ عليه العهد و المواثيق بعدم الخروج ثانيه(۱). و لا يعرف ما اذا كان أبو العمود هذا هو نفسه محمد بن عمرو الذی سبقت الاشاره اليه. و يبدو ان المسعودی قد توهم فی التفصيلات، لا سيما و انه لم يذكر شيئا عن خروج ابن عمرو الشاری. كما ان مده خلافه المنتصر باللّه و هی سته أشهر، لا تتسع لقيام فتنتين فی نفس المنطقه. الا ان اختلاف مصير أبی العمود و اختلاف القائد الذی وجه اليه، و عفو المنتصر باللّه عنه. مما يستدعی التأمل فی روايه المسعودی.

و يشير ابن الاثير الی خارجی آخر اسمه طوق من بنی زهير خرج فی سنه ۲۵۷ ه فاجتمع اليه أربعه آلاف فسار الی أذرمه(۲)، فحاربه أهلها، الا انه استطاع ان يدخلها عنوه، و يظهر انه استباح المدينه. فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدوی جمعا كثيرا فحاربه و ظفر به فقتله و قطع رأسه و انفذه الی سامرا(۳).

علی ان اهم فتن الخوارج فی خلال هذه المده هی فتنه مساور بن عبد الحميد الشاری البجلی الموصلی و خلفه هارون بن عبد اللّه التی استمرت قرابه ثلاثين سنه، و فتنه حمدان بن حمدون التغلبی التی دامت أربعه عشر عاما.

مساور بن عبد الحميد البجلی:

ظهر لأول مره فی رجب سنه ۲۵۳ بالبوازيج، و هی بلد علی فم الزاب الأسفل حيث يصب فی دجله(۴). و كان من دهاقينها. و قد

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۳۷.

۲- أذرمه: بلده من ديار ربيعه قريبه من نصيبين، و هی من أعمال الموصل- معجم البلدان ۱/ ۱۳۱- ۱۳۲.

۳- الكامل ۷/ ۲۴۹.

۴- معجم البلدان ۱/ ۵۰۳.

اعتنق مـذهب الخوارج و اعلن العصيان لأـن صاحب الشـرطه. كما يـذكر ابن الاـثير، اخـذ ابنا لمساور اسـمه حوثره فحبسه فى الحديثه، و هى بليده صغيره كانت على الجانب الشرقى من دجله قرب الزاب الاعلى(۱). و كان حوثره فتى جميلا، فكان صاحب الشـرطه يخرجه من السـجن ليلا و يحضـره عنـده، ثم يرده الى الحبس نهارا. فغضب مساور لذلك و خرج و أيده جماعه فقصـد الحـديثه و اسـتولى عليهـا و اخرج ابنه من الحبس. فـاختفى صاحب الشـرطه و لم يظفر به مساور. و كثر اتباع مساور من العرب و الاـكراد فطمع بالاستيلاـء على الموصـل فسـار اليها و نزل بجانبها الشـرقى. و كان الوالى عليها آنـذاك عقبه بن محمـد بن جعفر الخزاعى، فخرج لمقاتلته. الا ان مساور كره القتال و آثر الانسحاب الى البوازيج، و كان ابنه معه فسمع يقول(۲):

أنا الغلام البجلى الشارى اخرجنى جوركم من دارى

و لمـا ادرك الخليفه المعـتز بـاللّه خطر فتنه مسـاور الخـارجى وجه اليه القائـد الـتركى سـاتكين لحربه، فهرب مسـاور نحو طريق خراسان. و كان المسؤول عن هذا الطريق بندار الطبرى قد علم بخبره فاسـتعد لملاقاته، و توجه نحوه بثلاثمائه فارس حتى اشرف على معسكره ليلا، فرأى اتباع مساور مشغولين بالصلاه. فأشار عليه بعض أصحابه بمباغتتهم، الا انه امتنع عن مهاجمتهم غيله.

فلما أحس مساور و اتباعه بالخطر بالسلاح فأشتبک الطرفان و تمكن مساور من ان يهزم جيش بندار، و تبعهم حتى لحق ببندار و تمكن منه فقتله، و فر من نجـا من أصـحاب بنـدار و يتراوح عـددهم بين مـائه و مـائه و خمسـين رجلاـ فسـار مساور باتباعه الى حلوان(۳)،

۱- نفس المصدر ۲/ ۲۳۰.

۲- الكامل ۷/ ۱۷۵.

۳- حلوان: مدينه فى اخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد فتحها العرب صلحا فى سنه(۱۹).- معجم البلدان ۲/ ۲۹۰.

یرید الاستیلاء علیها، فخرج الیه أهلها فقاتلوه و منعوه من دخول مدینتهم، فقال ابن مساور فی ذلک(۱):

فجعت العراق ببندارهاو حزت البلاد بأقطارها

و حلوان صبحتها غارهفقتلت أغرار غرارها

و عقبه بالموصل أحجرته و طوقته الذل فی کارها

و کان مساور قد استولی فی سنه ۲۵۴ ه علی أکثر أعمال الموصل و قوی أمره. فنهض لقتاله الحسن بن أیوب بن أحمد العدوی التغلبی، و کان خلیفه لابیه بالموصل، و معه خلق کثیر، فعبر الزاب، فانسحب مساور و نزل فی واد عمیق، فسار الحسن فی طلبه.

فالتقی به و اقتتلوا، فانهزم الحسن و عاد بعسکره الی الموصل مغلولا. فقوی شأن مساور و خافه الناس.

و رغم ان القائد نوشری خرج الیه فی رمضان و قتل من أصحابه عددا کبیرا، الا انه لم یستطع التغلب علیه. مما شجع مساورا علی أن یطمع بالاستیلاء علی الموصل، فقصدها و نزل بظاهرها عند الدیر الاعلی. فاستتر امیر البلد منه، و هو عبد اللّه بن سلیمان، لضعفه عن مقاتلته، کما لم یساعده أهل المدینه لمیلهم الی الخلاف.

فدخل مساور المدینه بغیر حرب، و لم یعرض لأحد من أهلها بسوء، سوی ان اتباعه احرقوا دار عبد اللّه بن سلیمان. و لما حل یوم الجمعه دخل مساور المسجد الجامع، فصعد المنبر و خطب علیه و قال فی خطبته: اللهم اصلحنا و اصلح ولاتنا(۲). و عند ما خطب و صلی جعل من أصحابه من یحرسه بالسیوف لانه لم یکن مطمئنا الی أهل الموصل لکثرتهم و عدم میلهم الیه فضلا عن حذرهم منه. و یظهر انه

۱- الکامل ۷/ ۱۸۰.

۲- نفس المصدر/ ۲۰۵.

لم يستطع المقام بها فتركها و سار الى الحديثه التى اتخذها مقرا له.

و قد استفاد مساور من الاضطراب السائد فى حاضره الخلافه بسبب الخلاف بين الخليفه و القواد الاتراك فاستولى على جزء من شمالى العراق و منع الاموال عن الخليفه فضاقت على الجند أرزاقهم(۱). فخرج اليه القائد يارجوخ الا ان مساورا هزمه.

و لما بلغ الخليفه المهتدى باللّه فى أول صفر سنه ۲۵۶ ه ان مساورا الشارى صار الى بلد فقتل من أهلها و أحرق منازلهم، عزم على تجريد حمله كبيره للقضاء عليه. فأمر كبير قواده موسى بن بغا و القائدين مفلحا و بايكبال بالخروج اليه. الا انهم لم يخرجوا لعدم اطمئنانهم الى نيه الخليفه تجاههم و خوفهم من اتفاقه مع غريمهم القائد صالح بن وصيف. الا انهم بعد ان ظفروا بصالح و قتلوه سار موسى و بايكبال لحرب مساور فى مستهل جمادى الاولى، و قد شيعهما الخليفه، الا افهما سرعان ما عادا الى سامرا لاضطراب الاحوال فيها.

و عند ما بويع الخليفه المعتمد على اللّه سير القائد مفلحا فى عسكر حسن العده الى قتال مساور و القضاء على تمرده، فلما قرب العسكر من الحديثه فارقها مساور و اتجه الى الجبال فتبعه جيش مفلح.

فالتقى الجيشان و اقتتلا، فهزم مساور و فر باصحابه صاعدين أحد الجبال و صاروا الى ذروته. فعسكر جيش مفلح فى سفح الجبل لحاصرتهم، فعمد مساور الى الخداع فأمر أصحابه بايقاد النيران و ان يركزوا رماحهم ليوهم جيش مفلح بانهم معسكرون فوق الجبل، ثم هبط بهم من الجهه الاخرى من الجبل و مضى هاربا لضعف أصحابه و لكثره ما أصابهم من الجراح(۲).

۱- نفس المصدر/ ۲۲۶.

۲- الطبرى ۹/ ۴۵۵- ۴۵۶، و الكامل ۷/ ۲۲۷.

عـاد القائـد مفلـح الى الموصل و أخـذ يتهيأ للخروج للقاء مساور الـذى كان قـد عاد الى الحـديثه، فلما اقترب جيش مفلـح منها، تركها مساور و توغل باتباعه فى الجبال و الوديان، فاستعصـى على مفلح الظفر به، فعاد و قد اصاب جيشه الارهاق. فارسل مساور جماعه من أصـحابه لملاحقه الجيش المنسـحب، حتى وصل مفلـح الى الحـديثه. الا ان هجمات أصـحاب مساور اضـطرته على تركها و الانحدار فى أول شهر رمضان سنه ۲۵۶ ه الى سامرا، مما ساعد مساورا على فرض هيمنته على المنطقه و جبايه خراجها، فاشتد أمره و قوى شأنه(۱).

و اسـتطاع مساور ان يظفر فى سنه ۲۶۱ ه بوالى خراسـان يحيى بن جعفر فقتله(۲)، فشـخص القائد مسرور البلخى فى طلبه، فهرب مساور و لم يستطع اللحاق به. و قد توفى مساور فى سنه ۲۶۳ ه و هو فى طريقه الى لقاء الجيش الذى وجه من سامرا لحربه(۳).

يسـتخلص مما ذكرناه عن مساور الشارى انه خرج عاصـيا على الدوله انتقاما لسوء تصـرف صاحب الشـرطه، و انه لم يكن له من المؤيدين و الاتباع ما يساعده على ان يستثمر تغلبه على الحملات العسكريه التى وجهت اليه. و انه كان شجاعا لا ينقصه المكر و الخديعه، و انه كان ينهج حرب العصابات، فكان يهاجم مكانا ما فيقتل و يحرق و ينهب ثم يهرب. و بقى يظهر بين مده و أخرى فى أماكن مختلفه حتى توفى و هو يستعد لمحاربه أحد الجيوش التى وجهت اليه.

۱- الكامل ۷/ ۲۲۷.

۲- الكامل ۷/ ۲۸۸، و الطبرى ۹/ ۵۱۲، و جاء فيه اسم والى خراسان يحيى بن جقص.

۳- الطبرى ۹/ ۵۳۲، و الكامل ۷/ ۳۰۹.

حمدان بن حمدون التغلبی:

أما الخارجی الآخر الذی استمر مده طویله أیضا فهو حمدان بن حمدون التغلبی. و قد انتصر لهارون الشاری فی بعض معارکه. و سار الیه أول خروجه فی أول رمضان سنه ۲۶۷ ه والی الموصل اسحاق بن کنداج فهزمه و اتباعه الی نصیبین، و تبعهم الی قرب آمد، و جرت بین الطرفین معارک لم تکن حاسمه، و یظهر ان حمدانا و اتباعه استطاعوا الافلات من ابن کنداج فلم یظفر بهم(۱).

و کان حمدان قد دخل الموصل بمعیه هارون الشاری، الا انهما ما لبثا ان خرجا منها. و ظل حمدان یقارع الجیوش التی ترسل الی محاربته، حتی خرج الیه الخلیفه المعتضد باللّه فی سنه ۲۸۱ ه، و کان حمدان قد التجأ الی قلعه ماردین. فلما بلغه مجی ء المعتضد باللّه هرب منها فاستولی الجیش علی ما فیها من الاموال و الاثاث و هدمها. و توجهت ثله من الجند خلف حمدان، فطلبوه حتی ظفروا به، فأمر الخلیفه بحبسه(۲).

هارون بن عبد اللّه البجلی:

عند ما توفی مساور الشاری کتب اصحابه الی محمد بن خرزاد الخارجی بشهرزور لیولوه أمرهم فامتنع، فبایعوا أیوب بن حیان البجلی. الا ان ابن خرزاد ما لبث ان ارسل الی اصحاب مساور یعلمهم بموافقته علی ان یتولی أمرهم. فاجابوه انهم بایعوا ابن حیان البجلی و لا یغدرون به، فسار ابن خرزاد الیهم و قاتلهم، فقتل ابن حیان، فبایع اصحابه محمد بن عبد اللّه الوارقی المعروف بالغلام فقتل أیضا، فبایعوا بعده هارون بن عبد اللّه الجبلی الذی

۱- الطبری ۹/ ۵۸۷، و الکامل ۷/ ۳۶۲.

۲- الطبری ۱۰/ ۳۸.

استطاع ان یهزم ابن خرزاد و ان یستولی علی أعمال الموصل و یجبی خراجها(۱).

ثم تجدد النزاع بین محمد بن خرزاد و هارون البجلی. و کان ابن خرزاد زاهدا خشن العیش، یلبس الصوف الغلیظ و یرقع ثیابه، و لذلک انفض عنه أغلب اتباعه. و کان هارون قد کاتبهم و استمالهم الیه فاتاه منهم الکثیرون. و لم یبق مع ابن خرزاد غیر أبناء عشیرته، فضعف أمره، و ما لبث أن قتل فی أحد معارکه مع الا-کراد فی منطقه شهرزور. فانفرد هارون البجلی بالرئاسه علی الخوارج، فقوی شأنه و کثر اتباعه، و تغلب علی القری و الرساتیق، و جعل علی دجله من یأخذ الزکاه من الاموال المتحدره و المصعده، و بث نوابه فی الرساتیق یأخذون العشر من الغلات(۲).

و استطاع هارون ان یدخل مدینه الموصل بمعاونه حمدان بن حمدون التغلبی الخارجی. و صلی هارون بالناس فی جامع المدینه.

الا-ان بنی شیبان کانوا قد تجمعوا فی بعض جهات الموصل، فجمع هارون اتباعه لمقاتلهم. و کتب الی حمدان التغلبی یطلب نجدته، فسار الاثنان الی نهر الخازر فاصطدما بتجمع بنی شیبان و اشتبکا صعهم فی قتال هزم فیه هارون و صاحبه حمدان و اتباعهما.

استمر هارون الشاری خارجا علی الدوله حتی عهد المعتضد باللّه، فخرج الیه بنفسه الی الموصل فی سنه ۲۸۳ ه، و انتدب الحسین بن حمدان التغلبی لحربه. فاشترط الحسین علی الخلیفه ان هو جاء بهارون ان یطلق سراح ابیه حمدان الذی سبق ان ظفر به المعتضد باللّه قبل سنتین و سجنه، فوافق الخلیفه علی ذلک. و من الواضح ان المعتضد باللّه اختار الحسین لهذه المهمه لانه کان بمعیه أبیه الخارجی مده، و کان أبوه یتعاون مع هارون الشاری، و لذا

۱- الکامل ۷/ ۳۰۹- ۳۱۰.

۲- الکامل ۷/ ۳۵۹- ۳۶۰.

فـانه كـان على معرفه بكمائن الشـراه و مخابئهم و أساليب القتال التى يتبعونها. و لم يخيب الحسـين ظن الخليفه به، فطارد هارون الشارى و اتباعه و اشتبک معهم و هزمهم و ظفر بهارون و جاء به أسيرا بغير عهد و لا عقد(۱).

و لما تم القبض على هارون الشارى انصرف المعتضد راجعا الى مدينه السلام، و خلع على الحسين بن حمدان و طوقه بطوق من ذهب، و أمر بفک قيد أبيه حمدان و التوسعه عليه و الاحسان اليه، ثم اطلق سراحه.

۱- الطبرى ۱۰/ ۴۴.

الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه

اشاره

۱- المعتزله و أهل السنه.

۲- المعتصم باللّه و المحنه.

۳- المحنه فی عهد الواثق باللّه.

۴- نهایه المحنه.

الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه

الفصل الأول المعتزله و أهل السنه

١- مقدمه:

المعتزله طائفه من المسلمين يسمون بأصحاب العدل و التوحيد.

و تتلخص عقيدتهم بان اللّه تعالى قديم، و القدم أخص صفاته، و هو عالم قادر وحى بذاته، و انه لا يرى يوم القيامه بالابصار، و نفوا عنه التشبيه من كل وجه. و ان كلامه، أى القرآن، مخلوق محدث و ليس أزليا، و سموا هذا النمط توحيدا. و ان الانسان قادر على أفعاله من خير أو شر و لذا فهو يستحق فى الدار الآخره على أفعاله ثوابا أو عقابا. و ان اللّه تعالى منزه عن أن يضاف اليه شر أو ظلم و انه لا يفعل الا الخير و الصلاح، و سموا هذا النمط عدلا. و ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعه و توبه فانه يستحق الثواب، و اذا خرج من غير توبه عن كبيره ارتكبها استحق الخلود فى النار، و لكن عقابه أخف من عقاب الكافر، و هذا ما يعبرون عنه بالمنزله بين المنزلتين، أى انه لا مؤمن و لا كافر، و سموا هذا النمط و عدا و وعيدا. و هم يدعون الى اقامه حكم اللّه على من يخالف أوامره

و نواهیه، و ذلک هو النهی عن المنکر. و بهـذا تقوم عقیـده المعتزله علی الاعتقاد بالعـدل و التوحیـد و الوعـد و الوعیـد و القول بالمنزله بین المنزلتین و الامر بالمعروف و النهی عن المنکر.

و سـموا معتزله لاـن رأسـهم واصـل بن عطاء کان یجلس الی الحسن البصـری فی حلقات الـدرس، فلما نشب الخلاف فی الرأی حول مرتکب الکبـائر، فقـالت الخوارج بکفره، و قـالت الجمـاعه بـانه مؤمن و ان فسق، قال واصل ان الفاسق من هـذه الامه لیس مؤمنـا و لاـ کـافرا، بـل هو فی منزله بین المنزلتین. فطرده الحسن من مجلسه، فـاعتزل واصـل عنه، فـاطلق علیه و علی اتبـاعه ممن یقولون قوله اسم المعتزله(۱). و بالنظر لایمان المعتزله بحریه الرأی فقد تعددت اراؤهم حول القواعد الاساسیه لمذهب الاعتزال، باختلاف اجتهاد البارزین منهم.

و مع تعدد فرق المعتزله فهم متفقون علی عدد من العقائد أهمها(۲):

۱- نفی الصفات عن الخالق عز و جل و استحاله رؤیته بالابصار.

۲- ان کلام اللّه محدث مخلوق.

۳- الفاسق من المسلمین لا مؤمن و لا کافر، و انما هو بمنزله بین المنزلتین.

۴- ان کل ما أمر اللّه به أو نهی عنه من أعمال لم یشاء اللّه منها شـیئا، لانه خلق الاجسام و لم یخلق شیئا من الاعراض، أی انه لم یخلق أفعال العباد و انما هم یفعلون أعمالهم بالقدره التی خلقها اللّه فیهم.

۱- راجع عن المعتزله و نشوئهم و فرقهم: الملل و النحل ۱/ ۴۳- ۸۵، و ثمرات الاوراق ۱/ ۱۶، و الفرق بین الفرق/ ۶۷- ۱۲۲.
۲- الفرق بین الفرق/ ۶۸- ۶۹.

۵- ان اللّه تعالی شی ء لا کالاشیاء و انه خلق کل ما خلقه من لا شی ء.

و کان مذهب الاعتزال قد ظهر فی أیام الخلیفه الاموی عبد الملک بن مروان، و لم یزل ینمو و یتزاید اتباعه الی أیام الخلیفه المأمون العباسی الذی اعتنق هذا المذهب و اظهر القول بخلق القرآن، و حاول ان یجعل الاعتزال مذهب الخلافه الرسمی.

أما خلاصه عقیده أهل السنه فی القرآن الکریم فقد لخصها ابن دحیه بما یلی: ان القرآن کلام اللّه عز و جل، صفه ذاته و هو سبحانه متکلم به. نزل به جبریل علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فدعاه عنه و بلغه بلسانه العربی. و انه فی المصاحف مثبوت، و فی القلوب محفوظ، و بالآذان مسموع، و بالاصوات متلو، و بالافهام مفهوم، و بالحروف و الاشکال و الاصباغ مخطوط، و بالالفاظ مقروء، فمکتوبه و مخطوطه و مسموعه و متلوه و محفوظه و مقروءه، حقیقه کلام اللّه عز و جل غیر محدث و لا مخلوق و لا مجعول. و ان کل تلک الصفات محدثه کائنه بعد ان لم تکن، مختلفه متغایره فانیه، و کلام اللّه باق واحد ثابت لا یزول و لا یحول و لا یبدل(۱).

و قد اتفق جمهور اهل السنه و الجماعه علی أصول أرکان الدین، و أهمها(۲):

۱- ان العالم کل شی ء هو غیر اللّه عز و جل، و ان کل ما هو غیر اللّه تعالی و غیر صفاته الأزلیه مخلوق مصنوع، و ان صانعه لیس بمخلوق و لا مصنوع. و ان الحوادث کلها لا بد لها من محدث صانع، و ان صانع العالم خالق الأجسام و الأعراض خیرها، و شرها.

۲- ان علم اللّه تعالی و قدرته و حیاته و ارادته و سمعه و بصره و کلامه صفات أزلیه له و نموت أبدیه.

۱- النبراس/ ۷۱- ۷۲.

۲- للمزید من التفصیلات راجع الفرق بین الفرق/ ۱۹۴- ۲۱۷.

۳- ان مآخذ أسماء اللّه تعالى و أوصافه، التوقيف عليها أما بالقرآن أو بالسنه الصحيحه و أما باجماع الأمه عليه، و لا يجوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس.

۴- الفرق بين الرسول و النبى، ان كل من نزل عليه الوحى من اللّه تعالى على لسان ملك من الملائكه و كان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضه للعادات فهو نبى. و من حصلت له هذه الصفه و خص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعه كانت قبله فهو رسول. و ان المعجزه أمر يظهر بخلاف العاده على يدى مدعى النبوه مع تحديه قومه بها و مع عجز قومه عن معارضته بمثلها، على وجه يدل على صدقه.

۵- ان اركان شريعه الاسلام خمسه: شهاده ان لا اله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه، و اقامه الصلاه، و ايتاء الزكاه، و صوم رمضان، و حج البيت الحرام. و من اسقط وجوب ركن منها أو تأويله فهو كافر. و ان الايمان هو المعرفه و التصديق بالقلب.

۶- ان أفعال المكلفين خمسه: واجب و محظور و مسنون و مكروه و مباح. فالواجب ما أمر به اللّه تعالى على وجه اللزوم و تاركه مستحق العذاب. و المحظور ما نهى اللّه تعالى عنه و فاعله يستحق العقاب. و المسنون ما يثاب عليه فاعله و لا يعاقب تاركه. و المكروه ما يثاب عليه تاركه و لا يعاقب فاعله.

و المباح ما ليس فى فعله ثواب و لا عقاب.

۷- ان اللّه سبحانه و تعالى قادر على افناء جميع العالم جمله، و على افناء بعض الاجسام مع بقاء بعضها.

۸- ان الخلافه و الامامه فرض واجب على الأمه و ان طريق عقد الامامه للامام الاختيار بالاجتهاد.

۲- بدایه المحنه فی أیام المأمون:

ان تمسک أهل السنه بنصوص القرآن و السنه النبویه، و قولهم بأن الایمان لیس بحاجه الی غیرهما، و ان الاعتماد علی النظر و العقل قد یوصل الی الالحاد، یجعلهم علی طرفی نقیض من مبادی ء المعتزله التی تقوم علی العقل و النظر. مما أدی الی ذلک الصراع العنیف بین الفریقین حول القول بخلق القرآن. فقد کتب الخلیفه المأمون فی ربیع الاول سنه ۲۱۸ ه، و هی السنه التی توفی فیها، و کان علی رأس حمله عسکریه فی بلاد الروم، الی خلیفته بمدینه السلام اسحاق بن ابراهیم المصعبی، یأمره بامتحان القضاه و المحدثین، و خلاصه کتابه(۱): ان السواد الاعظم من الرعیه أهل جهاله باللّه، و ضلاله عن حقیقه دینه و توحیده، و انهم ساووا بینه تبارک و تعالی و بین ما انزل من القرآن. فاتفقوا علی ان القرآن قدیم أول لم یخلقه اللّه و لم یحدثه. و ینسب هؤلاء أنفسهم الی أهل السنه. و طلب الیه ان یجمع القضاه و یمتحنهم فیما یقولونه فی خلق القرآن و احداثه، فان أقروا بذلک کانوا علی سبیل الهدی و النجاه، و علیهم ان لا یقبلوا شهاده من لم یقر بان القرآن مخلوق محدث. و أمره أن یکتب الیه بما یحصل من ذلک.

ثم کتب المأمون بعد ذلک الی اسحاق کتابا ثانیا خلاصته(۲): ان من واجب أمیر المؤمنین أن یجهد للّه نفسه، و یهدی من زاغ عنه، و ان یقف رعیته علی حدود ایمانهم و سبیل فوزهم. و ان أمیر المؤمنین رآی ما ینال المسلمین من القول فی القرآن الذی جعل اللّه اماما لهم، و اشتباهه علی کثیر منهم بأنه غیر مخلوق. مما أدی الی الثلم بالدین و الاعتراف بالتبدیل و الالحاد. و طلب الیه أن یمتحن قاضیی بغداد و سائر القضاه فی عمله، فلا یبقی أحدا منهم ما لم یقر

۱- نص الکتاب فی الطبری ۸/ ۶۳۱- ۶۳۴.

۲- نص الکتاب فی الطبری ۸/ ۶۳۴- ۶۳۷.

بأن القرآن مخلوق. و ان يطلب اليهم ان يمتحنوا من يحضر مجالسهم للشهاده، و ان لا يقبلوا شهاده من لم يقر بذلك.

فدعا اسحاق بقضاه بغداد و فقهائها و ينوف عددهم على العشرين(۱)، فمنهم من أجاب و منهم من امتنع و منهم من راوغ فى جوابه. فكتب اسحاق بجواب كل منهم الى الخليفه المأمون. فكتب الخليفه الى اسحاق كتابا ثالثا(۲). و فيه رد المأمون على من لم يجب.

و ابرز عيوبهم و الماخذ عليهم و طلب الى اسحاق أن يعاود امتحانهم، و من لم يرجع منهم عن شركه، يشخصهم موثقين الى أمير المؤمنين ليرى فيهم رأيه. و قد انفذ الخليفه هذا الكتاب فى خريطه بنداريه- أى بالبريد المستعجل- فأجاب القوم كلهم عدا أحمد بن حنبل و محمد بن نوح، فقيدا بالحديد و وجها الى طرسوس. الا ان المأمون كان قد مات قبل وصولهما اليه، فاعيدا الى مدينه السلام.

و كان صاحب الخبر قد أبلغ المأمون ان بشر بن الوليد، و هو أحد الفقهاء الذين أقروا بخلق القرآن، قد تأول الآيه الكريمه «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ»(۳). أى انه أقر بخلق القرآن تقيه خوفا من البطش به. فكتب المأمون الى اسحاق بانهم أخطأوا تأويل الآيه الكريمه، و انما عنى اللّه تعالى بها من كان معتقد الايمان مظهر الشرك، فليست هذه لهم. و طلب اليه ان يشخصهم جميعا الى طرسوس، فاشخصهم اليه. فلما وصلوا الرقه بلغتهم وفاه المأمون، فاعادهم و اليها عنبسه بن اسحاق الى مدينه السلام.

و يبدو ان المأمون كان يستهدف من اظهار مذهب الاعتزال ان يضعف نفوذ الفقهاء و سلطانهم على عامه الناس.

۱- أورد الطبرى اسمائهم فى ۸/ ۶۳۷.

۲- نص الكتاب فى الطبرى ۸/ ۶۴۰- ۶۴۴.

۳- سوره النحل، الايه: ۱۶۰.

الفصل الثانی المعتصم باللّه و المحنه

۱- المعتصم باللّه يناصر المعتزله:

كان أبو اسحاق قد ولاه المأمون على مصر منذ سنه ۲۱۴ ه، فكتب الى كيدر و هو خليفته فى مصر، بأن أخاه أمير المؤمنين عبد اللّه المأمون أمره بأن يكتب الى قضاه عمله بامتحان من يحضرون للشهاده، فمن أقر منهم بان القرآن مخلوق و كان عدلا قبلت شهادته، و من امتنع أسقطت شهادته. كما طلب اليه ان يمتحن القضاه بذلك أيضا، فمن قال ان القرآن مخلوق أقره بموضعه، و من رفض أمره باعتزال عمله، و أوعز اليه بمثل ذلك فيما يتعلق باهل الفقه و الحديث(۱).

و لما بويع المعتصم باللّه بالخلافه جعل أحمد بن أبى دواد رئيس قضاته، و اتخذه مستشارا له فى كل أموره، حسب ما أوصاه به أخوه المأمون. و ابن أبى دواد هذا كان رأس القائلين بخلق القرآن. و المعتصم باللّه شبه أمى لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين القرآن. و المعتصم باللّه شبه أمى لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين أو فقهه، لا سيما ما يقول به المعتزله من الآراء. و لذا فقد وقع

۱- نص الكتاب فى كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۴۵- ۴۴۷.

تحت تـأثير رئيس قضاته من جهه، كما انه رغب أن لا يكون أقل اهتماما من أخيه بهـذه الـدعوه من جهه أخرى و بخاصه انه قد قال له فى وصـيته: و خذ بسيره أخيك فى القرآن. و لذا فقد استمر على نهج المأمون بأن جعل الاعتزال مذهب الخلافه الرسمى، و فى امتحان رجال الدين بخلق القرآن. و امر المعلمين ان يعلموا الصبيان ذلک(۱).

كما أمر بمناظره أحمد بن حنبل.

۲- المحنه و أحمد بن حنبل:

يعتبر الامام أحمد بن حنبل أقوى من تصدى للمحنه من رجال الفقه و الحديث. و قد أصبح أبرز فقهاء أهل السنه بعد وفاه الامام محمد بن أدريس الشافعى. و بعد ان قضـى فى السـجن ما ينوف على السـنتين اخرجه المعتصم باللّه لامتحانه مجددا طمعا فى ان يلين و يقر بخلق القرآن. فعقد له مجلسا لمناظرته حضره قاضى القضاه أحمد بن أبى دواد و قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحاق و غيرهما من رجال الـدين المعتزله. فناظروه ثلاثه أيام فلم يقر بـذلک. فأمر الخليفه به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله و تقطع جلده(۲).

الا ان لليعقوبى رأيا آخر فى موقف أحمد بن حنبل من المحنه.

فهو يقول انه امتنع أول الأمر عن أن يقول بان القرآن مخلوق فضـرب عده سياط. فطلب اسحاق بن ابراهيم الى الخليفه ان يسمح له بمناظرته لعله يسـتطيع ان يقنعه بتغيير رأيه. فحاجه اسـحاق و استدرجه الى ان يعترف بانه لا يعلم كل شى ء، و ان ما يعلمه من أمور قـد تعلمه بالتدريـج، و انه لا يزال يجهل أمورا كثيره. و اقنعه اسـحاق بان ما لم يعلمه قد علمه أمير المؤمنين. فقال ابن حنبل انى أقول بقول أمير المؤمنين فى خلق القرآن، فاشهد اسحاق على قوله،

۱- تأريخ الخلفاء/ ۳۳۵.

۲- الكامل ۶/ ۴۴۵.

و خلع علیه و اطلقه الی منزله(۱). و یؤید هذا ان الجاحظ قال فی رساله له بعنوان «فضیله المعتزله» طبعت علی هامش کتاب الکامل للمبرد فی سنه ۱۳۲۴ ه، ان أحمد بن حنبل لم یضرب سوی ثلاثین سوطا مقطوعه الثمار، مشعبه الأطراف، حتی أفصح بالاقرار مرارا(۲). و لکن ابن دحیه یقول: ان هذا القول لا یصح، و هی حکایه مفتعله من بعض سفله المعتزله، ثم یصف طریقه ضرب ابن حنبل، و کیف ان المعتصم باللّه کان یهیب بالجلادین ان یوجعه ضربا، و یطلب منه بین آن و آخر ان یجیب الی ما یدعوه الیه فلا یرضی، و ان ضربه استمر حتی فقد وعیه(۳).

ان دعوی اقرار الامام احمد بن حنبل التی قال بها الیعقوبی و الجاحظ تناقض ما اجمعت علیه المصادر الاخری من انه رفض القول بخلق القرآن رغم سجنه و ضربه، و قد عرف الامام أحمد بصلابه رأیه و انه فضل الموت لما حمل مقیدا الی الخلیفه المأمون بطرسوس، علی القول بذلک. کما انه کان یدرک اهمیه موقفه من دعوه المعتزله، و تأثیره علی أهل السنه. و قد لام الفقهاء السبعه الذین أجابوا بالموافقه، فقال: لو انهم صبروا و قاموا للّه لکان انقطع الامر و حذرهم الرجل- یعنی المأمون- و لکن لما أجابوا، و هم عین البلد، اجترأ علی غیرهم(۴). و یرجح ان ما اورده الیعقوبی و الجاحظ موضوع من قبل المعتزله أو غیرهم من مناوئی أحمد بن حنبل، للحط من منزلته من جهه، و انتصارا لموقف السلطه و تأییدا لدعوتها الی القول بخلق القرآن.

۱- تفصیل ذلک فی تأریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۲.

۲- أحمد بن حنبل و المحنه/ ۱۴.

۳- النبراس/ ۶۸- ۶۹.

۴- أحمد بن حنبل و المحنه/ ۱۰۹.

على ان امر المحنه كـان فى عهـد المعتصم باللّه سـهلا، اذ لم يكن الناس يلزمون بالقول بخلق القرآن(۱). و يظهر ان الامر اقتصر على القضاه و الفقهاء و المحدثين و الشهود.

و لأبن الأثير تسـلسل تاريخى طريف فى نشوء فكره القول بخلق القرآن يـذكره عند ما يشـير الى وفاه أحمد بن أبى دواد، فيقول عنه و انه أخذ ذلك عن بشـر المريسـى، و اخذه بشر عن الجهم بن صفوان، و انه أخذ ذلك عن بشد المريسى، و اخذه بشد عن الجهم بن صفوان.

و أخذه الجهم عن الجعد بن أدهم، و أخذه الجعد عن ابان بن سمعان، و أخذه ابان عن طالوت ابن أخت لبيد الأعصم و ختنه، و أخذه طالوت عن لبيد اليهودى الذى سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم، و كان لبيد يقول بخلق التوراه، و أول من صنف فى ذلك طالوت و كان زنـديقا فافشـى الزندقه(۲). و هـدف ابن الأـثير من هـذا التسـلسل اعتبـار القول بخلق القرآن رأيـا يهوديا، يقول به الزنادقه، و من ثم فهو دخيل على الاسلام و القول به كفر.

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۵۱.

۲- الكامل ۷/ ۷۵.

الفصل الثالث المحنه فی عهد الواثق باللّه

۱- التشدد فی المحنه:

أخـذ الخلیفه الواثق بـاللّه بمبـادی ء الاـعتزال. اذ کـان قـد الزم نفسه بتقلیـد عمه المأمون فی ادخاله فانساق فی دعوته علی حمل الناس علی القول بخلق القرآن من جهه، کما انه وقع تحت تأثیر ابن أبی دواد من جهه أخری. فناصـر المعتزله فی نشـر آرائهم. و بلغ من تأییده لهم و تعصبه لآرائهم انه أمر بحصر الوظائف الدینیه فیهم.

بل انه عند ما اتفق مع الروم علی مفاداه اسـری العرب لدیهم، أمر بأن یمتحن الاساری فمن قال بخلق القرآن و ان اللّه لا یری فی الاخره فودی به، و من لم یقل بذلک ترک فی أیدی الروم. کما سبق أن أمر بامتحان أهل الثغور و أمر بضرب أعناق من لم یقل بخلق القرآن(۱).

و یلاحظ ان النزاع بین المعتزله و خصومهم انحصـر فی موضوع القول بخلق القرآن دون آراء المعتزله الاخری کالعـدل الالهی و حریه الاراده و مسؤولیه الانسان عن أعماله، و غیر ذلک. و ذلک لأن هـذا الموضوع یسـیر الفهم فلا یحتاج الی عمق فی التفکیر أو مزید من

۱- الطبری ۹/ ۱۴۱، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۲.

العلم. فهو يتلخص فى أن القرآن و ان كان كلام اللّه تعالى فانه مخلوق و ليس أزليا مثله. اذ ان ما القى فى اذن الرسول صلى اللّه عليه و سلم من كلام اللّه تعالى، عند نزول الوحى عليه، لم يكن هو صوت الخالق عز و جل، بل انه كلام خلقه اللّه تعالى و ظهر بارادته بصوره غير مباشره، و هو يتفق فى وضعه و فحواه مع ارادته تعالى.

و على هذا فانه من مخلوقات اللّه تعالى الماديه مثل غيره من المخلوقات الاخرى، و ليس فكرته الأبديه التى هى جزء من حقيقته لا تنفصل عنه. و هذا يناقض رأى أهل السنه الذين يقولون ان كلام اللّه تعالى صفه أبديه ملازمه له لا بدايه له و لا نهايه، و هو فى ذلک مثل الخالق نفسه. و لذا فان القرآن الذى هو كلام اللّه تعالى أوحاه الى رسوله الكريم لم يحدث فى مجرى الزمن، بل انه وجد منذ الأزل، أى انه وجد بوجوده تعالى، و لذا لا يمكن أن يكون مخلوقا.

على الرغم من بساطه الموضوع و عقم نتائجه، فان اهتمام السلطه و الرأى العام به مما يدل على التقدم الثقافى الذى وصل اليه المجتمع العربى فى عهد الواثق باللّه فى سامرا. و مع ان المعتزله اتيح لهم ان يستخدموا سلطه الخلافه فى فرض آرائهم على الناس، فانهم لم ينجحوا فى النهايه، لأن عددا غير قليل من العلماء و الفقهاء، اظهروا استقلالا فكريا و شجاعه أدبيه فى مناهضه هذه الآراء، و لأن المحافظين من رجال الدين كان لهم نفوذ كبير على عامه الناس.

لقد قام الاعتزال أصلا على الاجتهاد و الرأى، و شأنه فى ذلک شأن المذاهب الاسلاميه الاخرى. فهى تختلف فى عديد من القضايا الفقهيه، غير ان خلافاتها لم تتعد المساجله و المناقشه و حشد الآيات القرآنيه و الاحاديث النبويه لتأييد وجهه نظرها. أما دعاه الاعتزال فقد أخذوا مخالفيهم بالشده و العنف، بل بالسجن و التعذيب و القتل أيضا. و انهم و سموا بالكفر كل من لم يقل بمقولتهم. و هذا مما يدعو الى الاستغراب، اذ اوقع المعتزله أنفسهم بتناقض واضح بين دعوتهم الى التمسک بالمبادی ء العقليه و الدفاع عن حريه الرأى،

و ممارستهم التعصب الأعمى باضطهاد مخالفيهم، و عدم التسامح معهم. و الواقع انهم اساءوا استخدام السلطه فى فرض آرائهم على الآخرين، مما كان له رد فعل واضح. فقد ناهض عدد من الفقهاء و العلماء هذه الدعوه رغم ما تعرضوا له من اضطهاد و تنكيل وصل ببعضهم الى السجن و بالبعض الآخر الى القتل.

كان أمر المحنه فى أيام المعتصم باللّه سهلا اذ لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أم أبوا، فلما استخلف الواثق باللّه أمر أن يؤخذ الناس بها بالشده(۱). و يقال ان قاضى قضاته ابن ابى دواد قد استولى عليه و حمله على التشدد فى المحنه(۲). و قد أمر القضاه فى سائر الامصار ان لا يقبلوا شهاده من لم يقل بخلق القرآن(۳). فقد ورد فى سنه ۲۳۱ ه كتاب الواثق باللّه على أمير البصره بامتحان الأئمه و المؤدبين بخلق القرآن(۴). و جاء فى كتاب الولاه و القضاه انه لما ورد كتاب الخليفه الواثق باللّه على قاضى مصر محمد بن ابى الليث بامتحان الناس أجمع، لم يبق فقيه و لا محدث و لا مؤذن و لا معلم حتى أخذ بالمحنه، فهرب كثير من الناس، و ملئت السجون ممن انكر المحنه، و أمر ابن ابى الليث بأن يكتب على المساجد: لا اله الا اللّه رب القرآن المخلوق. فكتب ذلک على المساجد بفسطاط مصر.

و منع الفقهاء من أصحاب مالک و الشافعى من الجلوس فى المسجد و أمرهم ان لا يقربوه(۵).

و يبدو ان الناس فى مصر أخذوا بصنف و ألزموا القول بخلق القرآن بتأثير الجو الارهابى الذى أحدثه القاضى ابن ابى الليث.

و قد أورد صاحب كتاب القضاه و كتاب الولاه أمثله على ذلک. اذ

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۵۱.

۲- تأريخ بغداد ۱۴/ ۱۸، و تأريخ الخلفاء/ ۳۴۱.

۳- مروج الذهب ۴/ ۳۱۹.

۴- شذرات الذهب ۱/ ۴۰۸، و العبر ۲/ ۶۹.

۵- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۵۱.

روى عن نصر بن مرزوق انه قال: كنت جالسا فى المسجد فسمعت ضوضاء و رأيت الناس قد جفلوا فنظرت فاذا هارون بن سعيد الأيلى و طيلسانه تحت عضده و عمامته فى رقبته، و مطر غلام القاضى ابن ابى الليث يسوقه بعمامته، و هارون ينادى بأعلى صوته القرآن كذا و كذا، ثم اخرجه من المسجد يطاف به فى الطرق(۱). كما يذكر اسماء عدد من العلماء الذين هربوا من مصر لأنهم امتنعوا عن القول بخلق القرآن(۲).

و من طريف ما يروى عن الحارث بن مسكين و قد امتحن على عهد الواثق باللّه، فقيل له أتشهد ان القرآن مخلوق؟ قال:

قال: أشهد ان التوراه و الانجيل و الزبور و القرآن هذه الأربعه مخلوقه، و قد مد أصابعه الأربع، فعرض بها و كنى عن خلق القرآن، و خلص مهجته من القتل(۳).

۲- محنه أحمد بن نصر الخزاعى:

ان الفقهاء و غيرهم من رجال الدين الذين رفضوا القول بخلق القرآن و تحملوا الطرد من وظائفهم و السجن و التعذيب، لم يتوقفوا عن تحدى السلطه و معارضه دعوتها. و قد تمثلت هذه المعارضه فى أيام الواثق باللّه بفقيه من فقهاء بغداد هو احمد بن نصر بن مالك الخزاعى، و هو اخو ثابت بن نصر الخزاعى الذى كان أميرا على الثغور مده سبع عشره سنه و قد حسن أثره فيها(۴).

و كان أحمد بن نصر قد سبق له أن تزعم المتطوعين الذين بايعوه على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لمقاومه أهل الشر و الفساد ممن

۱- نفس المصدر/ ۴۵۱- ۴۵۲.

۲- نفس المصدر/ ۴۵۳.

۳- العقد الفريد ۲/ ۴۶۵.

۴- تأريخ بغداد ۷/ ۱۴۲.

استغلوا ضعف السلطه ببغداد أيام الحرب بين الأمين و المأمون فعاثوا فى البلد فسادا. و استطاع ابن نصر و اتباعه حينذاك ان يعيدوا الأمن الى نفوس الناس و يطمئنوهم على أموالهم. و لذلک تيسر له ان يقود حمله ضد الدعوه الدينيه الجديده التى يدعو اليها الخليفه و قاضى قضاته.

و قد بدأت دعوه ابن نصر هذه مثل غيرها، تنتشر بصوره سريه فى أول الأمر و قد ساعدته ظروف معينه على كسب مزيد من الاتباع. و لعل أهم تلک الظروف هى شخصيته نفسه، فان نسبه يتصل بكعب بن عمرو الذى ورد ذكره فى الحديث الشريف «نزل القرآن على لغه الكعبين، كعب بن لؤى و هو ابو قريش، و كعب بن عمرو و هو ابو خزاعه»(۱) و كان جده مالک الخزاعى أحد نقباء الدعوه العباسيه، مما جعل له منزله مميزه فى مجتمع بغداد. يضاف الى ذلک انه من أهل العلم و الحديث، أمار بالمعروف قوال بالحق و داع اليه. فكان يشنع على القائلين بالدعوه الجديده. فقد روى عنه انه قال(۲): رأيت مصابا قد وقع فقرأت فى اذنه فكلمتنى الجنيه من جوفه فقالت: يا أبا عبد اللّه باللّه دعنى أخنقه فانه يقول القرآن مخلوق. كما كان يطلق لسانه فى الطعن بالخليفه و حاشيته، و يقول: ما دخل عليه أحد يصدقه.

و جاء فى تاريخ اليعقوبى ان احمد بن نصر كان قد قصد قاضى القضاه أحمد بن أبى دواد فى بعض أموره فرده، فانصرف غاضبا عليه ذاما له، و جعل يبسط عليه لسانه و يتهمه بالكفر و المروق عن الدين، فمال اليه قوم لا يشكون بان ذلک غضب للدين، فاشر أبت قلوبهم للمعصيه انتصارا للقرآن(۳). فاعاد ابن نصر تنظيمه

۱- تأريخ بغداد ۵/ ۱۷۴.

۲- نفس المصدر/ ۱۷۵.

۳- تأريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۲.

السـابق القـائم على مبـايعته على الامـر بـالمعروف و معـارضه القول بخلق القرآن. و قـد بايعه عـدد من العامه، كما اشـرنا انتصارا للدين. فاتسعت دعوته و قويت حتى طمع بعض اتباعه بالثوره على الخلافه.

ان المصادر المتوفره عن الموضوع لا توضح ما اذا كان احمد بن نصر قد استهدف من تنظيمه الجديد الخروج على الخلافه لانها لم تعـد شـرعيه فى نظر و نظر اتبـاعه. و لكن يبـدو انه قـد اسـتغلته جماعـات أخرى و اتخـذته واجهه لتحقيق مطامعهـا. اذ يـذكر الخطيب البغـدادى ان اثنين من الموسـرين بـذلا مالا و عزما على الوثوب فى بغداد فى شـعبان سـنه ۲۳۱ ه(۱). و ذكر الطبرى ما يشبه هـذا و خلاصـته ان شخصـين من أهل بغـداد أحدهما يعرف بابى هارون السـراج، و الآخر يقال له طالب، و معهما شـخص ثالث من أهل خراسان من أصـحاب اسـحاق بن ابراهيم المصـعبى صاحب الشـرطه، و هم ممن كانوا يظهرون تأييـد ابن نصـر، و يحركـون اتبـاعه من اصـحاب الحـديث، و ممن ينكر القـول بخلـق القرآن من أهـل بغـداد، ليحملـوه على اظهـار حركته، و انهم قصدوه دون غيره لمنزلته التى أشرنا اليها. و كان طالب و اتباعه يعملون فى الجانب الغربى من بغداد، و يعمل أبو هارون و اتباعه فى الجانب الشرقى منها، و ان هذين الشخصين فرقا أموالا فى سبيل الوثوب بالخلافه، و قد عينوا موعدا لذلك(۲).

على ان اخبار المؤامره بلغت صاحب الشـرطه، فبادر بالقبض على بعض اتباع أحمـد بن نصـر ثم تتبع الآخرين، و أصابت الشـرطه فى منزل أحـدهم اعلاما. ثم أخـذ ابن نصـر و أولاده و جماعه كانوا عنده فحملوا مقيدين الى سامرا. فعقد الخليفه مجلسا حضـره قاضى

۱- تاريخ بغداد ۵/ ۱۷۶.

۲- الطبرى ۹/ ۱۳۵- ۱۳۶.

القضاه أحمـد بن أبی دواد، و اسـحاق بن ابراهیم، و عبد الرحمن بن اسـحاق، و کان قاضـیا علی الجانب الغربی من بغداد، و هو صدیق لأحمد بن نصـر. و لم یناظره الخلیفه فی الشغب، و لا فی ارادته الخروج علیه، و قال له: دع ما اخذت له(۱). و انما امتحنه فی القول بخلق القرآن، فـأبی ان یعترف بـأنه مخلوق. و لما سأله عن رؤیه الرب عز و جل فی الآخره، أجاب بالایجاب مستشـهدا بالحـدیث النبـوی القائـل «ترون ربکم یوم القیـامه لاـ تضـامون فی رؤیته» و بالحـدیث «ان قلب ابن آدم بین اصـبعین من أصـابع الرحمن» فقـال الواثق بـاللّه: ویحـک، یری کمـا یری المحـدود و المتجسم، یحویه مکـان و یحصـره النـاظر؟ أنا أکفر برب هـذه صفته(۲).

و لما اسـتطلع الخلیفه ممن حضـر المجلس رأیهم فی أقوال أحمـد بن نصـر، أحل القاضـی عبد الرحمن بن اسـحاق دمه، و طلب آخر ان یشرب من دمه. أما ابن أبی دواد فقال انه شیخ مختل العقل أو انه کافر یستتاب. الا ان الواثق باللّه ضرب عنقه. و صلب و فی رجلیه قیود، فی الحظیره التی صـلب فیها بابک الخرمی و حمل رأسه الی بغداد فنصب فی الجانب الشرقی أیاما، ثم حول الی الجانب الغربی.

و منع الناس من التقرب منه، و اقیم علیه الحرس. و علقت فی أذنه رقعه فیها: هذا رأس الکافر المشرک الضال أحمد بن نصر قتله اللّه علی یـدی هارون الامام الواثق أمیر المؤمنین بعـد ان اقام الحجه علیه فی خلق القرآن و نفی التشبیه، و عرض التوبه علیه فابی الا المعانده، فعجل اللّه به الی ناره و ألیم عذابه(۳).

و أمر الواثق باللّه بحبس کل من عرف بصحبه أحمد بن نصر ممن ذکر انه کان مشایعا له. و وضع نیف و عشرون رجلا منهم فی

۱- تأریخ بغداد ۵/ ۱۷۷.

۲- نفس المصدر.

۳- تجارب الامم ۶/ ۵۳۲، و ورد هذا النص بشی ء من التغییر فی الطبری ۹/ ۱۳۹ و فی تاریخ بغداد ۵/ ۱۷۸.

حبوس الظلمه، و منعوا من أخذ الصدقه التی یعطاها المسجونون، کما منعوا من الزوار و ثقلوا بالحدید(۱).

و یقول الذهبی ان الواثق باللّه قتل ابن نصر بیده لامتناعه من القول بخلق القرآن، و لکونه اغلظ له فی الخطاب، و قال له: یا صبی. و یقول ان أحمد بن نصر کان رأسا فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، فقام و معه خلق من المطوعه و استفحل امرهم، فخافته الدوله من فتق یتم بذلک(۲).

و یلاحظ علی محاکمه أحمد بن نصر ان الخلیفه تغاضی عن جریمته السیاسیه و ما قام به من الشغب و التآمر علی الدوله و الاستعداد للوثوب بالخلافه، رغم وضوح الأدله علی ذلک و ثبوتها.

و انما استهدف من المحاکمه اثبات کفره و مروقه من الدین مما یحلل قتله. و یظهر ان ذلک ناشی ء عن اعتبار الخلافه منصبا دینیا و ان الخروج علیها و الکفر بالدین سواء. و قد یکون اغفال الجانب السیاسی مقصودا لصرف اذهان الناس عن فکره التآمر علی الخلافه أو الخروج علیها(۳).

و یذکرنا هذا بمحاکمه الأفشین حیدر بن کاوس عند ما تهیأ للانتقاض علی الخلیفه المعتصم باللّه، فقد اغفلت جریمته السیاسیه کذلک، و حوکم علی مخالفاته الدینیه فقط. لأن السیاسه و الدین سواء فی نظر العباسیین.

۱- تجارب الامم ۶/ ۵۳۲، و الطبری ۹/ ۱۳۹.

۲- العبر ۱/ ۴۰۸.

۳- راجع عن تفصیلات حرکه احمد بن نصر و محاکمته و قتله: الطبری ۹/ ۱۳۵- ۱۳۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۹- ۵۳۲، تاریخ بغداد ۵/ ۱۷۵- ۱۷۸، و الکامل ۷/ ۲۰- ۲۳.

۳- رجوع الواثق باللّه عن القول بخلق القرآن:

تدل حركه احمد بن نصر بشكل واضح على قوه مناهضى الاعتزال من الفقهاء رغم تشدد ثلاثه من الخلفاء فى قرضه. و يقال ان الخليفه الواثق باللّه رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته(۱).

و يروى المسعودى سبب رجوعه كما رواه ابنه محمد المهتدى باللّه الذى قال ما خلاصته انه أقدم على الواثق باللّه بشيخ من أهل الفقه و الحديث من أهل أذنه من الثغر الشامى مقيد ... فقال له: يا شيخ أجب أبا عبد اللّه أحمد بن ابى دواد فيما يسألك عنه. فقال:

يا أمير المؤمنين، أحمد يقل عن المناظره .. أتأذن لى فى كلامه؟

فأذن له، فأقبل الشيخ على ابن ابى دواد و قال له: مقالتك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن، داخله فى الدين بحيث لا يكون تاما الا بالقول بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم (دع الناس اليها أو تركهم؟ قال: تركهم. فقال: فعلمها أو لم يعلمها؟ قال: علمها. قال: فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و تركهم منه؟ فأمسك أحمد ... فصرف الرجل وجهه الى الواثق باللّه و قال: يا أمير المؤمنين، اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لاصحابه فلا وسع اللّه علينا.

فقال الواثق باللّه: نعم لا وسع اللّه علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول اللّه) صلى اللّه عليه و سلم .. ثم قال الواثق باللّه: اقطعوا قيده .. و أمر له بجائزه .. و احسب ان الواثق باللّه رجع عنها منذ ذلك الوقت(۲).

۱- تأريخ الخلفاء/ ۳۴۱.

۲- فى تأريخ بغداد ۱۰/ ۷۵، و تأريخ الخلفاء/ ۳۴۲ هو ابو عبد الرحمن عبد اللّه بن محمد الاذرمى شيخ أبى داود و النسائى. مفصل الخبر فى مروج الذهب ۴/ ۱۹۰- ۱۹۲، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۱- ۲۶۹، و جاء الخبر فيه بثلاث روايات- و تاريخ بغداد ۴/ ۱۵۱- ۱۵۲.

و يظهر ان محاوله الانتقاض على خلافه الواثق باللّه لم تقتصر على أحمد بن نصر الخزاعى و اتباعه. فقد كان هناك عدد غير قليل من رجال الدين، ممن رفضوا القول بخلق القرآن، قد راودتهم فكره الخروج على الخليفه الا ان الامام أحمد بن حنبل الذى كان رأس المعارضين لم تؤيد ذلك حرصا على وحده الامه و سلامتها و لم ير فى دعوه الخليفه الى القول بخلق القرآن ما يخرجه عن الخلافه. و يقول ابو يعلى الحنبلى: اجتمع فقهاء بغداد الى ابى عبد اللّه أحمد بن حنبل، و قالوا: هذا أمر قد تفاقم و فشا- يعنون القول بخلق القرآن- نشاورك فى انا لسنا نرضى بأمرته و لا سلطانه. فقال: عليكم بالنكره بقلوبكم، و لا تخلعوا يدا من طاعه، و لا تشقوا عصا المسلمين(۱).

۱- الاحكام السلطانيه لأبى يعلى الحنبلى/ ۵.

الفصل الرابع نهایه المحنه

۱- المتوکل علی اللّه ینهی المحنه:

سبقت الاشاره الی ان الواثق باللّه کان قد تراجع فی أواخر أیامه عن الامعان فی فرض اراء المعتزله علی الفقهاء و المحدثین.

و یقال انه تاب و رجع عن القول بخلق القرآن. الا ان المنیه ادرکته قبل ان یشیع ذلک(۱). فلما تولی المتوکل علی اللّه الخلافه خالف ما کان علیه المأمون و المعتصم باللّه و الواثق باللّه من الاعتقاد بمذهب المعتزله، فنهی عن الجدل و المناظره و عاقب علیه. و أظهر السنه و تکلم بها فی مجلسه، و کتب الی الولایات برفع المحنه و اظهار مذهب السنه(۲).

و یظهر مما ذکره أبو المحاسن عن المحنه ان مبادره المتوکل علی اللّه بانهاء القول بخلق القرآن کانت فی سنه ۲۳۴ ه و یؤیده فی ذلک السیوطی(۳). و یبدو ان الخلیفه الجدید کان متحمسا لالغاء المحنه و اعاده الطمأنینه الی النفوس باظهار السنه. فقد استقدم المحدثین و الفقهاء الی سامرا و اجزل لهم العطاء و اکرمهم و طلب الیهم ان

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۹۰، و مروج الذهب ۴/ ۸۶.

۳- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۵، و تاریخ الخلفاء/ ۳۴۶.

يحدثوا بأحاديث الصفات و الرؤيه(۱). تلك الامور التى منع المعتزله القول بها. و من جمله من استقدمهم المتوكل على اللّه من بغداد و غيرها، عبد اللّه و عثمان ابنا محمدين ابى شيبه الكوفيين و كانا من حفاظ الناس، و قاضى البصره ابراهيم بن محمد اليتمى، و محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب. و قسم فيهم الجوائز و الاعطيات، و اجرى عليهم الارزاق، و أمرهم بان يجلسوا للناس و يحدثوا بالاحاديث التى فيها رد على المعتزله(۲).

و قد لقيت مبادره المتوكل على اللّه بالغاء المحنه و اظهار السنه قبولا حسنا من عامه الناس، فتركوا تلك المقاله، و انكرها من كان يقول بها، و ارتفع الجدل و المناظره(۳). و استحق عليها ثناء الناس و تقديرهم. حتى قال القاضى اليتمى: الخلفاء ثلاثه: أبو بكر الصديق قاتل أهل الرده حتى استجابوا، و عمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أميه، و المتوكل على اللّه محا البدع و أظهر السنه(۴).

و قال محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب: انى جعلت دعائى فى المشاهد كلها للمتوكل، و ذلك ان عمر بن عبد العزيز جاء اللّه به لرد المظالم، و جاء بالمتوكل لرد الدين(۵).

و قال الشاعر البحترى يمتدح سياسه المتوكل الدينيه باحياء السنه، و يعرض بالقاضى أحمد بن ابى دواد، منها قوله(۶):

أمير المؤمنين لقد سكناالى أيامك الغر الحسان

رددت الدين فذا بعد ما قداراه فرقتين تخاصمان

۱- نفس المصدرين السابقين.

۲- تاريخ بغداد ۱۰/ ۲۷ و ۲/ ۳۴۴.

۳- مشاكله الناس لزمانهم/ ۳۲.

۴- فوات الوفيات ۱/ ۲۵۲.

۵- نفس المصدر ۲/ ۹۰.

۶- تاريخ بغداد ۷/ ۱۶۹- ۱۷۰.

قصمت الظالمین بکل أرض فاضحی الظلم مجهول المکان

فی سنه رمت متجبریهم علی قدر بداهیه عوان

فما ابقت من ابن أبی دوادسوی جسد یخاطب بالمعانی

تحیر فیه سابور بن سهل فطاوله و مناه الامانی

اذا اصحابه اصطحبوا بلیل أطالوا الخوض فی خلق القرآن

یدیرون الکؤوس و هم نشاوی یحدثنا فلان عن فلان

ثم خطا المتوکل علی اللّه فی سنه ۲۳۷ ه خطوه أخری فی تصفیه آثار المحنه، فاطلق من کان فی السجون من أهل البلدان ممن امتنع عن القول بخلق القرآن فی أیام أبیه، أو أخذ فی خلافه الواثق باللّه، فخلاهم جمیعا و کساهم(۱). و کان ممن اطلق سراحه القاضی بشر بن الولید الکندی أحد اصحاب ابی یوسف و قد اخذ عنه الفقه، و کان المأمون ولاه القضاء علی مدینه المنصور، و قد ابتلی بالمحنه فی عهد المعتصم باللّه، فاعفاه من القضاء و أمر أن یحبس فی منزله و وکل ببابه الشرط، و نهی ان یفتی احدا بشی ء. فأمر المتوکل علی اللّه باطلاقه و ان یفتی للناس و یحدثهم(۲).

و قد هم المتوکل علی اللّه بانزال جثه احمد بن نصر الخزاعی المصلوبه منذ أیام الواثق باللّه. فاجتمع الغوغاء حولها و کثروا و تکلموا فی أمر ابن نصر. فبلغ ذلک الخلیفه فأمر بضرب قسم منهم و حبسهم. ثم أمر بعد ذلک بانزال الجثه و دفعها الی أولیائه فغسلت و دفنت. و کتب صاحب البرید ببغداد الی الخلیفه بخبر العامه الذین احتشدوا حول الجنازه باعداد لا تحصی و تمسحوا بها.

فأمر المتوکل علی اللّه خلیفته ببغداد ان یمنع اجتماع العامه فی مثل هذا الأمر و شبهه(۳).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴- ۴۸۵، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۰.

۲- تاریخ بغداد ۷/ ۸۳.

۳- الطبری ۹/ ۱۹۰.

لقد كانت هناك بعض العوامل التى دفعت المتوكل على اللّه الى انتهاج هذه السياسه، لعل أهمها انه كان يتعصب للسنه و يمقت المعتزله. يضاف الى ذلك رغبته فى التقرب الى عامه الناس التى كان تأثير الفقهاء و رجال الدين عليها كبيرا. فقد لمس فشل اسلافه الثلاثه فى استماله الناس الى اعتناق مذهب المعتزله، و حاول كسب رضاهم و ولاءهم بالغاء المحنه و احياء السنه. قال يزيد المهلبى(۱):

قال لى المتوكل يوما يا مهلبى ان الخلفاء كانت تغضب على الرعيه لتطيعها، و أنا ألين لهم ليحبونى و يطيعونى(۲).

۲- من ضحايا المحنه:

اشاره

كان الى جانب من ذكرنا من الفقهاء و رجال الدين ممن تعرضوا لغضب السلطه لعدم قولهم بان القرآن مخلوق، فقهاء و محدثون آخرون أوذوا فى سبيل تمسكهم بالسنه و عدم اقرارهم بخلق القرآن. و كان اشهرهم:

عفان بن مسلم الصفار:

أبو عثمان عفان بن مسلم الصفار البصرى، نشأ فى البصره و انتقل الى بغداد و صار من رجال الفقه و الحديث المرموقين فيها.

روى عنه الامام أحمد بن حنبل، و محمد بن سعد الزهرى، و البخارى فى صحيحه. يقول الخطيب البغدادى ان عفان بن مسلم أول من امتحن من الناس بمحنه القول بخلق القرآن، و روى عنه انه قال: دعانى اسحاق بن ابراهيم، فلما دخلت عليه قرأ على الكتاب الذى بعث به المأمون من الرقه، فاذا فيه امتحن عفان

۱- تاريخ بغداد ۷/ ۱۶۶، و فوات الوفيات ۱/ ۲۰۳.

۲- يزيد بن المهلب من بنى المهلب بن ابى صفره، شاعر محسن، من الندماء الرواه، اتصل بالمتوكل على اللّه و نادمه و مدحه، و رثاه بعد موته. و هو بصرى الاصل نشأ ببغداد و بها اشتهر، توفى سنه ۲۵۹.

و ادعه الی أن یقول القرآن کذا و کذا، فان قال ذلک فاقره علی عمله، و ان لم یجبک بما کتبت به الیک فاقطع عنه الذی یجری علیه- و کان المأمون یجری علی عفان خمسمائه درهم کل شهر- فلما قرأ اسحاق الکتاب، قال لی: ما ذا تقول؟ فقرأت علیه: «قل هو اللّه أحد، اللّه الصمد ..» حتی ختمتها، فقلت: مخلوق هذا؟ فقال اسحاق یا شیخ ان امیر المؤمنین یقول انک ان لم تجبه الی الذی یدعوک الیه یقطع عنک ما یجری علیک، و ان قطع عنک أمیر المؤمنین قطعنا نحن عنک ایضا. فقلت له: یقول اللّه تعالی «وَ فِی السَّماءِ رِزْقُکُمْ وَ ما تُوعَدُونَ»(۱). فسکت اسحاق فانصرفت(۲).

و یلاحظ ان الطبری الذی أورد تفصیلات دعوه المأمون الی القول بخلق القرآن و المراحل التی مرت بها تلک الدعوه، لم یشر الی ما ذکره الخطیب البغدادی. فقد ذکر الطبری ان المأمون طلب الی اسحاق بن ابراهیم ان ینفذ الیه سبعه نفر عددهم(۳)، لیس فیهم عفان بن مسلم. و طلب الیه فی کتابه الثانی ان یمتحن القضاه و الفقهاء، فاحضر اسحاق سته و عشرین عالما و فقیها(۴)، و لم یکن عفان بن مسلم بینهم. و لما اشخص اسحاق الی المأمون اثنین من الفقهاء مقیدین بالحدید(۵)، لم یکن عفان أحدهما. و عند ما اشخص اسحاق عددا اخر من الممتنعین عن الاجابه بالقول بخلق القرآن الی طرسوس لیقیموا فیها حتی خروج المأمون من بلاد الروم(۶)، فان عفان بن مسلم لم یکن بینهم کذلک.

و ما جاء فی الکامل عن هذا الموضوع یکاد یطابق ما اورده الطبری(۷). و هو خال أیضا من الاشاره الی امتحان عفان بن

۱- سوره و الذاریات، الایه: ۲۲.

۲- تاریخ بغداد ۱۲/ ۲۷۱.

۳- الطبری ۸/ ۶۳۴.

۴- الطبری ۸/ ۶۳۷.

۵- نفس المصدر/ ۶۴۴.

۶- نفس المصدر/ ۶۴۵.

۷- الکامل ۶/ ۴۲۳- ۴۲۴ و ۴۲۷.

مسلم. و کذلک ما جاء فی کتاب العیون و الحدائق، و کتاب تجارب الأمم عن أمر المأمون بامتحان القضاه و الفقهاء(۱)، خلا من الاشاره الی عفان بن مسلم. الا ان عدم ذکر اسم عفان بن مسلم الصفار فی المصادر التی أشرنا الیها لا یعنی عدم صحه ما اورده الخطیب البغدادی، فقد یکون امتحانه قد جری فردیا. و قبل ورود کتاب الخلیفه الی اسحاق بن ابراهیم بامتحان القضاه و الفقهاء.

توفی عفان ببغداد فی صفر سنه ۲۱۹ ه و عمره خمس و ثمانون سنه(۲).

محمد بن نوح:

الفقیه الزاهد محمد بن نوح بن میمون بن عبد الحمید العجلی، و یعرف أبوه بالمضروب(۳). عرف بشده التمسک بالسنه و الدین، و حدث شیئا یسیرا. و کان ممن ابتلی بالمحنه بالقول بخلق القرآن فی أواخر عهد المأمون. و یعتبر من الرعیل الأول من ضحایا تلک المحنه. اذ کان هو و الامام احمد بن حنبل ممن امتنع عن الاجابه بالقول بخلق القرآن عند ما امتحن اسحاق بن ابراهیم القضاه و الفقهاء و المحدثین ببغداد بأمر من المأمون. و لما کتب اسحاق الی الخلیفه، و کان حینذاک غازیا فی بلاد الروم غزوته الأخیره، باسماء من رفض الاجابه، کتب الیه یرد علی الممتنعین عن القول بخلق القرآن، و قد اتهم محمد بن نوح بالتعامل بالربا، اذ قال عنه:

و اما محمد بن حاتم، و ابن نوح، و المعروف بابن معمر، فاعلمهم انهم مشاغیل بأکل الربا عن الوقوف علی التوحید، و ان امیر

۱- العیون و الحدائق ۳/ ۳۷۶- ۳۷۷، و تجارب الامم ۶/ ۴۶۵- ۴۶۶.

۲- تاریخ بغداد ۱۲/ ۲۷۷، و الکامل ۶/ ۴۵۴.

۳- تاریخ بغداد ۱۳/ ۳۲۳.

المؤمنین لو لم یستحل محاربتهم فی اللّه و مجاهدتهم الا لأربائهم و ما نزل به کتاب اللّه فی امثالهم، لاستحل ذلک، فکیف و قد جمعوا مع الأرباء شرکا و صاروا للنصاری شبها(۱). ثم أمره بعد ذلک ان یشخص الیه المخالفین. فقید اسحاق الامام احمد بن حنبل و محمد بن نوح بالحدید و وجه بهما الی طرسوس لیقیما فیها حتی یصلها المأمون عند عودته من بلاد الروم. و قد حملا متلازمین علی بعیر واحد، فلما وصلا الرقه جاء النبأ بوفاه المأمون، فاعادهما والی الرقه الی مدینه السلام.

و کان محمد بن نوح قد مرض فی الطریق، فمات فی عانه.

فصلی علیه الامام احمد، و دفنه هناک، و کانت وفاته فی سنه ۲۱۸ ه(۲). قال عنه الامام احمد: ما رأیت أحدا أقوم بأمر اللّه من محمد بن نوح رغم حداثه سنه، و قله علمه، فقد قال لی ذات یوم یا ابا عبد اللّه انت رجل یقتدی بک ... فاتق اللّه و اثبت لأمره، أو بما معناه، یشجعنی علی الثبات بمعارضه القول بخلق القرآن(۳).

نعیم بن حماد:

نعیم بن حماد بن معاویه بن الحارث بن همام، أبو عبد اللّه الخزاعی الفارضی. کان من الرحاله فی طلب الحدیث. نشأ فی مرو من اسره عربیه و رحل الی العراق و الحجاز، ثم سکن مصر و لم یزل مقیما فیها الی ان أشخص الی سامرا فی أیام المعتصم باللّه، سمع الحدیث علی بعض محدثی عصره، و اختص بالمحدث عبد اللّه بن

۱- الطبری ۸/ ۶۴۲.

۲- العبر ۱/ ۳۷۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۲۹.

۳- تاریخ بغداد ۳/ ۳۲۳.

المبارک، و سمی الفارضی لأنه کان من أعلم الناس بالفرائض(۱).

و یقال انه أول من جمع المسند فی الحدیث و صنفه(۲).

و قد اختلفت فیه آراء رجال الحدیث، فمنهم من وثق بروایته و اعتبره ثقه صدوقا فروی عنه، و منهم من اتهمه بوضع الحدیث و الحکایات المزوره، و وصفه بالوهم فیما یرویه، و قال بعضهم انه لیس من الحدیث فی شی ء(۳).

عند ما استخلف المعتصم باللّه أمر قاضی مصر بحمل الفقهاء علی القول بخلق القرآن. و قد تولی محمد بن ابی اللیث تنفیذ أمر الخلیفه، بعد ان استعفی القاضی هارون العوفی من هذه المهمه، فحمل نعیم بن حماد و آخرین ممن لم یجیبوا الی القول بخلق القرآن، الی دار الخلافه. و هناک قید و سجن، و کان ذلک فی سنه ۲۲۴ ه.

و لنعیم عده کتب فی الرد علی الجهمیه، و هو الخبیر بآرائهم و أقوالهم، و قد قال: أنا کنت جهمیا، فلذلک عرفت کلامهم، فلما طلبت الحدیث عرفت انهم یدعون الی التعطیل(۴). و من هنا انبری للرد علیهم. و جاء فی هدیه العارفین ان له ثلاثه عشر کتابا فی الرد علی الجهمیه، و کتبا فی الرد علی أبی حنیفه، و ناقض محمد بن الحسن الشیبانی، و ان من تصانیفه أیضا کتاب الملاحم و الفتن، و مسند فی الحدیث(۵).

ظل نعیم محبوسا حتی مات فی السجن. فکان ضحیه من ضحایا المحنه. و کان أوصی ان یدفن فی قیوده، و قال: انی مخاصم(۶).

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۰۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۴.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۳۰۶.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۶۷، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۱۲.

۴- تاریخ بغداد ۳/ ۳۱۲.

۵- هدیه العارفین ۲/ ۴۹۷.

۶- تاریخ بغداد ۳/ ۳۱۳.

و قد مات فی جمادی الاولی من سنه ۲۲۸ ه(۱). فجر فی قیوده و القی فی حفره دون ان یکفن او یصلی علیه أحد(۲). لأن دعوه المعتزله کانت فی عنفوان قوتها.

محمد بن اسماعیل البخاری:

یظهر ان الخلاف فی القول فی القرآن اتخذ وسیله للطعن علی بعض الفقهاء و رجال الحدیث. فقد کان أبو عبد اللّه محمد بن اسماعیل البخاری یقول: ان أفعال العباد مخلوقه، لأن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال «ان اللّه یصنع کل صانع و صنعته» و علی هذا فان حرکاتهم و أصواتهم و اکتسابهم مخلوقه. أما القرآن المتلو المبین، المثبت فی المصاحف، المسطور فی الکتب، المدعی فی القلوب فهو کلام اللّه لیس بخلق. قال اللّه تعالی «بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ»(۳). فاتخذ منافسو البخاری قوله هذا حجه لا تهامه فی عقیدته. فقد قال محمد بن یحیی المحدث: من زعم ان القرآن مخلوق فقد کفر و خرج عن الایمان ... و من قال لا- أقول مخلوق أو غیر مخلوق فقد ضاهی الکفر، و من زعم ان لفظی بالقرآن مخلوق أو غیر مخلوق فقد ضاهی الکفر، و من زعم ان لفظی بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا یجالس و لا یکلم. و من ذهب بعد مجلسنا هذا الی محمد بن اسماعیل البخاری فاتهموه، فانه لا یحضر مجلسه الا من کان علی مذهبه(۴).

و قد رد البخاری علی ذلک بقوله «من زعم انی قلت لفظی بالقرآن مخلوق فهو کاذب فانی لم أقله ... الا- انی قلت ان افعال العباد مخلوقه(۵).

۱- نفس المصدر، و النجوم الزاهره، ۲/ ۲۵۴. و یقال انه توفی سنه ۲۲۹- تاریخ بغداد ۳/ ۳۱۴، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۷.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۳۱۴.

۳- سوره العنکبوت، الایه: ۴۹.

۴- تاریخ بغداد ۲/ ۳۱- ۳۲.

۵- نفس المصدر/ ۳۳.

ص: ۱۱۷

الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم

اشاره

۱- الحروب بين العرب و الروم.

۲- المفاداه بين العرب و الروم.

۳- العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم.

الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملکه الروم

الفصل الأول الحروب بین العرب و الروم

۱- مقدمه:

اضطر الخلیفه المأمون الی أن یخرج غازیا الی بلاد الروم فی کل سنه من السنوات الأربع الأخیره من سنی حکمه. فقد خرج فی سنه ۲۱۵ ه و فتح بعض الحصون الرومیه. و لما هجم الروم فی السنه التالیه ۲۱۶ ه علی طرسوس و المصیصه خرج علی رأس حمله لردهم و تأدیبهم، ففتح هرقله و عددا من الحصون. کما خرج فی سنه ۲۱۷ ه و حاصر مدینه لؤلؤه فهادنه أهلها. و قد توفی فی السنه التالیه و هو فی بلاد الروم. و کان قد قرر انشاء حصن قوی فأمر ببناء مدینه طوانه من أرض الروم و حشد لها الصناع، و ولی أبنه العباس أمر بنائها(۱).

۱- تجارب الامم ۶/ ۴۶۴، و العبر ۱/ ۳۷۲.

ان هـذه اللمحه القصـيره عن أواخر أيـام المأمون تعطينا صوره واضـحه عن طبيعه العلاقه العـدائيه المسـتمره بين الـدوله العربيه و مملكه الروم.

لقد كان أبو اسـحاق محمد بمعيه أخيه المأمون فى حملته الاخيره، و كان المأمون أوصى له بالخلافه من بعده. و نظرا لما واجهه أبو اسـحاق من معارضه بعض القواد الـذين طالبوا بمبايعه العباس بن المأمون بدلا عنه، فقد قبل مهادنه الروم، و اسـرع فى العوده الى عاصـمه الخلافه. و أمر بهـدم ما كان المأمون أمر ببنائه فى طوانه و حمل ما كان بها من السـلاح و الآله الحربيه و غيرها مما قدر عليه، و احرق ما لم يقدر على حمله، و أمر بصـرف من كان المأمون قد أسـكنهم هناك، الى بلادهم(١). و قد يكون اسراع المعتصم باللّه بالعوده الى العاصـمه تنفيذا لما جاء فى وصيه المأمون له «و عجل الرحله عنى و القدوم الى دار ملكك بالعراق»(٢). الاـ ان قيـامه بتخريب الحصن الـذى أمر أخوه ببنائه ليقف فى وجه هجمات البيزنطيين لم يعرف سـببه، الا ان يكون يخالف أخاه فى أهميـه موقـع هـذا الحصـن مـن النـاحيه العسـكريه، أو انه أراد أن يغيض العبـاس، و قـد كلفه أبـوه بالقيـام على بنـاء الحصـن المذكور.

لقـد شـغل المعتصم بـاللّه فى خلاـل السـنوات الخمس الاـولى من خلاـفته بالقضـاء على مـا واجهه من المشاكل و الاضـطرابات الـداخليه مما لم يسـتطع معه مهاجمه بلاد الروم أو توجيه بعض الحملات الى مـدنهم الحـدوديه. و يظهر ان الروم من جانبهم قد ملـوا اسـتمرار القتـال مـع الجيوش العربيه، و اغتنموهـا فرصه للراحه و الاسـتعداد على ان انشـغال الجيش العربى فى القضـاء على الاضطرابات، و بخاصه حركه بابك الخرمى، أصابه شى ء من الانهاك. مما اثار فى نفوس

١- الطبرى ٨/ ۶۶٧، و تجارب الامم ۶/ ۴٧٠.

٢- الطبرى ٨/ ۶۴٩.

البيزنطيين أطماعهم الدفينه فى اجتياح بعض الثغور العربيه.

لا سيما و ان بابك الخرمى كان يغرى ملك الروم بمهاجمه الدوله العربيه لانشغال جيوشها بمقاتله اتباعه، مستهدفا من ذلك ان يخفف ضغط الجيش العربى عليه، اذا ما شغل الجيش المذكور فى جبهه أخرى.

و بالنظر لما كان للمدن الحدوديه القائمه بين الدوله العربيه و بلاد الروم من دور كبير فى الحروب التى كانت شبه مستمره بينهما، فقد اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بهذه المدن و الحصون فاعادوا بناء ما تخرب منها، و زادوا فى تحصينها و فى عدد القوات المقاتله المرابطه فيها، كما شجعوا على السكن بها.

و يطلق اسم الثغور على المدن الحدوديه الحصينه التى حشدت بالمقاتلين، و منها كانت تشن الغارات على مدن الروم. كما يطلق اسم العواصم على الحصون و المدن العربيه الداخليه التى تنزل فيها الجيوش فتعتصم بها و تحتمى اذا عادت من هجماتها، او اذا أرادت الخروج الى الثغور(١). و هى بهذا الاعتبار تعصم الثغور و تمدها فى وقت الحاجه.

٢- فتح عموريه:

عند ما ضيقت الجيوش العربيه الخناق على بابك الخرمى، و وجد نفسه و اتباعه مشرفين على الهزيمه و الهلاك، كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان جيوش الخليفه مشغوله بمقاتلته، حتى ان المعتصم باللّه وجه خياطه و طباخه- و يقصد بذلك من باب التهكم و السخريه، القائد جعفر الخياط و القائد ايتاخ الذى كان فى أول أمره طباخا- و يحثه على مهاجمه الثغور العربيه، لأنه ليس هناك

١- فتوح البلدان/ ١٣٨.

من يستطيع منعه عنها و صده عنها. و كان يستهدف من ذلك ان يضطر الجيش العربى على الحرب فى جبهه أخرى، فيسحب الخليفه بعض الجيوش التى تحاربه و يوجهها الى محاربه الروم، فيخف عليه ضغطها(۱). و ذلك مما يتيح له فرصه لجمع شمل جيشه الممزق و مطاوله الجيش العربى.

و قد لقى اقتراح بابك استجابه من لدن توفيل الذى اغتنم الفرصه فخرج فى سنه ۲۲۳ ه و معه ملوك برجان و البرغر و الصقاليه و غيرهم ممن جاورهم(۲). على رأس جيش كبير قدر بمائه ألف مقاتل، و قيل أكثر من ذلك، و فيهم من الجند نيف و سبعون ألفا، و بقيتهم اتباع منهم المحمره الذين كانوا قد انهزموا الى بلاد الروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى فى سنه ۲۱۹ ه. و سار حتى وصل الى زبطره فدخلها و قتل عددا كبيرا من رجالها، و سبى نساءها و أطفالها، و أحرقها(۳). ثم اغار على ملطيه و ما جاورها من الحصون العربيه و أمعن فيها قتلا و سبيا و نهبا.

و مثل بمن صار فى يده من العرب فسمل اعينهم و قطع آذانهم و أنوفهم(۴). فضج الناس فى سامرا و بغداد، و استغاثوا فى المساجد. و دخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم باللّه و انشده قائما قصيده يذكر فيها ما نزل باهل الثغور على أيدى الروم و يحضه على الانتصار لهم، و مما قاله(۵):

۱- الطبرى ۹/ ۵۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۵۹.

۳- الطبرى ۹/ ۵۶، و مختصر تاريخ العرب/ ۲۵۰، و جاء فيه ان زبطره مسقط رأس المعتصم باللّه، بينما يذكر المسعودى ان مولده كان بالخلد ببغداد سنه سنه ثمانين و مائه- مروج الذهب ۴/ ۶۴.

۴- الكامل ۶/ ۴۷۹.

۵- مروج الذهب ۴/ ۵۹- ۶۰، و ثمار القلوب/ ۱۶ و فيه: يا عتره اللّه، كنايه عن بنى العباس.

يا غاره اللّه قد عاينت فانتهكى هتك النساء و ما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

استعظم الخليفه الأمر، لا سيما عند ما بلغه ما يقال ان امرأه أسيره عند الروم صاحت: وا معتصماه. فاستثارته الحميه و أجابها و هو جالس على سريره: لبيك لبيك، و أعلن نفير الحرب(۱) و يقول ابن العماد الحنبلى ان المعتصم باللّه كان فى مجلس انسه و الكأس فى يده، فبلغه ان أمرأه عباسيه أسيره فى عموريه عند علج رومى و قد لطمها على وجهها يوما فصاحت وا معتصماه. فقال لها العلج متهكما ما يجى ء اليك الا على حصان أبلق. فختم المعتصم باللّه كأسه و اقسم الا يشربه الا بعد قتل العلج و تحرير الامرأه الاسيره. و يقول انه عند ما نادى بالرحيل لغزو عموريه أمر أن لا يخرج أحد من العسكر الا على حصان أبلق. فلما فتح عموريه دخلها و هو يقول: لبيك لبيك، فطلب العلج و ضرب عنقه و فك قيود الاسيره، و أمر ساقيه أن يأتيه بكأسه المختوم، فغك ختمه، و قال: الآن طاب الشراب(۲).

أما سبب الحمله على رأى القزوينى فهو ان الروم فى انقره اعتدوا على رجل من أهل العراق، فنادى يا معتصماه. فقالوا له اصبر حتى يأتيك على الأبلق لينصرك. فوصل هذا الخبر الى المعتصم باللّه فأمر بشراء كل فرس ابلق و قصد بلاد الروم(۳).

ان ما اورده كل من المؤرخين المذكورين لا يعدو عن نقل ما اشيع من روايات و اخبار بين أهل سامرا و بغداد عند ما بلغهم خبر اجتياح الروم بعض الثغور، و اعلان الخليفه نفير الحرب. و ليس

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۳۹۰، و الكامل ۶/ ۴۸۰.

۲- شذرات الذهب ۲/ ۶۳- ۶۴.

۳- اثار البلاد/ ۵۰۶.

بالضـروره ان تكون تلـك الروايـات و الأخبـار حقيقيه. على انهـا بنفس الوقت تعطينـا صوره عن اهتمام الناس بالأمر و محاولتهم اسـتثاره الخليفه بمثل هذه الروايات. كما انها دليل على وقوع اعتداء الروم على المدن الحدوديه مما يسـتلزم نهوض الدوله لصده و الرد عليه.

دعـا المعتصم بـاللّه الناس الى الجهاد و أمر بالاسـراع فى تهيئه الجيش و تجهيزه بما يلزمه من السـلاح و الآله و العـدد، و حياض الادم و الروايـا و القرب، و آله الحديـد و النفط، و الـدواب. حتى ذكر انه لم يتجهز مثله قبله خليفه قط. و بعـد ان اكتمل اعـداد الحمله قادها المعتصم باللّه بنفسه. فخرج غازيا عليه دراعه بيضاء من الصوف، و قـد تعمم بعمامه الغزاه(۱) و ركب دابته و سمط خلفه شكالا و سكه حديد و حقيبه فيها زاده(۲).

و كان ورود الخبر بهجوم الروم بعـد الظفر ببابک الخرمی، مما سـهل للخليفه التهيؤ لحرب واسـعه جديده. و قد اشـهد المعتصـم بـاللّه قاضـى بغـداد عبـد الرحمن بن اسـحاق و معه عـدد من أهل العـداله، على ما أوقفه من ضـياعه، فجعل ثلثا لولـده، و ثلثا للّه تعالى، و ثلثا لمواليه(۳). ثم عسـكر بموضع خـارج سامرا يعرف بالعيون غربى دجله، فى أوائل جمادى الاولى سنه ۲۲۳ ه(۴). و قـد تـألفت الحمله من جيشـين تولى الخليفه نفسه قياده الجيش الرئيس و عبر به جبال كيليكيا سالكا درب طرسوس. و اناط قياده الجيش الآخر بالافشين حيدر بن كاوس و أمره بدخول بلاد الروم من الممر الشمالى، درب الحدث، عبر جبال طوروس، على أن يتلاقيا بأنقره، و جعل الخليفه على مقدمه جيشه القائد أشناس و اتبعه

۱- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۲- الطبری ۹/ ۵۶، و الفخری/ ۲۱۰.

۳- الطبری ۹/ ۵۶.

۴- نفس المصدر، و تاريخ اليعقوبی ۲/ ۴۷۵.

بالقائـد محمـد بن ابراهيم، و على يمنته ايتـاخ، و على ميسـرته جعفر بن دينـار الخيـاط، أمـا القلب فقـد انـاط قيـادته بعجيـف بن عنبسه(۱).

و قبـل ان يتحرك المعتصـم بـاللّه بجيشـه وجه عجيـف بن عنبسه و عمر الفرغـانى و جمـاعه من القـواد الى زبطره اعـانه لأهلهـا، فوجدوا ان الروم قد انصرفوا عنها، فمكثوا بها قليلا حتى اطمأن أهلها و عادوا الى قراهم و بيوتهم(۲).

لقـد عزم المعتصم باللّه على ان يسـير الى مـدينه عموريه بعـد أن عرف انها أكبر المدن الروميه بعد القسـطنطينيه و أمنعها، و انها موطن الاسـره التى كانت تحكم الروم يومئذ. و لأهميه عموريه يسـميها الدينورى القسـطنطينيه الصغرى(۳). و يفهم ممـا جاء فى كتـابى الطبرى و العيون و الحـدائق، ان المعتصم بـاللّه كـان قـد استفسـر و هو بسـامرا، أى قبل أن يتحرك بحملته، عن أمنع بلاد الروم فقيـل له عموريه(۴). الاـ ان صـاحب الفخرى يقـول ان المعتصـم بـاللّه ظفر ببعض أهـل الروم فسـأله عن أحصن مـدنهم و أعظمها و أعزها عنـدهم، فقال له الرومى ان عموريه هى عين بلادهم، فتوجه اليها(۵). الاـ اننا نرى ان ما ذكره ابن الطقطقى كان من باب الاسـتنتاج، لأن معرفه مدن العدو من حيث مواقعها و تحصـينها و طرق الوصول اليها من ضـرورات الامور العسكريه التى يتعين على الجيش الغـازى أن يعرفهـا قبل سـيره الى ساحه القتال. و مما يؤيـد ذلك ان المعتصم باللّه لما خرج بجيشه نقش على الألويه و التروس اسم

۱- الطبرى ۹/ ۵۷.

۲- نفس المصدر.

۳- الاخبار الطوال/ ۳۳۸.

۴- الطبرى ۹/ ۵۷، و العيون و الحدائق ۳/ ۳۹۰.

۵- الفخرى/ ۲۱۰.

عموریه و أمر أن یکتب کل حامل لواء علی انه یقصد عموریه باللغه الیونانیه(۱).

لقد استطاع قواد الحمله تنفیذ ما کلفوا به من الواجبات.

و کان جیش الافشین قد توغل فی بلاد الروم بعد ان هزم ملکهم فی معرکه مهمه، و دخل بجیشه انقره، بعد ان استولی علی عدد من المدن و الحصون الرومیه. و تقدم الجیش العربی حتی وافی مدینه عموریه فاحاط بها. و کانت محصنه تحصینا قویا و لسورها أربعه و أربعون برجا(۲). و بعد حصار شدید استخدمت فیه العرادات و المجانیق تمکن المهاجمون من عبور الخندق المحیط بالمدینه. و قد حاول المعتصم باللّه ان یستخدم الدبابات فی اجتیاز الخندق فأمر بأن یطم جزء منه بجلود الغنم المملوءه بالتراب، و عمل دبابات کبارا تسع الواحده منها عشره رجال لیدحرجها علی الجلود المذکوره الی السور. الا انه لما تقدمت واحده من الدبابات و صارت فی منتصف الطریق تعلقت بتلک الجلود، و لم یتخلص الرجال منها الا بعد جهد و شده، فاهمل استخدامها(۳).

و مما ساعد علی اقتحام المدینه ان احد اسری العرب بعموریه أخبر الخلیفه بان السیول کانت قد اجتاحت جزء من السور، فأمر ملک الروم عامل عموریه بأن یعمره، فتعجل فی ذلک و بناه بناء ضعیفا موقتا. فتعرف المعتصم باللّه علی ذلک الموضع من السور و امر بضربه بالمجانیق فتهدم، مما مکن الجیش العربی من دخول المدینه، فاضطرت حامیتها علی الاستسلام، و اسر کبیر قوادها یاطس(۴).

و أمر الخلیفه بهدم المدینه و احراقها. و لکثره الغنائم و الاسری،

۱- العرب و الروم/ ۱۳۱.

۲- المسالک و الممالک/ ۱۰۷.

۳- الطبری ۹/ ۶۵.

۴- الطبری ۹/ ۶۸.

کان لا ینادی علی بیع شـی ء منها أکثر من ثلاثه أصوات ثم یباع، أما الاسـری فکان ینادی علیهم خمسه خمسه و عشره عشره، و ذلک طلبا للسرعه(۱).

و یقـال ان ملک الروم عنـد ما هزمته الجیوش العربیه قبل فتـح عموریه أرسل وفـدا الی الخلیفه المعتصم باللّه یقول له «ان الـذین فعلوا بزبطره ما فعلوا تعدوا أمری، و أنا أبنیها بمالی و رجالی، وارد ما أخذ من أهلها و اخلی جمله من فی بلد الروم من الاساری، و ابعث الیک بالقوم الذین فعلوا بزبطره علی رقاب البطارقه»(۲).

الا ان المعتصم باللّه لم یأذن لوفد الروم فی المصـیر الیه و احتجزه حتی تم فتح عموریه فاذن له بالانصراف(۳). و یؤید خبر الوفد مـا ذکره صـاحب کتـاب رسـل الملوک من ان ملـک الروم توفیـل بن میخائیـل ارسل الی المعتصم باللّه اثر موقعه عموریه وفـدا یحمـل هـدایا من ثیاب الـدیباج المـذهبه و غیرها، و معه کتاب یعتـذر فیه عما بـدر من جیشه فی زبطره، و یسأل الخلیفه ان ینعم علیه باطلاق سـراح البطارقه الـذین اسـرهم الجیش العربی و عددهم مائه و خمسون بطریقا، و انه مسـتعد لافتداء کل واحد منهم بمائه من أسری المسلمین لدیه(۴). و لا یظهر من الخبر ما اذا کان الخلیفه قد استجاب لالتماس ملک الروم.

یقـول المسـعودی ان المعتصم بـاللّه أراد المسـیر الی القسـطنطینیه و النزول علی خلیجهـا، و الحیله فی فتحهـا برا و بحرا، فاتـاه ما أزعجه و صرف عما عزم علیه، من أمر العباس بن المأمون و ان بعض القواد قد بایعوه، و انه کاتب طاغیه الروم، فاعجل المعتصم فی العوده بعد

۱- العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۵، و الکامل ۶/ ۴۸۸.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۶.

۳- الطبری ۹/ ۶۹.

۴- رسل الملوک/ ۳۴- ۳۵.

ان حبس العباس و مؤیدیه(۱). و یقول السیوطی ان المعتصم باللّه کان قد عزم علی المسیر الی أقصی الغرب لیملک البلاد التی لم تدخل فی ملک بنی العباس، و قد روی عن أحمد بن الخصیب انه قال: ان المعتصم باللّه قال لی ان بنی أمیه ملکوا و ما لأحدنا ملک، و ملکنا نحن و لهم بالاندلس هذا الأموی، فقدر ما یحتاج الیه لمحاربته و شرع فی ذلک فاشتدت علته و مات(۲).

یتضح من هذا ان المعتصم باللّه کان یطمح فی الاستیلاء علی الاندلس، و القضاء علی المملکه البیزنطیه. و یبدو ان الروم کانوا یتوقعون ان یسیر الجیش العربی، بعد اکتساحه عموریه، قدما نحو القسطنطینیه، بحیث بات الملک البیزنطی یخشی سقوط عاصمته فاستنجد بمدینه البندقیه و بملک الفرنج و بعبد الرحمن الثانی أمیر الأندلس، الا انه لم یتلق ایه معونه من أحد منهم(۳).

علی ان مؤامره العباس قد اضطرت المعتصم باللّه علی عقد الصلح مع ملک الروم و العوده الی سامرا، فسلمت بذلک القسطنطینیه و المملکه البیزنطیه.

و کان الشاعر أبو تمام الطائی الذی صحب المعتصم باللّه فی حملته هذه، قال قصیدته المشهوره یمدح بها المعتصم باللّه و یرد علی تخرصات المنجمین و دعاواهم الکاذبه، و ان الفتح جلی وجه الجیش العربی بانتصاره المبین علی الروم المخذولین، فکان ذلک انتصارا عظیما للاسلام، ننتخب منها الأبیات التالیه(۴):

السیف أصدق انباء من الکتب فی حده الحد بین الجد و اللعب

بیض الصفائح لاسود الصحائف فی متونهن جلاء الشک و الریب

۱- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۳- الحدود الاسلامیه البیزنطیه ۱/ ۳۸۸.

۴- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۴۰- ۷۴.

و العلم فی شهب الارماح لامعهبین الخمیسین لا فی السبعه الشهب

أین الروایه بل أین النجوم و ماصاغوه من زخرف فیها و من کذب

تخرصا و أحادیثا ملفقهلیست بنبع اذا عدت و لا غرب

عجائبا زعموا الایام مجفلهعنهن فی صفر الأصفار أو رجب

و خوفوا الناس من دهیاء مظلمهاذا بدا الکوکب الغربی ذو الذنب

و صیروا الابرج العلیا مرتبهما کان منقلبا أو غیر منقلب

یقضون بالأمر عنها و هی غافلهمادار فی فلک منها و فی قطب

لو بینت قط أمرا قبل موقعه لم تخف ما حل بالأوثان و الصلب

فتح الفتوح تعالی أن یحیط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب

فتح تفتح أبواب السماء له و تبرز الأرض فی أثوابها القشب

یا یوم وقعه عموریه انصرفت منک المنی حفلا معسوله الحلب

أبقیت جد بنی الاسلام فی صعدو المشرکین و دار الشرک فی صبب

ثم یصف هزائم الروم، حتی یقول:

تدبیر معتصم باللّه منتقم للّه مرتقب فی اللّه مرتعب

الی أن یقول:

لم یغز قوما و لم ینهد الی بلدالا تقدمه جیش من الرعب

لو لم یقد جحفلا یوم الوغی لغدامن نفسه وحدها فی جحفل لجب

رمی بک اللّه برجها فهدمهاو لو رمی بک غیر اللّه لم یصب

من بعد ما اشبوها واثقین بهاو اللّه مفتاح باب المعقل الأسب

لبیت صوتا زبطریا هر قت له کاس الکری رضاب الخرد العرب

أجبته معلنا بالسیف منصلتاو لو اجبت بغیر السیف لم تجب

خلیفه اللّه جازی اللّه سعیک عن جرثومه الدین و الاسلام و الحسب

فمنحه المعتصم بـاللّه عن كل بيت منها ألف دينار(۱). و كان عدد أبياتها واحدا و سـبعين بيتا. و يقول ابن دحيه ان أبا تمام كرر انشاد القصـيده ثلاثه أيام، فقال له المعتصم باللّه: الى كم تجلو علينا عجوزك؟ قال: حتى استوفى مهرها يا أمير المؤمنين. فأمر له باثنين و سبعين ألف درهم نقره، عن كل بيت ألف درهم شرعى(۲).

و يقول أبو الفرج الاصـبهانى ان أول خليفه عـد أبيـات الشـعر و أعطى على عـددها هو الوليـد بن يزيـد الخليفه الأـموى لما هنأه الشاعر يزيد بن ضبه بتوليه الخلافه، فأمر أن يعطى ألف درهم لكل بيت من قصيدته(۳).

استغرقت حمله المعتصم بـاللّه على عموريه منـذ أن عسـكر بجيشه غربى دجله فى الثـانى من جمادى الأول حتى افتتاح المـدينه قرابه سته شـهور، أما حصارها فقـد دام خمسه و خمسـين يوما(۴). أمـا عـدد من اشترك من الجنـد فى الحمله فـان الطبرى رغم التفصـيلات التى أوردهـا عن الحمله و المعـارك التى جرت فيهـا لم يشـر الى عـدد المشتركين فيهـا. الاـ ان المسـعودى قال عن عددهم «لم يكن يحصى الناس العدد و لا يضبطون كثره، فمن مكثر و مقلل، فالمكثر يقول خمسمائه ألف، و المقلل يقول مائتى ألف»(۵) و يقـدر ابن دحيه عـدد المشـتركين فى الحمله بـأكثر من ثلثمـائه ألف رجل(۶). و ذكر اليعقـوبى عـددهم بصوره غير مباشـره، فقـد جاء فى تأريخه انه لما حبس العباس بن المأمون بعـد اكتشاف مؤامرته، وجد له مائه ألف و سـته عشـر ألف دينار، فأمر المعتصم باللّه أن تفرق على الجند،

۱- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۱.

۲- النبراس/ ۶۴.

۳- الاغانى ۷/ ۹۹.

۴- الطبرى ۹/ ۷۰.

۵- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۶- النبراس/ ۶۳.

فاحصوا فوجدوا ثمانین ألف مرتزق(۱). و لا یغرب عن البال ان هذا العدد یمثل الباقین من الجند المسترزقه المشترکین فی الحمله، و ان تقدیر کل من المسعودی و ابن دحیه یشمل جمیع الرجال المقاتلین، المسترزقه منهم و المتطوعه و المجاهدین مع أمراء الجیش و قادته. و جاء فی کتاب العیون و الحدائق ان القواد و الامراء الذین شهدوا فتح عموریه کانوا نحو سبعین(۲). فاذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان القائد یرأس ألف جندی، فان عدد المشترکین فی الحمله سبعون ألف جندی مرتزق، أی نظامی. و یمکن القول علی ضوء ما ذکر ان عدد افراد الحمله لم یکن یقل عن مائه ألف جندی نظامی، یضاف الیهم المتطوعه و المجاهدون.

۳- أهم الحروب الحدودیه:

کانت الحروب علی الحدود العربیه البیزنطیه سجالا بین الطرفین، ینال العرب من العدو، و ینال العدو منهم. و الذی یلفت النظر فی هذه الحروب کثره عدد أسری العرب لدی الروم، و قد یکون سبب ذلک کثره هجمات العرب و غزواتهم علی الثغور و الحصون الرومیه. یقول المقریزی «و لکثره هجوم أساطیل العرب علی بلاد العدو، فانها کانت تسیر من مصر و الشام و من أفریقیه، فلذلک احتاج الخلفاء الی الفداء»(۳). و الواقع ان کثره الهجمات العربیه لم تقتصر علی البحر فقط بل کانت فی البر أکثر.

و یلاحظ ان أکثر الغزو کان یقع فی الربیع و الصیف، لان الشتاء فی بلاد الروم قارس البرد کثیر الثلوج، و ذلک مما لم یعتد علیه العرب. و یظهر ان حرب عموریه قد ارهقت الروم و انهکتهم،

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۶.

۲- العیون و الحدائق ۳/ ۳۹۸.

۳- الخطط المقریزیه ۲/ ۱۹۱.

فلم يعد باستطاعتهم ان يثأروا لها طيله أيام الواثق باللّه. كما ان الواثق باللّه نفسه لم تراوده فكره استثمار ضعف الدوله البيزنطيه، و لم يكن له أى طموح عسكرى فساد السلام على الحدود بين الدولتين فى عهده، مما أفسح المجال لمفاداه الاسرى بين الطرفين، فتم فداء سنه ۲۳۱ ه الذى عرف بفداء خاقان الخادم.

و يظهر ان العرب استشعروا ضعف الروم، و لما انقضت مده الاربعين يوما، و هى مده الهدنه التى حددت للمفادات، غزا الامير أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى. الا ان التوفيق لم يحالفه اذ اصاب جيشه الثلج و المطر فمات من جنده حوالى المائتين، و غرق منهم فى نهر البرندون عدد آخر و أسر منهم آخرون، بحيث خسرت الحمله زهاء الخمسمائه رجل. و كان الروم قد تجمعوا لصد الحمله بعدد كبير مما اضطر الامير أحمد بن سعيد على التراجع مكتفيا بما غنمه من قطعان البقر و الماشيه. فغضب الخليفه الواثق باللّه عليه و عزله(۱). و هذا يؤيد ما قلناه من ان الواثق باللّه كان يؤثر ان يسود السلام أرجاء الدوله العربيه.

و عند ما عين الأمير على بن يحى الأرمنى أميرا على الثغور الشاميه اخذ يخرج لغزو الصواقى. فخرج فى سنه ۲۳۷ ه، و استمر فى قياده صوائف السنتين التاليتين. و يبدو ان الغرض من خروجه سنويا كان لأرهاب العدو و منعه من التعرض للثغور العربيه.

و يقول أبو المحاسن عن غزوه على بن يحى فى سنه ۲۳۹ ه انه أوغل فى بلاد الروم حتى شارف القسطنطينيه، و احرق ألف قريه، و قتل عشره آلاف علج، و سبى عشرين ألفا، و عاد سالما غانما(۲).

و هاجم الروم فى يوم عرفه من سنه ۲۳۸ ه السواحل المصريه، و كان والى مصر عنبسه بن اسحاق أراد طهور ولديه يوم العيد

۱- الطبرى ۹/ ۱۴۴- ۱۴۵.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۳۰۰.

الاضحی حتی یجمع بین العید و الفرح، و احتفل لذلک احتفالا کبیرا و احضر جمیع من کان من الجند فی الثغور المصریه، تنیس و دمیاط و الاسکندریه، لیشارکوا فی الاحتفال، فخلت تلک الثغور من حامیاتها. و یبدو ان اسطول الروم فی البحر المتوسط اغتنم الفرصه فجاءت ثلاثمائه سفینه من سفنه مشحونه بالمقاتلین و هاجمت ثغر دمیاط فی صباح یوم عرفه و دخلوا المدینه دون ان یلقوا مقاومه، سوی ان أحد المحبوسین یقال له أبو جعفر بن الأکشف، و کان من وجوه المدینه و قد حبسه عنبسه مقیدا، قد أخرجه بعض أعوانه من السجن، فقاتل بهم الروم فهزمهم و اخرجهم من دمیاط. الا ان الروم کانوا قد احرقوا بعض دور المدینه، و استولوا علی الاسلحه و قتلوا کثیرا من الرجال العزل و سبوا نحوا من ستمائه امرأه، و یقال ان المسلمات منهن مائه و خمس و عشرون، و البقیه من نساء القبط. کما استحوذوا علی الاموال التی کانت قد وضعت لتحمل الی العراق کالقند و الکتان.

و کان عدد الروم الذین نزلوا المدینه زها خمسه آلاف رجل، فاوقروا سفنهم من المتاع و الأموال و النساء، و احرقوا المسجد الجامع و الکنائس فی المدینه، و کان من غرق فی بحیره دمیاط من النساء و الصبیان أکثر مما سباه الروم(۱).

و لما بلغ عنبسه نبأ هجوم الروم علی دمیاط نفر الیها بعد النحر فی جیشه فلم یدرکهم لأنهم کانوا قد مضوا الی مدینه تنیس و نزلوا فی اشتومها و هو الموضع الذی یصب فیه النیل فی البحر المتوسط.

و کان لها سور له بابان من الحدید کان المعتصم باللّه قد امر بعمله.

فخربوا السور و احرقوا ما فی الحصن من المجانیق و العرادات، و أخذوا بابیه الحدید و حملوهما معهم(۲). و کان أحد شعراء مصر

۱- راجع عن مهاجمه الروم دمیاط: الطبری ۹/ ۱۹۳- ۱۹۵، و الکامل ۷/ ۶۸- ۶۹ و فیه اسم ابن الاکشف یسر، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۱- ۲۹۵.

۲- الطبری ۹/ ۱۹۴- ۱۹۵، و الکامل/ ۶۹.

و هو يحى بن الفضيل نظم شعرا يستنهض به همه الخليفه و يستثيره، و يعيب على الوالى تهاونه، اذ قال(۱):

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوهو ان يستباح المسلمون و يحربوا

حمار اتى دمياط و الروم وثب بتنيس رأى العين منه و اقرب

مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ماأصابوه من دمياط و الحرب ترتب

فما رام من دمياط شبرا و لادرى من العجز ما يأتى و ما يتجنب

فلا تنسانا بدار مضيعهبمصر و ان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل على اللّه ببناء حصن دمياط، فتولى عمارته عنبسه بن اسحاق و انفق فيه أموالا طائله. و قد دفع هجوم الروم على دمياط و تنيس الخليفه الى الاهتمام بانشاء اسطول بحرى فى مصر ليؤمن صد الهجمات البحريه التى قد تقع عليها. فانشأ عنبسه أول اسطول حربى لمصر، و بنى الموانى للسفن الحربيه أو جعل الارزاق لغزاه البحر كما هى لغزاه البر. و انتخب له القواد العارفين بمحاربه العدو فى البحر. و كان لا يستخدم فى الاسطول غشيم و لا جاهل بأمور الحرب، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرمايه و فنون الحرب البحريه. و صار للعاملين فى الاسطول حرمه و مكانه، بحيث صار كل واحد من الناس يرغب فى ان يعد من جملتهم و يسعى الى ذلك بكل الوسائل(۲).

و اغار الروم فى سنه ۲۴۱ ه على عين زربه فاسروا من كان فيها من الزط مع نسائهم و أطفالهم و جواميسهم و بقرهم(۳)، و كان المعتصم باللّه نقلهم اليها عند ما قضى على تمردهم فى سنه ۲۲۰ ه.

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۲۱۴، و كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۰۱ و فيه اسمه يحى بن الفضل.

۲- الخطط المقريزيه ۲/ ۱۹۱.

۳- الطبرى ۹/ ۲۰۱، و الكامل ۷/ ۸۰.

و كان قد جرى فى هذه السنه، أى ۲۴۱ ه، فداء بين العرب و الروم، و عند ما انتهت مده هدنه الفداء هاجم الروم فى السنه التاليه ثغر شمشاط(۱)، بعد خروج على بن يحى من الصائفه و تقدموا حتى قاربوا مدينه آمد. و كان دخولهم من ناحيه أبرق شمالى ملطيه، ثم اتجهوا الى الثغور الجزريه فانتهبوا عده قرى و أسروا نحو عشره آلاف رجل. فتبعهم عمر بن عبد اللّه الأقطع و معه عدد كبير من المتطوعين فلم يلحقوا بهم، لأنهم كانوا قد انصرفوا الى بلادهم، فأمر الخليفه المتوكل على اللّه على بن يحى ان يسير الى بلادهم شاتيا(۲).

و حينما كان المتوكل على اللّه فى دمشق فى سنه ۲۴۴ ه وجه القائد بغا لغزو الروم، فغزا الصائفه و افتتح صمله و عاد غانما(۳). كما خرج على بن يحى لغزو الصائفه فى السنه التاليه، الا ان الروم كانوا بنفس الوقت قد أغاروا على سميساط فقتلوا و سبوا نحوا من خمسمائه انسان. و بعث ملك الروم الى أهل حصن لؤلؤه بطريقا يقال له لغثيط(۴)، يضمن لكل رجل منهم ألف دينار اذا ما سلموه الحصن، فقبضوا عليه و سلموه الى القائد التركى بلكاجور فحمله الى أمير الثغور على بن يحى، فبعث به الى الخليفه، و كتب ملك الروم يبذل مكانه ألف رجل من أسرى العرب(۵).

و شهدت سنه ۲۴۶ ه عده غزوات عربيه قام بها عدد من القواد. فقد غزا عمر بن عبد اللّه الأقطع الصائفه و عاد بسبعه آلاف أسير(۶). و غزا قربياس و عاد بخمسه آلاف أسير، و غزا الفضل بن

۱- الطبرى ۹/ ۲۰۷، و الكامل ۷/ ۸۱ و فيه انهم هاجموا سميساط.

۲- الطبرى ۹/ ۲۰۷، و الكامل ۷/ ۸۱.

۳- الطبرى ۹/ ۲۰۹.

۴- يقول ابن حوقل ان اللغثيط هو الوزير- صوره الارض/ ۱۷۸.

۵- الطبرى ۹/ ۲۱۸، و الكامل ۷/ ۸۹.

۶- فى الكامل سبعه عشر ألفا.

قارن بحرا فی عشرین مرکبا و افتتح حصن انطاکیه علی الساحل الجنوبی لبلاد الروم، کما غزا علی بن یحیی فعاد بخمسه آلاف أسیر و من الدواب بعشره آلاف رأس، و غزا بلکاجور فغنم و سبا أیضا(۱). فکان موسم الغزو العربی فی هذه السنه مفعما بالمغانم و الانتصارات الموضعیه.

و لما تولی المنتصر باللّه الخلافه اخرج القائد وصیفا علی رأس جیش قوامه أثنی عشر ألف رجل عدا المتطوعین، لرد هجوم رومی مزعوم، فنزل ملطیه و غزا الصائفه فدخل بلاد الروم و افتتح حصن فردریه(۲).

و غزا الصائفه فی سنه ۲۴۹ ه القائد جعفر بن دینار فافتتح حصنا، و استأذنه عمر الأقطع أمیر ملطیه فی المصیر الی ناحیه الروم فاذن له، فسار عمر و معه جیش کثیر العدد فتوغل فی بلاد الروم، فتصدی له ملک الروم فی جیش یزید علی خمسین ألف مقاتل فاحاطوا بالحمله العربیه، فقتل الأقطع مع ألف رجل من جیشه. و تقدم جیش الروم نحو الثغور الجزریه و تغلب علیها. فبلغ ذلک الأمیر علی بن یحیی الذی قد نقل الی الولایه علی أرمینیه و اذربیجان، فبادر الی مساعده جیش ابن الأقطع و اشتبک بجیش الروم، فقتل مع أربعمائه من أصحابه. و کان هذان القائدان الأقطع و الأرمنی من أبرز القاده الشجعان، و یصفهما الطبری انهما کانا نابین من أنیاب المسلمین، و کان الروم یرهبون جانبهما. و لذا کان مقتلهما، و هما فی میدان الجهاد، خساره کبیره أصیب بها الجیش العربی، مما کان له صدی قویا فی مختلف أرجاء الدوله العربیه، و بخاصه فی حاضرتها سامرا و فی مدینه السلام. اذ شق الأمر علی الناس و عظم علیهم فقدهما، مع حنقهم الشدید علی القواد الاتراک

۱- الطبری ۹/ ۲۱۹، و الکامل ۷/ ۹۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۶۰، و الکامل ۷/ ۱۱۹.

و استفضاعهم معاملتهم الخلفاء، اذ صاروا يستخلفون من يحبون استخلافه و لا يحدوهم فى ذلک غير مصالحهم الخاصه دون رعايه لشؤون الدين أو مصالح الامه. فاجتمعت العامه ببغداد بالصراخ و النداء بالنفير. و انضم اليهم الجند من الانباء و الشاكريه بحجه مطالبتهم بارزاقهم، ففتحوا السجون و اخرجوا من فيها، و احرقوا أحد جسرى المدينه و قطعوا الآخر. أما فى سامرا فقد وثب جمع كبير من الناس ففتحوا السجن و اخرجوا من فيه، و لما حاولت قوه من الجند تشتيتهم وثب بهم العامه و اتسع نطاق شغبهم. فخرج كبار قواد الأتراک: وصيف و بغا و اوتامش، على رأس جنودهم و قتلوا من العامه جماعه. و لما رمى وصيف بحجر أمر النفاطين فقذفوا حوانيت التجار و منازل الناس بالنار، و انتهبوا بعض المنازل و الحوانيت. فاستثارت هذه الحوادث حميه بعض أهل اليسار من سامرا و بغداد فاخرجوا أموالا كثيره و فرقوها فيمن ينهض الى الثغور لحرب الروم، فاقبل المتطوعون من نواحى مختلفه من أرجاء الدوله(۱).

و يظهر ان الدوله العربيه لم تكن مستعده لتوجيه جيش لحرب الروم فى تلک المده، و ذلک لاضطراب شؤون الخليفه المستضعف المستعين باللّه بسبب النزاع القائم بين القواد الاتراک من جهه و الخليفه و القائد المتسلط أو تامش من جهه أخرى و الذى انتهى بقتل أو تامش و ازدياد ضعف مركز الخلافه، و لهذا لم يستطع الخليفه ان يستفيد من حماس الناس و يوجههم لحرب العدو. و فى هذا يقول الطبرى «فلم يبلغنا انه كان للسلطان فيما كان من الروم الى المسلمين من ذلک تغيير، و لا توجيه جيش اليهم لحربهم فى تلک الايام»(۲).

۱- راجع عن حوادث الشغب المذكوره: الطبرى ۹/ ۲۶۱- ۲۶۳، و الكامل ۷/ ۱۲۱- ۱۲۳.

۲- الطبرى ۹/ ۲۶۲.

على ان القائد بلكاجور استطاع أن يغزو فى صيفين متتاليين فى السنتين التاليتين و يستولى على بعض الحصون و يأسر جماعه من الروم(۱).

ان انقسام الخلافه العباسيه فى عهد المستعين باللّه و قيام خليفتين فى وقت واحد، و نشوب الحرب بين سامرا و بغداد، و ما تبع ذلك من مشاكل داخليه و ازدياد نفوذ القواد الاتراک، و اشتداد الصراع بينهم و بين الخلفاء، ثم قيام ثوره الزنج و استفحالها. كل ذلك أدى الى انشغال الدوله عن الثغور العربيه فضعفت حامياتها، و لم تعد متحمسه للغزو و القتال. بحيث انه لما غزا محمد بن معاذ من ناحيه ملطيه فى سنه ۲۵۳ وقع أسيرا بيد الروم و هزم جيشه(۲). و تلت هزيمته و اسره مده هدوء على الحدود العربيه- الروميه. الا ان انهماک الجيش العربى داخليا فى اخضاع ثوره الزنج فى عهد المعتمد على اللّه شجع الروم على اغتنام الفرصه، فارسل باسيل الأول، مؤسس الاسره المقدونيه فى بلاد الروم، جيشا كبيرا ليقوم بهجوم واسع على طول حدود الدوله العربيه الفاصله بينها و بين مملكته. و قد استطاعت احدى الحملات أن تستولى على سميساط فى سنه ۲۵۹ ه، ثم حاصرت ملطيه، الا ان أهلها استطاعوا رد المهاجمين، و قتلوا قائد الحمله(۳).

و فى سنه ۲۶۳ ه سلمت حاميه لؤلؤه من الصقاليه الحصن الى الروم(۴). و يعزو ابن الاثير ذلک الى والى طرسوس القائد التركى ارخوز بن يولغ بن طرخان، و كان غرا جاهلا- فاساء السيره فى أهل الثغر و أخر عن حاميه لؤلؤه ارزاقهم و ميرتهم، فضجوا من ذلک و كتبوا الى أهل طرسوس يشكون منه و يهددون بتسليم القلعه الى

۱- الطبرى ۹/ ۲۷۷ و ۳۲۷، و الكامل ۷/ ۱۶۴.

۲- الطبرى ۹/ ۳۷۷، و الكامل ۷/ ۱۸۳.

۳- الطبرى ۹/ ۵۰۶، و الكامل ۷/ ۳۶۷.

۴- الطبرى ۹/ ۵۳۲.

الروم اذا لم تصلهم ميراتهم و ارزاقهم. فغظم ذلک على أهل طرسوس فبادروا الى جمع مبلغ خمسه عشر ألف دينار من بينهم و سلموها الى ارخوز ليحملها الى أهل لؤلؤه فأخذها لنفسه. فلما أبطا المال على أهل لؤلؤ فسلموا القلعه الى الروم. و لما اتصل الخبر بالخليفه المعتمد على اللّه اضاف ولايه طرسوس الى اماره احمد بن طولون ليقوم بأمرها و أمر الحصون التابعه لهم، و ليغزو الروم منها(۱).

و غزا فى السنه التاليه عبد اللّه بن رشيد بن كاوس عامل الثغور فى أربعه آلاف رجل من أهل الثغور الشاميه، فدخل بلاد الروم فقتل و سبى و غنم. و لما رحل عائدا احاط به ثلاثه من بطارقه الروم بجيوشهم، فقاتلهم باتباعه فقتل أكثرهم و تمكن الروم من أسره بعد اصابته بعده طعنات، فحمل الى ملک الروم. و لم يلبث فى الأسر الا قليلا، اذ ان الروم شعروا بقوه ابن طولون المتناميه و شدته فى منازلتهم، فبعث ملكهم بعبد اللّه بن رشيد و عدد من الاسرى و انفذ معهم عددا من المصاحف المذهبه هديه اليه(۲).

و يظهر ان اناطه اماره الثغور بأمير مصر أحمد بن طولون اعاد الحماس الى حامياتها و المتطوعه فيها. فاخذت غزواتهم تترى سنه بعد أخرى فيغنمون و يعودون. فقد غزا سيما الخادم عامل ابن طولون على الثغور الشاميه فى سنه ۲۶۶ ه فى ثلاثمائه رجل من أهل طرسوس، فخرج عليهم نحو أربعه الآف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من العدو و أصيب آخرون، الا ان قسما من جيش الروم وصل الى ديار ربيعه شمالى الجزيره غربى نهر دجله، فقتلوا و أسروا نحوا من مائتين و خمسين شخصا. فنفر اليهم بعض رجال الموصل و نصيبين، ففر الروم راجعين(۳).

۱- الكامل ۷/ ۳۰۸- ۳۰۹.

۲- الطبرى ۹/ ۵۴۵، و الكامل ۷/ ۳۲۸.

۳- الطبرى ۹/ ۵۴۹، و الكامل ۷/ ۳۳۲.

و غزا فی سنه ۲۶۸ ه خلف الفرغانی عامل ابن طولون، من ناحیه الثغور الشامیه فقتل من الروم بضعه عشر ألفا، و غنم من الأموال کثیرا، بحیث بلغ سهم المحارب منها أربعین دینارا(۱).

و لما أغار ملک الروم المعروف بابن الصقلبیه و اناخ علی ملطیه فی نفس السنه المذکوره، بادر أهل مرعش و الحدث الی نجدتها، و ارغموا الجیش الرومی علی الفرار(۲).

و حاول الروم فی سنه ۲۷۰ ه القیام بهجوم واسع علی الثغور العربیه. فتقدم بطریق البطارقه اندریاس علی رأس جیش یربو عدده علی مائه ألف مقاتل، فنزل علی قلمیه، و هی علی بعد سته أمیال من طرسوس. فخرج الیه القائد یا زمان عامل ابن طولون علی الثغور و کمن لجیش الروم و أوقع به هزیمه منکره و أصابه بخسائر جسیمه جدا، اذ یقال انه کبده سبعین ألف قتیل، منهم عدد من البطارقه و کبیرهم بطریق البطارقه، و غنم العرب غنائم لا تحصی. فقد اخذوا لهم سبعه صلبان ذهب و فضه مع صلیبهم الاعظم من الذهب المکلل بالجوهر. و استحوذوا علی خمسه عشر ألف دابه و من السروج نحو ذلک، و استولوا علی سیوف محلاه بالذهب و الفضه، و اربعه کراس من ذهب و مائتی کرسی من فضه، و مائتی طوق ذهب، و نحو عشره آلاف علم دیباج، و غیر ذلک کثیر(۳).

و یعتبر هذا أعظم انتصار للجیش العربی علی الروم بعد عموریه.

ثم غزا یازمان القائد فی سنه ۲۷۵ ه بحرا و هزم الروم و غنم منهم أربعه مراکب(۴). و یقول ابن خلدون ان یازمان غزا بالصائفه

۱- الطبری ۹/ ۶۱۲، و الکامل ۷/ ۳۷۳.

۲- نفس المصدرین السابقین.

۳- الکامل ۷/ ۴۰۶- ۴۰۷، و المنتظم ۵/ ۷۰- ۷۱، و تاریخ ابن خلدون ۳/ ۷۱۰ و جاء اسم القائد فی الکامل: بازمار.

۴- الکامل ۷/ ۴۳۳، و المنتظم ۵/ ۹۴.

أیضا و توغل فی أرض الروم و قتل و سبی و أسر و غنم و عاد الی طرسوس(۱).

و عند ما خرج یازمان للغزو فی سنه ۲۷۹ ه وصل الی «شکند»، فاصابته شظیه من حجر منجنیق فی اضلاعه، فارتحل عائدا بعد أن أو شک علی الاستیلاء علیها، فتوفی الطریق، فحمل الی طرسوس فـدفن فیها(۲). و کانت هـذه آخر غزوه خرجت الی بلاد الروم من الثغور العربیه فی عهد الخلفاء العباسین فی سامرا.

۱- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۷۱۱.

۲- الکامل ۷/ ۴۴۹، و تاریخ ابن خلدون ۳/ ۷۱۱ و سمی المدینه: اسکندا.

الفصل الثانی المفاداه بین العرب و الروم

۱- فداء سنه ۲۳۱ ه:

لعل أهم الاحداث التی جرت مع الروم فی عهد الواثق باللّه هی عملیه الفداء التی تمت فی سنه ۲۳۱ ه. و تعتبر هذه المفاداه الثالثه التی تمت منذ تولی العباسیون حکم الدوله العربیه(۱). فقد قدم علی الخلیفه بسامرا وفد من ملکه الروم تیودوره الوصیه علی ابنها میخائیل بن توفیل، یفاوض فی فداء أسری الروم بمن فی أیدیهم من أسری الحرب، فاجاب الخلیفه بالموافقه(۲). و قد جرت بین الوفد البیزنطی و الوزیر محمد بن عبد الملک الزیات مفاوضه للاتفاق علی شروط المفاداه. و کان رسل الروم قد اشترطوا ان لا یأخذوا فی الفداء امرأه عجوزا و لا شیخا کبیرا و لا صبیا، و استمرت المفاوضه عده أیام الی ان اتفق الطرفان علی أن یکون الفداء علی أساس کل نفس بنفس(۳).

۱- تم الفداءان الاول و الثانی فی عهد هارون الرشید- التنبیه و الاشراف/ ۱۶۱ و یقول الطبری ۹/ ۱۴۲ ان آخر فداء قد تم فی عهد محمد الامین.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۱، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۲.

۳- الطبری ۹/ ۱۴۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۳.

و كان الخليفه قـد بعث الى بلاد الروم من يتعرف على عـدد أسـرى العرب هناك، فكان عـددهم ثلاثه آلاف رجل و خمسـمائه امرأه(۱).

و كان عـدد أسـرى الروم أقل من ذلك، فأمر الواثق باللّه بشـراء الرقيق و الاسـرى الروم من سامرا و بغـداد و غيرهما. فاشترى من وجـد منهم، فلم يتم العـدد المطلوب فتـبرع الخليفه فـاخرج من كـان فى قصـره من النسـاء الروميـات العجـائز و غيرهن حـتى تم العدد(۲).

و عقـد الخليفه لأحمد بن سـعيد بن مسـلم الباهلى على ولايه الثغور و العواصم و أمره ان يحضـر عمليه الفداء، و بعث معه خاقان الخادم الذى عرف هذا الفداء بأسـمه باعتباره ممثل الخليفه. كما حضر أحد الخبراء بالشؤون الروميه هو مسلم الجرمى، و كان ذا معرفـه بأهـل الروم و أرضـها، و له مصـنفات فى اخبـارهم و ملـوكهم و بلاـدهم و طرقهـا و مسالكهـا، و أوقـات الغزو و الغـارات عليها(۳).

كمـا وجه باثنين من أصـحاب القاضـى ابن ابى دواد، أى من المعتزله، هما يحى بن آدم الكرخى و يكنى بابى رمله، و جعفر بن محمد الحذاء. و بعث معهما كاتبا يدعى طالب بن داود، و امرهم بامتحان الاسـرى العرب وقت المفاداه، فمن قال بخلق القرآن و ان اللّه لا يرى يوم القيامه، فودى به واعطى دينارا واحدا، و من لم يقل بذلك ترك فى أيدى الروم(۴).

و لما كان يوم عاشوراء من سـنه ۲۳۱ ه اجتمع العرب و معهم أسـرى الروم، و اتى الروم و معهم الاسـرى العرب. و حضر المفاداه عدد كبير من العرب من جند و متطوعه، و يقدر اليعقوبى عددهم

۱- الطبرى ۹/ ۱۴۲.

۲- الطبرى ۹/ ۱۴۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۲، و الكامل ۷/ ۲۴.

۳- التنبيه و الاشراف/ ۱۶۲.

۴- الطبرى ۹/ ۱۴۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۲، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۲ و فيه دفع لمن فودى به ديناران و ثوبان.

بسبعه آلاف رامح سوى من ليس معه رمح(۱). و يظهر ان تقديره لا يخلو من المبالغه، اذ يقدر الطبرى عدد الحاضرين بأربعه آلاف فارس و راجل(۲). فخاف الروم لقلتهم و كثره العرب، فأمنهم خاقان الخادم و ضرب لهم أربعين يوما هدنه لا يقوم العرب خلالها بغزوهم، حتى تتسنى لهم العوده الى بلادهم(۳).

و تمت عمليه المفاداه على نهر اللامس على بعد مرحلتين من طرسوس. و كان النهر يفصل بين الطرفين، فوقف العرب من جانبه الشرقى، و الروم من الجانب الغربى. و كان العرب يطلقون الأسير من الروم، فيطلق الروم أسيرا من العرب، فيلتقيان فى وسط النهر و كان مخاضه يعبره الاسرى. و قيل كان على النهر جسر، كما قيل كان عليه جسران احدهما للعرب و الآخر للروم. فيأتى كل منهم الى أصحابه فاذا وصل الأسير العربى كبر العرب، و اذا وصل الاسير الرومى استقبله الروم بالصياح، حتى فرغوا من الفداء(۴).

و يقول ياقوت الحموى ان اللامس قريه على شاطى ء بحر الروم من ناحيه طرسوس، كان فيها الفداء بين العرب و الروم، يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم، و العرب فى البر، فيتم الفداء، و يؤيده ابن حوقل فى ذلك(۵).

استغرقت عمليه الفداء بين العرب و الروم أربعه أيام(۶).

أما عدد من فودى بهم من الاسرى العرب و من كان معهم من أهل الذمه، فقد تراوح بين خمسمائه رجل و سبعمائه امرأه على ما ذكره

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۲.

۲- الطبرى ۹/ ۱۴۳.

۳- الطبرى ۹/ ۱۴۴.

۴- الطبرى ۹/ ۱۴۳- ۱۴۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۳، و الكامل ۷/ ۲۴.

۵- معجم البلدان ۵/ ۸، و صوره الارض/ ۱۸۳.

۶- الطبرى ۹/ ۱۴۴، و التنبيه و الاشراف/ ۱۶۱، و فيه انها استغرقت عشره أيام.

اليعقوبى، و بين أربعه آلاف و ستمائه انسان بما فيهم من أهل الذمه على ما جاء فى تاريخ الطبرى و التنبيه و الاشراف و تجارب الامم و الكامل(۱). و يبدو ان اليعقوبى متحفظ جدا فى تقدير عدد من تم افتداؤهم، لا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد من احصى من أسرى العرب فى بلاد الروم قبل عمليه الفداء. و يقدر ابن خلدون عدد الذين فودى بهم من العرب باربعه آلاف و أربعه و ستين، و النساء و الصبيان بثمانمائه، و اهل الذمه بمائه(۲). و يقول الطبرى ان خاقان الخادم استفرغ جميع من كان فى بلد الروم من الاسرى العرب ممن علم موضعه، و انه أعطى صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده من أسرى الروم مائه نفس، ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين الى انقضاء المده، ورد الباقين الى طرسوس فباعهم(۳).

۲- فداء سنه ۲۴۱:

يعتبر هذا الفداء الرابع حسب ما يقول المسعودى. و يفهم مما جاء فى الطبرى عنه ان الملكه تيودوره الوصيه على ابنها ميخائيل الثالث، وجهت فى هذه السنه الى الخليفه المتوكل على اللّه أحد رجالها المدعو قرياقس تطلب مفاداه من فى أيدى الروم من أسرى العرب.

فوجه المتوكل على اللّه فى شعبان نصر بن الازهر بن المفرج المعروف بالشيعى، ليعرف عدد الاسرى فى بلاد الروم، لكى يتدبر امر مفاداتهم. و يقال ان تيودوره، بعد خروج نصر من بلادها، أمرت بعرض النصرانيه على أسرى المسلمين فمن تنصر منهم بقى فى

۱- الطبرى ۹/ ۱۴۳، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۲، و التنبيه و الاشراف/ ۱۶۱، و الكامل ۷/ ۲۴.

۲- تاريخ ابن خلدون ۳/ ۵۷۷- ۵۷۸.

۳- الطبرى ۹/ ۱۴۳- ۱۴۴.

بلادها، و من ابی قتلته، و ذکر انها قتلت اثنی عشر ألفا لانهم رفضوا الدخول فی النصرانیه.

و کتب الخلیفه الی عمال الثغور الشامیه و الجزریه ان خادمه شنیفا قد فاوض الروم و اتفق معهم علی هدنه أمدها ثلاثه أشهر لیقوم کل من الطرفین یجمع الاسری الذین لدیه. و عند ما انتهت المده اجتمع الطرفان علی نهر اللامس أیضا فی الثانی عشر من شوال، و تم الفداء بینهما. و کان عدد من فودی به من الاسری العرب خمسا و سبعین و ثمانمائه انسان، منهم خمس و عشرون و مائه امرأه[۱]. و لا یختلف ما ذکره ابن الاثیر عن هذا الفداء عما جاء فی الطبری سوی قوله ان الملکه تیودوره ارسلت تطلب المفاداه بمن بقی من أسری العرب بعد ان قتلت من لم یدخل فی النصرانیه منهم، و ان قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد الهاشمی طلب ان یحضر عملیه الفداء فأذن له[۲].

أما المسعودی فانه لا یذکر موضوع عرض النصرانیه علی المسلمین و قتل من لم یتنصر منهم، کما انه یختلف فی عدد من فودی به من الاسری العرب، و یقول کان عددهم مائتین و ألفین من الرجال و مائتین من النساء، کما یذکر انه کان فی الاسری بعض النصاری المأسورین من دار الاسلام بلغ عددهم مائه رجل و نیف، فعرضوا مکانهم عده اعلاج لأن الفداء لا یقع علی نصرانی[۳]. و یؤید المقریزی ما ذکره المسعودی[۴]، و احسب انه نقله عنه.

و ذکر الیعقوبی هذا الفداء باختصار، فلم یذکر عدد من فودی به من أسری العرب، کما انه لم یشر الی الاسری من النصاری. فهو

۱- الطبری ۹/ ۲۰۲- ۲۰۳.

۲- الکامل ۷/ ۷۶.

۳- التنبیه و الاشراف/ ۱۶۲.

۴- الخطط المقریزیه ۲/ ۱۹۱.

یـذکر ان ملک الروم وجه برسل و بعض الهـدایا یطلب المفاداه، و قد بعث له باضـعافها. و یشـیر الی انه قد حمل من کل بلد فیه من أسری الروم، و اشتری عبید النصاری(۱). مما یدل علی ان عدد اسری الروم لدی الدوله العربیه کان قلیلا.

مما یلفت النظر فی هـذه الروایات التی ذکرناها عن هـذا الفداء الاختلاف الکبیر فی عدد من فودی بهم بین ما ذکره الطبری و ما ذکره المسـعودی. ثم اذا کانت ملکه الروم قد ابقت فی بلادها من تنصر من الأسری و قتلت من رفض التنصر، فانه لم یعد هناک من یفادی به من الاسـری العرب، مما یسـتدل منه ان الروایه مبالغ فیها و تنقصها الدقه. و تتضمن روایه ابن خلدون وضوحا أکثر، و هی أحری بـالقبول، اذ یقول: و کـانت تـدوره ملکه الروم حملت اسـری المسـلمین علی التنصـر، فتنصـر الکثیر منهم، ثم طلبت المفاداه فیمن بقی منهم علی الاسلام(۲).

۳- فداء سنه ۲۴۶ ه:

و هو الفـداء الخـامس علی قول المسـعودی، و قـد تم فی خلافه المتوکل علی اللّه أیضا. یقول الطبری عن هـذا الفـداء ان ملک الروم میخائیل بن توفیل بعث الی الخلیفه رسولا یدعی أطروبیلیس و معه سـبعه و سـبعون رجلا من أسـری المسلمین أهداهم الی الخلیفه. فانزل الرسول علی شـنیف الخادم. ثم وجه المتوکل علی اللّه نصـر بن الازهر الشیعی مع رسول ملک الروم، فشخص فی هذه السنه للمفاوضه مع ملکها علی الشروط التی یتم الفداء بموجبها.

و قد وصف ابن الازهر مقابلته ملک الروم و تقدیمه هدایا الخلیفه الیه، و اتفاقه حول شروط المناداه، و صفا طریفا نقتطف

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۰- ۴۹۱.

۲- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۵۸۷- ۵۸۸.

منه ما یأتی «لما صرت الی القسطنطینیه حضرت دار میخائیل الملک بسوادی و سیفی و خنجری و قلنسوتی، فجرت المناظره بینی و بین خال الملک بطرناس (و هو بادراس اخو تیودوره أم الملک، و قد صار وصیا علیه) و کانوا قد أبوا ان یدخلونی بسیفی و سوادی، فقلت: انصرف، فانصرفت. فرددت من الطریق و معی الهدایا، منها نحو ألف نافجه من المسک، و ثیاب حریر، و زعفران کثیر، و طرائف ... و حملت الهدایا معی، فدخلت علیه، فاذا هو علی سریر فوق سریر، و اذا البطارقه حوله قیام. فسلمت و جلست علی طرف السریر الکبیر، و قد هی ء لی مجلس، و وضعت الهدایا بین یدیه. و بین یدیه ثلاثه تراجمه: غلام فراش کان لمسرور الخادم، و غلام لعباس بن سعید الجوهری، و ترجمان له قدیم یقال له سرحون. فقالوا لی: ما تبلغه؟ قلت: لا تزیدون علی ما أقول لکم شیئا. فاقبلوا یترجمون ما أقول. فقبل الهدایا و لم یأمر لأحد منها بشی ء. و قربنی و أکرمنی، و هیأ لی منزلا بقربه. فخرجت فنزلت فی منزلی ... فراجعوا فی مخاطبتی، و انقطع الأمر بینی و بینهم فی الفداء غلی ان یعطوا جمیع من عندهم من الاسری و هم أکثر من ألفین منهم عشرون امرأه و معهن عشره من الصبیان، و أعطی جمیع من عندی و کانوا أکثر من ألف قلیلا، فاجابونی الی المحالفه.

فاستحلفت خاله فحلف عن میخائیل، فقلت: أیها الملک، قد حلف لی خالک، فهذه الیمین لازمه لک؟ فقال برأسه نعم. و لم اسمعه یتکلم بکلمه منذ دخلت بلاد الروم الی أن خرجت منها. انما یقول الترجمان و هو یسمع فیقول برأسه نعم أولا، و لیس یتکلم، و خاله المدبر أمره. ثم خرجت من عنده بالاسری بأحسن حال. حتی اذا جئنا موضع الفداء، أطلقنا هؤلاء جمله. و کان عداد من صار فی أیدینا من المسلمین أکثر من ألفین، منهم عدد ممن کان تنصر، و صار فی أیدیهم اکثر من ألف قلیلا ..»(۱).

۱- الطبری ۹/ ۲۱۹- ۲۳۰.

و قد تم هذا الفداء فی صفر من سنه ۲۴۶، و قیل انه تم فی جمادی الأولی، و ذلک علی یـد الأمیر علی بن یحی الارمنی. و کان عدد من فودی بهم ألفین و ثلاثمائه و سبعه و ستین شخصا. و یسمی المسعودی هذا الفداء، فداء نصر بن الأزهر و علی بن یحیی الأرمنی، و یقول انه تم فی مستهل صـفر، و هو یتفق فی عدد من فودی بهم مع ما ذکره الطبری، و یضیف ان الفداء تم فی سبعه أیام و ان من فودی بهم کانوا من الذکور و الاناث(۱). و ما ذکره المقریزی عن هذا الفداء یطابق روایه المسعودی(۲). و یقتصر ابن الاثیر فی ذکر هذا الفداء علی انه تم فی سنه ۲۴۶ ه علی ید علی بن یحیی الأرمنی، و یتفق مع الطبری و المسعودی فی عدد من فودی بهم(۳).

و یشیر المسعودی الی ما یقال عن فدائین آخرین تما فی عهد الخلفاء العباسیین فی سامرا، أحدهما فی سنه ۲۵۳ ه فی أیام المعتز بـاللّه علی یـد شـفیع الخـادم. و الآخر فی أیام المعتمـد علی اللّه فی رمضان سـنه ۲۵۸ ه علی یـد شـفیع و محمـد بـن علی. و هو یشـکک فی حدوثهما بقوله: لم نجد لهما حقیقه و لا اشـتهر أمرهما و لا استفاض خبرهما، و ان الصحیح المعول علیه ما کان قد ذکره(۴). و من الجدیر بالذکر ان الطبری و ابن الاثیر لا یذکران شـیئا عن الفدائین المذکورین اللذین نفی المسعودی حصولهما فی عهد سامرا.

۱- التنبیه و الاشراف/ ۱۶۲- ۱۶۳.

۲- الخطط المقریزیه ۲/ ۱۹۱.

۳- الکامل ۷/ ۹۳.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۱۶۳ و ۱۶۶- ۱۶۷ علی التوالی.

الفصل الثالث العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم

۱- الاتصال الحضاری بین العرب و الروم:

عند ما انتقلت عاصمه الدوله العربیه فی عهد المعتصم باللّه الی سامرا کانت بلاد الشام و مصر و شمالی أفریقیه و النصف الشرقی من آسیا الصغری، جزء من الدوله العربیه. و کان العرب قد حرروا هذه البلاد من الامبراطوریه البیزنطیه، الا ان الطابع الرومی استمر فی هذه البلاد عهدا غیر قصیر فی النواحی الاجتماعیه کالتقالید و طراز الحیاه، و الناحیه الفنیه المتمثله فی الغناء و الموسیقی و طراز البناء، و کذلک فی الناحیه الثقافیه و الفکریه. و یروی أبو الفرج عن المغنی المدنی مسلم بن محرز المتوفی سنه ۱۴۰ ه انه صار الی الشام فتعلم ألحان الروم و أخذ غناءهم، فاسقط من ذلک ما لا یستحسن، و أتی بما لم یسمع المرء مثله(۱). و قد وجد العرب فی هذه البلاد و انظمه أداریه و مراکز ثقافیه متقدمه، فأولوها رعایتهم

۱- الاغانی ۱/ ۳۷۸.

و استفادوا منها كثيرا مما ساعدهم على تقدمهم الحضارى. و لا ينكر انهم تعرفوا عن طريق الحضاره الهيلينيه التى كانت سائده فى البلاد المذكوره على آثار القدماء فى ميدان العلوم و الفنون(١).

و قد استهدف العرب فى عهد الفتوح اجتياح بلاد الروم نفسها و الاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينيه، و قد اوشكت الامبراطوريه البيزنطيه ان تمحى من الوجود تماما على أيديهم ثلاث مرات بين سنتى ٤٨ و ٩٩ ه، و كان الخطر العربى ماثلا على الدوام فى ذهن كل بيزنطى(٢). و كانت آخر مره استهدفت فيها العرب الاستيلاء على القسطنطينيه فى ٢٢٣ ه عند ما اجتاح المعتصم باللّه بلاد الروم و افتتح عموريه، الا ان مؤامره قامت ضده حالت دون تحقيق ذلك.

و على الرغم من توقف موجه الفتح العربى فى بلاد الروم على عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، فان الحروب ظلت مستمره تقريبا بين الدوله العربيه و امبراطوريه الروم. الا انها كانت على شكل غزوات على أطراف الحدود بينهما، و هدفها رد العدو و منع اذاه، أو ارهابه و الحاق الاذى به و الفوز بالغنائم. و قد اشرنا الى هذه الحروب فى فصل سابق.

و كانت هذه الحروب، كما رأينا، متصله بحيث لم تمر سنه من سنوات الخلافه العباسيه فى سامرا دون نشوب قتال بين الجانبين، خلا فترات و جيزه من الهدوء كما اشرنا فى صدر هذا الباب. و قد أدى استمرار الحروب الحدوديه بين الدولتين الى أن تقوم كل منهما بتحصين ثغورها و شحنها بالمقاتلين المحترفين، مما كان يستلزم حاله مستديمه من اليقظه و الاستعداد لدفع عدوان المغيرين. على أن تواصل هذه المعارك بما يستتبع من علاقات غير مقصوده بين

١- الامبراطوريه البيزنطيه/ ٣۶۶.

٢- حضاره الاسلام/ ٥١.

شعبين كبيرين لا يخلو من تأثير على التطور الداخلى لدى كل منهما.

و اذا كـانت التجـاره قـد تأتى فى المكان الاول من حيث انها عامل فى التطور الثقافى للشـعوب، فان العلاقات السياسـيه أيضا قد خدمت الثقافه فى كثير من الاحيان. اذ يتطاحن شـعبان فيتبادل المنتصـرون و المنهزمون الافكار و العادات و الاخلاق و اللغات و الاداب(۱).

لقد كان للروم، كشعب عريق فى حضارته، عاداتهم و تقاليدهم يمارسونها فى حياتهم الاعتياديه. كما ان لهم طريقتهم فى أصول الحكم، و لهم فنـونهم الخـاصه بهم. و انهم يحتفظون بـتراث كـبير من كتب اليونـان فى الطب و الفلسـفه و الادب. و قـد اقتبس العرب بعض ما تيسر لهم من ذلك عن طريق المعارك الحدوديه التى أشرنا اليها.

فان استيلاء الروم على أحد الثغور العربيه و بقاؤهم فيه مده حتى يجلبهم العرب عنه، يترك بين سكانه شيئا من تأثيرهم و لا سيما فى اللغه و أسلوب الحياه اليوميه. و ذلك بحكم اتصالهم المباشر بهم.

و كذلك الامر عند ما يقع الاسـرى العرب بأيدى الروم، و كان عدد هم كبيرا نسبيا بسـبب كثره غزواتهم و هجماتهم على الثغور و الحصون الروميه. أو عنـد مـا يقع الاسـرى الروم بأيـدى الغزاه العرب، و كانوا من الكثره أحيانا بحيث ينادى على بيعهم خمسـه خمسه و عشـره عشره، كما حصل فى معركه عموريه. فيختلط هذا العدد الكبير منهم بأهل دار السلام. فكان هذا الاختلاط عاملا مهمـا فى الاتصال الحضارى و الثقافى بين الجانبين. اذ ان كل طرف يقتبس من الطرف الآخر بحكم معايشـته قوما يختلفون عنه، بعضـا من عـاداتهم و تقاليـدهم و أسـلوبهم فى الحياه، و يتعلم شـيئا قليلا أو كثيرا من لغتهم. و لعل ظهور بعض الشـعراء و الادباء ممن كـانوا من أصـل رومى مثـل ابن الرومى الشـاعر، و ياقوت الحموى الرومى الأديب البلـدانى البارع، دليل واضـح على التأثير الذى أشرنا اليه.

۱- العرب و الروم/ ۱۸.

و من الطبیعی ان یزداد تأثر الأسیر کلما اتسعت ثقافته و ارتفع مستواه الاجتماعی و الحضاری، و ذلک بحکم نوع علاقاته و سعه اطلاعه. فینقل عند عودته من الأسر ما تعلمه أو اعتماده، الی بلاده. و یذکر أحد الاسری العرب، و هو هارون بن یحیی، انه اسر فی عسقلان و حمل الی القسطنطینیه علی طریق البحر، و یذکر المدن و القری و الاماکن التی مر بها حتی انتهی الی عاصمه الروم، فیصف مالفت نظره فیها أو تأثر به. کأبواب المدینه و بلاط الملک، و هو قصر کبیر فی وسط المدینه یحیط به سور، و البذرون و هو میدان واسع یجتمع فیه البطارقه فیشرف علیهم الملک من قصره. و ما شاهده فی القصر من التماثیل النحاسیه للبشر و الحیوانات. و یصف سیاق العجلات المذهبه و لباس الرجال الذین یسوقونها. و کنیسه الملک و قبتها و أعمدتها و أبوابها و مقصورتها و التماثیل التی فیها، و حضور الملک الیها یوم المیلاد. و کیف یحضرون اسری المسلمین لیأکلوا علی مائده الملک بعد أن ینادی منادی الملک ان هذه الاطعمه لیس فیها شی ء من لحم الخنزیر. ثم یصف (الارقنا) و هو الأرغن.

و یبدی اعجابه بفخامه موکب الملک عند خروجه الی الکنیسه العظمی التی هی للعامه، و یذکر ادیره الرهبان حوالی القسطنطینیه، و یتعجب من کثره الرهبان فیها. ثم یصف سفره الی روما و مروره بسلانیک(۱). و هو فی وضعه هذا یعطینا کثیرا من التفصیلات التی یبدو فی بعضها شی ء من المبالغه. و یرجح ان هارون بن یحیی قد اسر و حمل الی عاصمه الروم فی أیام الملک باسیل الأول (۲۵۳- ۲۷۳ ه)(۲).

کما لا یخفی تأثیر الرقیق الرومی فی البیوت العربیه، لا سیما النساء و تأثیرهن علی تربیه الأولاد، و تنظیم الشؤون المنزلیه. بل لقد صار بعضهن أمهات خلفاء، فقد کان أربعه من خلفاء سامرا

۱- الاعلاق النفیسه/ ۱۱۹- ۱۳۲.

۲- الامبراطوریه البیزنطیه/ ۴۸۴.

من أمهات روميات، فان قراطيس أم الواثق باللّه، و حبشيه أم المنتصر باللّه، و قبيحه أم المعتز باللّه، و قرب أم المهتدى باللّه كن أمهات أولاد روميات.

و مهما كـان البون بين العرب و الروم شاسعا فى أدب اللياقه و أسلوب الحياه، فقد كـان بينهما من الامور المشتركه ما يكفى لتمكين كل منهما من التأثير فى الجانب الآخر(۱).

۲- العلاقات الثقافيه:

لاحظنا مما تقدم ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و المملكه البيزنطيه رغم استمرارها لم تمنع من قيام علاقات بين العرب و الروم. و لعل أوضح أوجه هذه العلاقات كانت فى النواحى الثقافيه و التجاريه. أما العلاقات الثقافيه فقد كان أبرز مظاهرها تلك المصادر الفلسفيه و الطبيه لارسطو و جالينوس و ابقراط و غيرهم من فلاسفه اليونان و حكمائها، التى جلبت من بلاد الروم. اذ حصل العرب على كثير من كتب اليونان فى نواحى الطب و الفلسفه بصوره خاصه. و قد انكب عليها المترجمون و نقلوها الى اللغه العربيه بتشجيع من الخلفاء و رجال الدوله الذين لم يدخروا و سعا فى الانفاق على ذلك. مما كان له عظيم الأثر فى حركه التقدم العلمى التى ازدهرت فى القرنين الثالث و الرابع. و قد اسهبنا فى بحث هذا الموضوع فى الباب الخاص بالحركه العلميه فى عهد سامرا.

و قد اشتهر فى سامرا عدد من فطاحل المترجمين و على رأسهم حنين بن اسحاق العبادى المتوفى سنه ۲۶۰ ه الذى كلفه المأمون بنقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغه العربيه، و أوفده على وفد الى بلاد

۱- حضاره الاسلام/ ۴۴.

الروم لاختيار ما يرونه مفيدا من الكتب(۱). و كان حنين يتقن اليونانيه و آدابها كما يتقن العربيه و السريانيه. و قد عينه المتوكل على اللّه رئيسا للمترجمين و عين له كتابا نحارير عالمين بالترجمه ليعاونوه فى عمله، و قد ترجم كتب ابقراط و جالينوس و لخصها أحسن تلخيص(۲).

و يمكن اعتبار بعثه الواثق باللّه الى بلاد الروم للتحرى عن الفتيه الذين آوا الى كهف هربا من تعسف دقليديانوس، من مظاهر العلاقه الثقافيه بين العرب و الروم أيضا. فقد أشرنا فى فصل آخر الى ان الواثق باللّه قد بعث بأحد علماء العرب الى مدينه أفسوس فى بلاد الروم لتحرى أمر أولئك الفتيه، و رأينا كيف ان امبراطور الروم آنذاك ميخائيل الثالث قد أستجاب لطلب الخليفه العربى فأرسل مع مبعوثه رجلا عارفا بموقع الكهف ليكون دليلا له. و هذا يدل و لا شك على نوع من التعاون فى الحقول العلميه بين الدولتين رغم الحروب التى كادت أن تكون متصله بينهما.

و كان من بعض نتائج هذا التأثر الثقافى المتبادل ان انتقلت كلمات عربيه كثيره الى لغه الروم، و كلمات يونانيه الى اللغه العربيه. و هذه الكلمات المنقوله سواء كانت عربيه أم يونانيه.

أصابها كثير من التحريف بحيث بات من الصعب معرفه أصلها المختفى وراءها.

۳- العلاقات التجاريه:

رأينا ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و بلاد الروم لم تقف حائلا دون قيام علاقات ثقافيه بين الطرفين. و الواقع انها لم تمنع كذلك قيام علاقات تجاريه بينهما. و يبين المقدسى البشارى

۱- اخبار الحكماء/ ۱۱۷، و عيون الانباء/ ۲۶۰.

۲- عيون الانباء/ ۲۶۲.

ان سبب ذكره الطرق الموصله الى القسطنطينيه هو «لحاجه المسلمين الى ذلك و قصدهم فى شراء الاسارى، و الرسالات، و الغزو، و التجارات»(۱). و فى هذا دلاله على تردد العرب على عاصمه الروم كوفود رسميه، أو لافتداء الاسرى، أو للغزو، أو لغرض التجاره.

و كما كان التجار البيزنطيون يظهرون فى كثير من المدن العربيه، كان التجار العرب يفدون على بيزنطه لانجاز أعمالهم. و كانت مملكه الخزر بموقعها الجغرافى بين اقليم قزوين و الامبراطوريه البيزنطيه و الروس حلقه اتصال أبقت التجاره العربيه متصله مع أوربا و بلاد الروم، كما كانت طرابزون على البحر الاسود مركز الاتصالات التجاريه بين الطرفين، و يتضح مما يذكره المسعودى ان طرابزنده (طرابزون) كانت تقام فيها أسواق سنويه يأتى اليها كثير من الامم للتجاره من المسلمين و الروم و الارمن و غيرهم(۲). و الواقع ان طرابزون كانت حينذاك أهم الموانى ء التى يعرض فيها التجار العرب بضائعهم على التجار من الروم و غيرهم.

و كان يقطنها عدد من التجار العرب(۳).

لقد كانت بضائع الشرق تنقل الى أوربا فى خلال القرن الثالث عن طريق الدوله البيزنطيه سواء بواسطه تجارها أو التجار العرب. فصارت القسطنطينيه مركزا لاستقبال بضائع الشرق و مصنوعاته كالحرير و الكتان، و التوابل و البخور و العطور، و المنسوجات العراقيه و الشاميه التى اشتهر منها الموسلين و الدمقس، و المصنوعات النحاسيه و الزجاجيه و غيرها من البضائع التى كانت تبهر الغرب آنذاك. و منها تنقل الى أواسط أوربا و غربيها.

و لا شك فى ان قيام بيزنطه بدور الوسيط اكسبها مركزا مهما بالنسبه للبلاد الاوربيه الاخرى، و أدى الى ازدهار حياتها

۱- أحسن التقاسيم/ ۱۴۷.

۲- مروج الذهب ۱/ ۱۷۶.

۳- تراث الاسلام/ ۱۵۹.

الاقتصادیه لما کانت تجنبه من الارباح من ذلک، کما کان التجار العرب یربحون الکثیر من تجاراتهم هذه.

و عند ما یذکر ابن خرداذبه مسالک التجار حینذاک یعطینا صوره واضحه عن البضائع التی کانت تنقل من الشرق الی الغرب أو بالعکس. فهم یجلبون من الغرب الخدم و الجواری و الغلمان و الدیباج الرومی و جلود الخز و الفراء و السمور. و یرکبون البحر فیخرجون بالفرما و یحملون تجارتهم برا علی الحیوانات الی القلزم (السویس) و منها یرکبون البحر ثانیه الی جده فینطلقون منها الی السند و الهند و الصین، فیحملون بضائع هذه البلدان و مصنوعاتها کالمسک و العنبر و العود و الکافور و الدار صینی و الصندل و الساج و الفلفل و الحریر الصینی و السرج و غیر ذلک مما یحمل من تلک البلدان(۱)، ثم یرجعون بنفس الطریق. و قد یعدلون بتجاراتهم الی القسطنطینیه لیبیعوها الی الروم. و ربما صاروا بها الی بلاد الفرنج مباشره لبیعها هناک. کما کانوا یحملون تجاراتهم أحیانا فی البحر الغربی فیخرجون بانطاکیه و یسیرون برا حتی یبلغوا نهر الفرات، ثم یرکبون دجله الی بغداد و منها الی الابله، و منها الی عمان فالسند و الهند و الصین(۲).

و یقول المقدسی عن کفر سلام، و هی احدی قری قیساریه «و لهذه القصبه رباطات علی البحر یقع منها النفیر، و تقلع الیها شلذیات الروم مع اساری المسلمین للبیع کل ثلاثه بمائه دینار، و فی کل رباط قوم یعرفون لسانهم و یذهبون الیهم فی الرسالات»(۳).

و فی قوله هذا دلیل آخر علی قیام العلاقات التجاریه بین الدولتین حتی انها لتشمل بیع الاسری و شرائهم، کما یظهر منه وجود من یحسن

۱- المسالک و الممالک/ ۱۵۳- ۱۵۴.

۲- المسالک و الممالک/ ۱۵۳- ۱۵۴.

۳- أحسن التقاسیم/ ۱۷۷.

اللغه الروميه من العرب ليسهل أمور معاملات البيع و الشراء بين الطرفين.

و كـان للثغور العربيه الشـاميه منهـا و الجزريه أهميه خـاصه فى العلاقـات التجـاريه بين الـدوله العربيه و بلاد الروم، بالنظر لأهميه موقعها بينهما. فهى تتوزع فى منطقه متوسطه بين البحر المتوسط و البحر الاسود و بحر الخزر، و ترتبط بموانى البحر المذكوره.

مما ساعدها على ان تلعب دورا مميزا فى التجاره بين الدولتين.

و يـذكر المقريزى ان الخليفه المسـتعين باللّه كان قـد انفـذ أحـد خدمه الى بلاد الروم ليجلب له أشـياء نفيسه منها، فلما ابتاعها و كانت و قر بغل، عاد بها الى طرسوس و سافر منها مع القافله الى سامرا(۱).

و مما زاد فى أهميه الثغور العربيه ان استمرار تدفق المجاهدين و الغزاه عليها أكسب طرقها الأمن و السلامه لسالكيها من التجار.

اذ كـانت تلـك الطرق عـامره بـدور الاـستراحه و المرابـط المخصـصه للغزاه بالاصـل الاـ انهـا كانت بنفس الوقت ملجأ للتجار و قوافلهم عند مرورهم بها.

و كانت المسالـح و المواضع الحـدوديه تراقب التجار بـدقه و ذلك لاستيفاء العشور منهم عن البضائع التى يحملونها للتجاره، أما أمتعتهم الشخصيه فلا عشر عليها(۲). و كان من واجبها أيضا التأكد من هويه التجار الغرباء فيفتشونهم لئلا يكون معهم سلاح، أو انهم

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۴.

۲- كتاب الخراج/ ۱۸۸.

یحملون کتبا تتضمن اخبارا تتعلق بشؤون الدوله العربیه(۱).

الا ـ ان ذلک لم یحل دون نقل البضائع و السلع و مبادلتها. اذ کان التجار الاجانب یعتبرون مستأمنین فی دار الاسلام و لهم حق الاقامه و العمل فی التجاره، و لکنهم اذا اطالوا المقام أکثر من سنه أمروا بالخروج، و الا وضعت علیهم الجزیه(۲).

۱- نفس المصدر/ ۱۹۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۸۹.

الباب التاسع الامارات شبه المستقله فی عهد سامرا

اشاره

۱- اماره بنی الأغلب.

۲- اماره الطاهریین.

۳- اماره بنی طولون.

۴- اماره الصفارین.

الباب التاسع الامارات شبه المستقله فی عهد سامرا کان من جمله نتائج سیطره القواد الاتراک و استبدادهم بالخلفاء ان نفوذ الخلافه قد تداعی و غدا اسمیا لا سیما فی أیام الفتنه، مما کان له أثر واضح فی اضعاف الدوله العربیه بصوره عامه. و یلاحظ انه کلما کانت الخلافه تزداد ضعفا بنتیجه الصراع بین الخلفاء و القواد الاتراک ظهرت امارات فی شرقی الدوله أو فی غربیها، و هی تقتطع جزء من ممتلکات الدوله و ترغم الخلیفه أو تتوسل الیه بالاموال و الهدایا للاعتراف بها، لکی تضفی الشرعیه علی وجودها.

و کانت درجه استقلال هذه الامارات تتوقف علی علاقاتها بالخلافه. و کلما ضعف مرکز الخلافه ازدادت تلک الامارات حریه فی تصریف شؤونها. و توسعت علی حساب الدوله. و سنعرض فیما یلی الی نشوء تلک الامارات التی قامت فی عهد سامرا، و استمرارها، او التی کانت قد قامت قبل ذلک و استمرت أو توسعت فی خلال العهد المذکور.

الفصل الأول اماره بنی الأغلب

۱- تأسیس الاماره:

ساد الاضـطراب فی أفریقیه فی عهد الخلیفه هارون الرشـید، فظل یغیر الولاه علیها دون جدوی. فارسل القائد هرثمه بن أعین مع جیش کبیر لتهـدئه الاضـطرابات و دراسه حـاله البلاـد. و لمـا رجع هرثمه بعـد ثلاث سـنوات نصـح الرشـید بأن یولی ابراهیم بن الاـغلب، و هو أحـد الزعمـاء المتغلبین هنـاک، ولایه افریقیه، و لما لمسه من عقله و دینه و کفایته(۱). و قـد تعهد ابراهیم بتهدئه الاحوال و تقـدیم أربعین ألف دینار سـنویا الی بیت المال، مع الاسـتغناء عن الاعانه المالیه و قـدرها مائه ألف دینار کانت مصـر ترسـلها من ایراداتها الی أفریقیه فی کل سـنه، و بشـرط أن یعهـد الخلیفه بالولایه الیه و لأبنائه من بعـده بالوراثه، فوافق الرشـید و ولاـه ولاـیه أفریقیه فی منتصف جمادی الآخره سـنه ۱۸۴(۲). و کـان هـذا التعیین ینطوی علی اعتراف الخلاـفه باسـتقلال أفریقیا استقلالا داخلیا.

۱- الکامل ۶/ ۱۵۵.

۲- البیان المغرب ۱/ ۹۲.

و قـد بقيت العلاـقه بين امـاره بنى الأغلب و الخلافه فى سامرا وديه. و لابـد من الاشاره الى ان اماره بنى الأغلب تختلف عن بقيه الامـارات المسـتقله التى قامت فى أنحاء أخرى من الـدوله، بانها كانت عربيه بأمرائها و بأغلبيه رعاياها، و انها عملت على توسـيع رقعه سـلطانها على حساب دوله الروم. و الواقع ان التوسع العربى و نشـر الـدين الاسـلامى فى جزر البحر المتوسط تم على أيـدى أمراء بنى الأغلب.

كان ابراهيم بن الأغلب فقيها، شاعرا و خطيبا مفوها، ذا رأى و حزم و درايه فى الحرب. و لم يتول أفريقيه أحسن سـيره و سياسـه منه، و لاـ أرأف برعيه، و لا أوفى بعهـد، فـدانت له قبائل البربر بالطاعه، و هـدأت البلاد فى أيامه(۱). فقد اسـتطاع بمؤهلاته و ما امتاز به من صـفات قياديه أن يقضـى على الفوضـى فى أفريقيه و يعيـد اليها الأمن فى خلال مـده حكمه التى دامت اثنتى عشـره سنه.

و أسـس ابراهيم عنـد توليه الاماره مـدينه على بعـد ثلاثه أميال من مـدينه القيروان، سـماها مـدينه القصـر، و اتخذها مقاما له. ثم صارت من بعده دار للاقامه سـكنها الأمراء من بنى الأغلب. و عند ما انتقل ابراهيم الى مدينه القصر خرب دار الاماره التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع. و بنى فى مدينه القصـر جامعا رحيبا له صومعه مسـتديره بنيت بالآجر و العمد سبع طبقات، لم يبن أحكم منها و لا أحسن منظرا. و أسس فيها الاسواق و الحمامات، و حفر مراجل للماء كانت مياهها غزيره بحيث اذا نزر الماء فى مراجل القيروان نقلوا الماء اليها من مدينه القصر(۲).

ان جد بنى الأغلب الذى ينتسبون اليه هو الأغلب بن سالم التميمى أحد رجال الدعوه العباسيه، و كان من القاده الشجعان.

۱- البيان المغرب ۱/ ۹۲.

۲- المغرب للبكرى/ ۲۸.

و قد عهد اليه أبو جعفر المنصور بولايه أفريقيه فى سنه ۱۴۸ ه، و قتل فى شعبان سنه ۱۵۰ ه لما خرج عليه الحسن بن حرب الكندى(۱).

و حكم الاماره من أسره بنى الأغلب أحد عشر أميرا دامت امارتهم مائه و اثنتى عشره سنه (۱۸۴- ۲۹۶ ه) و كان اخرهم أبو نصر زياده اللّه الثالث الذى فر لما دخل أبو عبد اللّه الشيعى قائد جيش الفاطميين مدينه رقاده فى رجب سنه ۲۹۶ ه. و ما لبث أبو نصر ان مات فى مدينه الرمله و هو فى طريقه الى القدس فى سنه ۲۹۹ ه(۲).

و عاصر خلفاء سامرا من بنى الأغلب سبعه امراء أولهم أبو محمد زياده اللّه الذى كان على الاماره عند تولى المعتصم باللّه الخلافه.

و لسوف يقتصر بحثنا على مده حكم هؤلاء الامراء فقط.

۲- زياده اللّه الأول:

اشاره

أبو محمد زياده اللّه بن ابراهيم، و هو الثالث من أمرائهم.

تولى الاماره فى سنه ۲۰۱ ه بعد أخيه أبى العباس عبد اللّه بن ابراهيم. و عند ما نشب الخلاف بين الخليفه محمد الأمين و أخيه المأمون و بايع بنو العباس ابراهيم بن المهدى بالخلافه ببغداد، ثبت زياده اللّه على ولائه للمأمون و الدعاء له. فلما انتصر المأمون شكر لزياده اللّه فعله فأقره على ولايته و منحه مزيدا من تأييده(۳).

قامت على عهد زياده اللّه عده اضطرابات لقسوته و جوره و سوء ادارته. و قد اساء السيره فى الجند و سفك فيهم الدماء لسوء ظنه

۱- البيان المغرب ۱/ ۷۵.

۲- المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۶۳.

۳- الاعلام ۳/ ۹۳.

بهم و وثوبهم بالأمراء قبله و خلافهم على أبيه(١). و قد بلغ من شده قسوته عليهم انه عند ما شيع الجيش الذى وجهه الى قتال المنصور الطنبذى فى تونس هدد القائد الأغلب بن عبد اللّه المعروف بغلبون و جنده بالقتل اذا حلت بهم الهزيمه. مما جعل أكثر الجند ينقمون عليه و ينضمون الى عدوه(٢). و كانت خروج الطنبذى بتونس أهم الفتن التى قامت فى عهده. و قد استطاع الطنبذى فى أول الأمر ان يهزم عده حملات وجهت اليه، حتى انه زحف على القيروان. الا انه بعد عده معارك هزم و تفرق اتباعه. و كان أهل القيروان قد رحبوا بالطنبذى للتخلص من جور زياده اللّه الا انه عند ما تمت له الغلبه على الطنبذى صفح عنهم و جعل عقوبتهم هدم سور القيروان حتى الصقه بالأرض(٣). و بقيت المدينه بلا سور حتى اعاد بناءه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى فى سنه ٤۴۴ ه(۴). و كذلك هدم سور مدينه تونس لأن أهلها أيدوا ثوره الطنبذى. و كان عليها سور من اللبن و الطين عدا القسم المواجه للبحر فكان من الحجاره(۵). كما تعرضت تونس مره أخرى لانتقام زياده اللّه عند ما التجأ اليها فضل بن ابى العنبر فقتل كثيرا من أهلها و شرد آخرين منهم، ثم عاد و أمن الهاربين فعادوا اليها(۶).

فقد قامت فى سنه ٢١٨ ه فتنه أخرى فى تونس تزعمها فضل بن ابى العنبر و استطاع ان يصد جيشا لزياده اللّه. الا ان الجيش الآخر الذى وجه اليه بقياده ابى فهر محمد بن عبد اللّه بن الأغلب

١- البيان المغرب ١/ ٩۶.

٢- الكامل ۶/ ٣٣١.

٣- البيان المغرب ١/ ١٠٠.

۴- المغرب للبكرى/ ٢۵.

۵- كتاب البلدان/ ٣۴٨- ٣۴٩.

۶- الكامل ۶/ ۴۴٠.

استطاع اقتحام المدينه و التغلب عليه. فأمن زياده اللّه كل من طلب الأمان ممن هرب من أهلها عند دخول أبى فهر اليها(۱).

زياده اللّه الأول و صقليه:

تطلع أمراء بنى الأغلب الى الاستيلاء على جزيره صقليه.

و قد لخص القزوينى ما ذكره عنها ياقوت الحموى و ابن حوقل، فوصفها بأنها جزيره عظيمه من جزائر المغرب مقابله لافريقيه، و هى مثلثه الشكل بين كل زاويه و أخرى من زواياها مسيره سبعه أيام، و هى خصبه كثيره البلدان و القرى، كثيره المواشى و الحيوانات الاخرى من الخيل و البغال و الحمير و البقر، و الحيوان الوحشى، و ارضها تنبت الزعفران. و كانت قليله العماره، خامله الذكر حتى فتح العرب بلاد أفريقيه، فهرب بعض أهلها الى صقليه و عمروها، و بالجزيره جبال شامخه، و عيون غزيره، و انهار جاريه. قال ابن حمديس مشتاقا اليها:

ذكرت صقليه و الهوى يهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنهفانى أحدث أخبارها

و بها جبل النار و هو مطل على البحر، فى أعلاه منافس يخرج منها النار و الدخان، و ربما سالت النار منه الى جهه تحرق كل ما مرت به، و تجعل الارض مثل خبث الحديد لا تنبت شيئا، و يسميه الناس الأخباث. و فى أعلى هذا الجبل السحاب و الثلوج. و الأمطار دائمه لا تكاد تقلع عنه فى صيف و لا شتاء، و الثلج لا يفارق أعلاه فى الصيف. و فيها البركان العظيم و ليس فى الدنيا بركان أشنع منه

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۰۵.

منظرا و لا أعجب منه مخيرا، فاذا هبت الريح سمع له دوی عظيم كالرعد القاصف. و يقطع من البركان الكبريت الذی لا يوجد مثله. و بها آبار ثلاث يخرج منها أول الربيع الى آخره زيت النفط.

فينزل فی هذه الآبار علی درج و يتقنع النازل و يسد منخره، فاذا تنفس فی أسفلها هلك من ساعته، يغرف ماءها و يجعله فی اجانات فما كان نفطا علا فيجمع و يجعل فی القوارير(۱).

لقد دفع العرب فی أفريقيه الى الاستيلاء علی جزيره صقليه عده عوامل أهمها عاملان، أولهما القضاء علی القراصنه الروم الذين اتخذوا من موانی الجزيره مراكزا لهم يشنون منها الغارات البحريه علی سواحل أفريقيه فيخربون ثغورها و ينهبون أموالها و يأسرون من يقدرون عليهم من سكانها و يبيعونهم عبيدا أو يأخذون الفديه عنهم. و العامل الآخر انهم رأوا فی ذلك وسيله لقطع دابر الفتن و الثورات الداخليه. فاعتبروا القتال فی سبيل الاستيلاء علی صقليه جهادا يهدف الى نشر الدين الاسلامی. فدفع الأمير أبو محمد زياده اللّه الأول العناصر المثيره للفتن نحو غزو موانی ء صقليه و مدنها و فتحها. و لا شك ان مما شجع علی ذلك قرب الجزيره من سواحل أفريقيه. فنزلت فيها طلائع القوات العربيه فی سنه ۲۱۲ ه فی ميناء مازره(۲)، علی الساحل الجنوبی الغربی من الجزيره و تمكنت من الاستيلاء عليه.

و استمرت الحملات العربيه فی فتح الموانی و المدن فی القسم المذكور من جزيره صقليه حتی وصلت بالرم(۳)، فحاصروها

۱- اثار العباد/ ۲۱۵- ۲۱۶، و معجم البلدان ۳/ ۴۱۶- ۴۱۹، و صوره الارض/ ۱۱۳- ۱۲۵.

۲- مازره: مدينه جميله عامره ذات أسوار حصينه- المسلمون فی صقليه/ ۲۱۷.

۳- بالرم: أعظم مدن صقليه و لها سور مبنی بالحجر- معجم البلدان ۱/ ۴۸۳.

و ضیقوا الخناق علیها حتی اضطر قائدها الرومی علی تسلیمها بعد أن سمح له بمغادرتها بحرا مع بعض اتباعه، و ذلک فی سنه ۲۲۰ ه، و قد جعلها العرب عاصمه للجزیره، فکثر فیها العمران و بنیت فیها المساجد(۱). فتوسعت المدینه و نمت حتی صارت من مراکز الحضاره العربیه المهمه آنذاک، مما ساعد علی انتشار الدین الاسلامی بین سکانها الأصلیین(۲).

و کانت مسینا(۳) قد افتتحت فی سنه ۲۱۹ ه فی خلال حصار بالرم، و هی تقع فی أقصی الشمال الشرقی من الجزیره. و بذلک استولی العرب علی القسم الغربی من الجزیره و علی قسم من شمالیها. و بقی بید الروم الساحل الشرقی و أواسط الجزیره و قلاعها. فرکز بنو الاغلب اهتمامهم فی اجلاء الروم عنها و الاستیلاء علیها لتتم لهم السیطره علی الجزیره کلها.

لما توفی قائد الجیش العربی فی صقلیه زهیر بن عوف فی سنه ۲۲۰ ه خلفه أبو الأغلب ابراهیم بن عبد اللّه بن الأغلب، و هو ابن أخی الامیر زیاده اللّه، فانتهج سیاسه جدیده للاستیلاء علی ما بقی بید الروم من الجزیره. فعمل علی تقویه اسطوله البحری، و أخذت سفنه تهاجم السواحل الجنوبیه و تطرد الروم منها. و بنفس الوقت تواجه النجدات البحریه القادمه لمساعده الروم، فتضربها بقوه و تضطرها علی الهروب و التراجع. مما اضعف القوات الرومیه الموجوده فی الجزیره. حتی استطاعت احدی الحملات العربیه التوغل الی أواسط الجزیره و الاستیلاء علی کبری مدنها

۱- مما یلفت النظر کثره المساجد فیها، و لیاقوت رأی طریف فی ذلک، هو رقاعه أهلها بسبب کثره أکلهم البصل- معجم البلدان ۱/ ۴۸۳.

۲- یراجع عن فتح بالرم و مسینا کتاب« المسلمون فی جزیره صقلیه»/ ۷۰- ۷۲.

۳- مسینا: علی ساحل صقلیه المواجه لبلاد الروم، و هی أکبر موانی الجزیره و اکثرها عماره. بها تجتمع السفن الکبیره و المسافرون و التجار من بلاد الاسلام و بلاد الروم. و کان مرساها یستقبل أکبر ما یکون من السفن- معجم البلدان ۵/ ۱۳۰ و المسلمون فی صقلیه/ ۲۱۴.

قصريانه فى سنه ۲۲۳ ه(۱). و كان الروم قد حشدوا جيشهم للدفاع عنها، فحاصرها الجيش العربى و ما لبث أن تمكن من فتح ثمره فى سورها مما سهل له اجتيازه و الدخول الى المدينه، فاضطرت حاميتها على الاستسلام.

و كانت سفن بنى الأغلب، تهاجم فى نفس الوقت، سواحل ايطاليا الجنوبيه فاستولت على مدينه طارنطه(۲)، و مدينه بارى(۳)، اللتين اتخذهما الجيش العربى قواعد لزحفه شمالا نحو مدينه روما.

أعماله العمرانيه:

كان الأمير زياده اللّه محبا للعمران، فجدد عماره جامع القيروان بعد أن هدمه كله. و أراد أن يهدم المحراب و يبنى غيره، فقيل له ان من تقدمه من الولاه توقفوا عن ذلك باعتباره أثرا قديما و قد وضعه الصحابى عقبه بن نافع. و لما الح على ذلك قال له أحد البنائين انه يستطيع أن يخفيه بين جداريه و يبنى أمامه محرابا جديدا، فاستصوب رأيه و عمل بموجبه(۴). و لا يزال الجامع المذكور على بنائه حتى اليوم. و المحراب كله و ما يليه مبنى بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله، و مخرم بالنقوش بكتابه و زخارف جميله الصناعه. و طول الجامع ۲۲۰ ذراعا و عرضه ۱۵۰ ذراعا و عدد أعمدته ۴۱۴ عمودا، و قد بنيت فيه مقصوره.

و بلغ ما انفقته عليه سته و ثمانين ألف مثقال من الذهب(۵). أما

۱- قصريانه: مدينه جبليه ذات حصون و قلاع منيعه صعبه المنال.

۲- طارنطه: تقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيره ايطاليا على الخليج المسمى باسمها، و تسمى اليوم ترنتو.

۳- بارى: تقع شمالى شرقى طارنطه على الساحل الشرقى لجنوبى ايطاليا.

۴- المغرب للبكرى/ ۲۳.

۵- نفس المصدر/ ۲۳- ۲۴.

المئذنه المربعه التی کانت قد شیدت علی طراز المآذن السوریه فقد حافظت علی شکلها و طرازها، و هی تعتبر من أقدم المآذن القائمه فی شمالی أفریقیه. و قد افضی هذا الجامع بفخامته و روعه بنائه علی القیروان حله من المهابه جعلها من أمهات المدن العربیه الاسلامیه.

و قد اهتم زیاده اللّه کذلک بتحصین مدن أفریقیه. فبنی لمدینه سوسه سورا کان یفخر به و یقول(۱): ما أبالی ما قدمت علیه یوم القیامه و فی صحیفتی أربع حسنات: بنیانی الجامع بالقیروان، و بنیانی قنطره الربیع، و بنیانی حصن مدینه سوسه، و تولیتی أحمد بن محرز قضاء أفریقیه. و کان زیاده قد ولی الفقیه المالکی أحمد بن محرز الکلابی قضاء افریقیه فی سنه ۲۲۲ ه، الا انه ما لبث أن توفی بعد سنه من تعیینه، و کان أوصی أخاه بن أبی محرز أن یکتم موته الی أن یتم تجهیزه و الصلاه علیه خوفا من أن یکفنه زیاده اللّه، ففعل عمران ذلک. فلما حمل نعشه من داره اقبل أحد فتیان الأمیر بمسک و اکفان، فلما علم انه قد کفن ذر المسک الذی کان معه. و لما وصلوا بالجنازه الی المقبره حضر زیاده اللّه و عزی أخا القاضی، و قال: یا أهل القیروان لو أراد اللّه بکم خیرا لما أخرج ابن أبی محرز من بین ظهرانیکم(۲).

توفی زیاده اللّه فی القیروان یوم الثلاثاء لاربع عشره خلت من رجب سنه ۲۲۳ ه و عمره احدی و خمسون سنه و بضعه أشهر(۳).

و قد دامت امارته احدی و عشرین سنه و سبعه أشهر.

۳- أبو عقال الأغلب بن ابراهیم:

تولی الاماره بعد أخیه زیاده اللّه، و هو رابع الامراء من بنی الأغلب، و قد عرف بحسن السیره، فاحسن الی الجنود و ازال مظالم

۱- نفس المصدر/ ۳۵، و معجم البلدان ۳/ ۲۸۳.

۲- البیان المغرب ۱/ ۱۰۶.

۳- نفس المصدر، و الکامل ۶/ ۴۹۳.

كثيره، و زاد فى أرزاق العمال و اجزل صلاتهم و كف أيديهم عن الرعيه. و قطع النبيذ عن القيروان و عاقب على بيعه و شربه(۱).

استمر العرب فى حملاتهم على جزيره صقليه فى عهد الأمير ابى عقال، فاستولوا على عدد من الحصون صلحا بعد أن استأمنوا أهلها فى سنه ۲۲۳ ه منها حصن البلوط، و حصن ابلاطنو، و حصن قرلون. كما سير أبو عقال اسطولا الى قلوريه ففتحها، و لقى الاسطول البيزنطى الذى جاء لنجدتها فهزمه. و غزت سريه من جيشه فى صقليه مدينه قصريانه فغنمت و عادت دون مقاومه.

و رغم انها لم تستطع الاستيلاء على المدينه الا انها استولت على حصن مهم هو حصن الغيران، و هو أربعون غارا(۲).

توفى أبو عقال فى القيروان فى ربيع الآخر سنه ۲۲۶ ه و هو ابن ثلاث و خمسين سنه(۳). و كانت مده امارته سنتين و تسعه أشهر.

۴- محمد الأول:

اشاره

عند تولى الواثق بالله الخلافه كان الوالى على أفريقيه الأمير أبا العباس محمد بن الأغلب الملقب بمحمد الأول، و هو خامس أمرائها. و قد تولى امارتها فى أواخر ربيع الآخر سنه ۲۲۶ ه بعد موت أبيه ابى عقال فى عهد المعتصم بالله. بقيت اماره بنى الأغلب فى عهد محمد الأول مستقله بشؤونها الداخليه عن حاضره الخلافه التى لم تكن لها أيه سلطه عليها سوى ما تقدمه من المبلغ السنوى المقطوع، و الخطبه فى يوم الجمعه باسم الخليفه.

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۰۷، و العيون و الحدائق ۳/ ۳۹۸، و الكامل ۶/ ۴۹۳.

۲- تراجع تفاصيل هذه الحملات فى الكامل ۶/ ۴۹۴.

۳- البيان المغرب ۱/ ۱۰۷، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۳۴.

كان الأمير محمـد قد قلد أخاه أحمد كثيرا من شؤون الاماره رغم ان احمد كان جاهلا مغرورا يطمع بالاماره دون أخيه. و يروى ابن عذارى خيرا يؤيد جهله و قله علمه و مكابرته، و ذلک انه كتب مره «لحم ضبى» بالضاد، فقال له كاتبه: أيد اللّه الأمير، الظبى يكتب بالضاء لا بالضاد. فقال أحمـد: قد علمنا فيه اختلافا فابو حنيفه يجعله بالظاء و مالک يجعله بالضاد(۱). و قد استطاع أحمد بن الأـغلب أن يغرى بعض الجنـد و يكسب ولاـءهم، فقصـد بهم مـدينه القصـر القـديم، و هى مقر الامـاره، و قـد خلاـ بابها من الرجال، فـدخلوها و هاجموا دار الوزير ابى عبد اللّه بن على بن حميد فقبضوا عليه و قتلوه. و نشب القتال بين رجال الأمير محمد و اتباع أخيه أحمد. فقال أصحاب أحمد لرجال الأمير: ما بالكم تقاتلوننا و نحن فى طاعه الأمير؟ انما قمنا على أولاد حميد الذين استولوا على أموال البلاـد. فوقف القتال، لأن الأمير محمـدا رأى انه بوغت بهجوم أخيه و لم يكن مسـتعدا له، فمال الى المساله. فعقـدت المصالحه بين الأخوين و تحالفا ألا يغـدر أحدهما بالآخر. فاسـتولى أحمد على مرافق الاماره و دواوينها فقبض على من شاء و استصفى أموال من أراد. و جبى الأموال من الناس، و استوزر نصر بن حمزه(۲).

و بذلک بقى الأمير أبو العباس محمد و ليس له من الاماره سوى اسمها حتى نهايه عهد الواثق باللّه(۳).

الا ان الأمير محمد تمكن فى سـنه ۲۳۳ ه ان يظفر بأخيه احمـد المتغلب على الحكم، اذ ساعـده جماعه من بنى عمه و من مواليه فهاجم بهم القيروان ليلا على غفله من أحمد و حرسه و اسـتولى عليها و قبض على أخيه و نفاه الى المشـرق، فمات فى العراق، و عند ما دخل أبو

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۰۷- ۱۰۸.

۲- البيان المغرب ۱/ ۱۰۸.

۳- الكامل ۷/ ۲۵.

العباس محمد القیروان وصل أهلها و اغدق علیهم العطاء حتی استنفذ جمیع ما فی خزائنه من الأموال و الملابس(۱).

بعد ان استعاد أبو العباس سلطانه علی الاماره واجهته فتنتان الأولی فتنه سالم بن غلبون عامله علی الزاب. و کان قد عزله فی سنه ۲۳۳، فأعلن التمرد و توجه علی رأس جیش یرید القیروان.

فدخل مدینه باجه و احتمی بها لیستعد لحرب ابن الأغلب. فوجه الیه الامیر أبو العباس جیشا بقیاده خفاجه بن سفیان، فاستطاع ان یلحق الهزیمه بابن غلبون و اتباعه فقتله و حمل رأسه الی ابن الأغلب. و کان ازهر بن سالم رهینه عند ابن الأغلب فقتله عند ما اعلن أبوه العصیان(۲).

أما الفتنه الثانیه فقد قام بها عمرو بن سلیم التجیبی المعروف بالقویع، فی تونس فی سنه ۲۳۴ ه و دامت أکثر من سنتین، و لم یستطع القائد خفاجه بن سفیان الذی توجه لقتاله، اقتحام المدینه فرجع ادراجه. فسیر ابو العباس فی السنه التالیه قائد اخر هو محمد بن موسی المدعو عربان علی رأس جیش لمحاربه القویع، الا ان کثیرا من أفراد جیشه انضموا الی جانب الثوار مما اضعف قوه عربان الذی قتل فی المعرکه و هزم ما بقی من أفراد حملته فعادوا الی القیروان مفلولین(۳). فوجه أبو العباس فی سنه ۲۳۶ ه حمله ثالثه علی رأسها قائد جیوشه خفاجه بن سفیان، فهاجمت مدینه تونس و جری قتال عنیف عند أبوابها. و بعد عده معارک هزم القویع و قتل الکثیر من اتباعه، و قد ادرکه احد جنود خفاجه فقتله و جاء برأسه الیه، فحمله خفاجه الی الامیر أبی العباس، و دخل الجیش الأغلبی مدینه تونس. و قد سر أبو العباس بالقضاء علی

۱- البیان المغرب ۱/ ۱۰۹.

۲- نفس المصدر ۱/ ۱۱۰، و الکامل ۷/ ۴۰.

۳- الکامل ۷/ ۴۴، و البیان المغرب ۱/ ۱۱۰ وقیه القویع بدلا من القویع.

فتنه القويع و عوده تونس الى طاعته. فاكرم قائده و وصل قاتل القويع و كساه(۱).

و كان البربر فى منطقه «لها» بطرابلس تمردوا على عامل المدينه و امتنعوا عن أداء العشور و الصدقات، و حاربوه و اضطروه على ترک المدينه، فالتجأ الى مدينه لبده و بعث بطلب النجده من القيروان، فبعث اليه الأمير محمد جيشا بقياده أخيه زياده اللّه، فهزم البربر و قتل منهم خلقا كثيرا و اسر آخرين فضرب أعناقهم، و احرق ما كان فى معسكرهم، فقضى بذلک على تمردهم، فعاد الباقون الى الطاعه.

لقد اعجب أبو العباس بالفقيه المالكى سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى، و اسمه عبد السلام و انما لقب بسحنون باسم طائر حديد الذهن بالمغرب يسمى سحنون، و ذلک لحده ذهنه و فرط ذكائه(۲). و كان سحنون كبير علماء القيروان فى حينه و اليه انتهت الرياسه فى العلم فى المغرب. و قد صنف «كتاب المدونه» فى مذهب الامام مالک بن انس، و صار له من الاصحاب و الطلاب ما لم يحصل لغيره من رجال مالک. و عنه اشتهر المذهب المالكى فى المغرب(۳) و كان سحنون الى جانب علمه عادلا نزيها، فولاه أبو العباس القضاء بعد ان أبى و امتنع عليه عاما كاملا- خشيه التدخل فى أعماله، حتى حلف له الأمير بالايمان المؤكده ان يطلق يده على أهل بيته و قرابته و حاشيته، و ينفذ عليهم الحق أحبوا أو كرهوا(۴). و بقى سحنون على القضاء الى ان توفى فى شهر رجب سنه ۲۴۰ ه.

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۰، و الكامل ۷/ ۴۴.(۳۹) الكامل ۷/ ۹۱.

۲- البيان المغرب ۱/ ۱۰۹، و وفيات الاعيان ۲/ ۳۵۴.

۳- وفيات الاعيان ۳/ ۳۵۲.

۴- وفيات الاعيان ۳/ ۳۵۲، و البيان المغرب ۱/ ۱۰۹.

و بنى أبو العباس فى سنه **۲۳۹** ه مدينه بقرب تاهرت سماها العباسيه، و ظلت قائمه حتى استولى عليها أفلح بن عبد الوهاب الأياضى و احرقها، و كتب الى الاموى فى الاندلس يعلمه بذلك تقربا اليه، فبعث اليه بمائه ألف درهم جزاء على ما قام به(۱).

الفتوحات فى صقليه:

استمرت سياسه بنى الأغلب فى عهد الأمير محمد الاول فى محاربه الروم و طردهم من صقليه. و كان الروم قد استرجعوا مسينا التى فتحها العرب قبل عده سنوات، فاوعز الأمير محمد الى الفضل بن جعفر باستردادها. فهاجمها الفضل و حاصرها برا و بحرا حتى اضطر أهلها فى سنه ۲۲۸ ه ان يطلبوا الأمان لقاء تسليم المدينه. فأمنهم الفضل، و دخلها بجيشه(۲). ثم سار الفضل بن جعفر الى حصار مدينه لينتينى فى سنه ۲۳۲ ه، و هى تقع جنوبى شرقى بثيره، و هى قلعه حصينه على بعد سته أميال من البحر، تقع على النهر المسمى باسمها، و كانت تصلها المراكب القادمه فى البحر(۳). فسارع أهلها الى الاستنجاد بقائد الروم فى مدينه قصريانه لينصرهم فى صد الحمله العربيه، فأجابهم الى طلبهم، و جعلوا بينهم علامه لوصول النجده للانضمام الى حاميه المدينه.

و يظهر ان العلامه التى اتفقوا عليها، و هى ايقاد النيران على جبل معين فى ليله معينه، قد تسربت الى القائد العربى فاشعل النيران فى الوقت المعين و فى المكان المحدد. فظنها أهل لينتينى انها نيران النجده التى جاءت لمساعدتهم، ففتحوا باب الحصن لاستقبالهم. ففاجأهم الجيش العربى الذى اقتحم الحصن قبل ان تصل النجده الموعوده،

۱- فتوح البلدان/ ۲۳۶، و الكامل ۶/ ۵۱۹.

۲- المسلمون فى جزيره صقليه/ ۷۷.

۳- نفس المصدر/ ۲۱۵.

و استطاع الاستيلاء على المدينه التى اضطر أهلها على تسليمها بعد أن أمنهم الفضل على أنفسهم و أموالهم(١).

و لما مات عامل صقليه محمد بن عبد اللّه بن الأغلب فى سنه ٢٣٦ ه اجتمعت كلمه العرب فيها على توليه العباس بن الفضل، و كتبوا بذلك الى الأمير محمد فأقر العباس عاملا على الجزيره و بعث اليه بعهده(٢). و كان العباس قبل أن يصله العهد بتعيينه يغير و يرسل السرايا لمهاجمه الحصون و القلاع التى لا تزال بيد الروم.

فلما تم تعيينه جاهد كثيرا و غزا طويلا، و كانت له مع الروم مواقف هزمهم فيها و اذلهم(٣). فقد خرج فى العام التالى لتعيينه على رأس حمله فبلغ مدينه بثيره و هى من مدن الجزيره المهمه تقع الى الشرق من قصريانه، و حاصرها خمسه أشهر، فصالحه أهلها على خمسه آلاف رأس، و كان فى حملته هذه قد خرب عددا من الحصون و غنم كثيرا من الاموال(٤).

توفى الأمير أبو العباس الأغلبى فى أوائل المحرم سنه ٢٤٢ ه و له من العمر ست و ثلاثون سنه(٥). و كانت مده ولايته خمس عشره سنه و ثمانيه أشهر و عده أيام.

۵- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب:

ولى الاماره بعد أبيه و هو ابن عشرين سنه و كان حسن السيره، كريم الأخلاق و الأفعال، و من أجود الناس و أسمحهم، و أرفقهم بالرعيه مع تدين و اجتناب للظلم. و قد أحسن السيره مع الرعيه

١- الكامل ٧/ ۶.

٢- نفس المصدر ٧/ ۶٠.

٣- البيان المغرب ١/ ١١١.

۴- الكامل ٧/ ۶٠- ۶١.

۵- البيان المغرب ١/ ١١٢.

و أكثر العطاء للجند و منع الظلم عن الناس(۱). فكان عهده هادئا فلم تقم أيه ثوره أو خلاف ضده. فصرف جهده الى بناء الحصون و تقويه القائم منها، و يقول ابن الأثير انه بنى بارض أفريقيه عشره آلاف حصن بالحجاره و الكلس و أبواب الحديد(۲). و يظهر ان اهتمامه بتقويه الحصون جاء نتيجه استرداد الروم عددا من الحصون التى كان العرب استولوا عليها فى صقليه بسبب ضعف تحصينها. اذ لا يخفى ان مناعه أسوار الحصون و متانه أبوابها و ضخامتها كانت من أهم وسائل الدفاع عنها حينذاك.

كما اهتم الأمير أبو ابراهيم بالنواحى العمرانيه فانفق كثيرا من الأموال لحفر مواجل الماء و بناء المساجد و تشييد القناطر.

و اهتم بصوره خاصه بجامع القيروان فزاد فى بنائه. و قد أشرنا فى فصل سابق الى انه جلب من سامرا تربيعات من الغضار المذهب و زين بها محراب الجامع المذكور، كما انه جلب له منبرا خشبيا من بغداد و قد زين بزخارف سامرا، و هو يتكون من صفوف من الحشوات المقسمه الى مناطق مستطيله تزينها الزخارف الهندسيه المتشابكه و النباتات المجرده و تفريعات من ورق العنب(۳). و هو لا يزال قائما شاهدا على ما بلغته الزخرفه العربيه من أرقى درجات الروعه فى عهد سامرا. و عند ما حدث سيل عظيم فى مدينه القيروان فى سنه ۲۴۷ ه و كسر قنطره باب الربيع أمر أبو ابراهيم باصلاحها، و اكمل كذلك مآجل باب تونس الكبير(۴).

و يروى عن احسانه الى الفقراء انه كان يركب فى ليالى شعبان و رمضان من القصر القديم حتى ينتهى الى جامع القيروان و بين يديه الشموع، و معه دواب محمله بالدراهم يتصدق بها على الضعفاء

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۲، و الكامل ۶/ ۵۲۰.

۲- الكامل ۶/ ۵۲۰.

۳- الفنون الاسلاميه/ ۱۱۶.

۴- البيان المغرب ۱/ ۱۱۳.

و المساكين(۱). و قد ولى القضاء بافريقيه أبا الربيع سليمان بن عمران بن أبى هاشم الملقب بخروفه.

أما فيما يتعلق بصقليه فقد استمر الامير أحمد فى سياسه اسلافه فى فتح مدنها و حصونها. فقد أرسل العباس بن الفضل عامله عليها عده حملات للاستيلاء على مدينه قصريانه، كانت آخرها حملته عليها فى سنه ۲۴۲ ه حيث استطاع فتحها بعد أن قضى على الجيش الرومى المدافع عنها. و قد ساعد على فتحها أحد أسرى الروم الذى نصح القائد العربى بمهاجمه المدينه فى مده اشتداد البرد و تراكم الثلوج و انحباس الناس فى بيوتهم، فتمكنت ثله من الجند من الوصول الى سور المدينه فدلهم الأسير على فتحه صغيره فيه يدخل منها الماء الى المدينه، فدخلوا منها و فتحوا الابواب. فدخلها العباس صبيحه يوم الخمسين منتصف شهر شوال بجيشه. و بعد قتال عنيف تغلبوا على من كان فيها من جيش الروم، و أصابوا من الغنائم ما يعجز الوصف عنه(۲). و بنى العباس فى المدينه مسجدا فى يومه و نصب فيه منبرا خطب عليه الخطيب فى يوم الجمعه(۳).

و فى سنه ۲۴۶ ه نكثت بعض القلاع التى سبق ان هادنت العرب مثل قلعه البلوط و قلعه ابلاطنوا و قلعه أبى ثور، فبعث العباس بعض السرايا لتأديبها. ثم انصرف الى تعمير مدينه قصريانه و تحصينها و شحنها بالعساكر(۴). و سار العباس فى السنه التاليه الى سر قوسه الا انه اعتل فى الطريق و وافته المنيه فى أوائل رجب، و قد دامت ولايته على جزيره صقليه احدى عشره سنه قضاها فى

۱- نفس المصدر ۱/ ۱۱۲.

۲- الكامل ۷/ ۶۲- ۶۳.

۳- نفس المصدر ۷/ ۶۳.

۴- نفس المصدر ۷/ ۶۴.

مطارده الروم و اجلائهم عنها. و كان فى بعض حملاته قد غزا أرض قلوريه و انكبرده و اسكنها المسلمين(۱).

و عند توفى العباس بن الفضل اجتمع اهل صقليه على توليه ابنه عبد اللّه مكانه، و عرضوا الامر على الأمير أحمد فى القيروان.

فاستمر عبد اللّه بارسال السرايا و استولى على عده حصون. الا ان الامير أحمد بعث خفاجه بن سفيان عاملا على الجزيره. و أول عمل قام به خفاجه انه سير حمله يقودها ابنه محمود لمهاجمه سرقوسه، فتغلب على بعض حصونها و غنم ما فيها. كما تمكنت احدى السرايا التى بعث بها خفاجه من الاستيلاء على مدينه توطس بعد حصارها مده قصيره(۲).

توفى الامير أبو ابراهيم يوم الثلاثاء لثلاث عشره خلت من ذى القعده سنه ۲۴۹(۳). و كانت مده امارته سبع سنوات و عشر اشهر و نصف الشهر.

۶- زياده اللّه الثانى:

ولى الاماره بعد وفاه الأمير أحمد أخوه أبو محمد زياده اللّه بن محمد بن الأغلب و كان يعاصر الخليفه المستعين باللّه. و أول عمل قام به انه أقر خفاجه بن سفيان على ولايته على صقليه و خلع عليه لما لمسه من تفانيه فى الجهاد، و انشغاله المستمر فى حرب الروم و اجلائهم عن أراضى الجزيره. و قد واصل خفاجه فى عهد زياده اللّه الثانى هجماته على القلاع و المدن التى ما زالت فى حوزه الروم

۱- نفس المصدر، و ارض قلوريه هى القسم الغربى من جنوبى شبه جزيره ايطاليا و تدعى اليوم(كلابريا) أما انكبرده فهى ما يدعى اليوم بالجبل الاسود و تقع على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك.

۲- الكامل ۷/ ۱۰۶.

۳- الكامل ۷/ ۱۲۵.

و بخاصه سرقوسه. و كانت حملاته غزوات تكسب الغنائم و تعود دون ان تستولى على ما تهاجمه من القلاع و المدن. الا انه تمكن فى احدى حملاته ان يستولى على مدينه نوطس و هى من المدن الكبيره فى الجزيره، و تقع فى أقصى الجنوب الشرقى منها على مقربه من الساحل. و كان بعض أهلها اخبر العرب بموضع دخلو منه الى المدينه، فغنموا منها أموالا جليله(۱).

كان الأمير زياده اللّه الثانى حليما جوادا، حسن السيره، ذا رأى و شجاعه، الا ان أيامه لم تطل. فقد توفى فى ليله السبت لعشر بقين من ذى القعده سنه ۲۵۰ ه(۲)، و كانت ولايته سنه واحده و بضعه أيام.

۷- محمد الثانى:

تولى أبو عبد اللّه محمد الثانى بن احمد الأول الاماره بعد وفاه عمه زياده اللّه الثانى، و لقب بابى الغرانيق لولعه بصيدها، حتى انه بنى قصرا يخرج اليه لصيدها، انفق عليه ثلاثين ألف مثقال من الذهب(۳). و كان كريما الى حد الاسراف و لم تكن له همه فى جمع المال، و لما مات لم يترك خلفه فى بيت المال شيئا(۴). كما كان حسن السيره، عادلا فى الرعيه. و فى عهده بنى جامع المعافرى بالتيروان.

و قد شيده محمد بن حمدون الاندلسى المعافرى فى سنه ۲۵۲ ه فنسب اليه. و بناه بالآجر و الجص و الرخام و بنى فيه جبايا للماء(۵).

۱- الكامل ۷/ ۱۰۶.

۲- البيان المغرب ۱/ ۱۱۴، و الكامل ۷/ ۱۳۵.

۳- البيان المغرب ۱/ ۱۱۴.

۴- البيان المغرب ۱/ ۱۱۴.

۵- نفس المصدر.

و غضب الأمير محمـد الثانى على قاضـى القيروان سـليمان بن عمران فصـرفه و عين عبـد اللّه بن احمد بن طالب أحد كبار فقهاء المالكيه، الا انه ما لبث بعد مده ان عزله و اعاد القاضـى السابق الى منصبه. و حلت فى أيامه فى سنه ۲۶۰ مجاعه عامه بالمشرق و المغرب مع و بـاء الطـاعون(۱). و ممن توفى بالوبـاء المـذكور عـالم افريقيه و فقيههـا محمـد بن ابراهيم بن عبـدوس الـذى دون المجموعه فى الفقه المالكى(۲).

أما فى صـقليه فقد تميز عهد الامير محمد الثانى باشتداد الحرب و تواصلها، و انها كانت سجالا بين العرب و الروم. اذ كان الروم قد استردوا بعض المدن و الحصون التى كان العرب قد اسـتولوا عليها. مما دفع الجيش العربى هناك الى محاوله اسـتعادتها. فقد غزا خفاجه بن سفيان فى سنه ۲۵۱ ه مدينه قصـريانه، ثم قصد سرقوسه و قاتل حاميتها و رجع عنها. ثم بعث ابنه محمدا فى حمله استطاعت ان تقتل ألف فارس من الروم، و عرفت حملته هذه بسريه الألف فارس.

و تكررت حملات خفاجه فى السـنوات التاليه على المدن الرئيسه التى بيد الروم مثل سـرقوسه و قصـريانه و طرمين. و لعل أهمها حربه مع القائد الذى ارسـلته القسطنطينيه على رأس جيش للدفاع عن سرقوسه، فانهزم القائد الرومى بعد قتال شديد، و قتل الاف من أصحابه. و قد اصاب الجيش العربى منهم سلاحا و خيلا و مغانم أخرى كثيره(۳).

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۶.

۲- نفس المصدر، و الكامل ۷/ ۲۷۳. (۶۹) البيان المغرب ۱/ ۱۱۴.

۳- الكامل ۷/ ۱۰۷.

و خرج خفاجه فی سنه ۲۵۵ ه فهاجم سرقوسه و حاصرها و ضیق علیها، ثم ما لبث ان عاد منها الی بلرم. و فی طریقه اغتاله أحد جنوده فطعنه طعنه قاتله، و ذلک فی مستهل رجب من السنه المذکوره، فحمل جثمانه الی بلرم فدفن فیها(۱). فولی أهل صقلیه ولده محمدا و کتبوا بذلک الی أمیر بنی الأغلب محمد الثانی فأقره علی ولایته، و سیر له العهد بالولایه و الخلع. و یظهر انه أصبح لأهل صقلیه الحق فی اختیار الوالی علی الجزیره بحیث یضعون أمیر أفریقیه أمام الأمر الواقع فیقر اختیارهم الا فیما ندر من الحالات.

استمر محمد بن خفاجه علی نهج أبیه فی مهاجمه مدن جزیره صقلیه التی ما زالت بید الروم، و محاوله انتزاعها منهم. و لعل أهم ما انجزه خلال مده ولایته القصیره انه ارسل حمله فی سنه ۲۵۶ ه الی جزیره مالطه و کان الروم یدافعون عنها، فاستطاع قائد الحمله أحمد بن عبید اللّه بن الأغلب ان یهزم الروم و یطردهم منها و یستولی علیها(۲).

الا ان محمدا ما لبث ان قتل فی السنه التالیه، اذ تواطأ عدد من خدمه الخصیان فقتلوه لثلاث خلون من رجب و کتموا آمره و لم یعرف أمر قتله الا بعد یوم من هروب الخدم، فادرکهم حرسه و قتلوا بعضهم(۳). فعهد الامیر محمد الثانی بولایه صقلیه الی أحد قواده أحمد بن یعقوب بن المضاء بن سلمه الذی ما لبث ان مات فی السنه التالیه(۴). فولی أهل صقلیه ابنه الحسین مکانه، و أقره أمیر بنی الأغلب علیها(۵).

۱- البیان المغرب ۱/ ۱۱۵، و الکامل ۷/ ۱۰۸.

۲- الکامل ۷/ ۱۰۹.

۳- البیان المغرب ۱/ ۱۱۵، و الکامل ۷/ ۱۰۹ و ۲۴۹.

۴- نفس المصدرین السابقین.

۵- البیان المغرب ۱/ ۱۱۵.

هاجم الحسين بن أحمد فی السنه التاليه سرقوسه فصالحه أهلها علی أن يخرجوا اليه من أسری العرب الذين كانوا لديهم ۳۶۰ أسيرا(۱).

و بعد ان حكم الامير أبو الغرانيق اماره بنی الأغلب مده عشر سنوات و نصف السنه توفی فی ليله الاربعاء لست خلون من جمادی الاولی سنه ۲۶۱ ه. و كان قد عاصر من خلفاء سامرا كلا من المستعين باللّه و المعتز باللّه و المهتدی باللّه و المعتمد علی اللّه. و لما حضرته الوفاه عهد بالاماره لابنه ابی عقال و أوصی بأن يتولی أخوه ابراهيم حتی يكبر ولده، و استحلف أخاه الا ينازع ابنه و أشهد عليه آل الأغلب و مشايخ القيروان(۲).

۸- ابراهيم الثانی:

اشاره

كان الأمير محمد الثانی قد عهد بالاماره لابنه أبی عقال و نظرا لصغر سنه فقد أوصی بأن يتولی الأمره أخوه ابراهيم بن أحمد حتی يكبر ولده. الا ان أهل القيروان سألوا ابراهيم الذی كان واليا عليها آنذاك ان يتولی الاماره دون ابن أخيه، لما عرفوه عنه من العداله و الحزم و حسن السيره. فاجاب بعد تردد و امتناع، فبايعه مشايخ أفريقيه و وجوهها و جماعه من بنی الأغلب. و لعل من الطريف ان نشير الی انه اعتذر عن قبول تولی الاماره بانه حلف لأخيه بأن لا ينازع ولده و لا يدخل قصره. فكانت الفتوی للخروج من يمينه ان يتولی الاماره فی داره و ليس فی قصر الاماره، فدخل داره و بايعوه(۳). فكان خلال السنوات السبع الاولی من امارته

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۶، و الكامل ۷/ ۲۶۶.

۲- البيان المغرب ۱/ ۱۱۶، و الكامل ۷/ ۲۸۴.

۳- البيان المغرب ۱/ ۱۱۶.

حسن السيره حميد الافعال. و قد اهتم ببناء الحصون و تقويه الجيش، و اشاعه العدل بين الناس. و كان يجلس بجامع القيروان ليسمع شكوى الخصوم و يفصل بينهم(۱). و يظهر انه فعل ذلك مقتديا بمن جلس من الخلفاء لرد المظالم.

بناء مدينه رقّاده:

عنى الامير ابراهيم الثانى بالنواحى العمرانيه عنايه خاصه، و كان من أول أعماله انه بنى مدينه جديده اتخذها عاصمه له هى مدينه رقاده. و تقع على أربعه أميال من القيروان، و أكثرها بساتين و ليس بأفريقيه أعدل هواء و لا ارق نسيما و لا أطيب تربه منها(۲).

و هناك روايتان عن سبب تسميتها بهذا الاسم، أولاهما ان أحد أمراء بنى الأغلب أرق وفاقه النوم فعولج بالمشى. فلما وصل الى موضع رقاده تعب فغلب عليه النوم، فسمى من يومئذ رقاده. و تقول الروايه الاخرى ان ابا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى القائم بالدعوه الاباضيه باطرابلس، لما نهد الى القيروان لقتال قبائل رفجومه و كانوا قد تغلبوا عليها، التقى بهم بهذا الموضع فقتلهم فيه قتلا ذريعا، فسمى رقاده لرقاد جثث القتلى فيه بعضها فوق بعض(۳).

لقد انشأ الأمير ابراهيم فى هذا الموضع مدينه بنى بها قصورا عجيبه و جامعا. فعمرت بالاسواق و الفنادق و الحمامات. و لما تم بناء القصر المسمى بقصر الفتح انتقل ابراهيم اليه من القصر القديم. و قد استغرق بناء المدينه زهاء السنتين (۲۶۳- ۲۶۴ ه).

۱- الكامل ۷/ ۲۸۳.

۲- معجم البلدان ۳/ ۵۵، و المغرب للبكرى/ ۲۷.

۳- معجم البلدان ۳/ ۵۵، و المغرب للبكرى/ ۲۸.

و بقيت رقاده عاصمه لامراء بنى الأغلب الى ان هرب منها آخر أمرائهم زياده اللّه الثالث.

و لما منع الامير ابراهيم بيع النبيذ و شربه بمدينه القيروان و أباحه بمدينه رقاده، قال بعض الظرفاء من أهل القيروان(۱):

يا سيد الناس و ابن سيدهم و من اليه الرقاب منقاده

ما حرم الشرب فى مدينتناو هو حلال بأرض رقاده؟

و من اعمال ابراهيم العمرانيه الاخرى توسيعه جامع القيروان.

فقد زاد فى عدد بلاطاته، و بنى فوقه قبه شاهقه تقوم على اثنتين و ثلاثين ساريه من بديع الرخام، و زينت جدرانها و سقوفها بالزخارف و النقوش العربيه الجميله. و كانت محكمه البناء عجيبه المنظر يشهد كل من رآها انه لم ير احسن منها بناء. و بنى فى الجامع مقصوره للنساء يؤدين فيها الصلاه و جعلها محجوزه عن الجامع بحائط مخرم بالزخارف محكم العمل(۲).

الحرب مع ابن طولون:

لعل أهم الاحداث التى واجهت الأمير ابراهيم الثانى و هددت امارته هو هجوم العباس بن احمد بن طولون على افريقيه فى سنه ۲۶۵ ه يريد انتزاعها من بنى الاغلب. و كان العباس قد خرج على أبيه أحمد بن طولون فاشار عليه بعض اصحابه ان يتجه الى افريقيه. فكاتب عددا من زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم.

و كتب الى الامير ابراهيم يقول ان امير المؤمنين الخليفه قد قلده

۱- المغرب للبكرى/ ۲۷- ۲۸.

۲- المغرب للبكرى/ ۲۴.

أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. ثم سار الى برقه من ثمانمائه فارس و عشره الاف راجل من سودان أبيه حملهم على خمسه آلاف جمل. و قيل انه حمل من بيت مال مصر ثمانمائه حمل دنانير ذهبا، قيل ان مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار. فلما وصل الى مدينه لبده بعث اليه الأمير ابراهيم القائد احمد بن قرهب على رأس جيش من الفرسان، فالتقى بجيش العباس و انهزم أمامه، و التجأ الى اطرابلس، فاستنجد أهلها بأبى منصور الاباضى صاحب مدينه نفوسه، فزحف هذا فى اثنى عشر ألف من رجاله لنجدتهم.

و كان الأمير ابراهيم قد ضرب حلى نسائه دنانير و دراهم لأن سلفه لم يبق فى بيت المال شيئا يذكر.

و جهز جيشا أرسله الى عامل اطرابلس و أمره بمقاتله ابن طولون. فاجتمع رئيس الاباضيه و عامل اطرابلس على قتال ابن طولون. فقتل من جيش ابن طولون عدد كبير، و نهبت أمواله، و هزم أقبح هزيمه، و كاد ان يقع فى الاسر، فعاد ادراجه بأسوأ حال.

و لشده اهتمام الامير ابراهيم بالأمر خرج بنفسه يريد اطرابلس، فجاءه خبر هزيمه العباس. فبحث عن الاموال التى نهبها جيشه و اخذها ممن وجد معه منها، و كان الرجل من العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سرا خوفا من أن تؤخذ منه(۱).

الفتوحات فى صقليه:

فتحت فى عهد ابراهيم الثانى مدينه سرقوسه، و كان فتحها هذه المره نهائيا اذ احتفظ بها العرب و لم يستطع الروم الاستيلاء عليها مره أخرى. فقد توجه اليها فى رمضان سنه ۲۶۴ ه جعفر بن

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۸- ۱۱۹، و الكامل ۷/ ۳۲۴- ۳۲۵، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۲۰.

محمد و حاصرها برا و بحرا. و لما سير الروم اسطولا لنجدتها هزمه العرب. و دام حصار المدينه تسعه أشهر، اضطر أهلها بعدها على الاستسلام. فقتل ألوف من جنودها، و أصاب العرب من الغنائم ما لم يصيبوا مثله من مدينه أخرى(۱).

و لما توفى عامل صقليه الحسين بن أحمد فى سنه ۲۷۱ ه تولى بعده سواده بن محمد بن خفاجه التميمى(۲). و كان أول عمل قام به انه قاد حمله الى مدينه قطانيه فاهلك ما فيها. ثم سار الى طرمين و قاتل أهلها، حتى طلب اليه الروم المهادنه و المفاداه فوافق على ذلك، فانقذ ۳۰۰ أسير من العرب كانوا فيها، و عاد الى بلرم(۳).

الا ان اهل صقليه لم ترضهم سياسه العامل الجديد سواده التميمى فوثبوا به فى سنه ۲۷۳ ه و تمكنوا منه، فبعثوه مقيدا مع أخ له الى أفريقيه، و اجتمعوا على توليه العباس بن على ولايه الجزيره(۴).

و عند ما تنسك الامير ابراهيم الثانى فى أواخر أيامه و عزم على الحج الى بيت اللّه الحرام، جعل طريقه على جزيره صقليه ليتلافى الاحتكاك بابن طولون بمصر، و ليجمع الحج و الجهاد بفتح ما بقى من حصون الجزيره. و اخرج جميع ما عنده من المال و السلاح و سار فى اسطول كبير. و لما وصل الى صقليه فى سنه ۲۸۹ ه غزا بعض المدن و الحصون التى بيد الروم، و استولى على مدينه برطينو.

ثم هاجم مدينه طيرمين و كان اهلها قد استعدوا لقتاله الا انه هزمهم و دخل المدينه. و يقال ان ملك الروم لما سمع هزيمه جيشه فى طيرمين و استيلاء العرب عليها حزن و بقى سبعه ايام لا يضع التاج على رأسه. و بعد ان تم فتح طيرمين ارسل الامير ابراهيم

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۸- ۱۱۹، و الكامل ۷/ ۳۲۰.

۲- البيان المغرب ۱/ ۱۱۹، و الكامل ۷/ ۴۱۷.

۳- الكامل ۷/ ۴۱۷.

۴- البيان المغرب ۱/ ۱۲۰.

سرایاه الی حصون اخری، فاستولت علی بعضها و خربت البعض الآخر(۱).

سوء سیره ابراهیم:

سار الامیر ابراهیم الثانی فی خلال السنوات السبع الاولی من حکمه سیره حسنه. و قد ذکرنا ما قام به من أعمال خلالها اکسبته رضاء الناس. الا انه بعد ذلک غلبت علیه السوداء فتغیرت أحواله و ساء ظنه بالآخرین، فالتجأ الی القتل للتخلص ممن یسی ء الظن بهم. و یقول ابن عذاری المراکشی انه قتل أخوته الثمانیه و اعدادا کبیره من أقربائه و أصحابه و حجابه و خدمه و جنده، و قتل ابنه و بناته(۲). و لما عزل أحمد بن طالب بن سفیان التمیمی عن قضاء أفریقیه فی سنه ۲۷۵ ه حبسه ثم قتله بالسم(۳). و کان قد حبس کاتبه محمد بن حیون المعروف بابن البریدی فی سنه ۲۷۶ ه فکتب الیه هذا من السجن یستعطفه:

هبنی اسأت فاین العفو و الکرم اذ قادنی نحوک الاذعان و الندم

یا خیر من مدت الایدی الیه اماترثی لصب نهاه عندک القلم

بالغت فی السخط فاصفح صفح مقتدران الملوک اذا ما استرحموا رحموا

۱- الکامل ۷/ ۲۸۵- ۲۸۶.

۲- البیان المغرب ۱/ ۱۳۲.

۳- البیان المغرب ۱/ ۱۲۱- ۱۲۳، و المسلمون فی جزیره صقلیه/ ۱۰۳- ۱۰۵ و جاء فیه ان ما نسب الیه من هذه الاعمال الفظیعه قد تکون الدعایه القاطمیه قد بالغت فی ذلک لتسی ء الی سمعته.

فلما قرأ ابراهيم الأبيات، قال: يكتب لى هبنى أسأت و هو قد اساء، أما انه لو قال:

و نحن الكاتبون و قد أسأنافهبنا للكرام الكاتبينا

لعفوت عنه. ثم امر به فجعل فى تابوت حتى مات.

و قتل فى سنه ۲۷۷ ه حاجبه نصر بن الصمصامه بضربه خمسمائه سوط، فلم ينطق بكلمه و لا تحرك من موضعه، فأمر بضرب عنقه. و عرض فى سنه ۲۷۸ ه ديوان الخراج على سواده النصرانى على ان يسلم، فقال سواده: ما كنت لأدع دينى على رياسه أنالها. فأمر به فقطع نصفين و صلب. و استشرى فى سنه ۲۷۹ ه بالقتل بحيث صار يقتل بطرا و شهوه. فقد قتل فى هذه السنه اسحاق بن عمران المستطيب المعروف بسم ساعه. و قتل جميع فتيانه، لأن المنجمين قالوا له انه يقتله رجل ناقص العقل و انه قد يكون احد الفتيان. فقتل كل من رآه منهم يتقلد سيفا و فيه حركه و نشاط. و لما اوغل فى قتلهم خاف ان تفسد قلوب البقيه عليه فقتلهم جميعا. و استخدم عوضا عنهم السودان، ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبه فقتلهم كذلك جميعا(۱).

و وثب اهل الزاب بعامله فى سنه ۲۶۸ ه و كان وجوههم قد قدموا اليه فاحسن اليهم و اكرمهم، الا انه ما لبث ان فتك بهم، و امعن فى قتل أهل البلد حتى الاطفال منهم. و لكثره من قتل منهم أمر بأن تحمل جثثهم على العجلات الى حفره ليدفنوا فيها(۲).

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۲۱- ۱۲۳، و المسلمون فى جزيره صقليه/ ۱۰۳- ۱۰۵ و جاء فيه ان ما نسب اليه من هذه الاعمال الفظيعه قد تكون الدعايه القاطميه قد بالغت فى ذلك لتسى ء الى سمعته.

۲- الكامل ۷/ ۳۷۰، و البيان المغرب ۱/ ۱۱۹. و الزاب كوره عظيمه بأرض المغرب تمتد بين تلمسان و سجلماسه، و تكتنفها القرى العديده. و قيل ان زرعها يحصد فى السنه مرتين- معجم البلدان ۳/ ۱۲۴.

الاـ انه أظهر التوبه فی أواخر أیـامه، لمـا اسـتقام أمر ابی عبـد اللّه الشـیعی، فـأراد أن یرضـی العامه و یسـتمیل قلوب الخاصه. فرد المظالم، و اعتق ممالیکه، و اعطی فقهاء القیروان و وجوهها أموالا کثیره لیفرقوها فی الضعفاء و المساکین(۱).

و عند ما ذهب الی صـقلیه فی طریقه الی الحج أصـیب بالذرب، و اشتد علیه المرض حتی توفی فی آخر ذی القعده سنه ۲۸۹ ه، فجعـل جثمانه فی تابوت و حمل الی القیروان و دفن فیها(۲). و کان عمره اثنتین و خمسـین سنه، و طالت ولایته ثمانیا و عشرین سنه و سته أشهر، فکان أطول أمراء بنی الأغلب عهدا فی الحکم. و قد عاصر طیله حکمه الخلیفه المعتمد علی اللّه.

۱- البیان المغرب ۱/ ۱۳۲.

۲- الکامل ۷/ ۲۸۶، و البیان المغرب ۱/ ۱۳۲ و فیه انه توفی بارض الروم و نقل جثمانه الی جزیره صـقلیه و دفن فیها. و جاء مثل هـذا فی کتاب(المسـلمون فی جزیره صـقلیه) انه مات و هو یحارب فی قلوریه، و نقل جثمانه الی بلرم فـدفن هناک، و بنی علی قبره قصر- ص: ۱۰۲.

الفصل الثانی اماره الطاهریین

۱- تأسیسها:

استطاع طاهر بن الحسین قائد جیوش المأمون أن یؤسس اماره مستقله شملت عددا من ولایات القسم الشرقی من الدوله العربیه فی عهد العباسیین. و ذلک عند ما عینه المأمون فی سنه ۲۰۵ ه والیا علی خراسان من مدینه السلام الی أقصی أعمال المشرق(۱). بعد أن حقق له النصر علی أخیه محمد الامین. فاخذ طاهر یعمل علی الانفصال عن الدوله بعد أن بلغه سوء رأی المأمون فیه(۲). و کان طاهر قد قتل الخلیفه محمدا الأمین عند ما وجهه المأمون لمحاربته. فاشتد ذلک علی المأمون، و کان کلما تذکر مقتل أخیه ازداد حنقا علی طاهر، و قد قال مره: لن یفوت طاهرا منی ما یکره(۳). و لذلک احتال

۱- الطبری ۸/ ۵۷۷، و تجارب الامم ۶/ ۴۴۸، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۵۶ و فیه انه ولاه فی سنه ۲۰۶.

۲- کتاب البلدان/ ۳۰۷.

۳- الطبری ۸/ ۵۷۹.

طاهر لتعيينه على ولايه خراسان(۱). لكى يبتعد عن انظار المأمون من جهه، و لكى يكون بين بنى قومه و انصاره فيأمن الايقاع به من جهه أخرى. و يظهر ان المـأمون لم يكن مطمئنـا الى ولاـئه لاـنه لم يوافـق على تعيينه الاـ بعـد أن خمنه وزيره أحمـد بن أبى خالد(۲).

و كان طاهر فى أواخر أيامه يحكم خراسان و الولايات الشـرقيه التى ضـمت اليه كأمير مسـتقل لا يخضع للخليفه الا بالاسم. و قد تحقق ما توقعه المأمون عن محاوله طاهر الاسـتقلال عن الخليفه، اذ انه اسقط فى سنه ۲۰۷ ه اسم الخليفه من خطبه الجمعه، دليلا على استقلاله. فقد صعد المنبر و خطب الناس، فلما بلغ الى ذكر الخليفه أمسك عن الدعاء له(۳). و يقول الذهبى انه دعوه الامام المأمون و عزم على الخروج عليه(۴). و كـان ذلك قبيل وفاته بأيام، اذ باغته الأجل فمات فى جمادى الأولى من تلك السـنه من حمى اصابته فوجد ميتا فى فراشه(۵). و يقال انه احتيل له بشربه(۶).

و قـد تتـابع على حكم الامـاره أولاـد طـاهر و احفـاده. و رغم علاقتهم الوديه بالخلافه و انهم لم يتأخروا عن نصـرتها اذا ما طلب اليهم ذلك، فقد حافظوا على اسـتقلالهم الداخلى، و اسـتمر خضوعهم للدوله العربيه شكليا. و استطاعوا أن يوسعوا نطاق امارتهم برضاء الخليفه حتى حدود الهند. و دامت امارتهم خمسا و خمسين سنه تولاها خمسه أمراء منهم.

۱- تفصيلات ذلك فى الطبرى ۸/ ۵۷۷- ۵۷۹.

۲- الطبرى ۸/ ۵۷۹، و تجارب الامم ۶/ ۴۵۰.

۳- الطبرى ۸/ ۵۹۴، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۵۷، و تجارب الامم ۶/ ۴۵۳.

۴- العبر ۱/ ۳۵۱.

۵- الطبرى ۸/ ۵۹۳، و تجارب الامم ۶/ ۴۵۲.

۶- كتاب البلدان/ ۳۰۷.

خلف طلحه أباه طاهرا فی اماره خراسان. و یظهر ان المأمون اضطر علی تولیته لعده أسباب، منها رغبته فی ازاله الشک فی أن له یدا فی موت طاهر، ثم عظم نفوذ اسره بنی طاهر فی خراسان.

و عند ما توفی طلحه عین المأمون أخاه عبد اللّه بن طاهر مکانه لأنه کان شدید الثقه به و الاعتماد علیه. و کانت هذه التعیینات التی تمت فی عهد المأمون لطاهر و ولدیه من بعده قد اکسبت بنی طاهر حقا وراثیا فی امارتهم.

۲- اماره الطاهریین و خلفاء سامرا:

عند ما استخلف المعتصم باللّه کان الوالی علی خراسان و ما یتبعها من الولایات الشرقیه عبد اللّه بن طاهر، و قد تولاها منذ سنه ۲۱۴ ه عند ما توفی أخوه طلحه. و قد اختلفت الروایات فی کیفیه تولیه، فان الیعقوبی یقول ان المأمون کان قد ولی عبد اللّه فی سنه ۲۱۴ ه أقالیم الجبال و أرمینیه و اذربیجان، فاتخذ عبد اللّه مدینه الدینور مقرا له، و لما مات طلحه بن طاهر ولی المأمون عبد اللّه مکانه و وجه الیه بعهده و عقده مع اسحاق بن ابراهیم و قاضی القضاه یحیی بن أکثم، فنفذ عبد اللّه الی خراسان(۱). الا ان الطبری یقول قد وردت وفاه طلحه علی المأمون فبعث الی عبد اللّه یحیی بن أکثم یعزیه عن أخیه و یهنئه بولایه خراسان(۲). و هناک روایه تقول ان المأمون خیر عبد اللّه بین ولایه خراسان و ما الیها، أو ان یبقی علی ولایته علی الجبل و ارمینیه و اذربیجان و حرب بابک، فاختار خراسان و شخص الیها(۳). أما ابن الاثیر فیقول لما مات

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۳۶۳، و کتاب البلدان/ ۳۰۷.

۲- الطبری ۸/ ۵۹۵.

۳- الطبری ۸/ ۶۲۲، و تجارب الامم ۶/ ۴۶۳- ۴۶۴، و العیون و الحدائق ۳/ ۳۷۴.

طلحه ولی خراسـان علی بن طاهر خلیفه لأخیه عبـد اللّه الـذی کان بالـدینور، فثار الخوارج بخراسان فسار الیها عبـد اللّه بأمر من المأمون، و اتخذ مدینه نیسابور مقرا له(۱). و لم یکن قد نزلها و ال من ولاه خراسان قبله(۲).

و کیفما کان الأمر فان عبد اللّه بن طاهر قد ولی خراسان بعد وفاه اخیه طلحه و بقی علی ولایتها الی أن توفی سنه ۲۳۰ ه. و کان عبد اللّه نشأ فی کنف المأمون و رعایته، و لذلک اعتمد علیه فی مهمات الامور. و أوصـی أخاه أبا اسـحاق ألا یفرط به، فقد قال له فی وصـیته: أقره علی عمله و لا تهجه، فقد عرفت الذی سلف بینکما أیام حیاتی و بحضرتی، استعطفه بقلبک، و خصه ببرک، فقـد عرفت بلاءه و غناءه عن أخیک(۳). و رغم ان المعتصم بـاللّه کـان سـی ء الرأی بعبـد اللّه الا انه أقره علی عمله، سواء کان ذلـک استجابه منه لوصـیه اخیه، أو لأنـه کـان بحاجه الی مناصـرته فی حرب بابک الخرمی. و یقول الشابشتی ان المعتصم باللّه کتب الی عبـد اللّه عن رأیه فیه و طلب الیه الاـ یقـدم علیه الی عاصـمه الخلاـفه، و مع ذلـک أجاب عبـد اللّه بانه علی طاعه أمیر المؤمنین، و انه لو ورد علیه کتابه بالشخوص الیه لما امسی حتی یشخص(۴).

لقد أظهر عبد اللّه اخلاصا واضـحا للدوله العربیه، فقد افسد خطط الأفشـین حیدر بن کاوس فی توجیه أمواله الی بلده أشر و سنه فی أثنـاء محاربته بابک الخرمی. فکان عبـد اللّه یکتب الی الخلیفه المعتصم باللّه بکل ما یوجه به الأفشـین الی أشروسـنه. و اخذ مره مالا کان الأفشین قد بعث به مع بعض رجاله، و وزعه علی الجند، و کتب

۱- الکامل ۶/ ۴۱۴.

۲- کتاب البلدان/ ۳۰۷.

۳- الطبری ۸/ ۶۴۹.

۴- الدیارات/ ۱۳۹- ۱۴۰.

الی الافشین بذلک، فأقر الافشین عبد اللّه مرغما(۱). و کان الافشین یطمع فی أن یحل محل عبد اللّه بن طاهر فی ولایه خراسان توطئه للوثوب بالخلافه. و یظهر ان هـذا هو ما دعا عبـد اللّه الی أن یکون مخلصا فی ولائه للمعتصم باللّه. و کان موقف عبـد اللّه من الافشین من أهم الاسباب التی حالت دون تحقیق الافشین نوایاه.

کـان عبـد اللّه اداریا مجربا، و علی درجه عالیه من الکفایه و الحزم، بحیث ضـبط خراسان ضـبطا ما ضـبطه أحـد قبله، و دانت له البلاد، و اسـتقامت علیه الکلمه(۲). و من مظاهر حزمه انه عنـد ما ولی خراسان اسـتناب بنیسابور محمـد بن حمید الطاهری، فبنی هذا دارا خرج بحائطها الی الطریق. فلما قدمها عبد اللّه جمع الناس و سألهم عن سیره محمد فیهم، فسکتوا. فقال بعض الحاضرین ان سکوتهم یدل علی سوء سیرته فیهم. فعزله و أمره بهدم ما بنی فی الطریق(۳).

و یعتبر عبـد اللّه من الأجواد. فقـد ذکر الخطیب البغدادی اخبارا عدیده عن کرمه الزائد، فیها کثیر من المبالغه. و فی الخبر التالی مثـال علی ذلـک: لما رجع عبـد اللّه من الشام الی بغـداد، صـعد فوق سـطح داره فرأی دخانا یرتفع الی جواره. فسأل حاجبه عن سبب الـدخان، فـأعلمه ان القوم یخبزون. فقـال: و هـل یحتـاج جیراننـا الی ان یتکلفوا ذلـک؟ ثم أمره أن یحصـی جیرانه ممن لا یقطعهم عنه شـارع. فمضـی و احصـاهم فبلغ عـددهم أربعه آلاـف نفس. فـأمر عبـد اللّه لکـل واحـد منهم فی کل یوم بمنین من الخبز، و من من اللحم، و بعشره دراهم للتوابل فی کل شهر، و مائه و خمسین درهما لکسوه الشتاء، و مائه درهم لکسوه الصیف. و بقی ذلک دأبه

۱- الطبری ۹/ ۱۰۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۰.

۳- الکامل ۷/ ۱۴.

مـده مقامه ببغـداد. فلما خرج انقطعت تلك المخصـصات الا الكسوه ما عاش أبو العباس عبـد اللّه(۱). لا ـ يخفى ان وجود أربعه آلاف نفس فى شارع واحد مبالغ فيه أو انه كان تقديرا اعتباطيا. و ان اعاله هذا العدد و اكسائهم صيفا و شتاء أمر بالغ التكاليف، و لا اخال الامير عبـد اللّه يطيق ذلك، لان كلفه الكسوه وحـدها تبلغ ألف ألف درهم سـنويا، ناهيك عن كلفه الخبز و اللحوم و التوابل. و مما يشبه هذا ما رواه الذهبى من ان عبد اللّه وقع مره على قصص بصلات بلغت اربعه آلاف ألف درهم(۲). و انما قيل هذا عنه، على ما نرى، مغالاه فى مدحه، و لا تنسـى انه فارسـى الاصل و الفرس ميالون الى المبالغه بطبيعتهم. و قد بولغ فى اخبار كرمه لرفع شأنه و اظهاره على الآخرين ممن اشتهروا بالجود و الكرم من الولاه و القواد العرب.

و كان عبـد اللّه أديبا شاعرا له شـعر مليح و رسائل ظريفه. و قد انقطع اليه أبو العميثل عبد اللّه بن خليد الأديب الشاعر(۳). و كان كاتبا لأبيه طاهر بن الحسين، و قد تولى تأديب عبد اللّه فى صغره.

و لما صار عبـد اللّه واليا على خراسان صار أبو العميثل كاتبه و شاعره. كما كان عبـد اللّه يحسن الغناء و الموسـيقى. و قـد نسـب اليه أبو الفرج أصواتا صـنع ألحانها(۴). و قـد بلغ من علمه بالألحان انه صـنع ألحانا مشـهوره و ألقاها على جواريه فأخذنها عنه و غنين بها و سمعها الناس عنهن و عمن أخذ عنهن(۵). الا انه يظهر

۱- تاريخ بغداد ۹/ ۴۸۶.

۲- العبر ۱/ ۴۰۶.

۳- من موالى العباسيين نشأ فى الباديه و احسن قول الشعر. له عدد من كتب اللغه و الشعر. توفى سنه ۲۴۰.

۴- راجع عن بعض الاصوات التى نسبت اليه: الاغانى ۱۲/ ۱۰۶- ۱۱۲.

۵- الاغانى ۱۲/ ۱۱۲.

مما رواه ابنه عبید اللّه انه لم یکن یحب ان یشیع عنه شی ء من ألحانه، أو ان ینسب الیه، لأنه کان یترفع عن الغناء، و انه ماجس و ترا بیده قط(۱). و یقول الذهبی انه تاب قبل موته و کسر آلات الملاهی(۲).

و قـد مـدح عبـد اللّه بن طاهر عددا من الشـعراء علی رأسـهم أبو تمام الطائی الذی قصده الی خراسان. فلما وصل الی قومس، و کان قد طالت به الشقه و عظمت علیه المشقه، فقال(۳):

یقول فی قومس صحبی و قد اخذت منا السری و خطا المهریه القود

أ مطلع الشمس تنوی أن تؤم بنافقلت: کلا و لکن مطلع الجود

و عند ما دخل علیه انشده قصیدته التی مدحه فیها، و مطلعها(۴):

هن عوادی یوسف و صواحبه فعزما فقدما ادرک السؤل طالبه

و یقول فیها:

و رکب کأطراف الأسنه عرسواعلی مثلها و اللیل تسطو غیاهبه

لأمر علیهم أن تتم صدوره و لیس علیهم أن تتم عواقبه

۱- نفس المصدر ۱۲/ ۱۱۱.

۲- العبر ۱/ ۴۰۶.

۳- دیوان ابی تمام ۲/ ۱۳۲.

۴- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۲۱۶- ۲۳۳.

فقد بث عبد اللّه خوف انتقامه على الليل ما تدب عقاربه

يقولون ان الليث ليث خفيهنواجذه مطروره و مخالبه

و يختمها بقوله:

بحسبك من نيل المناقب أن ترى عليما بأن ليست تنال مناقبه

اذا ما امرؤ القى بربعك رحلهفقد طالبته بالنجاح مطالبه

فاعجب الحاضرون فى مجلس عبد اللّه بن طاهر بشعره، و استحسنوا قوله فى الأمير. حتى ان أحد الشعراء من الحاضرين تنازل لأبى تمام عن جائزه قد أمر له بها الأمير، فقال له عبد اللّه:

بل نضعفها لك، و نقوم بالواجب له جزاء عن قوله.

و قد استمر عبد اللّه فى أيام الخليفه الواثق باللّه، أميرا على خراسان و أقاليم الرى و جرجان و طبرستان و كرمان، و ظل يحكمها محتفظا باستقلاله الداخلى. الا ان علاقته بالخليفه كانت و ديه.

و توفى عبد اللّه بنيسابور فى ربيع الأول من سنه ۲۳۰ ه و عمره ثمان و أربعون سنه(۱).

و عند ما توفى عبد اللّه استعمل الواثق باللّه ابنه طاهر بن عبد اللّه على أعمال أبيه كلها، و ذلك عملا بمشوره قاضى القضاه أحمد بن أبى دواد. اذ عند ما ورد الخبر بموت عبد اللّه أشار الوزير محمد بن عبد الملك الزيات على الخليفه أن يخرج اسحاق بن ابراهيم،

۱- الطبرى ۹/ ۱۳۱، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸ و فيه انه مات و هو ابن سبع و اربعين سنه، و الكامل ۷/ ۱۳، و وفيات الاعيان ۲/ ۲۷۵ و فيه انه مات فى مرو.

نائب الخليفه ببغداد و رئيس شرطته، و هو من آل طاهر أيضا، الى خراسان واليا، و يظهر ان ابن الزيات كان يهدف بذلك الى اضعاف نفوذ الطاهريين، و ضمان ولاء الوالى الجديد، و قد اقترح ان يضم اليه خمسه آلاف من الجند و يطلق ارزاقهم، و ان يمنحه الخليفه خمسه آلاف درهم معونه. و لما استطلع الواثق باللّه رأى ابن أبى دواد بما اقترحه الوزير ابن الزيات قال ابن ابى دواد: ان اسحاق رهينه القوم- يقصد الطاهريين- عندك يا أمير المؤمنين، فان اخرجته لم يكن فى يدك أحد منهم، و أما الجند فانت محتاج الى الزياده منهم فكيف تفرقهم و لا سيما مع ما ينفق عليهم، و اخراج هذه الاموال لا وجه له، و هناك ما هو خير من ذلك. قال الواثق باللّه: ما هو؟ قال: طومار ورق بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبد اللّه بالتعزيه عن أبيه، و بتجديد الولايه له، و تربح ما عزمت على انقاذه، و تكون قد اتممت الصنيعه عند عبد اللّه و ولده، و احسنت الخلافه فيه. فاستصوب الواثق باللّه رأيه، و أمر ابن الزيات ان يكتب بموجبه(۱).

و قد اقام طاهر بن عبد اللّه واليا على خراسان طيله خلافه الواثق باللّه، و استمر بعده حتى توفى بنيسابور فى رجب سنه ۲۴۸ ه و له من العمر أربع و أربعون سنه(۲). فعين الخليفه المستعين باللّه ابنه محمدا واليا مكانه. و قد جابه محمد بن طاهر كثيرا من المتاعب فى خلال فتره ولايته. و فى أيامه انتهت اماره بنى طاهر فى خراسان.

۳- نهايه الاماره:

كانت نهايه اماره بنى طاهر على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى اطمعه ما لمسه من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان. و قد

۱- الديارات/ ۱۴۰- ۱۴۱.

۲- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۴.

بدا ضعف محمد واضحا عند ما عجز عن مقاومه الحسن بن زید العلوی الذی استفحل أمره فی طبرستان و استولی علی الری و جرجان، و کلها أقالیم تابعه لولایه خراسان. و کذلک فشله فی القضاء علی عبث الشراه الذین خرجوا فی امارته و لم یستطع دفعهم. فانتهز یعقوب الصفار الذی خرج فی سجستان و استولی علی کرمان و بلخ و هرات و ولایه فارس، فرصه هروب عبد اللّه السجزی الذی نازعه علی ولایه سجستان، و التجائه الی محمد بن عبد اللّه بن طاهر الذی رفض تسلیمه الی یعقوب. فسار ابن اللیث نحوه الی نیسابور.

و لما شعر محمد بخطر ابن اللیث حاول ان یترضاه، فلم یرض، بل دخل المدینه و قبض علیه و علی أهل بیته. و أرسل ابن اللیث کتابا الی الخلیفه یبرر فیه استیلاؤه علی خراسان و دخوله نیسابور و انهاء اماره الطاهریین، بتفریط محمد فی عمله، و ان أهل خراسان هم الذین سألوه المسیر الیهم(۱).

و یقال ان بعض أصحاب محمد بن عبد اللّه و بعض أفراد عائلته لما رؤا ادبار أمره مالوا الی ابن اللیث فکاتبوه و شجعوه علی الاستیلاء علی خراسان. و بنفس الوقت هونوا علی محمد أمر ابن اللیث و انه لا خوف علیه منه، فثبطوه من الاحتراز منه و الاستعداد لحربه(۲). و اذا صح هذا فهو دلیل علی ضعف محمد و قصر نظره.

و لما دخل یعقوب ابن اللیث نیسابور فی شوال ۲۵۹ ه و قبض علی محمد و جمیع أهل بیته استولی علی أموالهم و ما تحویه منازلهم، و حملهم فی الأصفاد الی قلعه بم بکرمان(۳). فانتهت ولایه محمد بن عبد اللّه بن طاهر التی دامت احدی عشره سنه و شهرین، و بذلک انتهت ما عرفت باماره الطاهریین.

۱- الکامل ۷/ ۲۶۲.

۲- نفس المصدر.

۳- کتاب البلدان/ ۳۰۸.

الفصل الثالث اماره بنى طولون

١- ولايه مصر:

كانت علاقه مصر بالدوله العربيه خلال عهد خلفاء سامرا قد مرت بدورين، أولهما الدور الذى مر منذ أن اتخذت سامرا حاضره للدوله فى سنه ٢٢٢ ه فى عهد المعتصم باللّه، حتى أواخر عهد المعتز باللّه سنه ٢٥٤ ه. و كانت مصر خلال هذا الدور احدى ولايات الدوله العربيه خاضعه للخلفاء العباسيين الذين كانوا يعينون عليها الولاه و القضاه و عمال الخراج و يتولون شؤون امنها الداخلى و الدفاع عنها، و يجبى خراجها لبيت المال فى سامرا. و يبدأ الدور الثانى منذ ان تولى القائد التركى أحمد بن طولون ولايتها فى سنه ٢٥۴ ه و تأسيسه اماره شبه مستقله فيها استمرت حتى سنه ٢٨٢ ه عند ما عادت مصر ولايه من ولايات الدوله العربيه كما كانت.

و سنستعرض فيما يأتى احداث كل من هذين الدورين.

و كانت أحوال مصر السياسيه و الاداريه قد اضطربت فى عهد الخليفه المأمون، فقد انتقض أسفل البلاد- الوجه البحرى- كله، عربه و أقباطه «و أخرجوا العمال و خلعوا الطاعه بسبب سوء سيره

العمال فيهم»(۱). مما اضطر المأمون الى ان يقدم الى مصر بنفسه فى مطلع سنه ۲۱۷ ه فسخط على عيسى بن منصور و عزله عن الولايه، و نسب ما وقع فى البلاد الى سوء ادارته، اذ قال له «لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك و فعل عمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون و كتمتمونى الخبر حتى تفاقم الأمر و اضطربت البلاد»(۲).

و عين بدلا عنه الأمير التركى أبا مالك كيدر الصغدى، و اسمه نصر بن عبد اللّه. كما عين هارون بن عبد اللّه الزهرى على قضاء مصر.

فقدم اليها هارون فى أواخر رمضان من تلك السنه، و «كان محمود السيره عفيفا محبوبا من أهل البلد»(۳) و قد اعتنى بشؤون الاوقاف، فثبت غلاتها و أوجه انفاقها، كما رعى شؤون الأيتام و عاقب من يتهاون بأمورهم من الأوصياء عليهم. و قد رفض أن يحضر ممثل صاحب البريد مجلس قضائه ما لم يكن ذلك بأمر الخليفه.

و لما كتب أبو اسحاق، و كان المأمون قد عينه على ولايه مصر، الى خليفته كيدر بأمر المحنه، استجاب القاضى هارون و وافقه على ذلك عامه الشهود و أكثر الفقهاء(۴).

و عند ما تولى أبو اسحاق المعتصم باللّه الخلافه ورد كتابه الى كيدر يقره على امارته، و يخبره ببيعته، و يأمره باسقاط من فى الديوان من العرب و قطع اعطياتهم. و يبدو انه اتخذ هذا الاجراء تأديبا للقواد و الجند العرب الذين ايدوا المناداه بالعباس خليفه غداه موت أبيه المأمون، و تنفيذا لسياسته فى تتريك جيش الدوله، ففعل كيدر ذلك. و كان من نتائج قطع الاعطيات عن العرب خروج

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۱۹۰، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۱.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۱۹۲.

۳- فتوح مصر/ ۲۴۶- ۲۴۷.

۴- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۴۵.

یحی بن الوزیر الجروی فی جمع من لخم و جذام(۱). و قد استنكروا قطع أعطیاتهم و اعتبروا ذلک انتزاعا لحقوقهم.

و لما ورد كتاب المعتصم باللّه بالتشدد بالمحنه استعفی القاضی هارون من ذمک. فكلف قاضی القضاه أحمد بن أبی داود محمدا بن ابی اللیث، و كان من رؤوس القائلین بخلق القرآن، ان یتولی القضاء. فقال هارون اللهم لک الحمد علی معافاتی مما بلوت به غیری(۲). فرفع ذلک الی ابن أبی دواد فأمر هارون بالتوقف عن الحكم، ثم ما لبث ان عزله و عین ابن أبی اللیث قاضیا علی مصر بدلا عنه. كان ابن أبی اللیث وراقا یقیم بمصر، و هو فقیه علی مذهب الكوفیین. فوضع یده علی جمیع الاموال المحبوسه. و حاول أن یسی ء الی سلفه هارون الزهری، فحاسبه علی بعض أحكامه، فكان یحضره الی مجلس القضاء و یوقفه مع الخصوم و یحاول ان یهینه و كاد أن یحبسه. و قد بقی ابن ابی اللیث علی قضاء مصر طیله أیام الخلیفه المعتصم باللّه.

مات كیدر قبل أن یتمكن من القضاء علی تمرد الجروی، فتولی ابنه المظفر ولایه مصر باستخلاف أبیه و اقرار الخلیفه. و قد استطاع ان یقضی علی الجروی و اتباعه بعد قتالهم فی وقائع عدیده.

و كان المعتصم باللّه أنعم علی القائد التركی اشناس بولایه مصر، فصرف أشناس بن كیدر عن ولایتها و عین موسی بن ابی العباس والیا علی الصلاه(۳). فوصل فی مستهل رمضان سنه ۲۱۹ ه و نزل بالعسكر. و كان موضع العسكر یعرف فی صدر الاسلام بالحمراء القصوی، و هو خطه نزل بها بعض القبائل العربیه عند فتح مصر،

۱- نفس المصدر/ ۱۹۴، و الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۱.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۴۸.

۳- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۱۹۵ و النجوم الزاهره ۲/ ۲۳۲، و جاء فیه: و جمع له الخراج فی بعض الاحیان.

ثم دثر حتی صار صحراء. و نزلت عساکر العباسیین التی تعقبت مروان بن محمد آخر الخلفاء الامویین، فی هذا الموضع عند جبل یشکر و اخذوا یبنون فیه. و لما ولی مصر موسی بن عیسی الهاشمی- و قد تولاها ثلاث مرات فی عهد الخلیفه هارون الرشید آخرها فی سنه ۱۷۹ ه- ابتنی فیه دارا انزل فیها أهله و عبیده، ثم اذن للناس فابتنوا فیه، و اتصل بناؤه ببناء الفسطاط. ثم بنیت فیه دار للاماره، و مسجد جامع عرف بجامع العسکر، فسمی ذلک الموضع منذ ذلک الوقت بالعسکر، و صار أمراء مصر ینزلون به(۱).

و قد طالت أیام موسی بن أبی العباس، و کانت أیاما حسنه، اذ استطاع القضاء علی الفتن الداخلیه، و امتحن فقهاء مصر و علماءها فاجاب أکثرهم(۲). الا انه عزل و عین مالک بن کیدر بدلا عنه، فقدم الی مصر فی أواخر ربیع الآخر سنه ۲۲۴ ه و سکن العسکر. و کانت له ولایه الصلاه فقط. أما الولایه علی الخراج فکانت للخلیفه یولی علیها من یشاء(۳). و کان مالک اداریا حازما الا انه صرف عن عمله بعد سنتین. و ولیها القائد علی بن یحیی الارمنی و قد ولاه أشناس علی الصلاه فقط. فقدم الیها فی أوائل ربیع الآخر سنه ۲۲۶ ه، و استمر فی ولایته حتی وفاه المعتصم باللّه. فأقره الواثق باللّه علی ولایته. و کان أبو الحسن قد سکن العسکر علی عاده الولاه الذین سبقوه، و جدّ فی اصلاح أحوال البلاد و قمع الفتن و الفساد. و اقام والیا علیها حتی ورد الأمر علیه بعزله عن غیر سخط علیه، فی أوائل ذی الحجه سنه ۲۲۸(۴).

فتوجه الی العراق و قدم علی الواثق باللّه بسامرا فاکرمه(۵).

۱- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۰۴.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۳۲.

۳- نفس المصدر ۲/ ۲۳۹.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۵- ۱۹۶، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۴۵.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۲۴۵، و کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۶، و یقول الکندی ان عیسی بن منصور سجن علی بن یحیی و ضیق علیه، ثم اطلقه.

و ولی بعده عیسی بن منصور للمره الثانیه. و کان القائد أشناس قد توفی فعهد الخلیفه بولایه مصر الی القائد ایتاخ، فأقر ایتاخ عیسی بن منصور علی امارته، فاستمر فیها حتی وفاه الواثق باللّه، فصرف عنها فی أول خلافه المتوکل علی اللّه. و قد استطاع عیسی فی خلال ولایته الثانیه ان یمهد الامور و یقضی علی الفتن.

و لما ورد أمر الواثق باللّه فی سنه ۲۳۱ ه بامتحان العلماء و الفقهاء و الناس بخلق القرآن و التشدد فی ذلک، وقف الوالی الی جانب القاضی المتزمت محمد بن أبی اللیث فی ارهاق الناس فی أمر المحنه. و قد استمرت سیاسه ارغام الناس فی مصر علی القول بخلق القرآن الی ان استخلف المتوکل علی اللّه و ابطل المحنه.

لقد اکتسب عیسی بن منصور خیره فی الاداره و السیاسه بحیث کانت أیام ولایته الثانیه فی مصر هادئه، عدا ما تعرض له الناس من أمر المحنه. و قد استمر فی ولایته هذه أربع سنوات و ثلاثه أشهر. و لم تطل أیامه بعد عزله غیر فتره یسیره اذ مرض و لزم الفراش حتی مات فی منتصف ربیع الآخر سنه ۲۳۳(۱).

و عند ما صرف عیسی عین ایتاخ هرثمه بن النضر الجبلی، من أهل الجبل، والیا علی الصلاه فقط، و فی عهده ورد کتاب المتوکل علی اللّه بترک الجدل فی القرآن و الرجوع الی اراء أهل السنه فی الامور الشرعیه(۲). و لما توفی هرثمه فی أواخر رجب سنه ۲۳۴ ه أعاد ایتاخ علی بن یحیی الی الولایه علی مصر، الا انه ما لبث ان صرفه بعد بضعه أشهر، و استصفیت أمواله(۳). و لما قتل ایتاخ جعل المتوکل علی اللّه ولایه مصر لأبنه محمد المنتصر، فولی هذا اسحاق بن

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۰.

۲- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۲، و کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۴، و جاء لقبه فیه: الجیلی.

۳- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۲، و کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۷.

یحیی بـن معـاذ علی الصـلاه و الخراج(۱). فـورد الیه کتـاب الخلیفه بـاخراج الطـالبین من مصـر الی العراق، ففرض لهم الأـموال لیسـتعینوا بها علی السـفر، فاعطی الرجل منهم ثلاثین دینارا و المرأه خمسه عشر دینارا، و فرق فیهم الثیاب. فخرجوا من الفسطاط الی العراق، و منها أمروا بالخروج الی المدینه و الاقامه بها(۲). و یقال ان اسحاق عزم علی أن یثور بمصر الا انه عزل، و لم یلبث یسیرا حتی مات(۳). و کان اسـحاق من خبره الولاه، عادلا و اداریا قدیرا، و شـجاعا ممدوحا قصده بعض الشعراء و مدحوه، و قد رفق بالناس أیام ولایته(۴).

و عین المنتصر فی سنه ۲۳۸ ه عنبسه بن اسحاق الضبی علی ولایه الصلاه و جعله شریکا لأحمد بن خالد صاحب الخراج.

فحـاسب عنبسه العمال و أقامهم للناس و انتصف منهم، و اظهر من العـدل ما ارتاح الناس الیه(۵). و فی أول ولایته نزل الروم فی دمیـاط فی یوم عرفه، فلم یتمکن أهلهـا من مقـاومتهم، فـدخلوا المـدینه و قتلوا کثیرا من رجالهـا و سـبوا النساء و الاطفال. فخرج الیهم عنبسه یوم النحر فی جیشه و کثیر من المتطوعین فلم یـدرکهم، اذ هربوا الی تنیس. و کـان عنبسه قـد أمر الجنـد من حـامیه دمیاط ان یحضـروا الی مصـر فساروا الیها. فلما نزلها الروم لم یکن فیها من یـدافع عنها، فنهبوا و سـبوا و احرقوا جامع المـدینه، و أوقروا سـفنهم بما اخـذوه من سـلاح و متاع، ثم ساروا الی تنیس شـرقی دمیاط و کان علیها سور له بابان حدیـدیان بنی فی أیام المعتصم باللّه، فنهبوا ما فیها و اخذوا البابین و رجعوا(۶).

۱- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۸، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۸۳.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۹۸.

۳- نفس المصدر/ ۱۹۹.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۸۳.

۵- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۰۰.

۶- الطبری ۹/ ۱۹۳- ۱۹۵، و الکامل ۷/ ۶۸- ۶۹.

و عنـد ما بلغ الخبر الخليفه المتوكل على اللّه أمر ببناء حصن دمياط فابتدى ء فى بنائه فى أوائل رمضان سـنه ٢٣٩ ه(١)، كما أمر عنبسه ان يبنى حصن تنيس أيضا، و حصنا لمدينه الفرما(٢).

و صرف عنبسه عن ولايه مصر فى رجب سنه ٢٤٢ ه، و كانت ولايته أربع سنوات و نصف سنه تقريبا.

و خلف عنبسه على ولايه مصر أبو خالد يزيد بن عبد اللّه بن دينار و قد ولاه المنتصر فقدم الى البلاد فى أواخر رجب من السنه المـذكوره. و قام ببعض الاصـلاحات الاجتماعيه، فأمر باخراج المؤنثين من مصـر بعـد أن ضـربوا و طيف بهم، و منع من النداء و الصـراخ خلف الجنائز، و عين المختارين فى الكور ليمثلوا فيها السلطه، و الغى سباق الخيل و باع الخيل التى كانت للوالى لغرض السباق(٣).

و من الاعمـال المهمه التى انجزت فى أيـامه بنـاء المقيـاس الهاشـمى لنهر النيل بجزيره الروضه، فى سـنه ٢٤٧ ه بـأمر من الخليفه المتوكل على اللّه، و هو المقياس الكبير المعروف بالمقياس الجديد.

و قـد بنـاه المهنـدس محمـد بن كثير الفرغانى الـذى بعث به الخليفه من سامرا، و بطل بعمارته كل مقياس آخر كان بنى قبله فى الـوجه البحرى أو الوجه القبلى(۴). و ولى أبـا الرداد الفقيه عبـد اللّه ابن عبـد السـلام الاشـراف على المقياس و يقال انه من أهل البصره قدم الى مصر و حدث بها، و بقى مقياس النيل بأيدى أولاده و أحفاده مده طويله(۵).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ٢۴٢، و الخطط المقريزيه ١/ ٢١۴.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ٢١١.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ٢٠٣، و النجوم الزاهره ٢/ ٣٠٨.

۴- النجوم الزاهره ٢/ ٣١٠- ٣١١.

۵- نفس المصدر ٢/ ٣١١، و وفيات الاعيان ٢/ ٢٩۶.

بقى يزيد واليا على مصر طيله أيام المنتصر باللّه و المستعين باللّه، و كذلك أقره المعتز باللّه لما بويع له بالخلافه. الا ان ثوره قامت فى الاسكندريه و امتدت الى الجيزه و الفيوم، فى ربيع الاخر سنه ۲۵۲ ه فى خلال فتره اضطراب الخلافه، و قد تزعمها جابر بن الوليد المدلجى و انضم اليه كثير من الناس و خاصه الانتهازيون منهم.

و يظهر ان يزيد عجز عن القضاء على ثوره جابر و عبث اتباعه، فاستنجد بالخليفه المعتز باللّه فبعث اليه القائد مزاحم بن خاقان معينا له، فقدم مزاحم الى مصر بجيش كبير. الا ان الاضطراب استمر فى البلاد مما دل على عجز يزيد، فصرفه المعتز باللّه عن الولايه و عين القائد المذكور بدلا عنه، بعد ان دامت ولايته عشر سنوات و نصف السنه.

فصرف مزاجم جهوده فى اخماد الثوره و اعاده الأمن و الاستقرار الى البلاد، و قد استطاع بعد معارك عديده أن يقضى على اتباع جابر، و اضطره الى طلب الأمان، فأمنه مزاحم مع نفر من أصحابه، و بعث بهم الى حاضره الخلافه(۱).

و كان مزاحم بن خاقان قد عين على شرطه مصر ارخوز بن طرخان التركى، فحاول هذا ان يحتذى بيزيد بن عبد اللّه، فمنع النساء من الخروج الى الحمامات و المقابر، و منع الحصر و المساند التى كانت تتخذ للمجالس فى الجوامع، و نهى عن أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجه أو يحلق شعر أو تصيح امرأه، و سجن النوائح، و اشتد فى هذه الامور(۲).

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۰۵- ۲۱۰.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۳۳۷، و كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۰۸ و يسميه ازجور و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۳ و جاء اسمه فيه ارجوز، و فضلنا ما جاء فى النجوم الزاهره لانه يتفق مع ما جاء فى الطبرى ۹/ ۵۴۴.

و بقی مزاحم علی ولایه مصر حتی توفی فی أوائل المحرم سنه ۲۵۴ ه فولیها ابنه أحمد باستخلاف ابیه، الا انه لم یلبث سوی شهرین فتوفی، فخلفه فی الولایه ارخوز صاحب الشرطه لبضعه أشهر، ثم صرف عنها بتعیین القائد الترکی أحمد بن طولون الذی وصل مصر فی شهر رمضان سنه ۲۵۴ فبدأ بوصوله عهد جدید فیها.

۲- أحمد بن طولون و تأسیس الاماره:

اشاره

ولد احمد بن طولون فی سنه ۲۲۰ ه و أمه جاریه تدعی قاسم ابو هاشم(۱). و کان أبوه طولون مملوکا ترکیا أهداه نوح بن أسد عامل بخاری الی الخلیفه المأمون سنه ۲۰۰ ه فی جمله ما کان موظفا علیه من المال و الرقیق و غیر ذلک(۲). و قد تقدمت الحال به فصار من قواد الجیش العربی، و تولی رئاسه حرس المأمون. و قیل ان أحمد لم یکن ابنه و انما تبناه، و هو ابن شخص آخر یدعی یلبخ، و یروی أبو المحاسن قصه لطولون مع أحمد و هو صبی صغیر فحظی عنده و تبناه(۳). الا ان من یقول انه ابن طولون انما یستدل علی ذلک بأن الموفق لما اختلف معه و أمر بلعنه علی المنابر نسبه الی طولون(۴).

نشأ أحمد بن طولون بسامرا نشأ جمیلا، و ربی تربیه دینیه فحفظ القرآن و سمع الحدیث، و کان حسن الترتیل، و عرف بالصلاح، و وصف بعلو المهما. و قد تمیز علی أبناء جلدته من الأتراک، و صار ممن یوثق به و یؤتمن علی الأموال و الاسرار. و لما توفی طولون فی سنه ۲۴۰ ه فوض الخلیفه المتوکل علی اللّه الی أحمد

۱- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۳، و النجوم الزاهره ۳/ ۱.

۲- وفیات الاعیان ۱/ ۱۵۶، و الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۳.

۳- وفیات الاعیان ۱/ ۱۵۶، و النجوم الزاهره ۳/ ۲.

۴- النجوم الزاهره ۳/ ۳.

ما كان لأبيه من الأعمال(۱). و تزوج أحمد ابنه أماجور أحد كبار القواد الاتراك، و ولدت له ابنه العباس(۲).

كان أحمد يستاء من تصرفات الجند الاتراك، فطلب الى الوزير عبيد اللّه بن يحيى أن يكتب رزقه فى الثغور، فكتب له بذلك و خرج الى طرسوس و أقام بهامده، ثم ما لبث ان عاد الى سامرا بناء على الحاح أمه بأن يكون الى جانبها(۳). و قد استفاد أحمد من اقامته بطرسوس اذ التقى بها بعدد من المحدثين، و جالس بعض العلماء فيها، فاكتسب من علمهم و تأثر بهم. و عند عودته من طرسوس مع القافله المتوجهه الى العراق انقذ القافله من قطاع الطريق الذين تعرضوا لها، و كان فى القافله خادم للخليفه المستعين باللّه و معه ثياب و أمتعه ثمينه جلبها من بلاد الروم و كانت قد صنعت للخليفه، فلما وصل الخادم الى الخليفه بالثياب و الامتعه أعجب بها، فاخبره الخادم بانه لو لا شجاعه ابن طولون و شهامته لما سلمت القافله من قطاع الطريق الذين اعترضوها، فاستحسن الخليفه فعل ابن طولون و بعث له مع الخادم ألف دينار، و واصل هباته اليه، فوهبه جاريه اسمها مياس فولدت له ابنه خمارويه فى سنه ۲۵۰(۴).

و لما تنكر القواد الاتراك للمستعين باللّه و احذروه الى واسط اختار أحمد بن طولون لأن يكون بصحبته، فأحسن أحمد معاملته و عشرته، و لما طلبوا اليه ان يقتله رفض و قال: لا رآنى اللّه قتلت خليفه بايعت له. أبدا(۵).

۱- نفس المصدر ۳/ ۴.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۴، و النجوم الزاهره ۳/ ۴ و فيه انه تزوج بابنه عمه.

۳- النجوم الزاهره ۳/ ۵، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۴.

۴- نفس المصدرين السابقين.

۵- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۴، و النجوم الزاهره ۳/ ۶ و فيه ان المستعين باللّه هو الذى اختار ابن طولون ليصحبه.

و لما آلت ولایه مصر فی سنه ۲۵۴ ه فی عهد المعتز باللّه الی القائد بایکیال عهد هذا الی أحمد بن طولون بولایه مصر خلیفه عنه.

فدخلها فی أواخر شهر رمضان من السنه المذکوره(۱). و عند ما قتل بایکیال فی أیام المهتدی باللّه انتقل ما کان الیه من الأعمال الی القائد أماجور، و هو حمو ابن طولون، فکتب الیه بقره علی ولایه مصر و یزیده ولایه الاسکندریه(۲). و عهد الخلیفه المهتدی باللّه فی سنه ۲۵۵ ه الی أحمد بن طولون اخضاع عیسی بن شیخ عامل فلسطین المتمرد(۳). فاغتنم ابن طولون هذه الفرصه لانشاء جیش مستقل آخذه بنظام صارم رغبه منه فی شد عناصره المتباینه(۴).

و یقول القلقشندی ان ابن طولون أول من جلب الممالیک الترک الی الدیار المصریه و استخدمهم فی عساکرها(۵).

آقر المعتمد علی اللّه عند تولیه الخلافه أحمد بن طولون علی اماره مصر و کتب الیه یستحثه علی حمل الأموال. فأجاب انه لا یطیق ذلک و الخراج بید غیره، فانفذ المعتمد علی اللّه نفیسا الخادم الی ابن طولون بتقلیده خراج مصر و الولایه علی الثغور الشامیه(۶) و بذلک تسنی للأمیر أحمد بن طولون أن یقیم فی مصر اماره مستقله بشؤنها استقلالا یکاد یکون تاما عن الخلافه. و قد تولی امارتها بعده أبناؤه و أحفاده، الا ان مدتهم لم تدم طویلا کما سنری.

۱- الطبری ۹/ ۳۸۱، و الکامل ۷/ ۱۸۷.

۲- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۴- ۳۱۵، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۶ و فیه ان المعتمد علی اللّه صیر اعمال مصر بعد بایکیان الی یارجوخ و کتب هذا الی ابن طولون باقراره علی ولایته.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۵، و الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۵ و فیه ان المعتمد علی اللّه کتب الی ابن طولون ان یتأهب لحرب ابن شیخ.

۴- تاریخ الشعوب الاسلامیه ۲/ ۶۳.

۵- صبح الاعشی ۳/ ۴۲۴.

۶- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۱۷، و الخطط المقریزیه ۱/ ۱۰۳- ۱۰۴.

القضاء على الاضطرابات و الفتن الداخليه:

صرف ابن طولون جهودا بالغه فى اخضاع الفتن و العمل على تهدئه الأوضاع الداخليه و توفير الأمن و الاستقرار فى ربوع البلاد.

و استطاع ان يقضى بحزم على ما قام منها فى بدايه امارته. و كان أهمها فتنتان اثارهما العلويون الذين كانوا ينقمون على الولاه الاتراك لما يلقونه على أيديهم من التعسف و القسوه. و قد تزعم الاولى أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن طبا طبا العلوى المعروف ببغا الأصغر، و قد خرج غربى مصر فى سنه ۲۵۵ ه فى منطقه الكنائس بين الاسكندريه و برقه، ثم سار الى صعيد مصر. فوجه ابن طولون حمله عسكريه لمحاربته و قد استطاعت تشتيت اتباعه، و قتل العلوى، و جى ء برأس العلوى الى الفسطاط، فقضى على فتنته(۱). أما الفتنه الثانيه فقد تزعمها ابن الصوفى العلوى و هو ابراهيم بن يحيى بن عبد اللّه، و قد خرج فى الصعيد أيضا و دخل مدينه أسنا فى سنه ۲۵۶ ه فنهبها و قتل كثيرا من أهلها. و استطاع أن يهزم الحمله التى وجهها اليه ابن طولون، و ظفر بقائدها فصلبه بعد أن قطع يديه و رجليه. الا ان الحمله الثانيه التى وجهت اليه تمكنت منه فاضطر على الهرب الى الواحات. ثم ضعف أمره عند ما اصطدم فى سنه ۲۵۹ ه بخارج اخر على السلطه هو أبو عبد اللّه العمرى و هزم أمامه. و لما وجه ابن طولون اليه جيشا آخر لم يصمد أمامه ففر هاربا، فعبر البحر الاحمر الى مكه فأقام بها. فعلم به و اليها فقبض عليه و حمله الى ابن طولون فسجنه مده، ثم اطلقه فخرج الى المدينه فمات فيها(۲).

و أعلن أهل برقه التمرد فى سنه ۲۶۱ ه و طردوا عامل ابن طولون فبعث اليهم غلامه لؤلؤا فقضى على تمردهم. و قبض لؤلؤ

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۱۲، و الخطط المقريزيه ۲/ ۳۳۹.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۱۳- ۲۱۴، و الكامل ۷/ ۲۳۸- ۲۳۹.

على جماعه من رؤسائهم و ضربهم بالسياط، و استصحب بعضهم معه الى مصر، فطيف بهم فى المدينه. فخلع ابن طولون على لؤلؤ خلعه و طوقه بطوقين(۱).

كما قامت فتنه أخرى فى أعلى الصعيد و قد تزعمها أبو عبد اللّه العمرى و هو عبد اللّه بن عبد الحميد بن عبد اللّه من نسل عمر بن الخطاب(۲) و كان العمرى قد خرج غضبا للّه و للمسلمين، اذ آلمه ما ارتكبه أبناء قبيله البجه الذين كانوا يهاجمون صعيد مصر و يقتلون و ينهبون ثم يعودون سالمين. فكمن لهم مع عدد من اصحابه فلما عادوا خرج اليهم و قتل قائدهم فولوا منهزمين فتبعهم الى بلادهم فنهبها و قتل منهم كثيرا، و لم يسلموا منه حتى أدوا له الجزيه.

و اشتدت شوكه العمرى و كثر اتباعه، فسير اليه ابن طولون جيشا فحاول العمرى أن يقنع قائد الحمله بأنه ليس خارجا على السلطه و انما خرج للجهاد ضد البجه و ان الامير ابن طولون اذا عرف ذلك فسوف يتركه و شأنه. الا ان القائد لم يجبه الى ذلك فقاتله فانهزم جيش ابن طولون. فلما اخبروه بحال العمرى لامهم لأنهم لم يعلموه بأمره و انه نصر عليهم لبغيهم عليه. الا ان اثنين من غلمان العمرى و ثبا به و قتلاه و حملا رأسه الى أحمد بن طولون تقربا اليه. الا انه اسف على مقتله و قتلهما به. و أمر برأس العمرى فغسل و كفن و دفن(۳).

و كان خروج العباس بن أحمد بن طولون فى سنه ۲۶۴ ه اخطر ما واجه أحمد. اذ كان قد خرج فى السنه المذكوره الى بلاد الشام و استخلف ابنه العباس، و هو أكبر أبنائه، على مصر، و ابقى معه كاتبه أحمد بن محمد الواسطى ليعاونه فى اداره شؤون الاماره.

۱- الكامل ۷/ ۲۸۳.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۱۴، و الكامل ۷/ ۲۶۴ و فيه: هو ابو عبد الرحمن العمرى و اسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد اللّه.

۳- الكامل ۷/ ۲۶۴- ۲۶۵.

فزين للعباس بعض قواده التغلب على مصر و القبض على الواسطى.

و قد بلغ الواسطى ما عزم عليه العباس و أتباعه فكتب الى الأمير أحمد يخبره بالأمر و يستعجله العوده الى مصر، فزاد ذلك فى وحشه العباس من أبيه و خوفه منه. فاشار عليه أصحابه ان يبتعد عن أبيه فيخرج من مصر. فقبض على الواسطى و قيده، و خرج الى الاسكندريه على رأس جيش كبير فيه ثمانمائه فارس و عشره آلاف راجل من سودان أبيه. و حمل معه مالا كثيرا. ثم توجه منها الى برقه، و قد راودته فكره تأسيس دوله فى أفريقيه لكى يستطيع مهاجمه أبيه. فكاتب بعض زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم، فأقدم على مغامره عسكريه. اذ كتب الى أمير بنى الأغلب ابراهيم الثانى بان الخليفه قد قلده أمر أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. و قيل حمل معه من بيت مال مصر (۸۰۰) حمل من الدنانير الذهبيه، و مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار(۱). فلما دخل بجيشه مدينه لبده اساء الى أهلها، و اضطر عاملها على الالتجاء الى اطرابلس التى استنجد أهلها بأبى منصور الاباضى المتغلب على مدينه تفوسه، فزحف هذا لنجدتهم. و كان الأمير ابراهيم قد بعث جيشا الى اطرابلس لحرب ابن طولون، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن الامير الأغلبى ابراهيم الثانى. و قد هزم العباس أقبح هزيمه و كاد ان يقع فى الأسر، مما اضطره على العوده فقبض عليه أبوه و سجنه و قتل عددا من اتباعه ممن زينوا له الخروج على أبيه(۲).

ان قضاء أحمد بن طولون على الاضطرابات و الفتن المذكوره، و على تمرد ابنه ساعد على استتباب الأمن الداخلى مما اتاح له فرصه للبناء و التعمير و العمل على تحسين أحوال البلاد. فاهتم بشؤون الرى و الزراعه مما أدى الى زياده الانتاج الزراعى فى مصر فبلغ خراجها أربعه آلاف ألف و ثلاثمائه ألف دينار، بعد أن كان قبله ثمانمائه ألف دينار(۳). و قد ساعده زياده خراج البلاد على

۱- البيان المغرب ۱/ ۱۱۸.

۲- الطبرى ۹/ ۵۴۵، و الكامل ۷/ ۳۲۴- ۳۲۵ و البيان المغرب ۱/ ۱۱۸- ۱۱۹، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۲۰.

۳- الخطط المقريزيه ۱/ ۹۹.

ان يستغنى عن بعض الرسوم التى كانت مفروضه على بعض المرافق. فقد كان احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر، و كان من دهاه الكتاب، ابتدع بدعا صارت سنه من بعده. فاحاط بالنطرون و حجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس، و قرر على الكلأ الذى ترعاه الماشيه رسما سماه «المراعى» و قرر مثله على ما يصاد من البحر و سماه «المصايد» و عرفت هذه الرسوم ب «المرافق و المعاون» فقرر أحمد بن طولون الغاءها و كانت عائداتها السنويه تبلغ مائه ألف دينار(۱).

الخلافه بين الموفق و ابن طولون:

نشأ خلاف حاد بين الموفق المهيمن على شؤون الخلافه فى سامرا و امير مصر أحمد بن طولون. و سبب الخلاف الرئيس كما يقول المقريزى ان الحرب الطويله مع صاحب الزنج دعت الموفق ان يكتب الى أحمد من حمل ما يستطيع من المال الى حاضره الخلافه للاستعانه به فى الحرب المذكوره. فبعث اليه ابن طولون ألف ألف و مائتى ألف دينار(۲)، الا ان الموفق استقل المبلغ، و غضب على ابن طولون و كتب اليه بذلك. فاجاب ابن طولون جوابا فيه كثير من التحدى مما لم يرتح له الأمير الموفق، فعزم على ان يبعث واليا الى مصر بدلا من أحمد بن طولون، فالتمس شخصا ذا كفايه و درايه يبعث به، فلم يرشح له أحد لأن هدايا ابن طولون لقواد الدوله و ارباب

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- الخطط المقريزيه ۲/ ۱۷۹، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۸ و فيه ان حمل الى الخليفه ألفى ألف درهم.

المناصب العليا فی سامرا کانت متصله(۱). فطلب الموفق الی کبیر القواد موسی بن بغا ان یصرف ابن طولون عن ولایه مصر و یقلدها اماجور والی دمشق. الا ان اماجور احجم عن مقاتله ابن طولون للقربی التی بینهما و لقوه جیش ابن طولون. و لذلک اضطر موسی ان یخرج بنفسه علی رأس جیش کثیف. فنزل الرقه و اقام بها عده أشهر لم تتوفر له خلالها الأموال اللازمه للجیش لیسیر الی حرب بن طولون. فاضطرب علیه اصحابه و ملوا الاقامه و طالبوا بأرزاقهم.

علی ان موسی مرض و اشتدت علیه علته فمات(۲).

و لما علم ابن طولون بمسیر موسی بن بغا بجیش یرید حربه و اقصاءه عن ولایه مصر استعد لملاقاته. فأخذ علی الجند و سائر الناس البیعه لنفسه علی أن یعادوا من عاداه و یوالوا من والاه و یحاربوا من حاربه من الناس جمیعا(۳). و هذا ما معناه انهم بایعوه علی ان یحاربوا الی جانبه و لو کان یحاربه جیش الخلیفه.

و یمکن الاستنتاج من هذا ان ابن طولون کانت تساوره فکره الانفصال التام عن الدوله العربیه. فشرع بتحصین المدینه، فبنی حصنا فی الجزیره، و هی جزیره الروضه بین الفسطاط و الجیزه، لیکون معقلا لماله و حرمه و ذخائره، و اجتهد فی بناء المراکب الحربیه و احاطتها بالجزیره زیاده فی تحصینها(۴).

و حینما بلغ ابن طولون نبأ موت أما جور فی دمشق، و کان قد استخلف ابنه فی الولایه بعده، اغتنم الفرصه لضم بلاد الشام الیه.

فخرج بجیش کبیر و استطاع ان یستولی دون حرب علی الرمله و دمشق و حمص، ثم اضطر علی محاصره انطاکیه، لأن و الیها سیما

۱- الخطط المقریزیه ۲/ ۱۷۹، و الکامل ۷/ ۳۰۵.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۱۸، و الکامل ۷/ ۳۰۵ و فیه ان موسی اضطر الی العوده الی سامرا.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۱۰.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۱۸، و الخطط المقریزیه ۲/ ۱۸۰ و جاء فیه انه احاطها بمائه مرکب.

الطویـل امتنـع علیه. فحـاربه ابن طولـون و اسـتولی علی المـدینه عنوه، فقتـل سـیما و اسـتباح أمواله. ثم سـار الی طرسوس فنزلها بجنوده، فضاقت بهم و غلت الاسعار فیها، مما سبب نقمه اهلها فطلبوا الیه الخروج منها. فأمر ابن طولون جنده ان یتظاهرا بالهزیمه من المدینه لیوهم الروم بقوه حامیتها و انها اسـتعصت علیه رغم قوه جیشه و کثافته(۱). فعاد منها الی دمشق فبلغه خبر خروج ابنه العباس علیه فعاد مسرعا الی مصر لمعالجه الامر.

خرج أهل طرسوس علی عامل ابن طولون خلف الفرغانی و طردوه و ولوا علیهم القائد یا زمان الخادم. مما اضـطر ابن طولون ان یخرج ثـانیه الی دمشق لمحـاربه أهل طرسوس. و کان الخلیفه المعتمـد علی اللّه حینـذاک قـد ضاق ذرعا باسـتبداد أخیه الموفق بـأمور الـدوله دونه فاتصـل بـأبن طولون بـدمشق یستنصـره علی أخیه، و بعث الیه یعلمه بـانه خـارج الیه. و قـد رحب ابن طولون بالتجاء الخلیفه الیه لأن ذلک سیجعل مصر حاضره الخلافه(۲). مما یدعم مرکزه تجاه الامیر الموفق و یزید فی استقلال امارته، و انه لمکسب عظیم لمصر و لأمیرها. الا ان محاوله المعتمد فی الهرب الی دمشق فشلت.

اذ اسـتطاع عامـل الموصـل اسـحاق بن کنـداج الخزری، بایعـاز من الموفـق، ان یحتـال علی الخلیفه و حاشـیته فمنعهم من السـفر وردهم الی سامرا حیث أصبح المعتمد علی اللّه محجوزا علیه.

و لمـا بلغ ابن طولون مـا فعله الموفق بـالخلیفه، أمر بکتـاب وجهه الی مصـر خلع فیه الموفق من ولا ـیه العهـد لمخـالفته الخلیفه و حجزه ایـاه، جـاء فیـه ان أبـا أحمـد الموفـق خلـع الطـاعه و بری ء من الـذمه فـوجب جهـاده علی الأ ـمه(۳). و اشـــهد علی ذلک الحاضرین من القواد

۱- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۲۰.

۲- نفس المصدر/ ۵۱۲.

۳- الخطط المقریزیه ۱/ ۳۲۰- ۳۲۱.

و القضاه، فامتنع عن الشهاده قاضی مصر بکار بن قتیبه، مما سبب غضب ابن طولون علیه فأمر بسجنه.

و کان بکار بن قتیبه قد ولاه المتوکل علی اللّه قضاء مصر فی سنه ۲۴۶ ه و أجری علیه مائه و ثمانیه و ستین دینارا فی الشهر. و کان عفیفا عن أموال الناس، محمودا فی ولایته، عارفا بالفقه، یکثر وعظ الخصوم و نصحهم و بخاصه عند الیمین، و یحاسب أمناءه و یتحری عن الشهود. و کان ابن طولون یعظمه و یحترمه، و کثیرا ما کان یتردد علی مجلسه فی الحدیث لیستمع الیه. و من مظاهر احترامه له ان کان من عادته اذا حضر جنازه لا یصلی علیها غیره الا اذا کان بکار حاضرا فیقدمه للصلاه. الا انه لما امتنع بکار عن لعن الموفق حبسه و نقم علیه. و یقال ان بکارا قال: ألا- لعنه اللّه علی القوم الظالمین. فقیل لابن طولون انه انما قصدک بهذا القول.

مما زاد فی غضبه علیه. و کان من عاده ابن طولون ان یبعث الی بکار فی کل سنه بألف دینار، فلما غضب علیه أرسل الیه یستردها منه.

فاحضرها بکار من منزله بخواتیمها. و قد طال حبس بکار فطلب أصحاب الحدیث الی ابن طولون أن یأذن لهم فی السماع منه فأذن لهم، فکان یحدثهم من طاقه فی السجن. و عند ما مرض ابن طولون حاول أن یسترضی بکارا، الا انه رفض ذلک. و قد توفی بکار فی أواخر ذی الحجه سنه ۲۷۰ ه، بعد وفاه أحمد بن طولون بأربعین یوما، و کان قد تولی القضاء أربعا و عشرین سنه(۱).

لقد قطع ابن طولون الخطبه للموفق و اسقط اسمه من الطراز، فلما بلغ الموفق ما عمله ابن طولون طلب الی الخلیفه أن یأمر بلعنه، ففعل المعتمد علی اللّه ذلک مکرها، لان هواه کان مع ابن طولون(۲).

و کتب الموفق الی عمال الولایات یأمرهم بلعن ابن طولون علی

۱- لمزید من التفصیلات راجع: کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۵۰۷- ۵۱۲.

۲- الکامل ۷/ ۳۹۷.

المنابر، و كانت صيغه اللعنه هى اللهم العنه لعنا يفل حده، و يتعس جده، و اجعله مثلا للغابرين، انك لا تصلح عمل المفسدين(۱).

و توجه ابن طولون الى أهل طرسوس ليحاول استمالتهم بالحسنى، فوجد يازمان الخادم قد تحصن بالمدينه، مما اضطره على محاصرتها. الا ان اشتداد البرد و كثره الامطار و الثلوج اضطرته على الرحيل عنها فعاد الى مصر مريضا.

تأسيس مدينه القطائع:

عند ما جاء ابن طولون الى مصر سكن دار الاماره فى العسكر، الا ان مماليكه و رجاله ازداد عددهم كثيرا بحيث ضاق بهم العسكر.

فقرر ان يختط مدينه فى سفح الجبل، فأمر بحرث قبور اليهود و النصارى و بنى فى موضعها القصر و الميدان. و تقدم الى قواده و غلمانه بان يختطوا لأنفسهم حول القصر، فاختطوا و بنوا حتى وصل البناء الى الفسطاط. و قد تم البناء بشكل قطائع، أى حارات، و سميت كل قطيعه باسم من سكنها. فكان للجنود النوبيين قطيعه منفرده سميت بهم، و للروم قطيعه عرفت بهم أيضا، كما كان لكل صنف من غلمانه قطيعه خاصه. و بنى القواد فى مواضع متفرقه. فعمرت القطائع و تفرقت فيها السكك و الأزقه. و بنيت فيها المساجد و الاسواق و الطواحين و الحمامات و الأفران. و سميت الاسواق بحسب حرف شاغليها و مهنهم، كسوق العطارين و سوق البزازين و سوق الصيارفه ..

و هكذا صارت القطائع مدينه كبيره عامره، و بنى الأمير أحمد قصره و جعل له ميدانا كبيرا يستعرض فيه الجيش و يلعب كره الصولجان. و سمى القصر كله الميدان، و قد عملت له عده أبواب لكل منها اسم خاص، أهمها باب الميدان و منه يدخل و يخرج معظم

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۲۹، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۲۱.

الجیش، و باب الخاصه لا یـدخل منه الا خاصه ابن طولون، و باب الصـلاه و منه یـذهب الأمیر الی الجامع الکبیر الـذی شـیده، و عرف هـذا الباب بباب السـباع لأنه کان علیه صوره سـبعین من الجبس، و باب خاص بمرور الحریم. و کان الطریق الذی یمر فیه ابن طولون واسـعا قطع بحائط فیه ثلاثه أبواب کبیره. و کانت هـذه الابواب تفتح کلها فی أیام الأعیاد، أو فی یوم عرض الجیش، أو یوم الصدقه، و ما عدا هذه الایام لا تفتح الا بترتیب فی أوقات معینه.

و اتخذ ابن طولون للقصـر مجلس یشـرف منه یوم العرض و یوم الصدقه. کما کان علی باب السباع مجلس آخر کان یجلس فیه لیله العیـد لیشـرف علی القطـائع و یطلع علی أحوال غلمـانه فیری حرکاتهم و تصـرفهم فی حوائجهم، فاذا رأی فی حاله أحـدهم نقصا أو خللا أمر له بما یتسع به، و کان هذا المجلس یشرف علی البحر أیضا(۱).

و هکذا کانت القطائع مدینه خاصه لغلمان الأمیر ابن طولون و جنده، و القصر و المیدان خاص به(۲).

جامع ابن طولون:

شکا أهل مصـر الی الأمیر أحمد بن طولون ضیق المسجد الجامع یوم الجمعه من کثره جنوده و سودانه، فأمر بعماره الجامع الذی عرف باسـمه. و قد شـیده علی جبل یشکر، و یشکر هو اسم قبیله عربیه اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بها(۳). و هناک من یقول ان یشکر هو اسم رجل صالح کان یسکن بیتا عند هذا الجبل فسمی باسمه، و قد ادخل هذا البیت فی بنایه الجامع(۴).

۱- راجع عن مدینه القطائع: الخطط المقریزیه ۲/ ۳۱۵- ۳۱۶.

۲- الانتصار/ ۱۲۲.

۳- الخطط المقریزیه ۱/ ۱۲۵.

۴- الانتصار/ ۱۲۳.

و حینما قرر بناء الجامع طلب ان یبنی مقاوما للغرق و الحریق فقیل له یبنی بالجیر و الرماد و الآجر الأحمر القوی الناری الی السقف و لا یجعل فیه اساطین الرخام فانها لا صبر لها علی النار، فبناه هذا البناء(۱). و یظهر مما ذکره المقریزی انه قدر لسقف الجامع ثلاثمائه عمود من الرخام فقیل له لا یتوفر هذا العدد من الاعمده الا اذا جمعت من الکنائس المهجوره فی الأریاف و الضیاع، فانکر ذلک و لم یوافق علیه. و شغل باله فی کیفیه توفیر هذه الأعمده الضروریه لقیام سقف الجامع. فتقدم الیه مهندس نصرانی کان یعمل عنده، و قد سبق أن غضب علیه و أمر بسجنه(۲)، بانه یستطیع بناء الجامع دون أعمده سوی عمودی القبله. و لکی یقنع الأمیر ابن طولون باقتراحه صور الجامع علی قطع من الجلود، فاعجب ابن طولون بذلک و استحسنه، فاطلقه من سجنه و خلع علیه و وضع تحت تصرفه مائه ألف دینار و قال له أن ینفق علی تشیید الجامع وفق اقتراحه، و اذا ما احتاج الی زیاده فی المال زاده له. فبوشر فی بنائه فی سنه ۲۶۴ ه و تم فی سنه ۲۶۶ ه و صلی فیه أحمد أول جمعه، فطالبه المهندس النصرانی بالأمان و الجائزه، فقال له: لقد أمنک اللّه و لک الجائزه. و أمر له بعشره آلاف دینار و أجری علیه الرزق الواسع الی أن مات(۳).

و یری الآثاری «قیولیه» ان هذه القصه أقرب الی أن تکون مختلفه لتظهر ان استخدام الأعمده فی بناء الجامع ابتکار مصری، بینما کان قد بنی جامعان کبیران باستخدام الاعمده قبل سنوات قلیله فی سامرا التی قدم منها ابن طولون، و کان و لا شک اطلع علیهما و تعرف علی طریقه بنائهما(۴).

۱- نفس المصدر، و الخطط المقریزیه ۲/ ۲۶۶.

۲- بین المقریزی سبب غضبه علیه و سجنه- الخطط المقریزیه ۲/ ۴۵۷.

۳- راجع عن تفصیلات أخری عن بناء الجامع- الخطط المقریزیه ۲/ ۲۶۵- ۲۶۶.

۴- Creswell ,E .M .A .P. ۳۰۳.

و تتميز مناره هـذا الجامع بان مراقيها من ظاهرها و يطلع اليها بـدرج ظاهره عريضه تسع جملين يصـعدان اليها. و قد اقيمت خارج الجامع فوق قاعـده مربعه، و بمصـعد داخلى يتمشـى حلزونيا، اضافه الى الدرج الخارجى(۱). و يقال ان سـبب عمارتها على هذه الصـوره ان احمـد بـن طولـون أخـذ يومـا و هـو فى مجلسـه درج ورق و عبـث بـه باصـابعه فخرج بعضه و بقى بعضه. فاسـتغرب الحاضـرون منه، فقال لهم: انى أريد أن أبنى مناره مسجدى الجامع كذلك، و أمر المهندسين أن يبنوها على ذلك الشكل(۲). و لعله كان بعبثه بـدرج الورق يحاول أن يصف لهم مناره سامرا الملويه التى كان يعرفها جيـدا. و يقول المقريزى انه بناه على غرار جـامع سامرا و كـذلك المناره(۳). و يؤيـد ذلك الاسـتاذ مارتن بريكزMartin .S .Briggs فى الفصـل الـذى كتبه عن «فن العماره» فى كتاب تراث الاسـلام، عند كلامه عن جامع ابن طولون بقوله «ان أهميته فى تاريخ العماره الاسلاميه قد نقصت بعض النقص لأننا نلاحظ ان بعض الظواهر المعماريه فيه موجوده فى بعض أبنيه عراقيه أقدم عهدا منه. و جامع ابن طولون مسجد جامع كبير يكاد يكون مربع الشكل، و فيه صحن تحيط به أروقه ذات بوائك.

و رواق القبلـه أكـبر بكـثير من الأـروقه الاـخرى. و بين جـدران الجـامع و سـوره الخـارجى أروقه خـارجيه مكشـوفه ... و السـور الخارجى ضخم جدا، و عليه شرقات زخرفيه ... و فى أسفل شرفات السور صف من طاقات على شكل أقواس مدببه، و على هذه الطاقات ركبت شـبابيک من الجص مخرمه، و تفصل كل طاقه منها عن التى تليها حنيات مدببه و رؤوسـها ذات فصوص عديده، أو فيهـا زخـارف بـارزه ... و يمكننـا ان نقـول فى ثقه و اطمئنـان ان الجـامع الطولونى (۷۲) الانتصار/ ۱۲۴، و ذكر الجمليـن هنا لتصوير سعه الدرج.

۱- الفن الاسلامى/ ۳۴.

۲- الانتصار/ ۱۲۴، و صبح الاعشى ۳/ ۲۴۰.

۳- الخطط المقريزيه ۲/ ۲۶۶.

عراقی الطراز من كل الوجوه و انه مأخوذ عن نماذج فی سامرا و بغداد كانت مألوفه لابن طولون فی شبابه. و هناك فوق الظواهر المعماريه التی مر ذكرها عناصر أخری جديده منها كتابات بالخط الكوفی محفوره بالخشب يتجلی فيها الحذق و المهاره فی استخدام حروف الكتابه فی أغراض زخرفيه. و من هذه العناصر أيضا الزخارف الملونه و نكاد نراها فوق كل السطوح الظاهره، و هی أكثر ما تكون مصنوعه من الجص الابيض، و لكننا نراها فوق ألواح من الخشب فی السقف»(١).

كما ان مؤلف كتاب «الفن الاسلامی» ارنست كولن Ernst Kuhnel يؤيد ان هذا الجامع قد شيد علی طراز جامع سامرا(٢). كما اثبت الاثاريان المعماريان فيوليه و باتريكولو بالبرهان القاطع ان مناره جامع ابن طولون قد بنيت أول الأمر علی شاكله ملويه سامرا، و ان القاعده المربعه الشكل التی تؤلف الطابق الأول من المناره قد اضيفت فيما بعد، و ذلك بعد أن أصاب الخراب الجامع فی أواخر القرن السابع و قام الأمير المملوكی لاجين الملقب بحسام الدين المنصوری بتجديده فی سنه ٦٩٦(٣).

و كانت قد بنيت فی مؤخره الجامع ميضأه و خزانه فيها جميع الشربات و الأدويه، و عليها خدم و فيها طبيب يجلس يوم الجمعه لما قد يحدث للحاضرين للصلاه(۴). كما انشأ ابن طولون الی جوار الجامع تجاه القصر و الميدان دارا لها باب من جدار الجامع يخرج منه الی المقصوره بجوار المحراب و المنبر، و اثث هذه الدار بما يحتاج اليه من الفرش و الستائر و كان يجلس بها اذا ذهب الی صلاه

١- تراث الاسلام(لجنه الجامعيين لنشر العلم) ٢/ ١٣٥- ١٣٧.

٢- الفن الاسلامی/ ٣۴.

٣- . Crewell ,E .M .A .P:٣١۵ -٣١۶ .

۴- الانتصار/ ١٢٣، و الخطط المقريزيه ٢/ ٢۶۶ و ۴٠۵.

الجمعه فیجدد و ضوءه و یغیر ثیابه، و کان یقال لها دار الاماره(۱).

و بلغت النفقه علی الجامع مائه و عشرون ألف دینار(۲). و قد طالت الایام بجامع ابن طولون حتی أصابه الخراب فی أواخر القرن السابع. فأمر بتجدید عمارته حسام الدین المنصوری. و أوقف املاکا خصص ریعها لنفقات الجامع، و من طریف ما جاء فی باب النفقات ما یختص بالدیکه التی تکون بسطح الجامع فی مکان مخصص لها لتعین المؤذنین علی الأوقات، و ضمن ذلک کتاب الوقف(۳).

المارستان:

یقول ابن دقماق لم یکن بمصر قبل أحمد بن طولون مارستان لمعالجه المرضی، فأمر أحمد ببناء المارستان الذی عرف باسمه، ثم سمی فیما بعد بالمارستان العتیق أو الاعلی(۴). و قد بنی فی سنه ۲۵۹ ه و یقال فی سنه ۲۶۱ ه، و لعله کمل بناؤه فی السنه الأخیره.

و قد بنی فیه اضافه الی القاعات و الغرف حمامان أحدهما للرجال و الآخر للنساء. و لما فرغ من بنائه حبس علیه ایرادات بعض الاملاک کالقیساریه و سوق الرقیق. و بلغ مجموع ما انفق علی المارستان و مستغله ستین ألف دینار. و کان ابن طولون اشترط ان لا یعالج فیه جندی و لا مملوک، ای أنه خصص لعامه الناس. و کان اذا جی ء بالعلیل تنزع ثیابه و یؤخذ ما عنده من المال و یحفظ ذلک عند امین المارستان، ثم یلبس ثیابا و یفرش له، و یفدی علیه و یراح بالادویه و الاغذیه و الأطباء حتی یشفی فیأمر بالانصراف بعد أن یعطی ماله و ثیابه. و کان الأمیر أحمد یتفقد أحوال

۱- الخطط المقریزیه ۲/ ۲۶۹.

۲- نفس المصدر ۲/ ۲۶۶، و الانتصار/ ۱۲۲، و النجوم الزاهره ۳/ ۸.

۳- الانتصار/ ۱۲۴.

۴- نفس المصدر/ ۹۹.

المارستان فيركب اليه فى كل يوم جمعه و يطلع على خزائن المارستان و ما فيها، و على أحوال الأطباء، و ينظر سائر المرضى و المحبوسين فيه من المجانين. و يذكر المقريزى حادثه وقعت للأمير مع مجنون من نزلاء المارستان، ترك ابن طولون بعدها زيارته(۱).

وفاه أحمد بن طولون:

مرض أحمد بن طولون حينما خرج الى طرسوس و سار منها الى أذنه و المصيصه و كان البرد شديدا. و يقال انه اقام فى انطاكيه لبضعه أيام أكثر فيها من شرب لبن الجاموس، فأصيب بالاسهال.

و قد فشل طبيبه الخاص سعيد بن توفيل الذى كان يصحبه فى سفره، فى معالجته لأنه لم يكن يلتزم بالحميه التى فرضها عليه.

و لما اشتدت عليه علته اراد العوده الى مصر، فثقل عليه ركوب الدواب، فعملت له عجله كانت تجر بالرجال و طئت له. فلما وصل الى الفرما ركب الماء الى الفسطاط(۲). و يقول ابن الأثير ان ابن طولون اصابته هيضه من أكل لبن الجاموس، و اتصلت حتى صار منها ذرب، و كان الأطباء يعالجونه و هو يأكل سرا، فلم ينجع الدواء(۳).

و لما وصل ابن طولون مصر اشتدت عليه علته فأمر الناس بالدعاء له، فغدا الناس بالدعاء بما فيهم النساء و الأطفال، و حضر اليهود و النصارى كذلك للدعاء له(۴). و ما لبث ان مات ليله الأحد

۱- للاطلاع على مزيد من التفصيلات عن المارستان الطولونى، راجع: الخطط المقريزيه ۲/ ۴۰۵- ۴۰۶، و الانتصار/ ۹۹.

۲- عيون الانباء/ ۵۴۲، و النجوم الزاهره ۳/ ۱۷- ۱۸ و جاء فيه انه نقل فى محفه يحملها الرجال.

۳- الكامل ۷/ ۴۰۹.

۴- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۳۱، و شذرات الذهب ۲/ ۱۵۷.

العشر خلون من ذی القعده سنه ۲۷۰ ه(۱). و لما بلغ نبأ وفاته الخلیفه المعتمد علی اللّه جزع و حزن علیه.

کان أحمد بن طولون، کما تصفه المصادر، شجاعا جوادا متواضعا، حسن السیره، یتفقد أحوال رعایاه، صادق الفراسه، ذا حدس ثاقب. یباشر الامور بنفسه، و یحب رجال الدین و العلم.

و کان اذا جرت منه اساءه استغفر و تضرع بالدعاء. الا انه مع ذلک کان قاسیا طائش السیف. و یقال انه احصی من قتلهم صبرا و من ماتوا فی حبسه فکان عددهم ثمانیه عشر ألفا. و کان کثیر الصدقات وراتبه لذلک ألفا دینار فی کل شهر. کما کانت مطابخه مفتوحه لعامه الناس یذبح فیها البقر و الکباش، و یغرف الطعام للناس فی القدور و القصاع. و یقال ان المشرف علی صدقاته قال له انه قد تمتد الیه الکف الناعمه فیها الخاتم و المعصم فیه السوار، فقال له: هؤلاء المستورون الذین یحسبهم الجاهل أغنیاء من التعفف، فاحذر ان ترد یدا امتدت الیک و اعط کل من یطلب منک(۲).

و خلف أحمد بن طولون من الأولاد ثلاثه و ثلاثین، منهم سبعه عشر من الذکور اشتهر منهم العباس، و خمارویه، و مضر، و شیبان، و أبو العشائر(۳). و خلف فی خزائنه من الذهب عشره آلاف ألف دینار، و من الممالیک سبعه آلاف مملوک، و من الغلمان أربعه و عشرون ألف غلام، و من الخیل سبعه آلاف فرس، و من مراکبه الجیاد مائه، و من البغال و الحمیر سته آلاف رأس(۴).

۱- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۳۱، و الخطط المقریزیه ۱/ ۳۲۱. و الطبری ۹/ ۶۶۶ و جاء فیه انه توفی یوم الاثنین لثمان عشره خلت من ذی القعده.

۲- للمزید من التفصیلات راجع: الخطط المقریزیه ۱/ ۳۱۶، و النجوم الزاهره ۳/ ۱- ۲۱.

۳- النجوم الزاهره ۳/ ۲۰، و شذرات الذهب ۲/ ۱۵۷.

۴- النجوم الزاهره ۳/ ۲۱.

۳- خمارویه بن أحمد بن طولون و النزاع مع الخلافه:

اشاره

عنـد مـا توفی الأـمیر أحمـد بن طولون بایع الجنـد ابنه خمارویه بالولایه علی مصـر خلفا له. و قـد امتنع أخوه العباس، و هو أکبر أخوته- عن مبـایعته فأمر بحجزه، و کان ذلک آخر العهـد به، و یقال انه أمر بقتله(۱). و قـد ولی خمارویه الفقیه محمد بن عبده بن حرب البصـری القضاء، و کانت مصـر قد بقیت بعد موت بکار بن قتیبه بغیر قاض زهاء سبع سنوات. نظر خلالها ابن عبده فی المظالم، و کان سخیا مهیبا، یرهبه الشهود، و یجله الامیر خمارویه و یعظمه و یجری علیه کل شهر ثلاثه آلاف دینار، و قد فوض الیه مع القضاء النظر فی المظالم و المواریث و الاوقاف و الحسـبه. و امتاز ابن عبـده بالجرأه و قوه الحجه بحیث لما اختلف الامیر خمارویه مع بعض کبار قواده توسط بینهم و أصلح الحال، فشکر له الأمیر سعیه. و کان لابن عبده مجلسان أحدهما للفقه یحضره الفقهاء، و الآخر للحـدیث یحضـره الحفاظ. و لم یزل بنظر فی القضاء و غیره مما فوض الیه الی ان قتل أبو الجیش خمارویه. فلما تولی ابنه جیش اماره مصـر أقره علی عمله، فاستمر حتی خلع الأمیر، فرجع الی داره و استتر خوفا من الفتنه. و عند ما تولی محمد بن سـلیمان الکاتب امره مصـر من قبل الخلیفه المکتفی باللّه اعاد ابن عبده الی منصب القضاء. فلبث فیه یسیرا ثم سار الی العراق صحبه محمد بن سلیمان و اقام فیه الی ان مات فی سنه ۳۱۳ ه(۲).

أما علاقه خمارویه بالخلافه فقـد اسـتمرت القطیعه التی حدثت فی أیام أبیه مع الموفق بسامرا. فاسـتغل والی الموصل اسحاق بن کنداج و والی أرمینیه ابن ابی الساج الفرصه و کاتبا الموفق یستمدانه علی محاربه خمارویه، فامرهما بمحاربته و وعدهما

۱- نفس المصدر ۳/ ۴۹، و کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۳۳.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۵۱۶- ۵۱۸.

بالمساعده و انفاذ الجيوش اليهما(١). فقصدا ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليها. و اعانهما والى ابن طولون فى دمشق فاعلن عصيانه على خمارويه، مما سهل لهما الاستيلاء على حلب و حمص و انطاكيه. فبلغ الخبر خمارويه فسير جيشا الى بلاد الشام فدخل دمشق ثم سار لمقابله جيش ابن كنداج و ابن ابى الساج فى شيزر.

فطاوله اسحاق حتى وصله المدد من العراق بقياده ابى العباس أحمد بن الموفق، فاشتبك الطرفان و تغلب الجيش العراقى، و جلا جيش ابن طولون عن دمشق الى الرمله.

ان هزيمه جيش خمارويه اضطرته على ان يخرج بنفسه على رأس جيش كبير. فالتقى بجيش أبى العباس عند الماء الذى عليه الطواحين قرب الرمله، فدارت معركه عرفت بمعركه الطواحين، هزم بها خمارويه و عاد هاربا الى الفسطاط. الا ان قسما من جيشه بقياده سعد الأيسر ثبت فى القتال و استطاع ان يهزم أبا العباس و يطارده حتى استرجع دمشق منه. و يظهر ان سعدا لما رأى خمارويه يهرب من ميدان المعركه استخف به فعصى بدمشق، مما اضطر خمارويه على العوده ثانيه اليها فدخلها و قبض على سعد و قتله(٢).

و يقول ابن الاثير ان خمارويه عامل اسرى جيش ابى العباس معامله لم يسبقه الى مثلها أحد من القواد قبله. فقال لاصحابه ان هؤلاء أضيافكم فأكرموهم، و قال للاسرى من اختار المقام عندى فله الاكرام و المواساه و من اراد الرجوع جهزناه و سيرناه، فمنهم من أقام و منهم من سار مكرما(٣).

١- الكامل ٧/ ٤١٠.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ٢٣٥- ٢٣٦، و الطبرى ١٠/ ٨ و يسميه سعد الاعسر، و الكامل ٧/ ٤١٥ و يسميه سعيد الايسر.

٣- الكامل ٧/ ٤١٥.

و کـان اسـحاق بن کنـداج قـد سـار بجیشه ثـانیه نحو الشـام لاسترجاعهـا من الطولونیین، فعاد خمارویه علی رأس جیشه، فالتقی بجیش اسحاق فهزمه حتی عبر الفرات، کما استطاع التغلب علی جیش ابن ابی الساج الذی کان یسیر نحو دمشق فهزمه حتی عبر نهر الفرات کذلک(۱).

و اسـتطاع خمـارویه ان یسـتمیل الیه یا زمان الخادم المتغلب علی طرسوس، فعاد الی طاعته و دعا له بعـد ان کان خرج علی أبیه، فانفذ الیه ثلاثین ألف دینار و خمسمائه مطرف و سلاحا(۲). و یبدو ان تغلب خمارویه علی القائدین ابن کنداج و ابن ابی الساج کان له تأثیره علی یازمان و قدر انه لن یقوی علی الصمود أمام جیش خمارویه اذا ما هاجم طرسوس، فاثر الصلح علی الهزیمه.

و یظهر ان معرکه الطواحین و المعـارک التی تلتها اقنعت کلا من أبی العباس أحمـد بن الموفق و خمارویه بن أحمـد بن طولون بأن استمرار النزاع بینهما غیر مجد، فمال کل منهما نحو المصالحه.

فکتب خمارویه الی ابی أحمد الموفق یسأله الصـلح علی مال یبذله علی ما فی یده من البلاد. فاجابه أبو احمد الی ذلک، و کتب الیه کتابا قدم به فائق الخادم الی الفسـطاط فی رجب سنه ۲۷۳ ه یـذکر فیه ان الخلیفه المعتمد علی اللّه و أبا أحمد الموفق و ابنه أبا العباس کتبوه بایـدیهم، بولایه خمارویه و ولـده مـده ثلاثین سـنه علی مصـر و الشامات. فأمر خمارویه بالـدعاء لأبی أحمـد و ترک الدعاء علیه(۳).

و عند وفاه الموفق فی سنه ۲۷۸ ه تولی ابنه أبو العباس أحمد ما کان یتولاه أبوه، و استحوذ علی عمه الخلیفه المعتمد علی اللّه،

۱- نفس المصدر ۷/ ۴۲۷- ۴۲۸.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۳۹، و الطبری ۱۰/ ۱۸، و الکامل ۷/ ۴۳۹.

۳- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۳۷- ۲۳۸، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۱- ۵۲.

و أصبح وليا للعهد. و توفى الخليفه فى السنه التاليه فبويع لأبى العباس بالخلافه و لقب بالمعتضد باللّه. فبعث اليه خمارويه بن أحمد بن طولون بهدايا و تحف، اذ قدم الحسين بن عبد اللّه المعروف بابن الجصاص من مصر «و معه هدايا من العين عشرون حملا على بغال و عشره من الخدم و صندوقان فيهما طراز و عشرون رجلا على عشرين نجيبا بسروج محلاه بحليه فضه كثيره، و معهم حراب فضه، و عليهم أقبيه الديباج و المناطق المحلاه و سبع عشر دابه، بسروج و لجم منها خمسه بذهب و الباقى بفضه، و سبع و ثلاثون دابه بجلال مشهره، و خمسه بغل بسروج و لجم، و زرافه، يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال، فوصل الى المعتضد، فخلع عليه و على سبعه نفر معه. و سفر ابن الجصاص فى تزويج ابنه خمارويه من على بن المعتضد، فقال المعتضد: أنا أتزوجها، فتزوجها»(۱). و لما تصاهر خمارويه مع المعتضد باللّه زالت الوحشه التى كانت بينهما، فولده خمارويه مع المعتضد باللّه زالت الوحشه التى كانت بينهما، فولاه المعتضد باللّه من الفرات الى برقه و جعل اليه الصلاه و الخراج و جميع الاعمال على ان يحمل خمارويه الى المعتضد باللّه فى كل عام مائتى ألف دينار عما مضى و ثلاثمائه ألف دينار عن كل عام للمستقبل، ثم قدم رسول الخليفه الى خمارويه بالخلع و كانت اثنتى عشره خلعه و سيفا و تاجا و وشاحا(۲).

اهتمام خمارويه بالبناء و التعمير:

بعد ان انهى خمارويه مشاكله مع الخلافه و استقر حكمه على مصر و بلاد الشام و الثغور انصرف الى البناء و التعمير، و يظهر انه

۱- الطبرى ۱۰/ ۳۰، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۲- ۵۳.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۴۰، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۳، و الطبرى ۱۰/ ۴۲ و جاء فيه ان المعتضد بلغه نبأ وفاه خمارويه فأمر الرسول بالرجوع اليه.

كان شغوفا بـذلك، و قـد ساعده ما وجده فى بيت المال من ذهب و أموال طائله على ان ينفق ببذخ و اسـراف على ما انشأه من القصور و الحدائق و المتنزهات. و قد اسـهب المقريزى فى تعداد و وصف منشآته و ما انفقه عليها من الاموال مما يدل على ميله للبذخ و حبه الترف. فزاد فى قصـر أبيه و وسـعه كثيرا بما اضافه اليه، فعمل فيه مجلسا برواق سـماه «بيت الذهب» طلى حيطانه كلها بالذهب المزين باللازورد بأحسن النقوش، و جعل فيه صورا بارزه من الخشب تمثله مع الحظايا و المغنيات و على رؤوسهن الأكاليل من الذهب مرصغه باصناف الجواهر، و لونت أجسامها بما يشبه الثياب بالاصباغ العجيبه(۱).

و جعـل بين يـدى بيت الـذهب فسـقيه ملأهـا زئبقا لأنه شـكا الى طبيبه الأرق فأشار عليه بعمل بركه من الزئبق. فعمل بركه مربعه طول ضـلعهما خمسون ذراعا و ملأها بالزئبق، و جعل فى أركان البركه سـككا من الفضه الخالصه و جعل فى السككك زنانير من حرير محكمه الصـنع فى حلق من الفضه و عمل فراشا من الجلد يحشى بالهواء حتى ينتفخ فيحكم شده و يلقى على تلك البركه و يشـد بزنـانير الحرير التى فى حلق الفضه ليثبت فى مكـانه، فينام على هـذا الفراش، و لا يزال الفراش يرتـج و يهتز بحركه الزئبق مـادام عليه. و كـانت هـذه البركه من أعظم مـا سـمع به، فكـان يرى لهـا فى الليـالى المقمره منظر عجيب اذا تـألق نور القمر بنور الزئبق. و انفق على ذلك مالا طائلا. و قد أقام الناس بعد خراب القصر مده يحفرون لجمع الزئبق من شقوق البركه(۲).

أما الميدان الذى انشأه أبوه فقد جعله بستانا زرع فيه أصناف الاشجار و أنواع النخيل، و حمل اليه من مختلف البلدان أصنافا من

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۶- ۳۱۷، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۴، و فيه انه بنى دار الذهب فى البستان.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۷، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۵، و الانتصار/ ۱۲۲.

الشجر المطعم، و غرس فيه أنواع الورود، و زرع الريحان على شكل نقوش و كتابات يتعهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقه على ورقه. و زياده فى البذخ كسا جذوع النخيل نحاسا مذهبا حسن الصنعه، و جعل بين النحاس و أجسام النخل أنابيب الرصاص يجرى فيها الماء ليخرج من تضاعيف جذع النخل فينحدر الى فساقى يفيض منها الماء الى مجارى تسقى البستان. و بنى فى البستان برجا واسعا من خشب الساج المنقوش بالنقر، ليقوم مقام الأقفاص، و بلط أرضه و زوقه بأصناف الأصباغ. و سرح فيه أصناف القمارى و الطيور الجميله. و جعل فيه أوكارا مثبته فى جوف الحيطان لتفرخ فيها. و سرح فى البستان الطواويس و دجاج الحبش و نحوه(۱).

و شيد فى القصر فيه شاهقه الارتفاع سماها «الدكه» كانت من أجمل مبانى القصر بزخارفها و نقوشها و ألوانها، و جعل على نوافذها الستائر التى تقى الحر و البرد، فتسبل اذا شاء، و ترفع اذا أحب. و فرش أرضها بالفرش النادر الثمين، و عمل لكل فصل من فصول السنه فرشا يليق به. و كان خمارويه كثيرا ما يجلس فى هذه الدكه ليفرج منها على جميع ما فى داره من البستان و غيره، و يشرف على الصحراء و النيل و الجبل و جميع المدينه(۲).

و بنى للوحوش التى كانت عنده دورا مفرده لكل صنف من الحيوان كالنمور و الفهود و السباع و الفيله و الزرافات. و كان يحب الاسود كثيرا فبنى لها دارا خاصه فى قصره، فيها قاعات تسع كل منها أسد و لبوته. و لتلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها و منفذ صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمه ذلك البيت. و فى كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء. و أمام هذه

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۶، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۳- ۵۴.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۷، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۶.

البيوت قاعه فسيحه فرش فيها الرمل، فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع اللحم المعين لغذائه رفع الباب بحيله من أعلى البيت و صاح بالسبع فيخرج الى القاعه المذكوره، فيرد السائس الباب و ينزل الى البيت من المنفذ الصغير فيبدل الرمل بغيره مما هو نظيف، و يضع اللحم فى مكانه المعين، و يغسل الحوض و يملؤه ماء ثم يخرج و يرفع الباب من أعلاه. و قد عرف السبع ذلك فحالما يرفع السائس باب البيت يدخل اليه السبع. و هناك أوقات معينه تفتح فيها سائر البيوت فتخرج السباع الى القاعه الفسيحه و تتمشى فيها و تمرح و تلعب و يهارش بعضها بعضا، و تقيم على ذلك حتى يصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره(۱).

و كان عند خمارويه سبع أزرق العينين سماه «زريق» قد أنس بسيده و صار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا. فاذا نصبت المائده أقبل زريق معها و ربض بين يدى خمارويه فيرمى اليه الدجاجه و الفضله الصالحه من الجدى و نحو ذلك مما على المائده فيتفكه بها.

و كان زريق يحرس خمارويه اذا نام، فاذا كان قد نام على سرير و ربض بين يدى السرير و جعل يراعيه مادام نائما، و ان كان نائما على الأرض بقى قريبا منه، و انتبه لمن يدخل و يقصد خمارويه و لا يغفل عن ذلك لحظه. و قد ألف ذلك و درب عليه، و كان فى عنقه طوق من الذهب(۲).

وفاه خمارويه:

دام حكم خمارويه اثنتى عشره سنه، و كانت نهايته انه قتل فى دمشق فى منتصف ذى الحجه سنه ۲۸۲ ه على أيدى بعض خدمه،

۱- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۷، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۶- ۵۷.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۷، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۷.

و هناك عده روايات عن سبب و كيفيه قتله(۱). فحمل فى تابوت من دمشق الى مصر. كان خمارويه جوادا الى حد الاسراف، متلافا للمال، انفق أموالا طائله فى تزيين قصوره و مجالسه. شغوفا بالصيد و سباق الخيل، و قد بنى ميدانا للسباق أكبر من ميدان أبيه، و كانت حلبه السباق فى أيامه تقوم مقام الأعياد لكثره ما يتخذ فيها من الزينه، و ركوب سائر الغلمان و العاكو على كثرتهم بالسلاح التام و العدد الكامله، فيخرج الناس للتفريج عليهم. و كان عرض الخيل هذا يعتبر من عجائب الاسلام الأربع التى منها هذا العرض و رمضان بمكه و العيد بطرسوس و الجمعه ببغداد(۲).

و كان خمارويه شديد الاهتمام بجيشه فلا يؤخر أرزاقهم، و قد بلغت فى أيامه تسعمائه ألف دينار فى السنه، و قد سار على نهج أبيه فى فتح مطبخه للناس و سماه بمطبخ العامه و بلغت نفقته على عهده ثلاثه و عشرين ألف دينار فى كل شهر(۳).

وصف خمارويه بأنه كان طويل القامه مهيبا ذا سطوه، اذا سار فى موكبه لا يسمح من أحد كلمه، و لا عطسه و لا سعله و لا نحنحه البته، كأن الناس على رؤوسهم الطير، لما وقع فى أذهانهم انه متى اشار اليه أحد بيده أو قرب منه لحقه مكروه عظيم، و قد اتخذ لنفسه حرسا خاصا من أبناء الحوف المعروفين بالشجاعه و البأس و ضخامه الجسم، وادر عليهم الارزاق و العطاء، و ألبسهم الأقبيه و جواشن الديباج، و صاغ لهم المناطق العراض الثقال، و قلدهم السيوف المحلاه يضعونها على أكتافهم، اضافه الى ألف من السودان لهم درق الحديد و عليهم أقبيه و عمائم سود فيخال الناظر اليهم بحرا

۱- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۴۱، و الخطط المقريزيه ۱/ ۳۲۱- ۳۲۲ و الكامل ۷/ ۴۷۴- ۴۷۵.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۸.

۳- الخطط المقريزيه ۱/ ۳۱۸، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۹.

أسود يسير لسواد لونهم و ثيابهم، و يصير لبرق درقهم و سيوفهم و البيض تلمع على رؤوسهم تحت العمائم، منظر بهيج(۱).

۴- نهايه اماره بنى طولون:

لم تـدم اماره بنى طولون بعـد وفاه خمارويه الا يسـيرا. فقـد تولى الاماره بعـده ابنه أبو العساكر جيش الذى خلعه أخوه هارون و تولى الامـاره مكانه. و فى عهـد هارون عاث القرامطه فى بلاد الشام و حاصـروا عامل الطولونيين عليها و هزموا جيشه مما اضـطر الخليفه المكتفى باللّه أن يرسل فى سنه ۲۹۰ ه جيشا من العراق بقياده محمد بن سـليمان الكاتب لحرب القرامطه فهزمهم و شتت شملهم(۲). و حينئذ رأى الخليفه ان لا مبرر لبقاء الأمير الطولونى الضعيف، فبعث القائد المذكور واليا على مصر و أمره بازاله آل طولون من مصـر و الشام. فدخل محمد بن سـليمان مصر فى أواخر ذى الحجه سنه ۲۹۱ ه فبرز هـارون لقتاله و حاربه أياما الا انه استسـلم اخيرا فقبض ابـن سـليمان على بنى طولـون و هـم بضـعه عشـر رجلاـ و حبسـهم و استصـفى أمـوالهم، ثم اشخصـهم الى بغداد(۳).

و بذلك انتهى عهد الاماره التى اسسها أحمد بن طولون فى مصر.

و لعل أهم أسـباب ضـعف اماره بنى طولون بعد مؤسسـها، و سقوطها بهذه السرعه ان أمراءها كانوا غرباء عن مصر، و قد اتخذوا لحراستهم أقواما مأجورين و أغلبهم من الأجانب. كما ان

۱- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ۳/ ۵۹- ۶۰.

۲- الطبرى ۱۰/ ۱۰۷، و تاريخ ابن خلدون ۳/ ۷۴۷- ۷۴۸.

۳- الطبرى ۱۰/ ۱۱۵- ۱۱۶ و ۱۱۸/ ۱۱۹، و تاريخ ابن خلدون ۳/ ۷۴۸.

جيشـهم كان فى أغلبيته و بخاصه قواده من الأتراك. و من الطبيعى ان مثل هذا الحكم لا يسـتقيم الا اذا كان على رأسه رجل ذو شخصـيه قويه و كفايه عاليه كأحمد بن طولون مؤسـس الاماره، و الا فسـرعان ما يدب الضـعف فيه و ينهار. و مما سرع فى نهايه هذه الاماره النزاعات التى قامت بين أفراد الاسـره منذ أيام خمارويه و بعده للاسـتحواذ على السلطه، ثم انصراف الأمراء الى اللهو و حياه البذخ و الترف.

الفصل الرابع اماره الصفارين

۱- تأسيس الاماره:

نشأت هذه الاماره فى ولايه سجستان فى القسم الشرقى من الدوله العربيه. أسسها يعقوب بن الليث الذى كان أول أمره يعمل فى صنع الصـفر، و لهـذا عرفت بامـاره الصـفارين. و يظهر ان يعقوب كان شـجاعا طموحا ذا حيله و دهاء. فقـد عمل هو و أخوته مع المتطوعين فى مقاومه الخوارج الذين استفحل أمرهم فى تلك الولايه.

و اسـتطاع بتـدبيره و حسن سياسـته أن يتـولى رئـاسه هؤلاـء المتطوعين، و قـد اكسب عمله صـفه الشـرعيه باعتبـار ان المتطوعين يعملون لنصـره الخلافه فى مقاومه المارقين. وجد فى محاربه الخوارج حتى اقتاهم، فاشـتدت شوكته و اطاعه أصحابه، و رأى انه يسـتطيع توجيههم لامتلاـك سجسـتان. فاسـتغل ضـعف الطـاهريين الـذين انهمكوا فى حيـاه الترف و ركنوا الى الراحه، و كانت سجسـتان احـدى الولايات التابعه لهم. فثار يعقوب مع اتباعه يعاملهم عليها فى سـنه ۲۵۳ ه، و انـتزع الولاـيه منه، و انفرد بحكمها متظاهرا بطاعه الخليفه و مدعيا بانه هو الذى أمره بقتال الخوارج(۱).

۱- الكامل ۷/ ۱۸۴- ۱۸۵.

یقول الیعقوبی ان الشراه کادوا ان یتغلبوا علی سجستان، فسأل یعقوب ابن اللیث الصفار محمد بن عبد اللّه بن طاهر أمیر خراسان، و کانت سجستان تابعه له، بأن یأذن له فی جمع المتطوعین و الخروج الیهم، فاذن له بذلک. فقاتل یعقوب الشراه حتی أبادهم فی سجستان و کرمان فعظم شأنه. فکتب الخلیفه المستعین باللّه الی محمد بن عبد اللّه ان یولیه کرمان(۱). و یرجح ان الیعقوبی أوهم فیما یتعلق بکرمان لأن یعقوب دخلها فی سنه ۲۵۵ ه(۲) و کان قد استولی علی فارس فی نفس السنه و دخل شیراز(۳). و لما عاد الی سجستان بادر الخلیفه المعتز باللّه بارسال عماله الی أعمال فارس، مما یدل علی عدم رضائه عن اعمال یعقوب، رغم انه کتب الیه بطاعته و وجه الیه بدواب و بزاه و مسک هدیه، کما سنشیر الیه فیما بعد.

علی ان طموح یعقوب الصفار لم یقف عند حدود سجستان، بل اخذ یعمل علی توسیع رقعه سلطانه. و حاول ان یظهر بمظهر من یجاهد فی سبیل الاسلام تحت رایه الخلیفه. فهاجم ممالک الترک المتاخمه لحدود سجستان و حارب ملوکها و قتل بعضهم فهابه الآخرون و اذعنوا له. فأمن بذلک الحدود الشرقیه لولایته، و اخذ یتطلع الی الولایات المحیطه به، و کانت ضمن سلطان الطاهریین الذین طمع یعقوب باملاکهم. ان الأمعان فی تتبع خطوات یعقوب الصفار فی توسیع سلطانه یظهر انه کان قد اتخذ طریقه جدیده للقضاء علی الدوله العربیه، و ذلک باقتطاع أجزائها من ولاتها بحجه الانتصار للخلافه. و بدلا من أن یعلن الخروج علی الدوله یسیطر علیها بأن یجعل الخلیفه تحت حمایته. و قد استطاع ان یحقق ذلک الی حد بعید مستفیدا من ضعف الطاهریین من جهه،

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۸۲، و الکامل ۷/ ۱۹۱.

۳- الطبری ۹/ ۳۸۶، و الکامل ۷/ ۱۹۴.

و انشغال جیوش الدوله بحرب الزنج من جهه أخری. و تنفیذا لسیاسته هاجم یعقوب فی سنه ۲۵۳ ه هراه من خراسان، فخرج الیه محمد بن أوس الانباری عامل الطاهریین علیها لرد هجومه، الا انه هزم، و استولی یعقوب علی مدینتی هراه و بوشیخ(۱).

۲- توسع الاماره:

الاستیلاء علی فارس و کرمان:

بعث یعقوب الصفار الی الخلیفه المعتز باللّه هدیه سنیه من جملتها مسجد من الفضه یتسع لخمسه عشر شخصا، و سأله الولایه علی فارس. و قبل أن یصل الیه جواب الخلیفه شخص بجیشه نحو کرمان(۲). و کان عامل الطاهریین علی فارس علی بن الحسین بن سبل قد کتب الی الخلیفه یطلب الولایه علی کرمان. فکتب الیه الخلیفه بولایه کرمان، و کتب بنفس الوقت الی یعقوب الصفار بولایتها ایضا. و کان یهدف الی اغراء کل منهما بالآخر لیتخلص من أحدهما، لعلمه بان طاعتهما للخلافه ظاهریه و انهما یریدان التوسع علی حسابها. فارسل علی بن الحسین الی کرمان جیشا علی رأسه طوق ابن المغلس، فسار الیها و استولی علیها. فاقبل یعقوب علی رأس جیشه و أقام قریبا من المدینه، فلم یخرج طوق الی محاربته. فعمد یعقوب الی الخداع فأظهر الارتحال عن المدینه، و عاد بجیشه مرحلتین عنها. فظن طوق انه عاد ادراجه عاجزا عنه، فرکن الی الراحه و اللهو. فکر یعقوب راجعا بسرعه و طوی المسافه فی یوم واحد، و أحاط بطوق و أصحابه الذین بادروا الی الهرب، فأسر طوقا و استولی علی المدینه. و یقال ان یعقوب لما نزع خفه من رجله تناثرت منه کسر خبز یابسه، فقال: یا طوق هذا خفی لم

۱- الکامل ۷/ ۱۸۵، و وفیات الاعیان ۵/ ۴۴۶.

۲- وفیات الاعیان ۵/ ۴۴۷.

أنزعه منذ شـهرين، و خبزى فى خفى منه آكل، و لا أطأ فراشا، و انت جالس فى الشـرب و الملاهى، بهذا التدبير أردت حربى و قتالى(۱)؟

و لمـا بلغ على بن الحسـين مـا فعله يعقوب بطوق ايقن بـانه سـيهاجم شـيراز للاستيلاـء عليهـا، فجمع جيشه و اسـتعد لملاقـاته، و تحرك نحو مضـيق و اقـام على رأسه، و هو ضـيق لاـ يمكن اجتيـازه طالمـا كان الجيش عليه. فعبر يعقوب النهر باصـحابه و صار خلف جيش على و قطع عليه طريق الرجعه، و بذلک أسـر عليا و هزم جيشه. فقيده يعقوب و احتوى على جميع ما فى عسكره، و دخل شـيراز فنهب جيشه دور على و أصحابه، و استولى هو على ما فى بيت المال، و جبى الخراج ثم عاد الى سجستان ظافرا(۲). و يقال ان يعقوب لما عبر النهر اشتبک بحرب شديده مع جيش على و هزمه و دخل مدينه شيراز و كان يظن ان أهلها سيقاومونه فيسـتحل دمـاءهم و أموالهم. الا انهم ركنوا الى المسالمه و أقاموا فى بيوتهم، مما اضـطره على أن ينادى بالأمان. فأطمأن الناس و خرجـوا الى أعمـالهم. و أخـذ يعقـوب من أموال على ألف بـدره و يقـال اربعمـائه، و من السـلاح و الخيول و غير ذلـک ممـا لا يعد(۳). و عذب على بن الحسـين بأنواع العذاب فاسـتخرج منه أربعه آلاف ألف درهم. و كان يعقوب و عد أصحابه بان يسمح لهم بنهب مدينه شيراز، فعوضهم عن نهبها بثلاثمائه درهم لكل رجل(۴).

كتب الصـفار الى الخليفه يعلمه بانتصـاره و يتقـدم اليه بالطاعه، و بعث مع رسالته هـديه من البزاه و المسک و طرائف أخرى، ثم عاد الى سجستان و معه أسيريه على بن الحسين و طوق بن المغلس، و لما

۱- الطبرى ۹/ ۳۸۴، و الكامل ۷/ ۱۹۲.

۲- الطبرى ۹/ ۳۸۵- ۳۸۶، و الكامل ۷/ ۱۹۳.

۳- الكامل ۷/ ۱۹۴.

۴- وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۲.

فارق يعقوب فارس أرسل الخليفه عمالها عليها(۱). ثم تحرك يعقوب فى سنه ۲۵۷ ه للاستيلاء على فارس مجددا. فارسل اليه الخليفه المعتمد على اللّه ينكر عليه عمله. الا ان الموفق أخا الخليفه و المهيمن على شؤون الدوله رأى ان يهادن ابن الليث حتى يستطيع ان يتفرغ لحرب صاحب الزنج، فكتب اليه بالولايه على طخارستان و سجستان و السند و بلخ، فسار يعقوب الى بلخ ثم الى كابل. و لما عزم على العوده رأى أحد قواده قد حمل بعض أثقاله، فغضب و قال:

أترحلون قبلى؟ و أقام و جيشه سنه كامله فى مدينه بست، عاد بعدها الى سجستان(۲).

الاستيلاء على خراسان:

كان يعقوب الصفار، كما ذكرنا، يطمع بالاستيلاء على خراسان، و هو يعرف ان محمد بن عبد اللّه أعجز من ان يستطيع رده عنها. الا انه لم يكن هناك ما يسوغ له مهاجمتها. و قد سنحت له هذه الفرصه حينما هرب عبد اللّه السجزى الذى كان ينازعه على سجستان و التجأ الى محمد بن عبد اللّه فى نيسابور. فارسل يعقوب الى الطاهرى يطلب اليه ان يسلمه السجزى. و لما رفض محمد طلب يعقوب سار هذا نحوه بجيشه فى سنه ۲۵۹ ه. و لما رأى الأمير محمد أن جيش الصفار صار على مقربه منه و انه لا قبل له به حاول ان يسترضيه، فوجه اليه يستأذنه فى تلقيه، فلم يأذن يعقوب له، فبعث محمد بعمومته و رجال من أهل بيته فتلقوه. فدخل يعقوب نيسابور فى شوال، فزاره محمد فى مضربه الا انه اساء مقابلته و وبخه على تفريطه فى عمله، ثم حبسه و اهل بيته(۳). و يقال انه القى القبض عليه و قيده و قبض على نحو مائه و ستين رجلا من أهل

۱- الطبرى ۹/ ۳۸۶، و الكامل ۷/ ۱۹۴- ۱۹۵.

۲- الكامل ۷/ ۲۴۷.

۳- الطبرى ۹/ ۵۰۷، و الكامل ۷/ ۲۶۱- ۲۶۳.

بیته و حملهم الی سجستان(۱). و یری ابن الاثیر ان سبب عدم استعداد الأمیر محمد لمقابله جیش یعقوب ان بعض أهل محمد و حاشیته لما رأوا ضعفه و ادباره مالوا الی یعقوب و کاتبوه بدعوته من جهه، و هو نوا أمره علی محمد و أقنعوه بان لا خوف علی ولایته منه من جهه أخری، فرکن محمد الی أقوالهم و لم یتحرز و یستعد لمقابلته(۲).

و هکـذا اسـتولی یعقوب الصـفار علی خراسان دون قتال. فرتب نوابه فی أعمالها، و کتب الی الخلیفه یـذم محمد بن عبد اللّه بن طـاهر و یصـفه بالتقصـیر فی عمله، و ان العلویین تغلبوا فی طبرسـتان لضـعفه عن مقاومتهم. و ادعی بأن أهل خراسان خرجوا الیه یسألونه المسـیر الیهم. الا ان الخلیفه المعتمـد علی اللّه لم یقر تصـرف یعقوب. اذ اجتمع جعفر بن المعتمـد علی اللّه و الموفق فی دیوان الجوسق و حضـر القواد، فذکر رسل یعقوب ان الشـراه و المخالفین قد غلبوا علی خراسان و ضـعف محمد عنهم، و ذکروا مکـاتبه أهـل خراسـان و مسـاءلتهم یعقوب ان یقـدم علیهم، و انه لمـا صار الی نیسابور أهلها و ادخلوه المـدینه. فتکلم أبو أحمد الموفق و الوزیر عبیـد اللّه بن یحی و قالا ـ للرسـل ان أمیر المؤمنین لا ـ یقر یعقوب علی مـا فعله و انه یأمره بالانصـراف الی العمل الذی ولاه ایاه، و انه لم یکن له ان یفعل ذلک بغیر أمره، فان رجع کان من الأولیاء، و الا لم یکن له الا ما للمخالفین(۳).

الاستیلاء علی طبرستان و فارس:

عنـد ما دخل یعقوب الصـفار نیسابور هرب عبـد اللّه السـجزی الی الحسن بن زید فی طبرسـتان، فسار یعقوب فی أثره. فلما صار قرب

۱- الکامل ۷/ ۲۶۳، و کتاب البلدان و فیه ان یعقوب حملهم فی الاصفاد الی قلعه یم بکرمان.

۲- الکامل ۷/ ۲۶۲.

۳- الطبری ۹/ ۵۰۷.

مدینه ساریه کتب الی الحسن یسأله ان یبعث الیه بعبد اللّه السجزی فینصرف عنه و انه جاء الی طبرستان من أجله و لیس للحرب، فابی الحسن تسلیمه. فقامت الحرب بین الطرفین قرب ساریه و هزم جیش الحسن، فدخلها یعقوب کما دخل مدینه آمل، وجبی خراجهما لسنه. و اخذ جیشه یعقب الحسن فی جبال طبرستان. الا ان کثره الأمطار اعاقته عن الاستمرار فی ملاحقته، لا سیما و ان الحسن افلت و دخل أرض الدیلم. و کتب یعقوب الی الخلیفه بما فعله بالحسن بز زید من الهزیمه(۱). ثم سار الی الری التی التجأ الیها السجزی، و کان الصلابی عاملا علیها فسارع الی القبض علی السجزی و تسلیمه، فتسلمه یعقوب و قتله و عاد راجعا عن الری(۲).

و کان ابن واصل قد تغلب علی فارس و قتل عاملها الحارث بن سیما، فاضاف الخلیفه فارس الی القائد موسی بن بغا مع الأهواز و البصره و البحرین و الیمامه مع ما کان الیه. فوجه موسی قائده عبد الرحمن بن مفلح والیا علی فارس و الأهواز. فلم علم ابن واصل بذلک زحف للقائه، فالتقیا برامهرمز و اقتتلا فانهزم جیش عبد الرحمن و وقع هو اسیرا بید ابن واصل الذی غنم ما فی عسکره من العدد و الاموال، ثم قتله، رغم ان الخلیفه ارسل الیه یأمره باطلاق سراحه(۳).

و لما اتصل بیعقوب الصفار خبر انتصار ابن واصل علی عبد الرحمن بن مفلح تجدد طموحه فی الاستیلاء علی فارس و ان یغنم ما أخذه ابن واصل من أموال و سلاح. فقصدها فی سنه ۲۶۱ ه بجیش کبیر و کتب الی ابن واصل یطلب الیه الدخول فی طاعته.

فحبس ابن واصل رسل الصفار، و توجه فی یوم شدید الحر لملاقاه

۱- الطبری ۹/ ۵۰۸- ۵۰۹، و الکامل ۷/ ۲۶۸.

۲- الطبری ۹/ ۵۱۰، و الکامل ۷/ ۲۶۹ و فیه جاء اسم الصلابی: الصلاتی.

۳- الطبری ۹/ ۵۱۲- ۵۱۳، و الکامل ۷/ ۲۷۵.

جیشه، و کان قد عزم علی مباغتته. الا ان یعقوب علم بخروج ابن واصل بجیشه نحوه فقصده. و کان التعب و العطش قد ارعقا جنود ابن واصل بحیث لم یستطیعوا مقابله هجوم یعقوب فانهزموا أمامه من غیر قتال. فتبعهم عسکر الصفار و استحوذوا علی جمیع ما کانوا غنموه من ابن مفلح. و مضی ابن واصل منهزما، و استولی یعقوب علی قلعته و احتوی علی ما فیها من الأموال، و کانت اربعین ألف ألف درهم(۱).

۳- حرب الصفار مع الخلیفه و هزیمته:

أقام یعقوب الصفار بعد انتصاره علی ابن واصل، بجرجان یعسف أهلها بالخراج و یأخذ أموال الناس. فاتی جماعه من أهلها الی حاضره الخلافه فسئلوا عن سیاسته فیهم فاشتکوا من جبروته و تعسفه و اخذه أموالهم بالباطل. و کان الخلیفه قد ادرک خطر یعقوب لمطامحه الواسعه و جشعه، فأمر أمیر بغداد عبید اللّه بن عبد اللّه أن یجمع من کان ببغداد من حجاج خراسان و الری و طبرستان و جرجان و یقرأ علیهم کتابه بانه لم یول یعقوب الصفار خراسان و لم یکن دخوله الیها و أسره محمد بن عبد اللّه بأمره و یأمرهم بالبراءه منه(۲). فلما نمی الخبر الی یعقوب و انکشف له رأی الخلیفه فیه خرج علی رأس جیشه فی المحرم سنه ۲۶۲ ه الی الأهواز، و لما وصل عسکر مکرم بعث کتابا الی الخلیفه یسأله ان یولیه خراسان و فارس و طبرستان و جرجان و الری و أمر الشرطه فی سامرا و بغداد. أی أن یعترف الخلیفه بتجاوز الصفار و استیلائه

۱- الطبری ۹/ ۵۱۴، و الکامل ۷/ ۲۷۷.

۲- الطبری ۹/ ۵۱۲، و وفیات الاعیان ۵/ ۴۵۴- ۴۵۵ و جاء فیه ان عبید اللّه عمل ثلاثین نسخه من الکتاب و دفع الی أهل کل بلد نسخه منه لیذیعوا ما جاء فیه.

على هـذه الولايـات و ان ذلـك كـان يـأمر منه. فحـاول الموفق ان يكسب بعض الوقت ليسـتعد لحربه فأجـابه الى ما طلب، و امر باطلاق من كان فى الحبوس من أصـحاب يعقوب، و أحضـر جماعه من التجار، و يظهر انهم كانوا من تجار الولايات المذكوره، ممن كانوا حينذاك بسامرا و بغداد، و أعلمهم ان أمير المؤمنين الخليفه أمر بتوليه يعقوب خراسان و طبرسـتان و جرجان و فارس و الرى و الشرطه بمدينه السلام. و بعث الخليفه رسولا بذلك الى يعقوب. فعاد الرسول يقول ان يعقوب لا يرضيه الا ان يسير الى باب المعتمد على اللّه، و انه سيتابع سيره عازما على دخول حاضره الخلافه(۱).

يظهر مما تقـدم ان يعقوب الصـفار عازم على اجتياح عاصـمه الدوله العربيه و وضع الخليفه تحت حمايته، لأنه اعتبر موافقته على طلبـاته دليلا على ضـعف الـدوله من ان ترده، لا سـيما و ان جيوشـها تحارب صاحب الزنـج فى جنوبى البلاد، و اراد أن لا تفوته الفرصه من تحقيق احلامه بالاستيلاء على مقر الخلافه و الاطاحه بالدوله العربيه.

و كـان القواد الأـتراك و قـد ادركوا خطر يعقوب الصـفار عليهم، ارتـابوا بموقف الخليفه و أخيه من مخـالفه يعقوب، و اتهموها بالتواطؤ معه، و انه قـدم الى عاصـمه الخلافه بأمرهما(۲). فغضب الخليفه من ذلـك و من عنـاد يعقوب و مكابرته و اصـراره على المخالفه، و ادرك انه غدا خطرا يهدد كيان الدوله و الخلافه، فخرج على رأس جيشه من سامرا، اذ كان الموفق قد سـحب قسـما كبيرا من جيوشه الموجهه الى حرب الزنـج، فهيأهـا لمقـابله الصـفار. و كـان يعقوب قـد دخـل مـدينه واسط ثم سار منها الى دير العاقول. فتحرك الجيش

۱- الطبرى ۹/ ۵۱۶، و الكامل ۷/ ۲۹۰، و وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۵.

۲- وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۵.

العربی الی سیب کوما و التقی بجیش الصفار فی الموضع المعروف باضطرید بین السیب و دیر العاقول. و فی یوم الاحد لتسع خلون من رجب سنه ۲۶۲ ه اشتبک الجیشان بقتال عنیف فی معرکه فاصله. اذ وقف الخلیفه فی المیدان و الی جانبه کبار القواد، و کشف الموفق رأسه و حمل أمام جیشه. و سرعان ما هزم یعقوب و جیشه.

و کان بعض اتباعه لما علموا بأن الخلیفه علی رأس جیشه و ان ادعاءات صاحبهم کاذبه انضموا الی جیش الخلیفه. و غنم الموفق ما فی معسکر العدو من الدواب أکثر من عشره آلاف رأس، و من الأموال ما یکل عن حمله، و من الدنانیر و الدراهم مبالغ طائله.

کما انقذ محمد بن عبد اللّه من أسر یعقوب، و کان مثقلا بالحدید، ففکت قیوده و خلع علیه و ولی شرطه مدینه السلام(۱).

و کان من جمله أسباب هزیمه یعقوب و جیشه اضافه الی ما ذکر، ان الموفق أمر ببثق النهر المعروف بالسیب، و ارسلوا الماء علی جیشه، مما اربکه و اعاق حرکته، و ان أحد قواد الموفق وافی مؤخره جیش یعقوب و طرح النار فی مرابط الأبل و الخیل فشردت و تفرقت فی العسکر، فاضطرب أصحاب یعقوب و ظنوا انهم اخذوا من المؤخره، فکانت الهزیمه(۲).

و قد برر یعقوب هزیمته بأنه لم یکن فی تقدیره ان بأمکان الخلیفه محاربته و جیشه مشغول بحرب الزنج، و ان الرسل ستتردد بینهما للمفاوضه علی ما یتم علیه الاتفاق، اما و قد واجهه الموفق بجیشه فانه لم یر بدا من الاشتباک معه دون تنظیم و اعداد. و لکن ما غنمه الموفق من أموال و عدد و دواب یدل علی انه جاء مستعدا للحرب.

و یظهر ان کلا من الطرفین کان یحاول خداع الطرف الآخر.

فان الخلیفه لما توجه الی حربه کانت کتبه لم تزل ترد الی یعقوب یأمره بالانصراف و یحذره من سوء عاقبه فعله. و کانت أجوبه یعقوب تنطوی علی التظاهر بالطاعه و انه قدم لیکون فی خدمه أمیر

۱- الطبری ۹/ ۵۱۷، و الکامل ۷/ ۲۹۱، و مروج الذهب ۴/ ۲۰۰.

۲- مروج الذهب ۴/ ۲۰۰، و وفیات الاعیان ۵/ ۴۵۹.

المؤمنين و التشرف بـالمثول بين يـديه، و ان يموت فى ركـابه. الا ان المعتمـد على اللّه أعتبر ذلك من مخاريق الصـفار، و قال: اعلموه انه ماله عندى الا السيف(۱).

و جـاء فى الطـبرى انـه قرى ء على النـاس كتـاب بعـد هزيمـه يعقـوب الصـفار و انتصـار الجيش العربى عليه جـاء فيه: «و لم يزل الملعون المارق يعقوب بن الليث الصـفار ينتحل الطاعه، حتى أحـدث الأحداث المنكره من مصـيره الى صاحب خراسان و غلبته اياه عليها ..

و مصـيره الى فـارس مره بعـد مره و استيلاـئه على أموالهـا، و اقبـاله الى بـاب أمير المـؤمنين مظهرا المسأله فى أمـور اجـابه أمير المؤمنين منهـا مـا لم يكن يسـتحقه استصـلاحا له، و دفعا بالتى هى أحسن، فولاه خراسان .. فما زاده ذلك الا طغيانا و بغيا. فأمره بـالرجوع فـابى، فنهض أمير المؤمنين لـدفع الملعون حين توسـط الطريق بين مـدينه السـلام و واسـط. و اظهر يعقوب اعلامـا على بعضها الصليان.

فقـدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمـد الموفق باللّه ولى عهـد المسـلمين بالقلب .. فتسـرع و اشـباعه فى المحاربه فحاربه حتى اثخن بالجراح .. و ولوا منهزمين .. و سلم الملعون كل ما حواه ملكه»(۲). و يظهر ان ما ذكره الطبرى انما هو جزء من كتاب أوسع، لأن ابن خلكان ذكر فقرات عديـده أخرى اضافه الى ما ذكره الطبرى(۳). فقد ذكر ابن خلكان ان الصـفار التمس أشياء أخرى ان رد عنهـا قصـد أبواب الخليفه لاثاره الفتنه و ابتغاء الغلبه. أى انه قـدم للقتال و ليس كما جاء فى تبريره هزيمته. و هـذا الكتاب بمثابه بيان حربى اذيع فى الناس يبرر سبب محاربه الصفار، و يزف البشرى بهزيمته و الانتصار عليه، و رجوعه مدحورا.

۱- وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۹.

۲- كامل الكتاب فى الطبرى ۹/ ۵۱۸- ۵۱۹.

۳- وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۹- ۴۶۰.

و من الواضـح ان قيـاده الموفق و حسن بلاـئه فی هـذه الحرب و اشتراک کبـار القواد الاـتراک فیهـا، کانت أهم أسـباب انتصار جیش الخلافه و قـد امتدح عدد من الشـعراء الموفق علی ما أیداه من شـجاعه لنصـره الخلافه. فقال محمد بن علی بن فید الطائی فی ذلک قصیده منها قوله(۱):

و لقد اتی الصفار فی عدد لهاحسن فوافتهن نکبه ناکب

جلب القضاء الیه حتفا عاجلاسقیا و رعیا للقضاء الجالب

اغواه ابلیس اللعین بکیده و اغتره منه بوعد کاذب

الی أن یقول:

و ولی عهد المسلمین موفق باللّه أمضی من شهاب ثاقب

و کأنه فی الناس بدر طالع متهلل بالنور بین کواکب

قل الجموع بحزم رأی ثاقب منه و افرد صاحبا عن صاحب

للّه در موفق ذی بهجهثبت المقام لدی الهیاج مواثب

یا فارس العرب الذی ما مثله فی الناس یعرف آخر للنوائب

۱- القصیده فی الطبری ۹/ ۵۱۹- ۵۲۰.

من فادح الزمن العضوض و من لقاجيش لدى غدر خئون غاصب

و مضـى يعقوب بعد هزيمته الى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى فيأخذون سلاحهم و أسلابهم. و كان الموفق سار الى واسط و قد ازمع على تتبع الجيش المنهزم، الا انه مرض فعاد الى سامرا(۱).

و يقول ابن خلكـان ابن جيش الخليفه لم يتبع الصـفار مخامه رجعته عليهم، و لانشـغالهم بالكسب و النهب(۲). فسار يعقوب الى خوزسـتان و نزل جنـديسابور. و ارسل أحـد قواده الى الاهواز فطرد منها عامل صاحب الزنـج. ثم سار الى فارس فانتزعها من ابن واصل الذى أقره الخليفه واليا عليها، و كان قد دخلها عند ما شـغل يعقوب بالحرب مع الموفق. و يظهر ان يعقوب كان يزمع الثأر لهزيمته فى معركه اضـطربد. لأنه لما انفذ اليه الخليفه رسولا يسـتميله، و يقلده اعمال فارس، جلس للرسول و جعل عنده سـيفا و رغيفا من الخبز و معه بصل، و احضـر الرسول و قال له: قل للخليفه اننى عليل فان مت فقـد استرحت منك و استرحت منى، و ان عوفيت فليس بينى و بينـك الاـ هـذا السـيف حتى آخـذ بثأرى أو تكسـرنى و تعقرنى و أعود الى هـذا الخبز و البصـل، و اعـاد الرسول(۳).

و لم يلبث يعقوب الصـفار ان مـات كمـدا فى التاسع من شوال سـنه ۲۶۵ ه و هو بجنـديسابور فـدفن فيهـا، و خلف فى بيت ماله خمسـين ألف ألف درهم و ثمانمـائه ألف دينـار. و هنـاك من يقول انه مـات فى الاـهواز و حمل تابوته الى جنـديسابور فـدفن فيها(۴).

۱- الكامل ۷/ ۲۹۲.

۲- وفيات الاعيان ۵/ ۴۶۱.

۳- الكامل ۷/ ۳۲۵- ۳۲۶.

۴- الطبرى ۹/ ۵۴۴، و وفيـات الاعيان ۵/ ۴۶۱- ۴۶۳ و الكامل ۷/ ۳۲۵ و مروج الـذهب ۴/ ۲۰۲، و فيه انه توفى لسبع يقين من شوال.

کان یعقوب رجلا عصامیا جدیا حازما، و مغامرا طموحا، ذا تدبیر و کفایه فی الحروب. الا انه لم یکن رجل دوله بانیا بل هو الی التخریب و النهب أقرب .. لو تتبعنا فتوحاته و انتصاراته فیها لرأیناها انها کانت آنیه موقته. اذ بعد أن یستولی علی بلد سرعان ما یخرج منه عائدا الی مقره فی سجستان حاملا ما جباه من الخراج و ما استولی علیه من أموال الناس و ما احتواه من الجیش المهزوم أمامه، و کأنه حارب لهذا الغرض. أما التنظیم و البناء، و رعایه مصالح الناس، و الاهتمام بالقضاء و شؤون الزراعه، فلم یذکر عنه شی ء من ذلک. فانه عند ما هاجم ممالک الترک المتاخمه لسجستان اکتفی بالنهب و العوده. و لما دخل شیراز حمل منها أربعه آلاف ألف درهم. و قد استولی علی فارس عده مرات، و فی کل مره یجبی أهلها قبل مغادرتها. و لما دخل جرجان و نیسابور اساء الی أهالی المدینتین یأخذ أموالهم تعسفا. فکان بهذا سفاکا للدماء طماعا بجمع الأموال.

کما کان یتصف بالحذر الزائد فلم یکن یطمئن الی أحد، و بالزهد و البساطه فی حیاته، فکان بعیدا عن اللهو و الترف. و قد عرف عنه رعایته لجنوده و تفقده لشؤونهم بحیث کانوا ینقادون لأمره. و قد أفاض المسعودی فی ذکر جوانب حیاته(۱). ان التفصیلات التی یذکرها عنه تعطینا صوره عن شیخ قبیله أقرب ما یکون الی البداوه، یعیش علی الغزو، و لا یجلس الا لیتهیأ للحرکه و الانتقال و ما یتطلب ذلک من تخفیف المتاع و الأثاث بحیث لا تعوق سرعه حرکته و تنقله. و هی صفات أبعد ما تکون عن صفات أمیر متحضر یحکم عده ولایات و علیه واجبات العنایه بشؤون الناس فیها، و مسؤولیه عمرانها و رفاهها.

۱- مروج لذهب ۴/ ۲۰۲- ۲۰۶.

۴- عمرو بن اللیث الصفار:

کان عمرو قد انضم الی أخیه یعقوب و ظل یعمل بمعیته، فلمس منه العسکر حسن السیاسه و التدبیر، فلما مات یعقوب اجتمعت کلمتهم علی تولیه عمرو مکانه. فکتب عمرو الی الموفق بالسمع و الطاعه، و طلب ان یتولی ما کان یتولاه أخوه من الولایات. فأجابه الموفق الی طلبه و ولاه خراسان و فارس و اصبهان و سجستان و کرمان و السند، و سیر الیه الخلع مع کتاب تولیته(۱).

فولی عمرو احمد بن عبد العزیز بن ابی دلف علی اصبهان و ولی عبید اللّه بن عبد اللّه خلافته علی الشرطه ببغداد و سامرا و خلع علیه و بعث الیه بعمود من ذهب(۲).

و لما أرسل أحمد بن عبد العزیز فی سنه ۲۶۸ ه الی عمرو بن اللیث الاموال المترتبه علیه، وجه عمرو الی الموفق منها ثلاثمائه ألف دینار، و خمسین منا من المسک، و مثلها من العنبر، و مائتی من من العود، و ثلاثمائه ثوب و شی و غیره، و آنیه من ذهب و فضه، و غلمانا و دواب بقیمه مائتی ألف دینار(۳). مما یدل علی حسن علاقه عمرو بن اللیث بالخلافه.

و قد اضطر عمرو بن اللیث ان یسیر فی نفس السنه الی فارس لحرب عامله علیها محمد بن اللیث الذی أظهر المخالفه، فهزمه و استباح عسکره. و ظفر بمحمد بن اللیث و أسره، ثم صار عمرو الی شیراز فأقام بها(۴).

ان علاقه عمرو بالخلافه ساءت فی سنه ۲۷۱ ه اذ ادخل الخلیفه المعتمد علی اللّه الیه حجاج خراسان و اعلمهم انه عزل عمرو

۱- الطبری ۹/ ۹۴۵، و الکامل ۷/ ۳۲۶ و یضیف و الشرطه ببغداد.

۲- الطبری ۹/ ۵۴۹، و الکامل ۷/ ۳۳۳.

۳- الطبری ۹/ ۶۰۶، و الکامل ۷/ ۳۷۱.

۴- الطبری ۹/ ۶۰۱، و الکامل ۷/ ۳۷۰.

بن اللیث عما کان قلده من الولایات، و لعنه بحضرتهم و أمر بلعنه على المنابر، و اشخص الموفق القائد صاعد بن مخلد الى فارس لحربه(۱). و ازدادت علاقه عمرو بالخلافه سوءا بحیث نشبت الحرب بینه و بین جیش الخلیفه بقیاده أحمد بن عبد العزیز بن أبی دلف فی سنه ۲۷۳ ه فانهزم جیش عمرو، و کان قوامه خمسه عشر ألفا بین فارس و راجل، و اسر منهم ثلاثه آلاف و استأمن ألف.

و غنم ابن دلف من معسکر عمرو من الدواب و البقر ثلاثین ألف رأس، و ما سوى ذلک کثیر(۲).

و فی السنه التالیه سار الموفق بنفسه لمحاربه ابن اللیث. فسیر عمرو احد قواده العباس بن اسحاق فی جمع کبیر من العسکر الى سیراف، و انفذ ابنه الى ارجان، و جعل ابا طلحه شرکب صاحب جیشه على مقدمته. فاستسلم أبو طلحه الى الموفق مستأمنا. فلما سمع عمرو بذلک توقف عن المسیر الى حرب الموفق. الا ان أبا طلحه عزم على العوده الى جانب ابن اللیث، فقبض علیه الموفق بقرب شیراز و جعل أمواله لابنه أبی العباس. ثم سار الموفق بجیشه نحو عمرو الذى عاد الى کرمان و منها الى سجستان. و یظهر ان الموفق لم یکن مستعدا لملاحقته، فکر راجعا(۳).

و قد واجه عمرو بن اللیث فی أواخر حکمه خطر السامانیین الذین انشأوا امارتهم فی ما وراء النهر، و کانت نهایته على أیدیهم اذ نازعوه السلطه. و لما سار بجیوشه الى ما وراء النهر لمحاربه أحمد بن اسماعیل السامانی هزم جیشه و تمکن أحمد من أسره. و قد خیره بالمقام عنده أو توجیهه الى الخلیفه، فاختار عمرو توجیهه الى الخلیفه، فوجهه أحمد مقیدا. و قضى بقیه أیامه فی

۱- الطبری ۱۰/ ۷، و الکامل ۷/ ۴۱۴، و المنتظم ۵/ ۸.
۲- الطبری ۱۰/ ۱۲، و الکامل ۷/ ۴۱۶ و فیه ان هذه الحرب کانت فی سنه ۲۷۱.
۳- الطبری ۱۰/ ۱۳، و الکامل ۷/ ۴۲۶.

سجن المعتضد باللّه(۱). و ظل سجينا حتی قتل فی سنه ۲۸۹ ه و دفن بالقرب من القصر الحسنی بمدینه السلام(۲).

۵- نهایه اماره بنی الصفار:

استمرت اماره الصفارین قائمه حتی أیام الخلیفه المقتدر باللّه. و کانت نهایتها علی أیدی السامانیین. و ذلک عند ما دخل أحمد بن اسماعیل السامانی سجستان فی سنه ۲۹۹ ه و اخرج من کان بها من أصحاب بنی الصفار. و قد استأمن الیه آخر أمرائهم المعدل بن علی بن اللیث الصفار و من معه من اتباعه. فوجه بهم السامانی الی هراه(۳). و بذلک طویت صفحه اماره الصفارین بعد أن عاشت زهاء ست و أربعین سنه.

۱- الطبری ۱۰/ ۸۳ و ۸۸، و الکامل ۷/ ۵۰۰- ۵۰۲.

۲- الطبری ۱۰/ ۸۸، و الکامل ۷/ ۵۰۲، و وفیات لاعیان ۵/ ۴۷۳.

۳- الطبری ۱۰/ ۱۴۵، و وفیات الاعیان ۵/ ۴۷۶ و فیه: المعذل بن علی.

الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا

اشاره

۱- مجالس المعتصم باللّه.

۲- مجالس الواثق باللّه.

۳- مجالس المتوكل على اللّه.

۴- مجالس خلفاء سامرا الآخرين.

الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا

الفصل الأول مجالس المعتصم باللّه

۱- المعتصم باللّه و الندماء:

كـان الخليفه المعتصم باللّه يغتنم بعض الفرص أحيانا لينفرد بأحـد المقربين اليه، ليتعرف منه على أحوال الناس. فقـد كان يبحث عن أحوالهم غايه البحث، و يتلطف فى الاطلاع على أمورهم(۱). او ليفضى اليه بما يشغل باله، أو ليستشيره فى أمر من الامور. و كان هؤلاء عاده من رجال دولته أو ممن اعتادوا مجالسته و منادمته.

و قـد أوردت بعض كتب التاريـخ و الأدب حكايات و اخبارا عن المعتصم باللّه و حاشـيته و قدمائه. و سـنورد بعض هذه الاخبار التى تكشف لنا بعض الصور عن حياته الاعتياديه، و ما كان يشغل باله أحيانا من المهام و المشاكل.

يذكر اسحاق بن ابراهيم المصعبى ان المعتصم باللّه اختلى به ذات يوم و قال له: يا اسحاق فى قلبى أمر أنا مفكر فيه منذ مده

۱- اثار الاول/ ۸۶.

طویله، و انما بسطتک فی هذا الوقت لافشیه الیک. فقلت: قل یا سیدی. قال: نظرت الی أخی المأمون و قد اصطنع أربعه انجبوا، و انا اصطنعت أربعه لم یفلح منهم أحد. قلت: و من الذین اصطنعهم أخوک؟ قال: طاهر بن الحسین، فقد رأیت و سمعت، و عبد اللّه بن طاهر، فهو الرجل الذی لم یر مثله، و انت، فانت و اللّه الذی لا یعتاض السلطان عنک أبدا، و أخوک محمد بن ابراهیم، و این مثل محمد؟ و أنا اصطنعت الأفشین فقد رأیت ما صار أمره، و اشناس فشل، و ایتاخ فلا شی ء، و وصیف فلا مغنی فیه. فقلت: یا أمیر المؤمنین، جعلنی اللّه فداک، أجیب علی أمان من غضبک؟ قال:

قل. قلت: یا أمیر المؤمنین أعزک اللّه، نظر اخوک الی الأصول فاستعملها فنجبت فروعها، و استعمل أمیر المؤمنین فروعا لم تنجب اذ لا أصول لها. قال: یا اسحاق، لمقاسات ما تربی فی طول هذه المده اسهل علی من هذا الجواب(۱).

یفهم من اشاره المعتصم باللّه الی ما صار الیه أمر الأفشین، ان هذا الحدیث جری، ان کان قد جری حقیقه، بعد محاکمته و قتله.

و لا یستبعد ان المعتصم باللّه کان متألما من غدر الأفشین و محاولته الانتقاض علیه، بعد أن قربه کثیرا و اعتمد علیه و أوکل الیه مهام الامور، مما ترک فی نفسه حزنا فاض علی لسانه فتشکی منه و من بقیه قواده الی اسحاق المذکور. کما یحتمل انه کان قد ضاق ذرعا بهؤلاء القاده الأتراک، فأراد أن یعبر بشکواه عن ندمه لانه اصطنعهم و قدمهم.

و للمقارنه بین رجال المأمون و رجال المعتصم باللّه، الذین ورد ذکرهم، نری ان فی رجال المعتصم باللّه من هو من أولاد الملوک و هو الافشین حیدر بن کاوس ملک أشروسنه. و لم یکن الافشین فاشلا فی حیاته العامه، و قد صار قائدا عاما لجیوش الخلیفه. و کذلک

۱- کامل الخبر فی الطبری ۹/ ۱۲۱- ۱۲۲، و الکامل ۶/ ۵۲۶- ۵۲۷.

أشناس فهو من كبار القاده أيضا، شديد الولاء للخليفه، و كان له دور مهم فى كشف مؤامره العباس بن المأمون و القضاء عليها. و قد سبق للمعتصم باللّه ان تعرضت حياته للخطر عند ما انتد به عمه ابراهيم بن المهدى، أيام خلافته ببغداد، لحرب ابن علوان الخارجى فحامى عنه أشناس. و عند ما قرر تشييد سامرا اعتمد عليه فى تشييد قسم منها. و خير دليل على تقدير المعتصم باللّه له انه توجه و البسه الوشاح تكريما له و تقديرا لخدماته. أما ايتاخ فقد كان موضع سر المعتصم باللّه و اعتماده، فمن اراد قتله أو حبسه فانما يتم ذلك على يد ايتاخ. كما انه كان من مقدمى قواده. و كان وصيف حاجب المعتصم باللّه و أحد كبار قواده. و ان جميع هؤلاء قد سمت بهم قابلياتهم الى أرفع المراتب فى الدوله. و لذا فلا مجال لاعتبارهم فاشلين بحيث يندم المعتصم باللّه على اصطناعهم و الاعتماد عليهم.

أما الذين امتدحوا على لسان المعتصم باللّه فانهم لم يكونوا كلهم بدرجه قواده الذين اشرنا اليهم همه و كفايه. فان طاهر بن الحسين كان كبير قواد المأمون، و قد قاد جيشه فى حربه مع أخيه الأمين، و تولى ابنه عبد اللّه اماره خراسان بعده بسلطات واسعه يسرت له حكمها بنجاح. هذا مع العلم بان المعتصم باللّه و ان أقر عبد اللّه بن طاهر على اماره خراسان التى كان المأمون عينه لها، فانه كان سى ء الرأى فيه(۱). و هذا ما لا ينسجم و مدحه اياه. كما ان أباه طاهرا لم يكن خالص الولاء للمأمون، فانه حينما ولاه خراسان كان يخامره الشك فى ولائه و يخشى غدره و خلعه الطاعه، و بالفعل فانه لم يلبث الا يسيرا حتى قطع الخطبه للمأمون الذى بادر الى التخلص منه(۲). أما اسحاق بن ابراهيم، و هو صاحب الشرطه، فلم يكن غير أداه بيد السلطه ينفذ ما يؤمر به. و لم يعرف عن أخيه محمد من الاعمال ما يميزه و لم يكن سوى قائد اعتيادى فى الجيش. الا ان ما يجمع هؤلاء الاربعه انهم من عائله واحده

۱- الديارات/ ۱۳۹.

۲- الفخرى/ ۲۰۵.

فارسیه الاصل. کما یجمع القواد الاربعه الـذین تشـکی منهم المعتصم باللّه انهم من الاتراک. و هـذا ما یـدفع الی الاسـتنتاج بان القصه وضعت بهذا الشکل للتقلیل من أهمیه الاتراک الذین اصبحت لهم السلطه و الغلبه فی عهد المعتصم باللّه، و الانتقاص من شأنهم برفع شأن آخرین من العنصـر الفارسی و من أسره لها أنصارها و اتباعها، و لاعلاء مقامهم علی مقام القواد الاتراک الذین ورد ذکرهم و الذین کان لکل منهم اتباع و انصار کذلک، و کانت منزلتهم فی الدوله عالیه جدا.

و هناک قصه یرویها القاضـی التنوخی عن محمد بن عبد الملک الزیات، خلاصتها(۱): ان المعتصم باللّه مر فی أحـد الایام، بعد أن تولی الخلافه، برحبه الجسـر ببغـداد، و معه وزیره محمـد بن عبـد الملک الزیات، و کبیر قضاته أحمـد بن أبی دواد، فتوقف قلیلا و أمر أحد أفراد حاشـیته أن یستفسر عن منجم کان یجلس هناک علی قارعه الطریق. فعاد الیه و اخبره انه قد مات منذ عهد قریب. و لما سأله ابن أبی دواد عن قصـته معه، ادعی المعتصم باللّه بانه کان قصد ذلک المنجم فی أیام غلبه ابراهیم بن المهدی علی الامور، و سـأله ان یخبره عن طـالعه. فتنبـأ له المنجم بـانه سـیتولی الخلافه و یفتـح الآفاق و یبنی البلـدان، و ان أکابر دولته سیکونون من أصول دنیه سافله، و التمس الیه أن یتذکره عند ما یتولی الامر و یحسن الیه فوعده المعتصم باللّه بذلک. قال: و لما بلغت الرحبه وقعت عینی علی مکـانه الـذی اعتـاد أن یجلس فیه، فتـذکرته و ذکـرت کلمـاته، و تأملتکما حولی و انتما أکبر أهل مملکتی و احدکما ابن زیات و الآخر ابن قیار، و هکذا صح جمیع ما قال.

و قد اسف المعتصم باللّه لوفاه المنجم لأنه فاته الاحسان الیه.

ان نظره بسـیطه الی هـذه القصـه تکشـف عن انهـا موضـوعه لغرض معین. و رغم شـیوع الالتجـاء الی المنجمین فی ذلـک العهد للکشف عما یخبئه المستقبل، و ان المعتصم باللّه کان یتطلع الی الخلافه فی

۱- نشوار المحاضره ۷/ ۲۱۲- ۲۱۵.

فتره خلافه عمه ابراهیم بن المهدی، و هی فتره اضطراب و قلاقل، باعتباره أقرب الناس الی الخلیفه المفتول و الخلیفه المتغلب، و هما أخواه، و قد قصد المنجم المذکور لیکشف له عما یخبئه له القدر.

و بعد ان عرف المنجم هویه السائل أجابه بما یطمن تساؤله.

فاضیف الی ذلک ما جاء عن کبار دولته بما یوحی بضاله اصولها.

و الغرض من ذلک واضح اذا علمنا ان وزیر المعتصم باللّه و کبیر قضاته عربیان، لا یروق للفرس ان یتبوءا مثل هذه المناصب فی الدوله.

و یروی الشابشتی ان المعتصم باللّه سأل جلساءه یوما عن معنی تسمیه طاهر بن الحسین بذی الیمینین. فقال محمد بن عبد الملک الزیات: معناه ذو الاستحقاقین، استحقاق بجده و دنوه فی الدوله و کان أحد النقباء، و استحقاق بما له فی دوله المأمون، و قد قال اللّه تعالی «لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ»(۱)، و قال الشاعر(۲):

اذا ما رایه رفعت لمجدتلقاها عرابه بالیمین

و یورد الثعالبی ما یشبه هذا، الا انه یضیف، و قال غیره:

انما سمی ذا الیمینین لأن المأمون کتب الیه لما فرغ من أمر المخلوع:

یا أبا الطیب یمینک یمین أمیر المؤمنین، و شمالک یمین، فبایع بیمینک یمین أمیر المؤمنین، ففعل فلزمه هذا الاسم(۳).

۱- سوره الحاقه، الایه: ۴۵.

۲- الشعر للشماخ بن ضرار الغطفانی، و عرابه رجل من الانصار. و کامل القصه فی کتاب الدیارات/ ۱۴۲.

۳- ثمار القلوب/ ۲۹۱.

و من مشاهير الأعلام الذين كانوا يحضرون مجلس المعتصم باللّه الفيلسوف العربى الكبير يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى.

و كان عظيم المنزله عند الخليفه مقربا اليه، و قد اوكل اليه تأديب ابنه أحمد. نشأ الكندى ببغداد و كان أبوه أميرا على الكوفه أيام المهدى و الرشيد. و قد عاصر المأمون و المعتصم باللّه و ابنيه الواثق باللّه و المتوكل على اللّه، و كان مقربا اليهم و له عندهم منزله ساميه.

و قال عنه ابن النديم انه فاضل دهره و واحد عصره فى معرفه العلوم القديمه، و هو فيلسوف العرب، و كتبه فى علوم مختلفه، و عدد له ۲۳۱ ه كتابا(۱). و قد برع الكندى فى الفلسفه و المنطق و الهندسه و الحساب و الفلك، و له فى أكثر هذه العلوم تواليف مشهوره من المصنفات الطوال و من الرسائل القصار(۲). و لم يكن فى الاسلام فيلسوف غيره احتذى فى تواليفه حذو ارسطاطاليس، و ترجم من كتب الفلسفه الكثير، و اوضح منها المشكل، و لخص المستعصى(۳).

و من كتبه «كتاب الفلسفه الاولى فيما بعد الطبيعيات و التوحيد» و قد صنفه للخليفه المعتصم باللّه. و بحث فيه عن الفلسفه و غايتها، و ما يجب أن يكون عليه الفيلسوف الكامل الفلسفه و عن غايته منها. و هو يفتتح الكتاب باهدائه الى المعتصم باللّه بقوله(۴):

«اطال اللّه بقاءك يا ابن ذرى السادات و عرى السعادات الذين من استمسك بهم سعد فى دار الدنيا و دار الأبد، و زينك بجميع ملابس الفضيله، و طهرك من جميع طبع الرذيله ..».

و كان ممن يحضر مجالس المعتصم باللّه عدد من الادباء منهم كبير ادباء عصره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، عند ما يكون فى سامرا. قال الجاحظ فى أول رسالته (فى صناعات القواد):

۱- الفهرست/ ۳۷۱.

۲- تاريخ الحكماء/ ۳۶۷.

۳- عيون الانباء/ ۷۳.

۴- رسائل الكندى/ ۹۷.

دخلت علی أمیر المؤمنین المعتصم باللّه فقلت له: یا أمیر المؤمنین فی اللسان عشر خصال: اداه یظهر بها البیان، و شاهد یخبر عن الضمیر، و حاکم یفصل فی الخطاب، و ناطق یرد به الجواب، و شافع تدرک به الحاجه، و واصف تعرف به الاشیاء، و واعظ ینهی عن القبیح، و معز یرد به الاحزان، و خاصه یزهی بالضیعه، و مله یونق الاسماع. و سمع عمر بن عبد العزیز رجلا یتکلم فأبلغ فی حاجته، فقال عمر: هذا و اللّه السحر الحلال. و قال الشاعر:

و کائن تری من صامت لک معجب زیادته أو نقصه فی التکلم

لسان الفتی نصف و نصف فؤاده فلم یبق الا صوره اللحم و الدم

فخذ یا أمیر المؤمنین أولادک بان یتعلموا من کل فنون الأدب، فانک ان افردتهم بشی ء واحد ثم سئلوا عن غیره لم یحسنوه.

و ضرب له أمثله عن قواده و حرسه، دلل بها عن ضحالتهم لأنهم لم یحسنوا سوی عملهم. فضحک المعتصم باللّه حتی استلقی، ثم دعا مؤدب ولده فأمره ان یأخذهم بتعلیم جمیع العلوم(۱).

۲- المعتصم باللّه و الشعراء:

کان المعتصم باللّه یحاول أن یقول الشعر أحیانا، و یظهر انه لم یکن یحسن قوله.

علی انه کان یستحسن الشعر الجید و یحب سماعه، و خاصه اذا کان فی مدحه و الاشاده بکرمه و فتوحاته. و کان الشعراء یجتمعون ببابه، فبعث الیهم مره یسألهم ان کان بینهم من یحسن ان یقول

۱- رسائل الجاحظ ۱/ ۳۷۹- ۳۹۳، و فی تاریخ بغداد، ۱۲/ ۲۱۸ مع بعض التغییر.

فیه کما قال منصور التمری فی أبیه هارون الرشید، و کان قد استحسن ذلک الشعر و هو:

خلیفه اللّه ان الجود اودیهأحلک اللّه منها حیث تجتمع

من لم یکن بأمین اللّه معتصمافلیس بالصلوات الخمس ینتفع

ان اخلف القطر لم تخلف مخایله أو ضاق أمر ذکرناه فیتسع

فلیدخل، و الا فلینصرف. و کان بین الشعراء محمد بن وهیب الحمیری، و هو شاعر بصری، و له شعر کثیر یذکر فیه البصره و یتشوق الیها، و کان یستمنح بشعره و یتکسب بالمدیح، فقام و قال: فینا من یقول مثله، ثم اندفع ینشد:

ثلاثه تشرق الدنیا ببهجتهم شمس الضحی و أبو اسحاق و القمر

تحکی أفاعیله فی کل نائبهاللیث و الغیث و الصمصامه الذکر

فأمر المعتصم باللّه بادخاله، و احسن جائزته(۱).

و قد امتدحه أبو تمام الطائی بعدد من القصائد فی مناسبات مختلفه. و لعل أروع ما مدحه به شعره الذی قاله فیه مسجلا انتصاره فی غزو الروم و فتح عموریه التی ذکرنا بعض أبیاتها.

و قد مدحه بقصیده مطلعها(۲):

۱- الاغانی ۱۹/ ۷۴- ۷۵.

۲- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۲/ ۱۹۱- ۱۹۷.

رقت حواشی الدهر فهی تمر مرو غدا الثری فی حلیه یتکسر(۱)

و یقول فیها واصفا الربیع:

أربیعنا فی تسع عشره حجهحقا لهنک للربیع الأزهر

ما کانت الایام تسلب بهمسهلو ان حسن الروض کان یعمر

أو لا تری الأشیاء ان هی غیرت سمجت و حسن الأرض حین تغیر

ثم ینتقل الی مدح الخلیفه، فیقول:

فی الأرض من عدل الامام وجوده و من النبات الغض سرج تزهر

تنسی الریاض و ما یروض فعله أبدا علی مر اللیالی یذکر

ان الخلیفه حین یظلم حادث عین الهدی و له الخلافه تحجر

و مدحه بقصیده طویله اشاد فیها بعدله و کرمه منها(۲):

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمهأضاء له من کوکب الحق آفله

و لاذت بحقویه الخلافه و التقت علی خدرها ارماحه و مفاصله

۱- تمرمر: تموج و تضطرب لینا ورقه.

۲- کامل القصیده فی دیوان ابی تمام ۳/ ۲۱- ۳۰.

آتته معدا قد اتاها كأنهاو لا شک كانت قبل ذاک تراسله

بمعتصم باللّه قد عصمت به عرا الدين و التفت عليها وسائله

رعی اللّه فيه للرعيه رأفهتزايله الدنيا و ليست تزايله

فاضحوا و قد فاضت اليه قلوبهم و رحمته فيهم تفيض و نائله

و قام فقام العدل فی كل بلدهخطيبا و أضحی الملک قد شق بأزله

و جرد سيف الحق حتی كأنه من السل مود عمده و حمائله

رضينا علی رغم الليالی بحكمه و هل دافع أمرا و ذو العرش قائله

و مدحه بقصائد أخری ذكرنا بعضها فی الفصل الخاص بشعراء سامرا.

و كان اسحاق بن ابراهيم الموصلی قد اتصل بالمعتصم باللّه الذی كان يأنس به فاتخذه نديما يسامره و ينشده الشعر و يغنيه الألحان.

و لعل أول قصيده مدحه فيها هی التی انشدها مهنئا بتوليه الخلافه.

و يروی عن اسحاق انه قال: لما ولی المعتصم باللّه الخلافه دخلت اليه فی جمله الجلساء و الشعراء. فهنأه القوم نظما و نثرا، و هو ينظر الی مستنطقا، فانشدته(۱):

۱- الاغانی ۵/ ۳۰۲- ۳۰۳.

لاح بالمفرق منک القتیرو ذوی غصن الشباب النضیر

هزئت أسماء منی و قالت أنت یا ابن الموصلی کبیر

و رأت شیبا برأسی فصدت و ابن ستین بشیب جدیر

لا یرد عنک شیبی فانی مع هذا الشیب حلو مزیر

قد یفل السیف و هو جرازو یصول اللیث و هو عقیر(۱)

یا بنی العباس انتم شفاءو ضیاء للقلوب و نور

أنتم أهل الخلافه فیناو لکم منبرها و السریر

لا یزال الملک فیکم مدی الدهرمقیما ما أقام ثبیر

و أبو اسحاق خیر امام ماله فی العالمین نظیر

واضح الغره للخیر فیه حین یبدو شاهد و بشیر

زانه هدی تقی و جلال و عفاف و وقار و خیر

۱- الجراز: السیف القاطع، و العقیر: المجروح.

لو تبارى جوده الريح يومانزعت و هى طليح حسير

و عنـد ما تولى المعتصم باللّه الخلافه كان الشاعر الحسـين بن الضـحاك يقيم فى البصـره منذ أيام الخليفه المأمون الذى جفاه و ابعـده عن بلاـطه لميله الى أخيه محمـد الأمين. فاسـتقدمه المعتصم باللّه الى حاضـره الخلافه و اتخـذه نـديما يرافقه فى نزهاته و رحلاته، و لا يغيب عن مجالسه. و لما دخل عليه أول مره استأذنه فى الانشاد، فأذن له، فقال(۱):

هلا سألت تلدد المشتاق و متنت قبل فراقه بتلاق

حتى انتهى الى قوله فى مدحه:

خير الوفود مبشر بخلافهخصت ببهجتها أبا اسحاق

وافته فى الشهر الحرام سليمهمن كل مشكله و كل شقاق

أعطته صفقتها الضمائر طاعهقبل الاكف بأوكد الميثاق

سكن الانام الى امام سلامهعف الضمير مهذب الأخلاق

فحمى رعيته و دافع دونهاو أجار مملقها من الاملاق

فلما اتمها قال المعتصم باللّه: اذن منى، فدنا منه، فملأ فمه جوهرا من جوهر كان بين يديه. ثم أمره بان يخرجه من فيه، و أمر

۱- الاغانى ۷/ ۱۵۲- ۱۵۳، و معجم الادباء ۴/ ۳۱- ۳۳، و فيهما: تلذذ المشتاق و التلود: الحيره و الدهشه، و هو أقرب الى المعنى.

أن ينظم و يدفع اليه، و يخرج الى الناس و هو فى يده، ليعلموا موقعه من الخليفه و يعرفوا فعله.

و مـدح الشـاعر على بن الجهم المعتصم باللّه بقصـيده أشاد فيها بمآثره، و اقترح عليه ان يولى ابنه هارون العهـد من بعـده، يقول فيها(۱):

و انت خليفه اللّه المعلى على الخلفاء بالنعم العظام

و ليت فلم تدع للدين ثأراسيوفک و المثقفه الدوامى

نصبت المازيار على سحوق و بابک و النصارى فى نظام

مناظر لا يزال الدين منهاعزيز النصر ممنوع المرام

و قد كادت تزيغ قلوب قوم فأبرأت القلوب من السقام

و عموريه ابتدرت اليهابوادر من عزيز ذى انتقام

فقعقعت السرايا جانبيهاو الحفت الفوارس بالسهام

رأت علم الخلافه فى دارهافخرت بين أصداء و هام

و قد هجا الشاعر دعبل الخزاعى المعتصم باللّه الذى كان يبغضه لطول لسانه. و لما بلغ دعبلا ان الخليفه يتهدده هرب الى الجبل،

۱- ديوان على بن الجهم/ ۳- ۱۲.

و قال يهجوه و ينكر عليه ان يكون الثامن من خلفاء بنى العباس، و ذلك بقوله(۱):

بكى لشتات القلب مكتئب صب و فاض بفرط الدمع من عينه غرب(۲)

و قام أمام لم يكن ذا هدايهفليس له دين و ليس له لب

و ما كانت الأبناء تأتى بمثله يملك يوما أو تدين له العرب

و لكن كما قال الذين تتابعوامن السلف الماضى الذى ضمه الترب

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعهو لم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعهخيار اذا عدوا و ثامنهم كلب

و قد سئل دعبل عن هذه الأبيات فأنكر أن يكون قد قالها. و لما سئل عمن قالها، قال: من حشا اللّه قبره نارا ابراهيم بن المهدى، كافأنى بذلك عن هجائى اياه ليشيط بدمى(۳). الا ان ابا الفرج يقول ان دعبلا اعترف بعد ذلك بأنه قائلها(۴).

۱- ديوان دعبل الخزاعى/ ۵۱- ۵۳. ليتكى ء عليها اكراما له(۲۹).

۲- غرب: سيل لا ينقطع من الدموع.

۳- الاغانى ۱۰/ ۱۳۰.

۴- نفس المصدر ۲۰/ ۱۵۵.

و لما مات المعتصم باللّه و رثاه وزیره محمد بن عبد الملک الزیات بأبیات من الشعر، قال دعبل یعارضه بالأبیات التالیه(۱):

لقد قلت اذ غربوه و انصرفوافی شر قبر لشر مدفون

اذهب الی النار و العذاب فماخلتک الا من الشیاطین

ما زلت حتی عقدت بیعه من أضر بالمسلمین و بالدین

۳- المعتصم باللّه و مجالس الغناء:

اشاره

کان المعتصم باللّه یحب الطرب و سماع الغناء. فقد سافر مره الی مصر قبل تولیه الخلافه فذکر جاریه له کانت غلبت علیه بجمالها و دلالها، و لم یکن استصحبها معه. فدعا مغنیا و ذکر له اشتیاقه الی جاریته و طلب الیه ان یغنیه صوتا یشبه ما ذکره له. فاطرق المغنی ملیا، ثم اندفع یغنی:

وددت من الشوق المبرح اننی أعار جناحی طائر فأطیر

فما لنعیم لست فیه بشاشهو ما لسرور لست فیه سرور

و ان امرءا فی بلده نصف قلبه و نصف باخری غیرها لصبور

۱- دیوان دعبل الخزاعی ۹۹- ۱۰۰.

فقال المعتصم باللّه: و اللّه ما عدت ما فی نفسی، و أمر له بجائزه سنیه(۱).

و اعتاد المعتصم باللّه أن یعقد للغناء و الطرب مجالس خاصه، و یبر المغنین و غیرهم من المطربین و یصلهم بالاعطیات و الهدایا.

و کان بعض المغنین یتبادرون و یتناظرون فی حضرته. روی عن محمد بن احمد المکی المغنی عن ابیه انه قال: ناظر أبی بعض المغنین ذات لیله بین یدی الخلیفه المعتصم باللّه، و طال تلاحیهم فی الغناء. فقال ابی للخلیفه یا أمیر المؤمنین، من شاء منهم فلیغن عشره أصوات لا أعرف منها ثلاثه، و أنا أغنی عشره أصوات و عشره و عشره لا یعرف أحد منهم صوتا منها. فقال اسحاق الموصلی: صدق یا امیر المؤمنین، و أیده علویه، فأمر له المعتصم باللّه بعشرین ألف درهم(۲).

اسحاق الموصلی و المعتصم باللّه:

کان اسحاق بن ابراهیم الموصلی، و هو کبیر المغنین فی عصره، مختصا بالمعتصم باللّه الذی کان یحترمه کثیرا و یقدر فیه موهبته الغنائیه و معرفته الواسعه فی الألحان. و لم یعقد مجلس غناء للخلیفه دون ان یحضره الا نادرا. و جاء فی نهایه الأرب ان أول یوم جلس فیه اسحاق یغنی للمعتصم باللّه دفع الیه الخلیفه مخده لیتکی ء علیها اکراما له(۳).

و ذکر عن اسحاق انه قال: اتیت امیر المؤمنین المعتصم باللّه یوما و عنده قینه کان معجبا بها و هی تغنیه. فلما سلمت علیه و اخذت مجلسی، قال لها: خذی فیما کنت فیه، فغنت. فقال لی: کیف تراها یا اسحاق؟ قلت: یا أمیر المؤمنین أراها تقهره بحذق و تختله

۱- العقد الفرید ۶/ ۶۲، و ثمرات الاوراق للحموی ۲/ ۱۵۹ مع تغییر طفیف.

۲- الاغانی ۱۶/ ۳۱۱.

۳- نهایه الارب ۵/ ۸.

برفق و لا تخرج من شـی ء الا الی أحسن منه، و فی صوتها قطع شذر أحسن من نظم الدر علی النحور، فقال: یا اسـحاق لصفتک لها أحسن منها و من غنائها(۱).

و قـال اسـحاق: دخلت یومـا علی المعتصم علی اللّه بسـر من رأی و ابنه هارون بین یـدیه، و عنـده علویه و مخارق. فغناه مخارق صوتا فلم ینشط له، ثم غناه علویه فاطربه. فلما رأیت طربه لغناء علویه دون غناء مخارق اندفعت فغنیت لحنی:

تجنبت لیلی أن یلج بک الهوی و هیهات کان الحب قبل التجنب

فأمر لی بألف دینار، و لعلویه بخمسمائه دینار، و لم یأمر لمخارق بشی ء(۲).

و قال محمد بن یزید المبرد: دخل اسحاق الموصلی علی المعتصم باللّه یوما فرآه تعس النفس، فقال له: أما تری یا أمیر المؤمنین طیب هذا الیوم و حسـنه؟ فقال الخلیفه: ما یدعونی حسنه الی شی ء مما ترید و لا انشط له. فقال: یا أمیر المؤمنین، انه یوم أکل و شرب، فاشرب حتی انشطک. قال: أو تفعل؟ قال: نعم. قال: یا غلمان قدموا الطعام و الشراب، و مدوا الستاره، و احضروا الندماء و المغنین. فآتی بالطعام و الشراب، و حضر الندماء و المغنون، فغنی اسحاق:

سقیت الغیث یا قصر السلام فنعم محله الملک الهمام

لقد نشر الاله علیک نوراو خصک بالسلامه و السلام

۱- الطبری ۹/ ۱۲۲.

۲- الاغانی ۵/ ۳۹۹.

فطرب المعتصم باللّه و شـرب كثيرا. و لم يبق أحد بحضـرته الا وصـله و خلع عليه و خمله، و فضل اسحاق على جميع الحاضرين فى ذلک(۱).

و يروى أبو الفرج عن القائـد عجيف بن عنبسه انه حضـر يومـا مجلسـا لأـمير المؤمنين المعتصم بـاللّه و عنـده جماعه من المغنين بينهم عمه ابراهيم بن المهدى و اسحاق الموصلى و مغنون آخرون، فغناه اسحاق:

قل لمن صد عاتباو نأى عنک جانبا

فاستحسـنه الخليفه و أمره باعادته ثلاث مرات. و لما رأى ابراهيم بن المهـدى شده طرب المعتصم باللّه على هذا الصوت سأله ان يأمر المغنين الحاضـرين بأن ياخذوه. فأمر الخليفه اسـحاق ان يلقيه عليهم ليتعلموه. فاعاده عليهم أكثر من خمسين مره فلم يستطع واحـدا منهم اداءه على وجه الصواب. فقال محمـد بن الحارث، و هو أحد المغنين الذين عجزوا عن تعلم الصوت: و من يقدر ان يأخذ من ذلک الشيطان شيئا(۲). و ذلک و لا ريب دليل على براعه اسحاق و مهارته فى الغناء و تفوقه على غيره من المغنين.

المغنون الآخرون:

من كبـار المغنين الـذين غنوا للمعتصم بـاللّه أبو المهنـا مخارق الـذى يعتبر من أجود المغنين فى أيامه. حـدث موسـى بن هارون الهاشـمى قال: كنت واقفا بين يدى المعتصم باللّه و هو جالس على حير الوحش، و الخيل تعرض عليه، و هو يشـرب، و بين يديه علويه

۱- نفس المصدر ۵/ ۳۲۹.

۲- الاغانى ۵/ ۳۱۵- ۳۱۶.

و مخارق يغنيان. فعرض عليه فرس كميت أحمر، فتغامز علويه و مخارق، فغناه مخارق:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل جواد و طمر

فتغافل الخليفه عنه، فانبرى مخارق فغنى:

يهب البيض كالظباء و جرداتحت اجلالها و عيس الركاب

فضك المعتصم باللّه و قال: اسكتا يا ابنى الزانيتين، فليس يملكه و اللّه واحد منكما. ثم دار الدور فغنى علويه:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل بغال و حمر

فضحك المعتصم باللّه و قال: أما هذا فنعم. و أمر لأحدهما جبغل و للآخر بحمار(۱).

و عرض علويه على الخليفه المعتصم باللّه رقعه فى أمر رزقه و اقطاعه، و هو يشرب، و دفعها اليه من يده، فلما أخذها اندفع علويه يغنى:

انى استحيتك ان أفوه بحاجتى فاذا قرأت صحيفتى فتفهم

و عليك عهد اللّه ان خبرته أحدا و لا أظهرته بتكلم

فقرأ الخليفه الرقعه و هو يضحك، ثم وقع له بما أراد(۲).

۱- نفس المصدر ۵/ ۳۵۲- ۳۵۳.

۲- نفس المصدر ۱۱/ ۳۵۱.

و من المغنين الـذين غنوا للمعتصم باللّه عبـد اللّه بن العباس الربيعی، و هو حفيـد الفضل بن الربيع وزير الخليفه محمـد الأمين، و كان مغنيا مجيدا. و قد حلف الا يغنی الا لخليفه أو ولی عهد.

و اذا ما اراد أحد أولاد الخلفاء ان يعرف من الخليفه بعد أبيه، هو و الا عرف انه غيره.

أم غيره، دعا عبـد اللّه بن العباس و أمره بالغناء، فيعرفه بيمينه، فيسـتأذن الخليفه فی ذلک. فان أذن له بالغناء علم انه ولی عهده، و الا عرف انه غيره.

قـال عبـد اللّه الربيعی: دعـانی الواثق أيـام المعتصم بـاللّه، و سأل اباه ان يأذن لی بالغناء، فأذن لی. الا ان الخليفه دعانی من الغـد، فقال لی: لا يبلغنی انک امتنعت من الغناء عنـد احد، فو اللّه لو امتنعت لأضـربن عنقک، فاعتق من كنت تملكه يوم حلفت و طلق من كـان عنـدک يومئـذ. و ارحنـا يمينـک هـذه المشؤومه. فقمت و انا لا أعقل جزعا منه. فاعتقت جميع ما كان بقی عنـدی من ممـاليكی الـذين حلفت يومئـذ و هم فی ملكی، ثم تصـدقت بجمله مال، و اسـتفتيت فی يمينی أبا يوسف القاضـی حتی خرجت منها(۱).

و غنيت بعد ذلک لاخوانی جميعا حتی اشتهر أمری، و بلغ المعتصم باللّه أمری(۲).

و غنی للمعتصم باللّه كذلک المغنی الطنبوری محمد بن أميه المعروف بأبی حشـيشه، و هو من المغنين الطنبوريين المجيدين، و قد تقدم بصـنعته علی كل طنبوری آخر(۳). و قـد غنی أبو حشـيشه لخلفـاء سامرا جميعا، و كان كل منهم معجبا بلحن معين من الحانه يغنيه اياه اذا حضر مجلس غنائه. و له كتاب الفه فی اخبار مراتب

۱- المعروف ان ابا يوسف قد توفی سنه ۱۸۲، و ذلک مما يرجح ان هذه الفقره مضافه علی الخبر.

۲- الاغانی ۱۹/ ۲۲۴.

۳- نهايه الارب ۵/ ۳۵.

الطنبوريين و الطنبوريات. و قال أبو حشيشه: كان المعتصم باللّه يحب ان اغنيه هذا الصوت(۱):

أسرفت فی سوء الصنیع و فتكت بی فتك الخليع

و ولعت بی متمرساو العذر فی طرق الولوع

صیرت حبك شافعافأتيت من قبل الشفيع

و حدث عمرو بن يانه المفنى قال: خرجنا مع المعتصم باللّه الى الشام فمررنا بدير مران، و هو على قلعه مشرفه عاليه تحتها مروج و مياه حسنه، فنزل فيه الخليفه، فأكل و نشط للشرب، و دعا بنا.

فلما شربنا أقداحا قال لحسين بن الضحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين و اللّه لبعض الغياض و اجام هناك أحسن من هنا. قال: صدقت و اللّه، فقل أبياتا يغنى بها عمرو.

فقال: اما أن أقول شيئا فی وصف هذه الناحيه بخير فلا احسب لسانى ينطق به، و لكن أقول متشوقا الى بغداد، فضحك الخليفه و قال له: قل ما شئت، فقال(۲):

يا دير مريان لا عريت من سكن هيجت قلبی سقما يا دير مريانا(۳)

هل عندك قسك من علم فيخبرناأم كيف يسعف وجه الصبر من بانا

۱- الاغانی ۲۳/ ۷۹.

۲- الاغانی ۷/ ۱۹۳- ۱۹۴.

۳- دير مريان بالقرب من بغداد على نهر كرخايا- الديارات/ ۳۳.

حث المدام فان الكأس مترعهمما يهيج دواعى الشوق أحيانا

سقيا و رعيا لكرخايا و ساكنهاو للجنينه بالروحاء من كانا

فاستحسنها المعتصم باللّه و أمرنى و مخارقا فغنينا فيها.

و شرب على ذلك، و أمر للجماعه بجوائز.

و تعتبر متيم الهشاميه من المغنيات المجيدات فى أيامها. و هى من مولدات البصره و بها نشأت و تأدبت، و كانت من أحسن الناس وجها و أدبا و غناء. أخذت الغناء عن اسحاق الموصلى، و ادركت اياه و اخذت عنه بعض الأصوات. و غنت للمعتصم باللّه. قالت:

بعث الى المعتصم باللّه بعد قدومه بغداد- أى فى أول خلافته- فذهبت اليه، فأمرنى بالغناء، فغنيت هذا الصوت:

هل مسعد لبكائى بعبره أو دماء

و ذا لفقد خليل لساده نجباء

فقال لى: أعدلى عن هذا الصوت الى غيره. فغنيت غيره من معناه، فدمعت عيناه، و قال: غنى غير هذا. فغنيت:

أولئك قومى بعد عز و منعهتفانوا و الا تذرف العين أكمد

فبكى و قال: ويحك لا تغنينى فى هذا المعنى شيئا البته. فغنيت فى لحنى:

لا تأمن الموت فى حل و فى حرم ان المنايا تغشى كل انسان

و اسلک طریقک هونا غیر مکترث فسوف یأتیک ما یمنی لک المانی

فقال: و اللّه لو لا انی أعلم انک انما غنیت بما فی قلبک لصاحبک- و هو علی بن هشام الذی قتله المأمون و انک لم تریدینی لمثلت بک.- و لکن خذوا بایدیها فاخرجوها. فاخذوا بیدی و أخرجت(۱).

و لما انتقل المعتصم باللّه الی سامرا أرسل الی متیم یستدعیها.

فجاءت و انزلها فی الجوسق فی دار کانت تسمی الدمشقی. و کانت بین حین و آخر تستأذنه فی الذهاب الی بغداد لزیاره أولادها ثم تعود(۲).

و کانت متیم الهشامیه أول من عقد من النساء فی الازار زنارا و خیط أبریسم ثم تجعله فی رأسها، فیثبت الازار و لا یتحرک أو یزول(۳).

و غنت متیم یوما بین یدی المعتصم باللّه، و عنده عمه ابراهیم بن المهدی، اللحن الآتی:

لزینب طیف تعترینی طوارقه هدوا اذا ما النجم لاحت لواحقه

فاشار الیها ابراهیم ان تعیده. فقالت للمعتصم باللّه: یا سیدی ان ابراهیم یستعیدنی الصوت لأنه یرید أن یأخذه. فقال لها الخلیفه: لا تعیدیه(۴).

ان المعتصم باللّه تنکر للمغنیه عریب، التی کانت أدیبه شاعره و مغنیه من اعلام العارفات بالغناء و الضرب علی العود. أعجب بها

۱- الاغانی ۷/ ۳۰۳- ۳۰۴.

۲- الاغانی ۷/ ۲۹۴.

۳- نفس المصدر ۷/ ۳۰۲.

۴- نفس المصدر ۷/ ۲۹۵.

المأمون فاشتراها و ذهبت به کل مذهب، میلا الیها و محبه لها، حتی انها نسبت الیه فعرفت بعریب المأمونیه. و کان المعتصم باللّه قد اشتراها لما بیعت فی میراث المأمون و اعتقها(۱). الا انه غضب علیها. و یری النویری ان سبب غضبه انه وجد کتابا وجهته الی العباس بن المأمون، عند ما کان المعتصم باللّه یحارب فی بلاد الروم، تقول فیه: اقتل أنت العلج حتی أقتل أنا الأعور اللیلی هاهنا(۲).

و تعنی بالأعور اللیلی هارون بن المعتصم باللّه، و کان أبوه قد استخلفه لما خرج فی حملته علی البیزنطیین. و یضیف النویری ان هذا من الامور التی لا تحتمل، و لو لم یکن لها عندهم من المکانه العظمی و المحل الکبیر لما ابقوها بعد الاطلاع من باطن حالها علی هذه الطویه(۳).

و من المطربین الذین اشتهروا علی عهد المعتصم باللّه زنام الزامر، و هو یعتبر أول من اشتهر من العرب باستعمال النای، و یقال انه أول من أحدثه، و کان یضرب بزمره المثل. و ذکر زنام ان المعتصم باللّه وجد فی علته التی توفی فیها افاقه فطلب ان یهیؤا له مرکبه الزلال لیرکب فیه، فرکبت معه و طلب الی أن أزمر له هذا الصوت:

یا منزلا لم تبل اطلاله حاشا لأطلالک ان تبلی

لم ابک أطلالک، لکننی بکیت عیشی فیک اذ ولی

۱- نفس المصدر ۲۱/ ۶۷، و نهایه الارب ۵/ ۱۰۱.

۲- نهایه الارب ۵/ ۱۰۶.

۳- نفس المصدر.

و العيش أولى ما بكاه الفتى لابد للمحزون ان يسلى

فما زلت أزمر الصوت المـذكور، حتى دعا برطليه فشـرب منها قـدحا. و جعلت أزمره و أكرره. و قد تناول منديلا بين يديه، و ما زال يبكى و يمسح دموعه فيه و ينتحب، حتى رجع الى منزله، و هو لم يستتم شرب الرطليه(۱).

۱- الطبرى ۹/ ۱۱۸- ۱۱۹، و الفخرى/ ۲۱۲، و جاء صدر البيت الاخير فيه: و العيش أحلى ما بكاه الفتى.

الفصل الثانی مجالس الواثق باللّه

مقدمه:

كـان الواثق بـاللّه محبـا للنظر مكرمـا لأـهله، مبغضـا للتقليـد، محبـا للاشـراف على علوم النـاس و آرائهم، ممن تقـدم و تأخر من الفلاسفه و غيرهم(۱). و الى جانب مجالس اللهو التى اعتاد ان يعقدها لسماع الغناء و الموسيقى و مناقشه الالحان، فقد كان يعقد مجـالس خـاصه يحضـرها رجـال الاـدب و العلم و الفلسـفه و الطب، لبحث مـا يثـار من القضايـا الاـدبيه و اللغـويه و التـأريخيه و المواضـيع العلميه و الفلسـفيه المختلفه، و لسـماع الشـعر و الاخبـار، و تفهم فحوى و معـانى ما يعرض من ذلك. فاذا ما ورد لفظ غريب مثلا تحرى الواثق باللّه مع جلسائه عن معناه و الشواهد الداله عليه من شعر و غيره. و كذلك مناقشه آراء و قضايا علميه قد تعرض على المجتمعين. و من المعتاد ان يشترك الخليفه فى المناقشات التى تدور بين الحاضـرين، أو انه يوجه سؤالا معينا يطلب الى أحـد الحاضـرين الأجـابه عليه، و يـدعو الاخرين الى مناقشه تلك الاجابه. أو أن أحـد الجلساء يسأل سؤالا معينا فيجيب عليه أحد الحاضرين.

و الواثق باللّه يستمع الى ما يورده السائل و المجيب، و ما يدور حول

۱- مروج الذهب ۴/ ۷۷.

ذلک من جدل و مناقشه. و یترک للجمیع الحریه التامه فی ابداء آرائهم و ملاحظاتهم.

و کثیرا ما کان الواثق باللّه یجیز من یحضر هذه المجالس من الادباء و المتطببین و غیرهم جوائز سنیه تشجیعا لهم. و لا ینکر ان قیام الخلیفه بعقد مثل هذه المجالس و حضوره فیها و تشجیعه من یحضرها، و مناقشه ما یدور فیها، یعتبر حافزا مهما للعلماء و الادباء علی السعی لتقدیم خیر ما یتوصلون الیه من معلومات و آراء. و ان المناظرات التی کانت تقوم حول تلک الآراء و الأفکار التی تعرض فی أی موضوع من مواضیع الشریعه أو العلم أو اللغه أو الأدب مما یغنی المعرفه الانسانیه فی هذه الحقول.

و کان الواثق باللّه یطلب أحیانا ممن یجیب علی اسئله معینه أن یضیف أجوبته فی کتاب. و لا ینکر ان شخصیه الواثق باللّه و شغفه بالعلم و الأدب، و اعتناقه آراء المعتزله، و ایمانه بحریه الرأی، کان لها تأثیر مهم فی تنشیط الحرکه العلمیه و الادبیه علی عهده.

۱- من مجالسه العلمیه:

اعتاد الواثق باللّه، کما أشرنا، ان یتساءل فی هذه المجالس عن قضایا و مواضیع علمیه تتناول الطب و شؤون الصحه، و مواضیع فلکیه و فلسفیه و غیرها. و کان فی بعض الاحیان یخص باسئلته کبار الحاضرین من الفلاسفه و الأطباء. و قد احتفظ لنا المؤرخ المسعودی بنماذج لما کان یدور من المناقشات فی هذه المجالس(۱). فقد سأل الواثق باللّه یوما جلساءه من المتطببین و الفلاسفه عن کیفیه ادراک الطب، و هل ان أصوله من الحس أم من القیاس، أم انه یدرک بالعقل أو السمع. فأجاب الحاضرون اجابات مختلفه(۲). و من

۱- مروج الذهب ۴/ ۷۷- ۸۳.

۲- نفس المصدر/ ۷۷- ۸۰.

الأسئله التی وجهها فی أحد مجالسه ان یخبر کل واحد منهم عما حضره من الزهد فی هذا العالم الذی هو عالم الدثور و الفناء. فذکر کل واحد منهم ما سنح له من الاخبار عن زهد الفلاسفه من الیونانیین و الحکماء المتقدمین مثل سقراط و دیوجانس. فقال الواثق باللّه: قد اکثرتم فیما و صفتم و قد احسنتم الحکایه فیما ذکرتم، فلیخبرنی کل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحکماء الذین حضروا وفاه الاسکندر. فقال بعضهم: کل ما ذکروه حسن، و احسن ما نطق به من حضر ذلک المشهد من الحکماء ما قاله دیوجانس ان الاسکندر أمس انطق منه الیوم، و هو الیوم أوعظ منه أمس، و قد قیل انه لبعض حکماء الهند(۱).

و یظهر مما رواه المسعودی ان حنین بن اسحاق العیادی کان أبرز من یحضر مجالس الواثق باللّه من علماء الأطباء، و کان حنین أمام وقته فی الطب(۲). و هو یتقن أربع لغات: العربیه و السریانیه و الفارسیه و الیونانیه، مما ساعده علی أن یکون حاذقا فی الترجمه.

و قد ترجم عددا من نفائس الکتب الیونانیه الی اللغه العربیه و اللغه السریانیه. کما وضع عددا من الکتب الطبیه التی نالت شهره واسعه. و کان الخلیفه المأمون قد اعجب به فعینه رئیسا لبیت الحکمه، و شجعه علی ترجمه الکتب الیونانیه. و قد تقدمت منزلته عند الخلیفه الواثق باللّه، الذی یخدم العلماء و یجالسهم.

سأل الواثق باللّه فی أحد مجالسه حنین بن اسحاق عن أول آلات الغذاء، فقال حنین: أول آلات الغذاء فی الانسان الفم و فیه الاسنان، و الاسنان اثنتان و ثلاثون سنا، منها فی اللحی الاعلی سته عشر سنا. و فی اللحی الاسفل کذلک. و من ذلک أربعه فی کل واحد من اللحیین عراض محدوده الأطراف تسمیها الأطباء من الیونانیین

۱- نفس المصدر/ ۸۳.

۲- وفیات الاعیان ۱/ ۴۵۵.

القواطع، و ذلک ان بها یقطع ما یحتاج الی قطعه من الاطعمه اللینه، کما یقطع هذا النوع من المأکول بالسکین، و هی الثنایا و الرباعیات. و عن جنبی هذه الاربعه فی کل واحد من اللحیین سنان رؤوسهما حاده و أصولها عریضه، و هی الأنیاب و بها یکسر کل ما یحتاج الی تکسیره من الاشیاء الصلبه مما یؤکل. و عن جنبی النابین فی کل واحد من اللحیین خمس اسنان أخر عوارض خشن، و هی الأضراس. و یسمیها الیونانیون الطواحن لانها تطحن ما یحتاج الی طحنه مما یؤکل. و کل واحد من الثنایا و الرباعیات و الانیاب له أصل واحد، أما الاضراس فما کان منها فی اللحی الاعلی فله ثلاثه أصول خلا الضرسین الاقصیین، فانه ربما کان لکل واحد منهما أصول أربعه. و ما کان من الاضراس فی اللحی الاسفل فلکل واحد منها أصلان خلا الضرسین الاقصیین فانه ربما کان لکل واحد منهما أصول ثلاثه. و انما احتیج الی کثره أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشده قوه العمل بها. و خصت العلیا منها بالزیاده فی الاصول لتعلقها بأعلی الفم.

فاستحسن الواثق باللّه ما ذکره حنین بن اسحاق و طلب الیه أن یصنف له کتابا یذکر فیه جمیع ما یحتاج الی معرفته من ذلک.

فصنف له کتابا جعله ثلاث مقالات، یذکر فیه الفرق بین الغذاء و الدواء و المسهل و آلات الجسد(۱).

و کان من جمله ما سأل الواثق باللّه حنین بن اسحاق و اجاب عنها، انه سأله عن الاشیاء المغیره للهواء. قال حنین: خمس، و هی أوقات السنه، و طلوع الکواکب و غروبها، و الریاح، و البلدان، و البحار. قال السائل: فکم هی أوقات السنه؟ قال حنین: أربعه:

۱- مروج الذهب ۴/ ۸۰- ۸۱. و یلاحظ انه لم یرد بین کتب حنین کتاب بهذا الاسم. بل هناک کتاب بعنوان« کتاب الاغذیه ثلاث مقالات» و قد یکون هو نفس الکتاب- تاریخ الحکماء/ ۱۷۳.

الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. فمزاج الربيع معتدل الحراره و الرطوبه، و مزاج الصيف حار يابس، و مزاج الخريف بارد يابس. و مزاج الشتاء بارد رطب.

قال السائل: أخبرنی عن کیفیه تغییر الکواکب للهواء. قال حنین: ان الشمس متی قربت منها أو قربت هی من الشمس الهواء أزید سخونه، و خاصه کلما کانت اعظم. و متی بعدت الشمس أو بعدت هی عن الشمس، کان الهواء أزید برودا.

قال: اخبرنی عن کیفیه اعداد الریاح، قال حنین: اربع، الشمال و الجنوب و الصبا و الدیور. أما قوه الشمال فبادره یابسه، فان الجنوب فحاره رطبه، و أما الصبا و الدبور فمعتدلتان.

قال: فاخبرنی عن أحوال البلدان فی ذلک. قال حنین: هی أربع، الأول الارتفاع، و الثانی الانخفاض، و الثالث مجاوره الجبال و البحار، و الرابع طبیعه تربه الارض. و النواحی هی أربع: الجنوب و الشمال و المشرق و المغرب فناحیه الجنوب اسخن و ناحیه الشمال أبرد، و أما ناحیتا المشرق و المغرب فمعتدلتان. و اختلاف البلدان بارتفاعها و انخفاضها، لان ارتفاعها یجعلها ابرد، و انخفاضها یجعلها اسخن. و البلدان تختلف بحسب مجاوره الجبال لها. لأن الجبل متی کان من البلد فی ناحیه الجنوب جعل ذلک البلد أزید بردا لأنه یستره من الریاح الجنوبیه، و انما تهب فیها الریاح الشمالیه فقط. و متی ما کان الجبل من البلد فی ناحیه الشمال جعل ذلک البلد اسخن.

قال: فاخبرنی عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار، کیف اختلفت؟ قال حنین: ان کان البحر من البلد من ناحیه الجنوب فان ذلک البلد یسخن و یرطب، و ان کان من ناحیه الشمال کان ذلک البلد أبرد.

قال السائل: فاخبرنی عن البلـد کیف اختلفت بحسب طبیعه تربتها؟ قال حنین: ان کانت أرضـها حجریه جعلت ذلک البلد أبرد و أخف. و ان کانت تربه البلد حصیائیه جعلت ذلک البلد أخف و أسخن، و ان کانت طینا جعلته أبرد و أرطب.

قـال: فلم اختلف الهواء من قبـل البحـار؟ قـال حنین: اذا جـاورت نقائع الماء أو جیفا أو بقولا عفنه، أو غیر ذلک مما یتعفن، تغیر هواؤها.

فلما کثر الکلام من السائل و المجیب ضجر الواثق، فقطع المحاوره، و اجاز کل واحد ممن حضر المجلس(۱).

و یتضـح مما ذکره المسـعودی عن مجلس الواثق باللّه ان حنین بن اسـحاق کان قـد أجاب علی عدید من أسـئله الخلیفه فی علم الطب، فصـنف ذلک فی کتاب أسـماه «المسائل الطبیه» ذکر فیه أنواعا من العلوم(۲). و یقول ابن أبی أصـیبعه ان کتاب المسائل هـذا هو المـدخل الی صـناعه الطب، لانـه جمع فیه جملاـ و جوامع تجری مجری المبـادی ء و الأوائـل لهـذا العلم، و لیس جمیع الکتاب لحنین بل ان تلمیـذه حبیش الاعسم تممه، و لذلک یعنون هذا الکتاب بکتاب المسائل لحنین بزیادات حبیش الاعسم، و قیل ان حنین بن اسحاق شرع فی تألیف هذا الکتاب فی أیام الخلیفه المتوکل علی اللّه(۳).

و یغلب علی الظن ان حنین بن اسـحاق جمع أجوبته فی مجالس الواثق باللّه، و جعلها کتابا واحـدا فی عهـد المتوکل علی اللّه، و ان ابن أخته حبیش ساعده فی جمعه و اضاف الیه بعض المواضیع. علی انه

۱- و قیل ان الواثق باللّه کلف أحد الحاضـرین فی المجلس ان یسأل حتین بن اسحاق بحضرته و هو یسمع ما یدور من المناقشه. مروج الذهب ۴/ ۸۱- ۸۳.

۲- مروج الذهب ۴/ ۸۱، و جاء فیه اسم الکتاب« المسائل الطبیعیه».

۳- عیون الانباء/ ۲۷۱.

مما تجدر ملاحظته ان اجوبه حنين بن اسحاق فيما يتعلق بالاسنان من حيث أنواعها و وظائفها، أو فيما يتعلق بالعوامل المؤثره فى جو بلد ما و مناخه، لا تكاد تختلف عما نعرفه اليوم. و ذلک من الدلائل الواضحه على تقدم العلم و المعرفه حينذاک.

۲- من مجالسه الأدبيه:

غنت احدى المغنيات فى مجلس الواثق باللّه يوما من شعر العرجى قوله:

أظلوم ان مصابكم رجلاًاهدى السلام اليكم ظلم

فاختلف من فى المجلس من رجال اللغه فى اعراب «رجل» فمنهم من نصبه باعتباره اسم ان، و منهم من رفعه على انه خبرها.

و الجاريه المغنيه مصره على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب. فأمر الواثق باللّه باشخاص المازنى الى سر من رأى. قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه، قال: ممن الرجل؟ قلت من مازن. قال: أى الموازن؟ قلت: مازن ربيعه. فكلمنى بكلام قومى و قال باسمک؟ لأنهم يقلبون الميم باء و الباء ميما، فكرهت أن أجيبه على لغه قومى لئلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين.

ففطن لما قصدته و أعجب به، ثم قال: ما تقول فى قول الشاعر:

أظلوم ان مصابكم رجلاً أترفع رجلاً أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب. قال: و لم ذاک؟ قلت: ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم. فعارضنى اليزيدى. فقلت: هو بمنزله قوله ان ضربک زيدا ظلم. فالرجل مفعول مصابكم منصوب به و الدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول ظلم فيتم. فاستحسن الواثق باللّه ذلک.

ثم سأل الواثق باللّه أبا عثمان، هل لک من ولد؟ قال: نعم، بنيه يا أمير المؤمنين، و قد انشدت عند مسيرى اليک قول الأعشى:

اذا غبت عنا و خلفتنافانا سواء و من قد يتم

أيا أبتا لا ترم من عندنافانا بخير اذا لم ترم

أرانا اذا اضمرتک البلاد نجفی و يقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قلت: قول جرير:

ثقی باللّه ليس له شريک و من عند الخليفه بالنجاح

قال الواثق باللّه: انت علی النجاح انشاء اللّه، ثم أمر لی بألف دينار، وردنی مكرما(۱).

و حضر أبو عثمان المازنی مجلس الواثق باللّه، و كان ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن اسحاق حاضرا. فقال الواثق لأبی عثمان: سله عن مسأله. فقال المازنی: ما وزن نكتل من الفعل؟

قال ابن السكيت: نفعل. فقال الواثق باللّه: غلطت، ثم طلب الی المازنی أن يفسره. فقال: نكتل تقديره نفتعل واصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفا لفتحه ما قبلها فصار لفظها نكتال، فاسكنت اللام للجزم لانه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

فقال الواثق باللّه: هذا هو الجواب، لا جوابک يا يعقوب(۲).

و حضر المازنی يوما مجلس الواثق باللّه و عنده نحاه الكوفه، فقال له الخليفه: يا مازنی هات مسأله. فقال: ما تقولون فی قوله تعالی «وَ ما كانَتْ أُمُّکِ بَغِيًّا» لم لم يقل بغيه، و هی صفه لمؤنث؟

۱- دره الغواص/ ۷۲- ۷۴ و العقد الفريد ۲/ ۱۰۱، و عيون الاخبار ۳/ ۳۲- ۳۳، و اخبار النحويين البصريين/ ۵۷- ۵۸ و وردت فيه الابيات ببعض التغيير، و ان الواثق باللّه أمر له بثلاثين ألف درهم. و جاء فی وفيات الاعيان ۵/ ۴۴۰- ۴۴۱، و فی البصائر و الذخائر ۳/ ۵۷۲ ان المناظره جرت فی مجلس المتوكل علی اللّه.

۲- معجم الادباء ۵/ ۴۴۰- ۴۴۱.

فاجابوا باجابات غير مرضيه. فقال الواثق باللّه: هات ما عندك.

قال: لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعله لحقتها الهاء، مثل كريمه و ظريفه، و انما تحذف الهاء اذا كانت مفعوله، نحو المرأه قتيل، و كف خضيب. و بغى هنا ليس بفعيل و انما هو فعول، و فعول لا تلحقه الهاء فى وصف التأنيث، نحو امرأه شكور بئر شطون- أى بعيده الرشا- و تقدير بغى بغوى قلبت الواو ياء، ثم ادغمت فى الياء فصارت ياء ثقيله نحو سيد و ميت فاستحسن الخليفه الجواب(۱).

و غنى أحد المغنين مره فى مجلس الواثق باللّه بشعر الأخطل:

و شارب مربح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار

فسأل الواثق باللّه جلساءه: أسوار او سئار؟ فاختلفوا فى الاجابه. فوجه الى ابن الاعرابى محمد بن زياد اللغوى و هو يومئذ بسر من رأى، يسأله فى ذلك. فقال: سوار، و ثاب، يقول لا يثبت على ندمائه. و سئار مفضل فى القدح سؤرا، و قد رويا جميعا.

فأمر له الواثق باللّه بعشره آلاف درهم(۲).

و دخل ابن الاعرابى يوما على الواثق باللّه و هو فى أحد مجالسه الأدبيه، و كان الحسين بن الضحاك الشاعر موجودا. فقرأ الفتح بن خاقان شعرا لطرفه، فقال:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه

۱- نفس المصدر ۲/ ۳۸۵- ۳۸۶.

۲- نفس المصدر/ ۷/ ۷.

تذکرون اذ نقاتلکم اذ لا یضر معدما عدمه

فقال ابن الاعرابی: زد الفا فی أول البیت و اجعله أتذکرون.

فقال له الحسین بن الضحاک: قد خزم مره بقوله: اذ لا یضر معدما، فهل یخزم بالت أخری فی أوله؟ أجاب ابن الاعرابی: ان العرب تخزم أول الشعر اذا احتاجت ان تصله بما قبله، تخزمه بالحرف أو الحرفین، و قد خزمه طرفه فی اذ أواسطه و فی الألف الاولی، و انشد قول امری ء القیس:

فلعمرک ما سعد بخله آثم و لا تأتأ یوم الحفاظ و لا حصر

فخزم بالفاء، و انشد قول قد بن مالک الوالبی:

تعالوا نجمع الأموال حتی نجحدل من قبیلتنا المئینا

و الا فتعالوا نجتلد بمهندات نشق بها الحواجب و الشؤونا

فخزم بقوله و الا، و لم یقل تعالوا نجتلد، و خزم بالفاء فی تعالوا، فخزم مرتین، فاعجب الواثق باللّه بذلک. و شهد الحاضرون ان ابن الاعرابی أعلم الجمیع. فأمر له الخلیفه بعشره آلاف درهم(۱).

و یقال ان الواثق باللّه رأی فی منامه کأنه یسأل اللّه الجنه، و ان قائلا یقول له: لا یهلک علی اللّه الا من قلبه مرت. فسأل فی الیوم الثانی جلساءه عن المرت، فلم یعرفوا معناه. فوجه الی أبی محلم فحضر و سأله عن الرؤیا و المرت. فقال أبو محلم: المرت القفر الذی لا ینبت شیئا، و المعنی علی هذا لا یهلک علی اللّه الا من قلبه

۱- اشعار الخلیج/ ۱۲۹- ۱۳۰.

خاليا من الايمان خلو المرت من النبات. فطالبه الواثق باللّه بشاهد من الشعر، فبادر أحد الحاضرين فانشد:

مرت مرتاوه يحار بها القطاو يصبح ذو علم بها و هو جاهل

فقال أبو محلم: و اللّه لا ابرح حتى انشده مائه قافيه معروفه لمائه شاعر معروف فى كل بيت ذكر المرت. فأمر له الواثق باللّه بمائه ألف دينار(۱). و يلاحظ ان الخبر ممعن فى المبالغه من قدره أبى محلم على انشاد مائه بيت لمائه شاعر و فى كل منها ذكر المرت، و فى المبلغ الذى منحه الواثق اياه، و يرجح انه بالدراهم لا بالدنانير اذا سلمنا بصحه مقداره.

و تلاحى الحسين بن الضحاك الشاعر و مخارق المغنى فى مجلس الواثق باللّه فى أبى نواس و أبى العتاهيه، ايهما أشعر من الاخر.

فقال الواثق باللّه: اجعلا بينكما خطرا يكون للغالب منكما، فجعلوا بينهما مائتى دينار. فسأل الواثق باللّه من هاهنا من العلماء.

فقيل أبو ملحم، فاحضروه فسئل عن ذلک. فقال: أبو نواس اشعر و اذهب فى فنون العرب، و اكثر افتنانا من افانين الشعر.

فأمر الواثق باللّه بدفع الخطر الى الحسين بن الضحاک(۲).

۳- عنايه الواثق باللّه باخبار الأولين:

أصحاب الرقيم (أصحاب الكهف):

كان الواثق باللّه كثير العنايه بتتبع اخبار الأولين، و من ذلک ما يرويه ابن خرداذبه من ان الواثق باللّه وجه محمد بن موسى المنجم الى بلاد الروم ليتحرى عن أصحاب الرقيم الذين يقال انهم يرقدون

۱- تاريخ الخلفاء/ ۳۴۳.

۲- الاغانى ۷/ ۱۷۶.

فی أحـد الکهوف هناک. و کتب الی ملک الروم میخائیل الثالث لیساعـده فی مهمته. و یقول ابن خرداذبه ان ابن المنجم حـدثه بـان عظیم الروم وجه معه من صـار به الی الموضـع الـذی فیه أصـحاب الرقیم، و هـو یقع بین عموریه و نیقیه(۱). و یقول یاقوت الحموی ان بین الموضع و بین طرسوس عشره أیام أو أحد عشر یوما(۲).

و یلاحظ ان المسافه بین عموریه و نیقیه القریبه من القسـطنطینیه بعیده، و کذلک هی بین نیقیه و طرسوس الواقعه جنوبی شـرقی آسـیا الصـغری. و المعروف ان الکهف المـذکور یقع فی مدینه افسوس علی بحر ایجه جنوبی مدینه ازمیر. و یغلب علی الظن ان ابن خرداذبه و الحموی اتخـذا المـدن المذکوره دلیلا علی موقع الکهف لشـهرتها و معرفتهما بها، أو لأن الطریق بین هذه المدن هی التی کانت مألوفه للسیر حینذاک.

یصف محمـد بن موسـی الطریق التی سـلکوها حینما و صـلوا الی جبل صـغیر فصـعدوا الی ذروته، ثم نزلوا الی سـرب ینفـذ الی الموضع الذی یرقد فیه اصـحاب الرقیم. فمشوا مقدار ثلاثمائه خطوه فصاروا الی موضع فیه رواق علی اساطین منقوره، و فیه غرفه مرتفعه علیها باب حجری یرقد فیها الموتی، و علی الغرفه رجل مکلف بحفظهم. و یقول ابن المنجم: ان الرجل کان یحید عن ان نراهم أو نفتشـهم، و یزعم انه لا یأمن أن یصـیبنا من ذلک آفه، یرید التمویه لیدوم کسـبه بهم. ثم یذکر کیف انه غامر بالصـعود الی الغرفه و مـا قاسـاه من تعب و مشـقه حتی وصـلها، فرأی الموتی فی مسوح بـالیه تفرک بالیـد، و ان اجسادهم مطلیه بالصبر و المرد و الکافور لحفظها، و جلودهم لا صقه بعظامهم. و لما لمس صدر أحدهم وجد خشونه فی

۱- المسالک و الممالک/ ۱۰۶- ۱۰۷.

۲- معجم البلـدان ۳/ ۶۱، و الاثـار الباقیه/ ۲۹۰، و فیه ان اصـحاب الکهف فی مدینه افسـیس و ان المعتصم باللّه وجه موسـی بن شاکر الی ملک الروم، و ان علی بن المنجم زار الکهف فی أحد غزواته.

شعره. و قدم الموکل بحفظ الموتی الی محمد بن موسی و غلامه طعاما انکرا طعمه. و یقول ابن موسی انما أراد أن یقتلنا أو یعضنا، فیصح ما یدعیه عند ملک الروم من انهم اصحاب الرقیم. فقلنا له:

انما ظننا انک ترینا موتی یشبهون الأحیاء و لیس هؤلاء کذلک(۱).

من الواضح مما بینه ابن المنجم، ان هؤلاء الموتی لیسو هم الفتیه الذین آووا الی الکهف، و انما هم أموات آخرون جاء بهم الموکل المدعی لیوهم من یراهم، و یتکسب بذلک.

علی ان ابن خرداذبه یشیر فی مکان اخر من کتابه الی ما یعرف بهوته الرقیم(۲). و هی أشبه ما تکون بکهف أصحاب الرقیم.

فیقول: «و بعد لؤلؤه تسلک الی قلعه ثم تأتی هوته الرقیم، و هی خسف فی الارض بطول مائتی ذراع و عرض مائه ذراع، فی وسطها بحیره حولها أشجار، و حول الاشجار فی أصل الجبل بیوت و مساکن .. و لها باب فی الجبل تحت الارض یخرجک الی الوادی .. و قال الساکنون هناک: نحن ضعفی الروم لا نقاتل، انما نخدم هؤلاء القوم الذین جعلهم اللّه هاهنا، و هم فی مغاره یصعد الیها من أرض الهوته بسلم لعله أن یکون ثمانیه أذرع أو نحو ذلک. فاذا هم ثلاثه عشر رجلا و فیهم غلام امرد، علیهم جباب صوف و اکسیه صوف، و علیهم خفاف و نعال، و قد تناولت شعرات فی جبهه أحدهم فمددتها فما تبعنی منها شی ء»(۳).

و یذکر المقدسی ان فی مدینه طرسوس تلا علیه مسجد یقال انه مقام علی الکهف، ثم یذکر الهویه- الهوته- و یقول «هی جوف جبل، فذکر لنا ان بها أمواتا لا یدری ما هم، و علیهم حراس ..

فانطلق بنا الی کهف مما یلی الجنوب من الهوته طوله نحو عشرین

۱- المسالک و الممالک/ ۱۰۷.

۲- الهونه: الارض المنخفضه أو الطریق المنحدر الی الماء.

۳- المسالک و الممالک/ ۱۱۰- ۱۱۱.

ذراعـا، و اذا فيه ثلاـثه عشـر رجلاـ رقودا على اقفيتهم .. فسألناهم عن أمرهم فزعموا انهم لا علم لهم بشـی ء من أمرهـم .. و يظن انهم أصحاب الكهف»(۱).

و يقول القزوينى عند كلامه عن مدينه افسوس «ان مدينه افسوس مشـهوره بأرض الروم، و هى مدينه دقيانوس الجبار الذى هرب منه أصـحاب الكهف، و بين الكهف و المـدينه فرسـخان. و الكهف مسـتقبل بنـات نعش لا تـدخله الشـمس، فيه رجال موتى لم يتغيروا، و عددهم سبعه، سته منهم نيام على ظهورهم، و واحد فى آخر الكهف مضطجع على يمينه و ظهره الى جدار الكهف، و عند ارجلهم كلب لم يسقط من أعضائه شى ء .. و على الكهف مسجد يقصده الناس»(۲).

لقد وردت قصه اصحاب الكهف فى القرآن الكريم فى الآيات (۸- ۲۶) من سوره الكهف. و قد ذهب المفسرون الى ان المدينه التى كان الكهف قريبا منها هى طرسوس، و قد لخص الزمخشـرى قصـتهم فى تفسيره(۳). و جاء فى التفسـير المذكور ان معاويه بن أبى سفيان غزا الروم فمر بالكهف، فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم.

فقـال له ابن عبـاس: ليس لـک ذلـک، فقـد منع اللّه تعالى من هو خير منک، فقال «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا»(۴). فقال معـاويه: لاـ انتهى حـتى أعلم علمهم، فبعث اناسـا و قـال لهم: اذهبـوا فـانظروا. ففعلوا، فلمـا دخلـوا الكهف بعث اللّه عليهم ريحا فاحرقتهم(۵).

۱- أحسن التقاسيم/ ۱۵۳- ۱۵۴.

۲- اثار البلاد/ ۴۹۸.

۳- تفسير الكشاف ۲/ ۷۱۱- ۷۱۲.

۴- سوره الكهف، الآيه: ۱۸.

۵- تفسير الكشاف ۲/ ۷۰۹.

سد یاجوج و ماجوج و رحله سلام الترجمان:

یذکر ابن خرداذبه عند اشارته الی ردم یاجوج و ماجوج و صنعه السد الذی بناه ذو القرنین، ان الخلیفه الواثق باللّه رأی فی منامه کأن السد قد انفتح، فطلب رجلا یخرجه الی موضع السد لیکشف خبره. فاشار علیه کبیر قواده اشناس بان یبعث لهذا الغرض سلام الترجمان لأنه یتکلم عده لغات. فألف الخلیفه بعثه تضم خمسین من أشداء الرجال یرأسهم سلام، و قال له: أرید أن تخرج الی السد فتعاینه و تجیئنی بخبره. و جهزت البعثه بلوازم سفرها من اللبابید و الفرو و بمائتی بغل لحمل الزاد و الماء.

و اعطی ابن سلام عشره آلاف درهم، کما اعطی أفراد البعثه ألف درهم و رزق سنه لکل منهم. و زودهم الخلیفه بکتاب توصیه الی اسحاق بن اسماعیل صاحب ارمینیه و هو بتفلیس یوصیه فی انفاذهم الی ما بعثوا من أجله فکتب لهم اسحاق کتاب توصیه الی صاحب بلاد السریر.

و هکذا اخذ صاحب کل ولایه یمرون به یزدهم بکتاب توصیه الی صاحب البلد الذی یلیه لانقاذهم و تزویدهم بما یحتاجون الیه من زاد و غیره. حتی وصلت البعثه الی بلاد الخزر، فاستقبلهم ملکها و وجه معهم خمسه أدلاء، فساروا بهم سته و عشرین یوما فدخلوا أرضا نتنه الرائحه. و کانوا قد تزودوا بخل یشمونه للتخلص من تلک الرائحه الکریهه. و ساروا فی تلک الأرض عشره أیام فوصلوا أرضا خربه ساروا فیها عشرین یوما. و هی الأرض التی کان یاجوج و ماجوج خربوها. فوصلوا الی الحصون القریبه من الجبل الذی فیه السد.

و یقول سلام انهم وجدوا فی تلک الحصون أقواما یتکلمون العربیه و هم مسلمون، و فیها مساجد. و لما علموا انهم جاءوا من سر من رأی موقدین من أمیر المؤمنین الخلیفه الواثق باللّه، تعجبوا

و قالوا انهم لم يسمعوا بذلك. و كانت المسافه بين كل حصن و آخر فرسخا الى فرسخين. ثم وصلوا مدينه ايكه و هى مسوره و لها أبواب حديديه و فيها مزارع و ارحاء. و هى المدينه التى نزلها ذو القرنين بعسكره، و بينها و بين السد مسيره ثلاثه أيام. و فى الطريق حصون و قرى عديده.

و موضع السد كما وصفه سلام جبل مستدير ذكروا ان ياجوج و ماجوج فيه و هما صنفان و ان ياجوج أطول قامه من ماجوج، و طول أحدهم ما بين ذراع الى ذراع و نصف. و السد الذى بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع. و هو الطريق الذى يخرجون منه فيتفرقون فى الارض. فحفر ذو القرنين هناك أساسا بعمق ثلاثين ذراعا و بناه بالحديد و النحاس حتى بلغ وجه الارض.

و يسهب سلام فى وصف تفصيلات السد و ضخامه بابه. و وصف الحصنين اللذين عند الباب. و يقول انه رأى فى أحدهما الآلات التى استخدمت فى بناء السد من القدور و المغارف الحديديه الضخمه و بقايا اللبن الحديد قد التصقت ببعضها بفعل الصدأ. و يقوم على الحصنين رئيس يتولى عمله بالوراثه، و وظيفته أن يتفقد فى كل يوم اثنين و خميس باب السد و يتأكد من أن ياجوج و ماجوج لم يحدثوا فيه حدثا، ثم يقرع الباب عده مرات ليسمع من وراءه من ياجوج و ماجوج و يعلموا ان عليه حفظه.

و يقول سلام انه تحرى عما اذا قد حصل بالباب شق أو غيره، فلم يجد سوى شق دقيق كالخيط لا تأثير له بالنسبه لسمك الباب، و انه حك موضع الشق فجمع مقدار نصف درهم و شده فى منديل ليريه الخليفه. كما يقول انه سأل من هناك ما اذا كانوا قد رأوا من ياجوج و ماجوج أحدا، فذكروا له انهم رأوا مره عددا منهم فوق الجبل فهبت ريح القتهم الى جانبهم، و كان طول الواحد منهم شبرا و نصف الشبر فى رأى العين.

و بعد ان اتمت البعثه تحريها عادت راجعه الى عاصمه الخلافه.

و قد اتبع الادلاء فى العوده بهم طريق خراسان. فوصلوا الى نيسابور حيث استقبلهم أمير خراسان عبد اللّه بن طاهر و أكرمهم.

و قد مات أكثر أفراد البعثه و لم يبق منهم سوى أربعه عشر رجلا و ثلاثه و عشرين بغلا. فلما وصلت البعثه الى سر من رأى قدم سلام الترجمان تقريرا مفصلا الى الخليفه الواثق باللّه، فسر و حمد اللّه، و أمر بصدقه، و منح رجال البعثه ألف دينار لكل رجل.

و يقول ابن خرداذبه، حدثنى سلام الترجمان بجمله هذا الخبر، ثم أملاه على من كتاب كان كتبه للواثق باللّه(١).

لقد استغرقت البعثه فى ذهابها سته عشر شهر او فى ايابها اثنى عشر شهرا و بضعه أيام. الا ان القزوينى و ياقوت الحموى يقولان ان الرحله استغرقت ثمانيه عشر شهرا(٢). و يلاحظ ان الطريق الذى سلكته البعثه فى ذهابها الى موقع السد بدأ من تفليس قاعده ارمينيه، و منها الى بلاد السرير، ثم بلاد اللان، فبلاد الخزر التى بعث ملكها معهم ادلاء اجتازوا بهم أرضا منتنه حتى وصلوا الى مدينه ايكه و يرجح انها باكه التى تدعى اليوم باكو. و هى منطقه نفطيه و ان الروائح الكريهه كانت رائحه الغاز المنبعث من تلك الارض.

و يلاحظ كذلك ان وصف طريق العوده بمرور البعثه بخراسان فيه شى ء من الاضطراب فى ذكر المدن التى مرت بها، حيث يقول سلام انهم وردوا سمرقند ثم ساروا الى اسبيشاب (اسبيجاب) و منها عبروا نهر بلخ (جيحون) فصاروا الى اشروسنه و منها الى بخارى و ترمذ ثم نيسابور فالرى و منها الى سامرا. فمن المستغرب ان تصل البعثه من اقليم اذربيجان و هو غربى بحر الخزر الى سمرقند و هى من مدن ماوراء النهر، ثم تعود البعثه شمالا الى مدينه اسبيجاب التى

١- المسالك و الممالك/ ١٧٠، و كامل الروايه فى الصفحات ١٦٢- ١٧٠. و تجد خلاصه وافيه لها فى معجم البلدان ٣/ ١٩٩- ٢٠٠.

٢- اثار البلاد/ ٥٩٦- ٥٩٧، و معجم البلدان ٣/ ٢٠٠.

تقع علی أعالی نهر سیحون و تنحدر ثانیه جنوبا الی اشروسنه بعد ان تعبر نهر بلخ. بینما تقع کل من اسبیشاب و اشروسنه غربی نهر سیحون و هما بعیدتان عن نهر بلخ. کذلک من المستغرب ان یستغرق طریق العوده کما ذکر سلام مده أقصر من المده التی استغرقتها رحله الذهاب. لان طریق خراسان المشار الیه أطول کثیرا. و یظهر ان سلاما لم یحالفه الحظ فی وصف طریق العوده، و انه خلط کثیرا فی المدن التی قال ان البعثه مرت بها، و انه لم یسجل مشاهداته فی حینها، و انما اعتمد علی ذاکرته التی تشوشت فیها صور الرحله الطویله المتعبه و احداثها، فکان هذا الاضطراب الذی ذکرناه.

علی ان هذا الاضطراب قد شکک فی صحه روایه ابن سلام عن رحله بعثته. فقد شک بصحتها أبو الریحان البیرونی اذ یقول ما خلاصته: ان الکتب المشتمله علی ذکر البلاد و المدن، و کتب المسالک و الممالک تبین ان یاجوج و ماجوج هم صنف من الاتراک یسکنون فی مبادی ء الاقلیمین الخامس و السادس، و ان فی القصه ما یزیل الثقه بها من صفه أهل تلک البلاد من التدین بالاسلام و التکلم بالعربیه مع انقطاعهم عن العمران و انهم لم یکونوا یعرفون الخلیفه و لا الخلافه. و هو ینکر وجود أمه مسلمه منقطعه عن بلاد الاسلام، لان البلغار الذین هم بالقرب من منقطع العمران و نهایه الاقلیم السابع لا یجهلون الخلافه، و انهم لا یعرفون من أمر هذا السد شیئا، حتی یقول: و اذا کانت شواهد هذا الخبر علی هذه الهیئه لم یطمع منها فی تعرف الحقیقه(۱).

و کذلک طعن ابن رسته فی صحه روایه سلام اذ یقول: و کتبناه نحن لنقف علی ما فیه من التخلیط و التزیید، لان مثل هذا لا تقبل صحته(۲).

۱- الاثار الباقیه/ ۴۲.

۲- الاعلاق النفیسه/ ۱۴۹.

أما المقدسی البشاری فانه ینقل ما جاء فی کتاب ابن خرداذبه عن قصه سـد یاجوج و ماجوج دون ان یعلق علیها سوی انه یتخذ منها دلیلا علی رد من زعم ان السد فی بلاد الاندلس(۱).

کما شک بها یاقوت الحموی الذی لخص فی معجمه رحله سلام الترجمان، و قال فی آخرها: قد کتبت من خبر السد ما وجدته فی الکتب، و لست أقطع بصحه ما اوردته لاختلاف الروایات فیه، و اللّه اعلم بصحته(۲).

لا یستطیع القاری ء ان یقرر ما اذا کان الارتباک فی روایه سلام الترجمان یعود الی عدم دقته فی تقریره الذی رفعه الی الخلیفه و قد تشوشت فی ذهنه أحداث الرحله، أم أن ابن خرداذبه لم یکن دقیقا أمینا فی نقل الروایه. فقد قال أبو الفرج الاصبهانی فیه:

و هو ممن لا یحصل قوله و لا یعتمد علیه(۳).

لقـد ورد فی آخر سوره الکهف من القرآن الکریم، فی الایـات (۸۴- ۹۹) خبر ذی القرنین و بنائه السـد، دون ان یذکر اسم ذی القرنین و المکان الذی بنی فیه السد. و قد بقی ذلک موضع تساؤل المفسرین و المؤرخین المسلمین و ذهابهم الی ان ذا القرنین هو الاسکندر المکدونی، باعتبار انه کان صالحا و قد ملک قرنی الدنیا، أی جانبیها شرقا و غربا. و قد فسرت تسمیته بذی القرنین بعده تفسیرات ذکرها الزمخشری فی تفسیره(۴). و لخص قدامه بن جعفر رأی قدامی المؤرخین المسلمین فی ذی القرنین و السد الذی بناه.

و ذلک ان الاسکندر وصل فی فتوحاته الی الصین فهادته ملکها. ثم سار لاخضاع القبائل الترکیه، فبلغه عن قوم کثیری العدد من

۱- أحسن التقاسیم/ ۳۶۵.

۲- معجم البلدان ۳/ ۲۰۰.

۳- الاغانی ۱۱/ ۳۳۳.

۴- تفسیر الزمخشری ۲/ ۷۴۳.

هؤلاء الاتراک مفسدین فی الارض. فاستشار ملک الصین فی أمرهم، فاخبره انهم رعاه یحیط بارضهم من الشمال البحر الاخضر الذی لا مجاز فیه، و من الغرب و الجنوب جبال شاهقه لا مسلک فیها و لا منفذ لهؤلاء الاتراک الا من درب واحد ضیق، و انهم فی زاویه من الارض، لو سد علیهم هذا المنفذ لبقوا فیه، و کفی الناس شرهم و فسادهم.

فعلم الاسکندر وجه الصواب فیما اشار به ملک الصین. فبنی سدا علی ذلک الوادی، و هو السد الذی وصفه القرآن الکریم(۱).

و یقول البیرونی ان صاحب اذربیجان أیام فتحها وجه انسانا الی السد من ناحیه الخزر، فشاهده و وصفه بانه بناء باسق سام أسود وراء خندق وثیق منیع(۲).

و جاء فی کتاب مختصر کتاب البلدان انه لما انتهی ذو القرنین الی موضع السد و بینه و بین الخزر شهران، اجتمع الیه خلق کثیر و قالوا ان خلف هذا الجبل أمما لا یحصیهم الا اللّه عز و جل، و قد اخربوا علینا بلادنا و زروعنا. و ان یاجوج و ماجوج کانو یخرجون أیام الربیع الی أراضیهم فلا یدعون شیئا أخضر الا أکلوه، و لا شیئا یابسا الا حملوه. و ان ذا القرنین طلب الیهم ان یعینوه علی أن یجعل لهم دونهم سدا. ثم أمر بالحدید فضرب منه لبنا عظاما، و اذاب النحاس ثم جعل ملاط اللبن النحاس، و بنی به الفج و سواه مع قلتی الجبل. فلما فرغ منه أمر بالنحاس فأذیب و أفرغ علیه من فوقه فصار شبیها بالمصمت(۳).

و من الابحاث الحدیثه عن سد ذی القرنین الدراسه التی قام بها العالم الهندی مولانا أبو الکلام آزاد، و خلاصتها ان ذا القرنین هو الملک الفارسی کورش الذی حکم فی منتصف القرن السادس قبل

۱- الخراج و صناعه الکتابه/ ۱۹۹.

۲- الاثار الباقیه/ ۴۱.

۳- مختصر کتاب البلدان/ ۲۹۸- ۲۹۹.

الميلاد، و ليس الاسكندر المكدونى. فقد توسع كورش فى فتوحاته شرقا و غربا. و ان اسارى اليهود الذى جاء بهم الملك العراقى بختنصر الى بابل بعد أن أزال دويلتهم، كانت تراودهم فكره ظهور منقذ يخلصهم من الأسر و يعيدهم الى أورشليم و يساعدهم فى اعاده بناء هيكل سليمان. و قد وصفوه على طريق الرمز بصوره كبش له قرنان، أو عقاب له جناحان، و كلا الوصفين يتضمنان معنى القوه و البأس. و اعتبرت التوراه كورش بانه مسيح اللّه، و قد اضفت عليه كثيرا من المدح و الثناء. و مما برهن على ان كورش هو المدعو بذى القرنين العثور على تمثال له بحجم الانسان الطبيعى و على جانبيه جناحان كجناحى العقاب و على رأسه قرنان يحملان التاج.

و هذا التمثال سواء قد تم صنعه فى عهد كورش نفسه أو انه صنع فى عهد خلفائه يدل على ان تصور ذى القرنين الذى أوجده اليهود للملك الذى سينقذهم قد رسخ فى ذهن كورش. و لهذا فقد حقق لهم آمالهم فى اعادتهم الى أورشليم بعد ان استولى على مدينه بابل و ساعدهم على اعاده بناء هيكل سليمان.

أما ياجوج و ماجوج فهم من القبائل المنغوليه الرحاله. و كان موطنها الاصلى سهول منغوليا فى شمالى شرقى قاره آسيا. و قد انتشرت فى خلال القرن السادس قبل الميلاد على سواحل البحر الاسود فى المناطق الممتده بين بحر الخزر و البحر الاسود شمالى سلاسل جبال القوقاز التى تكاد تفصل بين الشمال و الجنوب الا فى ممر ضيق، كانت هذه القبائل تنحدر منه لتغير على المناطق الواقعه جنوبى تلك البلاد. فلما وصل كورش فى فتوحاته شرقى البحر الاسود اشتكى اليه السكان من هجمات قبائل ياجوج و ماجوج عليهم، و توسلوا اليه ان يجعل بينهم و بين تلك القبائل سدا يحول دون انحدارهم اليهم. فاستعان بهم و بنى السد الحديدى الذى

عرف باسمه، فی الممر المذکور، و انقذهم من هجمات تلک القبائل البربریه.

أما الاسکندر المکدونی فقد ظهر بعد کورش بمائتی سنه، و کانت فتوحاته قد امتدت شرقا حتی حدود الصین، و شملت جمیع ارجاء أمبراطوریه فارس، الا ان جیوشه لم تصل جبال القوقاز(۱).

و ثمه دراسه أخری عن سد ذی القرنین جاءت فی «ترجمه معانی القرآن الکریم الی اللغه الانکلیزیه» قام بها الاستاذ عبد اللّه علی من العلماء المسلمین فی الهند و عمید الکلیه الاسلامیه بمدینه لاهور، و ذلک فی معرض تفسیره سوره الکهف. و هو لا یقر القول بان ذا القرنین هو الملک الفارسی کورش، و ان السد یقع فی جبال القوقاز بین البحر الاسود و بحر الخزر، کما توصل الیه مولانا أبو الکلام آزاد. و یستند عبد اللّه علی فی دحضه هذا الرأی علی أن الوصف القرآنی یشیر الی ان السد قد اقیم بین جبلین، بینما هو یقع حسب الرأی المذکور بین جبل و بحر. و ان الاسکندر کان تلمیذا لارسطو الباحث عن الحقیقه، و انه کان فاضلا ذا اخلاق عالیه مما یضفی علیه صفه الصلاح التی وردت فی الوصف القرآنی عن ذی القرنین.

و یقول ان فی القصص الاثیوبیه التراثیه ما یفید بان الاسکندر یعتبر من أعاظم الانبیاء. و علی هذا فهو یری ان السد موضوع البحث یقع فی أواسط آسیا قرب موضع اسمه (در بند) علی بعد ۱۵۰ میلا جنوبی شرقی بخاری، حیث یوجد ممر ضیق علی الطریق الرئیسی بین ترکستان و الهند، علی خط العرض ۳۸ شمالا و خط الطول ۶۷ شرقا، و یسمی الآن بالترکیه بیت الماعز. و کان یعرف سابقا بباب الحدید باللغات العربیه و الصینیه و الفارسیه. علما ان البوابه المذکوره لا وجود لها الیوم الا انها کانت موجوده فی القرن السابع للمیلاد و قد شاهدها الرحاله الصینی «هیون سیانک» فی طریقه الی الهند، حیث رأی بوابتین مغلفتین بالحدید و علیها أجراس. و کانت بجوارهما بعیره تسمی «اسکندر کول». و ان ما

۱- مجله العربی العدد(۱۸۴) الصادر فی صفر ۱۳۹۴- اذار ۱۹۷۴/ ۱۲۸- ۱۳۶.

تعرفه تاريخيا ان الاسكندر بعد ان غزا بلاد فارس و قبل ان يتوجه الى الهند مر ببخارى و سمرقند. و ان البعثه التى أوفدها الواثق باللّه من سامرا كانت قد ذهبت الى اواسط آسيا و وجدت هذا المضيق البالغ عرضه ۱۵۰ يارده، و عليه ضلفتين مصنوعتين من طابوق من الحديد الملحوم بالرصاص، و انهما مغلقتان دائما، فاطمأنت الى سلامته و عادت لتخبر الخليفه بذلك(۱).

و على هذا يرى الاستاذ عبد اللّه على ان المقصود بذى القرنين هو الاسكندر المكدونى، و ان السد الذى بناه يقع فى تركستان فى أواسط آسيا، و ذلك استنادا الى ان الوصف القرآنى أكثر انطباقا على الاسكندر و على المضيق المذكور. و يلاحظ ان هذا يطابق ما ذهب اليه المفسرون و المؤرخون المسلمون مما اشرنا اليه آنفا من ان ذا القرنين هو الاسكندر. بل لقد ذهب بعضهم الى القول بان ذا القرنين عربى من اليمن، اذ يقول المقريزى ان اسمه الصعب بن ذى مراثد و انه من ملوك حمير، و قد غلط من ظن ان الاسكندر بن فليبس هو ذو القرنين الذى بنى السد، فان لفظه «ذو» عربيه، و ذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن(۲).

ان الذى يستنتج من رحله سلام الترجمان، مع ما اكتنفها من الخلط و الاشتباه و ما اعتورها من الشك، و مهما تضمنت من مبالغه فى وصف السد و بنائه و آثاره، ان البعثه كانت قد وصلت الى المنطقه التى يقع فيها السد، سواء كانت نفس المنطقه التى توصل اليها أبو الكلام آزاد فى تحقيقه أو التى توصل اليها بحث عبد اللّه على. و هذا ما يوضح ان مكان السد كان معروفا فى أيام الواثق باللّه. و يلاحظ التشابه فى وصف المنطقه فى تحقيق أبى الكلام آزاد و بحث عبد اللّه على و فى تقرير بعثه سلام، حيث يؤكد التقرير على وجود الفجوه أو الممر فى الجبل الذى شيد فيه السد، و هى الممر

۱- ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه/ ۷۵۳- ۷۵۷.

۲- الخطط المقريزيه ۱/ ۱۵۳.

الـذی کـان یهبـط منه المغیرون من الشـمال الی الجنوب. و فی هـذا المکـان بنی ذو القرنین سـده بحجـاره الحدیـد، و بارتفاع و سمک یعجز المغیرون عن اجتیازه أو اجتیاحه، و بذلک أمن أهل الجنوب من غارات القبائل الشمالیه علیهم.

۴- الواثق باللّه و الشعر و الشعراء:

الواثق باللّه و الشعر:

کان الواثق باللّه أدیبا فصیحا و سمی المأمون الأصغر لسعه علمه و غزاره أدبه. کما کان شاعرا و یروی الشعر و الاخبار بحیث لم یکن فی خلفاء بنی العباس أکثر روایه للشعر منه، و له شعر جید.

و مما نسب الیه قوله(۱):

تنح عن القبیح و لا ترده و من اولیته حسنا فزده

ستلقی من عدوک کل کیداذا کاد العدو و لم تکده

و قوله(۲):

دع المقادیر تجری فی أعنتهاو اصبر فلیس لها صبر علی حال

تریک یوما وضیع القدر مرتفعاالی السماء و یوما تخفض العالی

و هی أبیات عادیه فی لغتها و بسیطه فی معانیها المألوفه. الا انه له أشعارا أخری تمتاز بعذوبه ألفاظها ورقه معانیها، تلک التی

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۲- نفس المصدر.

قالها فی التغزل بالخدم و الجواری لمن کان یتعشقهم. فقد قال یصف أحد الخدم و قد ناوله وردا و نرجسا(۱):

حیاک بالنرجس و الوردمعتدل القامه و القد

فالهبت عیناه نار الهوی و زاد فی اللوعه و الوجد

أملت بالملک له قربه فصار ملکی سبب البعد

و رنحته سکرات الهوی فمال بالوصل الی الصد

ان سئل البذل ثنی عطفه و اسبل الدمع علی الخد

غر بما تجنیه الحاظه لا یعرف الانجاز للوعد

مولی تشکی الظلم من عبده فانصفوا المولی من العبد

و قد اجمعوا ان لیس لأحد من الخلفاء مثل هذه الابیات.

و قال فی خادم کان یهواه(۲):

سأمنع قلبی من موده غادرتعبدنی خیثا بمکر مکاشر

خطبت الیه الوصل خطبه راغب فلا حظنی زهوا بطرف مهاجر

۱- تاریخ الخلفاء/ ۳۴۵.

۲- الاغانی ۹/ ۲۹۸.

و روی انه کان یحب جاریه حملت الیه من مصر هدیه، فغضبت یوما فجلست مع صاحبات لها و قالت لهن: لقد هجرته، و منذ أمس و هو یروم ان أکلمه فلم أفعل، فخرج الواثق باللّه علی غفله فسمع قولها فأنشأ یقول(۱):

یا ذا الذی بعذابی ظل مفتخراما انت الا ملیک جار اذ قدرا

لو لا الهوی لتجارینا علی قدرو ان أفق منه یوما فسوف تری

و للواثق باللّه أبیات من الشعر قالها و صنع فیها الحانا غنائیه.

و قد اورد أبو الفرج فی کتابه بعضا منها. فقد قال(۲):

ألا أیها النفس التی کادها الهوی أفانت ان رمت السلو غریمی

أفیقی فقد أفنیت صبری أو اصبری لما قد لقیتیه علی و دومی

و من ذلک قوله(۳):

أیا عبره العینین قد ظمی ء الحدفما لکما من ان تلما به بد

و یا مقله قد صار ببغضها الکری کأن لم یکن من قبل بینهما ود

لئن کان طول العهد أحدث سلوهفموعد بین العین و العبره الوجد

۱- شذرات الذهب ۲/ ۷۷، و تاریخ الخلفاء/ ۳۴۲ و فیه انه قال هذا الشعر فی خادم له اهدی الیه من مصر، و لیست جاریه.

۲- الاغانی ۹/ ۲۹۳.

۳- نفس المصدر ۹/ ۲۹۶.

و ما أنا الا كالذين تخرمواعلى ان قلبى من قلوبهم فرد

و كان الواثق باللّه الى جانب روايته الشعر يضرب الأمثال بما يحفظه منه، فى بعض المناسبات، و يحسن اختياره ليطابق المناسبه.

قـال ابن حمـدون: كـان بين الواثق بـاللّه و بعض جواريه شـر فخرج كسـلان، فلم ازل انا و الفتـح بن خاقان نحتال لنشاطه. فرآنى أضاحك الفتح، فقال: قاتل اللّه ابن الاحنف حيث يقول(۱):

عدل من اللّه ابكانى و اضحكهافالحمد للّه عدل كل ما صنعا

اليوم أبكى على قلبى و أندبه قلب الح عليه الحب فانصدعا

فقال الفتح: انت و اللّه يا أمير المؤمنين فى وضع التمثل موضعه أشعر منه و أعلم و أظرف.

و قالت جاريه للواثق باللّه، و كان يهواها، و قد جرى بينهما عتاب: ان كنت تسـتطيل علينا بعز الخلافه، فانا ادل بعز الحب، أتراك لم تسـمع بخليفه عشق قبلك قط فاسـتوفى معشوقه حبه، و لكنى لا أرى لى نظيرا فى طاعتك. فقال الواثق: للّه در ابن الأحنف اذ يقول(۲):

أما تحسبينى أرى العاشقين بلى، لست أرى لى نظيرا

لعل الذى بيديه الأمورسيجعل فى الكره خيرا كثيرا

۱- الاغانى ۸/ ۳۵۷- ۳۵۸، و تاريخ بغداد ۱۴/ ۱۸- ۱۹ مع زياده بيت ثالث، و اضحكهم بدلا من اضحكها فى صدر البيت الاول.

۲- الاغانى ۸/ ۳۵۸.

الواثق باللّه و الشعر:

أما الشعراء الذين عاصروا الواثق باللّه فقد اتصل به اشهرهم.

فقـد مـدحه أبو تمام الطائى بعـدد من القصائـد قالها فى مناسـبات مختلفه. و من أولى قصائـده فى ذلک هى التى قالها يمدحه و يرثى المعتصم باللّه، و منها(۱):

ما للدموع تروم کل مرام و الجفن تاکل هجعه و منام

يا حضره المعصوم تربک مودع ماء الحياه و قاتل الاعدام

ان الصفائح منک قد نضرت على ملقى عظام لو علمت عظام

فتق المدامع ان لحدک حلهسکن الزمان و ممسک الأيام

الى ان يقول فى مدح الواثق باللّه:

مادام هارون الخليفه فالهدى فى غبطه موصوله بدوام

انا رحلنا واثقين بواثق باللّه شمس ضحى و بدر تمام

للّه أى حياه انبعثت لنايوم الخميس و بعد أى حمام

أودى بخير أمام اضطربت له شعب الرجال و قام خير امام

۱- ديوان ابى تمام ۳/ ۲۰۳- ۲۰۹.

و لما استخلف الواثق باللّه صارت علاقه اسحاق الموصلی به مثل علاقته بأبیه. فقد اتخذه الواثق باللّه ندیما و مجالسا و مغنیا.

و کان یقدر فیه علمه بالشعر و اللغه و الفقه و الموسیقی. و لم یکن مجلسه یخلو منه. قال اسحاق: قدمت علی الواثق باللّه فی بعض قدماتی، فقال لی: أما اشتقت الی؟ فقلت: بلی و اللّه یا امیر المؤمنین، و انشدته(۱):

أشکو الی اللّه بعدی عن خلیفته و ما أعالج من سقم و من کبر

لا استطیع رحیلا اذ هممت به یوما و لا أقوی علی السفر

أنوی الرحیل الیه ثم یمنعنی ما أحدث الدهر و الایام فی بصری

ثم استأذنته فی انشاد قصیده مدحته بها، فاذن لی، فانشدته(۲):

ضفت سعاد غداه البین بالزادو اخلفتک فما توفی بمیعاد

ما أنس لا انس منها اذ تودعناو الحزن منها و ان لم تبده باد

لما أمرت باشخاصی الیک هفاقلبی حنینا الی أهلی و أولادی

ثم اعتزمت و لم احفل ببینهم و طابت النفس عن فضل و حماد

۱- الاغانی ۵/ ۳۷۱- ۳۷۲.

۲- نفس المصدر ۵/ ۳۷۲، و کررها فی ۹/ ۲۸۴ مع تغییر طفیف ببعض الکلمات.

کم نعمه لأبیک الخیر افردنی بها و عم باخری بعد افراد

فلو شکرت أیادیکم و أنعمکم لما احاط بها وصفی و تعدادی

لأشکرنک ما ناح الحمام و ماحدا علی الصبح فی اثر الدجی حادی

و حظی الشاعر الحسین بن الضحاک عند الخلیفه الواثق باللّه، اذ اتخذه ندیما لا یکاد یفارقه، و اول قصیده للحسین فی الواثق باللّه قالها یهنؤه بالخلافه و یرثی المعتصم باللّه، منها قوله(۱):

أ لم یرع الاسلام موت نصیره بلی حق أن یرتاع من مات ناصره

سیسلبک عما فات دوله مفضل أوائله محموده و أواخره

ثنی اللّه عطفیه و ألف شخصه علی البر مذ شدت علیه مآزره

یصب ببذل المال حتی کأنمایری بذله للمال نهیا یبادره

و ما قدم الرحمن الا مقدماموارده محموده و مصادره

جری لک من هارون بالسعد طائره أمام اعتزام لا تخاف بوادره

هو الملک المجبول نفسا علی التقی مسلمه من کل سوء عساکره

۱- نفس المصدر ۷/ ۱۵۶- ۱۵۷.

لتغمد سيوف الحرب فاللّه وحده ولى أمير المؤمنين و ناصره

فقال الواثق باللّه: ان الحسين لينطق عن حسن طويه، و يمدح بخلوص نيه، ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيده ألف درهم.

و ممن مدح الواثق باللّه من الشعراء على بن الجهم، فقد دخل اليه بعد أن بويع بالخلافه، و انشده(١):

قد فاز ذو الدنيا و ذو الدين بدوله الواثق هارون

أفاض من عدل و من نائل ما أحسن الدنيا مع الدين

قد عم بالاحسان من فعله فالناس فى خفض و فى لين

ما أكثر الداعى له بالبقاو اكثر التالى بآمين

۵- الواثق باللّه و الغناء و الموسيقى:

ولع الواثق باللّه بالغناء:

كان الخليفه الواثق باللّه حاذقا بالغناء و الموسيقى و الضرب على العود، الى جانب اطلاعه الواسع و أدبه الوافر و روايته الشعر.

و عند ما يبحث أبو الفرج الاصبهانى فى غناء الخلفاء و أولادهم فى كتابه، يفرد فصلا طويلا لغناء الواثق باللّه(٢). يشير فيه الى أهم

١- ديوان على بن الجهم/ ١٨٨.

٢- الاغانى ٩/ ٢٧۶/ ٣٠٠.

الالحان التی صنعها من اشعاره التی نظمها و لحنها بنفسه، و عددها خمسه عشر صوتا. و یقول انه کان أعلم الخلفاء بالغناء، و بلغت صنعته مائه صوت، کما کان أحذق من غنی بضرب العود(۱).

و کانت عریب أشهر و احذق مغنیات عصرها تکایده فی ألحانه، و مع ذلک قالت: صنع الواثق باللّه مائه صوت ما فیها صوت ساقط(۲).

و قد اعتاد الواثق باللّه ان یستطلع رأی ندیمه اسحاق الموصلی فی الالحان التی یصنعها، بعد ان ینسبها الی غیره، و ذلک قبل ان یظهرها. و کان اسحاق یأخذ نفسه فی ذلک بقول الحق أشد أخذ(۳).

فاذا رأی اللحن جیدا امتدحه و اوصی باظهاره، و ان کان فاسدا أو متوسطا ذکر ما فیه من مآخذ. فاذا کان للواثق باللّه رغبه بذلک اللحن عمل علی تقویمه و اصلاح فساده، و الا ترکه حسبما یوصی اسحاق بشأنه. کما اعتاد الواثق باللّه ان یقلد بعض أصوات اسحاق. و قد سئل اسحاق أی اللحنین أجود فی «خلیلی عوجا» لحنه أم لحن الواثق باللّه، فقال: لحنی أجود قسمه و أکثر عملا، و لحن الواثق باللّه أطرب لانه جعل ردته من نفس قسمته و لیس یقدر علی أدائه الا متمکن من نفسه(۴).

و کثیرا ما کان الواثق باللّه یجمع بعض غلمانه ممن یتوسم فیهم جمال الصوت و حسن الاداء، و یدربهم علی انشاد الاصوات التی یصنعها. قال احد غلمانه: دعا بنا الواثق باللّه مع صلاه الغداه فقال: هذا صوت خذوه، و نحن عشرون غلاما کلنا یغنی و یضرب، ثم ألقی علینا:

۱- نفس المصدر ۹/ ۲۹۳.

۲- نفس المصدر ۹/ ۲۷۷.

۳- نفس المصدر ۹/ ۲۸۷.

۴- نفس المصدر ۵/ ۳۶۴.

أشکو الی اللّه ما القی من الکمدحسبی بربی فلا أشکو الی أحد

و ما زال یردده علینا حتی أخذناه(۱).

و قال مخارق المغنی: صنع الواثق لحنین، فأمرنی و علویه و عریبا ان نعارض صنعته فیهما، ففعلنا و اجتهدنا، ثم غنیناه، فضحک و اطمأن الی اننا لم نبلغ شأوه فی التلحین(۲).

و روی یزید المهلبی انه دخل علی الواثق باللّه یوما و هو خلیفه، فرأی صبیه اسمها رباب جالسه فی حجره و هو یلقی علیها قوله:

ضیعت عهد فتی لعهدک حافظفی حفظه عجب و فی تضییعک

و هی تغنیه و یردده علیها، و ما زال یردده حتی حفظته(۳).

و للواثق باللّه رأی طریف یبرر فیه عدم تحرجه من الغناء و ضرب العود. فهو یری ان الغناء «انما هو فضله أدب و علم مدحه الاوائل و اشتهاه أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و رحمهم و التابعون بعدهم، و کثر فی حرم اللّه و مهاجر رسوله»(۴). و قد ألف محمد بن عمران بن موسی المرزبانی، و هو الراویه الاخباری، کتابا عن الواثق باللّه فی وصف أحوال الغناء و نعوته و ضروبه و طرقه، و اخبار المغنین و المغنیات الأحرار و الأماء و العبید(۵).

و من مظاهر اهتمام الواثق باللّه بالغناء و الموسیقی انه لما علم بأن جده هارون الرشید قد أمر ابراهیم الموصلی و اسماعیل بن جامع و فلیح بن العوراء، ان یؤلفوا کتابا فی الأغانی و یضمنوه

۱- نفس المصدر ۹/ ۲۹۹.

۲- الاغانی ۷/ ۲۹۹- ۳۰۰.

۳- نفس المصدر ۲۰/ ۸۳- ۸۴.

۴- نفس المصدر ۹/ ۲۷۶.

۵- الفهرست/ ۱۹۸، و معجم الادباء ۷/ ۵۲.

المائه صوت المختاره، اطلع على هذا الكتاب و امر اسحاق بن ابراهيم الموصلى بتهذيبه و توسيعه(۱).

و قد سبق ان اشرنا فی البحث السابق الی بعض الاشعار التی قالها الواثق باللّه و صنع فیها الحانا.

مجالسه الغنائیه:

الواثق باللّه و المغنون:

و لحب الواثق باللّه فن الغناء و الموسیقی فقد کان یکرم اسحاق الموصلی غایه الاکرام، مقدرا فیه موهبته فی التلحین و قدرته علی الغناء. و کان یمیزه علی غیره من المغنین و الموسیقیین. و قد قال مره «ما غنانی اسحاق الا ظننت انه قد زید فی ملکی، و لا سمعته یغنی غناء ابن سریج الا ضننت ان ابن سریج قد نشر، و انه لیحضرنی غیره، اذا لم یکن حاضرا، فیتقدمه عندی و فی نفسی یطیب الصوت، حتی اذا اجتمعا عندی رأیت اسحاق یعلو و رأیت من ظننته یتقدمه ینتقص. و ان اسحاق لنعمه من نعم الملک، لم یحظ أحد بمثلها، و لو ان العمر و الشباب و النشاط مما یشتری لاشتریتهن له بشطر ملکی»(۲). اذ کان اسحاق کثیر الشکوی من شیخوخته و تقدم عمره.

و کان اسحاق یحضر مجالس الواثق باللّه منذ ان کان أمیرا فی عهد أبیه المعتصم باللّه و لما خرج المعتصم باللّه فی حملته علی بلاد الروم استخلف ابنه هارون بسر من رأی. فعزم هارون علی أن یقضی نهارا کاملا بین المغنین. فوجه الی جلسائه و ندمائه و مغنیه أن یبکروا فی یوم حدده لهم فحضر الجمیع. فلم یأخذ مکانه علی سریره، بل جلس علی الارض. و طلب الیهم ان یجلسوا حلقه

۱- التاج/ ۲۳.

۲- الاغانی ۵/ ۲۸۵- ۲۸۶.

حوله، و الى جانب كل واحد منهم مغن، ليكون أكثر اختلاطا بهم.

و بدأ هر نفسه فتناول عودا و غنى فشربوا. ثم غنى من بعده حتى وصل الدور الى اسحاق الموصلى فلم يغن. فغنوا دورا اخر و لم يغن اسحاق، و كذلك فعل فى الدور الثالث. فغضب هارون و نهض فجلس على السرير، فقام الجميع وقوفا بين يديه. فدعا باسحاق و شتمه، و قال له: أتنزل لك و اغنى و ترتفع عنى، و أمر بضربه ثلاثين مقرعه. و حلف الا يغنى بقيه اليوم غير اسحاق. فاعتذر اسحاق و اعتذر الجلساء، فعاد هارون الى مجلسه بينهم، و أخذ اسحاق العود و ما زال يغنى حتى انقضى ذلك اليوم(۱).

كان الواثق باللّه يغدق على اسحاق الموصلى الأموال. و قد قال اسحاق: ما وصلنى أحد من الخلفاء بمثل ما وصلنى به الواثق باللّه، و ما كان أحد منهم يكرمنى اكرامه(۲). و كان اسحاق يحضر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشرب و اللهو فى جمله المغنين و عوده معه، الى ايام الواثق باللّه فانه كان اذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، و لا يغنى حتى يطلب اليه الواثق باللّه. و اذا طلب منه أن يغنى جاؤه بعود فغنى به، و اذا فرغ رفع العود من بين يديه(۳). و ذلك اكراما له و اعلاه لشأنه.

و طلب الواثق باللّه فى بعض العشايا الا يبرح أحد من المغنين المجلس لانه عزم على الصبوح فى اليوم التالى. فامسك الجميع عن معارضته الا اسحاق فانه اعتذر عن المبيت، فرجاه الواثق باللّه ان يبكر فى الحضور غدا. و عند ما التأم المجلس فى اليوم التالى حضر اسحاق فجلس مع الندماء. و كان اذا امره الواثق ان يغنى خرج عن صفهم قليلا و غنى الصوت الذى يأمره به، فاذا فرغ من القدح

۱- نفس المصدر ۹/ ۲۹۸.

۲- نفس المصدر ۹/ ۲۸۳.

۳- نفس المصدر ۹/ ۲۸۶.

قطع الصوت و لم يتمه و رجع الى صف الجلساء(۱). و هذا لا شک أيضا من مظاهر تکريم اسحاق و تقدير فنه و عبقريته.

قال اسحاق الموصلى: انشدتنى أم محمد الأعرابيه لنفسها هذين البيتين و أنا حاج فاستحسنتهما و صنعت فيهما لحنا غنيته الواثق باللّه فاستحسنه و استعاده منى حتى تعلمه، و أمر لى بثلاثين ألف درهم، و البيتين هما(۲):

عسى اللّه باظمياء ان يعکس الهوى فتلقين ما قد کنت منک لقيت

ثراء فتحتاجى الى فتعلمى بأنى به أجزيک حين غنيت

و قال اسحاق: دخلت على الواثق باللّه يوما فرأيته خاثر النفس کسلان، فاخذت عودا و وقفت بين يديه فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ترعى القلوب و فى قلبى لها عشب

لا يغتربن و لا يسکن باديهو ليس يعرفن ما حر و ما حلب

يا حسن ما سرقت عينى و ما انتهبت و العين تسرق أحيانا و تنتهب

اذا يد سرقت فالقطع يلزمهاو القطع فى سرق العينين لا يجب

۱- الاغانى ۹/ ۲۹۵- ۲۹۶.

۲- نفس المصدر ۵/ ۳۵۳.

فهش الواثق لی و نشط، و دعا بطعام خفیف فاکلنا، و اصطبح، و أمر لی بمائه ألف درهم(۱).

و غنی اسحاق الواثق باللّه یوما فی شعر کان قاله و هو عنده بسامرا، و قد طال مقامه و اشتاق الی أهله، و هو:

یا حبذا ریح الجنوب اذا بدت فی الصبح و هی ضعیفه الأنفاس

قد حملت برد الندی و تحملت عبقا من الجثجاث و البسباس

فشرب الواثق باللّه علیه و استحسنه، و قال له: یا أبا محمد لو قلت مکان «یا حبذا ریح الجنوب» یا حبذا ریح الشمال، ألم یکن أرق و أعذی و أصح للأجساد و أقل و خامه و أطیب للانفس؟ قال اسحاق: ما ذهب علی ما قاله أمیر المؤمنین، و لکن التفسیر فیما بعد، فقال: قل، فقلت:

ماذا تهیج من الصبابه و الهوی للصب بعد ذهوله و الیاس

فقال الواثق باللّه: انما استطبت ما تجی ء به الجنوب من نسیم أهل بغداد، لا الجنوب، و الیهم اشتقت لا الیها. فقال: أجل یا أمیر المؤمنین. فضحک و قال: قد اذنت لک بعد ثلاثه أیام فامض راشدا، و أمر له بمائه ألف درهم(۲).

۱- نفس المصدر ۵/ ۳۸۹- ۳۹۰. و قد ذکر الخبر نفسه فی ص: ۳۵۵ من الجزء نفسه. و خاثر النفس: ثقیلها. و السخب جمع السخاب و هی القلاده من قرنفل و نحوه، أو القلاده بصوره عامه. و الصر: شد ضرع الناقه لئلا ترضع ولدها.

۲- الاغانی ۵/ ۴۰۶- ۴۰۷. و الجثجاث: شجر اصفر طیب الرائحه، و مثله البسیاس.

و اصطبح الواثق باللّه فی یوم مطیر و معه اسحاق الموصلی و مغنون اخرون. و اتصل شربهم و قد اسرفوا فیه حتی سقطوا صرعی فرقدوا فی أماکنهم. و أمر الخلیفه خدمه بأن لا یحرکوا أحدا من موضعه. و عند ما افاق أمر بانباههم فقاموا و اصلحوا من شأنهم. فجاء اسحاق الی الواثق باللّه و هو جالس و فی یده کأس و هو یروم شربها و الخمار یمنعه، فقال له: یا اسحاق انشدنی فی هذا المعنی شیئا. فانشده اسحاق قول الاشجع السلمی:

و قد طعنت اللیل فی اعجازه بالکأس بین غطارف کالأنجم

یتمایلون علی النعیم کأنهم قضب من الهندی لم تتثلم

و سعی بها الظبی الغریر یزیدهاطیبا و یغشمها اذا لم تغشم

و اللیل منتقب بفضل ردائه قد کان یحسر عن أغر أرثم

و اذا ادارتها الأکف رأیتهاتثنی الفصیح الی لسان الأعجم

فطرب، و قال: أحسن و اللّه أشجع، و احسنت أنت یا أبا محمد، أعد بحیاتی. فاعدتها و شرب کأسه، و أمر لی بألف دینار(۱).

و تناظر المغنون یوما فی مجلس الواثق باللّه، فذکروا الضراب علی العود و خدقهم، و قدم اسحاق زلزلا علی ملاحظ الذی کانت له الریاسه علی جمیعهم. فقال له الواثق باللّه: هذا حیف و تعد منک.

۱- نفس المصدر ۱۸/ ۲۲۱- ۲۲۲. یغشمها: یغتصبها. و الفرس الارثم: الذی فی طرف أنفه بیاض.

فقـال اسـحاق: يـا أمير المؤمنين نجمع بينهمـا و نمتحنهمـا، و سـينكشف الامر، فاحظرا. فاسـتأذن اسـحاق فى ان يمتحنهما، فوافق الواثق باللّه. فسمى اسحاق ثلاثه أصوات كان أولها:

علق قلبى ظبيه السيب جهلا فقد أغرى بتعذيبى

فتقدم زلزل و قصـر عنه ملاحظ. فعجب الواثق من مهاره اسـحاق و سرعته فى كشفهما. فطلب ملاحظ ان يضرب اسحاق الصوت ليروا مهارته. فقبل اسـحاق التحدى، و طلب الى ملاحظ ان يشوش عوده، ففعل ذلک. و قال اسـحاق: ان ملاحظا قد خلط الأوتار تخليط متعنت بحيث افسدها. ثم أخذ العود منه و جسه حتى عرف مواقعه، و طلب الى ملاحظ ان يغنى أى صوت يشاء.

فغنى ملاحظ صوتا غريبا، و ضرب عليه اسحاق بذلک العود الفاسد التسويه، و لم يخرج عن لحنه فى موضع واحد حتى استوفاه. فقـال له الواثق بـاللّه: لاـ و اللّه مـا رأيت مثلـک و لاـ سـمعت به، و طلب اليه ان يطرح ذلـک على الجوارى. فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، ان هذا لا تعرفه الجوارى و لا يصـلح لهن. قال له الواثق باللّه: صدقت، و لئن مت لتموتن هذه الصـناعه معک، و أمر له بثلاثين ألف درهم(۱).

و دخل اسحاق مره على الواثق باللّه يستأذنه فى الانحدار الى بغداد، فوجده مصطبحا فطلب اليه الواثق باللّه أن يغنيه:

ألا ان أهل الدار و دعوا الداراو ان كان أهل الدار فى الحى اجوارا

و قد تركوا قلبى حزينا متيمابذكرهم لو يستطيع لقد طارا

۱- الاغانى ۵/ ۲۸۰- ۲۸۲.

فتطير اسحاق من اقتراحه، الا انه غناه اياه، فشرب عليه مرارا، و أمر له بثلاثين ألف درهم، و اذن له بالانصراف، و كان آخر عهده به(۱). فقد توفى الواثق باللّه بعد ذلک بقليل.

و ذكر أبو الحسن الصابی هذا الخبر على الشكل الآتی: ذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلی قال: دخلت يوما على الواثق باللّه و هو مصطبح، فقال: غن يا اسحاق صوتا غريبا لم اسمعه منک حتى أكون عليه بقيه يومی مسرورا. فكأن اللّه انسانی الغناء كله الا هذا الصوت:

يا دار ان كان البلى قد محاک فانه يعجبنی ان أراک

أبكی الذی قد كان لی تألقافيک فآتی الدار من أجل ذاک

قال: فتبنيت الكراهيه فی وجهه، و ندمت على ما فرط منی، و تجلدت. و شرب رطلا كان فی يده، و عدلت عن الصوت الى غيره. فكان و اللّه ذلک اليوم آخر جلوسی معه(۲).

و كان الشاعر الحسين بن الضحاک يلازم الواثق باللّه فی مجالسه الغنائيه و ينادمه فی شرابه. قال الحسين: شهدت الواثق باللّه بعد موت المعتصم باللّه بأيام فی أول مجلس يجلسه. فغنته شاريه جاريه ابراهيم بن المهدی:

ما دری الحالمون يوم استقلوانعشه للثواء أم للبقاء

فبكی و بكينا معه، حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه.

ثم تغنی بعض الحاضرين فقال:

۱- نفس المصدر ۵/ ۴۱۶.

۲- الهفوات النادره/ ۳۲.

ودع هريره ان الركب مرتحل و هل تطيق وداعا أيها الرحل

فازداد الواثق باللّه بكاء، و قال: ما سمعت كاليوم تعزيه بأب. ثم تفرق المجلس(۱).

و حضر الحسين مجلسا للواثق باللّه، فشربوا الى أن انقضى أكثر الليل. فأمر الواثق باللّه جلساءه بأن يبيتوا فى مكانهم. فلما أصبح خرج اليهم و هم مقيمون، فقال للحسين: هل و صفت ليلتنا الماضيه و طيبها؟ فقال: لم يمض شى ء و أنا أقول الساعه، و فكر قليلا ثم قال:

حثت صبوحى فكاهه اللاهى و طاب يومى بقرب اشباهى

فاستثر اللهو من مكامنه من قبل يوم منغص ناهى

بابنه الكرم من كف منتطق مؤزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه و من يده سقى لطيف مجرب داهى

كأسا فكأسا كأن شاربهاحيران بين الذكور و الساهى

فأمر الواثق باللّه برد المجلس كهيئته، و اصطبح يومه ذاك معهم، و قال: نحقق قولك يا حسين و نقضى لك كل أرب و حاجه(۲).

و حدث الحسين بن الضحاك قال: دخلت ذات يوم على الواثق باللّه، و فى السماء لطخ غيم. فقال لى: ما الرأى عندك فى هذا

۱- الكامل ۷/ ۳۱- ۳۲.

۲- الاغانى ۷/ ۱۶۰.

الیوم؟ فقلت: یا أمیر المؤمنین ما حکم به و اشار الیه قبلی أحمد بن یوسف، فانه اشار بصواب لا یرد و جعله فی شعر لا یعارض. قال:

و ما قال؟ فقلت لقد قال:

أری غیما تؤلفه جنوب و احسبه سیأتینا بهطل

فعین الرأی ان تدعو برطل فتشربه و تدعو لی برطل

فقال الواثق باللّه: أصبتما. و دعا بالطعام و الشراب و المغنین و الجلساء، و اصطبحنا(۱).

و طلب الواثق باللّه یوما الی الحسین بن الضحاک ان یرتجل أبیاتا من الشعر. فسأله فی أی معنی یرید هذه الابیات. فقال:

امدد طرفک و قل فیما شئت مما تری بین یدیک وصفه. و کان حولهما بساط من الخضره محفوف بازهار تفتحت أنوارها.

فارتج علی الحسین ساعه، و ضاق ذرعا و خجل من موقفه. فتدارکه الواثق باللّه قائلا: ویحک مالک، ألست تری نور الصباح و نور أقاح؟ فکان ذلک مما فتح القول علی الحسین فاندفع یقول(۲):

ألست تری الصبح قد اسفراو مبتکر الغیث قد أمطرا

و اسفرت الأرض عن حلهتضاحک بالأحمر الأصفرا

و وافاک نیسان فی ورده و حثک فی الشراب کی تسکرا

۱- نفس المصدر ۷/ ۱۵۹- ۱۶۰.

۲- الاغانی ۷/ ۱۹۶- ۱۹۷.

و تعمل كأسين فى فتيهتطارد بالأصغر الأكبرا

بحث كؤوسهم مخطف تجاذب اردافه المئزرا

فلما تمازج ما شذرت مقاريض أطرافه شذرا

فكل ينافس فى بره ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك الواثق باللّه و قال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين الا الفسق الذى ذكرته. ثم أمر باحضار الطعام فأكلوا جميعا. ثم قال: قوموا بنا الى حانه الشط، فقاموا اليها. فشرب و طرب، و ما ترك يومئذ أحدا من الجلساء و المغنين و الخدم الا أمر له بصله. قال الحسين: فلما كان الغد غدوت الى الواثق باللّه، فطلب الى أن أنشده شيئا ان كنت قلته فى اليوم السابق الذى كان من الأيام المعدوده، فانشدته:

يا حانه الشط قد اكرمت مثواناعودى بيوم سرور كالذى كانا

لا تفقدينا دعايات الامام و لاطيب البطاله اسرارا و اعلانا

و لا تخالعنا فى غير فاحشهاذا يطربنا الطنبور أحيانا

و هاج زمر زنام بين ذاک لناشجدا فاهدى لنا روحا و ريحانا

حفت رياضک جنات مجاورهفى كل مخترق نهرا و بستانا

لا زلت آهله الأوطان عامرهبأكرم الناس اعراقا و اغصانا

و كان الواثق باللّه يميل الى الفتح بن خاقان و يأنس به. و قد اعتل يوما عله شديده، ثم افاق و تعافى. فقال للحسين: يا حسين اكتب عنى الى الفتح تدعوه الى الصبوح معى، و كان قد عزم على أن يصطبح. فكتب الحسين الى الفتح يقول(۱):

لما اصطبحت و عين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بذلته

ناديت فتحا و بشرت المدام به لما تخلص من مكروه علته

ذب الفتى عن حريم الراح مكرمهاذا رآه امرؤ ضدا لنحلته

فاعجل الينا و عجل بالسرور لناو خالس الدهر فى أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح بادر الى الحضور، فاصطبح مع الواثق باللّه و حاشيته.

الواثق باللّه و المغنون الآخرون:

مخارق:

اعجب الخليفه الواثق باللّه بغناء مخارق كثيرا. و قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات: ان الواثق باللّه قال له: ما غنانى مخارق قط الا قدرت انه من قلبى خلق(۲). و يبدو انه كان شديد

۱- نفس المصدر ۷/ ۲۱۵- ۲۱۶.

۲- الاغانى ۱۱/ ۳۳۴ و ۱۸/ ۳۴۵.

الشغف بغنائه، حتى انه خصص له حجره فى قصره ليكون قريبا منه دائما. و لا يسمح له بالذهاب الى منزله الا يوما واحدا فى الاسبوع.

و كانت جوارى الواثق باللّه اذا اختلفن فى لحن ما، أمرهن ان يعرضنه على مخارق ليقرر اللحن الصحيح. و يروى هارون ابن مخارق ان اباه انصرف مره فى نوبته الى منزله فصلى الغداه مع الفجر فى صحن الدار فى يوم صائف. فدخل خدم الواثق باللّه، و كان بعث بهم اليه ليصحح لهم صوتا كان قد طرحه عليهم فاختلفوا فى ادائه. فاندفع مخارق يردد الصوت عليهم. و يبدو ان غناءه كان شجيا بحيث تجمع حوله جوارى الدار و غلمانه، كما بكى ابنه من فرط تأثره. فلما قطع مخارق الصوت حين استوفاه انفض الجمع من حوله(۱).

و غنى مخارق يوما بحضره الواثق باللّه:

حتى اذا الليل خبا ضوءه و غابت الجوزاء و المرزم

خرجت و الوطء خفى كماينساب من مكمنه الأرقم

فاستملح الواثق باللّه الشعر و اللحن فصنع على نحوه(۲).

قالت اذا الليل دجا فأتنافجئتها حين دجا الليل

خفى وطء الرجل من حارس و لو درى حل بى الويل

و كان مخارق يلهى بغنائه أحيانا غلمان الخليفه عن اداء واجباتهم. فقد روى ابن حمدون انه كان مع عدد من الندماء

۱- نفس المصدر ۱۸/ ۳۵۲- ۳۵۳.

۲- نفس المصدر ۹/ ۲۸۹- ۲۹۰.

و المغنین فی مجلس الواثق باللّه، و کانت أمه علیله، فدخل الیها و امرهم ان لا یبرحوا مجالسهم، فأبطأ علیهم. و کانت اللیله مقمره، فاندفع مخارق یغنی. فاجتمع حوله غلمان القصر.

و عند ما خرج الواثق باللّه نادی علی غلام فلم یجبه أحد، فتوسط الدار و اخذ ینادی الغلمان بصوت عال. فبادر الیه ابن حمدون و اخبره ان مخارقا یغنی و ان الغلمان تجمعوا یستمعون الیه، و لیس فیهم فضل لیسمعوا غیر ما یسمعون من الغناء. فقال الواثق باللّه: عذر و اللّه لهم یا ابن حمدون، و أی عذر. ثم شارکهم فی الاستماع الی غناء مخارق(۱).

ان تجمع عدد کبیر من المغنین و الموسیقیین فی مجالس لهو الواثق باللّه کان یثیر فی بعض الاحیان شیئا من التنافس بینهم. و قد یصل الی درجه الحقد یدفع بعضهم الی أن یکید لدی الخلیفه علی البعض الآخر. فقد ذکر ان الواثق باللّه کان یستشیر اسحاق الموصلی فیما یصنعه من الأصوات. فحاول مخارق ان یکید لاسحاق عند الخلیفه، فقال له یوما: ان اسحاق یعرف ان الصوت الذی تعرضه من صنعتک فیقول لک ما یوافق هواک، فاذا خرج عنک قال لنا ضد ذلک. فاراد الواثق باللّه أن یتأکد من ذلک. فتبرع مخارق بأن یغنی صوتا للواثق باللّه بحضور اسحاق، و تعمد ان یغیر فیه بمواضع تخفی علی الواثق باللّه. فلما سأل الواثق باللّه اسحاق عن رأیه فی الصوت. قال اسحاق انه فاسد غیر مرضی. فغضب الخلیفه و تحقق له قول مخارق. فأمر فسحب اسحاق من المجلس حتی اخرج منه مطرودا، و أمر بنفیه الی بغداد. ثم جری ذکره یوما، فقالت فریده جاریه الواثق باللّه: یا أمیر المؤمنین ان اسحاق کما تعلم یأخذ نفسه بقول الحق، و ان مخارقا قد کاده عندک اذ أفسد الصوت من حیث أو همک انه زاد فیه نغما وجوده، فاحضر اسحاق و اغنیه ایاه علی صحته و اسمع ما یقول. فأمر الواثق باللّه باحضاره الی سامرا

۱- الاغانی ۱۸/ ۳۴۲، و نهایه الارب ۴/ ۳۱۶.

و اظهر الرضا عنه. فغنته فريده الصوت كما صنعه الواثق باللّه، فلما سمعه قال: هذا صوت صحيح الصنعه، و لم اسمعه هكذا فى المره الاولى، و ابان المواضع الفاسده، و اخبر بافساد مخارق اياها. فسكن غضب الواثق باللّه عنه، و تنكر لمخارق مده لما فعله(۱).

علويه:

هو على بن عبد اللّه بن سيف و اصله من الصغد. كان مغنيا مبدعا، و صانع ألحان متفننا، و ضارب عود متقدما. و قد تخرج على ابراهيم الموصلى المغنى القدير الذى عنى به جيدا فبرع فى صنعته. و غنى للخليفه محمد الأمين و لعدد من الخلفاء بعده، و عاش الى أيام المتوكل على اللّه.

و كان اسحاق الموصلى يتعصب فى أكثر الأحيان لعلويه على مخارق المغنى، و يقول عنه: ان علويه أعرف بما يخرج من رأسه و اعلم بما يغنيه و يؤديه لأنه محكم الغناء و الصنعه(۲). الا ان ياقوتا الحموى يقول عنه: رغم ان علويه كان واحد الناس فى الغناء روايه و حكايه و درايه و صنعه وجوده ضرب، و حسن خلق، الا انه اذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار(۳).

غنى علويه يوما بحضره الواثق باللّه هذا الصوت(۴):

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عناد الدهر احلاء و امراء

۱- نفس المصدر ۵/ ۳۶۰- ۳۶۱ و ۹/ ۲۸۱- ۲۸۲.

۲- الاغانى ۱۱/ ۳۳۳.

۳- معجم الادباء ۷/ ۲۶۲، و الاغانى ۱۸/ ۳۷.

۴- الاغانى ۱۱/ ۳۴۵.

فاستحسنه و طرب علیه. فقال علویه: و اللّه لو شئت لجعلت الغناء فی أیدی الناس أکثر من الجوز، و کان اسحاق الموصلی حاضرا فی المجلس فتضاحک، و قال له: یا أبا الحسن اذا تکون قیمته مثل قیمه الجوز، لیتک اذ قللته صنعت شیئا، فکیف اذا کثرته؟ فخجل علویه.

و غنی یوما بین یدی الواثق باللّه، و اسحاق الموصلی حاضر:

خلیل لی سأهجره لذنب لست اذکره

و لکننی سأرعاه و اکتمه و استره

و اظهر اننی راض و أسکت لا أخبره

لکی لا یعلم الواشی بما عندی فأکسره

فطرب الواثق باللّه طربا شدیدا و استحسن اللحن و استجاده، و أمر لعلویه بألف دینار. ثم سأله ما اذا کان هذا اللحن له، قال:

لا- یا أمیر المؤمنین، هو لهذا الهزبر، یعنی اسحاقا. فضحک الواثق باللّه، و قال: قد ظلمناه اذن، و أمر لاسحاق بثلاثین ألف درهم(۱).

اعجب الواثق باللّه بغناء علویه و قال عنه: علویه أصح الناس صنعه بعد اسحاق، و أطیب صوتا بعد مخارق، و أضرب الناس بعد ربرب، و هو مصلی کل سابق قادر، و ثانی کل أول واصل متقدم، و کان یصف غناءه انه مثل نقر الطست یبقی ساعه فی السمع بعد سکوته(۲). و مما یشبه هذا انه تساءل فی أحد مجالسه من أحذق

۱- الاغانی ۵/ ۴۰.

۲- نفس المصدر ۱۱/ ۳۳۷، و المصلی فی السباق هو التالی.

الناس بالصنعه؟ قالوا: اسحاق، قال: ثم من؟ قالوا: علويه.

قال: فمن أطيب الناس صوتا؟ قالوا: مخارق، قال: ثم من؟ قالوا:

علويه. قال: أعرفتم بانه مصلى كل سابق، و قد جمع الفضائل كلها، و هى متفرقه فيهم(۱).

و أراد الواثق باللّه يوم كان أميرا أن يضرب بين اسحاق و مخارق و علويه، ففعل ذلک فى أحد مجالسه حتى تهاتروا فيما بينهم. ثم سأل اسحاقا كيف يرى مخارقا و علويه، فقال: أما مخارق فمناد طيب الصوت، و أما علويه فهو خير حمارى العبادى و هو شيي ء- يريد تصغيره- فوثب علويه مغضبا، و طلب الى الواثق باللّه أن يستحلف اسحاقا بان يصدق فما سيسأله عنه، فحلف اسحاق، فقال علويه: من أحسن الناس اليوم صنعه بعدک؟ قال: انت، قال: فمن اضرب الناس بعد ثقيف؟ قال: انت، قال: فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق؟ قال: انت(۲).

و كانت هناک منافسه شديده بين علويه و مخارق الذى كان أعلى منه شأنا. فقد غنى علويه يوما بين يدى اسحاق الموصلى هذا الصوت:

هجرتک اشفاقا عليک من الأذى و خوف لأعادى و اتقاء النمائم

فقال له اسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت. فقال علويه: أين أنا الآن من صاحبى- يعنى مخارقا- مع قولک هذا لى؟ قال: اذا غنيتما ملكا اختاره عليک و اعطاه الجائزه دونک.

فضجر علويه و قال: أف من رضاک و غضبک(۳).

۱- الاغانى ۱۱/ ۳۵۵.

۲- نفس المصدر ۵/ ۳۵۱- ۳۵۲، و« هو خير حمارى العبادى» مثل يضرب فى خلتين احداهما شر من الاخرى.

۳- الاغانى ۱۸/ ۳۶۹.

و كان علويه أعسر، و لذا كان عوده مقلوب الاوتار: البم اسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوق المثنى، ثم الزير. و كان اذا ضرب اخذه بيده اليمنى و ضرب باليسرى، فيكون مستويا فى يده مقلوبا فى يد غيره(۱).

عبد اللّه بن العباس الربيعى:

من المغنين الذين كانوا مقربين الى الواثق باللّه، الشاعر المغنى عبد اللّه بن العباس، حفيد الفضل بن الربيع. حضر يوما مجلس الواثق باللّه، و كان الجو ملبدا بالغيوم، فلاح برق و استطار.

فقال الخليفه لجلسائه: قولوا فى هذا شيئا. فبادر عبد اللّه فقال هذين البيتين:

أعنى على لامع بارق خفى كلمحك بالحاجب

كأن تألقه فى السماءيدا كاتب أو يدا حاسب

و صنع فيهما لحنا غناه. فشرب الواثق باللّه بقيه يومه عليه، و استحسن شعره معنى و صنعه و وصله بصله سنيه(۲). و غنى فى حضره الواثق باللّه فى يوم نوروز صوتا صنعه فى بيتين من الشعر للمعلى الطائى هما:

باكر صبوحك صبحه النوروزو أشرب بكأس مترع و بكوز

ضحك الربيع اليك عن نواره آس و نسرين و مرما حوز

۱- نفس المصدر ۱۸/ ۳۳۸.

۲- الاغانى ۱۹/ ۲۲۳.

فاستعاده الواثق باللّه و طرب كثيرا، و أمر له بثلاثين ألف درهم(۱).

و قال عبد اللّه بن العباس: دعانا الواثق باللّه فى يوم نوروز، فلما دخلت عليه غنيته بشعر مدحته فيه، و صنعت فيه لحنا، و هو:

هين للنيروز جاماو مداما و ندامى

يحمدون اللّه و الواثق هارون الأماما

ما رأى كسرى انوشرو ان مثل العام عاما

نرجسا غضا و ورداو بهارا و خزامى

فطرب الخليفه و استحسن الغناء و شرب عليه حتى سكر، و أمر لى بثلاثين ألف درهم(۲).

كان عبد اللّه يتخذ سيبا لمعرفه أولياء العهد برأى الخلفاء فيهم.

و سبق أن أشرنا الى غنائه للواثق باللّه عند ما كان أميرا، لكى يعرف ما اذا كان أبوه المعتصم باللّه سيوليه العهد بعده. فلما تيقن من ذلك أمر ابراهيم بن رباح فاقترض له ثلاثمائه ألف درهم، ففرقها على الجلساء من الندماء و المغنين و الموسيقيين. و لما علم الواثق باللّه بغضب أبيه على عبد اللّه و اطراحه اياه، اطرحه هو أيضا. و عند ما ولى الخلافه كان لا يزال على جفائه، فقال عبد اللّه:

۱- نفس المصدر ۱۹/ ۲۳۰.

۲- نفس المصدر ۱۹/ ۲۴۲.

مالی جفیت و کنت لا أجفی أیام ارهب سطوه السیف

ادعو الهی ان أراک خلیفهبین المقام و مسجد الخیف

و دس من غناه الواثق باللّه، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله فتذمم و دعا عبد اللّه فبسطه و اکرمه و نادمه الی ان مات(۱).

و جمع الواثق باللّه المغنین یوما، و فیهم عبد اللّه، لیصطبح، فقال له: بحیاتی الا صنعت هزجا حتی أدخل و اخرج الیکم الساعه. فدخل الی جواریه. فقال عبد اللّه هذه الابیات و صنع فیها هزجا قبل ان یخرج علیهم الخلیفه:

بأبی زور أتانی بالغلس قمت اجلالا له حتی جلس

فتعانقنا جمیعا ساعهکادت الأرواح فیه تختلس

فقلت: یا سؤلی و یا بدر الدجی فی ظلام اللیل ما خفت العسس

قال: قد خفت و لکن الهوی آخذ بالروح منی و النفس

زارنی یخطر فی مشبته حوله من نور خدیه قبس

فلما خرج الواثق باللّه من دار الحرم، قال: یا عبد اللّه ما صنعت؟ فاندفع عبد اللّه یغنیه الهزج الذی صنعه. فشرب حتی

۱- نفس المصدر ۱۹/ ۲۴۷- ۲۴۸.

سکر، و أمر له بخمسه آلاف درهم، و أمره ان یطرحه علی الجواری(۱).

و قال عبد اللّه: جمعنا الواثق باللّه یوما بعقب عله غلیظه المت به و عوفی منها و صح جسمه. فدخلت الیه مع المغنین و عودی فی یدی. فلما وقعت عینی علیه من بعید و صرت بحیث یسمع صوتی، ضربت و غنیت فی شعر قلته فی طریقی الیه و صنعت فیه لحنا، و هو:

اسلم و عمرک الاله لأمهبک اصبحت قهرت ذوی الالحاد

لو تستطیع وقتک کل اذیهبالنفس و الأموال و الأولاد

فضحک و سر و قال: احسنت یا عبد اللّه و سررتنی، و تیمنت بابتدائک، ادن منی، فدنوت منه حتی کنت أقرب المغنین الیه. ثم استعادنی الصوت فاعدته ثلاث مرات. و شرب علیه ثلاثه أقداح، و أمر لی بعشره آلاف درهم و خلعه من ثیابه(۲).

محمد بن الحارث:

کان أبوه الحارث رفیع القدر و من وجود قواد الهادی و الرشید. و کان محمد من أصحاب ابراهیم بن المهدی و من المتعصبین له علی اسحاق الموصلی. و قد أخذ الغناء عن ابراهیم و جری فیه علی نهجه. و یعتبر محمد بن الحارث من أحسن المغنین اداء و أسرعهم أخذا للغناء. فقال اسحاق بن ابراهیم المصعبی للخلیفه الواثق باللّه ان اسحاق الموصلی قال لی: ما قدر احد قط

۱- الاغانی ۱۹/ ۲۵۰.

۲- نفس المصدر ۱۹/ ۲۵۴.

أن يأخـذ منى صوتا مسـتويا الا محمـد بن الحارث، فانه أخـذ منى عـده أصوات كما اغنيها. فاستفسـر الواثق باللّه من محمـد عن ذلک فقال: قد قال لی اسـحاق الموصـلی ذات مره. فسأله عن احسن لحن اخذه من صنعته، قال محمد: يزعم اسحاق انه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما اخذته منه:

اذا المرء قاسى الدهر و ابيض رأسه و ثلم تثليم الأناء جوانبه

فليس فی العيش خير و ان بكی علی العيش أو رجی الذی هو كاذبه

فامره الواثق باللّه ان يغنيه، فغناه اياه و احسن و اجاد.

فاستحسنه الواثق باللّه و أمره ان يردده، فردده مرارا كثيره حتی أخذه الواثق باللّه عنه، و اخذته جواريه كذلک(۱).

و غنی اسحاق الموصلی يوما بحضره الواثق باللّه لحنه الآتی:

ذكرتک اذ مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب و تسنح

من المؤلفات الرمل ادماء حرهشعاع الضحی فی متنها يتوضح

فأمره الواثق باللّه ان يعيده علی الجواری، و احلفه بحياته ان ينصح فيه. فقال اسـحاق: لا تستطيع الجواری أن يأخذنه منی، و لكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه، و تأخذه الجواری منه.

فأحضر محمد و القاه اسحاق عليه فاخذه منه، و اخذته الجواری عن محمد(۲).

۱- الاغانی ۱۲/ ۴۸- ۴۹.

۲- نفس المصدر ۱۲/ ۵۰- ۵۱.

و غنی محمد بن الحارث الواثق باللّه ببیت من الشعر مدحه به، و قد نظمه و لحنه و هو:

أمنت باذن اللّه من کل حادث بقربک من خیر الوری یا ابن حارث

فاستحسنه الواثق باللّه، و امر بالفی دینار(۱).

أبو حشیشه:

محمد بن أمیه، و أبو حشیشه لقب غلب علیه، کان من المتصلین بابراهیم بن المهدی، و یعتبر من المغنین الطنبوریین المجیدین. و قد قال: کنت أغنی للواثق باللّه، و کان یختار من غنائی هذا الصوت(۲):

یا تارکی متلدد العوادجذلان العداه

انظر الی بعین راض نظره قبل الممات

خلیتنی بین الوعید و بین ألسنه الوشاه

ماذا یرجی بالحیاه منغص روح الحیاه

عمرو بن بانه:

و هو أحد المغنین المشهورین فی أیام الواثق باللّه، و سنتعرف علیه عند الکلام علی مجالس المتوکل علی اللّه الغنائیه. و قد غنی

۱- نفس المصدر ۲۳/ ۱۷۷.

۲- نفس المصدر ۲۳/ ۷۹، و نهایه الارب ۵/ ۳۷ و جاء البیت الاول فیه: یا تارکی متلذذ العذال جذلان العداه.

یوما بین یدی الواثق باللّه بحضور اسحاق الموصلی بلحن أبیه ابراهیم الموصلی:

بلوت أمور الناس طرا فأصبحت مذقمه عندی براء من الحمد

و أصبح عندی من وثقت یغیبه بغیض الایادی کل احسانه نکد

فغناه علی ما أخذه من ابراهیم بن المهدی و قد غیره. فقال الواثق باللّه لاسحاق: أتعرف هذا اللحن؟ قال: نعم هذا لحن أبی و لکن ابراهیم بن المهدی زعم انه اصلحه فافسده. فطلب الیه الخلیفه ان یغنیه. فغناه اسحاق و اداه علی حقیقته، فاستحسنه الواثق باللّه جدا. فغم ذلک عمرو بن بانه فقال لاسحاق: أفأنت مثل ابراهیم بن المهدی حتی تقول هذا فیه؟ قال: لا و اللّه ما أنا مثله، و اما الغناء فما دخولک انت بیننا فیه، ما احسنت قط ان تأخذ فضلا من ان تغنی، و لا قمت باداء غناء، فضلا عن ان تمیز بین المحسنین، و الا فغن أی صوت شئت مما أخذته عنه و عن غیره، فان لم أو ضح لک و لمن حضر انه لا یسلم لک صوت من نقصان أجزاء و فساد صنعه، فرمی به رهن. فاساء عمرو الجواب و اغلظ فی القول، فأمضه الواثق باللّه و طرده من مجلسه(۱).

الواثق باللّه و المغنیات:

قلم الصالحیه:

قلم الصالحیه(۲):

احدی الجواری البصریات المولدات، صفراء، حسنه الغناء، حاذقه بالضرب علی العود. اخذت الغناء عن ابراهیم الموصلی و ابنه

۱- الاغانی ۵/ ۳۹۴- ۳۹۵.

۲- هکذا ورد اسمها فی الطبری ۹/ ۱۵۳، و فی الاغانی ۱۳/ ۳۴۷، الا انه جاء فی الکامل ۷/ ۳۲: علم الصالحیه.

اسحاق، و عن یحی المکی، و هم رؤساء هذا الفن فی عصرهم.

برعت فی الغناء و فی صنع الألحان و لها نحو عشرین صوتا. و کانت جاریه لصالح بن عبد الوهاب و اشتراها الواثق باللّه منه. و لشرائها قصه أوردها ابن الاثیر مختصره. فقد کان أحمد بن عبد الوهاب قال فی الواثق باللّه(۱):

أبت دار الاحبه ان تبیناأجدک ما رأیت لها معینا

تقطع حسره من حب لیلی نفوس ما أثبن و لا جزینا(۲)

فصنعت فیه قلم لحنا غناه زرزر الکبیر للواثق باللّه فاعجبه، و لما علم انه لقلم الصالحیه احضر مولاها و طلب منه شراءها، فاهداها الیه، فقبلها و عوضه خمسه آلاف دینار. فماطله الوزیر ابن الزیات فی دفع المبلغ. فاعادت قلم الصوت علی الواثق باللّه، فقال لها: بارک اللّه علیک و علی من رباک. فقالت: و ما ینفع من ربانی، أمرت له بشی ء فلم یصل الیه. فکتب الی ابن الزیات یأمره بایصال المال الی صالح و ان یضعفه له، فدفع الیه عشره آلاف دینار(۳). و یقول أبو الفرج ان الواثق باللّه لما اشتراها سماها احتیاطا(۴).

و کان الشاعر علی بن الجهم انشد الواثق باللّه عند ما تولی الخلافه قوله:

۱- الکامل ۷/ ۲۲.

۲- ورد هذا البیت فی الاغانی ۱۳/ ۳۴۸ کما یلی تقطع نفسه من حب لیلی و نفوسا ما أثین و لا جزینا

۳- مفصل الخبر فی الاغانی ۱۳/ ۳۴۷- ۳۴۹، و فی نهایه الارب ۵/ ۷۱- ۷۲.

۴- الاغانی ۱۳/ ۳۴۸.

قد فاز ذو الدنیا و ذو الدین بدوله الواثق هارون

و انشده أیضا قوله یمدحه:

وثقت بالملک الواثق باللّه النفوس

فلحنت قلم الصالحیه هذین الشعرین و تغنت بهما، و کان الواثق باللّه یستحسن هذین الصوتین و غناءها(۱).

فریده:

کانت فریـده جاریه لعمرو بن بانه أحـد کبار المغنین فی عهـده، و قد تولی تثقیفها و تدریبها علی الغناء(۲). و اهداها الی الواثق بـاللّه، فکـانت أثیره عنـده، حظیه لـدیه، لما امتازت به من جمال الوجه و حسن الغناء، الی جانب حـده الـذکاء و سـرعه الفهم. و کانت تغنی الأصوات التی یصنعها الواثق باللّه، فتجید اداءها.

و قـد کلف الواثق بـاللّه المغنیه شـاریه جـاریه ابراهیم بن المهـدی و من احسن مغنیـات أیامهـا ان تتم تعلیم فریـده فنون الغنـاء و الضرب علی العود. فتولت تعلیمها لفتره قصیره ثم ترکتها لخلاف قام بینهما(۳).

لقد استطاعت ان تتقن جمیع الاصوات التی أخذتها عن کبار المغنین. قال محمد بن عبد الملک الزیات: سمعت فریده تغنی هذا الصوت(۴):

۱- نفس المصدر ۱۳/ ۳۵۰.

۲- نفس المصدر ۴/ ۱۱۴.

۳- نفس المصدر ۱۶/ ۱۲- ۱۳.

۴- نفس المصدر ۴/ ۱۱۸.

أخلای بی شجو و لیس بکم شجوو کل امری ء مما بصاحبه خلو

اذاب الهوی لحمی و جسمی و مفصلی فلم یبق الا الروح و الجسد النضو

فما سمعت قبله و لا بعده غناء احسن منه.

و غنی عمرو بن بانه الخلیفه الواثق باللّه یوما:

قلت حلا فاقبلی معذرتی ما کذا یجزی محب من أحب

فامره ان یتقدم الی الستاره و ان یلقی هذا الصوت علی جاریته فریده. فلما ألقاه علیها تساءلت: هل حل أو خل؟ فعلم عمرو انها تسأله عن صاحبتها «خل» فی خفاء من الواثق باللّه(۱). و کانت خل جاریه ربیت مع فریده عند عمرو بن بانه.

و غضب الواثق یوما علی فریده لکلام اخفته عنه، فجلس فی یومه للصبوح. فغناه عبد اللّه بن العباس الربیعی:

لا تأمنی الصرم منی ان تری کلفی و ان مضی لصفاء الود اعصار

ما سمی القلب الا من تقلبه و الرأی یعرف و الاهواء اطوار

کم من ذوی مقه قبلی و قبلکم خانوا فاضحوا الی الهجران قد صاروا

فاستعاده الواثق باللّه مرارا، و شرب علیه، و اعجب به، و امر لعبد اللّه بألف دینار و خلع علیه(۲).

۱- الاغانی ۴/ ۱۱۵.

۲- نفس المصدر ۱۹/ ۲۵۱.

و یروی محمـد بن الحـارث قصه عن غیره الواثق بـاللّه من أخیه جعفر لما کان بینهما من نفره و تباغض. اذ غضب ذات لیله علی جاریته فریـده و هی تغنیه و قـد سـحرته بجمالها و دلالها، فتبادر الی ذهنه انها سـتؤول بعـد موته الی أخیه جعفر فآلمه ذلک مما دفعه الی ضربها و طردها من حجرته، ثم ما لبث ان صالحها(۱).

شاریه:

أما شاریه جاریه ابراهیم بن المهدی الذی دربها علی الغناء، فقد اصـبحت فی أیام الواثق باللّه احسن و اشهر مغنیه، بحیث اخذت تنافس المغنیه الشهیره عریب المأمونیه، و غدا الناس بسر من رأی متحازبین، قوم مع شاریه و قوم مع عریب(۲).

و کان الواثق باللّه یقـدر فنها و یحترمها و یسـمیها «ستی» و قـد أوکل الیها تعلیم جاریته فریـده، فلم تأل جهـدا فی تعلیمها أصول الغناء و الضرب علی العود حتی وقع بینهما خلاف، فحلفت أن لا تطرح علیها بعد ذلک صوتا الا نقصت من نغمته(۳).

عریب:

لم تکن عریب مقربه من الواثق باللّه، رغم براعتها فی الغناء.

لانهـا کـانت من مؤیـدی العبـاس بن المأمون ضـد المعتصم باللّه. و قـد سـبق ان کشـفت علاقتها بـذلک أیام کان المعتصم باللّه یحارب فی بلاد الروم. و کانت تعرض بالواثق باللّه منذ ان کان أمیرا و تسـمیه الأعور اللیلی(۴)، لانه کان کثیر السهر. کما کانت تکایده فیما

۱- مفصل الخبر فی الاغانی ۴/ ۱۱۵- ۱۱۸.

۲- الاغانی ۱۶/ ۱۴، و نهایه الارب ۵/ ۸۷.

۳- الاغانی ۱۶/ ۱۲- ۱۳.

۴- نفس المصدر ۲۱/ ۷۷.

یصوغه من الالحان، فتصوغ فی نفس الشعر لحنا و تسعی ان یکون أجود من لحنه(۱). فقد لحن الواثق باللّه البیت الاتی(۲):

لم آت عامده ذنبا الیک بلی أقر بالذنب فاعف عن زللی

فصنعت فیه لحنا فکان أجود من لحنه، و صنع الواثق باللّه لحنا فی البیت الآتی:

أشکو الی اللّه ما ألقی من الکمدحسبی بربی و لا أشکو الی أحد

فصنعت فیه لحنا علی غرار لحن الواثق باللّه، الا ان لحنها جاء أجود من لحنه کذلک ۱۲۵.

۱- نفس المصدر ۲۱/ ۷۶، و نهایه الارب ۵/ ۱۰۶.

۲- نفس المصدر ۲۱/ ۷۶.

الفصل الثالث مجالس المتوکل علی اللّه

۱- المتوکل علی اللّه و الندماء:

أکثر المتوکل علی اللّه من اصطناع النـدماء، فقرب الیه الادباء و الشـعراء و الرواه. و کانت مجالسه لا تخلو من المناظرات الادبیه التی کان یثیرها بین جلسائه و منادمیه. و کان ندیمه الاول الذی لا یکاد یغیب عن ناظره و لا یصبر علی فراقه هو الفتح بن خاقان أحـد کبار القواد الاتراک و ممن اوقف نفسه لخـدمه الخلافه. و قـد کان فطنا ذکیا، غایه فی الجود، زکی النفس، حسن العشـره متوددا محببـا الی کـل من یکلمه(۱). و یقـول المسـعودی انه صـار أغلب النـاس علی المتوکـل علی اللّه و أقربهم منه(۲). فکان یحضـر جمیع مجالس المتوکل علی اللّه سواء للشـرب و السـماع، أو للمناظرات الادبیه أو للفکاهه و التنـدر، حتی انه قتل معه فی مجلس انسه. و قد اتخذه المتوکل أخا لما لمس فیه من موده و اخلاص، و کان یقدمه علی سائر ولده و أهله(۳). و لما سافر الی دمشق کان الفتح معادلا له علی

۱- معجم الادباء ۶/ ۱۱۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۸۶- ۸۷.

۳- الفهرست/ ۱۷۵.

جمازه(۱). و مدحه البحتری بعدید من القصائد، سماه فیها «أمین بنی العباس» و «حسام أمیر المؤمنین» و «طود الخلافه»(۲) لما کان یری فیه من ولاء صادق للخلیفه و الخلافه.

کان الفتح بن خاقان أدیبا کثیر المطالعه، حتی قیل ثلاثه لم یر أکثر منهم محبه للکتب و العلوم، و منهم الفتح، فکان یحضر لمجالسه الخلیفه، فاذا خرج الخلیفه لحاجه ما، اخرج الفتح کتابا من کمه أو خفه و اخذ یطالع فیه الی حین عودته(۳). و کانت له خزانه کتب أشرنا الیها فی البحث الخاص بدور الکتب. کما کانت له تصانیف حسنه منها کتاب اختلاف الملوک، و کتاب الصید و الجارح، و کتاب الروضه و الزهر، و کتاب البستان الذی یقول ابن الندیم ان الذی ألفه هو محمد بن عبد ربه الملقب برأس البغل و نسبه الی الفتح(۴).

و کان الادباء و العلماء یتقربون الیه و یهدونه مؤلفاتهم. فقد قدم الیه الجاحظ کتاب التاج، و قدم الیه العالم اللغوی محمد بن حبیب کتاب القبائل الکبیره و الایام(۵). و ذلک اعترافا برعایته لهم و عنایته بهم.

و للفتح شعر رقیق منه قوله یصف الورد(۶):

أما تری الورد یدعو الشاربین الی حمراء صافیه فی لونها حبب

مراهن من یواقیت مرکبهعلی الزمرد فی أجفانها ذهب

۱- فوات الوفیات ۲/ ۲۴۶.

۲- راجع دیوان البحتری- طبعه صادر: ۱/ ۱۰۳- ۱۰۶ و ۱/ ۱۱۱- ۱۱۳ و ۱/ ۱۹۰- ۱۹۳.

۳- الفهرست/ ۱۷۵، و معجم الادباء ۶/ ۵۶.

۴- الفهرست/ ۱۷۵- ۱۷۶.

۵- کتاب التاج/ ۴، و معجم الادباء ۶/ ۴۷۶.

۶- معجم الادباء ۶/ ۱۱۸- ۱۱۹.

خاف الملال اذا طالت اقامته فصار يظهر أحيانا و يحتجب

و حدث المبرد قال: انشدنى الفتح بن خاقان لنفسه(۱):

و انى و اياها لكا الخمر و الفتى متى يستطع منها الزياده يزدد

اذا ازددت منها أزددت وجدا بقربهافكيف احتراس من هوى متجدد

و قال ابن حمدون: لما قال الفتح هذه الابيات انشدتها المتوكل على اللّه فسألنى عن قائلها، فعرفته انه الفتح، فاستحسنها(۲).

و حدث على بن الجهم قال: انى لعند المتوكل على اللّه، و الفتح بن خاقان حاضر، اذ ادخل عليه نخاس و معه جاريه، فقال له أمير المؤمنين: ما صناعه هذه الوصيفه؟ قال: تقرأ بالألحان. فقال الفتح: اقرأى لنا خمس آيات. فاندفعت تقول(۳):

قد جاء نصر اللّه و الفتح و شق عنا الظلمه الصبح

خدين ملك و رجا دولهو همه الاشفاق و النصح

الليث الا انه ماجدو الغيث الا انه سمح

و كل باب للندى مغلق فانما مفتاحه الفتح

۱- نفس المصدر ۶/ ۱۲۲.

۲- نفس المصدر.

۳- نفس المصدر ۶/ ۱۲۳- ۱۲۴.

قال: فو اللّه دخل على المتوكل على اللّه من السرور ما قام الى الفتح فوقع عليه يقبله. و وثب الفتح فقبل رجله. فأمر الخليفه بشرائها، و بعث بها الى الفتح.

و قال الفتح: دخلت يوما الى المتوكل على اللّه فرأيته مطرفا متفكرا، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر؟ فو اللّه ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشا و لا انعم منك بالا. فقال: يا فتح، أطيب عيشا منى رجل له دار واسعه و زوجه صالحه و معيشه حاضره، لا يعرفنا فنؤذيه، و لا يحتاج الينا فنزدريه(۱).

قال البحترى: قال لى المتوكل على اللّه: قل فى شعرا و فى الفتح، فانى أحب أن يحيا معى و لا- افتقده فيذهب عيشى و لا يفتقدنى فيذل. فقلت(۲):

سيدى انت كيف اخلفت و عدى و تثاقلت عن وفاء بعهدى

لا ارتنى الأيام فقدك يا فتح و لا عرفتك ما عشت فقدى

أعظم الرزء ان تقدم قبلى و من الرزء ان تؤخر بعدى

حسدا أن تكون الفا لغيرى اذ تفردت بالهوى قبل وحدى

و قال البحترى: قد كنت عملت هذه الابيات فى غلام كنت اكلف به، فلما أمرنى المتوكل بما أمر تنحيت فقلت الابيات و اريته اننى

۱- تاريخ الخلفاء/ ۳۵۳.

۲- معجم الادباء ۶/ ۱۲۰، و فوات الوفيات ۲/ ۲۴۷، و جاء فى عجز البيت الاخير(نيل) بدلا من(قيل).

عملتها فی وقتی، و ما غیرت فیها الا لفظه واحده، فاننی قد قلت:

لا ارتنی الایام فقدك ما عشت، فجعلتها یا فتح.

و بلغ من وفاء الفتح بن خاقان للمتوکل علی اللّه انه رمی بنفسه علیه لما أغتالوه لیحمیه من ضربات السیوف فقتل معه(۱).

و کان من خاصه المتوکل علی اللّه علی بن یحی بن أبی منصور المنجم، و کان أدیبا راویه للاشعار و الاخبار، و شاعرا محسنا، اخذ الأدب و صنعه الغناء عن اسحاق الموصلی(۲). و کان قد اتصل بالفتح بن خاقان و عاونه فی تأسیس خزانه کتبه. کما کانت لعلی نفسه خزانه کتب عامه ذکرنا عنها فی موضوع دور الکتب. و له عدد من التصانیف، منها کتاب الشعراء القدماء و الاسلامیین، و کتاب اخبار اسحاق بن ابراهیم، و کتاب فن الطبیخ(۳). و قد قرب المتوکل علی اللّه علیا الیه، و کان قد قدمه الیه الفتح بن خاقان، فاغدق علیه الهبات و اجزل له الارزاق، حتی قال علی: احصیت ما وصل الی من أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه من رزق وصله، فکان مبلغه ثلاثمائه ألف دینار(۴).

و ممن نادم المتوکل علی اللّه أبو عبد اللّه أحمد بن ابراهیم بن اسماعیل بن حمدون، و کان ادیبا شاعرا و من شیوخ اللغه و قد درس علیه العالم اللغوی ثعلب. غضب علیه المتوکل علی اللّه مره فنفاه الی تکریت، ثم بعث من قطع اذنه(۵)، و لکنه ما لبث ان اعاده الی مجلسه. و لما رضی عنه و هبه جاریه یقال لها صاحب، و کانت حسنه کامله الأدب، الا ان احد الخدم صدع ثنیتها فاسودت فشانها

۱- الطبری ۹/ ۲۲۷، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۱.

۲- الفهرست/ ۲۱۱، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱- ۱۲۲.

۳- الفهرست/ ۲۱۱.

۴- معجم الادباء ۵/ ۴۶۵.

۵- الدیارات ۶- ۷.

ذلک عند المتوکل علی اللّه، فارسلها الیه و حمل معها کل ما کان لها، و کان شیئا کثیرا(۱).

و نادم المتوکل علی اللّه کـذلک الأدیب الاخباری أبو العنیاء محمـد بن القاسم خلاد. و کان قـد نشأ بالبصـره فطلب الحـدیث و درس الادب علی علمائها. و کان من احفظ الناس و افصـحهم لسانا و اسـرعهم جوابا و احضـرهم نادره، و کف بصـره و قـد بلغ أربعین سنه(۲). و کـان یحضـر مجلس الخلیفه و قلمـا غـاب عنه، و قـد روی عنه انه قـال: قـال لی المتوکل علی اللّه قـد اردتک لمجالستی. فقلت:

لا أطیق ذلک، و ما أقول هذا جهلا بما لی فی هذا المجلس من الشـرف، و لکنی رجل محجوب، و المحجوب تختلف اشارته و یخفی علیه ایمـاؤه، و یجوز علی ان اتکلم بکلاـم غضـبان و وجهـک راض، و بکلاـم راض و وجهـک غضـبان، و مـتی لم أمیز هذین هلکت. فقال: صدقت و لکن تلزمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلنی بعشره آلاف درهم(۳).

و عرضت جاریه علی المتوکل علی اللّه، فقال لأبی العنیاء: هذه عرضت علی انها شاعره، فقل شیئا لتجیزه. فقال أبو العنیاء:

أحمد اللّه کثیرا. فقالت الجاریه: حین انشاک ضریرا. قال: یا أمیر المؤمنین قد احسنت فی اساءتها(۴).

و قال المتوکل علی اللّه لأبی العنیاء و قد دخل الیه: یا محمد ما بقی فی المجلس أحد الا اغتابک غیری. فاجاب قائلا(۵):

اذا رضیت عنی کرام عشیرتی فلا زال غضبانا علی لئامها

۱- الدیارات/ ۹.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۱۷۰.

۳- نفس المصدر ۳/ ۱۷۴.

۴- البصائر و الزخائر ۲/ ۲۶۵.

۵- الدیارات/ ۹۱.

و قال له مره: يا محمد الى كم تمدح الناس و تذمهم؟ قال: ما اساءوا و احسنوا(۱).

و كان ممن يحضر مجلس المتوكل على اللّه أيضا حسن بن موسى النصبى البغدادى الأديب المتوفى سنه ۲۵۰ ه، و قد صنف عددا من كتب الغناء و المغنين، منها «كتاب الاغانى فى أسماء المغنين و المغنيات» و قد الفه للخليفه المتوكل على اللّه، و كتاب الاغانى على حروف المعجم، و كتاب مجردات المغنيات(۲).

ذكرنا جانبا من ندماء المتوكل على اللّه ممن كانوا يحضرون مجالسه الادبيه، أو للشعر و السماع. على انه كان له الى جانب ذلك ندماء يحيا معهم حياه لهو و مجون و عبث، و عند ما يكون معهم يطلق لنفسه العنان. و قد اشتهر من هؤلاء أبو العبر، و هو أبو العباس محمد بن احمد العباسى، كان أديبا شاعرا يحضر مجالس الخلفاء منذ أيام الخليفه محمد الأمين، فمال فى أيام المتوكل على اللّه الى العبث و المجون لأنه رأى ان شعره لا ينفق بوجود البحترى و أمثاله، و رأى الحماقه انفق، و انفع له فاخذ فى الحمق و المجون فى الشعر و الكلام(۳). و كسب بالحمق و المجون اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى أيامه بالجد، و حصل من المتوكل على اللّه على أموال جليله(۴).

و كان المتوكل على اللّه يرمى بأبى العبر فى المنجنيق الى الماء و عليه قميص حرير، فاذا علا فى الهواء صاح: الطريق، ثم يقع فى الماء، فيخرجه السباحون. أو يجلسه على زلاقه فينحدر فيها

۱- نفس المصدر/ ۸۱.

۲- الفهرست/ ۲۱۴، و هديه العارفين ۱/ ۲۶۳ و معجم الادباء ۳/ ۵، و جاء اسمه فيهما حبيش بن موسى الضبى.

۳- تاريخ بغداد ۵/ ۴۰، و طبقات الشعراء/ ۲۴۲- ۲۴۳.

۴- الاغانى ۲۳/ ۱۹۷.

حتی یقع فی البرکه ثم یطرح الشبکه فیخرجه کما یخرج السمک و فی ذلک یقول أبو العبر فی بعض حماقاته(۱):

و یأمر بی الملک فیطرحنی فی البرک

و یصطادنی بالشبک کأنی من السمک

و قد نحا نحو أبی العبر ندیم آخر للمتوکل علی اللّه هو أبو العجل الذی کان من آدب الناس و احکمهم و اکملهم عقلا، عالما بالنحو و الشعر، عارفا بایام الناس و اخبارهم، و کان مع هذا مقترا علیه. فلما رأی ذلک تحامق و تجاهل، و هو الذی یقول(۲):

أیا عاذلی فی الحمق دعنی من العذل فانی رخی البال من کثره الشغل

فاصبحت فی الحمقی أمیرا مؤمراو ما أحد فی الناس یمکنه عزلی

و صیر لی حمقی بفالا و غلمهو کنت زمان العقل ممتطیا رجلی

و لما صار المتوکل علی اللّه الی دمشق تلقاه أبو العجل راکبا علی قصبه و فی احدی رجلیه خف و فی الاخری نعل، و علیه دراعه و علی رأسه قلنسوه. فنظر الیه المتوکل علی اللّه فتبسم و قال: ویحک جننت بعدنا. فانشأ یقول(۳):

شه شه علی العقلل ما هو من شکللی

۱- نفس المصدر ۲۳/ ۲۰۱.

۲- طبقات الشعراء/ ۳۴۱.

۳- نفس المصدر/ ۴۵۳.

صاحبه مفلولس قلیل ذی الحیلل

قد استرحت من اللوام و العذلل

فما ابالی ما الذی قلت و ما قیل لی

و حمقی قد صیر ذا العالم خولاً للی

آمل ان یحملنی حمقی علی بغل

من عند ذا السیدو المنعم المفضل

أمیر دین المؤمنین المتوکل للی

فاستفرغ المتوکل علی اللّه ضحکا و امر له بخلعه و حمله، و وصله بعشره آلاف درهم.

و ثمه ندیم آخر للمتوکل علی اللّه غلب علیه خبث اللسان و الهزل هو محمد بن اسحاق الصمیری الملقب بأبی العنبس، و قد هاجی أکثر شعراء زمانه(۱). کان قاضیا فی الصمیره فنسب الیها.

و کان مع استعماله الهزل عارفا باحکام النجوم و له فیه کتاب یمدحه المنجمون. و عدد له ابن الندیم عددا من الکتب فی مواضیع مختلفه(۲). و للصمیری مع البحتری خبر طریف ماجن بین یدی المتوکل علی اللّه. اذ کان البحتری یوما ینشد المتوکل علی اللّه قوله:

۱- تاریخ بغداد ۱/ ۲۳۸.

۲- الفهرست/ ۲۲۲- ۲۲۳.

عن أی ثغر تبتسم و بأی طرف تحتکم

و کان من عاده البحتری اذا انشد تشدن و تزاور فی مشیه مره جائیا و مره القهقری، و یهز رأسه مره، و منکبه اخری، و یشیر بکمه و یقول احسنت و اللّه لا یحسن احد ان یقول مثله. فضجر الخلیفه من ذلک و قال للصمیری، اهجه علی نفس الروی، فقال أبو العنبس ارتجالا:

فی أی سلح ترتطم و بأی کف تلتقم

ادخلت رأسک فی الحرم و علمت انک تنهزم

فغضب البحتری و خرج. الا ان المتوکل علی اللّه ضحک کثیرا و أمر لأبی العنبس بعشره آلاف درهم(۱).

و یظهر من روایه أبی الفرج ان البحتری عزم اثر هذه الحادثه علی الخروج الی منبج بغیر اذن الخلیفه، اذ رأی ان العلم ضاع و ان الأدب هلک. فنصحه أحد أخوانه الا یفعل من هذا شیئا لأن الملوک تمزح باعظم مما جری، و اخذه الی الفتح بن خاقان، فشکا البحتری الیه، فقال له نحوا من ذلک و خلع علیه فسکن الی ذلک(۲).

و کان المتوکل علی اللّه أظهر فی مجالسه اللعب و المضاحک و الهزل. فاحضر أصحاب السماجه- المثلون الهزلیون- و استأنس بحرکاتهم. و یقول المسعودی لم یکن احد ممن سبقه من خلفاء بنی العباس ظهر فی مجلسه اللعب و المضاحک و الهزل، فانه

۱- معجم الادباء ۶/ ۴۰۴- ۴۰۶.

۲- الاغانی ۲۱/ ۵۳.

السابق الى ذلک، و اتبعه وزراؤه و المتقدمون من کتابه و قواده فی الطرب و المجون(۱). دخل اسحاق بن ابراهیم صاحب الشرطه یوما علی المتوکل علی اللّه و السماجه بین یدیه، و قد قربوا منه للقط الدراهم التی ینثرها علیهم. فلما رأی اسحاق ذلک ولی مغضبا.

و لما سأله المتوکل علی اللّه عما اغضبه، قال: عساک تتوهم ان هذا الملک لیس له من الأعداء مثل ما له من الأولیاء، تجلس فی مجلس یبتذلک فیه مثل هؤلاء الکلاب یتجذبون ذیلک و کل واحد منهم متنکر بصوره منکره، فما یؤمن ان یکون فیهم من احتسب نفسه دیانه أو نیه فاسده و طویه ردیه، فیثب بک. فقال له: لا تغضب، فو اللّه لا ترانی علی مثلها أبدا. و بنی للخلیفه بعد ذلک مجلس مشرف ینظر منه الی السماجه و حرکاتهم(۲).

۲- من مجالسه الأدبیه:

کان المتوکل علی اللّه یجلس فی بعض الأحیان الی ندمائه و جلسائه من أهل الأدب، لیستمع الی اخبار الاولین و بخاصه الخلفاء السابقین، و الی بعض الطرف و المناظرات الأدبیه أو اللغویه و النحویه. و قد ورد ذکر الخلیفه المأمون فی أحد المجالس، اذ ذکر القاضی یحیی بن اکثم فضائله و وصف علمه و معرفته و نباهته. فسأله المتوکل علی اللّه: کیف کان یقول فی القرآن؟ قال یحیی: کان یقول ما مع القرآن حاجه الی علم فرض، و لا مع سنه الرسول صلی اللّه علیه و سلم وحشه الی فعل أحد، و لا مع البیان و الأفهام حجه لتعلیم، و لا بعد الجحود للبرهان و الحق الا السیف لظهور الحجه. فقال المتوکل علی اللّه: لم ارد منک ما ذهبت الیه من هذا المعنی. قال یحیی: القول بالمحاسن فی المغیب فریضه علی ذی النعمه. قال له: فما کان یقول خلال

۱- مروج الذهب ۴/ ۸۶.

۲- الدیارات/ ۳۹- ۴۰.

حدیثه؟ فان المعتصم باللّه کان یقول و قد انسیته. فقال یحیی: کان یقول: اللهم انی أحمدک علی النعم التی لا یحصیها أحد غیرک، و استغفرک من الذنوب التی لا یحیط بها الا عفوک. قال: فماذا کان یقول اذا استحسن شیئا أو یشر بشی ء؟ قال یحیی: کان یقول:

ان ذکر الاء اللّه و نشرها و تعداد نعمه و الحدیث بها فرض من اللّه علی اهلها، و طاعه لأمره فیها، و شکر له علیها، فالحمد للّه العظیم الآلاء السابغ النعماء بما هو اهله. فقال المتوکل علی اللّه: صدقت هذا هو الکلام بعینه، و هذا کله حکم ذی حنکه و علم(۱).

و کان المتوکل علی اللّه معجبا بالامام محمد بن ادریس الشافعی و کان یتمنی لو انه ادرک ایامه لیتعلم منه. و سمع عنه انه قال:

رأیت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی المنام و هو یقول: یا أیها الناس ان محمد بن ادریس المطلبی قد صار الی رحمه اللّه و خلف فیکم علما حسنا فاتبعوه تهدوا. ثم قال المتوکل علی اللّه: اللهم ارحم محمد بن ادریس رحمه واسعه، و سهل علی حفظ مذهبه و انفعنی بذلک. و یقول السیوطی: استفدنا من هذا ان المتوکل کان متمذهبا مذهب الشافعی، و هو أول من تمذهب من الخلفاء(۲).

و ذکر العالم النحوی أبو عثمان بکر بن محمد المازنی للمتوکل علی اللّه، و کان أخوه الواثق باللّه معجبا بعلمه و قد اکرمه کثیرا، فأمر بأشخاصه من البصره الی سامرا. یقول المازنی: لما دخلت الیه رأیت من العدد و السلاح و الاتراک ما راعنی، و الفتح بن خاقان بین یدیه. و خشیت ان سئلت عن مسأله الا أجیب فیها. فلما مثلت بین یدیه و سلمت قلت: یا أمیر المؤمنین أقول کما قال الاعرابی:

لا تقلواها و ادلواها دلواان مع الیوم أخاه غدوا(۳)

۱- الطبری ۹/ ۲۳۳.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۲.

۳- القلو: السیر العنیف، و الدلو السیر الرفیق.

فلم يفهم عنى ما اردت، و استبردت فأخرجت. ثم دعانى بعد ذلك و طلب الى ان أنشده أحسن مرثيه قالت العرب، فانشدته قول ابى ذؤيب:

امن المنون و ريبها تتوجع ..

و قصيده متمم بن نويره: لعمرى و ما دهرى بتأبين هالك ..

و قول كعب الغنوى: تقول سليمى ما بجسمك شاحبا ..

و قصيده محمد بن مناذر: كل حى لاقى الحمام فمودى ..

و كلما انشدته قصيده يقول ليست بشى ء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصره؟ قلت: عبد الصمد المعذل. قال: فانشدنى له. فانشدته أبياتا قالها فى القاضى ابن رباح، و هى:

يا قاضيه البصرهقومى فارقصى قطره

و قومى بروشنك فماذا البرد و الفتره

أراك قد تثيرين عجاج القصف يا حره

بتحذيفك خديك و تجعيدك للطره

فاستحسنها و استطار لها، و أمر لى بجائزه. فجعلت أحفظ أمثالها فانشده اذا وصلت اليه فيوصلنى(۱).

قال المبرد: حين فارقت البصره و اصعدت الى سامرا وردتها فى أيام المتوكل على اللّه. فاتصلت ببندار بن عبد الحميد الكرخى،

۱- معجم الادباء ۲/ ۳۸۶- ۳۸۷.

و كـان واحـد زمانه فى روايه شـعر العرب، و اصـح الناس معرفه باللغه. و له فى كل أسـبوع يوم يحضـر فيه مجلس المتوكل على اللّه.

فرفع امرى الى الفتح بن خاقان فوصـفنى للمتوكل على اللّه فأمر باحضارى الى مجلسه. و كان المتوكل على اللّه تعجبه الاخبار، و يروى صـدرا منها يمتحن بها من يراه بما يقع فيها من غريب اللغه. فلما دنوت من طرف بساطه اسـتدنانى حتى صـرت الى جانب بنـدار. فاقبل علينا و قال: يا بنـدار و يا ابن يزيـد ما معنى هـذه الاحرف التى جاءت فى هذا الخبر «ركبت الدجوجى و امامى قبيله فنزلت ثم شربت الصباح فمررت و ليس أمامى الا نجيم فرقصت أمامى فمنحت النحوص الخ ..»؟ فبقيت متحيرا. فقال بندار:

يا أمير المؤمنين فى هـذا نظر و رويه. قال: اجلتكما الى الغـد فانصـرفا و باكرانى غـدا. فخرجنا من عنده، فقال بندار: ان ساعدك الجـد ظفر بهـذا الخير فاطلب فانى طالبه. فانقلبت الى منزلى و قلبت الـدفاتر ظهرا لبطن حتى وقفت على هذا الخبر فى اثناء اخبار الاعراب فحفظته. و باكرت بندار فانهضـته معى و ذهبنا الى مجلس المتوكل على اللّه. فرويت الخبر ثم فسرت الفاظه. فالتفت الى بندار و قال: ابن يزيد فوق ما وصفتم، و امر باحضار الخازن، و امره بأن يقول للحاجب يسهل دخولى عليه(۱).

و اعتـاد المتوكل على اللّه ان يتخير لتأديب ولـده مشاهير رجال اللغه و الادب. فقـد اختار لتأديب ابنه طلحه الملقب بالموفق عالم الأنسـاب و الاخبار الزبير بن بكار. و لما ارسل يطلبه أمر له بعشـره آلاف درهم، و عشـره تخوت من الثياب، و عشـره بغال يحمل عليها رحله الى سامرا(۲).

و طلب مره الى قائده ايتاخ ان يتخذ بعض المؤدبين لولده.

فأمر ايتاخ كاتبه سليمان بن وهب ان يتولى ذلك. فبعث سليمان

۱- نفس المصدر ۲/ ۳۹۱- ۳۹۲.

۲- نشوار المحاضره ۴/ ۲۷۷- ۲۷۸.

الی عـدد من أدباء العصـر فاحضـرهم مجلسه. فجاء أبو جعفر النحوی أحمـد بن عبید اللّه بن ناصح و یعرف بابی عصـیده، و ابن قـادم و الأـحمر و غیرهم. فقعـد ابـو عصـیده فی آخر النـاس. فلمـا اجتمعـوا قـال لهم سـلیمان بن وهب: لـو تـذاکرتم وقفنـا علی موضعکم من العلم و اخترنا. فألقوا بینهم بیت ابن عنقاء الفزاری:

ذرینی انما خطأی و صوتی علی و انما انفقت مال(١)

فقالوا: أترفع مال بانما اذا کانت بمعنی الذی، ثم سکتوا.

فقـال احمـد بن عبیـد: هـذا الاعراب، فما المعنی؟ فاحجموا عن القول. فقیل له: فما المعنی عنـدک؟ قال: اراد مالومک ایای انما انفقت مالاـ و لیس عرضا و المال لا ألام علیه. فجاءه خادم من صـدر المجلس فاخـذ بیـده حتی تخطی به الی أعلاه، و قال لیس هـذا موضـعک. فقـال: لأـن أکون فی مجلس أرفع منه الی اعلاـه أحب الی من ان أکون فی مجلس أحـط عنه. فـاختیر هو و ابن قادم(٢).

٣- المتوکل علی اللّه و الشعراء:

کـان المتوکـل علی اللّه یحب سـماع الشـعر کثیرا و لاـ سـیما اذا کان فی مـدحه و مـدح أولاده، و یجزل العطاء لمن یمـدحه من الشعراء.

و قـد اتصـل به من الشـعراء الـذین کـانوا علی أیـامه عـدد من کبارهم و علی رأسـهم البحتری و علی بن الجهم و مروان بن ابی الجنوب، و اخرون غیرهم. و یظهر انه کان یعجبه ان یقول الشـعر فی بعض المناسـبات و لکنه لم یحسن ذلک. قال جعفر بن عبد الواحد الهاشمی:

١- جاء البیت فی نزهه الالباء/ ١٢٧: ذرینی انما خطأی و صوبی علی و ان ما انفقت مال و انه لابی غلفاء.

٢- معجم الادباء ١/ ٢٢١- ٢٢٢.

دخلت علی المتوکل علی اللّه لما توفیت امه، فقال لی: یا جعفر ربما قلت البیت الواحد فاذا جاوزته خلطت، و قد قلت(۱):

تذکرت لما فرق الدهر بیننافعزیت نفسی بالنبی محمد

فاجازه بعض من حضر المجلس بقوله:

و قلت لها: ان المنایا سبیلنافمن لم یمت فی یومه مات فی غد

و کان أبو عباده الولید الطائی البحتری عند قدومه الی سامرا اتصل بالفتح بن خاقان و مدحه و اهداه کتاب الحماسه الذی صنفه.

و قدمه الفتح الی الخلیفه المتوکل علی اللّه فاعجب بشعره و جعله من ندمائه و اغدق علیه. فکرس البحتری شعره له و لولده و رجال دولته، بحیث أصبح شاعر بلاط سامرا. و اقام فی سامرا فی رعایه المتوکل علی اللّه و من جاء بعده من الخلفاء. و من أوائل القصائد التی مدح بها المتوکل علی اللّه تلک التی قالها عند ما الغی الخلیفه القول بخلق القرآن، منها قوله(۲):

أمیر المؤمنین لقد سکناالی أیامک الغر الحسان

رددت الدین فذا بعد ما قداراه فرقتین تخاصمان

قصمت الظالمین بکل ارض فاضحی الظلم مجهول المکان

۱- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۲، و بدائع البدائه/ ۶ و جاء فیه صدر البیت الثانی: و قلت لها: ان المنایا ..

۲- القصیده فی دیوان البحتری ۴/ ۲۲۹۰- ۲۲۹۲.

و فی سنه رمت متجبریهم علی قدر بداهیه عوان

فما أبقت من «ابن دؤاد»سوی جسد یخاطب بالمعانی

و مدحه بقصیده من غرر شعره وصف بها خروجه الی الصلاه یوم العید، و مطلعها(۱):

أخفی هوی لک فی الضلوع و اظهرو ألام فی کمد علیک و اعذر

و یقول فیها:

اللّه مکن للخلیفه «جعفر»ملکا یحسنه الخلیفه «جعفر»

نعمی من اللّه اصطفاه بفضلهاو اللّه یرزق من یشاء و یقدر

فاسلم، أمیر المؤمنین، و لا تزل تعطی الزیاده فی البقاء و تشکر

عمت فواضلک البریه فالتقی فیها المقل علی الغنی و المکثر

بالبر صمت و انت افضل صائم و بسنه اللّه الرضیه تفطر

فانعم بیوم الفطر عینا، انه یوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملک فیه بجحفل لجب یحاط الدین فیه و ینصر

۱- القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۱۰۷۰- ۱۰۷۳.

و عند ما قتل المتوكل على اللّه رثاه بقصيده طويله و صديقه الفتح بن خاقان، جاء فى آخرها قوله(۱):

صريع تقاضاه السيوف حشاشهيجود بها و الموت حمر اظافره

أدافع عنه باليدين، و لم يكن ليثنى الاعادى اعزل الليل حاسره

و لو كان سيفى ساعه القتل فى يدى درى القاتل العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعد أو أرى دما بدم يجرى على الارض مائره

و هل يرتجى ان يطلب الدم واتريد الدهر، و الموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد أضمر غدرهفمن عجب ان ولى العهد غادره

فلا ملى الباقى تراث الذى مضى و لا حملت ذاك الدعاء منابره

أما الشاعر ابو الحسن على بن الجهم بن بـدر السامى فقد قربه المتوكل على اللّه و اتخذه نديما. و قد مدحه ابن الجهم بعديد من القصائد، منها تلك التى استبشر بها بتوليه الخلافه، و فيها يقول(۲):

قالوا أتاك الأمل الأكبرو فاز بالملك الفتى الأزهر

۱- القصيده فى ديوان البحترى ۲/ ۱۰۴۵- ۱۰۴۹.

۲- القصيده فى ديوان على بن الجهم/ ۲۶- ۲۷.

و اكتست الدنيا جمالا به فقلت قد قام اذا «جعفر»

ذاك الذى كانت الى ملكه أبصارنا طافحه تنظر

الآن فليهن لذيذ الكرى من كان تأميلا له يسهر

يا دارت الارض الدنى أصبحت اقطارها من نوره تزهر

قد كان مشتاقا الى خطبهمنك سرير الملك و المنبر

يا شهر ذى الحجه قد اصبحت تشبهك الأيام و الأشهر

و عند ما قتل المتوكل على اللّه رثاه متفجعا، بقصيده شنع فيها على مغتاليه، و تعتبر من أطول القصائد التى قالها فيه، و قد ختمها بقوله(۱):

عبيد أمير المؤمنين قتلته و اعظم آفات الملوك عبيدها

أما و المنايا ما عمرن بمثله القبور و ما ضمت عليه لحودها

أتتنا القوافى صارخات لفقده مصلمه أرجازها و قصيدها

۱- القصيده فى ديوان على بن الجهم/ ۵۶- ۶۴.

و من الشعراء الذین اشتهروا لتقربهم من الخلیفه المتوکل علی اللّه مروان بن ابی الجنوب و عند ما تولی المتوکل علی اللّه الخلافه کان مروان منفیا بالیمامه من أیام الواثق باللّه، فبعث الی قاضی القضاه أحمد بن أبی داود بقصیده مدحه فیها و هجا ابن الزیات، و کان قد مات فی حبس المتوکل علی اللّه، فلما ذکره ابن ابی دواد للخلیفه أمر بأن یحمل الی سامرا. فقدم مروان علی المتوکل علی اللّه و انشده قوله(۱):

رحل الشباب ولیته لم یرحل و الشیب حل ولیته لم یحلل

فلما بلغ الی قوله:

کانت خلافه جعفر کنبوهجاءت بلا طلب و لا بتمحل

و هب الا له لک الخلافه مثلماو هب النبوه للنبی المرسل

أمر بخمسین ألف درهم:

و مما مدح به مروان المتوکل علی اللّه قوله(۲):

بدوله جعفر حمد الزمان لنا بک کل یوم مهر جان

جعلت هدیتی لک فیه وشیاو خیر الوشی ما نسج اللسان

و من الشعراء الآخرین الذین امتدحوا المتوکل علی اللّه ابراهیم بن العباس الصولی، الکاتب الشاعر، و کان یتولی دیوان زمام

۱- الاغانی ۲۳/ ۲۱۰.

۲- العقد الفرید ۶/ ۲۸۶.

النفقات فی عهـد المتوکل علی اللّه(۱). و کان الخلیفه معجبا باسلوبه فی الکتابه و بمعانیه فی الشعر، فشـمله برعایته و جعله من ندمائه.

و من بـدیع شعر ابراهیم الصولی فی المتوکـل علی اللّه مـا قـاله یوم عقـد الخلیفه ولاـیه العهـد لأولیائه الثلاثه، و قـد اسـتأذنه فی الانشاد فاذن له فقال(۲):

أضحت عری الاسلام و هی منوطهبالنصر و الاعزار و التأیید

بخلیفه من هاشم و ثلاثهکنفوا الخلافه من ولاه عهود

قمر توافت حوله اقماره فحففن مطلع سعده بسعوده

رفعتهم الأیام و ارتفعوا به فسعوا باکرم انفس و جدود

فاستحسن المتوکل علی اللّه ذلک منه و أمر له بمائه ألف درهم.

و کان من الشعراء البارزین فی ایام المتوکل علی اللّه الشاعر الخلیع الحسـین بن الضحاک بن یاسر. الا انه کان قد تقدم به العمر و ضـعف بصـره. و کـان المتوکل علی اللّه معجبا بشـعره، و قال عنه مره: هو عنـدی أشـعر أهل زماننا و املحهم مـذهبا و اظرفهم نمطا(۳). فطلب الیه ان یلازمه و ینادمه، فلم یستطع لکبر سنه.

و قد بلغ الحسین ان أحد جلساء الخلیفه قال عنه: هو یطیق الذهاب الی القری و المواخیر و السکر فیها و یعجز عن خدمه الخلیفه. فرفع الی ابن حمـدون نـدیم الخلیفه بابیات و سأله ان یوصـلها الیه. فلما أوصـلها ابن حمدون قال للخلیفه: ان لو أطاق خدمه امیر المؤمنین

۱- الطبری ۹/ ۱۶۲.
۲- الاغانی ۱۰/ ۶۴- ۶۵.
۳- الاغانی ۷/ ۱۷۰.

لکـان اسـعد بهـا. فقـال له الخلیفه: صـدقت. و امر لابن الضـحاک بعشـرین ألف درهم حملها ابن حمـدون الیه. و کانت الابیات هی(۱):

أما فی ثمانین وفیتهاعذیر و ان انا لم اعتذر

فکیف و قد جزتها صاعدامع الصاعدین بتسع اخر

الی أن یقول:

قد بسط اللّه لی عذره فمن ذا یلوم اذا ما عذر

و انی لفی کنف مغدق و عز بنصر ابی المنتصر

یباری الریاح بفصل السماح حتی تبلد او تنحسر

له أکد الرحی میراثه و من ذا یخالف وحی السور

و ما للحسود و اشیاعه و من کذب الحق الا الحجر

و قال الحسین فی رثاء المتوکل علی اللّه(۲):

۱- نفس المصدر ۷/ ۲۲۵- ۲۲۶.

۲- اشعار الخلیع/ ۱۱۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۴، و فیه البیتان الاخیران فقط، و الطبری ۹/ ۲۳۰ و فیه ان ابا الوارث قاضی نصیبین قال: رأیت فی النوم اتیا یقول: یا نائم العین الخ .. مع تغییر فی بعض الکلمات.

یا نائم اللیل فی جثمان یقظان ما بال عینک لا تبکی بتهتان

ان اللیالی لم تحسن الی أحدالا اساءت الیه بعد احسان

اما رأیت خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمی و بالفتح بن خاقان

و کانت فضل جاریه المتوکل علی اللّه شاعره، و قد قالت بعض الشعر فیه. و هی من مولدات البصره، کانت حسنه الوجه و القوام، علی جانب کبیر من الفصاحه و سرعه البدیهه، و قد طبعت علی قول الشعر. و قد أهداها الی الخلیفه المتوکل علی اللّه أحد أعیان الدوله محمد بن الفرج الرخجی. فلما أدخلت علیه قال لها: أشاعره انت یا فضل؟ قالت: کذا یزعم من باعنی و اشترانی. فضحک و قال:

انشدینا شیئا من شعرک، فقالت علی البدیهه(۱):

استقبل الملک أمام الهدی عام ثلاث و ثلاثینا

خلافه افضت الی جعفرو هو ابن سبع بعد عشرینا

انا لنرجو یا امام الهدی أن تملک الناس ثمانینا

فقال الخلیفه للشاعر علی بن الجهم، و کان حاضرا مجلسه؛ قل بیتا من الشعر لتجیزه. و کان ذلک امتحانا لها. لأن القدره علی النظم فی الحال، و الاجازه، أی اکمال الشعر الناقص المعنی، یدل

۱- الاغانی ۱۹/ ۳۰۲، و المنتظم ۵/ ۷، مع بعض التغییر.

على الموهبه الشعريه و قوه البديهه و سرعه الفهم و الاحاطه بالمعنى.

فقال ابن الجهم(۱):

لاذ بها يشتكى اليهافلم يجد عندها ملاذا

فارقت فضل هنبهه، ثم قالت:

و لم يزل ضارعا اليهاتهطل اجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقافمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل على اللّه و قال: احسنت و حياتى يا فضل، و أمر لها بألفى دينار.

و كانت فضل تساجل الشعراء و الادباء. و مما قالته فى المتوكل على اللّه(۲):

قد بدا شبهک يا مولاى يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانات اعتناق و التثام

قبل أن تفضحنا عوده أرواح النيام

و مما قالته بعد مقتل المتوكل على اللّه، و قد سألها أحدهم صبيحه اغتياله عما نزل بهم البارحه، فقالت و هى تبكى(۳):

۱- المنتظم ۵/ ۷، و الاغانى ۱۹/ ۳۱۲- ۳۱۳ و فيه ان الخليفه اجازها بمائتى دينار.

۲- الاغانى ۱۹/ ۳۰۷، و فوات الوفيات ۲/ ۲۵۴- ۲۵۵، مع بعض التغيير.

۳- الاغانى ۱۹/ ۳۱۰، و الزحل: الثأر.

ان الزمان بزحل كان يطلبناما كان أغفلنا عنه و اسهانا

مالى و للدهر قد اصبحت همته مالى و للدهر ما للدهر لا كانا

۴- المتوكل على اللّه و مجالسه الغنائيه:

نهج المتوكل على اللّه مع المغنين نهج أبيه و أخيه، فرعى أرباب الموسيقى و الغناء و اغدق عليهم، و شجعهم على الارتقاء بهذا الفن الذى تهفو اليه الأرواح و تطيب له النفوس. و قد ألف له حسن بن موسى النصبى كتاب الاغانى، ذكر فيه أشياء لم يذكرها اسحاق الموصلى و عمرو بن بانه فى كتابيهما، و ضمنه كل طريف و غريب من الأغانى و أسماء المغنين و المغنيات قبل الاسلام و بعده(۱). و كان بنان ضارب العود و زنام الزامر لا_ نظير لهما فى فنهما، و اذا ما اجتمعا على الضرب و الزمر احسنا و فتنا و اعجبا، و قد انقطعا الى المتوكل على اللّه لا يغيبان عن مجلس غنائه، و كان لا يشرب الا على سماعهما، و فيهما قال البحترى(۲):

هل العيش الا ماء كرم مصفق يرقرقه فى الكأس ماء غمام

و عود بنان حين ساعد شدوه على نغم الالحان ناى زنام

و كان المتوكل على اللّه، رغم سرعه تبدل مزاجه، محبا للغناء مشوقا الى سماعه. و يظهر انه كان يود لو انه يحسن التلحين و الغناء مثل أخيه الواثق باللّه، الا انه لم تكن له تلك القابليه. قال

۱- الفهرست/ ۲۱۴.

۲- ثمار القلوب/ ۱۵۵.

علی بـن الجهم انصـرفت لیله من عنـد المتوکـل علی اللّه، فلمـا دخلت منزلی جـاءنی رسـوله یطلبنی فراعنی ذلـک. فرجعت الیه وجلا، فادخلت علیه و هو فی فراشه. فلما رآنی ضحک، فایقنت بالسلامه.

فقال: یا علی أنا مذ فارقتک ساهر و قد خطر علی قلبی هذا الشعر الذی کان یغنی فیه أخی قول الشاعر: قلبی الی ما ضرنی داعی ..

فحرصت أن أعمـل مثـل هـذا فلاـ یجیئنی، أو أن أعمل مثل اللحن فما أمکننی، فوجـدت فی نفسـی نقصا. فقلت: یا سـیدی کان أخوک خلیفه یغنی و انت خلیفه لا تغنی. فقال: قد و اللّه أهدیت الی عینی نوما، اعطوه ألف دینار. فاخذتها و انصرفت(۱).

و دخل المتوکل مره الی احدی جواریه و هی تغنی:

أمن قطر الندی نظمت ثغرک أم من البرد

و ریقک من سلاف الکرم أم من صفوه الشهد

أیا من قد جری منی کمجری الروح فی الجسد

ضمیرک شاهدی فیماأقاسیه من الکمد

فقال لها: ویحک لمن هذا الصوت؟ قالت: أخذته من مخارق.

قـال: فـالقیه علی الجواری جمیعـا، ففعلت. فلمـا اخـذته عنهـا أمر بـاخراجهن الیه و دعـا بالنبیـذ و أمر بألاـ یغنینه غیره ثلاـثه أیـام متوالیه(۲):

و کان اسـحاق الموصـلی کبیر مغنی عصـره قـد کف بصـره فی أواخر أیام الواثق باللّه، و اعتزل فی منزله ببغداد، فطلب المتوکل علی اللّه

۱- الاغانی ۸/ ۳۶۳.

۲- الاغانی ۸/ ۳۴۹- ۳۵۰.

احضاره الی سامرا. فلما دخل علیه رحب به و اجلسه أمام سریره علی مخده اکراما له و تقدیرا لمنزلته. فغناه اسحاق بشعره(۱):

ما عله الشیخ عیناه باربعهتغر ورقان بدمع ثم ینسکب

فطرب المتوکل علی اللّه و أمر له بمائه ألف درهم.

و خرج المتوکل علی اللّه یوما الی رقه بوصرا من قری بغداد، و کان یستطیبها لکثره طیورها المغرده، و کان معه اسحاق الموصلی فغناه:

أ أن هتفت و رقاء فی رونق الضحی علی فنن غض الشباب من الرند

بکیت کما یبکی الحزین صبابهو شوقا و تابعت الحنین الی نجد

فسر الخلیفه و قال له: یا اسحاق هذه اخت فعلتک مع الواثق باللّه لما غنیته:

طربت الی الاحیبیه الصغارو ذکرنی الهوی قرب المزار

فکم اعطاک لما اذن لک بالانصراف الی أهلک؟ قال: مائه ألف درهم. فأمر له بمثلها و اذن له بالانصراف. و کان هذا آخر عهده به، اذ توفی اسحاق بعد ذلک بشهرین. و لما بلغ المتوکل علی اللّه خبر نعیه حزن علیه و قال: ذهب صدر عظیم من جمال الملک و بهائه و زینته.

۱- الاغانی ۵/ ۴۱۴، و نهایه الارب ۵/ ۸- ۹ و فیه ان الخلیفه أمر له بمائه ألف دینار.

و كان عبـد اللّه بن العباس الربيعى الشاعر المغنى من المقربين الى المتوكل على اللّه و قد بره و وصـله كثيرا. قال عبد اللّه: سـمع المتوكل على اللّه لحنى فى شعرى الذى امتدحته فيه(۱):

الا اصبحانى يوم السعانين من قهوه عتقت بكركين

عند اناس قلبى بهم كلف و ان تولوا دينا غير دينى

قد زين الملك جعفر و حكى جود ابيه و بأس هارون

و أمن الخائف البرى كماأخاف أهل الالحاد فى الدين

فـدعانى، فلما جلست فى مجلس المنادمه طلب الى أن أغنيه هـذا الصوت. فغنيته، فقال لى: يا عبد اللّه أين غناؤك فى الشـعر فى أيامى هذه من غنائك فى:

أماطت كساء الخز عن حر وجههاو أدنت على الخدين بردا مهلهلا

و من غنائك:

أقفر بعد خله سرف فالمنحنى فالعقيق فالجرف

و من سائر صنعتك المتقدمه التى استفرغت محاسنك فيها.

فقلت له: يـا أمير المؤمنين انى كنت اتغنى فى هـذه الأـصوات ولى شـباب و طرب و عشق، و لورد على لغنيت مثـل ذلك الغناء. فاستحسن قولى و أمر لى بجائزه(۲).

۱- الاغانى ۱۹/ ۲۳۶- ۲۳۷.

۲- الاغانى ۱۹/ ۲۳۶- ۲۳۷.

و غاضبت قبيحه المتوكل على اللّه و هاجرته. فجلس مجلسا للغناء، و حضر الجلساء و المغنون و فيهم عبد اللّه بن العباس الربيعى، و كان قد عرف الخبر فقال هذا الشعر و غنى فيه(١):

لست منى و لست منك فدعنى و امض عنى مصاحبا بسلام

لم تجد عله تجنى بها الذنب فصارت تعتل بالأحلام

فاذا شكوت ما بى قالت قد رأينا خلاف ذا فى المنام

فطرب المتوكل على اللّه و أمر له بعشرين ألف درهم، و قال له:

ان فى حياتك يا عبد اللّه لأنسا و جمالا و بقاء للمروءه و الظرف.

و فضله على بقيه المغنين عند ما غناه ذات يوم:

أحب الينا منك دلا و ما يرى له عند فعلى من ثواب و لا أجر

فطرب و قال له: أحسنت و اللّه يا عبد اللّه، أما و اللّه لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنيا سواك أبدا(٢).

و دخل عبد اللّه الى المتوكل على اللّه فى أواخر شعبان، فانشده:

عللانى نعمتما بمدام و اسقيانى من قبل شهر الصيام

حرم اللّه فى الصيام التصابى فتركناه طاعه للأمام

١- نفس المصدر ١٩/ ٢٣٧- ٢٣٨.

٢- نفس المصدر ١٩/ ٢٥٢.

أظهر العدل فاستنار به الدين و احيا شرائع الاسلام

فأمر المتوكل على اللّه بالطعام فاحضر، و بالندماء و الجلساء، فاتى بهم. فاصطبح فغناه عبد اللّه فی هذه الابيات. فأمر له بعشره آلاف درهم(۱).

و قال عبد اللّه الربيعی كنت مقيما بسر من رأی و قد ركبنی دين ثقيل أكثره عينه و ربا، فقلت فی المتوكل على اللّه:

اسقيانی سحرا بالكبره ما قضى اللّه ففيه الخيره

أكرم اللّه الامام المرتضى و أطال اللّه فينا عمره

ان اكن أقعدت عنه هكذاقدر اللّه رضينا قدره

سره اللّه و أبقاه لناألف عام و كفانا الفجره

و بعثت بالأبيات اليه، و كنت مستترا من الغرماء. فقال لعبيد اللّه بن يحيى: وقع له: من هؤلاء الفجره الذين استكفيت اللّه شرهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبنی لهم أكثر مما اخذت منهم من الدين بالربا. فأمر عبيد اللّه ان يقضى دينی، و أن يحتسب لهم رؤوس أموالهم و يسقط الفضل، و ينادی بذلك فی سر من رأی حتى لا يقضى أحد أحدا الا رأس ماله. و سقط عنی و عن الناس من الأرباح زهاء مائه ألف دينار، كانت أبياتی هذه سببها(۲).

۱- نفس المصدر ۱۹/ ۲۵۶.

۲- الاغانی ۱۹/ ۲۵۷.

و من المغنین المحسنین الـذین غنوا للمتوکل علی اللّه المغنی البغـدادی الملقب بالمسـدود، لأنه کان مسـدود أحـد المنخرین و مفتوح الآخر. و قد وهب صوتا شـجیا و قدره فائقه علی تلحین الأغانی و لا سـیما الاهازیج. و کان کثیر التباهی علی ما وهب من قدره علی التلحین و الغناء، و یقول: لو کان منخری الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائی أهل الحلوم و ذوی الألباب، و شغلت من سمعه عن أمر دینه و دنیاه و معاشه و معاده(۱). و کـان بالاضـافه الی ذلـک حاضـر النـادره، جریئا فی الاجابه، مما کان یوقعه ببعض المـآزق. فقـد غضب الواثق بـاللّه علیه لکلمه قالهـا فیه فـأمر بنفیه من سـامرا الی عمـان. ثم مـا لبث أن عفا عنه(۲). و من أجـوبته القاسـیه انه غنی بین یـدی المتوکـل علی اللّه مره، فاسـکته و قال لمغن آخر أن یغنی، فقال المسـدود: أنا أحتاج الی مسـتمع. فلم یفطن الخلیفه الی ما قال، و الا کان عاقبه علی قوله(۳).

و کـان المسـدود من جمله المغنین الـذین غنـوا فی دعوه اعـذار المعـتز بن المتوکـل علی اللّه(۴). و لمـا طـال حبس ابراهیم بن المـدبر، و هو من رؤساء الـدواوین فی سامرا، و لم یجـد حیله للخلاص، عمل أبیاتا من الشـعر و انفـذها الی المسـدود و سأله أن یعمـل فیهـا لحنـا و یغنی بها المتوکل علی اللّه، و اذا سأله عن قائلها عرفه انها له. ففعل المسـدود ذلک. و لما سأله المتوکل علی اللّه. قال: لعبدک ابراهیم بن المدبر، فذکره المتوکل علی اللّه و اطلقه من سجنه، و الأبیات هی(۵):

بأبی من بات عندی طارقا من غیر وعد

۱- نفس المصدر ۲۰/ ۲۸۸.

۲- نفس المصدر ۲۰/ ۲۸۹- ۲۹۰.

۳- نفس المصدر ۲۰/ ۲۹۱.

۴- الدیارات/ ۱۵۴.

۵- الفرج بعد الشده ۱/ ۱۲۳.

بات یشکو شده الشوق و اشکو فرط وجدی

و تجنی فبکی فانهل در فوق ورد

فید تحت ید طورا و خد فوق خد

و من المغنین المشهورین فی أیام المتوکل علی اللّه عمرو بن بانه بن سلیمان. و بانه اسم أمه و کان ینسب الیها. و أبوه من رجال الدوله و أحد کتابها، فنشأ هو علی حب الشعر و الغناء فصار مغنیا مجیدا.

و قد وضع کتابا فن الأغانی و المغنین(۱). و کان منزله ببغداد و یتردد علی سامرا.

و قد برع ابن بانه فی محاکاه من یأخذ عنهم و تقلیدهم. الا انه کان یذهب مذهب ابراهیم بن المهدی فی تغییر الاصول(۲). و رغم انه أخذ الغناء عن اسحاق الموصلی فقد خالفه فی الأداء و تعصب علیه. و قال له مره فی جدل جری بینهما: لیس مثلی یقاس بمثلک لأنک تعلمت الغناء تکسبا، و تعلمته انا تطربا، و کنت أضرب لئلا أتعلمه، و کنت تضرب حتی تتعلمه(۳).

و اختص عمرو بن بانه بالمتوکل علی اللّه الذی کان یأنس به فی مجالسه الغنائیه، و جعله من ندمائه. و طلب عمرو یوما من الخلیفه أن یأمر له بدار لضیق منزله. فامر الخلیفه وزیره عبید اللّه بن یحیی بان یبتاع له منزلا یختاره. و کان هذا فی أواخر شعبان، و قد شغل عبید اللّه برمضان، فلم یتم شراء المنزل. و لما

۱- وفیات الاعیان ۳/ ۱۴۸.

۲- الاغانی ۱۵/ ۲۶۹.

۳- نفس المصدر ۱۵/ ۲۷۰.

آهل شوال حضر ابن بانه مجلس المتوكل على اللّه فغناه من شعره و تلحينه:

ملاک ربی الأعیاد تخلقهافی طول عمر يا سيد الناس

دفعت عن منزل أمرت به فاننی عنه مباعد خاس

فمر بتسليمه الى على رغم عدوى بحرمه الكاس

أعوذ باللّه و الخليفه ان يرجع ما قلته عن راس

فدعا الخليفه بعبيد اللّه و عاتبه لعدم ابتياع المنزل الذى أمره به. فاعتذر عبيد اللّه بدخول الصوم و تشعب الأعمال. فتقدم اليه ان لا يؤخر ابتياع ذلک اليه. فابتاع له دارا فی سر من رأى، و فيها توفی عمرو(۱).

لقد سبقت الاشاره الى المغنى أبى حشيشه الذى غنى لخلفاء سامرا. و كان المتوكل على اللّه يستخفه و يحب غناءه، و كانت الأصوات التى يشتهيها عليه عديده منها(۲):

أطعت الهوى و خلعت العذاراو باكرت بعد القراح العقارا

و نازعک الكأس من هاشم كريم يحب عليها الوقارا

فتى فرق الحمد أمواله يجر القميص و يرخى الازرارا

۱- نفس المصدر ۱۵/ ۲۷۴- ۲۷۵.

۲- الاغانی ۲۳/ ۷۹- ۸۰، و نهايه الارب ۵/ ۳۷.

رأى اللّه جعفر خير الأنام فملكه و وقاه الحذارا

و كان عثعث المغنى الاسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ فظهر منه جوده طبع و حسن أخذ و أداء، فعلمه الغناء و أدبه، فبرع فى صناعته. و صار من المغنين الذين اختص بهم المتوكل على اللّه. اذ كان أثيرا عنده، يأكل بين يديه، و لا يغيب عن مجالسه الغنائيه.

و كان حاضرا فى المجلس الذى قتل فيه المتوكل على اللّه، و قد اصابته ضربه فى رأسه، و هو من جمله من يروى عنهم الطبرى كيفيه قتل المتوكل على اللّه(۱).

قال عثعث: دخلت يوما على المتوكل على اللّه و هو مصطبح على البركه و ابن المارقى يغنيه قوله:

أقاتلتى بالجيد و القد و الخدو باللون فى وجه أرق من الورد

و قد طرب و استعاد الصوت مرارا و أقبل عليه. فصنعت هزجا فى شعر البحترى فى وصف البركه:

اذا النجوم تراءت فى جوانبهاليلا حسبت سماء ركبت فيها

و ان علتها الصبا ابدت لها حبكامثل الجواشن مصقولا حواشيها

و زادها زينه من بعد زينتهاان اسمه اليوم يدعى من أساميها

و لما سكت ابن المارقى اندفعت بالغناء. فأقبل على و قال لى: أحسنت و حياتى، أعد. فاعدت فشرب قدحا. و لم أزل أغنيه

۱- الطبرى ۹/ ۲۲۴- ۲۲۷.

و یشرب حتی اتکأ، ثم قال للفتح: بحیاتی أدفع الیه الساعه ألف دینار، و خلعه تامه، و أحمله علی شهری فاره بسرجه. فانصرفت بذلک جمیعا(۱).

۵- المتوکل علی اللّه و جواریه المغنیات:

عرف المتوکل علی اللّه بکثره جواریه، الا انه اختص ببعضهن ممن امتزن بجمال فائق، أو أدب بارع، أو غناء جمیل. و کانت محبوبه من جواریه المفضلات لدیه. و هی من مولدات البصره و کانت شاعره مطبوعه سریعه الخاطر، و جمیله تغنی غناء مقبولا. و قد أهداها عبد اللّه بن طاهر الی الخلیفه المتوکل علی اللّه فی جمله من الجواری.

فصارت أقرب جواریه الی نفسه فکان یجالسها أو یجلسها خلف الستاره اذا جلس مجلس شراب.

قال المتوکل علی اللّه یوما لشاعره علی بن الجهم انه دخل علی زوجته قبیحه فوجدها قد کتبت اسمه علی خدها بغالیه المسک، و طلب الیه ان یصف ذلک شعرا، و کانت محبوبه حاضره. فدعا ابن الجهم بدواه و اخذ یفکر فیما یقول. فانبرت تقول علی البدیهه:

و کاتبه بالمسک فی الخد جعفرابنفسی محط المسک من حیث أثرا

لئن کتبت فی الخد سطرا بکفهالقد اودعت قلبی من الحب اسطرا

فیا من لمملوک لملک یمینه مطیع له فیما أسر و أظهرا

۱- الاغانی ۱۴/ ۲۱۳.

و یا من مناها فی السریره جعفرسقی اللّه من سقیا ثنایاک جعفرا

فوجم علی بن الجهم لا ینطق بحرف. و أمر المتوکل علی اللّه بان تبعث الابیات الی عریب المغنیه لتلحنها حتی یغنی فیها(۱).

و قال علی بن الجهم: کنت عند المتوکل علی اللّه و هو یشرب، فدفع الی جاریته محبوبه تفاحه مغلفه فقبلتها، و انصرفت من حضرته. ثم بعثت الیه مع جاریه لها رقعه فیها شعر لها فی التفاحه المذکوره، هو:

یا طیب تفاحه خلوت بهاتشعل نار الهوی علی کبدی

أبکی الیها و اشتکی دنفی و ما الاقی من شده الکمد

لو ان تفاحه بکت لبکت من رحمتی هذه التی بیدی

ان کنت لا ترحمین ما لقیت نفسی من الجهد فارحمی جسدی

فاستظرفها الحاضرون، و أمر المتوکل علی اللّه أن یغنی فی هذا الشعر صوت شرب علیه بقیه یومه(۲).

و غضب المتوکل علی اللّه مره علی جاریته محبوبه و هاجرها.

فحاولت أن تترضاه فقالت الأبیات الاتیه و اخذت تغنیها و هی فی حجرتها(۳):

۱- الاغانی ۲۲/ ۲۰۰- ۲۰۱.

۲- نفس المصدر ۲۲/ ۲۰۱.

۳- نفس المصدر ۲۲/ ۲۰۳.

أدور فی القصر لا أری أحداأشکو الیه و لا یکلمنی

حتی کأنی رکبت معصیهلیست لها توبه تخلصنی

فهل لنا شافع الی ملک قد زارنی فی الکری فصالحنی

حتی اذا ما الصباح لاح لناعاد الی هجره فصارمنی

فلما سمعها المتوکل علی اللّه صالحها.

و لما قتل المتوکل علی اللّه حزنت علیه محبوبه حزنا شدیدا و قالت فیه مرات عدیده، منها قولها(۱):

أی عیش یطیب لی لا أری فیه جعفرا

ملکا قد رأته عینی قتیلا معفرا

کل من کان ذاهیام و حزن فقد برا

غیر محبوبه التی لو تری الموت یشتری

لأشترته بملکهاکل هذا لتصبرا

ان موت الکئیب اصلح من أن یعمرا

۱- الاغانی ۲۲/ ۲۰۲.

و يقال انها غنت القائد و صيف هذا الشعر فاشتد ذلک عليه فأمر بقتلها. الا ان القائد بغا استوهبها منه فوهبها له فاعتقها.

فخرجت من سامرا الى بغداد، ثم خمل ذکرها.

و کانت المغنيه فريده أثيره عند الواثق باللّه. فلما مات تزوجها المتوکل على اللّه. و کان يريدها ان تغنيه فتأبى وفاء للواثق باللّه.

فاقام يوما على رأسها خادما أمره بضربها أو تغنى. فاضطرت على الغناء له، و اندفعت تغنى:

مقيم بالمجازه من قنونى و اهلک بالا جيفر فالثماد

فلا تبعد فکل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الأرض، و مرت تعدو و هى تندب الواثق باللّه(۱).

و تجادلت عريب و خشف الواضحيه فى غناء عليه بنت المهدى بحضره المتوکل على اللّه. فقالت خشف: ان لها ثلاثه و سبعين صوتا.

فقالت عريب: هى اثنان و سبعون صوتا. فقال المتوکل على اللّه:

غنيا غناءها. فغنتاه و لم تزالا تغنيان غناءها حتى بلغتا اثنين و سبعين صوتا. و قد انسيت خشف الصوت الثالث و السبعين.

فاسقط فى يدها و تغلبت عريب. فلما کان الليل رأت خشف عليه فى نومها تقول لها ان الصواب معها و ذکرتها بالصوت الذى کانت أنسيت ان تغنيه و هو(۲):

بنى الحب على الجور فلوانصف المعشوق فيه لسمج

۱- نفس المصدر ۴/ ۱۱۸، و المجاز و قنونى و الاجيفر و الثماد مواضع فى جزيره العرب.

۲- نفس المصدر ۱۰/ ۱۷۴- ۱۷۵.

لیس یستحسن فی حکم الهوی عاشق یحسن تألیف الحجج

لا تعیبن من محب ذلهذله العاشق مفتاح الفرج

و قلیل الحب صرفا خالصالک خیر من کثیر قد مزج

فبکرت خشف الی المتوکل علی اللّه و ذکرت له القصه، فقال:

رحم اللّه علیه فما ترکت ظرفها حیه و میته. و اجاز المغنیه خشفا جائزه سنیه.

و کـان المتوکـل علی اللّه یقول: انـا ملـک السـلاطین، و الورد ملـک الریـاحین، فکل منا أولی بصاحبه. و حرم الورد علی جمیع النـاس و اسـتبد به، و قـال انه لاـ یصـلح للعـامه، فکـان الورد لا یری الا فی مجلسه. و کان فی أیام الورد یلبس الثیاب المورده، و یفرش الفرش المورد، و یورد جمیع الآلاـت. و اراد أن یشـرب مره علی الورد الا انه لم یکن موسـمه. فأمر بان تضـرب له دراهم رقیقه وزن کل منها حبتان و صـبغت بالحمره و الصـفره و السواد، و ترک قسم منها علی حالها. و تقدم الی الخدم و الحواشی ان یعـد کـل منهم قبـاء و قلنسـوه علی خلاـف لـون قبـاء الآـخر و قلنسوته، ففعلوا. ثم عمـد فی یوم تحرکت فیه الریـح الی الجلوس فنصـبت له قبه واسـعه اصـطبح فیها مع نـدمائه. و لبس الخـدم الکسوه التی اعـدوها. فأمر المتوکل علی اللّه بنثر الدراهم کما ینثر الورد، فنثرت بالتدریج، فکانت الریح تحملها فتقف بین السماء و الارض، و یکون لها منظرا جمیل مبهج.

فکان ذلک الیوم من أحسن أیام أنسه و أظرفها.

(۱)

۱- الدیارات/ ۱۶۰، و الذخائر و التحف/ ۱۲۱- ۱۲۲.

الفصل الرابع مجالس خلفاء سامرا الآخرين

۱– المنتصر باللّه و الشعر و الغناء:

المنتصر باللّه و الشعراء:

لم يكن المنتصر باللّه يحسن قول الشعر، و ما قاله منه على قلته كان ركيكا فى تركيبه، سطحيا فى معناه، و مما ينسب اليه قوله(۱):

متى ترفع الأيام من قد و ضعنه و ينقاد لى دهر على جموح

أعلل نفسى بالرجاء و اننى لأغدو على ما ساءنى و اروح

و يظهر من معنى هذين البيتين انه قالهما فى أواخر أيام أبيه المتوكل على اللّه، عند ما أخذ يسى ء معاملته و يهينه و يسمعه ما يكره، بحيث بات يتمنى الخلاص منه و ان يصير الأمر اليه.

و كان يزيد المهلبى أقرب الشعراء الى الخليفه المنتصر باللّه، و هو شاعر مجيد من بنى المهلب بن ابى صفره. و قد صاحب

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۷.

المنتصـر باللّه منذ ان كان أميرا و كان منقطعا اليه. و صادف أن رآه المتوكل على اللّه عند ابنه و سـمع كلامه و شعره فاعجب به و استحسـنه و جعله من جلسـائه. و اراد المنتصـر بـاللّه من المهلبى ان يلازمه كمـا كـان، فلم يقـدر على ذلـك لملازمته مجلس الخليفه، فعتب عليه. فلمـا افضت اليه الخلافه اسـتأذنه المهلبى فحجبه أول الامر، ثم ما لبث ان اذن له. فـدخل عليه و سـلم، فامره بالجلوس. ثم التفت المنتصر باللّه الى بنان بن عمرو المغنى و كان حاضرا، و قال له غن:

غدرت و لم أغدر و خنت و لم أخن و رمت بديلا و لم اتبدل

و هو شـعر من نظم المنتصـر باللّه نفسه. فغناه بنان، فعلم المهلبى انه اراده بذلك، فقال: و اللّه ما اخترت خدمه غيرك و لا صرت اليهـا الاـ بعـد اذنك. فقال المنتصـر باللّه: صـدقت، انما قلت هـذا مازحا، أترانى اتجاوز حكم اللّه عز و جل بقوله «و ليس عليكم جناح فيما اخطأتم»(۱). فاستأذنه المهلبى فى الانشاد فاذن له فانشده عده أبيات منها:

ألا يا قوم قد برح الخفاءو بان الصبر منى و العزاء

جفاتى سيد قد كان براو لم أذنب فما هذا الجفاء

حللت بداره و علمت أنى بدار لا يخيب بها الرجاء

أمنتصر الخلائف جدت فيناكما جادت على الارض السماء

۱- سوره الاحزاب، الايه: ۵

وسعت الناس عدلا فاستقاموا باحكام عليهن الضياء

و ليس يفوتنا ما عشت خير كفانا أن يطول لك البقاء

فاستحسن المنتصر باللّه قوله، و أكد له انه لا يزال من ذوی ثقته، و موضع اختياره، و طيب نفسه، و وصله بثلاثه آلاف دينار(۱).

و لما هنأه بتوليه الخلافه بقوله:

ليهنك ملك بالسعاده طائره موارده محموده و مصادره

فأنت الذی كنا نرجی فلم نخب كما يرتجی من واقع الغيث باكره

بمنتصر باللّه تمت أمورناو من ينتصر باللّه فاللّه ناصره

أمر المنتصر باللّه عريبا المأمونيه ان تغنی نشيدا فی أول الأبيات، و تجعل البسيط فی البيت الأخير، فعملته و غنته فيه(۲).

و صلی المنتصر باللّه صلاه عيد الأضحی سنه ۲۴۷ ه، فانشده يزيد المهلبی عند انصرافه من الصلاه، قوله:

ما استشرف الناس عيدا مثل عيدهم مع الامام الذی باللّه ينتصر

غدا بجمع كجنح الليل يقدمه وجه أغر كما يجلو الدجی القمر

۱- الاغانی ۹/ ۳۰۲- ۳۰۳.

۲- الاغانی ۹/ ۳۰۴.

یؤمهم صادع بالحق أحکمه حزم و علم بما یأتی و ما یذر

لو خیر الناس فاختاروا لأنفسهم أخط منک لما نالوه ما قدروا

فأمر له بألف دینار. و طلب من المغنی ابن المکی ان یغنی هذه الأبیات(۱).

و من الأدباء الـذین کان المنتصر ینادمهم الأدیب الضریر أبو العنیاء محمد بن القاسم بن خلاد. و قد سأله المنتصر باللّه یوما: ما أحسن الجواب؟ قال: ما اسکت المبطل و صیر الحق. فقال له:

أحسنت و اللّه(۲).

أما الشاعر البحتری فقد ابتعد عن بلاط المنتصر باللّه لانه کان یتهمه بالاشتراک فی مؤامره اغتیال أبیه. الا ان سیاسه المنتصر باللّه الودیه تجاه العلویین جعلت لسان البحتری ینطلق بمدحه بقصیده جاء فی أولها قوله(۳):

حججنا البنیه شکرا لماحیانا به اللّه فی المنتصر

من اللحم عند انتقاض الحلوم و الحزم عند انتقاض المرر(۴)

تطول بالعدل لما قضی و أجمل فی العفو لما قدر

۱- نفس المصدر.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۱۷۷.

۳- کامل القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۸۴۸- ۸۵۱.

۴- المرر جمع مره. و هی اصاله العقل و قوه الخلق.

و دام على خلق واحدعظيم الغناء جليل الخطر

المنتصر باللّه و الغناء:

ذكر أبو الفرج الخليفه المنتصر باللّه فى الفصل الخاص بالمغنين من الخلفاء و أولادهم، و أورد بعضا من ألحانه، و قال عنه: انه كان حسن العلم بالغناء سماعا و انشادا، و قد اولع بذلك منذ ان كان أميرا، فاذا قال شعرا لحنه و طلب الى المغنين ان يغنوه، حتى شاعت بعض ألحانه. و مما اشتهر منها:

سقيت كأسا كشفت عن ناظرى الخمرا

فنشطنى و لقدكنت حزينا خاثرا

و رغم ضعف الشعر تركيبا و معنى فقد غنى به و تداوله الناس(۱).

و نسب اليه المسعودى الشعرين التاليين، و قد غناه بهما بنان بن عمرو المغنى فى ثانى يوم من العيد الاضحى. و كان المنتصر باللّه قد صلى بالناس، و هما قوله(۲):

رأيتك فى المنام أقل بخلاو أطوع منك فى غير المنام

فليت الصبح باد و لا نراه و ليت الليل اخر ألف عام

۱- الاغانى ۹/ ۳۰۰.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۱- ۱۳۲.

و لو ان النعاس يباع بيعالأغليت النعاس على الأنام

و قوله فى نفس المعنى:

انى رأيتک فى المنام کأنماأعطيتنى من ريق فيک البارد

و کأن کفک فى يدى و کأنمابتنا جميعا فى لحاف واحد

ثم انتبهت و معصماک کلاهمابيدى اليمين و فى يمينک ساعدى

فظللت يومى کله متراقدالأراک فى نومى و لست براقد

الا انه عند ما استخلف ترک الغناء و التلحين، و منع اظهار ما سبق ان صنعه من شعر و الحان، غير انه لم يترک السماع(۱).

فکان کثيرا ما يطلب الى المغنين الذين يرتادون مجلس انسه و لهوه کبنان بن عمرو و عريب المأمونيه و ابن المکى، ان يغنوا بعض الاشعار التى تقال فيه و يمتدح بها. کما حدث فى الشعر الذى قاله فى مدحه الحسين بن الضحاک و يزيد المهلبى.

و قد استدعى المنتصر باللّه يوما عبد اللّه بن العباس المغنى الشاعر و طلب اليه ان يصنع لحنا فى شعر کان قاله، و کان عبد اللّه قد اقسم ألا يغنى فى شعر المنتصر باللّه، فأطرق مليا، ثم غنى شعرا قاله للوقت، هو:

يا طيب يومى فى قراح النرجس فى مجلس ما مثله من مجلس

۱- الاغانى ۹/ ۳۰۱.

تسقی مشعشعه کأن شعاعهانار تشب لبائس مستقبس

فسمعه المنتصر باللّه و لم یصله بشی ء(۱). و یظهر انه لم یکن مقربا الیه. فقد روی أحمد بن المرزبان، صاحب المنتصر باللّه و ندیمه، ان عبد اللّه جاءه مره یسأله فی عرض رقعه له علی الخلیفه، فعرضها، و تردد المنتصر باللّه فی اجابته الی طلبه، حتی کلمه ابن المرزبان فیه، فأمر بقضائها(۲).

و غنی بنان بن عمرو بین یدیه شعرا لمروان بن أبی حفصه هو:

هل تطمسون من السماء نجومهابأکفکم أو تسترون هلالها

فقال له المنتصر باللّه: ایاک ان تغنی بحضرتی فی هذا الصوت و اشباهه، فما أحب أن أسمع أشعار آل أبی حفصه(۳). و حاول مروان ان یترضی المنتصر باللّه فاستأذنه للدخول علیه، فقال: و اللّه لا اذنت للکافر ابن الزانیه، قولوا له لا وصلت الی أبدا. فلما بلغ هذا القول ابن أبی حفصه عمل الشعر الآتی:

لقد طال عهدی بالامام محمدو ما کنت أخشی أن یطول به عهدی

فاصبحت ذا بعد و داری قریبهفیا عجبا من قرب داری و من بعدی

رأیتک فی برد النبی محمدکبدر الدجی بین العمامه و البرد

۱- الاغانی ۱۹/ ۲۳۷.

۲- نفس المصدر.

۳- الاغانی ۹/ ۳۰۵.

و سأل بنان بن عمرو فصنع فیه لحنا و غنی به المنتصر باللّه، فلما سمعه سأل عن قائله. فقیل له انه لمروان بن أبی حفصه.

قال: أما الوصول الی فلا سبیل الیه، و لکن أعطوه عشره آلاف درهم یتحمل بها الی الیمامه(۱). فکأن ابن أبی حفصه سعی الی حتفه بنفسه، اذ جعل المنتصر باللّه یتذکره و یأمر بنفیه الی الیمامه. و کان سبب غضبه علیه ان ابن ابی حفصه کان یتقرب الی المتوکل علی اللّه بما یصنعه من شعر یهجو به آل أبی طالب، و ذلک ما لم یکن یرتضیه المنتصر باللّه، مما احفظه علیه.

و روی عن یزید المهلبی انه قال: غنی بنان بن عمرو یوما فی مجلس المنتصر الصوت الآتی:

یا ربه المنزل بالبرک و ربه السلطان و الملک

تحرجی باللّه من قتلنالسنا من الدیلم و الترک

فضحکت. فقال لی المنتصر باللّه: مم ضحکت؟ قلت: من شرفه قائل هذا الشعر، و شرف من عمل اللحن فیه، و شرف مستمعه.

قال: و ما ذاک؟ قلت: الشعر فیه للرشید، و الغناء لعلیه بنت المهدی، و أمیر المؤمنین مستمعه. فاعجبه ذلک، و ما زال یستعیده(۲).

و کان المنتصر باللّه یستهتر احیانا فی لهوه و عبثه. فقد أراد أن یشرب یوما فی الزقاق علانیه أمام الناس، فوافوا من کل جهه لیروه.

ثم سار الی شاطیء دجله و توقف عنده، فصرف الناس. و اختلی بالندماء و المغنین و من یصلح للأنس و الخدمه(۳). و لعل ما دفعه الی

۱- الاغانی ۲۳/ ۲۰۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۰.

۲- الاغانی ۱۰/ ۱۶۸.

۳- بقیه المسامره فی مروج الذهب ۴/ ۱۵۶- ۱۵۸.

مثل هذا السلوک، و هو الشرب و اللهو جهارا أمام الناس هو رغبته فی التنفیس عما کان یقاسیه من آلام نفسیه بسبب شعوره بالذنب من جراء اشتراکه فی التآمر علی أبیه.

۲- المستعین باللّه و الشعراء و الندماء:

کان عهد الخلیفه المستعین باللّه مفعما بالأحداث. فقد توالت هجمات الروم علی الثغور العربیه خلال السنه الأولی من حکمه، و اشتد الصراع و التنافس بین القواد الأتراک انفسهم من جهه، و بینهم و الخلیفه من جهه أخری، لا سیما عند ما قتل القائد او تامش الموالی للخلیفه. و خرج فی السنتین التالیتین بعض الزعماء الطالبیین فی الکوفه و طبرستان. و عند ما قتل القائد باغر الترکی اشتد الخلاف بین القواد الاتراک، مما اضطر المستعین باللّه علی مغادره العاصمه سامرا و الانحدار الی بغداد مع مناصریه من القواد الاتراک. و تلی ذلک خلعه و مبایعه المعتز باللّه بدلا عنه فی سامرا.

ثم نشوب الحرب بین جیش المعتز باللّه و جیش المستعین باللّه و انتهائها بتنازل المستعین باللّه عن الخلافه.

و هکذا کانت المده التی أمضاها المستعین باللّه فی الخلافه ملیئه بالاضطرابات و الحروب، مما جعله یصرف کل وقته و جهوده فی مجابهتها. و لم یبق له متسع لیستمع الی المغنین و الشعراء، او یتمتع بمجالسه الندماء، الا فی النزر الیسیر.

کان المستعین باللّه حسن المعرفه بایام العرب و اخبارهم. قال أبو البیضاء مولی جعفر الطیار، و کان من الرواه: وفدنا فی أیام المستعین باللّه من المدینه الی سامرا، و فینا جماعه من الطالبیین و غیرهم من الانصار. فاقمنا ببابه نحوا من شهر، ثم وصلنا الیه.

و تکلم کل منا فأنس الخلیفه بنا و ابتدأ یذکر مکه و المدینه و اخبارهما. و کنت أعرف الجماعه بما شرع فیه فقلت: أ یأذن

أمير المؤمنين فى الكلام؟ قال: ذاك اليک. فشرعت معه فيما قصد اليه. و تسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم فى اخبار الناس، ثم انصرفنا. و اقيم لنا الانزال و الافضال. فلما كان فى أول الليل جاءنى خادم و معه عده من الأتراک و الفرسان، فحملت على جنيبه كانت معهم، و اتى بى الى المستعين باللّه. فاذا هو جالس فى الجوسق، فقربنى و ادنانى، ثم أخذ بعد ان آنسنى، فى اخبار العرب و أيامها، و انتهى بنا الكلام الى اخبار العذريين و المتيمين، فقال لى: ما عندک من اخبار عروه بن حزام و ما كان منه مع عفراء؟

فقلت: يا أمير المؤمنين ان عروه بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفى وجدا بها و صبابه اليها. فمر به ركب فعرفوه.

فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم:

ألا أيها القصر المغفل أهله نعينا اليكم عروه بن حزام

ففهمت عفراء صوته و اشرفت عليه، و قالت:

ألا أيها الركب المجدون ويحكم بحق نعيتم عروه بن حزام؟

فاجابها رجل من القوم:

نعم قد تركناه بارض بعيدهمقيما بها فى سبسب و آكام

فقالت لهم:

فان كان حقا ما تقولون فاعلموابأن قد نعيتم بدر كل ظلام

ثم سألتهم أين دفنوه، فاخبروها، فصارت الى قبره فلما رأته نزلت و انسلت اليه فأكبت عليه، فما راعهم الا صوتها، فبادروا

الیها فاذا هی ممتده علی القبر و قد ماتت، فدفنوها الی جانب قبره ۱۷.

و قـد مـدح البحتری الخلیفه المسـتعین باللّه عند تولیه الخلافه بقصـیده ذم فیها الوزیر أحمد بن الخصـیب و اسـتعداده علیه، منها قوله(۱):

ما الغیث یهمی صوب اسباله و اللیث یحمی خیس اشباله(۲)

کالمستعین المستعان الذی تمت له النعمی بافضاله

تلو رسول اللّه فی هدیه و ابن النجوم الزهر من آله

و یحفظ الملک باشرافه علی نواحیه و اطلاله

لابن الخصیب الویل کیف انبری بافکه المردی و ابطاله

کاد امین اللّه فی نفسه و فی موالیه و فی ماله

و رام فی الملک الذی رامه بغشه فیه و ادغاله(۳)

فانزل اللّه به نقمهغیرت النعمه من حاله

۱- القصیده فی دیوان البحتری ۳/ ۱۶۳۶- ۱۶۳۸.

۲- خیس الاسد: عرینه.

۳- الادغال: ادخال ما یخالف الشی ء و یفسده.

ثم یقول:

ففرحه الناس بادباره کغیظهم کان باقباله

یا ناصر الدین انتصر موشکامن کائد الدین و مغتاله

و الرأی کل الرأی فی قتله بالسیف و استصفاء أمواله

و کان المستعین باللّه قد استوزر بعد مقتل او تامش و کاتبه شجاع أبا صالح محمد بن یزداد، فمدح البحتری الخلیفه بقصیده أثنی فیها علی وزیره الجدید بعد أن اشار الی سوء سیره أو تامش و کاتبه، منها قوله(۱):

لقد سرنی أن العواقب روعت عداکم برأسی تامش و شجاع

و کان خبیثی ظاهر و سریرهلکم، و قبیحی رؤیه و سماع

أقاما قرینی غیه و ضلالهو باتا قتیلی غره و ضیاع

و قد أمرا بالرشد حینا فعاصیاو کم آمر بالرشد غیر مطاع

فقل للامام المستعین الذی له تراث قصی من علا و مساع

أقم بابن یزداد الامور فانه لها خیر و ال تصطفیه و راع

۱- دیوان البحتری ۲/ ۱۲۴۲.

امانه صدر و اضطلاع کفایهو صحه عزم و اتساع ذراع

و عنـد ما ترک المسـتعین باللّه حاضـره الخلافه الی بغداد استصـحب معه محمد بن الواثق باللّه و غفل عن أن یأخذ معه المعتز و المؤیـد ولدی المتوکل علی اللّه. فلما نزل ببغداد علی محمد بن عبد اللّه بن طاهر خلیفته فیها، قال له محمد: یا أمیر المؤمنین این المعتز و المؤید؟

قال: بسر من رأی. قال محمد: فجری علی لسانی ان قلت شعر زهیر:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتهافلاقت بیانا عند آخر معهد

دما حول شلو تحجل الطیر حوله و بضع لحام و اهاب مقدد

و معنی البیتین: اضاعت البقره ولدها اذ غفلت عنه بالرعی، فلم تغفر لها السـباع غفلتها و افترست ولدها، فشـهدت دماءه عند آخر موضع فارقته فیه، و رأت بقیه جسده و جلده و الطیور تحوم حولها(۱).

کما تنبأ عن مصیر المستعین باللّه عند شخوصه الی بغداد، أبو علی أحمد بن الحارث الیمامی، فقال(۲):

ما زال الا لزوال ملکه و حتفه من بعده و هلکه

و من الشعراء الذین امتدحوا المستعین باللّه محمد بن عبد اللّه بن داود الهاشمی المعروف باترجه، فقد قال(۳):

۱- الهفوات النادره/ ۱۹- ۲۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۲.

۳- تاریخ بغداد ۵/ ۸۵.

غدوت بسعد غره لک باکرهفلا زالت الدنیا بملکک عامره

و نال موالیک الغنی بک ما بقواو عزوا و عزت دوله لک ناصره

بعثت علینا غیث جود و رحمهفنلنا بدنیا منک فضلا و آخره

فلا خائف الا بسطت امانه و لا معدم الا سددت مفاقره

تبین بفضل المستعین- بفضله علی غیره- نعماء فی الناس ظاهره

و یقول الشاعر عند ما انشدته الشعر دفع الی خریطه کانت فی یده مملوءه دنانیر، و دعا بغالیه و جعل یغلفنی بیده.

و کان أهل بغداد قد احبوه و مالوا الیه. و عند ما علموا بامر خلعه و ثبت العامه بمحمد بن عبد اللّه بن طاهر و تذمرت علیه(۱).

و قال أحد الشعراء البغدادیین فی خلعه شعرا یعکس شعور أهل بغداد نحوه، اذ یقول(۲):

انی أراک من الفراق جزوعاأمسی الأمام مسیرا مخلوعا

و غدا الخلیفه أحمد بن محمدبعد الخلافه و البهاء خلیعا

کانت به الأیام تضحک زهرهو هو الربیع لمن أراد ربیعا

۱- الطبری ۹/ ۳۳۸.

۲- الطبری ۹/ ۳۵۰- ۳۵۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۷.

فازاله المقدور من رتب العلافثوى بواسط لا يحس رجوعا

و قد اكثر الشعراء القول عند ما خلع المستعين باللّه نفسه و بايع للمعتز باللّه، و كلها تؤكد ضعفه و استسلامه لتسلط الأتراك، و تظهر الارتياح لخلافه المعتز باللّه. فقد قال البحترى يمتدح الخليفه المعتز باللّه و يهجو المستعين باللّه عند نفيه الى واسط بعد ما اضطر على التنازل عن الخلافه، منها قوله(۱):

ألا هل اتاها أن مظلمه الدجى تجلت و أن العيش سهل جانبه

و أنا رددنا المستعار مذمّاعلى أهله، و استأنف الحق صاحبه

عجبت لهذا الدهر أعيت صروفه و ما الدهر الا صرفه و عجائبه

متى أمل الدياک ان تصطفى له عرى التاج أو تثنى عليه عصائبه

فكيف أدعى حق الخلافه غاصب حوى دونه ارث النبى أقاربه

بكى المنبر الشرقى اذ خار فوقه على الناس ثور قد تدلت غباغبه

الى أن يقول:

و لم يكن المعتز باللّه اذ سرى ليعجز و (المعتز باللّه) طالبه

۱- ديوان البحترى ۱/ ۲۱۳- ۲۱۸.

۳- المعتز باللّه و الشعر و الغناء:

بعد ان بویع المعتز باللّه بالخلافه دخل فی حرب مع المستعین باللّه استمرت ما یقرب من السنه. و ما أن انتهت الحرب حتی بدأ النزاع بینه و بین القواد الاتراک. و کانت الحرب قد استنزفت مالیه الدوله و اضعفت اقتصادها، فلم تعد ایرادات بیت المال تفی بنفقات الجند الأتراک، مما اثارهم علیه فاشتد صراعهم معه. علی ان هذه الظروف العسیره لم تمنع المعتز باللّه من ان یغتنم الفرصه لیجلس الی ندمائه و یستمع الی شی ء من الغناء، و الی اشعار بعض الشعراء.

کان للمعتز باللّه بعض المعرفه بصنعه الغناء، و قد ذکر ابو الفرج فی الفصل الذی عقده عن اغانی الخلفاء و اولادهم ان المعتز باللّه لحن الشعر التالی و غناه(۱).

لعمری لقد اصحرت خیلناباکناف دجله للمصعب

فمن یک منا یبت آمناو من یک من غیرنا یهرب

و انه کان ینظم شعرا و یلحنه، أو یترکه لمغنین آخرین. فقد انشد لنفسه یوما بعض الأبیات، منها قوله(۲):

انی قمرتک یا سؤلی و یا أملی أمرا مطاعا بلا مطل و لا علل

۱- الاغانی ۹/ ۳۰۵، و الشعر لعدی بن الرقاع قاله فی الوقعه التی کانت بین الخلیفه عبد الملک بن مروان و مصعب بن الزبیر بطسوج مسکن بالعراق، و قتل فیها مصعب.

۲- الاغانی ۹/ ۳۱۸.

حتی متی یا حبیب النفس تمطلنی و قد قمرتک مرات فلم تف لی

و طلب الی عریب المغنیه ان تغنیه، فلحنته و غنته:

و شرب المعتز باللّه فی مجلس عقده ببستان مملوء من زهر النمام و بینه شقائق النعمان. فدخل الیه یونس بن بغا، صدیقه و ألفه، و علیه قباء أخضر، فقال(۱):

شبهت حمره خده فی ثوبه بشقائق النعمان فی النمام

و قال لجلسائه و مغنیه: اجیزوا. فانبری بنان المغنی فقال:

و القد منه اذا بدا فی قرطق کالغصن فی لین و حسن قوام

فأمره المعتز باللّه ان یغنی فیه. فصنع فیه لحنا و غناه.

و استدعی المعتز باللّه یوما عبید اللّه بن عبد اللّه، و طلب الیه المقام عنده بسامرا، و قال عبید اللّه ان المعتز باللّه أرسل الی شاریه المغنیه ان تخرج فتعاللت علیه، فقال: عندی من یحب ان یسمعک، و احب لک و له ذلک، و لا بد من حضورک. فخرجت فجلست خلف الستاره، ثم قالت: لو لا الزائر ما جئنا، ثم غنت الصوت الآتی(۲):

غشیت المنازل بالأنعم کمنعرج الوشم فی الأعصم

ثم غنت بعده:

لقد راعنی للبین صوت حمامهعلی غصن بان جاوبتها حمائم

۱- الاغانی ۹/ ۳۱۸- ۳۱۹.

۲- الدیارات/ ۱۱۰- ۱۱۱.

فقال لی الخلیفه: کیف تسمع؟ قلت: اسمع شیئا حظ العجب منه أکثر من حد الطرب. فاستحسن هذا الکلام منی. ثم اسمعنی زمر زنام الزامر و قد ضعف و ارعش و ازمنه النقرس. و ارانی الآله التی عملها أحمد بن موسی المهندس من صفر یرسل فیها الماء فیسمع له زمر السرنای، ثم ادخلنی الی شباک و أمر أن یجمع بین الفیل و السبع فرأیتهما کیف یتواثبان، ثم قال لی: أذکر انی اریتک الیوم أربعه أشیاء طریفه فایهما أظرف عندک؟ قلت: غناء شاریه. فقال: صدقت.

و اصطبح المعتز باللّه فی أحد الایام و اقترح علی عریب صوتا فغنته، فاستحسن غناءها و سر به، فأمر له بثلاثین ألف درهم، و فرق علی الجلساء کلهم الجوائز و الخلع و الطیب، و کان الشعر الذی غنته لعلی بن الجهم، و هو(۱):

العین بعدک لم تنظر الی حسن و النفس بعدک لم تسکن الی سکن

کأن نفسی اذا ما غبت غائبهحتی اذا عدت لی عادت الی بدنی

و جلس یوما مجلس غناء و الجلساء و المغنون حوله، و قد أعد الخلع و الجوائز، و کان یونس بن بغا بین یدیه یسقیه. فدخل بغا و استأذن لأبنه لأن والدته علی فراش الموت، فأذن له فخرج. ففتر المعتز باللّه عن السماع و نعس فنام. و قام الجلساء و تفرق المغنون.

فلما عاد یونس مساء ورآه المعتز باللّه عاد الی الشرب و عاد الندماء و المغنون، فقال المعتز باللّه:

تغیب فلا أفرح فلیتک لا تبرح

۱- الاغانی ۱۰/ ۲۲۶- ۲۲۷.

و ان کنت عذبتنی بانک لا تسمح

فاصبحت ما بین ذین لی کبد تجرح

علی ذاک یا سیدی دنوک لی أصلح

ثم قال للمغنین غنوه. فجعلوا یفکرون، فقال السلیمان بن القصار الطنبوری: ویلک ألحان الطنبور أصلح و أخف فغن فیه أنت، فغناه فیه لحنا. فدفع الیه دنانیر الخریطه- و هی مائه دینار مکیه، و مئتان، مکتوب علی کل دینار منها «ضرب هذا الدینار بالجوسق لخریطه أمیر المؤمنین المعتز باللّه(۱).

و خرج المعتز باللّه یوما الی دیر مرمار تلبیه لدعوه راهب الدیر الذی قام بما یحتاجه موکب الخلیفه و مجلسه. و جاء بأولاد النصاری فخدموا المجلس أحسن خدمه. فسر المعتز باللّه سرورا عظیما، و وصل الراهب صله سنیه. ثم اعتاد الخروج الی هذا الدیر بین حین و آخر(۲).

کان المعتز باللّه یقول الشعر احیانا، لا سیما فی مجالسه الغنائیه کما أشرنا آنفا. و عند ما تمت له البیعه قال(۳):

توحدنی الرحمن بالعز و العلاأصبحت فوق العالمین أمیرا

و یقول أبو الفرج ان بنانا المغنی أضاف الی هذا البیت بیتا آخر، و جعل المخاطبه عن نفسه للمعتز باللّه و لحنه و غناه ایاه:

۱- الاغانی ۹/ ۳۱۹- ۳۲۰، و الدیارات/ ۱۶۷- ۱۶۸.

۲- الاغانی ۹/ ۳۲۱- ۳۲۲، و الدیارات/ ۱۶۵.

۳- الاغانی ۹/ ۳۲۲.

توحدک الرحمن بالعز و العلافانت علی کل الأنام أمیر

تقاتل عنک الترک و الخزر کلهاکأنهم أسد لهن زئیر

و نسب الی المعتز باللّه قوله(۱):

یموت الفتی من عثره بلسانه و لیس یموت المرء من عثره الرجل

و روی له ابنه عبد اللّه بن المعتز قوله(۲):

ألا حی الحبیب فدته نفسی بکأس من مدامه خانقینا

فانی قد بقیت مع اللیالی اقاسی الهم فی یده سنینا

و دخل الزبیر بن بکار علی المعتز باللّه، و هو محموم، فقال له:

انی قلت فی لیلتی هذه أبیاتا و قد اعیا علی اجازه بعضها، و انشد(۳):

انی عرفت علاج الجسم من وجعی و ما عرفت علاج الحب و الجزع

جزعت للحب و الحمی صبرت لهاانی لأعجب من صبری و من جزعی

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۵.

۲- الاغانی ۹/ ۳۲۲.

۳- بدائع البدائه/ ۱۲۹، و جاء بصیغه اخری فی الدیارات/ ۱۶۶. و الزبیر بن بکار راویه و عالم بأنساب العرب و اخبارها توفی سنه ۲۵۶ و کان یؤدب الموفق فی صغره.

من كان يشغله عن حبه وجع فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

فقال ابن بكار:

و ما أمل الحبيب، ليتنى أبدامع الحبيب، و يا ليت الحبيب معى

فأمر له على هذا البيت بألف دينار.

و كان جماعه من الشعراء قالوا فى المعتز باللّه، حين استقامت له الخلافه، أقوالا كثيره. فمن ذلك ما قاله محمد بن مروان بن أبى الجنوب من قصيده(۱):

قد عادت الدنيا الى حالهاو سرنا اللّه باقبالها

دنيا بك اللّه كفى أهلهاما كان من شده أهوالها

و كان قد ملكها جاهل لا تصلح الدنيا لجها لها

قد كانت الدنيا به قفلت فكنت مفتاحا لأقفالها

ان التى فزت بها دونه عادت الى أحسن أحوالها

خلافه كنت حقيقا بهافضلك اللّه بسر بالها

۱- الطبرى ۹/ ۳۵۱- ۳۵۲.

و قال الشاعر أبو على البصير(۱):

آب أمر الاسلام خير مآبه و غدا الملک ثابتا فی نصابه

مستقرا قراره مطمئناآهلا بعد نأيه و اغترابه

و قـد امتـدح البحترى الخليفه المعتز باللّه كما مـدح أباه من قبل، بعديـد من القصائـد قالها فى مناسـبات مختلفه. فقـد مدحه عند انتصاره على المستعين باللّه بقصيده منها قوله(۲):

لقد أعطى المعتز باللّه نعمهمن اللّه جلت أن تحد و تقدرا

تلافى به الورى من عظيمهأناخت على الاسلام حولا و أشهرا

و من فتنه شعواء غطى ظلامهاعلى الافق حتى عاد أقتم أكدرا

الى ان يقول:

أغر من الأملاک اما رأيته رأيت ابا اسحاق و القرم جعفرا

تقدم فى حق الخلافه سهمه اذا رد عنها غيره فتأخرا

عمرت أمير المؤمنين مسلمافعمر الندى و الجود ان تعمرا

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۶۹.

۲- ديوان البحترى ۲/ ۹۳۱- ۹۳۴.

و عند ما قتل القائد الترکی بغا الصـغیر، و کان عزم علی الوثوب بالخلیفه، قال البحتری قصیده یشیر الی ذلک، و یهنی ء المعتزل باللّه بفشل بغا و مؤیدیه، منها(۱):

للدهر عندی منه مشکورهشفت الذی فی الصدر من أوغام

و اللّه ما اسدی مبادی ء نعمهالا تغمد أهلها بتمام

طلب العمامه و القضیب و أین لم تبلغ حماقه ذلک الحجام

أتراه و هم انه أهل لهاسفها تعدی هذه الاوهام

قد رام تفریق الموالی بعد ماجمعوا علی ملک أغر همام

متعزز باللّه، أصبح نعمهللّه سابغه علی الاسلام

الی أن یقول:

فالیوم عاودت الخلافه عزهاو اضاء وجه الملک بعد ظلام

أضحی بغاء و أقربوه و حزبهم و کأنهم حلم من الأحلام

طاحوا فما بکت العیون علیهم بدموعها، و مضوا بغیر سلام

۱- دیوان البحتری ۳/ ۲۰۱۹- ۲۰۲۲.

و حدث البحتری انه اتفق مع أبی معشر المنجم علی زیاره المعتز باللّه لما حبسه المستعین باللّه، و التودد الیه أملا فی أن یحسن الیهما اذا ما آل الأمر الیه. فتوصلا حتی لقیاه فی حبسه، فانشده البحتری أبیاتا من الشعر کان قالها فی القائد العربی محمد بن یوسف الثغری لما حبس. فاخذ المعتز باللّه الرقعه التی بها الابیات، و طلب الی خادم له ان یحفظها لدیه و یذکره بها ان فرج اللّه عنه لیقضی حق الشاعر. و أخذ أبو معشر طالع المعتز وقت عقد له بالعهد، و وقت مبایعه المستعین باللّه، و نظر فی ذلک، و حکم له بالخلافه بمقتضی الطالع بعد فتنه و حروب، و ان المستعین باللّه سیقتل. و لما بویع للمعتز باللّه دخل الیه البحتری و ابو معشر، فانشده البحتری قصیده مدحه بها و هنأه بالخلافه و هجا المستعین باللّه، منها:

یجانبنا فی الحب من لا نجانبه و یبعد عنا فی الهوی من نقاربه

و کیف رأیت الحق قر قراره و کیف رأیت الظلم آلت عواقبه

و هی قصیده طویله ذکرنا بعضا آخر من أبیاتها فی فصل سابق.

و قد استعاده المعتز باللّه أبیاتها مرارا فاعادها. ثم دعا بالخادم الذی کان معه فی الحبس و طلب الرقعه التی فیها الشعر الذی انشده البحتری فی الحبس، و قال للبحتری انه قد أمر له بألف دینار لکل بیت منها، و نصحه بأن یشتری بهذا المال ضیعه ینتفع بغلتها و تبقی لولده من بعده. و أمر لأبی معشر بألف دینار، و جعله رئیس المنجمین فی دار الخلافه، و أجری له فی کل شهر مائه دینار رزقا و ثلاثین دینارا نزلا(۱).

۱- مفصل القصه فی: الفرج بعد الشده ۱/ ۹۳- ۹۵.

و عند ما خلع المعتز باللّه من الخلافه و قتل رثاه بعض الشعراء.

و قد ذكر المسعودى مقاطع من بعض القصائد التى قيلت فى ذلك، منها قول أحدهم(۱):

أصبحت مقلتى تسح الدموعااذ رأت سيد الانام خلوعا

لهف نفسى عليه ما كان اعلاو أسراه تابعا متبوعا

الزموه ذنبا عن غير جرم فثوى فيهم قتيلا صريعا

و بنو عمه و عم أبيه أظهروا ذله، و ابدوا خضوعا

ما بهذا يصح ملكك، و لا يغزى عدو و لا يكون جميعا

۴- المهتدى باللّه:

كـان المهتـدى بـاللّه حين ولى الخلافه قـد اطرح الملاهى و حرم الغنـاء و الشـراب. و أمر بـاخراج المغنين و القيـان المغنيات و الراقصات من سامرا(۲). و لم يعقـد من المجالس سوى جلوسه لرد المظالم، و قد أشـرنا الى ذلک فى سـيرته. و جلس المهتدى يوما للمظالم فاستعداه رجل على ابن له. فأمر باحضاره، فاحضر و اقامه الى جنب الرجل.

فسأله عمـا ادعـاه عليه فأقر به، فامره بالخروج له من حقه، و كتب له بـذلک كتابا. فلما فرغ قال الرجل: و اللّه يا أمير المؤمنين ما أنت الا كما قال الشاعر:

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۷۹.

۲- الكامل ۷/ ۲۳۴، و تاريخ بغداد ۳/ ۳۵۰، و الفخرى/ ۲۲۳.

حکمتموه فقضی بینکم أبلج مثل القمر الزاهر

لا یقبل الرشوه فی حکمه و لا یبالی غبن الخاسر

فقال له المهتدی باللّه: أما أنت أیها الرجل فأحسن اللّه مقالتک، و أما أنا فما جلست هذا المجلس حتی قرأت فی المصحف «و نضع الموازین القسط لیوم القیامه فلا تظلم نفس شیئا و ان کان مثقال جبه من خردل اتینا بها و کفی بنا حاسبین»(۱) الا انه لم تطل مدته اذ اشتد الصراع بینه و بین القواد الأتراک، فانتهی به الامر الی القتل. و کان البحتری قد امتدحه فی خلافته بعده قصائد، منها تلک التی یشید فیها بدرعه و تقواه، و قوه عزیمته فی مجابهه المشاکل التی کانت تواجهه، وسعیه لیسود العدل و الأمن فی الدوله العربیه.

منها قوله(۲):

بارک اللّه للخلیفه فی الملک الذی حازه له المقدار

رتبه من خلافه اللّه قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا الیه، و ما کان ن به ساعه الیها افتقار

أخذ الأولیاء اذ بایعوه بیدی مخبت علیه الوقار

و تجلی للناظرین أبی فیه عن جانب القبیح ازورار

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۹، و الایه فی سوره الانبیاء: ۴۷.

۲- دیوان البحتری ۲/ ۸۵۲- ۸۵۶.

و أرتنا السجاد سيما طويل الليل فی وجهه لها آثار

و لديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدى و اقتدار

زاد فی بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس و هی نهار

و أجار الدنيا من الخوف و الحيف، فهل يشكر المجير المجار

۵- المعتمد على اللّه و الشعر و الغناء:

بدأ المعتمد على اللّه خلافته بالانصراف الى اللهو و الملذات. و قد اشرنا عند الكلام عن سيرته الى ركونه الى أخيه الموفق فی اداره شؤون الدوله، فقام بذلك خير قيام، فاوقف اسراف المعتمد على اللّه و منع عنه المال لحاجه الدوله آنذاك الى الانفاق على تدبير أمور الحرب الداخليه و بخاصه مع الزنج. و مع هذا فقد كان للمعتمد على اللّه ندماؤه و جلساؤه، و كانت له بعض مجالس اللهو و الغناء.

و قد اعتبره أبو الفرج ممن له صنعه فی الغناء من الخلفاء، و يروى عن القاسم بن زرزور ان المعتمد على اللّه القى عليه لحنا صنعه فی هذا الشعر للفرزدق(۱):

ليس الشفيع الذی يأتيك مؤتزرامثل الشفيع الذی يأتيك عريانا

و للمعتمد على اللّه شعر غنت فيه شاريه جاريه ابراهيم بن المهدی، هو(۲):

۱- الاغانی ۹/ ۳۲۳.

۲- الديارات/ ۱۰۰.

تأنیت بالحب دهرا طویلافلم ار فی الحب یوما سرورا

و روی عن جحظه الندیم انه قال: کنت عند المعتمد علی اللّه فغنت شاریه بشعر مولاها ابراهیم بن المهدی و لحنه:

یا طول عله قلبی المعتادالف الکرام و صحبه الامجاد

ما زلت آلف کل قدم ماجدمتقدم الآباء و الأجداد

فاستحسن غناءها. فقالت: هذا غنائی و انا عاریه فکیف لو کنت کاسیه. فأمر لها المعتمد علی اللّه بألف ثوب من جمیع أصناف الثیاب الخاصه، فحمل لها ذلک. و ذلک ما لم یعمله خلیفه من قبل(۱).

و عرضت علی المعتمد علی اللّه جاریه حسنه الغناء سریعه الخاطر، فامتحنها فی الغناء و الکتابه فرضی بما ظهر له من أمرها. ثم قال لأحد ندمائه ان یقارضها الشعر، فقال لها الندیم: وهبت نفسی للهوی.

فقالت بداهه: فجار لما أن ملک.

فقال: فصرت عبدا خاضعا.

فقالت: یسلک بی حیث سلک.

فأمر المعتمد علی اللّه بشرائها، فابتیعت بثلاثین ألف درهم(۲).

و لا شک فی ان صلته من الثیاب الخاصه، و شراء هذه الجاریه، کان فی أول عهده، قبل ان تکف یده عن بیت المال.

۱- الاغانی ۱۶/ ۱۴- ۱۵.

۲- نساء الخلفاء/ ۱۰۲.

قالت بدعه جاريه عريب، و كانت مثلها أديبه مغنيه، ان المعتمد على اللّه كان يوجه ما ينظم من الشعر الى عريب لتصوغ له الالحان المناسبه، فكانت تقول: و يلى كم أغنى فى حروف ألف، با، تا(۱)؟

و يبدو ان المعتمد على اللّه كان معجبا بغناء عريب و ألحانها، رغم تقدمها فى العمر، فأمر أحد ندمائه ان يجمع غناءها. فأخذ هذا منها دفاترها و صحفها، و كانت قد جمعت فيها غناءها، و هو فى ألف صوت(۲).

و من المغنين الذين غنوا للمعتمد على اللّه أبو حشيشه، فقد غنى يوما بين يديه:

حرمت بذل نوالك و اسوءتا من فعالك

لما ملكت وصالى أيستنى من وصالك

فوهبه مائتى دينار. و قال أبو حشيشه: كان المعتمد على اللّه يشتهى على أن أغنيه هذا الصوت(۳):

قلبى يحبك يا منى قلبى و يبغض من يحبك

لأكون فردا فى هواك فليت شعرى كيف قلبك

۱- الديارات/ ۱۰۰.

۲- الاغانى ۲۱/ ۵۵.

۳- نهايه الارب ۵/ ۳۶- ۳۷.

و کان المغنی أحمـد بن یحیی المکی یحضـر مجلس المعتمد علی اللّه مع المغنین و یغنی مرتجلا. فیوقع بقضـیب علی دواه، أی انه یضبط وزن غنائه بضرب قضیب علی دواه، و کلاهما من معدن(۱).

و یقال ان المعتمد علی اللّه اصطبح یوما و اقترح ان یغنی بشعر أبی نواس:

یا کثیر النوح فی الدمن لا علیها بل علی السکن

سنه العشاق واحدهفاذا احببت فاستکن

فلم یزل یغنی به یومه، ثم اشتکی جوفه و مات فی لیلته(۲)

و قـد نادم المعتمـد علی اللّه عـدد من النـدماء منهم ابن خرداذبه أبو القاسم عبیـد اللّه بن احمـد، و کان قـد تولی البرید فی اقلیم الجبال، فنادم الخلیفه و اختص به(۳). و هو صاحب کتاب المسالک و الممالک.

و کنا ذکرنا شیئا عن سیرته فی موضوع الجغرافیه و اشرنا الی ان تصنیفه کتابه المذکور کان استجابه لسؤال المعتمد علی اللّه عن مسالک الأرض و ممالکها و صفاتها، و بعدها و غامرها(۴).

و نادم المعتمـد علی اللّه أیضا أبو الحسن احمـد بن جعفر الملقب ب «جحظه» و هو شاعر مطبوع و ادیب بارع، حاذق فی صـنعه الغناء علی الطنبور. ألف کتابا عن المعتمد علی اللّه، اشبه بالمذکرات، سماه «کتاب ما شاهده من أمر المعتمد»(۵). و کان جحظه ینظم الشعر و یلحنه و یغنیه. و کان عظیم الجثه فاذا قام الخلیفه و رجع،

۱- الدیارات هامش ص/ ۱۵۴.

۲- الهفوات النادره/ ۵۰.

۳- الفهرست/ ۲۱۸.

۴- المسالک و الممالک/ ۳.

۵- الفهرست/ ۲۱۴.

قام النـدماء، و نام هو، و قال هـذا عوض القيام، لأنه لا يقدر عليه(۱). و مع قبـح منظره و جحوظ عينيه كـان أطيب الناس غناء، و احسنهم مجالسه، و فيه قال ابن الرومى(۲):

نبئت جحظه يستعير جحوظه من فيل شطرنج و من سرطان

يا زحمتى لمناديه تحملواألم العيون للذه الآذان

و كان للمعتمد على اللّه شعر جيد، و شعر غير موزون. و ربما قال الأبيات فيصح بعضـها و يفسد باقيها. و ذكر له الشابشتى بعضا من اشعاره(۳). و يبدو ان المعتمد على اللّه كان يعتز بهذه الابيات القليله التى يقولها من الشعر، اذ اتخذ له وراقا يكتب شعره بماء الذهب(۴). و قد وجـدت فى عهـد المكتفى باللّه الـذى تولى الخلافه فى سـنه ۲۸۹ ه رقـاع ملفوفه فيها اشـعار للمعتمـد على اللّه مكتوبه بالذهب(۵). و مما ذكره له الشابشتى قوله(۶):

أصبحت لا أملك دفعا لمااسام من خسف و من ذله

تمضى أمور الناس دونى و لايشعر بى فى ذكرها قله

اذا اشتهيت الشى ء و لو به عنى، و قالوا: ها هنا عله

۱- الديارات/ ۲۶.

۲- الملح و النوادر/ ۱۹۸.

۳- الديارات/ ۹۸- ۱۰۶.

۴- تاريخ الخلفاء/ ۳۶۸.

۵- الديارات/ ۱۰۰.

۶- الديارات/ ۱۰۱، و يقول الحصرى ان المعتمد على اللّه قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر/ ۱۵۷.

و قوله لما ضيق عليه و منع من بيت المال(۱):

أ ليس من العجائب ان مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه

و تؤخذ باسمه الدنيا جميعاو ما من ذاك شي ء فى يديه

اليه تحمل الأموال طراو يمنع بعض ما يجبى اليه

و قوله فى دير العلث(۲):

يا طول ليلى بفم الصلح أتبعت خسرانى بالربح

لهفى على دهر لنا قد مضى بالقصر و القاطول و الشلح

بالدير بالعلث و رهبانه بين الشعانين الى الدنح

و مما وجد من شعره المكتوب بالذهب قوله(۳):

طال و اللّه عذابى و اهتمامى و اكتئابى

بغزال من بنى الأصفرلا يعنيه ما بى

أنا مغرى بهواه و هو مغرى باجتنابى

۱- الديارات/ ۱۰۱، و يقول الحصرى ان المعتمد على اللّه قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر/ ۱۵۷.

۲- الديارات/ ۹۸.

۳- الديارات/ ۱۰۰.

و اذا ما قلت: صلنی کان (لا) منه جوابی

و کذلک قوله(۱):

عجل الحب بفرقهفبقلبی منه حرقه

مالک بالحب رقی و أنا أملک رقه انما یستروح الصب

اذا اظهر عشقه

و کان الشاعر البحتری أشـهر الشـعراء الـذین عاشوا فی کنف المعتمـد علی اللّه و مدحوه. و حین بویع المعتمد علی اللّه بالخلافه امتدحه ببضعه ابیات هی(۲):

لقد امسک اللّه الخلافه بعد ماوهت، و تلافی سربها ان ینفرا

بمعتمد فیها علی اللّه أسندت الیه، فالفته الرضا المتخیرا

و لو لم یقم للمسلمین بحقهالغودر معروف العواقب منکرا

و لما بدا من سده الملک طالعاذکرنا به خیر الخلائف جعفرا

شمائل مبسوط الیدین الی الندی و وجه اضاء الجود فیه فاسفرا

۱- الدیارات/ ۱۰۰.

۲- دیوان البحتری ۲/ ۱۰۵۵.

أتت برکات الارض من کل وجههو اصبح غض العیش فینان اخضرا

و قد خبر الفتح المعجل اننا اقتبلناه میمون القیام مظفرا

و مدحه بقصیده اشاد فیها بورعه و یقظته و علمه و عفوه عن المسیئین الیه. علما ان المعتمد علی اللّه، کما أشرنا، کان قد انصرف الی ملاذه و لهوه تارکا شؤون الدوله الی أخیه. و من هذه القصیده قوله(۱):

ان الخلافه أحمدت من احمدشیما اناف بها علی الأحماد

ملک تحییه الملوک، و دونه سیما التقی و تخشع الزهاد

متهجد یخفی الصلاه و قد ابی اخفاءها أثر السجود البادی

سمح الیدین اذا احتبی فی مجلس کان الندی صفه لذاک النادی

متیقظ عصمت بوادر أمره بعری من الرأی الأصیل شداد

ینسی الذنوب و ما تقادم عهدهاملقی الضغائن دارس الاحقاد

تعفو لعفو اللّه عنک تحریاو العفو خیر خلائق الامجاد

۱- نفس المصدر ۲/ ۷۳۱- ۷۳۴. راجع تفصیلات هذا المجلس فی مروج الذهب ۴/ ۲۲۰- ۲۲۶.

و يقول المسعودى ان المعتمد على اللّه كان شغوفا بالطرب، و الغالب عليه المعاقره و محبه أنواع الملاهى. و كان يعقد مجالس للهو و المنادمه ۷۲ و اكثر الاحاديث التى تدور فيها كانت عن الطرب و آلاته، و أنواع اللهو عند مختلف الامم. و يقول ابن خرداذبه ان المعتمد على اللّه سأل فى أحد مجالسه عن أول من اتخذ آله العود. و قد حاول ابن خرداذبه ان يوضح البدايه لهذه الآله و تطورها عند مختلف الأمم القديمه. فخلص الى ان العود يونانى صنعه أصحاب الهندسه على هيئه طبائع الانسان، فان اعتدلت او تاره جانس الطبائع و اطرب. و ان الطرب انما هو رد النفس الى الحاله الطبيعيه دفعه. ثم تطرق الى أنواع الملاهى عند تلك الامم. فذكر آلات الطرب عند الروم و الهند و أوصافها. و تكلم بعد ذلك عن الغناء عند العرب و كيف بدأ بالحداء. و كان نشوءه ان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعيره فى بعض اسفاره فكسرت يده فجعل يتأوه من الألم و يقول: يا يداه. يا يداه. و يكرر ذلك بنغمه خاصه، و كان حسن الصوت، فلاحظ ان الأبل قد استوسقت و طاب لها السير.

فأتخذ ذلك برجز الشعر، و جعلوا كلامه أول الحداء، و من قول الحادى: يا هاديا يا هاديا، و يا يداه يا يداه. ثم اشتق الغناء من الحداء. و كان الغناء ثلاثه اجناس: الركبان، و السناد الثقيل، و الهزج الخفيف.

و اشار ابن خرداذبه الى ان اول من غنى من العرب الجرادتان و هما قينتان لمعاويه بن بكر. و كانت العرب تسمى القينه الكربنه، و العود المزهر، ثم تطرق الحديث الى اختلاف الغناء باختلاف الأصقاع العربيه. فكان غناء أهل اليمن بالمعازف و ايقاعها على جنسين: حنفى و حميرى، و الحنفى احسنهما. أما قريش فلم تعرف من الغناء الا النصب. و كانت الحيره تعرف ضرب العود و الغناء عليه، و منها انتقل ذلك الى أهل مكه.

و الغناء على رأى ابن خرداذبه يرقق الذهن، و يلين العريكه، و يبهج النفس و يسرها، و يشجع القلب، و يسخى البخيل. و فضل الغناء على المنطق كفضل النطق على الخرس، و البرء على السقم.

و ان المرأه العربيه كانت لا تنوم وليدها و هو يبكى خوف ان يسرى الهم فى جسده و يدب فى عروقه. و لذا فهى تنازعه و تضاحكه حتى ينام و هو فرح مسرور. فينمو جسده و يصفو لونه و دمه، و يشفى عقله. و الطفل يرتاح الى الغناء و عند سماعه يستبدل ببكائه ضحكا.

سر المعتمد على اللّه و شكر ابن خرداذبه على وصفه و اطنابه. ثم سأله عن صفه المغنى الحاذق و عن أنواع الطرب. فقال ان المغنى الحاذق هو من تمكن من انفاسه و لطف فى اختلاسه و تفرع فى اجناسه. أما أنواع الطرب فهى ثلاثه: طرب محرك مستخف الأريحيه ينعش النفس، و طرب شجن و حزن لا سيما اذا كان فى وصف ايام الشباب و الشوق الى الأوطان، و طرب يكون فى صفاء النفس و لطافه الحس و لا سيما عند جوده التأليف و احكام الصنعه. و ان الاستمتاع بأنواع الطرب يتطلب رفاهه الحس ورقه الشعور. اذ من غلظ حسه و تبلد شعوره، كره سماع الغناء و تشاغل عنه بل عابه و ذمه.

ثم انتقل ابن خرداذبه الى شرح علاقه الايقاع بالغناء و منزلته منه، و اجناسه الأربعه، و طرائقه الثمانيه. و قد فرح المعتمد على اللّه فى هذا المجلس و خلع على ابن خرداذبه و على من حضر من الندماء، و كان مجلس لهو و سرور.

و فى مجلس آخر من مجالس المعتمد على اللّه طلب الخليفه من بعض الحاضرين من الندماء ان يصفوا له الرقص و انواعه، و ما هى الصفه المحموده من الراقص و ما يجب ان تكون عليه شمائله.

فاجابه أحد الندماء بان الاقاليم و البلدان تختلف فى رقصها، و ان

أنـواع الايقـاع فی الرقص ثمـانيه هی: الخفيف و الهزج و الرمـل و خفيف الرمـل و خفيف الثقيـل الأول و ثقيله و خفيف الثقيل الثانی و ثقيله. و ان الراقص يحتاج الی أشـياء فی طباعه، و اشياء فی خلقته، و أشياء فی عمله. فأما يحتاجه فی طباعه فخفه الروح، و حسن الطبع علی الايقـاع، و ان يكون مرحا حسن التـدبير فی رقصه و التصـرف فيه. و ان ما يحتاج اليه فی خلقته فطول العنق و السوالف و حسن الدل و الشـمائل، و التمايل فی الاعطاف، و دقه الخصر. و أما ما يحتاج اليه فی عمله فمقدره التصرف فی ألوان الرقص و احكام كل حد من حدوده، و حسن الاستداره، و ثبات القدمين علی مدارهما.

«السنوات الهجریه و ابتداؤها و ما یقابلها من السنوات المیلادیه» «عن أطلس التاریخ الاسلامی، ص: ۲۴۴»

الهجریه/ تبتدی ء فی/ المیلادیه/ الهجریه/ تبتدی ء فی/ المیلادیه

۲۲۰/ ۵ کانون الثانی/ ۸۳۵/ ۲۴۲/ ۱۰ مایس/ ۸۵۶

۲۲۱/ ۲۶ کانون الاول/ ۸۳۵/ ۲۴۳/ ۳۰ نیسان/ ۸۵۷

۲۲۲/ ۱۴ کانون الاول/ ۸۳۶/ ۲۴۴/ ۱۹ نیسان/ ۸۵۸

۲۲۳/ ۳ کانون الاول/ ۸۳۷/ ۲۴۵/ ۸ نیسان/ ۸۵۹

۲۲۴/ ۲۳ تشرین الثانی/ ۸۳۸/ ۲۴۶/ ۲۸ آذار/ ۸۶۰

۲۲۵/ ۱۲ تشرین الثانی/ ۸۳۹/ ۲۴۷/ ۱۷ آذار/ ۲۶۱

۲۲۶/ ۳۱ تشرین الاول/ ۸۴۰/ ۲۴۸/ ۲ آذار/ ۸۶۲

۲۲۷/ ۲۱ تشرین الاول/ ۸۴۱/ ۲۴۹/ ۲۹ شباط/ ۸۶۳

۲۲۸/ ۱۰ تشرین الاول/ ۸۴۲/ ۲۵۰/ ۱۳ شباط/ ۸۶۴

۲۲۹/ ۳۰ أیلول/ ۸۴۳/ ۲۵۱/ ۲ شباط/ ۸۶۵

۲۳۰/ ۱۸ أیلول/ ۸۴۴/ ۲۵۲/ ۲۲ کانون الثانی/ ۸۶۶

۲۳۱/ ۷ أیلول/ ۸۴۵/ ۲۵۳/ ۱۱ کانون الثانی/ ۸۶۷

۲۳۲/ ۲۸ آب/ ۸۴۶/ ۲۵۴/ ۱ کانون الثانی/ ۸۶۸

۲۳۳/ ۱۷ آب/ ۸۴۷/ ۲۵۵/ ۲۰ کانون الاول/ ۸۶۸

الهجریه/ تبتدی ء فی/ المیلادیه/ الهجریه/ تبتدی ء فی/ المیلادیه

۲۳۴/ ۵ آب/ ۸۴۸/ ۲۵۶/ ۹ کانون الاول/ ۸۶۹

۲۳۵/ ۲۶ تموز/ ۸۴۹/ ۲۵۷/ ۲۹ تشرین الثانی/ ۸۷۰

۲۳۶/ ۱۵ تموز/ ۸۵۰/ ۲۵۸/ ۱۸ تشرین الثانی/ ۸۷۱

۲۳۷/ ۵ تموز/ ۸۵۱/ ۲۵۹/ ۷ تشرین الثانی/ ۸۷۲

۲۳۸/ ۲۳ حزیران/ ۸۵۲/ ۲۶۰/ ۲۷ تشرین الاول/ ۸۷۳

۲۳۹/ ۱۲ حزیران/ ۸۵۳/ ۲۶۱/ ۱۶ تشرین الاول/ ۸۷۴

۲۴۰/ ۲ حزیران/ ۸۵۴/ ۲۶۲/ ۶ تشرین الاول/ ۸۷۵

۲۴۱/ ۲۲ مایس/ ۸۵۵/ ۲۶۳/ ۲۴ أیلول/ ۸۷۶

۲۶۴/ ۱۳ أیلول/ ۸۷۷/ ۲۷۳/ ۸ حزیران/ ۸۸۶

۲۶۵/ ۳ أیلول/ ۸۷۸/ ۲۷۴/ ۲۸ مایس/ ۸۸۷

۲۶۶/ ۲۳ آب/ ۸۷۹/ ۲۷۵/ ۱۶ مایس/ ۸۸۸

۲۶۷/ ۱۲ آب/ ۸۸۰/ ۲۷۶/ ۶ مایس/ ۸۸۹

۲۶۸/ ۱ آب/ ۸۸۱/ ۲۷۷/ ۲۵ نیسان/ ۸۹۰

۲۶۹/ ۲۱ تموز/ ۸۸۲/ ۲۷۸/ ۱۵ نیسان/ ۸۹۱

۲۷۰/ ۱۱/ ۸۸۲/ ۲۷۹/ ۳ نیسان/ ۸۹۲

۲۷۱/ ۲۹ حزیران/ ۸۸۴/ ۲۸۰/ ۲۳ آذار/ ۸۹۳

۲۷۲/ ۱۸ حزیران/ ۸۸۵////

المصادر و المراجع

۱- المصادر الاولیه:

ابن أبی اصیبعه، موفق الدین احمد بن القاسم بن خلیفه:

عیون الانباء فی طبقات الاطباء.

تحقیق الدکتور نزار رضا.

دار مکتبه الحیاه- بیروت، ۱۹۶۰.

ابن أبی الربیع، شهاب الدین أحمد بن محمد:

سلوک المالک فی تدبیر الممالک.

دراسه و تحقیق: الدکتور ناجی التکریتی.

تراث عویدات- بیروت، ۱۹۷۸.

ابن الأثیر، عز الدین ابو الحسن علی بن أبی الکرم الشیبانی:

الکامل فی التاریخ- الاجزاء (۶ و ۷ و ۸).

دار صادر- بیروت، ۱۳۸۵ ه- ۱۹۶۵ م.

ابن الاخوه، محمد بن محمد بن أحمد القرشی:

معالم القربه فی أحکام الحسبه.

نشره روبن لوی- مطبعه الفنون بکمبرج، ۱۹۳۷.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن بطوطه، أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد الطنجی:

رحله ابن بطوطه (المسماه تحفه النظار فی غرائب الامصار و عجائب الأسفار).

مطبعه التقدم بمصر، الطبعه الثانیه، ۱۳۲۲.

ابن جبیر، أبو الحسین محمد بن أحمد الاندلسی:

رحله ابن جبیر.

نشرته المکتبه العربیه ببغداد.

مطبعه عبد الحمید أحمد حنفی- مصر، ۱۳۵۶- ۱۹۳۷.

ابن جلجل، أبو داود سلیمان بن حسان الاندلسی:

طبقات الاطباء و الحکماء.

تحقیق فؤاد سید.

مطبعه المعهد العلمی الفرنسی للاثار الشرقیه بالقاهره ۱۹۵۵.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن الجهم، أبو الحسن علی بن جهم بن بدر:

دیوان علی بن الجهم.

تحقیق: خلیل مردم.

لجنه التراث العربی- بیروت، الطبعه الثانیه.

ابن الجوزی، أبو الفرج عبد الرحمن بن علی:

المنتظم فی تاریخ الملوک و الامم (الاجزاء: ۵ و ۶ و ۷) مطبعه حیدر آباد الدکن، الطبعه الاولی، ۱۳۵۷.

ابن حمدون، أبو المعالی محمد بن الحسن بن محمد بن علی:

تذکره ابن حمدون- السیاسه و الاداب الملکیه.

مطبعه النهضه- الطبعه الاولی ۱۳۴۵ ه- ۱۹۲۵ م نشرته مکتبه الخانجی بمصر.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن على الموصلى:

صوره الارض.

مکتبه الحیاه- بیروت.

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبید اللّه:

المسالک و الممالک.

نشره دی خویه- مطبعه بریل فی لندن، ۱۸۹۸.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمی:

(۱) مقدمه ابن خلدون.

المطبعه الخیریه بمصر، الطبعه الاولی، ۱۳۲۲.

(۲) کتاب العبر دیوان المبتدأ و الخبر (الجزء الثالث).

دار الکتاب اللبنانی- بیروت، ۱۹۷۷.

ابن خلکان، أبو العباس شمس الدین أحمد بن محمد:

وفیات الاعیان و انباء و أبناء الزمان (۶) أجزاء.

تحقیق: محمد محی الدین عبد الحمید.

الطبعه الاولی، مطبعه السعاده، ۱۳۶۹ ه- ۱۹۵۰ م ابن خیاط، خلیفه بن خیاط بن خلیفه الشیبانی:

تأریخ خلیفه بن خیاط (الجزء الثانی).

تحقیق أکرم ضیاء العمری.

مطبعه الاداب فی النجف الاشرف، ۱۳۸۶- ۱۹۶۷.

ابن دحیه، عمر بن ابی علی حسن بن علی الکلبی:

کتاب النبراس فی تاریخ خلفاء بنی العباس.

مطبعه المعارف- بغداد، ۱۳۶۵- ۱۹۴۶.

ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائی:

الانتصار لواسطه عقد الامصار.

المكتب التجاری للطباعه و النشر و التوزيع.

طبع بالاوفسيت علی طبعه بولاق فی سنه ۱۳۱۰ ه.

ابن ربن، أبو الحسن علی بن سهل بن ربن الطبری:

فردوس الحكمه.

تحقيق الدكتور محمد زبير صديقی.

مطبعه آفتاب بيرلين، ۱۹۲۸.

ابن رسته، أبو علی أحمد بن عمر:

الاعلاق النفيسه.

نشره دی خويه- مطبعه بريل بليدن، ۱۸۹۱.

(طبعه مكتبه المثنی بالاوفسيت).

ابن الساعی، تاج الدين أبو طالب علی بن أنجب.

نساء الخلفاء.

تحقيق الدكتور مصطفی جواد.

دار المعارف بمصر.

ابن سليمان، ماری:

اخبار فطاركه كرسی المشرق.

طبع فی روميه الكبری سنه ۱۸۹۴.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن الطقطقی، محمد بن علی بن طباطبا:

الفخری فی الاداب السلطانیه و الدول الاسلامیه.

مطبعه الموسوعات بمصر، ۱۳۱۷.

ابن طلحه، أبو سالم محمد بن طلحه الوزير:

العقد الفريد للملک السعيد.

المطبعه الرهبيه، ۱۲۸۳.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب:

بغداد.

نشره عزه العطار الحسنی- ۱۳۶۸- ۱۹۴۹.

ابن عبد اللّه، الحسن:

آثار الاول فی ترتيب الدول.

مطبعه بولاق- مصر.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه القرشی الانصاری:

فتوح مصر و اخبارها.

تحقيق شارل توری.

مطبعه بريل بليدن، سنه ۱۹۲۰.

(طبعه مكتبه المثنی بالاوفسيت).

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسی:

العقد الفريد (۷) أجزاء.

تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين و ابراهيم الابياری مطبعه لجنه التأليف و الترجمه و النشر- القاهره.

۱۳۶۷- ۱۹۴۸.

ابن عذاری، عبد الواحد بن علی التميمی المراكشی:

البيان المغرب فى اخبار الاندلس و المغرب (الجزء الاول).

تحقيق: ج. س. كولان وا. ليفى بروفنسال.

دار الثقافه- بيروت.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحی بن العماد الحنبلی:

شذرات الذهب فی اخبار من ذهب (جزآن).

المکتب التجاری للطباعه و النشر- بیروت.

ابن الفراء، أبو علی الحسین بن محمد:

کتاب رسل الملوک و من یصلح للرساله و السفاره.

تحقیق صلاح الدین المنجد.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- القاهره ۱۹۴۷.

ابن الفقیه، أبو بکر أحمد بن محمد الهمذانی:

مختصر کتاب البلدان.

نشره دی خویه، مطبعه بریل بلیدن، ۱۳۰۲.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن الفوطی، أبو الفضل عبد الرزاق البغدادی:

الحوادث الجامعه فی المائه السابعه.

عنیت بطبعه المکتبه العربیه ببغداد باشراف مصطفی جواد.

مطبعه الفرات- بغداد، ۱۳۵۱.

ابن قتیبه، أبو محمد عبد اللّه بن مسلم:

(۱) تأویل مشکل القرآن.

تحقیق السید أحمد صقر.

دار أحیاء الکتب العربیه، ۱۳۷۲- ۱۹۵۴.

(٢) عيون الاخبار (۴) أجزاء.

دار الثقافه و الارشاد القومى بمصر، ١٣٨٣- ١٩۶٣.

نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب.

(٣) المعارف.

حققه: ثروت عکاشه.

مطبعه دار الکتب- مصر، ۱۹۶۰.

ابن قدامه، قدامه بن جعفر بن قدامه بن زیاد الکاتب:

کتاب الخراج و صناعه الکتابه.

حققه الدکتور محمد حسین الزبیدی.

طبع بدار الحریه للطباعه- بغداد ۱۹۸۱.

ابن المدبر، ابراهیم بن محمد بن عبید اللّه:

الرساله العذراء.

حققها الدکتور زکی مبارک.

مطبعه دار الکتب المصریه- القاهره، ۱۳۵۰- ۱۹۳۱- الطبعه الثانیه.

ابن متی، عمرو:

اخبار فطارکه کرسی المشرق.

طبع رومیه الکبری، سنه ۱۸۹۶.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

ابن المعتز، عبد اللّه:

طبقات الشعراء.

تحقیق: عبد الستار احمد فراج.

دار المعارف- مصر، ۱۹۵۶.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدین محمد بن مکرم الانصاری:

لسان العرب.

طبعه دار صادر– بیروت، ۱۹۵۵– ۱۳۷۴.

ابن الندیم، محمد بن اسحاق بن محمد البغدادی:

الفهرست.

المکتبه التجاریه الکبری- بمطبعه الاستقامه بالقاهره.

أبو تمام، حبیب بن أوس الطائی:

دیوان أبی تمام (۴) أجزاء.

تحقیق: محمد عبد عزام.

دار المعارف بمصر، الطبعه الثالثه.

أبو حیان، علی بن محمد بن العباس التوحیدی:

البصائر و الذخائر (۴) أجزاء.

تحقیق: الدکتور ابراهیم الکیلانی.

مطبعه الانشاء بدمشق.

أبو الفداء، عماد الدین اسماعیل:

المختصر فی اخبار البشر (الجزء الثانی).

الطبعه الاولی بالمطبعه الحسینیه المصریه.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

أبو الفرج، علی بن الحسین الاصبهانی:

(۱) کتاب الاغانی.

أ- طبعه وزاره الثقافه و الارشاد القومی، ۱- ۱۶.

ب- طبعه الهیئه المصریه العامه للتألیف و النشر، الاجزاء ۱۷- ۲۴- تحقیق عبد الکریم العزبادی، المطبعه الثقافیه، ۱۹۷۰.

(۲) مقاتل الطالبیین.

تحقیق السید احمد صقر.

دار احياء الكتب العربيه- القاهره، ۱۳۶۸- ۱۹۴۹.

الاصطخری، أبو اسحاق ابراهیم بن محمد الکرخی:

کتاب الاقالیم.

نشره الدکتور ج. ه. موللر سنه ۱۸۳۹.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

الأزدی، علی بن ظافر:

بدائع البدائه.

تحقیق: محمد ابو الفضل ابراهیم.

مکتبه الانجلو المصریه، ۱۹۷۰.

الانباری، أبو البرکات محمد بن أبی سعید النحوی:

نزهه الالباء فی طبقات الادباء.

تحقیق: الدکتور عطیه عامر.

المطبعه الکاثولیکیه- بیروت، ۱۹۶۳.

البحتری، أبو عباده الولید بن عبید الطائی:

دیوان البحتری.

أ- طبعه دار صادر (جزآن) بیروت، ۱۹۶۲- ۱۳۸۱.

ب- طبعه دار المعارف بمصر (۴) أجزاء، تحقیق:

حسن کامل الصیرفی.

البخاری، أبو عبد اللّه محمد بن اسماعیل:

الأدب المفرد.

طبع بمطبعه الاوفسيت بمدينه طشقند، ۱۳۹۰.

البغدادى، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر:

الفرق بين الفرق.

تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى.

نشره السيد عزه العطار الحسنى، ۱۳۶۷- ۱۹۴۰.

البغدادی، اسماعیل باشا:

هدیه العارفین، اسماء المؤلفین و آثار المصنفین (جزآن).

مطبعه المعارف باستانبول، ۱۹۵۵.

البغدادی، صفی الدین عبد المؤمن بن عبد الحسن:

مراصد الاطلاع علی أسماء الامکنه و البقاع (۳) أجزاء.

تحقیق و تعلیق: علی محمد البجاوی.

دار أحیاء الکتب العربیه- ۱۳۷۷- ۱۹۵۴.

البکری، أبو عبید اللّه بن عبد العزیز:

المغرب فی ذکر بلاد افریقیه و المغرب.

طبع فی الجزائر سنه ۱۸۵۷.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

البلاذری، أبو الحسن أحمد بن یحیی بن جابر:

فتوح البلدان.

راجعه و علق علیه: رضوان محمد رضوان.

المکتبه التجاریه الکبری بمصر.

البلخی، أبو زید أحمد بن سهل:

البدء و التاریخ (الجزآن ۴ و ۵).

نشره کلمان هوار فی باریس سنه ۱۸۹۹.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

البیرونی، أبو الریحان محمد بن أحمد:

الاثار الباقیه عن القرون الخالیه.

نشره أدوار سخاو، طبع فی لیبزك سنه ۱۹۲۳.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

البیهقی، الشیخ ابراهیم بن محمد:

المحاسن و المساوی ء.

دار صادر- بیروت، سنه ۱۳۸۰- ۱۹۶۰.

البیهقی، ظهیر الدین علی بن زید:

تاریخ حکماء الاسلام.

عنی بتحقیقه و نشره: محمد کرد علی.

الطبعه الثانیه بمطبعه المفید الجدیده بدمشق، ۱۹۳۶- ۱۹۶۷.

التنوخی، القاضی أبو علی المحسن بن علی:

(۱) کتاب الفرج بعد الشده.

أ- طبعه مکتبه الخانجی بمصر بدار الطباعه المحمدیه ۱۳۵۷- ۱۹۵۵، (جزآن).

ب- طبعه دار صادر بیروت، تحقیق: عبود الشالجی (خمسه أجزاء).

(۲) نشوار المحاضره و اخبار المذاکره (۸) أجزاء.

تحقیق: عبود الشالجی.

مطابع دار صادر- بیروت، ۱۹۷۳.

الثعالبی، أبو منصور عبد الملک بن محمد بن اسماعیل:

ثمار القلوب فی المضاف و المنسوب.

تحقیق: محمد ابو الفضل ابراهیم.

دار نهضه مصر للطبع و النشر- مطبعه المدنی بالقاهره سنه ۱۳۸۲- ۱۹۶۵.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الکنانی:

(۱) کتاب البیان و التبین (۴) أجزاء.

تحقیق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مکتبه الخانجی بمصر و مکتبه المثنی ببغداد، ۱۹۶۰.

(۲) رسائل الجاحظ (جزآن).

تحقیق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مکتبه الخانجی بمصر، ۱۹۶۴.

(۳) کتاب التاج فی أخلاق الملوک.

تحقیق: أحمد زکی باشا.

المطبعه الامیریه بالقاهره، ۱۳۲۲- ۱۹۱۴.

(۴) ثلاث رسائل للجاحظ.

نشرها یوشع فتکل.

المطبعه السلفیه، الطبعه الثانیه، ۱۳۸۲.

(۵) کتاب التبصر بالتجاره.

عنی بنشره و التعلیق علیه: حسن حسنی عبد الوهاب التونسی، المطبعه الرحمانیه بمصر، الطبعه الثانیه- ۱۳۵۴- ۱۹۳۵.

الجمحی، محمد بن سلام بن عبد اللّه:

طبقات الشعراء.

اللجنه الجامعیه لنشر التراث العربی- دار النهضه العربیه للطباعه و النشر- بیروت، ۱۹۶۸.

الجهشیاری، أبو عبد اللّه محمد بن عبدوس:

کتاب الوزراء و الکتاب.

تحقیق: مصطفی السقا و ابراهیم الابیاری و عبد الحفیظ شلبی.

مطبعه البابی الحلبی و أولاده- القاهره.

الطبعه الاولی سنه ١٣٥٧- ١٩٣٨.

الحریری، أبو محمد القاسم بن علی:

دره الغواص فی أوهام الخواص.

طبع فی لیبزک سنه ۱۸۷۱.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

الحموی، شهاب الدین یاقوت بن عبد اللّه الرومی:

(۱) ارشاد الاریب الی معرفه الادیب (معجم الادباء) (۷) أجزاء تحقیق: د. س. مرجلیوث. مطبعه هندیه بمصر، ۱۹۲۳.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

(۲) معجم البلدان (۵) أجزاء.

طبعه دار صادر- بیروت للطباعه و النشر، ۱۳۷۶- ۱۹۵۷.

(۳) کتاب المشترک وضعا و المفترق صقعا.

نشره فردیناند و ستفیلد فی کوبنهجن بألمانیا سنه ۱۸۴۶.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

الحموی، تقی الدین أبو بکر بن علی بن حجه:

ثمرات الاوراق.

طبع بهامش کتاب المستطرف.

المکتبه التجاریه الکبری بمصر، ۱۳۷۹.

الحنفی، أحمد بن محمد الحموی:

النفحات المسکیه فی صناعه الفروسیه.

تحقیق: عبد الستار القرغولی.

مطبعه التفيض- بغداد، ۱۳۶۹- ۱۹۵۰.

الخطيب البغدادى، الحافظ أبو بكر أحمد بن على:

تاريخ بغداد أو مدينه السلام (۱۴) جزء.

نشر دار الكتاب العربى- بيروت.

الخوارزمی، أبو جعفر محمد بن موسی:

کتاب صوره الارض.

تحقیق هانس فون مزیک.

مطبعه أدولف هدلز هوزن فی فیینا سنه ۱۹۲۶.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

الخوارزمی، أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن یوسف:

مفاتیح العلوم.

دار الطباعه المنیریه- بمطبعه الشرق، ۱۳۴۲.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

الدینوری، أبو حنیفه أحمد بن داود:

الاخبار الطوال.

مطبعه عبد الحمید أحمد حنفی- مصر.

بنفقه المکتبه العربیه ببغداد.

الذهبی، شمس الدین أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قایماز:

(۱) کتاب دول الاسلام (جزآن).

طبع بمطبعه جمعیه المعارف العثمانیه- الطبعه الثانیه، ۱۳۶۴.

(۲) العبر فی خبر من غبر (جزآن).

تحقیق الدکتور صلاح الدین المنجد.

مطبعه الحکومه- الکویت، ۱۹۶۰.

الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد الاصبهانی:

محاضرات الادباء و محاورات الشعراء (جزآن)

المطبعه الشرقیه بمصر، ۱۳۲۶.

الرشید بن زبیر القاضی:

الذخائر و التحف.

تحقیق الدکتور محمد حمید اللّه راجعه الدکتور صلاح الدین المنجد طبع فی الکویت، ۱۹۵۹.

الزمخشری، جار اللّه محمود بن عمر:

تفسیر الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل (۴) أجزاء.

دار الکتاب العربی، بیروت.

السجستانی، أبو بکر عبد اللّه بن سلیمان بن الاشعث:

کتاب المصاحف نشره الدکتور ارثر جیفری.

المطبعه الرحمانیه بمصر، ۱۳۵۵- ۱۹۳۶.

سهراب (و یعرف بابن سرابیون):

کتاب عجائب الاقالیم السبعه الی نهایه العماره.

تحقیق: هانس فون مزیک.

طبع بمطبعه أدولف هولز هوزن فی فیینا، ۱۹۲۹.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

السیرافی، أبو سعید الحسن بن عبد اللّه:

أخبار النحویین البصریین.

تحقیق: طه محمد الزینی و محمد عبد المنعم خفاجی.

مکتبه و مطبعه البابی الحلبی و أولاده بمصر ۱۳۷۴- ۱۹۵۵.

السیرافی:

رحله السیرافی الی الهند و الصین و الیابان و اندنوسیه دار منشورات البصری.

مطبعه دار الحدیث- بغداد، ۱۳۸۰- ۱۹۶۱.

السیوطی، جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر:

(۱) الاشباه و النظائر فی النحو (۳) أجزاء.

مطبعه دار المعارف العثمانیه- حیدر آباد الدکن ۱۳۶۰.

(۲) تاریخ الخلفاء.

تحقیق: محمد محی الدین عبد الحمید.

ممطبعه المدنی، مصر، ۱۹۶۴.

(۳) بغیه الوعاه فی طبقات اللغویین و النحویین (جزآن).

تحقیق: محمد أبو الفضل ابراهیم.

مطبعه عیسی البابی الحلبی و شرکاه، ۱۳۸۴- ۱۹۶۴.

الشابشتی، أبو الحسن علی بن محمد:

الدیارات تحقیق: کورکیس عواد.

مطبعه المعارف- بغداد، ۱۹۶۶- الطبعه الثانیه.

الشهرستانی، أبو الفتح محمد بن عبد الکریم بن ابی بکر:

الملک و النحل (جزآن).

تحقیق: محمد سید کیلانی.

مکتبه و مطبعه البابی الحلبی بمصر، ۱۳۸۱- ۱۹۶۱.

الشیزری، عبد الرحمن بن نصر:

نهایه الرتبه فی طلب الحسبه.

نشره السید الباز العربی.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- مصر، ۱۳۶۵- ۱۹۴۶.

الصابی، أبو الحسین هلال بن المحسن الصابی:

(۱) رسوم دار الخلافه.

تحقیق: میخائیل عواد.

مطبعه العانی- بغداد، ۱۳۸۳- ۱۹۶۴.

(۲) الوزراء أو تحفه الامراء فی تاریخ الوزراء تحقیق: عبد الستار أحمد فراج.

دار أحیاء الکتب العربیه، ۱۹۵۸.

الصابی ء، غرس النعمه أبو الحسن محمد بن هلال الصابی ء:

الهفوات النادره.

حققه: الدکتور صالح الاشتر.

من مطبوعات مجمع اللغه العربیه بدمشق.

الطبعه الاولی، ۱۳۸۷- ۱۹۶۷.

الصفدی، صلاح الدین خلیل بن ایبک:

نکت الهمیان فی نکت العمیان.

وقف علی طبعه: أحمد زکی بک.

المطبعه الجمالیه بمصر، ۱۹۱۱.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفست).

الصولی، أبو بکر محمد بن یحیی الصولی:

۱- شعر ابن المعتز (القسم الثانی).

دراسه و تحقیق الدکتور یونس أحمد السامرائی.

دار الحريه للطباعه- بغداد، ۱۹۷۸.

۲- کتاب الاوراق (قسم اخبار الشعراء).

عنی بنشره: جی. هیورث دن.

مطبعه الصاوی بمصر، ۱۹۳۴.

الطبری، أبو جعفر محمد بن جریر:

(۱) تاریخ الطبری (تاریخ الرسل و الملوک) الاجزاء:

۸، ۹، ۱۰.

دار المعارف بمصر، ۱۹۶۹.

تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم.

(۲) جامع البيان عن تأويل آی القرآن (الجزء الاول).

مطبعه و مكتبه البابی الحلبی و أولاده بمصر.

الطبعه الثانيه، ۱۳۷۳- ۱۹۵۴.

الطرطوشی، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد:

سراج الملوک.

المطبعه الاميريه ببولاق، سنه ۱۲۸۹.

آثار البلاد و اخبار العباد.

دار صادر- بيروت، ۱۳۸۰- ۱۹۶۰.

القفطی، أبو الحسن جمال الدين علی بن يوسف:

(۱) انباه الرداه علی انباء النحاه (۳) أجزاء.

مطبعه دار الكتب المصريه، ۱۳۶۹- ۱۹۵۰.

(۲) تاريخ الحكماء.

حققه يوليوس ليبرت.

طبع فی ليبزک سنه ۱۹۰۳.

(طبعه مكتبه المثنی بالاوفسيت).

القلقشندی، أبو العباس احمد بن علی:

(۱) صبح الاعشى فى صناعه الانشا (الجزء- ۳).

طبع المؤسسه العامه للتأليف و الترجمه و النشر.

(۲) مآثر الاناقه فى معالم الخلافه.

تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

وزاره الارشاد و الانباء فى الكويت، ۱۹۶۴.

القيروانى، أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى:

جمع الجواهر فى الملح و النوادر تحقيق محمد على البجاوى.

الطبعه الاولى- دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ۱۳۷۲- ۱۹۵۳.

الكاتب، أبو جعفر احمد بن يوسف:

المكافأه.

صححه و علق عليه: أحمد أمين و على الجارم.

الطبعه الاولى- المطبعه الاميريه ببولاق، ۱۹۴۱.

الكاتب، محمد بن الحسن بن محمد البغدادى:

كتاب الطبيخ.

نشره الدكتور داود الجلبى.

مطبعه أم الربيعين- الموصل، ۱۳۵۳- ۱۹۳۴.

الكتبى، محمد بن شاكر بن احمد:

فوات الوفيات (جزآن).

حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد.

مطبعه السعاده بمصر، ۱۹۵۴.

الكندى، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح:

(۱) كتاب الكندى الى المعتصم باللّه فى الفلسفه الاولى.

حققه و علق عليه: الدكتور أحمد فؤاد الاهواتى دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ۱۹۴۸- ۱۳۶۷.

(۲) رسائل الكندى الفلسفيه (جزآن).

حققها و اخرجها: محمد عبد الهادى أبو ريده.

دار الفكر العربى.

مطبعه الاعتماد بمصر، ١٣٦٩- ١٩٥٠.

ص: ۴۴۸

الكندى، أبو عمر محمد بن يوسف المصرى:

كتاب الولاه و كتاب القضاه.

تهذيب و تصحيح: رفت كست.

مطبعه الآباء اليسوعيين- بيروت، ۱۹۰۸.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

الماوردى، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى:

(۱) الاحكام السلطانيه.

عنى بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى.

الطبعه الاولى- مطبعه السعاده بمصر.

(۲) أدب القاضى (جزآن).

تحقيق: هلال السرحان.

مطبعه الارشاد- بغداد، ۱۳۹۱- ۱۹۷۱.

المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين:

(۱) مروج الذهب و معادن الجوهر (الجزء الرابع).

تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد.

الطبعه الخامسه، سنه ۱۳۸۷- ۱۹۶۷.

(۲) التنبيه و الاشراف.

عنى بتصحيحه و مراجعته: عبد اللّه اسماعيل الصاوى.

مكتبه الشرق الاسلاميه و مطبعتها، ۱۳۵۷- ۱۹۳۸.

مسكويه، أبو على أحمد بن محمد:

كتاب تجارب الامم (الجزء الاول).

اعتنى بتصحيحه و طبعه: ه. ف. امدروز.

مطبعه شركه التمدن الصناعيه، مصر، ۱۳۳۲- ۱۹۱۴ و (الجزء السادس) منه و قد طبعه دى خويه فى مطبعه بريل بليدن فى سنه ۱۸۶۹ ملحقا بكتاب العيون و الحدائق فى اخبار الحقائق.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقدسى، أبو عبد اللّه محمد بن أحمد المعروف بالبشارى:

أحسن التقاسيم فى معرفه الاقاليم.

طبعه دى خويه فى مطبعه بريل بليدن سنه ۱۹۰۶.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقريزى، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على:

المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف بالخطط المقريزيه (جزآن).

مطبعه بولاق بمصر سنه ۱۹۲۴.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول: العيون و الحدائق فى اخبار الحقائق (الجزء الثالث).

نشره دى خويه.

مطبعه بريل بليدن فى سنه ۱۸۷۱.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول:

اخبار الدوله العباسيه (لمؤلف من القرن الثالث).

تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدورى و الدكتور عبد الجبار المطلبى.

دار الطليعه للطباعه و النشر- بيروت، ۱۹۷۱.

الهرثمی، الشعراتی:

مختصر سیاسه الحروب.

تحقیق: عبد الرؤوف عون و مراجعه الدکتور محمد مصطفی زیاده.

المؤسسه المصریه العامه للتألیف و الترجمه و الطباعه و النشر، مطبعه مصر، ۱۹۶۴.

النویری، شهاب الدین أحمد بن عبد الوهاب:

نهایه الارب فی فنون الادب (الاجزاء: ۱، ۵، ۷).

نسخه مصوره عن طبعه دار الکتب.

وزاره الثقافه و الارشاد القومی بمصر.

الوشاء، أبو الطیب محمد بن اسحاق بن یحی:

الموشی.

حققه: کمال مصطفی.

الطبعه الثانیه بمطبعه الاعتماد بمصر سنه ۱۳۷۳- ۱۹۵۳.

وکیع، القاضی محمد بن خلف بن حیان:

أخبار القضاه (۳) أجزاء.

صححه و علق علیه: عبد العزیز مصطفی المراغی الطبعه الاولی- المکتبه التجاریه الکبری، ۱۳۶۹- ۱۹۵۰.

الیعقوبی، أحمد بن أبی یعقوب بن جعفر بن واضح العباسی:

(۱) تاریخ الیعقوبی (جزآن).

دار صادر- بیروت، ۱۳۷۹- ۱۹۶۰.

(۲) کتاب البلدان.

ص: ۴۵۱

طبع فی مطبعه بریل فی لیدن سنه ۱۸۹۱ مع کتاب الاعلاق النفیسه لابن رسته.

(طبعه مکتبه المثنی بالاوفسیت).

(۳) مشاکله الناس لزمانهم.

تحقیق: ولیم ملورد.

الطبعه الاولی- دار الکتاب الجدید، بیروت، ۱۹۶۲.

ص: ۴۵۲

۲- المراجع الحديثه:

آرنولد، توماس:

تراث الاسلام.

تأليف جمهره من المستشرقين باشرافه.

تعريف: جرجيس فتح اللّه.

الطبعه الثانيه- دار الطليعه- بيروت، ۱۹۷۸.

الأزميرى، اسماعيل حقى:

فيلسوف العرب.

ترجمه: عباس العزاوى.

مطبعه أسعد- بغداد، ۱۳۸۲- ۱۹۶۳.

أمير على، سيد:

مختصر تاريخ العرب.

ترجمه: عفيف البعلبكى.

دار العلم للملايين، بيروت، ۱۹۶۱.

أمين، أحمد:

(۱) ضحى الاسلام (۳) أجزاء.

الطبعه السابعه- مطبعه لجنه التأليف و الترجمه و النشر- القاهره، ۱۹۶۴.

(۲) ظهر الاسلام (الجزء الثانى و الثالث).

الطبعه الثالثه- مكتبه النهضه المصريه، ۱۹۶۲.

اتینکهاوزن، ریتشارد:

فن التصویر عند العرب.

ترجمه: الدکتور عیسی سلمان و سلیم طه التکریتی.

وزاره الاعلام- بغداد، ۱۹۷۳.

باتون، ولتر ملفیل:

احمد بن حنبل و المحنه.

ترجمه و علق علیه: عبد العزیز عبد الحق.

دار الهلال بمصر.

باقر، طه:

(۱) مقدمه فی تاریخ الحضارات القدیمه.

مطبعه الحوادث- بغداد، ۱۳۹۳- ۱۹۷۳.

(۲) المرشد الی مواطن الاثار.

بالاشتراک مع فؤاد سفر.

مدیریه الفنون و الثقافه الشعبیه بوزاره الارشاد، بغداد، ۱۹۶۲.

بروکلمان، کارل:

تاریخ الشعوب الاسلامیه (الجزء الثانی).

ترجمه: الدکتور نبیه فارس و منیر البعلبکی.

دار العلم للملایین- بیروت، ۱۹۴۸.

بصمه جی، الدکتور فرج:

كنوز المتحف العراقى.

وزاره الاعلام، بغداد، ۱۹۷۲.

بيتر، نورمان:

الامبراطوريه البيزنطيه.

ترجمه: حسين مؤنس و محمد يوسف زايد.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- القاهره، ۱۹۵۷.

جب، هاملتون:

دراسات فی حضاره الاسلام ترجمه احسان عباس و آخرین.

دار العلم للملایین- بیروت، ۱۹۶۴.

جرونیباوم، جوستاف. أ. فون:

حضاره الاسلام.

ترجمه: عبد العزیز توفیق جاوید و مراجعه:

عبد الحمید العبادی.

دار مصر للطباعه، ۱۹۵۶.

جواد، الدکتور مصطفی جواد، بالاشتراک مع أحمد سوسه:

دلیل خارطه بغداد المفصل فی خطط بغداد قدیما و حدیثا.

مطبعه المجمع العلمی العراقی، ۱۳۷۸- ۱۹۵۸.

الحانی، الدکتور ناصر:

النقد الادبی و أثره فی الشعر العباسی.

مطبعه بغداد- ۱۹۵۵.

حسن، الدکتور ابراهیم، و الدکتور علی ابراهیم حسن:

النظم الاسلامیه.

الطبعه الرابعه- مطبعه ألسنه المحمدیه، ۱۹۷۰.

الخضری، محمد:

محاضرات تاريخ الامم الاسلاميه (الجزء الثالث).

الطبعه الثالثه، مطبعه مصطفى محمد بمصر.

الخلیلی، جعفر:

موسوعه العتبات المقدسه.

قسم سامراء- الجزء الاول.

دار التعارف- بغداد.

الطبعه الاولی- مطابع دار الکتب، بیروت.

الخوری، فارس:

موجز فی علم المالیه.

مطبعه الحکومه بدمشق، ۱۹۲۴.

الخوئی، السید أبو القاسم الموسوی:

البیان فی تفسیر القرآن (الجزء الاول).

المطبعه العلمیه فی النجف، ۱۳۷۷، ۱۹۵۷.

خیر اللّه، الدکتور أمین أسعد:

الطب العربی.

تعریب: الدکتور مصطفی أبو عز الدین.

المطبعه الامریکانیه- بیروت، ۱۹۴۶.

الدوری، الدکتور عبد العزیز:

(۱) بحث فی نشأه علم التأریخ عند العرب.

المطبعه الکاثولیکیه- بیروت، ۱۹۶۰.

(۲) تاریخ العراق الاقتصادی فی القرن الرابع الهجری.

مطبعه المعارف- بغداد، ١٩٤٨.

(٣) النظم الاسلاميه (الجزء الاول).

مطبعه نجيب- بغداد، ١٩٥٠.

دورزى، رينهارت:

المعجم المفصل للملابس عند العرب.

ص: ۴۵۶

ترجمه: الدکتور أکرم فاضل.

دار الحریه للطباعه- بغداد، ۱۳۹۱- ۱۹۷۱.

دی بور، ت. ج:

تاریخ الفلسفه فی الاسلام.

ترجمه محمد عبد الهادی أبو ریده.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- مصر، ۱۳۵۷- ۱۹۳۸.

دونلدسن، م:

عقیده الشیعه.

تعریب: ع. م.

مطبعه السعاده- مصر، ۱۳۶۵- ۱۹۴۶.

دیماند، م. س:

الفنون الاسلامیه.

ترجمه: أحمد محمد عیسی و مراجعه الدکتور احمد فکری.

الطبعه الثانیه- دار المعارف بمصر، ۱۹۵۸.

روزنتال، فرانز:

علم التاریخ عند المسلمین.

ترجمه: الدکتور صالح أحمد العلی.

مراجعه: محمد توفیق حسین.

مکتبه المثنی ببغداد، ۱۹۶۳.

الزركلى، خير الدين:

الاعلام.

قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين.

الطبعه الثانيه، (۱۰) أجزاء.

ص: ۴۵۷

زیدان، جرجی:

تأریخ التمدن الاسلامی (۵) أجزاء.

مطبعه دار الهلال، مصر، ۱۹۲۲.

سابق، السید:

فقه السنه (الجزء الثالث).

دار الکتاب العربی- بیروت. الطبعه الاولی ۱۳۹۱- ۱۹۷۱.

السامر، الدکتور فیصل:

ثوره الزنج.

الطبعه الثانیه- مکتبه المنار بغداد، ۱۹۷۱.

سرکیس، الیان:

معجم المطبوعات العربیه و المعربه.

مطبعه سرکیس- مصر، ۱۲۸- ۱۳۴۶.

سوسه، الدکتور أحمد سوسه:

ری سامراء فی عهد الخلافه العباسیه (جزآن).

مطبعه المعارف- بغداد، ۱۹۴۹.

الطائی، الدکتور فاضل احمد:

أعلام العرب فی الکیمیاء.

دار الرشید للنشر- دار الحریه للطباعه- بغداد، ۱۴۰۱- ۱۹۸۱.

طوقان، قدری حافظ:

تراث العرب العلمى.

اصدار مجله المقتطف سنه ۱۹۴۱.

عبد الرزاق، مصطفى:

فیلسوف العرب و المعلم الثانى.

دار أحياء الكتب العربيه- ۱۹۴۵- ۱۳۶۴.

عبد القادر، الدكتور على حسن:

نظره عامه فى تاريخ الفقه الاسلامى.

مكتبه القاهره الحديثه، الطبعه الثانيه، ۱۹۵۶.

العبيدى، الدكتور صلاح حسين:

الملابس العربيه الاسلاميه فى العصر العباسى.

دار الرشيد للنشر- ۱۹۸۰.

عثمان، فتحى:

الحدود الاسلاميه البيزنطيه بين الاحتكاك الحربى و الاتصال الحضارى- الكتاب الاول فى الظروف التاريخيه و الجغرافيه لقيامها.

الدار القوميه للطباعه و النشر- القاهره.

على، عبد اللّه يوسف:

ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه.

دار الفكر- بيروت.

العميد، الدكتور طاهر مظفر:

العماره العباسيه فى سامراء.

دار الحريه للطباعه- بغداد، ۱۳۹۶- ۱۹۶۷.

عيسى، الدكتور أحمد:

تاريخ البيمارستانات فى الاسلام.

المطبعه الهاشميه- دمشق، ۱۳۵۷- ۱۹۳۹.

فازيليف:

العرب و الروم.

ترجمه: الدكتور محمد عبد الهادى شعيره.

دار الفكر العربى.

فراج، عبد الستار احمد:

اشعار الخليع الحسين بن الضحاك.

دار الثقافه- بيروت، ۱۹۶۰.

كويل، ارنست:

الفن الاسلامى.

ترجمه: الدكتور أحمد موسى.

دار صادر- بيروت، ۱۹۶۶.

لسترانج، غن:

(۱) بغداد فى عهد الخلافه العباسيه.

ترجمه: بشير فرنسيس.

المطبعه العربيه- بغداد، الطبعه الاولى، ۱۳۵۵- ۱۹۳۶.

(۲) بلدان الخلافه الشرقيه.

ترجمه: بشير فرنسيس و كوركيس عواد.

مطبعه الرابطه- بغداد، ۱۳۷۳- ۱۹۵۴.

لوبون، الدكتور غوستاف:

حضاره العرب.

ترجمه: عادل زعيتر.

الطبعه الثانيه- مطبعه دار أحياء الكتب العربيه، ۱۹۴۸.

متز، آدم:

الحضاره الاسلاميه فی القرن الرابع الهجری (جزآن).

ترجمه: محمد عبد الهادی أبو ریده.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- القاهره، ۱۳۵۹- ۱۹۴۰.

مختار، اللواء محمد باشا:

کتاب التوفیقات الالهامیه فی مقارنه التواریخ البحریه بالسنین الافرنکیه و القبطیه.

الطبعه الاولی- المطبعه الامیریه ببولاق- مصر، ۱۳۱۱.

المخزومی، الدکتور مهدی:

مدرسه الکوفه و منهجها فی دراسه اللغه و النحو.

مطبعه دار المعرفه- بغداد، ۱۳۷۴- ۱۹۵۵.

مرزوق، الدکتور محمد عبد العزیز:

العراق مهد الفن الاسلامی.

وزاره الاعلام.

مطبعه ثنیان، ۱۹۷۱.

المدنی، أحمد توفیق:

المسلمون فی جزیره صقلیه.

المطبعه العربیه- الجزائر، ۱۳۶۵.

هرنشو:

علم التاریخ.

ترجمه: عبد الحمید العبادی.

مطبعه لجنه التألیف و الترجمه و النشر- القاهره، ۱۹۳۷.

ص: ۴۶۱

هل، یوسف:

الحضاره العربیه.

ترجمه: الدکتور ابراهیم أحمد العدوی، و مراجعه الدکتور حسین مؤنس.

مکتبه الانجلو المصریه- القاهره، ۱۳۷۵- ۱۹۵۶.

الیسوعی، الاب رتشرد یوسف مکارتی:

التصانیف المنسوبه الی فیلسوف العرب.

مطبعه العانی- بغداد، ۱۳۸۲- ۱۹۶۲.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.